ماشاء الله كان

الجزء الثاني

من

حاشية العالم العلامة العارف بالله تعالى الشيخ احمد الصاوى المالكى على تفسير الجلالين نفعنا الله بهم أجمعين آمين

طبع بالمطبعة الأزهرية بمصر

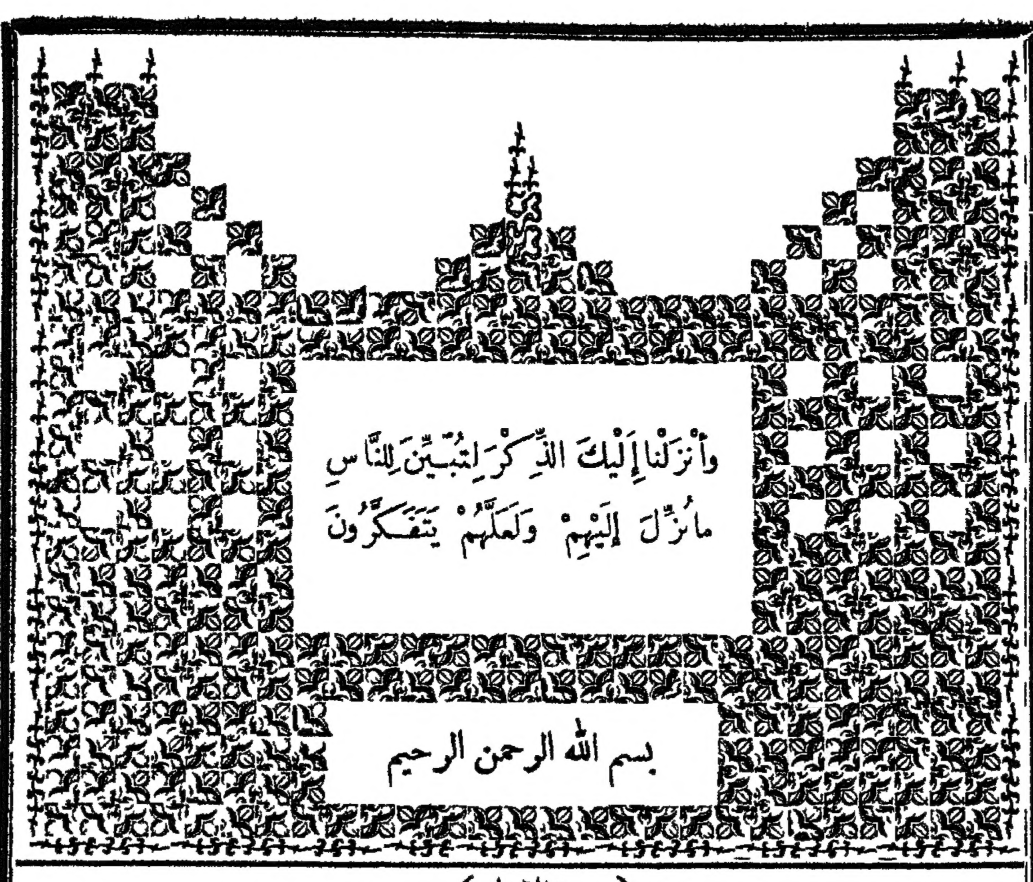
بشارع رقعة القمح بجوار الازهر الشريف

على نفقة

(مصطفى البابى الحلبي واولاده)

قد قوبلت هذه الطبعة على نسخة أميرية مطبوعة سنة ١٢٩٥ هـ ونسخ أخرى موثوق بها

(الطبعة الاولى سنة ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م)



﴿ سورة الانعام ﴾
مكية الا وما قدروا الله
الآيات الثلاث والا قل
تعالوا الآيات الثلاث وهى
مائة وخمس أوست وستون آية
(بسم الله الرحمن الرحيم)
(الحمد) وهو الوصف بالجميل
ثابت (لله) وهل المراد
الاعلام بذلك للايمان به
أو الثناء به اوهما احتمالات
أفيدها الثالث

﴿ سورة الانعام ﴾

سميت بذلك لذكر الانعام فيها من باب تسمية الكل باسم الجزء وهذه السورة نزلت جملة واحدة ماعدا الست آيات ونزل معها سبعون الف ملك ولهم زجل بالتسبيح ونزلت ليلا فامر صلى الله عليه وسلم بكتابتها حينئذ وحين نزولها صار صلى الله عليه وسلم يسبح ويسجد حينئذ وكل ذلك تعظيما لشأنها لان ما اشتملت عليه من التوحيد وعدة جملة من الرسل وتبين الحلال من الحرام فى الانعام لم يوجد فى غيرها وورد أنها فاتحة التوراة وخاتمتها قيل آخر هود وقيل آخر الاسراء وفيها آية نزلت ومعها اربعون الف ملك وهى وعنده مفاتح الغيب الآية * وعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ ثلاث آيات من أول سورة الانعام الى ويعلم ماتكسبون وكل الله له أربعين ألف ملك يكتبون له مثل عبادتهم الى يوم القيامة وينزل ملك من السماء السابعة ومعه مرزبة من حديد فاذا أراد الشيطان أن يوسوس له أو يوحى فى قلبه شيا ضربه ضربة فيكون بينه وبينه سبعون حجابا فاذا كان يوم القيامة قال الله امش فى ظلى يوم لا ظل الا ظلى وكل من ثمار جنتى واشرب من الكوثر واغتسل من السلسبيل فانت عبدى وأنا ربك (قوله الآيات الثلاث) أى الى قوله تستكبرون (قوله والا قل تعالوا) اى الى قوله لعلكم تتقون هكذا مشي المفسر (قوله وهو) أى الحمد بالمعنى اللغوى وأما بالمعنى الاصطلاحى فهو فعل ينبىء عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعما على الحامد أو غيره (قوله الوصف بالجميل) زاد بعضهم على جهة التعظيم والتبجيل لاخراج التهكم كقوله تعالى ذق انك أنت العزيز الكريم (قوله ثابت) قدره اشارة الى أن لله جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر المبتدا الذى هو الحمد (قوله وهل المراد به الاعلام بذلك) أى فتكون الجملة خبرية لفظا ومعنى وقوله او الثناء به أى فهى خبرية لفظا انشائية معنى (قوله أوهما) أى فهى مستعملة فى حقيقتها ومجازها فالقصد اعلام العبيد للايمان به وانشاء الثناء به وهذا هو حمد القديم للقديم وأل فى الحمد يصح أن تكون

للاستغراق

للاستغراق أو الجنس أو العهد واللام في لله للاستحقاق (قوله قاله الشيخ) أي الجلال المحلي (قوله الذي خلق) صفة لله وتعليق الحكم بالمشتق يؤذن بالعلية كانه قيل الوصف بالجميل ثابت له لانه الخالق للسموات والارض والمراد بالسموات ما علا فيشمل العرش والمراد بالارض ما سفل فيشمل ما تحتها وقدم السموات لانها أشرف من الارض لكونها مسكن المطهرين لا غير والارض وان كان فيها الانبياء لكنها احتوت على الاشرار والمفسدين ولانها سابقة على الارض كما في سورة النازعات قال تعالى أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها الى ان قال والارض بعد ذلك دحاها ولا منافاة بين آية فصلت وبين آية النازعات فان الارض خلقت اولا كرة ثم خلقت السموات من دخان كما دلت عليه آية فصلت ثم بنى السماء ورفعها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والارض بعد ذلك دحاها وانما جمع السموات لاختلاف اجناسها فان الاولى من موج مكفوف والثانية من مرمرة بيضاء والثالثة من حديد والرابعة من نحاس والخامسة من فضة والسادسة من ذهب والسابعة من ياقوتة حمراء * واما الارض وان كانت سبعا ايضا الا انها من جنس واحد * واختلف هل الارض مداد وهو الصحيح فالتعدد باعتبار اقطارها وقيل طباق كالسماء واما السماء فهي طباق باتفاق (قوله خلق) اشار بذلك الى ان جعل بمعنى خلق فتنصب مفعولا واحدا (قوله اى كل ظلمة) اى حسية كظلمة الليل والاجرام الكثيفة او معنوية كالشرك والمعاصي (قوله ونور) اى حسي كالشمس والقمر والنجوم ومعنوي كالاسلام (قوله لكثرة اسبابها) اى الظلمة واما النور فسببه واحد لا يتعدد لانه اما معنوي وسببه الاسلام او حسي وسببه النار (قوله ثم الذين كفروا) ثم للترتيب الرتبي اى فبعد ان عرفوا الحق سووا به غيره فهو استبعاد لما وقع منهم (قوله بربهم) يحتمل انه متعلق بكفروا وقوله يعدلون مفعوله محذوف قدره المفسر بقوله غيره ومعناه التسوية كما قاله المفسر ويحتمل ان بربهم متعلق بيعدلون والباء بمعنى عن والتقدير يميلون عن ربهم لغيره من العدول وهو الميل عن طريق الهدى (قوله هو الذي خلقكم) هذا من جملة الادلة على كونه مستحقا للحمد كانه قيل الوصف بالجميل لله لا لغيره لانه خلق السموات والارض والظلمات والنور ولانه خلقكم الخ (قوله من طين) من لابتداء الغاية اى مبتدئا نشأتكم من طين (قوله بخلق أبيكم آدم منه) دفع بذلك ما يقال انهم مخلوقون من النطفة لا من الطين فاجاب بان الكلام على حذف مضاف وذلك الطين الذي خلق منه آدم فيه من كل لون وعجن بكل ماء فخلق الله اولاده مختلفة الالوان والاخلاق فاختلاف الالوان من اختلاف الوان طينة ابيهم واختلاف الاخلاق من اختلاف المياه التي عجنت بها تلك الطينة فما من احد الا وله جزء سرى له من أبيه فالطبائع والاخلاق اصلها من آدم فنسبة الطين لاولاده باعتبار نشأتها منه وسريانها فيهم وقيل لا حذف في الآية بل كل انسان مخلوق من الطين لانه ورد ما من مولود الا ويذر على نطفته شيء من تراب تربته فالنطفة عجنت بذلك التراب فصدق على كل انسان انه مخلوق من الطين وقيل انه من الطين باعتبار ان النطفة ناشئة عن الغذاء وهو ناشئ عن الطين (قوله ثم قضى) يصح ان يكون بمعنى اظهر فثم للترتيب الزماني اى فبعد تمام خلقه يظهر اجله للملك الموكل بالرحم او بمعنى قدر فثم للترتيب الذكري لان التقدير هو الارادة المتعلقة بالاجل ازلا فهي متقدمة على وجوده فالترتيب في الذكر فقط واعلم ان كل انسان له اجلان اجل ينقضي بموته واجل ينقضي ببعثه فابتداء أجل الموت من حين وجوده وابتداء اجل البعث من حين موته ومجموع الاجلين محتم لا يزيد ولا ينقص وما ورد من زيادة العمر للبار الواصل للرحم ونقصه للعاصي القاطع للرحم قيل محمول على البركة وعدمها وقيل يتداخل احدهما في الآخر فالطائع يزاد له في اجل الدنيا وينقص من اجل البرزخ وبالعكس للعاصي وبه فسر قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب ويؤيد ذلك ما حكى ان داود عليه السلام كان له صديق قد دنا اجله فاخبره جبريل بانه لم يبق من اجله

قال الشيخ في سورة الكهف (الذي خلق السموات والارض) خصهما بالذكر لانهما أعظم المخلوقات للناظرين (وجعل) خلق (الظلمات والنور) اى كل ظلمة ونور وجمعها دونه لكثرة أسبابها وهذا من دلائل وحدانيته (ثم الذين كفروا) مع قيام هذا الدليل (بربهم يعدلون) يسوون غيره في العبادة (هو الذي خلقكم من طين) بخلق ابيكم آدم منه (ثم قضى اجلا) لكم تموتون عند انتهائه

الا خمسون يوما فاخبر داود صديقه بذلك فذاهب حتى اذا جاء اليوم المتمم للخمسين أخذ غذاءه وذهب لداود ليودعه فمر بفقير فاعطاه غذاءه فنزل جبريل على داود واخبره ان الله زاد فى عمره خمسين سنة بسبب صدقته فى ذلك اليوم فلما ذهب اليه وجده مسرورا فاخبره بذلك (قوله واجل مسمى عنده) أجل مبتدأ ومسمى صفته وعنده خبره واضيف له سبحانه لانه لا يعلم انتهاءه أحد غيره واما أجل الدنيا فهو فى علم الملك وبانقضائه يظهر للمخلوقات أيضا (قوله لبعثكم) اى ينتهى اليه وماوراء ذلك لا نهاية له (قوله ثم انتم تمترون) اى ثم بعد ظهور تلك الآيات العظيمة تشكون فى البعث وتنكرونه وافاد المفسر ان هذه الآية رد لما انكروه من البعث وماقبلها رد للشرك الواقع من الكفار (قوله فهو على الاعادة أقدر) هذا بحسب العادة الجارية بان القادر على الابتداء قادر على الاعادة بالاولى والا فالكل فى قبضة قدرته سواء لا مزية للاعادة على الابتداء لانه اذا اراد شيئا قال له كن فيكون (قوله وهو الله) مبتدأ وخبر والضمير عائد على المتصف بالاوصاف المتقدمة وفى السموات وفى الارض متعلق بوصف تضمنه ذلك العلم لان الله موضوع للذات الواجبة الوجود المستحقة لجميع المحامد فيكون المعنى وهو الله المستحق للعبادة فى السموات الخ وهذا ما ادرج عليه المفسر وبذلك يجاب عن آية وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله وقيل متعلق بنعت محذوف تقديره وهو الله المعبود فى السموات الخ على حد قول ابن مالك

* ومامن المنعوت والنعت عقل * يجوز حذفه وقيل متعلق بيعلم والتقدير يعلم سركم وجهركم فى السموات والارض وقيل متعلق بسركم وجهركم ولكن يلزم عليه تقديم معمول المصدر عليه الا ان يقال يغتفر فى الظروف والمجرورات مالا يغتفر فى غيرها (قوله ويعلم ما تكسبون) ان قلت ان الكسب لا يخرج عن السر والجهر والعطف يقتضى المغايرة اجيب بان المراد بالكسب ما يترتب عليه من الثواب والعقاب والمعنى يعلم افعالكم واقوالكم السرية والجهرية ويعلم جزاءها من ثواب وعقاب (قوله وما تأتيهم من آية) كلام مستانف بيان لزيادة قبحهم وكفرهم بعد ظهور الآيات البينات (قوله من آيات ربهم) من تبعيضية والآيات يحتمل ان يكون المراد بها القرآن فاتيانها نزولها على رسول الله وعليه اقتصر المفسر أو الكونية كالمعجزات فالمراد باتيانها ظهورها والاحسن ان يراد ماهو اعم (قوله الا كانوا عنها معرضين) الجملة حالية من الضمير فى تأتيهم وقوله معرضين ضمنه معنى غافلين فعداه بعن والا فالاعراض بمعنى الترك لا يتعدى بعن (قوله فقد كذبوا) تفريع على ماقبله وتفصيل لبعضه (قوله بالقرآن) اى وغيره من بقية المعجزات (قوله لما جاءهم) ظرف لقوله كذبوا (قوله فسوف يأتيهم) وعيد عظيم مرتب على تكذيبهم وهو لا يتخلف لان وعيد الكفار وعد حسن للمؤمنين فهو وعد باعتبار ووعيد باعتبار آخر فعدم تخلفه باعتبار كونه وعدا قال تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين (قوله أنباء) جمع نبا وهو الخبر العظيم المزعج وجمعه اشارة الى تكرر الجزاء لهم فى الدنيا ويوم القيامة (قوله ما كانوا به يستهزؤن) ما اسم موصول وكانوا صلته والمعنى فسوف يأتيهم جزاء الذى كانوا يستهزؤن به فى العاجل بالقتل والاسر والآجل بالعذاب الدائم فى النار (قوله ألم يروا) هذا اخبار من الله ببذل النصح لهم ومع ذلك فلم يهتدوا والهمزة داخلة على محذوف تقديره اعموا ورأى اما بصرية وعليه درج المفسر حيث قال فى اسفارهم الى الشام وغيرها وعليه فقوله كم اهلكنا سدت مسد مفعولها او علمية فتكون الجملة سدت مسد مفعوليها والاحسن الاول (قوله وغيرها) اى كاليمن فانه كان لهم رحلتان رحلة فى الصيف للشام ورحلة فى الشتاء لليمن كما يأتى فى سورة قريش (قوله خبرية) اى وهى مفعول مقدم لاهلكنا (قوله من قبلهم) اى قبل وجودهم او قبل زمانهم فالكلام على حذف مضاف (قوله من قرن) بيان لكم والقرن يطلق على الامة وعليه درج المفسر ويطلق على الزمان واختلف فى حده فقيل مائة سنة وهو الاشهر وقيل مائة وعشرون وقيل ثمانون وقيل ستون وقيل اربعون

(واجل مسمى) مضروب (عنده) لبعثكم (ثم انتم) ايها الكفار (تمترون) تشكون فى البعث بعد علمكم انه ابتدأ خلقكم ومن قدر على الابتداء فهو على الاعادة أقدر (وهو الله) مستحق للعبادة (فى السموات وفى الارض يعلم سركم وجهركم) ما تسرون وما تجهرون به بينكم (ويعلم ما تكسبون) تعملون من خير وشر (وما تأتيهم) اى اهل مكة (من) زائدة (آية من آيات ربهم) من القرآن (الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق) بالقرآن (لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء) عواقب (ما كانوا به يستهزؤن ألم يروا) فى أسفارهم الى الشام وغيرها (كم) خبرية بمعنى كثيرا (اهلكنا من قبلهم من قرن) امة من الامم الماضية

(مكناهم) أعطيناهم مكانا (فى الارض) بالقوة والسعة (مالم نمكن) نعط (لكم) فيه التفات عن الغيبة (وأرسلنا السماء) المطر (عليهم

مدرارا) متتابعا (وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم) تحت مساكنهم (فأهلكناهم بذنوبهم) بتكذيبهم الانبياء (وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين ولو نزلنا عليك كتابا) مكتوبا (فى قرطاس) رق كما اقترحوه (فلمسوه بأيديهم) أبلغ من عاينوه لانه أنفى للشك (لقال الذين كفروا ان) ما (هذا الا سحر مبين) تعنتا وعنادا (وقالوا لولا) هلا (أنزل عليه) على محمد صلى الله عليه وسلم (ملك) يصدقه (ولو أنزلنا ملكا) كما اقترحوا فلم يؤمنوا (لقضى الامر) بهلاكهم (ثم لا ينظرون) يمهلون لتوبة أو معذرة كعادة الله فيمن قبلهم من اهلاكهم عند وجود مقترحهم اذا لم يؤمنوا (ولو جعلناه) اى المنزل اليهم (ملكا لجعلناه) اى الملك (رجلا) اى على صورته ليتمكنوا من رؤيته اذ لا قوة للبشر على رؤية الملك (و) لو أنزلناه وجعلناه رجلا (للبسنا) شبهنا (عليهم ما يلبسون) على أنفسهم بان يقولوا ما هذا الا بشر مثلكم (ولقد استهزئ برسل من قبلك) فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (فحاق) نزل (بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن) وهو العذاب فكذا يحيق بمن استهزأ بك (قل) لهم (سيروا فى الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) الرسل من هلاكهم بالعذاب ليعتبروا

وقيل غير ذلك (قوله مكناهم) وصف للقرن وجمعه باعتبار معناه لان القرن اسم جمع كرهط وقوم لفظه مفرد ومعناه جمع (قوله بالقوة والسعة) أى فى الدنيا حتى صاروا ذوى شهامة وغنى عظيم ومع ذلك فلم تغن عنهم أموالهم ولا أنفسهم من الله شيأ (قوله فيه التفات عن الغيبة) اى ونكتته الاعتناء بشأن المخاطبين حيث خاطبهم مشافهة (قوله وأرسلنا السماء عليهم مدرارا) وصف ثان للقرن وقوله وجعلنا الانهار وصف ثالث له والمعنى ان من مضى من قبلكم من الامم أعطيناهم القوة الشديدة فى الجسم والسعة فى الاموال والاولاد ومع ذلك فلم ينفعهم من ذلك شئ فلا تأمنوا سطوتى بالاولى منهم قال الشاعر

لا يأمن الدهر ذو بغى ولو ملكا * جنوده ضاق عنها السهل والجبل

(قوله وأنشأنا من بعدهم قرنا) كلام مستأنف دفع به ما يقال حيث هلك من هلك فقد خرب الكون فأجاب بانه كلما أهلك جماعة أتى بغيرهم فانه قادر على ذلك والقادر لا يعجزه شئ (قوله قرنا) هنا بالافراد وفى بعض الآيات بالجمع والمعنى واحد فان المراد به الجنس وجمع آخرين باعتبار معنى القرن (قوله ولو نزلنا) شروع فى بيان زيادة كفرهم وتسلية له صلى الله عليه وسلم على عدم ايمانهم به وهو رد لقول النضر بن الحرث وعبد الله بن أبى أمية ونوفل بن خويلد لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ومعه أربعة من الملائكة يشهدون بانك صادق (قوله مكتوبا) اشارة الى انه اطلق المصدر وأراد اسم المفعول (قوله قرطاس) القراءة بكسر القاف لا غير ويجوز فى غير القرآن فتح القاف وضمها ويقال قرطس كجعفر ودرهم ما يكتب فيه مطلقا ورقا وغيره فتفسيره له بالرق بفتح الراء على الافصح تفسير بالاخص (قوله كما اقترحوه) اى اخترعوه من الآيات (قوله ان هذا الا سحر مبين) ان نافية بمعنى ما وهذا مبتدأ وسحر خبره ومبين صفته والجملة مقول القول (قوله وقالوا لولا أنزل عليه ملك) هذا من جملة عنادهم وكفرهم (قوله فلم يؤمنوا) مرتب على قوله ولو أنزلنا فهو من تتمة الشرط والمعنى ان الله لو أجابهم بانزال ملك ولم يؤمنوا لأهلكهم كمن قبلهم مع انه قال وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم فعدم اجابتهم رحمة بهم (قوله ولو جعلناه ملكا) رد لقولهم هلا كان رسولنا من الملائكة لا من البشر (قوله اى على صورته) أشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف اى صورة رجل فالشبه فى الصورة فقط (قوله اذ لا قوة للبشر على رؤية الملك) اى ولذلك كان يأتى الانبياء على صورة رجل ولم ير الملك على صورته الاصلية احد من البشر الا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين مرة فى الارض عند غار حراء ومرة فى السماء عند سدرة المنتهى ليلة الاسراء (قوله وللبسنا) جعله المفسر جواب شرط محذوف والواو داخلة على فعل الشرط المحذوف قدره بقوله ولو جعلناه رجلا والمناسب للمفسر الاقتصار على ذلك ويحذف قوله ولو أنزلناه ولبس بفتح الباء يلبس بكسرها خلط يخلط واللبس اختلاط واشتباه وأما لبس بكسر الباء يلبس بفتحها سلك الثوب فى العنق (قوله ولقد استهزئ برسل من قبلك) اى فلا تحزن واصبر على أذاهم فان الله كافيك شرهم (قوله فكذا يحيق بمن استهزأ بك) أى لكن لا على الوجه الذى حاق بهم من عموم العذاب بل يأخذ المتمرد بخصوصه وقد فعل الله ذلك قال تعالى انا كفيناك المستهزئين (قوله قل سيروا فى الارض) هذا استشهاد على ما تقدم كأنه قيل ان لم تصدقوا اخبر ربكم بانه حاق بالذين سخروا وكذبوا أنبياءهم العذاب فسيروا وعاينوا آثارهم (قوله ثم انظروا) أتى بثم لانه لا يحسن التفكر والاستدلال ولا يتم الا بعد تمام السير ومعاينة الآثار (قوله كيف) اسم استفهام خبر كان وعاقبة اسمها وانما قدم الخبر عليها وعلى اسمها لان اسم الاستفهام له الصدارة (قوله ليعتبروا) أى يتعظوا فبالسير والتفكر يحصل الاستدلال والنور التام ومن هنا اخذت

الصوفية السياحة لان من جملة ما يعين على الوصول الى الله والترقى الى المعارف النظر والتفكر فى مصنوعاته قال تعالى سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق (قوله قل لمن مافى السموات والارض) الجار والمجرور خبر مقدم وما اسم موصول مبتدأ مؤخر وفى السموات والارض صلة الموصول والاصل قل مافى السموات والارض لمن وانما قدم الخبر لان اسم الاستفهام له الصدارة وهذه حجة قاطعة لا يمكن ردها أبدا (قوله قل لله) اى تقريرا لهم وتنبيها على انه المتعين للجواب بالاتفاق لقوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله (قوله لا جواب غيره) فى معنى التفريع او التعليل فالمناسب ان يقول فلا او لانه لا جواب غيره (قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة) اى ألزم نفسه الرحمة لانه وعد بها ووعده لا يتخلف فهى واجبة شرعا لا عقلا والرحمة هى النعمة وهى عامة لكل مخلوق فى الدنيا قال تعالى ورحمتى وسعت كل شىء فمن رحمته امهال العصاة والكفار وترادف الرزق عليهم واما بعد استقرار الخلق فى الدارين فتختص الرحمة باهل الجنة ويختص غضب الله باهل النار (قوله فضلا منه) رد بذلك على المعتزلة القائلين بان الرحمة واجبة عقلا على الله يستحيل تخلفها اذ هو نقص والنقص عليه محال (قوله وفيه تلطف فى دعائهم الى الايمان) اى فى ذكر الرحمة بهذا العنوان فلا تقنطوا بل اذا تبتم قبلكم (قوله ليجمعنكم) اللام موطئة لقسم محذوف وهو كلام مستأنف مؤكد بالقسم والنون اشارة الى أن ذلك الامر لا بد منه (قوله الى يوم القيامة) يحتمل ان الى على بابها متعلقة بمحذوف تقديره ليجمعنكم فى القبور ويحشرنكم الى يوم القيامة ويحتمل انها بمعنى اللام او فى أو زائدة (قوله لا ريب فيه) اى فى الجمع يوم القيامة او فى يوم القيامة الذى يحصل فيه الجمع (قوله الذين خسروا أنفسهم) الذين مبتدأ وخسروا صلته وأنفسهم مفعول لخسروا وقوله فهم لا يؤمنون مبتدأ وخبر والجملة خبر المبتدا ان قلت ان ظاهر الآية ان عدم الايمان مسبب عن الخسران مع ان الخسران مسبب عن عدم الايمان أجيب بان المعنى الذين خسروا أنفسهم فى علم الله اى قضى عليهم بالخسران أزلا فهم لا يؤمنون فيما لا يزال فالآية باعتبار مافى علم الله واما تسبب الخسران عن عدم الايمان فبحسب ما يظهر للعباد (قوله وله ماسكن) هذا ايضا من جملة أدلة التوحيد زيادة فى التشنيع على من كفر (قوله حل) أشار بذلك الى انه لا حذف فى الآية وعليه جمهور المفسرين فمعنى حل وجد فيشمل الساكن والمتحرك وقيل ان سكن من السكون ضد الحركة وعليه ففى الآية حذف تقديره وما تحرك (قوله قل أغير الله) رد لقولهم له كيف تترك دين آبائك وغير مفعول اول لا تخذ وقدمه اعتناء بنفى الغيرية ووليا مفعول ثان (قوله أعبده) تفسير لا تخذ فالمراد بالولى هنا المعبود ويطلق باشتراك على معان منها المعبود ولا يكون الا الله وهو معنى قوله تعالى فالله هو الولى الله ولى الذين آمنوا ويطلق على القريب والصاحب وعلى المنهمك فى طاعة الله (قوله فاطر) بدل من لفظ الجلالة او نعت ان قلت ان فاطر اسم فاعل واضافته لفظية لا تفيده التعريف ولفظ الجلالة اعرف المعارف وشرط النعت موافقته لمنعوته فى التعريف أجيب بان محل كون اضافته لفظية ان كان معناه التجدد والحدوث واما هنا فهو من قبيل الصفة المشبهة فيكون وصفا ثابتا له وهذه الجملة كالدليل لما قبلها (قوله مبدعهما) اى موجدهما على غير مثال سبق ففاطر من الفطرة وهى الخلقة وفطر خلق وأنشأ قال ابن عباس ما كنت أدرى ما معنى فطر وفاطر حتى اختصم الى أعرابيان فى بئر فقال أحدهما انا فطرتها اى أنشأتها وابتدأتها (قوله اى يرزق) تفسير بالاعم لان المعنى يرزق مطعوما وغيره فليس المراد من الآية قصره على المطعوم (قوله ولا يطعم) اى لان المرزوق محتاج لمن يرزقه وتنزه الله عن الاحتياج (قوله أول من أسلم) يحتمل ان من نكرة موصوفة فجملة أسلم صفة والمعنى ان أكون أول فريق اسلم او اسم موصول وما بعدها صلة والتقدير اول الفريق الذى أسلم وقوله أمرت ان أكون الخ اى أمرنى ربى ان أكون اول المسلمين لانه

(قل لمن مافى السموات والارض قل لله) ان لم يقولوه لا جواب غيره (كتب) قضى (على نفسه الرحمة) فضلا منه وفيه تلطف فى دعائهم الى الايمان (ليجمعنكم الى يوم القيامة) ليجازيكم باعمالكم (لا ريب) شك (فيه الذين خسروا أنفسهم) بتعريضها للعذاب مبتدأ خبره (فهم لا يؤمنون وله) تعالى (ماسكن) حل (فى الليل والنهار) أى كل شىء فهو ربه وخالقه ومالكه (وهو السميع) لما يقال (العليم) بما يفعل (قل) لهم (أغير الله أتخذ وليا) اعبده (فاطر السموات والارض) مبدعهما (وهو يطعم) يرزق (ولا يطعم) يرزق لا (قل انى أمرت ان أكون أول من أسلم) لله من هذه الامة

يجب عليه الايمان بانه رسول و بما جاء به من الشرع والاحكام فهو اول المسلمين على الاطلاق (قوله وقيل لى الخ) اشار بذلك الى ان قوله ولا تكونن معمول لقول محذوف والجملة معطوفة على جملة أمرت والمعنى امرنى ربى بان أكون أول من اسلم ونهانى بقوله ولا تكونن من المشركين وهذه الجملة لازمة لما قبلها (قوله عذاب يوم عظيم) معمول لاخاف وجملة ان عصيت ربى شرطية وجوابها محذوف دل عليه قوله اخاف وهى معترضة بين الفعل وهو اخاف ومعموله وهو عذاب (قوله من يصرف عنه) من اسم شرط و يصرف فعل الشرط ونائب الفاعل مستتر يعود على العذاب على القراءة الاولى والفاعل الله على القراءة الثانية وعنه جار ومجرور متعلق بيصرف وقوله فقد رحمه جواب الشرط وهو معنى قوله تعالى فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز (قوله وللفاعل) اى والمفعول محذوف تقديره العذاب والمعنى من يصرف الله العذاب عنه يوم القيامة فقد رحمه وفى ذلك تعريض بان الكفار لا يرحمون لانه لا يصرف عنهم العذاب (قوله والعائد محذوف) الاوضح ان يقول والمفعول محذوف وهو ضمير يعود على العذاب لان الضمير العائد على من مذكور بقوله عنه وايضا لا يحتاج للعائد الا الموصول ومن هنا شرطية لا موصولة (قوله وذلك) اى النجاة يوم القيامة (قوله وان يمسسك الله بضر) هذا تأييد من الله لرسوله فالمعنى لا تخش لومهم بل بلغ ما انزل اليك من ربك فان الله متولى امرك بيده الضر والنفع والمنع والاعطاء فهم عاجزون لا يقدرون على ايصال ضر ولا جلب نفع (قوله كمرض وفقر) أى وغلبة واحتياج (قوله فلا كاشف له) جواب الشرط وفعله قوله يمسسك ولا نافية للجنس وكاشف اسمها مبنى معها على الفتح فى محل نصب وخبرها محذوف تقديره احد وقوله الا هو الا اداة حصر وهو بدل من الضمير المستتر فى الخبر (قوله وان يمسسك بخير) جواب الشرط محذوف تقديره فلا راد لفضله كما فى آية يونس وان يردك بخير فلا راد لفضله (قوله فهو على كل شىء قدير) دليل لكل من الجملتين (قوله ومنه مامسك به) اى من النبوة وغيرها (قوله مستعليا) اشار بذلك الى ان قوله فوق عباده ظرف متعلق بمحذوف حال من القاهر (قوله فوق عباده) اى فوقية مكانة لا مكان والمعنى ان صفاته فوق صفات غيره لان اوصافه كمالية وأوصاف غيره ناقصة فوصفه العز والعلم والاقتدار ووصف غيره الذل والجهل والعجز فكل وصف شريف كامل فهو لله وكل وصف خسيس ناقص فهو لغيره (قوله وهو الحكيم فى خلقه) اى يضع الشىء فى محله (قوله الخبير) اى فيعامل كل شخص بما يليق به (قوله ونزل لما قالوا) اى اهل مكة فقالوا يا محمد ارنا من يشهد لك بالرسالة فانا سألنا اليهود والنصارى عنك فزعموا انه ليس لك عندهم ذكر (قوله ائتنا) بقلب الهمزة الثانية ياء قال ابن مالك

ومدا ابدل ثانى الهمزين من * كلمة ان يسكن كآثر وائتمن

(قوله تمييز محول عن المبتدا) اى والاصل شهادة اى شىء أكبر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وجعل مبتدأ وجعل المضاف تمييزا (قوله قل الله) مبتدأ خبره محذوف اى أكبر شهادة وقوله شهيد خبر لمحذوف قدره المفسر فالكلام جملتان ويحتمل ان الله مبتدأ خبره شهيد فالكلام جملة واحدة (قوله شهيد بينى و بينكم) المراد بشهادة الله اظهار المعجزات على يده فان المعجزات منزلة منزلة قول الله صدق عبدى فى كل ما يبلغ عنى (قوله واوحى الى هذا القرآن) هذا دليل لشهادة الله والمعنى ان الله شهيد لان هذا القرآن ناطق بالحجج القاطعة وهو من عنده فلا يرد كيف اكتفى منه عليه الصلاة والسلام بقوله الله شهيد مع ان ذلك لا يكفى من غيره والاقتصار على الانذار لان الكلام مع الكفار و بنى اوحى للمجهول للعلم بفاعله (قوله عطف على ضمير انذركم) أى ومن موصولة وبلغ صلتها والعائد محذوف والتقدير وانذر الذى بلغه القرآن (قوله من الانس والجن) اى الى يوم القيامة وفيه دلالة على عموم رسالته واستمرارها من غير ناسخ

(و) قيل لى (لا تكونن من المشركين) به (قل انى اخاف ان عصيت ربى) بعبادة غيره (عذاب يوم عظيم) هو يوم القيامة (من يصرف) بالبناء للمفعول اى العذاب وللفاعل اى الله والعائد محذوف (عنه يومئذ فقد رحمه) تعالى اى اراد له الخير (وذلك الفوز المبين) النجاة الظاهرة (وان يمسسك الله بضر) بلاء كمرض وفقر (فلا كاشف) رافع (له الا هو وان يمسسك بخير) كصحة وغنى (فهو على كل شىء قدير) ومنه مسك به ولا يقدر على رده عنك غيره (وهو القاهر) القادر الذى لا يعجزه شىء مستعليا (فوق عباده وهو الحكيم) فى خلقه (الخبير) ببواطنهم كظواهرهم * ونزل لما قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ائتنا بمن يشهد لك بالنبوة فان اهل الكتاب انكروك (قل) لهم (اى شىء أكبر شهادة) تمييز محول عن المبتدا (قل الله) ان لم يقولوه لا جواب غيره هو (شهيد بينى و بينكم) على صدقى (واوحى الى هذا القرآن لانذركم) يا اهل مكة (به ومن بلغ) عطف على ضمير انذركم اى بلغه القرآن من الانس والجن

الى يوم القيامة (قوله أئنكم لتشهدون) اللام لام الابتداء زحلقت للخبر (قوله استفهام انكارى) اى والمعنى لا يصح منكم هذه الشهادة لان المعبود واحد (قوله قل انما هو اله واحد) انما اداة حصر وما كافة وهو مبتدأ واله خبره وواحد صفته وهو زيادة فى الرد عليهم وهو من حصر المبتدإ فى الخبر (قوله الذين آتيناهم الكتاب) اى اليهود والنصارى فالمراد بالكتاب التوراة والانجيل (قوله اى محمدا) تفسير للضمير فى يعرفونه ويصح ان يرجع الضمير للقرآن او لجميع ما جاء به رسول الله من التوحيد وغيره (قوله كما يعرفون ابناءهم) اى معرفة كمعرفتهم لابنائهم وهذا من التنزلات الربانية والا فهم يعرفونه اشد من معرفتهم لابنائهم لما روى ان عمر ابن الخطاب سال عبد الله بن سلام بعد اسلامه عن هذه المعرفة فقال يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما اعرف ابنى ولانا اشد معرفة بمحمد منى بابنى فقال عمر كيف ذلك فقال اشهد انه رسول الله حقا ولا ادرى ما تصنع النساء (قوله الذين خسروا انفسهم) مبتدا والجملة نعت للذين آتيناهم الكتاب ويؤيده قول المفسر منهم (قوله فهم لا يؤمنون) خبر المبتدا وقرن بالفاء لما فى المبتدا من معنى الشرط وهو العموم والمعنى ان من سبق فى علم الله خسرانه فلا يتاتى له الايمان فى الدنيا وذلك ان الله جعل لكل انسان منزلا فى الجنة ومنزلا فى النار فاذا كان يوم القيامة جعل الله المؤمنين منازل اهل النار فى الجنة ولاهل النار منازل اهل الجنة فى النار وقد علمت مما تقدم ان المؤمن واحد من الف فتكون منازل الكفار التى ترثها المؤمنون فى الجنة لكل واحد تسعمائة منزل وتسعة وتسعون تضم لمنزله ومنازل المؤمنين التى تركت لاهل النار منزل من الف يزاد لهم فيؤخذ منه ان الجنة واسعة جدا وان النار ضيقة جدا لاسيما مع عظم جسم الكافر فيها حيث يكون ضرسه كاحد قال تعالى وجنة عرضها السموات والارض وقال تعالى واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين (قوله به) اى بمحمد او بالله او بالقرآن او بما جاء به محمد (قوله اى لا احد) اشار بذلك الى ان الاستفهام انكارى بمعنى النفى والمعنى ليس احد اظلم ممن فعل واحدا من الامرين الافتراء والتكذيب فما بالك بمن جمع بينهما كالمشركين واهل الكتاب فان كلا منهما وقع منه الامران (قوله انه لا يفلح الظالمون) اى لا يفوزون بمطلوبهم وقوله بذلك اى بسبب ما ذكر وهو الافتراء او التكذيب (قوله ويوم نحشرهم) ظرف متعلق بمحذوف قدره المفسر والضمير فى نحشرهم عائد على الخلق مسلمهم وكافرهم ويصح عوده على المشركين فقوله بعد ذلك ثم نقول للذين اشركوا اظهار فى محل الاضمار زيادة فى التشنيع عليهم (قوله جميعا) حال من ضمير نحشرهم (قوله ثم نقول) اتى بثم اشارة الى ان السؤال بعد الحشر والحشر يطول على الكفار قدر خمسين الف سنة والمقصود من ذلك ردعهم وزجرهم لعلهم يؤمنون فى الدنيا فتامنون من ذلك اليوم وهوله والقول ان كان على السنة الملائكة فظاهر وان كان من الله مباشرة ورد علينا قوله تعالى ولا يكلمهم الله يوم القيامة وقد يجاب بان المعنى لا يكلمهم كلام رضا ورحمة (قوله أين شركاؤكم) ان قلت مقتضى هذه الآية ان الشركاء ليسوا حاضرين معهم ومقتضى قوله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله انهم حاضرون معهم فكيف الجمع بينهما اجيب بان السؤال واقع بعد التبرى الكائن من الجانبين وانقطاع ما بينهم من الاسباب والعلائق واضيفوا لهم لان شركتها بتسميتهم وتقولهم قال تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم الآية (قوله انهم شركاء لله) قدره اشارة الى ان مفعولى تزعمون محذوفان وهذه الجملة سدت مسدهما (قوله بالتاء والياء) فعلى قراءة التاء يصح رفع فتنتهم اسم تكن والا ان قالوا خبرها ونصبها خبر تكن مقدم والا ان قالوا اسمها مؤخر ويتعين جر ربنا وعلى قراءة الياء فليس الا نصب فتنتهم خبر يكن مقدم والا ان قالوا اسمها مؤخر ويتعين نصب ربنا فالقراآت ثلاث وكلها سبعية خلافا لما توهمه المفسر (قوله اى معذرتهم) اى جوابهم وسماه فتنة لانه كذب

(ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى) استفهام انكارى (قل) لهم (لا اشهد) بذلك (قل انما هو اله واحد وانى برىء مما تشركون) معه من الاصنام (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه) اى محمدا بنعته فى كتابهم (كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم) منهم (فهم لا يؤمنون) به (ومن) اى لا احد (أظلم ممن افترى على الله كذبا) بنسبة الشريك اليه (او كذب بآياته) القرآن (انه) اى الشان (لا يفلح الظالمون) بذلك (و) اذكر (يوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا) توبيخا (اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون) انهم شركاء الله (ثم لم تكن) بالتاء والياء (فتنتهم) بالنصب والرفع اى معذرتهم (الا أن قالوا) اى قولهم (والله ربنا) بالجر نعت والنصب نداء

محض لا نفع به بل به الفضائح (قوله ما كنا مشركين) ان قلت كيف الجمع بين ما هنا وبين قوله ولا يكتمون الله حديثا قلت أولا ينكرون الاشراك ويحلفون على عدم وقوعه منهم ثم ستشهد الله الاعضاء فتنطق الجوارح فحينئذ يودون لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا فهم أولا يظنون ان انكارهم نافع فحين تشهد أعضاؤهم يتمنون ان لو كانوا ترابا ولم يكتموا شيئا (قوله على انفسهم) انما نسبه لهم وان كان فى الحقيقة كذبا على الله لان ضرره عاد اليهم (قوله من الشركاء) بيان لما (قوله ومنهم من يستمع اليك) سبب نزولها انه اجتمع ابو سفيان وابو جهل والوليد بن المغيرة والنضر بن الحرث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وأمية بن خلف والحرث بن عامر يستمعون القرآن فقالوا للنضر يا أبا قتيبة ما يقول محمد قال ما ادرى ما يقول غير انى اراه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما كنت احدثكم عن القرون الماضية وكان النضر كثير الحديث عن القرون الماضية وأخبارها فقال ابو سفيان انى ارى بعض ما يقول حقا فقال ابو جهل كلا لا تقر بشيء من هذا وفى رواية الموت اهون علينا من هذا وافرد يستمع مراعاة للفظ من وسيأتى فى يونس مراعاة معناها والحكمة فى مراعاة لفظها هنا ان ما هنا فى قوم قليلين وفيما يأتى فى الكفار جميعا (قوله أكنة) جمع كنان وهو الوعاء الجامع الذى يحفظ فيه الشيء ويجمع على اكنان والمراد بها هنا الغطاء الساتر (قوله فلا يسمعونه) اى القرآن (قوله حتى اذا جاؤك) حتى ابتدائية وقوله يجادلونك حال من الواو فى جاؤك وقوله يقول الذين كفروا جواب اذا (قوله كالاضاحيك) جمع اضحوكة بالضم وكذا الاعاجيب اى فالمشهور ان اساطير فى جمعه ومفرده كالاضاحيك والاعاجيب (قوله وهم ينهون) اى ان الكفار ينهون عن اتباع النبي اوعن سماع القرآن (قوله اى عن اتباع النبي) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف (قوله وقيل نزلت فى ابى طالب) اى وعليه فجمع الضمير باعتبار اتباعه (قوله كان ينهى عن اذاه) أى وكان يخاطب النبي عليه الصلاة والسلام بقوله

ولقد علمت بان دين محمد * من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة اوحذارى سبة * لوجدتنى سمحا بذاك مبينا
فاصدع بامرك ماعليك غضاضة * حتى اوسد فى التراب رهينا

وهذا القول لابن عباس وعمرو بن دينار وسعيد بن جبير والقول بانها نزلت فى المشركين لجماعة منهم الكلبي والحسن والاقرب لسياق ماقبلها ومابعدها المعنى الاول فتامل (قوله بذلك) أى باهلاكهم أنفسهم (قوله ولو ترى) المقصود من ذلك حكاية ماسيقع من الكفار يوم القيامة وتسلية للنبي واصحابه والمعنى لو تبصر بعينك يامحمد مايقع لهؤلاء فى الآخرة لرأيت امرا عظيما تتسلى به عن الدنيا فالخطاب لسيدنا محمد كما قال المفسر ان قلت هذا يقتضى ان رسول الله لم يطلع على ذلك مع انه لم يخرج من الدنيا حتى احاط بوقائع الدنيا والآخرة * واجيب بان هذا قبل اعلام الله له بالآخرة واجيب ايضا بان الخطاب له والمراد غيره ورأى امابصرية وهو الاقرب اوقلبية والمعنى لوصرفت فكرك الصحيح فى تدبير حالهم لازددت يقينا ولو يحتمل انها حرف امتناع فيكون قوله ترى بمعنى رأيت واذ على بابها من المعنى فيكون عبر بالماضى لتحقق الحصول ويحتمل انها بمعنى ان الشرطية واذ بمعنى اذا فيكون مستقبلا والاقرب الاول (قوله للتنبيه) أى لدخولها على الحرف (قوله ليتنا نرد) ليت حرف تمن ونا اسمها وجملة نرد خبرها (قوله برفع الفعلين استئناف) اى واقع فى جواب سؤال مقدر تقديره ماذا تفعلون لو رددتم فقوله ولا نكذب خبر لمحذوف تقديره ونحن لا نكذب وكذا قوله ونكون (قوله وبنصبهما فى جواب التمنى) اى بان مضمرة بعد واو المعية وان ومادخلت عليه فى تأويل مصدر معطوف على مصدر مصيد من الكلام السابق وتقدير الكلام فقالوا نتمنى على الله ردنا مع عدم تكذيب

(ما كنا مشركين) قال تعالى (انظر) يامحمد (كيف كذبوا على انفسهم) بنفى الشرك عنهم (وضل) غاب (عنهم ما كانوا يفترون) ه على الله من الشركاء (ومنهم من يستمع اليك) اذا قرأت (وجعلنا على قلوبهم اكنة) اغطية (ان) لا (يفقهوه) يفهموا القرآن (وفى آذانهم وقرا) صمما فلا يسمعونه سماع قبول (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا ان) ما (هذا) القرآن (الا اساطير) اكاذيب (الاولين) كالاضاحيك والاعاجيب جمع اسطورة بالضم (وهم ينهون) الناس (عنه) عن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم (وينأون) يتباعدون (عنه) فلا يؤمنون به وقيل نزلت فى ابى طالب كان ينهى عن اذاه ولا يؤمن به (وان) ما (يهلكون) بالنأى عنه (الا انفسهم) لان ضرره عليهم (وما يشعرون) بذلك (ولو ترى) يامحمد (اذ وقفوا) عرضوا (على النار فقالوا يا) للتنبيه (ليتنا نرد) الى الدنيا (ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) برفع الفعلين استئنافا ونصبهما فى جواب التمنى

قوله ولقد علمت الخ كذا بالنسخ بادينا وبالوقوف على المقصد الاول من المواهب يعلم ما فيه اه مصححه

ورفع الاول ونصب الثانى وجواب لو لرايت امرا عظيما قال تعالى (بل) للاضراب عن ارادة الايمان المفهوم من التمنى (بدا) ظهر (لهم ما كانوا يخفون من قبل) يكتمون بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين بشهادة جوارحهم فتمنوا ذلك (ولو ردوا) الى الدنيا فرضا (لعادوا لما نهوا عنه) من الشرك (وانهم لكاذبون) فى وعدهم بالايمان (وقالوا) اى منكروا البعث (ان) ما (هى) اى الحياة (الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا) عرضوا (على ربهم) لرايت امرا عظيما (قال) لهم على لسان الملائكة توبيخا (أليس هذا) البعث والحساب (بالحق قالوا بلى وربنا) انه لحق (قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) به فى الدنيا (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) بالبعث (حتى) غاية للتكذيب (اذا جاءتهم الساعة) القيامة (بغتة) فجاة (قالوا ياحسرتنا) هى شدة التالم ونداؤها مجاز اى هذا اوانك فاحضرى (على ما فرطنا) قصرنا (فيها) اى الدنيا (وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم) بان تاتيهم عند البعث فى اقبح شىء صورة وانتنه ريحا فتركبهم (الا ساء) بئس (ما يزرون) يحملون حملهم ذلك (وما الحياة الدنيا) اى الاشتغال بها (الا لعب ولهو) واما الطاعات وما يعين عليها فمن امور الآخرة (وللدار الآخرة) وفى قراءة ولدار الآخرة اى الجنة (خير للذين يتقون) الشرك (افلا يعقلون) بالياء والتاء ذلك فيؤمنون (قد) للتحقيق (نعلم انه) اى الشان (ليحزنك الذى يقولون) لك من التكذيب

مناو حصول ايمان (قوله ورفع الاول) أى على الاستئناف وقوله ونصب الثانى أى بان مضمرة وجوبا بعد واو المعية فى جواب التمنى وأن وما دخلت عليه فى تاويل مصدر معطوف على مصدر مصيد من الكلام السابق تقديره نتمنى على الله ردنا مع كوننا من المؤمنين وجملة ولا نكذب معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه فهذه قراآت ثلاث وكلها سبعية وقرئ شذوذا بنصب الاول ورفع الثانى وتوجيهه كما علمت (قوله للاضراب) أى الابطالى والمعنى ليس الامر كما قالوا من أنهم لو ردوا لآمنوا بل انما حملهم على ذلك فضيحتهم بشهادة أعضائهم (قوله ما كانوا يخفون) أى وهو الشرك (قوله بقولهم) الباء سببية (قوله بشهادة جوارحهم) متعلق ببدا (قوله فتمنوا ذلك) أى فرارا من العذاب لا محبة فى الايمان (قوله لعادوا) جواب لو (قوله فى وعدهم بالايمان) أى الذى وقع منهم بالتمنى (قوله وقالوا ان هى الا حياتنا الدنيا) يحتمل أنه معطوف على لعادوا فهو من جملة جواب لو ويحتمل أنه كلام مستانف فى خصوص منكرى البعث وهذا هو المتبادر من المفسر وان نافية بمعنى ما وهى مبتدأ وحياتنا خبره والمعنى انهم قالوا ليس لنا حياة غير هذه الحياة التى نحن فيها وما نحن بمبعوثين بعد الموت (قوله على ربهم) اى على حسابه وسؤاله فالكلام على حذف مضاف (قوله قال لهم) اى لمنكرى البعث الذين قالوا ان هى الا حياتنا الدنيا (قوله على لسان الملائكة) دفع بذلك ما يقال ان الله لا ينظر اليهم ولا يكلمهم (قوله قالوا بلى وربنا) جواب مؤكد باليمين (قوله بما كنتم تكفرون) اى بسبب الذى كنتم تكفرون به او بسبب كفركم (قوله غاية للتكذيب) اى لا للخسران فانه لا غاية له (قوله الساعة) المراد بها مقدمات الموت فالمراد ان حزنهم الدائم يحصل لهم عند خروج ارواحهم (قوله بغتة) حال من فاعل جاءتهم والتقدير جاءتهم مباغتة او من مفعوله والتقدير جاءتهم حال كونهم مبغوتين (قوله ياحسرتنا) يا حرف نداء وحسرتنا منادى منصوب بفتحة ظاهرة لانه مضاف لنا (قوله هى شدة التالم) اى التلهف والتحسر على ما فات (قوله ونداؤها مجاز) اى تنزيلا لها منزلة العاقل لانه لا ينادى حقيقة الا العاقل والمقصود التنبيه على ان هذا الكافر من شدة هوله لم يفرق بين خطاب العاقل وغيره ومثله ياويلنا فتامل (قوله على ما فرطنا) اى من الاعمال الصالحة فى الدنيا (قوله وهم يحملون اوزارهم) الجملة حالية من الواو فى قالوا (قوله بان تاتيهم الخ) ورد ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله احسن شىء صورة واطيب ريحا فيقول هل تعرفنى فيقول لا فيقول انا عملك الصالح فاركبنى فقد طال ما ركبتك فى الدنيا فذلك قوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا يعنى ركبانا واما الكافر فيستقبله اقبح شىء صورة وانتنه ريحا فيقول هل تعرفنى فيقول لا فيقول انا عملك الخبيث طالما ركبتنى فى الدنيا فانا اركبك فذلك قوله تعالى وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم (قوله اى الاشتغال فيها) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف والمعنى ان الاشتغال فى الحياة الدنيا عن خدمة الله وطاعته لعب ولهو وليس المراد ان مطلق الحياة الدنيا لعب ولهو بل ما قرب منها الى الله فهو مزرعة للآخرة وما بعد منها عنه فهو حسرة وندامة (قوله خير للذين يتقون) اى لان منافعها خالصة من الكدرات وعزها دائم (قوله افلا يعقلون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير الا يتفكرون فلا يعقلون (قوله بالياء والتاء) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله قد نعلم) المقصود من هذه الآية وما بعدها تسلية النبى صلى الله عليه وسلم على ما وقع من الكفار من التكذيب وغيره وتهديد لهم لعلهم يرجعون وقد للتحقيق نظير قوله تعالى قد يعلم الله المعوقين (قوله انه ليحزنك) بكسر الهمزة لدخول

اللام

اللام المعلقة لنعلم عن العمل فى حيزها قال ابن مالك

وكسروا من بعد فعل علقا * باللام كاعلم انه لذو تقى

وان حرف توكيد والهاء اسمها واللام لام الابتداء زحلقت للخبر لئلا يتوالى حرفا تاكيد و يحزنك خبرها والذى فاعل يحزن و يقولون صلتها والعائد محذوف تقديره يقولونه والجملة من ان واسمها وخبرها فى محل نصب سدت مسد مفعولى نعلم فان التعليق ابطال العمل لفظا لا محلا كما هو مقرر (قوله فانهم لا يكذبونك) الفاء للتعليل والمعنى لا تحزن من تكذيبهم لك واصبر ولا تكن فى ضيق مما يمكرون فانهم لا يكذبونك فى الباطن بل يعتقدون صدقك وانما تكذيبهم عناد وجحود (قوله فى السر) دفع بذلك ما يقال ان بين ماهنا و بين قوله ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون تنافيا وحاصل الجواب ان المنفى التكذيب فى السر والمثبت التكذيب فى العلانية (قوله وفى قراءة بالتخفيف) اى مع ضم الياء وسكون الكاف وهى سبعية ايضا (قوله اى لا ينسبونك الى الكذب) هذا يناسب كلا من القراءتين والمعنى لا يعتقدون تكذيبك باطنا ولذا قال ابوجهل للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب الذى جئت به (قوله وضعه موضع المضمر) اى زيادة فى التقبيح والتشنيع عليهم (قوله يجحدون) الجحد الانكار مع العلم والمعنى انهم انكروا آيات الله مع علمهم بان ماجاء به صدق (قوله يكذبونك) اى فى العلانية (قوله فيه تسلية) اى زيادة تسلية وذلك لان البلوى اذا عمت هانت (قوله فصبروا) الفاء سببية وصبروا معطوف على كذبت وقوله على ما كذبوا متعلق بصبروا والمعنى صبروا على تكذيبهم (قوله وأوذوا) يصح عطفه على كذبت والمعنى كذبت وأوذوا فصبروا و يصح عطفه على صبروا والمعنى كذبت رسل فصبروا واوذوا مع حصول الصبر منهم و يصح عطفه على قوله ما كذبوا والمعنى صبروا على تكذيبهم وايذائهم (قوله حتى اتاهم نصرنا) غاية فى الصبر والمعنى غاية صبرهم نصر الله لهم (قوله مواعيده) اى مواعيد الله بالنصر قال تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وقال تعالى كتب الله لاغلبن انا ورسلى (قوله ولقد جاءك) اللام موطئة لقسم محذوف وجاء فعل ماض والفاعل محذوف يعلم من السياق قدره المفسر بقوله مايسكن به قلبك وقوله من نبا المرسلين بيان للمحذوف و يحتمل ان من زائدة على مذهب الاخفش ونبا المرسلين فاعل و يحتمل ان من اسم بمعنى بعض هى الفاعل والمعنى ولقد جاءك بعض اخبار المرسلين الذين كذبوا واوذوا فصبروا فاتسل ولا تحزن فان الله ناصرك كما نصرهم (قوله وان كان كبر عليك اعراضهم) سبب نزولها ان الحرث بن عامر بن نوفل ابن عبد مناف جاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من قريش فقالوا يا محمد ائتنا بآية من عند الله كما كانت الانبياء تفعل فانا نصدقك فابى الله ان يأتيهم بآية مما اقترحوا فاعرضوا عنه فشق ذلك عليه لانه شديد الحرص على ايمان قومه فكان اذا سالوه آية يود ان ينزلها الله طمعا فى ايمانهم فنزلت وان حرف شرط وكان فعل ماض فعل الشرط واسمها ضمير الشان وكبر فعل ماض واعراضهم فاعله والجملة خبر كان والاقرب ان اعراضهم اسم كان مؤخر وجملة كبر خبرها مقدم وفاعل كبر ضمير يعود على اعراضهم وهو وان كان مؤخرا لفظا الا انه مقدم رتبة (قوله فان استطعت) هذه الجملة شرطية وجوابها محذوف تقديره فافعل والشرط وجوابه جواب الشرط الاول والمعنى ان عظم عليك اعراضهم ولم تكتف بالمعجزات التى ظهرت على يديك فان استطعت ان تأتيهم بآية فافعل (قوله سربا) بفتحات شق فى الارض والنفق السرب النافذ فى الارض ومنه النافقاء احد ابواب حجرة اليربوع وذلك ان اليربوع يحفر فى الارض سربا و يجعل له بابين او ثلاثة النافقاء والقاصعاء والراميا ثم يدقق بالحفر مايقارب وجه الارض فاذا نابه امر دفع تلك القشرة الدقيقة وخرج والمعنى ان شئت ان تتحيل على اتيان آية لقومك على طبق

(فانهم لا يكذبونك) فى السر لعلمهم انك صادق وفى قراءة بالتخفيف اى لا ينسبونك الى الكذب (ولكن الظالمين) وضعه موضع المضمر (بآيات الله) القرآن (يجحدون) يكذبون (ولقد كذبت رسل من قبلك) فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا) باهلاك قومهم فاصبر حتى ياتيك النصر باهلاك قومك (ولا مبدل لكلمات الله) مواعيده (ولقد جاءك من نبا المرسلين) مايسكن به قلبك (وان كان كبر) عظم (عليك اعراضهم) عن الاسلام لحرصك عليهم) فان استطعت ان تبتغى نفقا) سربا (فى الارض او سلما) مصعدا (فى السماء

مااقترحوا فافعل وهذا عتاب لرسول الله على التعلق بايمانهم وترقيه الى المقام الاكمل الذى هو التسليم (قوله فتاتيهم بآية) أى من تحت الارض او من فوق السماء (قوله هدايتهم) اى جمعهم على الهدى (قوله ولكن لم يشاذلك) هذا استثناء نقيض المقدم فينتج نقيض التالى ان كان بينهما تساوكما هنا نظيرلو كانت الشمس طالعة كان النهار موجودا وقد أشار لمعنى النتيجة بقوله فلم يؤمنوا والا فالنتيجة فلم يجمعهم على الهدى (قوله فلا تكونن من الجاهلين) اى الذين لا تسليم لهم فلا تتعب نفسك فى تطلب مااقترحوه فانهم لا يؤمنون (قوله انما يستجيب الذين يسمعون) هذا من جملة التسلية لرسول الله والمعنى لا تحزن على عدم ايمانهم فانما يستجيب لك و يمتثل أمرك و يقبل المواعظ الذين يسمعون سماع قبول والذين لا يسمعون يبعثهم الله فيجازيهم على ماصدر منهم فللنار أهل وللجنة أهل فمن خلق الله فيه الهدى انتفع بالمواعظ وآمن ومن خلق فيه الضلال فلا تزيده المواعظ والآيات الاضلالا وهذه الآية فى الحقيقة استدراك على قوله ولوشاء الله لجمعهم على الهدى فالمعنى لم يشأ جمعهم على الهدى بل قسم الخلق قسمين قسم للجنة وقسم للنار (قوله دعاءك الى الايمان) هذا هو مفعول يستجيب والسين والتاء لتأكيد الاجابة والمراد بالذين يسمعون من سبقت لهم السعادة فى الازل فما يظهر منهم من الايمان هو على طبق ماسبق (قوله أى الكفار) أشار بذلك الى ان قوله والموتى مقابل قوله الذين يسمعون (قوله يبعثهم الله) أى يحييهم وقوله فى الآخرة اشارة للحشر وان المراد بالبعث الاحياء بعد الموت وهذا هو الاقرب وقيل معنى يبعثهم يحيي قلوبهم بالايمان فهو بشارة لرسول الله بان أعداءه يؤمنون ولكن يرده الحصر المتقدم وأيضا من آمن فهو داخل فى قوله الذين يسمعون (قوله باعمالهم) الباء إما سببية او بمعنى على والمراد بالاعمال الكفر والمعاصى وقوله ثم اليه يرجعون أى يوقفون للحساب والجزاء وأما البعث فهو الاحياء بعد الموت فتغايرا (قوله وقالوا) هذا انكار منهم لما جاء به من المعجزات الباهرة حيث جعلوا ماجاء به سحرا او كهانة وطلبوا غيره (قوله كالناقة والعصا) أى والنار لابراهيم وإلانة الحديد لداود وغير ذلك من معجزات الانبياء الظاهرة فنزلوا معجزاته صلى الله عليه وسلم منزلة العدم حتى طلبوا معجزة على صدقه ولكنهم من عمى قلوبهم لم يفرقوا بين معجزاته ومعجزات غيره فان معجزاته أعلى واجل قال العارف البرعى

وان قابلت لفظة لن ترانى * بما كذب الفؤاد فهمت معنى

وقال أيضا وان يك خاطب الاموات عيسى * فان الجذع حن له وأنّ

الى آخر ماقال (قوله بالتشديد والتخفيف) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ان نزولها الخ) هذه الجملة فى محل نصب مفعول يعلمون (قوله بلاء عليهم) أى لعدم ايمانهم وانتفاعهم بها (قوله لوجوب هلاكهم) اى بحسب جرى عادة الله بان من اقترح آية وجاءته ولم يؤمن بها اهلكه الله فعدم اجابتهم لما اقترحوا رحمة بالامة المحمدية جميعا لان الله من على نبيه ببقائها الى يوم القيامة ولو أجاب المتعنتين بعين ماطلبوا لانقرضت الامة كما انقرض من تعنت قبلهم (قوله ومامن دابة) كلام مستأنف مسوق لبيان كمال قدرته تعالى وسعة علمه وتدبيره (قوله تمشي) قدره خاصا لدلالة مقابله وهو قوله يطير عليه قال العلماء جميع ماخلقه الله عز وجل لايخرج عن المشي والطيران وألحقوا حيوان البحر بالطير لانه يسبح فى الماء كما ان الطير يسبح فى الهواء (قوله فى الارض) خصها بالذكر لان المشاهد أقطع لحجة الخصم والافسكان السماء كذلك (قوله بجناحيه) صفة كاشفة نظير قوله نظرت بعينى وسمعت باذنى (قوله الا أمم) أى طوائف وجماعات أمثالكم اى كل نوع على صفة وطريقة وشكل كما انكم كذلك فمن الدواب العزيز والذليل والمرزوق بسهولة و بتعب والقوى والضعيف والكبير والصغير والمتحيل فى الرزق وغير المتحيل كبنى آدم

(قوله

فتاتيهم بآية) مما اقترحوا فافعل المعنى انك لا تستطيع ذلك فاصبر حتى يحكم الله (ولوشاء الله) هدايتهم (لجمعهم على الهدى) ولكن لم يشأ ذلك فلم يؤمنوا (فلا تكونن من الجاهلين) بذلك (انما يستجيب) دعاءك الى الايمان (الذين يسمعون) سماع تفهم واعتبار (والموتى) اى الكفار شبههم بهم فى عدم السماع (يبعثهم الله) فى الآخرة (ثم اليه يرجعون) يردون فيجازيهم باعمالهم (وقالوا) اى كفار مكة (لولا) هلا (نزل عليه آية من ربه) كالناقة والعصا والمائدة (قل) لهم (ان الله قادر على ان ينزل) بالتشديد والتخفيف (آية) مما اقترحوا (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ان نزولها بلاء عليهم لوجوب هلاكهم ان جحدوها (ومامن) زائدة (دابة) تمشي (فى الارض ولا طائر يطير) فى الهواء (بجناحيه الا أمم أمثالكم)

(قوله فى تدبير خلقها) اى وتصريفه فيها فى كل لحظة بجلب المنافع لها ودفع المضار عنها ولطفه بها فلا يشغله شان عن شان قال تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة (قوله واحوالها) اى من احيائها واماتتها واعزازها واذلالها ونحو ذلك وكذلك تعرف ربها وتوحده كما انتم تعرفون ربكم وتوحدونه ولم يوجد كافر الا من الجن والآدميين والا فجميع المخلوقات عقلاء وغيرهم مجبولون على التوحيد قال تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده وانما كفر من كفر من الجن والانس عنادا (قوله اللوح المحفوظ) اى من الشيطان ومن التغيير والتبديل وهو من درة بيضاء فوق السماء السابعة طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب فحيث اريد بالكتاب اللوح المحفوظ فالعموم ظاهر فان فيه تبيان كل شيء ما كان وما يكون وما هو كائن وقيل المراد بالكتاب القرآن وعليه فالمراد بقوله ما فرطنا فى الكتاب من شيء اى يحتاج اليه الخلق فى امورهم (قوله ثم الى ربهم يحشرون) اى يجمعون وهذا بيان لاحوالهم فى الآخرة اثر بيان احوالهم فى الدنيا (قوله فيقضى بينهم) اى الامم عقلاء او غيرهم (قوله للجماء) اى وهى معدومة القرون وهذا كله لاظهار العدل فحيث لم يترك غير العقلاء فكيف بالعقلاء فلا بد من الحشر والحساب والجزاء اما بالعدل واما بالفضل (قوله والذين كذبوا بآياتنا) اى اعرضوا عنها ولم يؤمنوا بها (قوله فى الظلمات) هو معنى قوله فى الآية الاخرى عمى فهم صم القلوب عميها بكمها فلا يتاتى منهم انتفاع ولا اعتبار ولا يصل اليهم نورا ابدا (قوله الكفر) اى فهو ظلمات معنوية فمثل الكافر كمثل رجل اعمى اصم ابكم فى ظلمات فلا يهتدى الى مقصوده كما ان الكافر كذلك (قوله من يشا الله يضلله) هذا دليل لما قبله ومفعول يشأ فى كل محذوف قدره المفسر بقوله اضلاله وبقوله هدايته والمعنى ان الاضلال والاهتداء بتقدير الله فمن اراد الله هدايته سهل له اسبابها وجعله منهمكا فى طاعته وان وقعت منه معصية وفق للتوبة منها ومن اراد الله اضلاله حجبه عن نوره وتعسرت عليه اسباب الطاعة حتى لو وقعت منه طاعة تكون معلولة غير مقبولة وما فى هذه الآية هو معنى قوله تعالى فى الآية الاخرى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام الآية (قل يا محمد) اى على سبيل التخويف والتوبيخ على الكفر بالله (قوله اخبرونى) هكذا فسرت الرؤية فى هذه الآية ونظائرها بالاخبار والاصل فى الرؤية العلم او الابصار فاطلق العلم او الابصار واريد لازمه وهو الاخبار لان الانسان لا يخبر الا بما علمه او ابصره واستعملت الهمزة التى هى فى الاصل لطلب العلم او الابصار فى طلب الاخبار ففيه مجازان ورأى فعل ماض والتاء فاعل والكاف مفعول اول على حذف مضاف والجملة الاستفهامية فى محل المفعول الثانى والتقدير أرأيتم عبادتكم غير الله هل تنفعكم والمعنى اخبرونى يا اهل مكة ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة بسرعة اتدعون الها غير الله يكشف عنكم ما نزل بكم وجواب الاستفهام لا يدعون غير الله فاذا كان كذلك فهو احق بان يفرد بالعبادة (قوله ان اتاكم) جواب الشرط محذوف تقديره فمن تدعون (قوله فى الدنيا) اى كالصاعقة والصيحة (قوله المشتملة عليه) اى على العذاب لان الكافر لا يشاهد من حين موته الا العذاب الدائم واسهله خروج الروح (قوله بغتة) اى سرعة (قوله اغير الله تدعون) الهمزة للاستفهام الانكارى وغير معمول لتدعون وهو صفة لموصوف محذوف والتقدير أتدعون الها غير الله (قوله فادعوها) قدره اشارة الى ان جواب الشرط محذوف (قوله بل اياه) اضراب انتقالى عن النفى الذى علم من الاستفهام (قوله فى الشدائد) اى كالمرض والفقر وغير ذلك (قوله ان شاء) جوابه محذوف لفهم المعنى ودلالة ما قبله عليه اى ان شاء ان يكشفه كشفه وان لم يشأ كشفه فلا يكشفه فليست اجابة الدعاء وعدا لا يخلف وهذا مخصوص بدعاء الكفار واما دعاء المؤمنين فهو مجاب بالوعد الذى

فى تدبير خلقها ورزقها واحوالها (ما فرطنا) تركنا (فى الكتاب) اللوح المحفوظ (من) زائدة (شيء) فلم نكتبه (ثم الى ربهم يحشرون) فيقضى بينهم ويقتص للجماء من القرناء ثم يقول لهم كونوا ترابا (والذين كذبوا بآياتنا) القرآن (صم) عن سماعها سماع قبول (وبكم) عن النطق بالحق (فى الظلمات) الكفر (من يشا الله) اضلاله (يضلله ومن يشا) هدايته (يجعله على صراط) طريق (مستقيم) دين الاسلام (قل) يا محمد لاهل مكة (أرأيتكم) اخبرونى (ان اتاكم عذاب الله) فى الدنيا (او اتتكم الساعة) القيامة المشتملة عليه (بغتة أغير الله تدعون) لا (ان كنتم صادقين) فى ان الاصنام تنفعكم فادعوها (بل اياه) لا غيره (تدعون) فى الشدائد (فيكشف ما) الله تدعون اليه) ان يكشف عنكم من الضر ونحوه (ان شاء) كشفه

(وتنسون) تتركون (ماتشركون) معه من الاصنام فلا تدعونه (ولقد ارسلنا الى امم من) زائدة (قبلك) فكذبوهم (فاخذناهم بالباساء) شدة الفقر (والضراء) المرض (لعلهم يتضرعون) يتذللون فيؤمنون (فلولا) فهلا (اذ جاءهم باسنا) عذابنا (تضرعوا) اى لم يفعلوا ذلك مع قيام المقتضى له (ولكن قست قلوبهم) فلم تلن للايمان (وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) من المعاصى فاصروا عليها (فلما نسوا) تركوا (ماذكروا) وعظوا وخوفوا (به) من الباساء والضراء فلم يتعظوا (فتحنا) بالتخفيف والتشديد (عليهم ابواب كل شيء) من النعم استدراجا لهم (حتى اذا فرحوا بما اوتوا) فرح بطر (اخذناهم) بالعذاب (بغتة) فجاة (فاذاهم مبلسون) آيسون من كل خير (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) أى آخرهم بان استؤصلوا (والحمدلله رب العالمين) على نصر الرسل واهلاك الكافرين (قل) لاهل مكة (ارأيتم) اخبرونى (ان اخذ الله سمعكم) اصمكم (وابصاركم) اعماكم (وختم) طبع (على قلوبكم) فلا تعرفون شيئا (من اله غير الله ياتيكم به) بما اخذه منكم بزعمكم (انظر كيف نصرف) نبين (الآيات) الدلالات على وحدانيتنا (ثم هم يصدفون) يعرضون عنها فلا يؤمنون (قل) لهم (أرأيتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة اوجهرة) ليلا او نهارا (هل يهلك الا القوم الظالمون) الكافرون اى ما يهلك الاهم (وما نرسل المرسلين الا مبشرين) من آمن بالجنة (ومنذرين) من كفر بالنار (فمن آمن) بهم (واصلح) عمله (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) فى الآخرة والحزن

لايخلف لكن على مايريد الله امابعين المطلوب اوبغيره فلامنافاة بين ماهنا وبين قوله تعالى ادعونى أستجب لكم (قوله وتنسون ماتشركون) اى حين نزول الشدائد بهم لا يلتفتون الى اصنامهم بل لا يدعون الا الله (قوله ولقد ارسلنا) هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله فكذبوهم) قدره اشارة الى ان قوله فاخذناهم مرتب على محذوف (قوله يتضرعون) من التضرع وهو التذلل والخضوع (قوله فهلا) اشار بذلك الى أن لولا للتحضيض (قوله اى لم يفعلوا ذلك) اى التضرع واشار بذلك الى ان التحضيض بمعنى النفى (قوله مع قيام المقتضى له) اى وهو الباساء والضراء (قوله ولكن قست قلوبهم) اى لم يقع منهم تضرع ولا خضوع بل ظهر منهم خلاف ذلك بسبب قسوة قلوبهم (قوله فلم تلن للايمان) اشار بذلك الى ان القسوة نشا عنها الكفر كما ان التضرع ينشا عنه الايمان (قوله وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) اى الذى كانوا يعملونه او عملهم (قوله فاصروا عليها) اى على المعاصى ولم يتعظوا بما نزل بهم من الباساء والضراء (قوله بالتخفيف والتشديد) اى فيهما قراءتان سبعيتان (قوله حتى اذا فرحوا) غاية للفتح والمعنى ان من خالف امر الله وطغى يستدرجه الله بالنعم ويمده بالعطايا الدنيوية فاذا فرح بذلك كان عاقبة أمره أخذه اخذ عزيز مقتدر (قوله فاذاهم مبلسون) اذا فجائية اى فاجأهم الابلاس بمعنى الياس من كل خير (قوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا) الدابر التابع من خلف يقال دبر الولد والده ودبر فلان القوم تبعهم فمعنى دابرهم آخرهم وهو كناية عن الاستئصال فلذلك قال بان استؤصلوا أى فلم يبق منهم احد (قوله والحمدلله رب العالمين) هذا حمد من الله لنفسه على هلاك الكفار ونصر الرسل وفيه تعليم للمؤمنين انهم يشكرون الله على ذلك اذ هو نعمة عظيمة (قوله قل ارأيتم) هذا تنزل من الله سبحانه وتعالى لكفار مكة لاقامة الحجة عليهم قبل اخذهم (قوله اخبرونى) تقدم ان استعمال رأى فى الاخبار مجاز واصل استعمالها فى العلم او فى الابصار وتقدم انها تطلب مفعولين الاول محذوف لدلالة مفعول أخذ وهو سمعكم وابصاركم عليه فهو من باب التنازع اعمل الثانى واضمر فى الاول وحذف لانه فضلة والمفعول الثانى هو قوله من اله غير الله الخ (قوله سمعكم) افرده وجمع ما بعده لان السمع مصدر لا يثنى ولا يجمع كما تقدم فى البقرة (قوله وختم على قلوبكم) المراد بالقلوب العقول اى اذهب عقولكم وصيركم كالبهائم فلا تعقلون شيئا (قوله بما اخذه) اشار بذلك الى انه افرد باعتبار ماذكر والمعنى من اله غير الله بزعمكم ياتيكم باى واحد مما اخذ منكم (قوله بزعمكم) متعلق بقوله من اله غير الله فالمناسب تقديمه (قوله انظر كيف نصرف الآيات) هذا تعجيب لرسول الله من عدم اعتبارهم بتلك الآيات الباهرة وكيف منصوب على التشبيه بالحال والمعنى انظر يامحمد تصريفنا الآيات على اى كيفية (قوله ارأيتكم) اى اخبرونى والمفعول الاول الكاف على حذف مضاف اى أنفسكم والمفعول الثانى جملة الاستفهام (قوله عذاب الله) اى كالصيحة والصواعق (قوله ليلا اونهارا) لف ونشر مرتب وهذا التفسير لابن عباس وقيل البغتة الذى ياتى من غير سبق علامة والجهر الذى ياتى مع سبق علامة كان كل بالليل اوبالنهار (قوله الكافرون) اشار بذلك الى ان المراد هلاك سخط وغضب فاندفع مايقال ان المصيبة اذا أتت فلا تخص الكافر بل تعم الطائع فالجواب ان هلاك الكفار سخط وغضب وهلاك المؤمن اثابة ورفع درجات والاستثناء مفرغ والاستفهام انكارى بمعنى النفى كما اشار له المفسر (قوله وما نرسل المرسلين) هذا بيان لوظائف المرسلين والمعنى ان المرسلين منصبهم البشارة لمن آمن والنذارة لمن كفر وليسوا قادرين على ايجاد نفع اوضر وانما جعلهم الله سببا لذلك (قوله فى الآخرة) احتراس لبيان ان عدم الخوف

والحزن هو فى الآخرة فقط واما الدنيا فهى محل الخوف والحزن لانها سجن المؤمن (قوله والذين كذبوا) مقابل قوله فمن آمن كأنه قال فالذين آمنوا وأصلحوا الخ وهذا يؤيد أن من موصولة (قوله بما كانوا يفسقون) الباء سببية ومامصدرية اى بسبب فسقهم والفسق الخروج عن الطاعة كلا أو بعضا فالكافر فاسق لخروجه عن طاعة الله بالكلية (قوله قل لا أقول لكم) هذا مرتب على قوله وما نرسل المرسلين الامبشرين ومنذرين كأنه قال ليس على الرسول الا البشارة والنذارة وليس من وظيفته اجابتهم عما سألوه عنه ولا فعل ما طلبوه منه لانه ليس عنده خزائن الله الخ (قوله خزائن الله) اى لا أدعى ان مقدرات الله من ارزاق وغيرها مفوضة الىّ حتى تطلبوا منى قلب الجبال ذهبا وغير ذلك (قوله ولا اعلم الغيب) اى ماغاب عنى من أفعال الله حتى تسألونى عن وقت الساعة اووقت نزول العذاب (قوله ولا أقول لكم انى ملك) اى حتى تكلفونى بصفات الملائكة كالصعود للسماء وعدم المشى فى الاسواق وعدم الاكل والشرب وهذه الآية نزلت حين قالوا له ان كنت رسولا فاطلب منه ان يوسع علينا و يغنى فقرنا فاخبر ان ذلك بيد الله لا بيده بقوله قل لا أقول لكم عندى خزائن الله وقالوا له أيضا أخبرنا بمصالحنا ومضارنا فى المستقبل حتى نتهيأ لذلك فتحصل المصالح وتدفع المضار فقال لهم ولا أعلم الغيب فاخبركم بما تريدون وقالوا له مالهذا الرسول ياكل الطعام ويمشى فى الاسواق ويتزوج النساء فقال لهم ولا أقول لكم انى ملك (قوله أفلا تتفكرون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير ألا تسمعون الحق فلا تتفكرون (قوله فتؤمنون) معطوف على تتفكرون وليس جوابا للنفى والا لنصب (قوله وأنذر به الذين يخافون) محط الامر قوله لعلهم يتقون والمعنى انذارك لا ينفع الا المؤمن العاصى الخائف واما الكافر المعاند فلا ينفع فيه الا نذار فلا ينافى انه مامور بانذار كل مخاطب أفاد الا نذار اولا وانما ذلك بيان للذين ينفع فيهم الا نذار (قوله والمراد بهم) أى بالذين يخافون (قوله ولا تطرد الذين يدعون) اى لا تبعدهم عن مجلسك ولا عن القرب منك (قوله يدعون) اى يعبدون (قوله بالغداة والعشى) خص هذين الوقتين لان فى الاول صلاة الصبح وفى الثانى صلاة العصر وقد قيل ان كلا هى الصلاة الوسطى (قوله لا شيا) مفعول لمحذوف تقديره لا يريدون شيا (قوله من اعراض الدنيا) يصح ضبطه بالعين المهملة و بالغين المعجمة والثانى اولى لشموله للاموال وغيرها (قوله وهم الفقراء) اى كعمار بن ياسر و بلال وصهيب (قوله وكان المشركون طعنوا فيهم) هذا اشارة لسبب نزولها وحاصله كما قال الخازن انه جاء الاقرع بن حابس التيمى وعيينة بن حصن الفزارى وعباس بن مرداس وهم من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبى صلى الله عليه وسلم جالسا مع ناس من ضعفاء المؤمنين كعمار بن ياسر وصهيب و بلال فلما رأوهم حوله حقروهم وقالوا يارسول الله لوجلست فى صدر المسجد وابعدت عنا هؤلاء ورائحة جبابهم وكانت عليهم جبب من صوف ولها رائحة كريهة لمداومة لبسها لعدم غيرها لجالسناك وأخذنا عنك فقال النبى ما انا بطارد المؤمنين قالوا فانا نحب ان تجعل لنا مجلسا تعرف به العرب فضلنا فان وفود العرب تأتيك فنستحى ان ترانا مع هؤلاء الاعبد فاذا نحن جئناك فأقمهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقعد معهم ان شئت قال نعم قالوا فاكتب لنا عليك بذلك كتابا فاتى بالصحيفة ودعا عليا ليكتب فنزل جبريل بقوله ولا تطرد الذين الآية فالقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيفة ثم دعانا وهو يقول سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة فكنا نقعد معه واذا أراد أن يقوم قام وتركنا فانزل الله واصبر نفسك الآية فكان يقعد معنا بعد ذلك وندنو منه حتى كادت ركبنا تمس ركبته فاذا بلغ الساعة التى يريد ان يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم اه (قوله ماعليك من حسابهم من شئ) هذا كالتعليل لما قبله والمعنى لا تؤاخذ بذنوبهم ولا بما فى قلوبهم ان أرادوا بصحبتك غير وجه الله وهذا على فرض تسليم ماقاله المشركون والا فقد شهد الله أولا لهم بالاخلاص وما نافية

(والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون) يخرجون عن الطاعة (قل) لهم (لا أقول لكم عندى خزائن الله) التى منها يرزق (ولا اعلم الغيب) ماغاب عنى ولم يوح الى (ولا أقول لكم انى ملك) من الملائكة (ان) ما (أتبع الا مايوحى الى قل هل يستوى الاعمى) الكافر (والبصير) المؤمن لا (أفلا تتفكرون) فى ذلك فتؤمنون (وأنذر) خوف (به) اى بالقرآن (الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه) اى غيره (ولى) ينصرهم (ولا شفيع) يشفع لهم وجملة النفى حال من ضمير يحشروا وهى محل الخوف والمراد بهم المؤمنون العاصون (لعلهم يتقون) الله باقلاعهم عماهم فيه وعمل الطاعات (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون) بعبادتهم (وجهه) تعالى لاشيا من اعراض الدنيا وهم الفقراء وكان المشركون طعنوا فيهم وطلبوا أن يطردهم ليجالسوه وأراد النبى صلى الله عليه وسلم ذلك طمعا فى اسلامهم (ما عليك من حسابهم من) زائدة (شئ) ان كان باطنهم غير مرضى

(ومامن حسابك عليهم من شيء فتطردهم) جواب النفي (فتكون من الظالمين) ان فعلت ذلك (وكذلك فتنا) ابتلينا (بعضهم ببعض) اى الشريف بالوضيع والغني بالفقير بان قدمناه بالسبق الى الايمان (ليقولوا) اى الشرفاء والاغنياء منكرين (أهؤلاء) الفقراء (من الله عليهم من بيننا) بالهداية اى لوكان ماهم عليه هدى ماسبقونا اليه قال تعالى (اليس الله باعلم بالشاكرين) له فيهديهم بلى (واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل) لهم (سلام عليكم كتب) قضي (ربكم على نفسه الرحمة انه) اى الشان وفى قراءة بالفتح بدل من الرحمة (من عمل منكم سوأ بجهالة) منه حيث ارتكبه (ثم تاب) رجع (من بعده) بعد عمله عنه (واصلح) عمله (فانه) اى الله (غفور) له (رحيم) به وفى قراءة بالفتح اى فالمغفرة له (وكذلك) كما بينا ماذكر (نفصل) نبين (الآيات) القرآن ليظهر الحق فيعمل به (ولتستبين) تظهر (سبيل) طريق (المجرمين) فتجتنب وفى قراءة بالتحتانية وفى أخرى بالفوقانية ونصب سبيل خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون) تعبدون (من دون الله قل لا اتبع اهواءكم) فى عبادتها (قد ضللت

مهملة وعليك جار ومجرور خبر مقدم وشيء مبتدأ مؤخر ومن حسابهم من صلة ومن حسابهم متعلق بمحذوف حال وهذا نظير قوله فى الآية الاخرى ولا تزر وازرة وزر أخرى (قوله ومامن حسابك عليهم من شيء) يقال فى اعرابها ماقيل فيما قبلها الا ان قوله من حسابك بيان لقوله من شيء وليس حالا وفى هاتين الجملتين من أنواع البديع رد الصدر على العجز كقولهم عادات السادات سادات العادات والتتميم والافاصل التمليل قد حصل بالجملة الاولى (قوله جواب النفي) اى المرتب على النهى وقوله فتكون معطوفا على قوله فتطردهم (قوله ان فعلت ذلك) أى طردهم (قوله وكذلك) الكاف فى محل نصب نعت لمصدر محذوف والتقدير ومثل ذلك الفتون المتقدم من أخبار الامم الماضية فتنا بعض هذه الامة ببعض (قوله والغني بالفقير) اى ففتنة الغني بالفقير لسبق الفقير الى الايمان وفتنة الفقير بالغني زينة الدنيا التى يتمتع فيها مع كفره (قوله بان قدمناه بالسبق الى الايمان) بيان لفتنة الاغنياء بالفقراء (قوله ليقولوا) اللام يصح ان تكون لام كى اولام الصيرورة والعاقبة (قوله منكرين) اشار بذلك الى ان الاستفهام انكارى بمعنى النفي على سبيل التهكم (قوله قال تعالى) اى ردا عليهم (قوله بلى) جواب الاستفهام التقريرى (قوله واذا جاءك) هذا من تتمة ما نزل فى الفقراء (قوله الذين يؤمنون) وصفهم اولا بالعبادة وثانيا بالايمان اظهارا لمزاياهم (قوله فقل سلام عليكم الخ) اى اذكر لهم هذه الآية الى قوله غفور رحيم فى وقت مجيئهم اليك وهذا السلام يحتمل انه سلام التحية أمران يبدأهم به اذا قدموا عليه خصوصية لهم والا فسنة السلام ان تكون اولا من القادم وعليه فتكون الجملة انشائية ويحتمل انه سلام الله عليهم اكراما لهم امر بتبليغه لهم وعليه فتكون الجملة خبرية لفظا ومعنى وسلام مبتدأ وعليكم خبره وسوغ الابتداء بالنكرة كونه دعاء والدعاء من المسوغات (قوله كتب ربكم) اى الزم نفسه تفضلا منه واحسانا (قوله وفى قراءة بالفتح) أى وهى سبعية ايضا والحاصل ان القرا آت ثلاث فتحهما وكسرهما وفتح الاولى وكسر الثانية وكلها سبعية فاما الفتح فيهما فالاولى بدل من الرحمة والثانية فى محل رفع مبتدأ والخبر محذوف اى فغفرانه ورحمته حاصلان له واما الكسر فيهما فالاولى مستانفة جيء بها كالتفسير لما قبلها والثانية مستانفة ايضا بمعنى انها فى صدر جملة وقعت خبر المن الموصولة واما على فتح الاولى وكسر الثانية فالاولى بدل والثانية استئناف فتامل فانه زبدة احتمالات كثيرة (قوله بدل من الرحمة) اى بدل شيء من شيء (قوله بجهالة) الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من فاعل عمل والتقدير عمل سوأ حال كونه جاهلا بما يترتب على معاصيه من العقاب غافلا عن جلال الله وفيه اشارة الى ان المؤمن لا يقع منه الذنب الا فى حال جهله وغفلته وهذه الآية لا تخص الفقراء الذين كانوا فى زمنه صلى الله عليه وسلم بل هى عامة لكل من تاب الى يوم القيامة ولعموم بشارتها افتتح بها ابو الحسن الشاذلى حزبه (قوله ولتستبين) معطوف على محذوف قدره المفسر بقوله ليظهر الحق فطريق الهدى واضحة وطريق الضلال واضحة لما فى الحديث تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ونهارها كليلها لا يضل عنها الا هالك (قوله وفى قراءة بالتحتانية) أى ورفع سبيل فالقرا آت ثلاث وكلها سبعية ففى الفوقانية الرفع والنصب وفى التحتانية الرفع لا غير (قوله خطاب للنبي) اى والمعنى لتعلم سبيلهم فتعاملهم بما يليق بهم (قوله قل انى نهيت) هذا امر من الله لنبيه ان يخاطب الكفار الذين طمعوا فى دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دينهم ويرد عليهم بذلك (قوله نهيت) اى نهانى ربى بواسطة الدليل العقلى والسمعى لدلالة كل منهما على ان الله واحد لا شريك له متصف بكل كمال مستحيل عليه كل نقص (قوله تعبدون) هذا احد اطلاقات الدعاء وبه فسر فى غالب القرآن لانه يشمل الطلب وغيره (قوله قل لا اتبع أهواءكم) جمع هوى سمي بذلك لانه يهوى بصاحبه الى المهالك وهذه الجملة تاكيد لما قبلها

(قوله

(قوله اذا) حرف جواب وجزاء ولا عمل لها لعدم وجود فعل تعمل فيه (قوله ان اتبعتها) اى الاهواء وهو بيان لمعنى اذا (قوله وما انا من المهتدين) تاكيد لما قبلها (قوله قل انى على بينة) هذا زيادة فى قطع طمعهم الفاسد والمعنى لا تطمعوا فى دخولى دينكم لانى على بينة من ربى ومن كان كذلك كيف يخدع و يتبع الضلال وهذا نظير قوله تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه (قوله بيان) اى دليل واضح (قوله وكذبتم به) اى بوحدانيته والجملة حالية و يشير لذلك تقدير المفسر قد (قوله ماعندى ما تستعجلون به) ما الاولى نافيه والثانية موصولة وقوله من العذاب بيان لما الثانية * وسبب نزولها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب عليهم وكانوا يستعجلون به استهزاء كما فى آية الانفال واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية (قوله يقضى الحق) قدر المفسر القضاء اشارة الى انه منصوب على انه صفة لمصدر محذوف و يحتمل انه ضمنه معنى ينفذ فعداه الى المفعول به و يحتمل انه منصوب بنزع الخافض اى بالحق (قوله وفى قراءة يقص الحق) من قص الاثر تتبعه وقص الحديث قاله (قوله لو أن عندى) اى لو كان الامر مفوضا الى (قوله ما تستعجلون به) اى من العذاب (قوله بان اعجله) بيان لقوله لقضي الامر والضمير عائد على ما تستعجلون (قوله متى يعاقبهم) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضافين والتقدير والله اعلم بوقت عقوبة الظالمين فلا يستعجلوا ذلك فانه لاحق بهم ان لم يتوبوا وانما تاخيره من حلم الله عليهم فلولا حلمه ما بقى احد قال تعالى ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن فمن القبيح قول بعض العامة حلم الله يفتت الكبود * ان قلت مقتضي هذه الآية انه لو كان الامر مفوضا له فى تعذيبهم لعجله واستراح ومقتضي ما ورد من اتيان ملك الجبال يستشيره فى انه يطبق عليهم الاخشبين انه لم يرض وقال ارجو أن يخرج من ذريتهم من يؤمن بالله فحصل التنافى * اجيب بان ما فى الآية بالنظر لاصل البشرية لان البشرية تتأثر بالضر والنفع وما فى الحديث انما هو رحمة من الله القاها عليه فرحمهم بها قال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم فرجع الامر لله فتدبر (قوله وعنده مفاتح الغيب) لما بين سبحانه وتعالى أولا انه منفرد بايجاد كل شيء خيرا كان او شرا بقوله ان الحكم الا لله الآية بين ثانيا انه منفرد بعلم الغيب بقوله وعنده مفاتح الغيب فهو كالدليل لما قبله كانه قال العذاب والرحمة بقدرة الله ولا يعلم وقت مجيء ذلك الا الله لان عنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وعنده خبر مقدم ومفاتح الغيب مبتدأ مؤخر وتقديم الظرف يؤذن بالحصر وهو منصب على الجميع فلا ينافى ان بعض الانبياء والاولياء يطلعه الله على بعض المغيبات الحادثة قال تعالى عالم الغيب فلا يظهر عن غيبه احدا الا من ارتضى من من رسول وأما من قال ان نبينا او غيره أحاط بالمغيبات علما كما احاط علم الله بها فقد كفر (قوله خزائنه) اشار بذلك الى ان مفاتح جمع مفتح بفتح فكسر كمخزن وزنا ومعنى العلوم المخزونة وقوله أو الطرق أى فهو جمع مفتح بكسر ففتح بمعنى الطرق التى توصل الى تلك العلوم المخزونة الغيبية (قوله لا يعلمها) اى الخزائن او الطرق تفصيلا الا هو واما علمنا فيها فهو على سبيل الاجمال وهو تاكيد لما علم من تقديم الظرف (قوله علم الساعة) اى وقت مجيئها وتفصيل ما يحصل فيها (قوله الآية) اى وهى و ينزل الغيث اى المطر أى لا يعلم وقت مجيئه وعدد قطراته ونفع الناس به الا الله و يعلم ما فى الارحام اى من كونه ذكرا أو أنثى شقيا أو سعيدا يعيش او يموت وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا أى لا تعلم نفس ما يعرض لها فى المستقبل من خير أو شر وغير ذلك من الاحوال التى تطرأ على الانفس قال الشاعر

وأعلم علم اليوم والامس قبله * ولكننى عن علم ما فى غد عمى

وما تدرى نفس بأى ارض تموت اى باى محل يكون قبض روحها فيه اودفنها فيه ان الله عليم خبير ببواطن الاشياء كظواهرها وهذا التفسير لابن عباس وقال الضحاك ومقاتل مفاتح الغيب خزائنه الخفية

اذا) ان اتبعتها (وما انا من المهتدين قل انى على بينة) بيان (من ربى و) قد (كذبتم به) بربى حيث اشركتم (ماعندى ما تستعجلون به) من العذاب (ان) ما (الحكم) فى ذلك وغيره (الا الله يقضي) القضاء (الحق وهو خير الفاصلين) الحاكمين وفى قراءة يقص اى يقول (قل) لهم (لو أن عندى ما تستعجلون به لقضي الامر بينى و بينكم) بان أعجله لكم واستريح ولكنه عند الله (والله أعلم بالظالمين) متى يعاقبهم (وعنده) تعالى (مفاتح الغيب) خزائنه أو الطرق الموصلة الى علمه (لا يعلمها الا هو) وهى الخمسة التى فى قوله ان الله عنده علم الساعة الآية كما رواه البخارى (و يعلم

فى الارض والاقرب والاتم ان المراد بمفاتح الغيب الامور المغيبة الخفية جميعها كانت الخمسة اوغيرها (قوله مايحدث فى البر) اى من خير اوشر (قوله القرى التى على الانهار) اى فيعلم رزق اهلها وعددهم وغير ذلك وقال جمهور المفسرين المراد البر و البحر المعروفان لان جميع الارض اما بر أو بحر وفى كل عوالم وعجائب وسعها علمه وقدرته (قوله وماتسقط من ورقة) اى من الشجر الا يعلمها اى يعلم وقت سقوطها والارض التى تسقط عليها (قوله ولا حبة فى ظلمات الارض) اى هى والتى يضعها الزارع للنبات فيعلم موضعها وهل تنبت اولا وقيل المراد بالحبة التى فى الصخرة التى فى الارض التى قال فيها الله يابنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة اوفى السموات اوفى الارض يات بها الله وكل صحيح (قوله ولا رطب ولا يابس) عطف عام لان جميع الاشياء امارطبة اويابسة فان قلت ان جميع هذه الاشياء داخل تحت قوله وعنده مفاتح الغيب فلم افردها بالذكر اجيب بانه من التفصيل بعد الاجمال وقدم ذكر البر والبحر لما فيهما من جنس العجائب ثم الورقة لانه يراها كل أحد لكن لا يعلم عددها الا الله ثم ماهو اضعف من الورقة وهو الحبة ثم ذكر مثالا يجمع الكل وهو الرطب واليابس (قوله عطف على ورقة) اى الثلاثة معطوفة على ورقة لكن لا يناسب تسليط السقوط عليها فيضمن السقوط بالنسبة للحبة والرطب واليابس معنى الثبوت (قوله بدل اشتمال من الاستثناء قبله) اى وهو قوله الا يعلمها وذلك لان دائرة العلم أوسع من دائرة اللوح فذات الله وصفاته احاط بها العلم لا اللوح والكائنات وما يتعلق بها احاط بها اللوح والعلم وهذا على ان المراد بالكتاب اللوح كما افاده المفسر وان اريد بالكتاب علم الله يكون بدل كل من كل لزيادة التاكيد والايضاح (قوله يقبض أرواحكم) ماذكره المفسر بناء على ان الانسان له روحان روح تقبض بالنوم وتبقى روح الحياة فاذا اراد الله موته قبضهما جميعا وعليه جملة من المفسرين ويشهد له آية الزمر قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها الآية ويقرب هذا أحوال الاولياء لان لهم حالة تسرح فيها أرواحهم وترى العجائب كالنائم والمشهور انها روح واحدة ويكون معنى يتوفاكم يذهب شعوركم لانهم عرفوا النوم بانه فترة طبيعية تهجم على الشخص قهرا عليه تمنع حواسه الحركة وعقله الادراك (قوله ويعلم ماجرحتم بالنهار) اى لانه الخالق للافعال والحركات والسكنات فهو المغير للاشياء ولا يتغير قال العارف

ولى فى خيال الظل أكبر عبرة ✻ لمن كان فى بحر الحقيقة راقى

شخوص وأشكال تمر وتنقضى ✻ فتفنى جميعا والمحرك باقى

(قوله ثم يبعثكم) ثم فى كل للترتيب الرتبي لان بعد النوم البعث بالايقاظ الى انقضاء الاجل ثم بعده البعث بالاحياء من القبور ثم الاخبار بما وقع من العباد (قوله ليقضى أجل) الجمهور على بناء يقضي للمجهول واجل نائب فاعل والفاعل محذوف اما عائد على الله اوعلى الشخص ومعنى قضاء الشخص أجله استيفاؤه اياه وقرئ بالبناء للفاعل وأجلا مفعوله والفاعل مستتر عائد على الله (قوله فيجازيكم به) اى ان خيرا فخير وان شرا فشر (قوله وهو القاهر) اى المستعلى الغالب على أمره الحاكم فلا معقب لحكمه يعطى ويمنع ويصل ويقطع ويضر وينفع فلا راد لما قضى ولا ملجأ منه الا اليه فهو المتصرف فى خلقه بجميع أنواع التصرفات من ايجاد واعدام واعزاز واذلال وغير ذلك (قوله فوق عباده) اى فوقية مكانة أى شرف ورفعة وعلو قدر تليق به لا فوقية مكان لاستحالة اتصافه به (قوله ويرسل) معطوف على صلة أل كانه قال وهو الذى يقهر ويرسل وهذا من جملة قهره سبحانه وتعالى (قوله ملائكة تحصي أعمالكم) اى من خير وشر لما ورد ان كل انسان له ملكان ملك عن يمينه وملك عن شماله فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين حالا واذا عمل سيئة قال

ما) يحدث (فى البر) القفار (والبحر) القرى التى على الانهار (وماتسقط من) زائدة (ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس) عطف على ورقة (الا فى كتاب مبين) هو اللوح المحفوظ والاستثناء بدل اشتمال من الاستثناء قبله (وهو الذى يتوفاكم بالليل) يقبض أرواحكم عند النوم (ويعلم ماجرحتم) كسبتم (بالنهار ثم يبعثكم فيه) اى النهار برد أرواحكم (ليقضى أجل مسمى) هو أجل الحياة (ثم اليه مرجعكم) بالبعث (ثم ينبئكم بما كنتم تعملون) فيجازيكم به (وهو القاهر) مستعليا (فوق عباده ويرسل عليكم حفظة) ملائكة تحصى أعمالكم

صاحب اليمين لصاحب الشمال اصبر لعله يتوب منها فان لم يتب منها كتبها صاحب الشمال قال العلماء
يؤخر ست ساعات فلكية فان تاب فيهما لم تكتب هكذا قال المفسر وقيل المراد بالحفظة الملائكة
الموكلون بحفظ ذوات العبيد من الحوادث والآفات وهم عشرة بالليل وعشرة بالنهار وقيل المراد ماهو
اعم وهو الاتم ان قلت ان الله هو الحافظ فلم وكلت الملائكة بحفظ الشخص اجيب بان ذلك تكرمة لبني
آدم واظهار لفضلهم والحكمة في كون الملائكة تكتب على الشخص ماصدر منه انه اذا علم ذلك ربما كان
ذلك داعيا للخوف والانزجار عن فعل القبائح والمعاصي (قوله حتى اذا جاء) حتى ابتدائية والمعنى ينتهي
حفظ الملائكة للاشخاص عند فراغ الاجل فالملائكة مامورون بحفظ ابن آدم مادام حيا فاذا فرغ
اجله فقد انتهى حفظهم له (قوله الموت) اى اسبابه (قوله وفي قراءة توفاه) اى بالامالة المحضة وهي ما
كانت للكسر أقرب وهو اما ماض وحذفت التاء لانه مجازي التانيث او مضارع ويكون فيه حذف
احدى التاءين (قوله رسلنا) اى اعوان ملك الموت الموكلون بقبض الارواح ان قلت قال تعالى الله
يتوفى الانفس حين موتها وقال في الآية الاخرى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم فكيف الجمع
بين هاتين الآيتين وهذه الآية اجيب بان الله هو المتوفي حقيقة فاذا حضر اجل العبد اشتغلت اعوان
ملك الموت بانتزاعها من الجسد فاذا بلغت الحلقوم قبضها ملك الموت بيده فهو القابض لجميع الارواح ان
قلت ورد في بعض الاحاديث وتولى قبض ارواحنا عند الاجل بيدك اجيب بان معناه شهود الرب
واستيلاء محبته على قلبه حتى يغيب عن احساسه فلا يشاهد ملك الموت حين قبض الروح وان كان هو
القابض لها وذلك في اهل محبة الله ومن يموت شهيد حرب اوغريقا او حريقا ونحوهم (قوله وهم
لا يفرطون) هذه الجملة حالية من رسلنا اى والحال انهم لا يقصرون في ذلك فقد ورد مامن اهل بيت
شعر ولا مدر الا وملك الموت يطوف بهم مرتين وورد ان الدنيا كلها بين ركبتي ملك الموت وجميع الخلائق
بين عينيه ويداه يبلغان المشرق والمغرب وكل من نفد اجله يعرفه بسقوط صحيفته من تحت العرش عليها
اسمه فعند ذلك يبعث اعوانه من الملائكة ويتصرفون بحسب ذلك وورد ان ملك الموت يقبض الروح
من الجسد ويسلمها الى ملائكة الرحمة ان كان مؤمنا او الى ملائكة العذاب ان كان كافرا ويقال معه سبعة
من ملائكة الرحمة وسبعة من ملائكة العذاب فاذا قبض نفسا مؤمنة دفعها الى ملائكة الرحمة فيبشرونها
بالثواب و يصعدون بها الى السماء واذا قبض نفسا كافرة دفعها الى ملائكة العذاب فيبشرونها
بالعذاب و يفزعونها ثم يصعدون بها الى السماء ثم ترد الى سجين وروح المؤمن الى عليين (قوله ثم ردوا)
معطوف على توفته وافرد اولا لان التوفي يكون لكل شخص على حدة وجمع ثانيا لان الرد يكون للجميع
(قوله مالكهم) دفع بذلك مايقال ان بين هذه الآية وآية وأن الكافرين لامولى لهم تنافيا فاجاب بان
المراد بالمولى هنا المالك وبه هنالك الناصر (قوله ألا له الحكم) اى لا لغيره (قوله لحديث بذلك) وفي رواية
انه تعالى يحاسب الكل في مقدار حلب شاة (قوله قل يامحمد) اى توبيخا لهم وردعا (قوله أهوالها) اى
فالظلمات كناية عن الاهوال والشدائد التي تحصل في البر والبحر وماشي عليه المفسر اتم لشمولها
للحقيقة وغيرها وقيل المراد بالظلمات حقيقتها فظلمات البر هي مااجتمع من ظلمة الليل
وظلمة السحاب وظلمة البحر مااجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة الرياح العاصفة
والامواج الهائلة (قوله وخفية) الجمهور على ضم الخاء وقرأ أبو بكر بكسرها وقرأ الاعمش خيفة
كالاعراف (قوله لئن انجيتنا من هذه) الجملة في محل نصب مقول القول كما قدره المفسر (قوله
والشدائد) عطف تفسير (قوله بالتخفيف والتشديد) اى وكل منهما مع قراءة انجيتنا بالتاء واما من
قرأ أنجانا فيقرأ بالتشديد هنا لاغير فالقراآت ثلاث وكلها سبعية (قوله قل هو القادر) هذا

حتى اذا جاء احدكم الموت
توفته) وفي قراءة توفاه
(رسلنا) الملائكة الموكلون
بقبض الارواح (وهم لا
يفرطون) يقصرون فيما
يؤمرون (ثم ردوا) اى
الخلق (الى الله مولاهم)
مالكهم (الحق) الثابت
العدل ليجازيهم (ألا له
الحكم) القضاء النافذ فيهم
(وهو اسرع الحاسبين)
يحاسب الخلق كلهم في قدر
نصف نهار من ايام الدنيا
لحديث بذلك (قل) يامحمد
لاهل مكة (من ينجيكم
من ظلمات البر والبحر)
أهوالها في اسفاركم حين
(تدعونه تضرعا) علانية
(وخفية) سرا تقولون (لئن)
لام قسم (أنجيتنا) وفي
قراءة انجانا اى الله (من
هذه) الظلمات والشدائد
(لنكونن من الشاكرين)
المؤمنين (قل) لهم (الله
ينجيكم) بالتخفيف
والتشديد (منها ومن كل
كرب) غم سواها (ثم أنتم
تشركون) به (قل هو القادر
على ان يبعث عليكم عذابا
من فوقكم) من السماء

كالحجارة والصيحة (او من تحت ارجلكم) كالخسف (او يلبسكم) يخلطكم (شيعا) فرقا مختلفة الاهواء (ويذيق بعضكم باس بعض) بالقتال قال صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذا اهون وايسر ولما نزل ماقبله اعوذ بوجهك رواه البخاري وروى مسلم حديث سالت ربي ان لا يجعل باس امتي بينهم فمنعنيها وفي حديث لما نزلت قال اما انها كائنة ولم يات تاويلها بعد (انظر كيف نصرف) نبين لهم (الآيات) الدلالات على قدرتنا (لعلهم يفقهون) يعلمون ان ماهم عليه باطل (وكذب به) بالقرآن (قومك وهو الحق) الصدق (قل) لهم (لست عليكم بوكيل) فاجازيكم انما انا منذر وامركم الى الله وهذا قبل الامر بالقتال (لكل نبا) خبر (مستقر) وقت يقع فيه ويستقر ومنه عذابكم (وسوف تعلمون) تهديد لهم (واذا رايت الذين يخوضون فى آياتنا) القرآن بالاستهزاء (فاعرض عنهم) ولا تجالسهم (حتى يخوضوا فى حديث غيره واما) فيه ادغام ان الشرطية فى ما المزيدة (ينسينك) بسكون النون والتخفيف وفتحها والتشديد (الشيطان) فقعدت معهم (فلا تقعد بعد الذكرى) اى تذكره (مع القوم الظالمين) فيه وضع الظاهر موضع المضمر عليهم

بيان لكونه قادرا على الاهلاك اثر بيان انه المنجى من المهالك (قوله كالحجارة) اى التى نزلت على اصحاب الفيل وقوله والصيحة اى صرخة جبريل التى صرخها على ثمود قوم صالح (قوله كالخسف) اى الذى وقع لقارون (قوله شيعا) منصوب على الحال جمع شيعة وهى من يتقوى بهم الانسان ويجمع على اشياع (قوله فرقا) جمع فرقة وهى الجماعة (قوله لما نزلت) اى آية او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض (قوله اهون وايسر) اى مما قبله وهو رضا بقضاء الله والا فقد استعاذ منه اولا فلم يفد (قوله ولما نزل ماقبله) اى قوله على ان يبعث عليكم الخ (قوله اعوذ بوجهك) اى فقال مرتين مرة عند نزول قوله عذابا من فوقكم ومرة عند نزول قوله او من تحت ارجلكم (قوله فمنعنيها) اى منعنى هذه المسئلة بمعنى انه لم يجبنى فى هذه الدعوة لما سبق فى علمه من حصولها فكان اول ابتداء اذاقة البعض باس البعض بعد موته صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة فى واقعة علىٍّ ومعاوية وما زالت الفتن تتزايد الى يوم القيامة (قوله لما نزلت) اى هذه الآية (قوله قال اما انها) اما اداة استفتاح وانها بكسر الهمزة والضمير عائد على الامور الاربعة عذابا من فوقكم وعذابا من تحت ارجلكم وتفريقكم شيعا ونصب القتال بينكم فهذه الاربعة كائنة قبل يوم القيامة لكن الاخيران قد وقعا من منذ عصر الصحابة والاولان تفضل الله بتاخير وقوعهما الى قرب قيام الساعة هكذا وردو لكن قال العلماء وان كان الاخيران يقعان قرب قيام الساعة لكن العذاب بهما ليس عاما كما وقع فى الامم الماضية (قوله ولم يات تاويلها) الضمير يعود على الآية او الامور الاربعة اى صرفها عن ظاهرها بل هى باقية على ظاهرها لكن بالوجه الذى علمته (قوله وكذب به قومك) اى انكره حيث قالوا انه سحر او شعر او كهانة او غير ذلك وما ذكره المفسر من ان الضمير عائد على القرآن هو احد اقوال وهو اقربها وقيل الضمير عائد على العذاب وقيل على الحق وقيل على النبى وهو بعيد (قوله الصدق) اى لانه منزل من عند الله وما كان من عند الله فهو صدق لا محالة (قوله وهذا قبل الامر بالقتال) اشار بذلك الى انه منسوخ بآيات القتال ولكن المناسب للمفسر ان يقول فاقاتلكم بدل قوله فاجازيكم والحاصل ان فى الآية تفسيرين الاول ان الآية محكمة والمعنى لست مجازيا على اعمالكم فى الآخرة والثانية انها منسوخة والمعنى لست مقاتلا لكم ان حصلت منكم المخالفة اذا علمت ذلك فالمفسر لفق بين التفسيرين (قوله لكل نبأٍ مستقر) نزلت ردا لاستعجالهم العذاب الذى كان يعدهم به والمعنى لكل خبر من الاخبار رحمة وعذابا زمن يقع فيه اما فى الدنيا او الآخرة او او فيهما لا يعلمه الا الله (قوله وقت يقع فيه) اشار بذلك الى ان مستقر اسم زمان ويصح ان يكون مصدرا او اسم مكان (قوله واذا رايت) راى بصرية والذين مفعولها ويبعد كونها علمية لانه يقتضى ان المفعول الثانى محذوف وحذفه اما شاذ او ممنوع (قوله يخوضون) الخوض فى الاصل الدخول فى الماء فيستعار للشروع والدخول فى الكلام فشبه آيات الله بالبحر وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشىء من لوازمه وهو الخوض فاثباته تخييل والجامع بينهما التعرض للهلاك فى كل فان الخائض للبحر الغريق متعرض للهلاك فكذلك المتعرض للاباطيل فى كلام الله (قوله فاعرض عنهم) الخطاب له ولاصحابه فالنهى عام وهو منسوخ بآية القتال (قوله فى حديث غيره) الضمير عائد على الآيات وذكر باعتبار كونها حديثا (قوله واما ينسينك) الخطاب له والمراد غيره لان انساء الشيطان له مستحيل عليه (قوله بسكون النون والتخفيف) اى للسين من انساه اوقعه فى النسيان وقوله وفتحها اى النون وقوله والتشديد اى للسين من نساه فيتعدى بالهمزة والتضعيف وهما قراءتان سبعيتان ومفعول ينسينك محذوف تقديره النهى او ما امرك الله به (قوله فيه وضع الظاهر الخ) اى زيادة فى التشنيع

وقال المسلمون ان قمنا كلما خاضوا لم نستطع ان نجلس فى المسجد وان نطوف فنزل (وما على الذين يتقون) الله (من حسابهم) اى الخائضين (من) زائدة (شىء) اذا جالسوهم (ولكن) عليهم (ذكرى) تذكرة لهم وموعظة (لعلهم يتقون) الخوض (وذر) اترك (الذين اتخذوا دينهم) الذى كلفوه (لعبا ولهوا) باستهزائهم به (وغرتهم الحياة الدنيا) فلا تتعرض لهم وهذا قبل الامر بالقتال (وذكر) عظ (به) بالقرآن الناس (ان) لا (تبسل نفس) تسلم الى الهلاك (بما كسبت) عملت (ليس لها من دون الله) اى غيره (ولى) ناصر (ولا شفيع) يمنع عنها العذاب (وان تعدل كل عدل) تفد كل فداء (لا يؤخذ منها) ما تفدى به (اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم) ماء بالغ نهاية الحرارة (وعذاب اليم) مؤلم (بما كانوا يكفرون) بكفرهم (قل اندعوا) انعبد (من دون الله ما لا ينفعنا) بعبادته (ولا يضرنا) بتركها وهو الاصنام (ونرد على اعقابنا) نرجع مشركين (بعد اذ هدانا الله) الى الاسلام (كالذى استهوته) اضلته (الشياطين فى الارض حيران) متحيرا لا يدرى اين يذهب حال من الهاء (له اصحاب) رفقة (يدعونه الى الهدى) اى ليهدوه الطريق يقولون له (ائتنا) فلا يجيبهم فيهلك والاستفهام للانكار وجملة التشبيه حال من ضمير نرد (قل ان هدى الله) الذى هو الاسلام (هو الهدى) وما عداه ضلال

عليهم رأتى فى جانب الرؤية باذا المفيدة للتحقيق وفى جانب الانساء بان المفيدة للشك اشارة الى أن خوضهم فى الآيات محقق وانساء الشيطان غير محقق بل قد يقع وقد لا يقع (قوله وقال المسلمون الخ) بيان لسبب نزول الآية (قوله وما على الذين يتقون) الجار والمجرور خبر مقدم ومن شىء مبتدأ مؤخر (قوله اذا جالسوهم) أى فالجلوس مع الخائضين غير ممنوع لكن بشرط عدم مسايرتهم لما هم عليه وبشرط وعظهم ونهيهم عن المنكر فهو تخصيص للنهى المتقدم (قوله ولكن عليهم ذكرى) أشار بذلك الى ان ذكرى مبتدا خبره محذوف ويصح أن يكون مفعولا لمحذوف تقديره ولكن يذكرونهم ذكرى (قوله الذى كلفوه) أى وهو دين الاسلام ودفع بذلك ما يقال المشركون لا دين لهم من الاديان المشروعة فكيف اضيف اليهم دين واخبر عنه انهم اتخذوه لعبا ولهوا (قوله وهذا قبل الامر بالقتال) أى فهو منسوخ بآياته ويدخل فى عموم هذه الآية من اتخذ دين الاسلام لهوا ولعبا واحدث فيه ما ليس منه كالخوارج وبعض من يدعى الانتساب الى الصالحين حيث جعلوا الطريقة الموصلة الى الله طبلا وزمرا واحدثوا امورا لا تحل فى دين الله (قوله ان تبسل) علة لقوله وذكر به على حذف لام العلة قدرها المفسر ولا مقدرة والابسال هو تسليم النفس فى الحرب للقتال والباسل الشجاع الذى يلقى بنفسه للهلاك (قوله ليس لها) اما استئناف اوحال من نفس او صفة لها (قوله ولى) اسم ليس ولها خبر مقدم ومن دون الله حال من ولى (قوله تفد كل فداء) اى تفتد بكل فداء (قوله ما تفدى به) اشار بذلك الى ان الضمير فى لا يؤخذ عائد على الفداء بمعنى المفدى به فهو مصدر اريد به اسم المفعول (قوله اولئك الذين) اسم الاشارة مبتدا خبره الاسم الموصول ولهم شراب مبتدأ وخبر والجملة اما خبر ثان اوحال من الضمير فى ابسلوا او مستانف بيان للابسال (قوله ماء بالغ نهاية الحرارة) اى يقطع الامعاء كما قال فى الآية الاخرى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم (قوله بكفرهم) اشار بذلك الى ان ما مصدرية والفعل فى تاويل مصدر مجرور بالباء (قوله قل اندعوا) قيل سبب نزولها ان عبد الرحمن بن ابى بكر الصديق قبل اسلامه دعا والده الى عبادة الاصنام فنزلت الآية امر النبى صلى الله عليه وسلم ان يرد على عبد الرحمن ومن يقول بقوله وفيه اعتناء بشان الصديق واظهار لفضله حيث وجه الامر الى الرسول وفى الواقع الامر لابى بكر والمعنى لا يليق منا عبادة ما لا ينفعنا اذا عبدناه ولا يضرنا اذا تركناه (قوله ونرد على اعقابنا) معطوف على ندعوا فهو داخل فى حيز الاستفهام (قوله بعد اذ هدانا الله) اى بعد وقت هداية الله لنا (قوله كالذى) صفة لموصوف محذوف اى نرد ردا مثل رد الذى استهوته والاستهواء من الهوى وهو السقوط من علو الى سفل سمى الاضلال بذلك لان من سقط من علو الى سفل ولم يجد محلا يستند عليه هلك فكذلك من ترك الدين القويم ولم يتبعه هلك ولا يجد ناصرا وقد صرح بالمراد من هذا التشبيه فى قوله تعالى ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوى به الريح فى مكان سحيق والحاصل ان المشرك بالله مع وجود من يدله على التوحيد مثله مثل من اختطفته الشياطين وسارت به فى الفلا وزوالمهالك مع سماعه مناداة من ياخذ بيده ويخلصه منهم وهو مفرط وراض لنفسه بذلك والمراد بالشياطين ما يشمل شياطين الانس (قوله فى الارض) متعلق باستهوته (قوله حال من الهاء) اى فى استهوته (قوله له اصحاب) جملة فى محل نصب صفة لحيران (قوله والاستفهام الخ) اى وهو قوله اندعوا والمعنى لا ينبغى ان نعبد غير الله بعد هدايته لنا لان من عبد غير الله بعد ايمانه بالله كان كمثل من اخذته الشياطين فصار حيران لا يدرى اين يتوجه مع كون اصحابه يدعونه الى الطريق المستقيم فلا يجيبهم (قوله هو الهدى) اى التوفيق والاستقامة والجملة المعرفة الطرفين

تفيدا لحصر فهو بمعنى ان الدين عند الله الاسلام (قوله وأمرنا) اى امرنا الله بان نسلم بمعنى نوحد وننقاد لرب العالمين (قوله وان اقيموا الصلوة) قدر المفسر الباء اشارة الى انه معطوف على ان نسلم فهو داخل تحت الامر ايضا وفيه التفات من التكلم للخطاب وعطف التقوى عليه من عطف العام وخص الصلاة بعد الاسلام لانها أعظم اركانه (قوله وهو الذى اليه تحشرون) هذا دليل للامر المتقدم وموجب لامتثاله والمعنى امتثلوا اوامره واجتنبوا نواهيه لانكم تجمعون اليه و يحاسبكم (قوله اى محقا) اشار بذلك الى ان الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال اى حال كونه محقا اى موصوفا بالحقية وهو وجوب الوجود الذى لا يقبل الزوال و يحتمل ان يكون المعنى محقا لا هازلا ولا عابثا بل خلقهما لحكم ومصالح لعباده و يؤيد هذا المعنى قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين (قوله ويوم) معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر والواو للاستئناف (قوله يقول كن) هذا كناية عن سرعة الايجاد وهو تقريب للعقول والا فلا كاف ولا نون قال تعالى وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب (قوله فيكون) كل من كن و يكون تام يكتفى بالمرفوع وهو ضمير يعود على جميع ما يخلقه الله (قوله يقول للخلق) اى جميعهم من مبدا الدنيا الى منتهاها من العالم العلوى والسفلى (قوله قوله الحق) يصح ان يكون مبتدأ وخبرا ومبتدأ والحق نعته وخبره قوله يوم يقول (قوله لا محالة) اى لا بد من وقوعه وهو بفتح الميم مصدر ميمى واما بضم الميم فمعناه الباطل و ليس مرادا هنا (قوله يوم ينفخ) اما ظرف لقوله وله الملك وخص بذلك وان كان الملك لله مطلقا لانه فى ذلك الوقت لا يملك احد شيا مما كان يملكه فى الدنيا قال تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة او خبر عن الملك والتقدير والملك يوم ينفخ فى الصور له او بدل من يوم يقول (قوله فى الصور) هو نائب الفاعل (قوله القرن) اى المستطيل قال مجاهد الصور قرن كهيئة البوق وفيه جميع الارواح وفيه ثقب بعددها فاذا نفخ خرجت كل روح من ثقبة ووصلت لجسدها فتحله الحياة فالاحياء يحصل بايجاد الله عند النفخ لا بالنفخ فهو سبب عادى (قوله النفخة الثانية) اى واما الاولى فعندها يموت كل ذى روح قال تعالى ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون (قوله ما غاب وما شوهد) اى بالنسبة للخلق والا فالكل عند الله شهادة ولا يغيب عليه شئ بل ما فى تخوم الارضين والسموات بالنسبة له كما على ظهرها سواء بسواء (قوله وهو الحكيم الخبير) كالدليل لما قبله (قوله واذ قال ابراهيم) الظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر والجملة معطوفة على جملة قل اندعوا من دون الله والمعنى قل يا محمد لكفار مكة اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا واحتج عليهم بما وقع لابراهيم مع قومه حيث شنع على عبادة الاصنام (قوله واسمه تارخ) يقرأ بالخاء المعجمة والحاء المهملة وقيل ان آزر اسمه وتارخ لقبه وهو جمع بين قولين وتارخ بدل او عطف بيان وآزر من الازر وهو العيب لانه قام به العيب حيث عبد الاصنام او العوج ولا شك انه قام به الامران العيب والعوج (قوله أصناما) المراد بها ما صور على هيئة الانسان وعبد من دون الله كانت من خشب او حجر او ذهب او فضة او غير ذلك واصناما مفعول اول لتتخذ وآلهة مفعول ثان (قوله تعبدها) اى انت وقومك الذين هم الكنعانيون (قوله استفهام توبيخ) اى على سبيل الانكار (قوله انى أراك) اى أعلمك فالكاف مفعول اول وفى ضلال مبين مفعول ثان ومقتضى هذه الآية وآية مريم ان آزرا ابا ابراهيم كان كافرا وهو يشكل على ما قاله المحققون ان نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم محفوظ من الشرك فلم يسجد احد من آبائه من عبد الله الى آدم لصنم قط و بذلك قال المفسرون فى قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين وقال البوصيرى فى الهمزية

و بدا للوجود منك كريم * من كريم آباؤه كرماء

واجيب عن ذلك بان حفظهم من الاشراك ما دام النور المحمدى فى ظهرهم فاذا انتقل جاز ان يكفروا بعد ذلك

(وأمرنا لنسلم) اى بان نسلم (لرب العالمين وان) أى بان (اقيموا الصلوة واتقوه) تعالى (وهو الذى اليه تحشرون) تجمعون يوم القيامة للحساب (وهو الذى خلق السموات والارض بالحق) اى محقا (و) اذكر (يوم يقول للشئ) (كن فيكون) هو يوم القيامة يقول للخلق قوموا فيقوموا (قوله الحق) الصدق الواقع لا محالة (وله الملك يوم ينفخ فى الصور) القرن النفخة الثانية من اسرافيل لا ملك فيه لغيره لمن الملك اليوم لله (عالم الغيب والشهادة) ما غاب وما شوهد (وهو الحكيم) فى خلقه (الخبير) بباطن الاشياء كظاهرها (و) اذكر (اذ قال ابراهيم لابيه آزر) هو لقبه واسمه تارخ (اتتخذ اصناما آلهة) تعبدها استفهام توبيخ (انى اراك وقومك) باتخاذها (فى ضلال) عن الحق (مبين)

كذا قال المفسرون هنا وهذا على تسليم أن آزر أبوه وأجاب بعضهم أيضا بمنع أن آزر أبوه بل كان عمه وكان كافرا وتارخ أبوه مات في الفترة ولم يثبت سجوده لصنم وانما سماه ابا على عادة العرب من تسمية العم أبا وفي التوراة اسم أبي ابراهيم تارخ (قوله بين) اى ظاهر لا شك فيه (قوله كما اريناه اضلال قومه) أى بسبب تعليمه التوحيد وكونه مجبولا عليه لما ورد انه حين نزل من بطن أمه قام على قدميه وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت الحمد لله الذى هدانا لهذا (قوله ملك) اشار بذلك الى ان المراد بالملكوت الملك والتاء فيه للمبالغة كالرغبوت والرهبوت والرحموت من الرغبة والرهبة والرحمة وعلى هذا فالملكوت والملك واحد وللصوفية فرق بين الملك والملكوت فالملك ما ظهر لنا والملكوت ما خفى عنا كالسموات وما فيها اذا علمت ذلك فالاولى ابقاؤه على ظاهره لما ورد انه أقيم على صخرة وكشف له عن السموات حتى رأى العرش والكرسي وما في السموات من العجائب وحتى رأى مكانه في الجنة فذلك قوله تعالى وآتيناه أجره في الدنيا وكشف له عن الارض حتى نظر الى اسفل الارضين ورأى ما فيها من العجائب وهذا يفيد ان الرؤية بصرية لا علمية (قوله ليستدل به على وحدانيتنا) اى ليعلم قومه كيفية الاستدلال على ذلك لا لتوحيد نفسه فان توحيده بالمشاهدة لا بالدليل (قوله وليكون من الموقنين) معطوف على محذوف قدره المفسر بقوله ليستدل الخ (قوله اعتراض) اى بين قوله واذ قال ابراهيم وبين الاستدلال عليهم (قوله فلما جن) من الجنة وهي الستر وحاصل ذلك ان نمروذ بن كنعان كان يدعو الناس الى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا له انه يولد في بلدك هذه السنة غلام يغير دين اهل الارض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه فامر بذبح كل غلام يولد في تلك السنة وأمر بعزل النساء عن الرجال وجعل على كل عشرة رجلا يحفظهم فاذا حاضت المرأة خلوا بينها وبين زوجها لانهم كانوا لا يجامعون في الحيض فاذا طهرت من الحيض حالوا بينهما فخرج نمروذ بالرجال في البرية وعزلهم عن النساء تخوفا من ذلك المولود فمكث بذلك ما شاء الله ثم بدت له حاجة الى المدينة فلم يأمن عليها احدا من قومه الا آزر فبعث اليه فاحضره عنده وقال له ان لى اليك حاجة احب أن أوصيك بها ولم أبعثك فيها الا لثقتى بك فاقسمت عليك ان لا تدنو من أهلك فقال آزر أنا اشح على دينى من ذلك فأوصاه بحاجته فدخل المدينة وقضى حاجة الملك ثم دخل على اهله فلم يتمالك نفسه حتى واقع زوجته فحملت من ساعتها بابراهيم فلما دنت ولادتها خرجت هاربة مخافة ان يطلع عليها فيقتل ولدها فلما وضعته جعلته في نهر يابس ثم لفته في خرقة وتركته قيل أخبرت أباه به وقيل لا وكانت تختلف اليه لتنظر ما فعل فتجده حيا وهو يمص من اصبع ماء ومن اصبع لبنا ومن اصبع سمنا ومن اصبع عسلا ومن اصبع تمرا وكان ابراهيم يشب في اليوم كالشهر وفي الشهر كالسنة فمكث خمسة عشر شهرا قالوا فلما شب ابراهيم وهو في السرب قال لامه من ربى قالت انا قال فمن ربك قالت ابوك قال فمن رب ابى قالت اسكت ثم رجعت الى زوجها فقالت أرأيت الغلام الذى كنا نحدث انه يغير دين أهل الارض ثم أخبرته بما قال فاتاه ابوه آزر فقال ابراهيم يا ابتاه من ربى قال امك قال فمن رب أمى قال انا قال فمن ربك قال نمروذ قال فمن رب نمروذ فلطمه لطمة وقال له اسكت فلما جن عليه الليل رأى كوكبا الآية واختلف في وقت هذا القول هل كان قبل البلوغ والرسالة او بعدهما والصحيح أنه بعد البلوغ وايتاء الرسالة وما وقع من ابراهيم انما هو مجاراة لقومه واستدراج لهم لاجل ان يعرفهم جهلهم وخطأهم في عبادة غير الله وليس اثباته الربوبية لهذه الاجرام على حقيقته حاشا من ذلك لان الانبياء معصومون من الجهل قبل النبوة وبعدها لان توحيدهم بالشهود على طبق ما جبلت عليه ارواحهم من يوم الست بربكم (قوله قيل هو الزهرة) خصها لانها أضوأ الكواكب وهى في السماء الثالثة (قوله وكانوا نجامين) اى عالمين بالنجوم او عابدين لها (قوله في زعمكم)

بين (وكذلك) كما اريناه اضلال ابيه وقومه (نرى ابراهيم ملكوت) ملك (السموات والارض) ليستدل به على وحدانيتنا (وليكون من الموقنين) بها وجملة وكذلك وما بعدها اعتراض وعطف على قال (فلما جن) اظلم (عليه الليل رأى كوكبا) قيل هو الزهرة (قال) لقومه وكانوا نجامين (هذا ربى) في زعمكم (فلما افل)

غاب (قال لا احب الآفلين) ان اتخذهم اربابا لان الرب لا يجوز عليه التغير والانتقال لانهما من شان الحوادث فلم ينجع فيهم
ذلك (فلما رأى القمر بازغا)
طالعا (قال) لهم (هذا ربي
فلما افل قال لئن لم يهدني
ربي) يثبتني على الهدى
(لاكونن من القوم
الضالين) تعريض لقومه
بانهم على ضلال فلم ينجع
فيهم ذلك (فلما رأى
الشمس بازغة قال هذا)
ذكره لتذكير خبره (ربي
هذا أكبر) من الكوكب
والقمر (فلما افلت)
وقويت عليهم الحجة ولم
يرجعوا (قال ياقوم اني
بريء مما تشركون) بالله من
الاصنام والاجرام المحدثة
المحتاجة الى محدث فقالوا
له ما تعبد قال (اني وجهت
وجهي) قصدت بعبادتي
(للذي فطر) خلق
(السموات والارض)
أي الله (حنيفا) مائلا الى
الدين القيم (وما انا من
المشركين) به (وحاجه
قومه) جادلوه في دينه
وهددوه بالاصنام ان
تصيبه بسوء ان تركها (قال
اتحاجوني) بتشديد النون
وتخفيفها بحذف احدى
النونين وهي نون الرفع عند
النحاة ونون الوقاية عند
القراء اتجادلونني (في)
وحدانية (الله وقد هدان)
تعالى اليها (ولا أخاف
ما تشركون) (به) من
الاصنام ان تصيبني بسوء
لعدم قدرتها على شيء (الا)
لكن (ان يشاء ربي شيا) من المكروه يصيبني فيكون (وسع ربي كل شيء علما) اى وسع علمه كل شيء كالتعليل

اى فالجملة خبرية على حسب زعمهم لا على حسب الواقع واعتقاد ابراهيم (قوله غاب) يقال افل الشيء افولا غاب (قوله التغير والانتقال) اى لان الافول حركة والحركة تقتضي حدوث المتحرك وامكانه فيمتنع ان يكون الها (قوله فلم ينجع) اى لم يؤثر و يفد وهو من باب خضع يقال نجع نجوعا ظهر اثره (قوله بازغا) حال من القمر والبزوغ الطلوع (قوله قال هذا ربي) اى بزعمكم كما تقدم (قوله يثبتني على الهدى) انما قال ذلك لان اصل الهدى حاصل للانبياء بحسب الفطرة والخلقة فلا يتصور نفيه (قوله تعريض لقومه) انما عرض بضلالهم في امر القمر لانه ايس منهم في امر الكواكب ولو قاله في الاول لما نصفوه ولهذا صرح في الثالثة بالبراءة منهم وانهم على شرك اى فالتعريض هنا لاستدراج الخصم الى الاذعان والتسليم (قوله فلم ينجع فيهم ذلك) اى الدليل المذكور (قوله لتذكير خبره) اى وهو ربي وهذا كالمتعين لان المبتدأ والخبر عبارة عن شيء واحد والرب سبحانه وتعالى مصان عن شبهة التانيث ألا تراهم قالوا في صفته علام ولم يقولوا علامة وان كان علامة ابلغ تباعدا عن علامة التانيث (قوله هذا اكبر) أي جرما وضوأ وسعة جرم الشمس مائة وعشرون سنة كما قاله الغزالي وفي رواية انها قدر الارض مائة وستين مرة والقمر قدرها مائة وعشرين مرة (قوله مما تشركون) ما مصدرية اى بريء من اشراككم او موصولة اى من الذي تشركونه مع الله فحذف العائد (قوله والاجرام) عطف عام لانها تشمل الاصنام والنجوم (قوله قصدت بعبادتي) اى فليس المراد بالوجه الجسم المعروف بل المراد به القلب وانما عبر المفسر بالقصد لان القصد والنية محلهما القلب وانما انتفى الوجه الحسي لاستحالة الجهة على الله (قوله خلق السموات والارض) اى وما فيهما ومن جملته معبوداتكم العلوية والسفلية فقد ابطل السفلية بقوله اني اراك وقومك في ضلال مبين والعلوية بقوله فلما جن عليه الليل الخ (قوله حنيفا) حال من التاء في وجهت (قوله وحاجه قومه) روي انه لما شب ابراهيم وكبر جعل آزر يصنع الاصنام و يعطيها له ليبيعها فيذهب بها وينادي يا من يشتري ما يضره ولا ينفعه فلا يشتريها أحد فاذا بارت عليه ذهب بها الى نهر وضرب فيه رؤسها وقال لها اشربي استهزاء بقومه حتى اذا فشا فيهم استهزاؤه جادلوه فذلك قوله تعالى وحاجه قومه الخ (قوله وهددوه) عطف تفسير على جادلوه اى فحاجتهم كانت بالتهديد لا بالبرهان لعدمه عندهم ومحاجة ابراهيم كانت بالبرهان ففرق بين المقامين (قوله ان تصيبه بسوء) اى كخبل وجنون (قوله قال اتحاجوني الخ) استئناف وقع جوابا لسؤال نشا من حكاية محاجتهم كانه قيل فماذا قال حين حاجوه (قوله بتشديد النون) اى لادغام نون الرفع في نون الوقاية وقوله وتخفيفها اى تخلصا من اجتماع مشددين في كلمة واحدة وهما الجيم والنون (قوله عند النحاة) اى كسيبويه وغيره من البصريين مستدلين بانها نائبة عن الضمة وهي قد تحذف تخفيفا كما في قراءة ابي عمرو و ينصركم و يامركم بالاسكان فكذا ما ناب عنها (قوله عند القراء) اى مستدلين بان الثقل انما حصل بها (قوله وقد هدان) يرسم بلا ياء لانها من ياآت الزوائد وفي النطق يجب حذفها في الوقف و يجوز اثباتها وحذفها في الوصل وجملة وقد هدان في محل نصب على الحال من الياء في اتحاجوني والمعنى اتجادلونني في الله حال كوني مهديا من عنده وحجتكم لا تجدي شيا لانها داحضة (قوله ما تشركون به) اشار الى ان ما موصولة فالهاء في به تعود على ما والمعنى ولا أخاف الذي تشركون الله به او تعود على الله والمحذوف هو العائد على ما (قوله لكن) اشار بذلك الى ان الاستثناء منقطع لان المشيئة ليست مما يشركون به (قوله تصيبني) صفة ليشاء وهو اشارة الى تقدير مضاف اى الا ان يشاء ربي اصابة شيء لي وقوله فيكون بالنصب عطف على مدخول ان او بالرفع استئناف اى فهو يكون (قوله علما) تمييز محول عن الفاعل كما يفيده المفسر نحو اشتعل الرأس شيبا والجملة

كالتعليل للاستثناء (قوله افلا تتذكرون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه اى أتعرضون عن التامل فى ان آلهتكم جمادات لا تضر ولا تنفع فلا تتذكرون بطلانها (قوله وكيف اخاف ما اشركتم) استئناف مسوق لنفي الخوف عنه بالطريق الالزامي بعد نفيه عنه بحسب الواقع فى قوله سابقا ولا اخاف ما تشركون به والاستفهام للتعجب (قوله ما لم ينزل به) مفعول لاشركتم (قوله فاى الفريقين) اى من الموحد والمشرك (قوله ان كنتم تعلمون) ان شرطية وجوابها محذوف قدره المفسر بقوله فاتبعوه (قوله الذين آمنوا الخ) يحتمل أن يكون من كلام ابراهيم أو من كلام قومه أو من كلام الله تعالى اقوال للعلماء فان قلنا انها من كلام ابراهيم كان جوابا عن السؤل فى قوله فاى الفريقين الخ وكذا ان قلنا انها من كلام قومه و يكونون أجابوا بما هو حجة عليهم وعلى هذين الاحتمالين فهو خبر لمحذوف وان كان من كلام الله تعالى لمجرد الاخبار كان الموصول مبتدأ وأولئك مبتدأ ثان والامن مبتدأ ثالث ولهم خبره والجملة خبر أولئك وأولئك وخبره خبر الاول (قوله فى حديث الصحيحين) أى ففيهما عن ابن مسعود قال لما نزلت الذين آمنوا الخ شق ذلك على المسلمين وقالوا أينا لم يظلم نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك انما هو الشرك ألم تسمعوا قول لقمان لابنه يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وهذا ما ذهب اليه أهل السنة وذهب المعتزلة الى ان المراد بالظلم فى الآية المعصية لا الشرك بناء على ان خالط أحد الشيئين بالآخر يقتضى اجتماعهما ولا يتصور خلط الايمان بالشرك لانهما ضدان لا يجتمعان واجاب اهل السنة بان الايمان قد يجامع الشرك و يراد بالايمان مطلق التصديق سواء كان باللسان او بغيره وكذا ان اريد به تصديق القلب لجواز أن يصدق المشرك بوجود الصانع دون وحدانيته كما قال تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون افاده زاده على البيضاوى (قوله وتلك حجتنا) اعرب المفسر اسم الاشارة مبتدأ وحجتنا بدل منه وجملة آتيناها خبر المبتدأ وقوله على قومه متعلق بمحذوف حال من الهاء فى آتيناها وهو أحسن الاعاريب وقيل ان تلك حجتنا مبتدأ وخبر وآتيناها خبر ثان وعلى قومه متعلق بحجتنا واسم الاشارة عائد على قوله فلما جن عليه الليل الى هنا او من قوله وكذلك نرى ابراهيم الى هنا (قوله من أفول الكواكب) أى التى هى الزهرة والقمر والشمس (قوله وما بعده) اى وهو قوله وحاجه قومه الخ (قوله آتيناها ابراهيم) أى بوحي أو الهام (قوله حجة على قومه) قدره المفسر اشارة الى ان الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من الهاء فى آتيناها (قوله نرفع درجات من نشاء) مفعول نشاء محذوف تقديره رفعها (قوله بالاضافة والتنوين) اى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الاضافة المفعول به هو درجات وعلى التنوين هو من نشاء ودرجات ظرف لنرفع والتقدير نرفع من نشاء فى درجات (قوله فى العلم والحكمة) قيل هى النبوة فالعطف مغاير وقيل العلم النافع فالعطف خاص على عام اعتناء بشرف نفع العلم واظهارا لفضله (قوله ان ربك حكيم) اى يضع الشيء فى محله وهو كالدليل لما قبله والمعنى ان الله يحكم لا معقب لحكمه فيرفع من يشاء و يضع من يشاء لا اعتراض عليه فانه حكيم يضع الشيء فى محله عليم لا يخفى عليه شيء (قوله ووهبنا له اسحق الخ) لما أنعم الله على ابراهيم عليه السلام بالنبوة والعلم ورفع درجاته حيث جاهد فى الله حق جهاده اتم الله عليه النعمة بان وهب له اسحق و يعقوب واسمعيل وجعل فى ذريته النبوة الى يوم القيامة واسحق هو من سارة وجملة وهبنا معطوفة على قوله وتلك حجتنا عطف فعلية على اسمية والمقصود من تلاوة هذه النعم على محمد تشريفه لان شرف الوالد يسرى للولد (قوله كلا هدينا) اى للشرع الذى اوتيه (قوله ونوحا هدينا من قبل) نوح هو ابن لمك بفتح اللام وسكون الميم و بالكاف وقيل ملكان بفتح الميم وسكون اللام و بالنون بعد الكاف ابن متوشلخ بضم الميم وفتح التاء الفوقية والواو وسكون الشين المعجمة وكسر اللام

(افلا تتذكرون) هذا فتؤمنون (وكيف اخاف ما اشركتم) بالله وهى لا تضر ولا تنفع (ولا تخافون) انتم من الله (انكم اشركتم بالله) فى العبادة (ما لم ينزل به) بعبادته (عليكم سلطانا) حجة وبرهانا وهو القادر على كل شيء (فاى الفريقين احق بالامن) انحن ام انتم (ان كنتم تعلمون) من الاحق به اى وهو نحن فاتبعوه قال تعالى (الذين آمنوا ولم يلبسوا) يخلطوا (ايمانهم بظلم) اى شرك كما فسر بذلك فى حديث الصحيحين (أولئك لهم الامن) من العذاب (وهم مهتدون وتلك) مبتدأ و يبدل منه (حجتنا) التى احتج بها ابراهيم على وحدانية الله من افول الكواكب وما بعده والخبر (آتيناها ابراهيم) ارشدناه لها حجة (على قومه نرفع درجات من نشاء) بالاضافة والتنوين فى العلم والحكمة (ان ربك حكيم) فى صنعه (عليم) بخلقه (ووهبنا له اسحق ويعقوب) ابنه (كلا) منهما (هدينا ونوحا هدينا من قبل) اى قبل ابراهيم

(ومن ذريته) أي نوح (داود وسليمان) ابنه (وأيوب ويوسف) ابن يعقوب (وموسى وهرون وكذلك) كما جزيناهم (نجزي المحسنين وزكريا ويحيي) ابنه (وعيسي) ابن مريم يفيد ان الذرية تتناول اولاد البنت (والياس) ابن أخي هرون أخي موسي (كل) منهم (من الصالحين واسمعيل) بن ابراهيم (واليسع) اللام زائدة (ويونس ولوطا) بن هاران اخي ابراهيم (وكلا) منهم (فضلنا على العالمين) بالنبوة (ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم) عطف على كلا اونوحا ومن للتبعيض لان بعضهم لم يكن له ولد وبعضهم كان في ولده كافر (واجتبيناهم) اخترناهم (وهديناهم الى صراط مستقيم ذلك) الدين الذي هدوا اليه (هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو اشركوا) فرضا (لحبط عنهم ماكانوا يعملون أولئك الذين آتيناهم الكتاب) بمعنى الكتب (والحكم) الحكمة (والنبوة فان يكفر بها) أي بهذه الثلاثة (هؤلاء) اى اهل مكة (فقد وكلنا بها) ارصدنا لها (قوما ليسوا بها بكافرين) هم المهاجرون والانصار (أولئك الذين هدا) هم (الله فبهداهم) طريقهم من التوحيد والصبر (اقتده) بهاء السكت وقفا ووصلا وفي قراءة بحذفها وصلا (قل) لاهل مكة (لا أسئلكم عليه) اى القرآن (اجرا) تعطونيه (ان هو) ما القرآن (الا ذكرى) عظة (للعالمين) الانس والجن

وبالخاء المعجمة ابن ادريس (قوله ومن ذريته) يحتمل ان الضمير عائد على نوح لانه اقرب مذكور واختاره المفسر ويحتمل انه عائد على ابراهيم لانه المحدث عنه ويبعده ذكر لوط في الذرية مع انه ليس من ذرية ابراهيم بل هو ابن هاران وهو أخو ابراهيم (قوله وأيوب) هو ابن أموص بن رازح بن عيص بن اسحق (قوله وموسى) هو ابن عمران بن يصهر بن لاوى بن يعقوب وقوله وهرون اى وهو اخو موسي وكان اسن منه بسنة (قوله نجزى المحسنين) اى المؤمنين اى فمن اتبعهم في الايمان الحق بهم ورفع الله درجاته (قوله يفيد ان الذرية الخ) اى لان عيسي لا أب له (قوله والياس ابن أخي هرون) وقيل هو ادريس فله اسمان وهو خلاف الصحيح لان ادريس احد أجداد نوح وليس من الذرية والياس بهمز أوله وتركه وهو بن ياسين بن فنحاص بن عيزار بن هرون بن عمران وهذا هو الصحيح فالصواب للمفسر حذف لفظة أخي (قوله واليسع) الجمهور على انه بلام واحدة ساكنة وفتح الياء وقرئ بلام مشددة وياء ساكنة وهو ابن اخطوب ابن العجوز (قوله ويونس) هو ابن متى وهي امه (قوله وكلا فضلنا على العالمين) اى على سائر الاولين والآخرين (قوله عطف على كلا) اى والعامل فيه فضلنا وقوله اونوحا اى والعامل فيه هديا والاقرب الاول (قوله ومن للتبعيض) هذا ظاهر في الآباء والابناء لا الاخوان فانهم كلهم مهديون (قوله لان بعضهم لم يكن له ولد الخ) هذا تعليل لكون من للتبعيض وقد خصه المفسر بالذرية ويقال مثله في الآباء والحاصل انه ذكر في هذه الآيات من الانبياء الذين يجب الايمان بهم تفصيلا ثمانية عشر وبقي سبعة وهم محمد صلى الله عليه وسلم وادريس وشعيب وصالح وهود وذو الكفل وآدم فتكون الجملة خمسة وعشرين مذكورين في القرآن يجب الايمان بهم تفصيلا وبقي ثلاثة مذكورون في القرآن واختلف في نبوتهم لقمان وذو القرنين والعزير من انكر وجودهم كفر ومن انكر نبوتهم لا يكفر (قوله الذى هدوا اليه) اى وهو التوحيد (قوله ولو اشركوا فرضا) اشار بذلك الى ان الشرك مستحيل عليهم فلو غير مقتضية للوقوع او هو خطاب لهم والمراد غيرهم (قوله أولئك) اى الانبياء المتقدمون وهم الثمانية عشر (قوله الحكمة) اى العلم النافع او المراد بالحكم الفصل بين الناس والقضاء بينهم (قوله فقد وكلنا) اى وفقنا واعددنا للقيام بحقوقها وهذا تعليل لجواب الشرط المحذوف تقديره فلا ضرر عليك لانا قد وكلنا الخ وفي هذه وعد من الله بنصره واظهار دينه (قوله ليسوا بها بكافرين) اى بل هم مستمرون على الايمان بها والمعنى لا تحزن يا محمد على كفر أهل مكة فان من كفر منهم وباله على نفسه وأما آيات الله فقد جعل لها اهلا يؤمنون بها ويعملون بها الى يوم القيامة (قوله من التوحيد الخ) دفع بذلك ما يقال ان هذه الآية تقتضي ان رسول الله تابع لغيره من الانبياء مع ان شرعه ناسخ لجميع الشرائع وان كلهم ملتمسون منه فاجاب بان الاقتداء في التوحيد والصبر على الاذى لا في فروع الدين (قوله وقفا ووصلا) اما الوقف فظاهر واما الوصل فاجراء له مجرى الوقف قال ابن مالك

وربما اعطي لفظ الوصل ما * للوقف نثرا وفشا منتظما

(قوله الانس والجن) اى ففي الآية دليل على عموم رسالته للعالمين الى يوم القيامة وقد احتج العلماء بهذه على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام وبيانه ان جميع خصال الكمال وصفات الشرف كانت متفرقة فيهم فكان نوح صاحب احتمال اذى على قومه وابراهيم صاحب كرم وبذل ومجاهدة في سبيل الله عز وجل واسحق ويعقوب وايوب اصحاب صبر على البلاء والمحن وداود وسليمان اصحاب شكر على النعم ويوسف جمع بين الصبر والشكر وموسى صاحب الشريعة الظاهرة والمعجزات الباهرة وزكريا ويحيي وعيسى والياس من اصحاب الزهد في الدنيا واسمعيل صاحب صدق الوعد ويونس صاحب تضرع واخبات ثم ان الله امر نبيه ان يقتدى بهم في

جميع تلك الخصال المحمودة المتفرقة فيهم فثبت بهذا انه أفضل الانبياء لما اجتمع فيه من هذه الخصال والله أعلم اه من الخازن لكن قد يقال ان المزية لا تقتضي الافضلية ولذا قال اشياخنا المحققون انه وان كان جامعا لجميع ما تفرق في غيره فتفضيله من الله لا بتلك المزايا فقد فاقهم فضلا ومزايا (تتمة) بين آدم ونوح الف ومائة سنة وعاش آدم تسعمائة وستين سنة وكان بين ادريس ونوح الف سنة وبعث نوح لاربعين سنة ومكث في قومه الف سنة الا خمسين وعاش بعد الطوفان ستين سنة وقيل بعث نوح وهو ابن ثلثمائة وخمس وخمسين وابراهيم ولد على رأس الفي سنة من آدم وبينه وبين نوح عشرة قرون وعاش ابراهيم مائة وخمسا وسبعين سنة وولده اسماعيل عاش مائة وثلاثين سنة وكان له حين مات أبوه تسع وثمانون سنة وأخوه اسحق ولد بعده باربع عشرة سنة وعاش مائة وثمانين سنة ويعقوب بن اسحق عاش مائة وسبعا وأربعين ويوسف بن يعقوب بن اسحق عاش مائة وعشرين سنة وبينه وبين موسى أربعمائة سنة وبين موسى وابراهيم خمسمائة وخمس وستون سنة وعاش موسى مائة وعشرين سنة وبين موسى وداود خمسمائة وتسع وتسعون سنة وعاش مائة سنة وولده سليمان عاش نيفا وخمسين سنة وبينه وبين مولد النبي صلى الله عليه وسلم نحو الف وسبعمائة سنة وأيوب عاش ثلاثا وستين سنة وكانت مدة بلائه سبع سنين انتهى من التحبير في علم التفسير للسيوطي (قوله وما قدروا الله حق قدره) استئناف مسوق لبيان أوصاف اليهود وقدر من باب نصر يقال قدر الشيء اذا سبره وحزره ليعرف مقداره والمعنى لم يعترفوا بقدر الله وهذا الكلام انما هو نزل مع اليهود والا فالخلائق لم يعظموا الله حق تعظيمه ولم يعرفوه حق معرفته واعلم أن هنا معنيين الاول أن معنى وما قدروا الله حق قدره أي ما عرفوه المعرفة التي تليق به وهذه لا يصل اليها أحد أبدا ففي الحديث سبحانك ما عرفناك حق معرفتك يا معروف لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وهذا منتف في حق كل مخلوق فلا خصوصية لليهود الثاني أن معنى وما قدروا الله حق قدره انهم لم يعظموه ولم يعرفوه على حسب ما أمروا به وهذا لم يقع من اليهود وانما هو واقع من المؤمنين وهذا هو المراد هنا (قوله اذ قالوا) اما ظرف لقدروا أو تعليل له (قوله وقد خاصموه في القرآن) أي كفنحاص بن عازوراء ومالك بن الصيف فقد جاء يخاصم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله تعالى يبغض الحبر السمين أي العالم الجسيم وكان مالك المذكور كذلك وكان فيها ما ذكر فقال نعم وكان يحب اخفاء ذلك لكن أقر لاقسام النبي عليه السلام فقال له النبي أنت حبر سمين فغضب وقال ما أنزل الله على بشر من شيء فقال اصحابه الذين معه ويحك ولا على موسى فقال والله ما أنزل الله على بشر من شيء فلما سمعت اليهود تلك المقالة غضبوا عليه وقالوا اليس الله انزل التوراة على موسى فلم قلت هذا قال أغضبني محمد فقلته فقالوا وأنت اذا غضبت تقول على الله غير الحق فعزلوه من الحبرية وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف (قوله نورا) حال اما من به والعامل فيها جاء أو من الكتاب والعامل فيه انزل ومعنى نورا بينا في نفسه وهدى مبينا لغيره وللناس متعلق بهدى (قوله يجعلونه) حال ثانية وجعل بمعنى صير فالهاء مفعول اول وقراطيس مفعول ثان على حذف مضاف اى ذا قراطيس او في قراطيس او بولغ فيه (قوله بالياء والتاء) فعلى التاء يكون خطابا لليهود وعلى الياء التفات من الخطاب للغيبة (قوله في المواضع الثلاثة) اى يجعلون ويبدون ويخفون (قوله مقطعة) اى مفصولا بعضها من بعض ليتمكنوا من اخفاء ما ارادوا اخفاءه (قوله ويخفون كثيرا) اى لم يظهروه بمعنى لم يكتبوه اصلا او كتبوه واخفوه عن ملوكهم وسفلتهم وجعلوا ذلك سرا بينهم (قوله كنعت محمد) اى وكآية الرجم وآية ان الله يبغض الحبر السمين (قوله وعلمتم) يحتمل ان الخطاب لليهود كما قال المفسر وتكون الجملة حالية والمعنى تبدونها وتخفون كثيرا والحال ان محمدا اعلمكم

(وما قدروا) اى اليهود (الله حق قدره) اى ما عظموه حق عظمته اوما عرفوه حق معرفته (اذ قالوا) للنبي صلى الله عليه وسلم وقد خاصموه في القرآن (ما انزل الله على بشر من شيء قل) لهم (من انزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس يجعلونه) بالياء والتاء في المواضع الثلاثة (قراطيس) اى يكتبونه في دفاتر مقطعة (يبدونها) اى ما يحبون ابداءه منها (ويخفون كثيرا) مما فيها كنعت محمد صلى الله عليه وسلم (وعلمتم) ايها اليهود في القرآن (ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم) من التوراة ببيان ما التبس عليكم واختلفتم فيه

في القرآن باشياء في التوراة مالم تكونوا تعلموها انتم ولا آباؤكم و يحتمل ان الخطاب لقريش وتكون
الجملة مستانفة معترضة بين السؤال والجواب (قوله قل الله) يحتمل انه مبتدأ خبره محذوف تقديره
انزله وعليه درج المفسر وهو الاولى لان السؤال جملة اسمية فيكون الجواب كذلك و يحتمل انه فاعل
بفعل محذوف تقديره انزله الله وقد صرح بالفعل في قوله تعالى ليقولن خلقهن العزيز العليم (قوله في
خوضهم) اما متعلق بذرهم او بيلعبون ومعنى يلعبون يستهزؤن و يسخرون (قوله وهذا كتاب)
مبتدأ وخبر وأنزلناه صفة اولى ومبارك صفة ثانية ومصدق الذي بين يديه صفة ثالثة (قوله القرآن)
لغة من القرء وهو الجمع واصطلاحا اللفظ المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم للاعجاز باقصر
سورة منه المتعبد بتلاوته وهذا رد عليهم حيث قالوا ما انزل الله على بشر من شيء (قوله مبارك) اى كله
خير لمن آمن به وشر على من كفر به ومن بركته بقاء الدنيا ونبات الارض وامطار السماء ولذا اذا رفع
القرآن تاتي ريح لينة فيموت بها كل مؤمن و يبقى الكفار فبقاء الخير في الارض مدة بقاء القرآن فيها
(قوله مصدق الذي بين يديه) اى موافق للكتب التي قبله في التوحيد والتنزيه والمعنى انه دال على صدقها
وانها من عند الله (قوله بالتاء والياء) اى فهما قراءتان سبعيتان فعلى التاء يكون خطابا للنبي وعلى الياء
يكون الضمير عائدا على القرآن (قوله اى انزلناه للبركة) هذه العلة ماخوذة من الوصف بالمشتق لان تعليق
الحكم به يؤذن بالعلية (قوله اى اهل مكة) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف اى اهل ام
القرى وهي مكة (قوله وسائر الناس) اشار بذلك الى انه ليس المراد بمن حولها ما قارب بها من البلاد بل
المراد جميع البلاد لان مكة وسط الدنيا واقتصر على الانذار لانه هو الموجود في صدر الاسلام اذ ليس ثم
مؤمن ببشر (قوله والذين) مبتدأ و يؤمنون صلته وبالآخرة متعلق بيؤمنون وقوله يؤمنون به خبره ولم يتحد
المبتدأ والخبر لتغاير متعلقيهما والمعنى والذين يؤمنون بالآخرة ايمانا معتدا به محصورون في الذي يؤمن
بالقرآن فخرجت اليهود فلا يعتد بايمانهم بالآخرة لعدم ايمانهم بالقرآن (قوله وهم على صلاتهم
يحافظون) جملة حالية من فاعل يؤمنون وخص الصلاة بالذكر لانها اشرف العبادات (قوله خوفا من
عقابها) اى الآخرة (قوله ومن اظلم) من اسم استفهام مبتدأ واظلم خبره وكذبا تمييز واشار بقوله اى لا
أحد الى ان الاستفهام انكاري بمعنى النفي (قوله اوقال اوحي الي) او للتنويع والعطف مغاير وليس من
عطف الخاص على العام ولا من عطف التفسير لان ذلك لا يكون باو (قوله ولم يوح اليه شيء) اى من قبل
الله بل استهوته الشياطين وسلب الله عقله وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة حيث قال لما
نزلت سورة الكوثر انزلت على سورة مثلها انا اعطيناك العقعق فصل لربك وازعق ان شانئك هو الابلق
وغير ذلك من الخرافات التي قالها مسيلمة الكذاب فان الآية نزلت فيه كما قال المفسر وقد ورد انه ارسل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا مع رسولين يذكر فيه من عند مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله
اما بعد فان الارض بيننا نصفين فلما وصله الكتاب قال للرسولين اتشهدان انه بالرسالة فقالا نعم فقال
رسول الله لولا ان الرسل لا تقتل لضربت اعناقكما وكتب له من عند محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب
اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين (قوله ومن من قال) قدره المفسر
اشارة الى انه معطوف على المجرور بمن (قوله وهم المستهزؤن) اى كعقبة بن أبي معيط وابي جهل
واضرابهما وما ذكره المفسر هو المشهور وقيل نزلت في عبد الله بن ابي سرح كان من كتبة الوحي ثم ارتد
وقال سانزل مثل ما انزل الله ثم رجع للاسلام فاسلم قبل فتح مكة والنبي صلى الله عليه وسلم نازل بمر
الظهران وقد دخل في حكم هذه الآية كل من افترى على الله كذبا في اى زمان الى يوم القيامة (قوله ولو
ترى) لو حرف شرط وجوابها محذوف قدره المفسر فيما ياتي بقوله لرأيت امرا فظيعا وترى

(قل الله) انزله ان لم يقولوه
لا جواب غيره (ثم ذرهم في
خوضهم) باطلهم (يلعبون
وهذا) القرآن (كتاب
انزلناه مبارك مصدق
الذي بين يديه) قبله من
الكتب (ولتنذر) بالتاء
والياء عطف على معنى ما
قبله اى انزلناه للبركة
والتصديق ولتنذر به (ام
القرى ومن حولها) اى
اهل مكة وسائر الناس
(والذين يؤمنون بالآخرة
يؤمنون به وهم على
صلاتهم يحافظون) خوفا
من عقابها (ومن) اى لا
أحد (اظلم ممن افترى على
الله كذبا) بادعاء النبوة ولم
ينبأ (اوقال اوحي الي
ولم يوح اليه شيء) نزلت
في مسيلمة (و) من (من قال
سانزل مثل ما انزل الله)
وهم المستهزؤن قالوا لو نشاء
لقلنا مثل هذا (ولو ترى)
يا محمد (اذ الظالمون)

بصر ية ومفعولها محذوف تقديره الظالمين واذ ظرف لترى والتقدير ولو ترى الظالمين وقت كونهم فى غمرات الموت الخ (قوله المذكورون) أى مسيلمة الكذاب والمستهزؤن والاحسن ان يراد ماهو أعم (قوله فى غمرات) جمع غمرة من الغمر وهو الستر يقال غمره الماء اذا ستره سميت السكرة بذلك لانها تستر العقل وتدهشه (قوله والملائكة باسطوا أيديهم) تقدم ان الكافر موكل به سبع من الملائكة يعذبونه عند خروج روحه لان الكافر يكره لقاء الله فتابى روحه الخروج فيخرجونها كرها ان قلت ان المؤمن يكره الموت أيضا اجيب بان المؤمن وان احب الحياة وكره الموت لكن ذلك قبل احتضاره ومعاينته ما اعد الله له من النعيم الدائم وأما اذا شاهد ذلك هانت عليه الدنيا واحب الموت ولقاء الله واما الكافر فعند خروج روحه حين يشاهد ما أعد له من العذاب الدائم يزداد كراهة فى الموت وعلى ذلك يحمل ماورد من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه (قوله يقولون لهم تعنيفا) اى لان الانسان لا يقدر على اخراج روحه وانما ذلك لاجل تعنيفهم ويحتمل ان معنى اخرجوا أنفسكم نحوها من العذاب الذى حل بكم تهكما بهم (قوله اليوم) ظرف لقوله تجزون فالوقف تم على قوله أنفسكم وأل فى اليوم للعهد اى اليوم المعهود وهو يوم خروج أرواحهم ويحتمل ان المراد باليوم يوم القيامة والاحسن ان يراد ماهو أعم (قوله الهوان) اى الذل والصغار لا عذاب التطهير كما يقع لبعض عصاة المؤمنين لان كل عذاب يعقبه عفو فلا يقال له هون وانما يقال لعذاب الكافر (قوله بما كنتم) الباء سببية وما مصدرية اى بسبب كونكم تقولون الخ (قوله بدعوى النبوة الخ) هذا راجع لقوله ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحى الى ولم يوح اليه شئ (قوله وكنتم عن آياته تستكبرون) اى وبسبب كونكم تستكبرون عن آياته فالجار والمجرور متعلق بتستكبرون وهو راجع لقوله ومن قال سانزل مثل ما انزل الله ففيه لف ونشر مرتب وهذا باعتبار سبب النزول والا فكل كافر يقال له ذلك عند الموت (قوله ويقال لهم) اختلف فى تعيين القائل فقيل الله سبحانه وقيل الملائكة ترجمانا عن الله وهذا مرتب على الخلاف هل الله يكلمهم اولا (قوله فرادى) جمع فرد او فريد او فردان بمعنى منفردين خالين عن الدنيا ومتاعها (قوله حفاة عراة) اى وذلك عند الحساب فلا ينافى انهم يخرجون من القبور بالاكفان فاذا حشروا ودنت الشمس من الرؤس تطايرت الاكفان (قوله غرلا) بضم الغين المعجمة وسكون الراء المهملة جمع أغرل كحمر جمع احمر اى غير مقطوعين القلفة (قوله وتركتم ماخولناكم) الجملة حالية من فاعل جئتمونا وقوله وراء ظهوركم متعلق بتركتم (قوله اى فى استحقاق عبادتكم) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضافين (قوله بينكم) على قراءة الرفع هو فاعل تقطع والبين بمعنى الوصل وهو المراد هنا ويطلق ويراد منه البعد من باب تسمية الاضداد (قوله وفى قراءة بالنصب) اى وهى سبعية أيضا والفاعل على هذه القراءة ضمير يعود على الوصل المفهوم من قوله شفعاءكم وشركاء لان بين الشفيع والمشفوع له اتصال وبينكم ظرف له والتقدير تقطع الوصل فيما بينكم فقول المفسر أى وصلكم تفسير للضمير المستتر (قوله ما كنتم تزعمون) ما اسم موصول فاعل ضل وكنتم تزعمون صلته والعائد محذوف تقديره وضل عنكم الذى كنتم تزعمونه شفيعا ونافعا (قوله ان الله فالق الحب) لما تقدم ذكر التوحيد وما يتعلق به اتبعه بذكر ما يدل على ذلك والمراد بالحب ما لا نوى له يرمى كالقمح والشعير والفول وبالنوى ضد الحب كالرطب والمشمش والنبق فانحصر ما يخرج من الارض فى هذين النوعين واضافة فالق للحب يحتمل انها محضة ففالق بمعنى فلق فهو بمعنى الصفة المشبهة وهو الاقرب ويحتمل انها لفظية والمراد فالق فى الحال والاستقبال (قوله شاق) فسر الفلق بالشق لانه المشهور فى اللغة ولانه اقرب عبرة واكثر فائدة وقال ابن عباس ان فالق بمعنى خالق

المذكورون (فى غمرات) سكرات (الموت والملائكة باسطوا أيديهم) اليهم بالضرب والتعذيب يقولون لهم تعنيفا (أخرجوا انفسكم) الينا لنقبضها (اليوم تجزون عذاب الهون) الهوان (بما كنتم تقولون على الله غير الحق) بدعوى النبوة والايحاء كذبا (وكنتم عن آياته تستكبرون) تتكبرون عن الايمان بها وجواب لو لرايت امرا فظيعا (و) يقال لهم اذا بعثوا (لقد جئتمونا فرادى) منفردين عن الاهل والمال والولد (كما خلقناكم اول مرة) اى حفاة عراة غرلا (وتركتم ماخولناكم) اعطيناكم من الاموال (وراء ظهوركم) فى الدنيا بغير اختياركم (و) يقال لهم توبيخا (ما نرى معكم شفعاءكم) الاصنام (الذين زعمتم انهم فيكم) اى فى استحقاق عبادتكم (شركاء) لله (لقد تقطع بينكم) وصلكم اى تشتت جمعكم وفى قراءة بالنصب ظرف اى وصلكم بينكم (وضل) ذهب (عنكم ما كنتم تزعمون) فى الدنيا من شفاعتها (ان الله فالق) شاق (الحب) عن النبات (والنوى)

عن النخل (يخرج الحى من الميت) كالانسان والطائر من النطفة والبيضة (ومخرج الميت) النطفة والبيضة (من الحى ذلكم) الفالق المخرج (الله فانى تؤفكون) فكيف تصرفون عن الايمان مع قيام البرهان (فالق الاصباح) مصدر بمعنى الصبح اى شاق عمود الصبح وهو اول ما يبدو من نور النهار عن ظلمة الليل (وجاعل الليل سكنا) تسكن فيه الخلق من التعب (والشمس والقمر) بالنصب عطفا على محل الليل (حسبانا) حسابا للاوقات او الباء محذوفة وهو حال من مقدر اى يجريان بحسبان كما فى آية الرحمن (ذلك) المذكور (تقدير العزيز) فى ملكه (العليم) بخلقه (وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر) فى الاسفار (قد فصلنا) بينا (الآيات) الدلالات على قدرتنا (لقوم يعلمون) يتدبرون (وهو الذى انشاكم) خلقكم (من نفس واحدة) هى آدم (فمستقر) منكم فى الرحم (ومستودع) منكم فى الصلب وفى قراءة بفتح القاف أى مكان قرار لكم (قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون) ما يقال لهم

(قوله عن النخل) مراده به كل ماله نوى (قوله يخرج الحى من الميت) يحتمل انه خبر ثان لان ويحتمل انه كلام مستانف كالعلة لما قبله والمراد بالحى كل ما ينمو كان ذا روح اولا كالحيوان والنبات وبالميت ما لا ينمو كان اصله ذا روح أم لا كالنطفة والحبة فتسمية النبات حيا مجاز بجامع قبول الزيادة فى كل (قوله من النطفة والبيضة) لف ونشر مرتب وادخلت الكاف جميع ما يخرج من النطفة والبيضة فجميع الحيوانات لا تخلو عن هذين الشيئين فجميع الطيور من البيض وما عداها من النطفة (قوله ومخرج الميت من الحى) انما عبر باسم الفاعل مع العطف اشارة الى انه كلام آخر معطوف على فالق وليس بيانا له والالاتى بالفعل (قوله من الحى) اى كالانسان والطائر ويشمل عموم هذه الآية المسلم والكافر فيخرج الحى كالمسلم من الميت كالكافر وبالعكس (قوله ذلكم الله) اتى بذلك وان علم من قوله ان الله فالق لاجل الرد على من كفر بقوله فانى تؤفكون (قوله فكيف تصرفون عن الايمان) أى لا وجه لصرفكم عن الايمان بالله مع اعترافكم بانه الخالق لجميع الاشياء فهو استفهام انكارى بمعنى النفى (قوله مصدر) أى لا صبح بمعنى الدخول فى الصباح وليس مرادا بل المراد الصبح نفسه فلذا فسره به حيث اطلق المصدر وهو الاصباح واراد أثره وهو الصبح والاصباح بكسر الهمزة وقرئ شذوذا بفتحها وعليه يكون جمع صبح نحو قفل واقفال وبردوا براد وظاهر الآية مشكل لان الانفلاق يكون للظلمة لا للصبح واجيب بان الكلام على حذف مضاف والاصل فالق ظلمة الاصباح بمعنى الصبح او يراد فالق الاصباح بمعنى عمود الصبح وهو الفجر الكاذب عن ظلمة الليل ثم يعقبه الفجر الصادق فهو فالق الاصباح الاول عن ظلمة آخر الليل وعن بياض النهار ايضا ويفيد هذا المفسر او يفسر فالق بخالق وسماه فلقا مشاكلة لما قبله وكل صحيح (قوله وهو أول ما يبدو من النهار) اى وهو الفجر الكاذب (قوله عن ظلمة الليل) متعلق بشاق (قوله سكنا) اى محل سكون واستراحة (قوله يسكن فيه الخلق) اى جميعها حتى الهوام والمياه (قوله عطفا على محل الليل) اى وهو النصب وحسبانا معطوف على سكنا ففيه العطف على معمولى عامل واحد وهو جاعل والتقدير وجاعل الشمس والقمر حسبانا وذلك جائز باتفاق (قوله حسبانا) مصدر حسب وكذا الحسبان بكسر الحاء والحساب فله ثلاثة مصادر (قوله حسابا للاوقات) اى ضبطا لها اى علامة ضبط لكن الشمس يتم دورانها فى سنة والقمر فى شهر وذلك لنفع العباد دنيا ودينا قال تعالى هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب (قوله او الباء محذوفة) اى فهو منصوب بنزع الخافض (قوله وهو حال من مقدر) لو قال متعلق بمقدر لكان احسن لانك اذا تاملت تجد المحذوف هو الحال على ان جاعل بمعنى خالق واما ان جعل بمعنى مصير فهو مفعول ثان وهو اشارة لتقدير ثان فى الآية (قوله العزيز) أى الغالب على أمره (قوله العليم) أى ذو العلم التام (قوله وهو الذى جعل) أى خلق ولكم متعلق بجعل ولتهتدوا بدل من لكم بدل اشتمال فلم يلزم عليه تعلق حرفى جر متحدى اللفظ والمعنى بعامل واحد ونظيره قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة فلبيوتهم بدل من لمن يكفر باعادة العامل (قوله انشاكم) انما عبر به لموافقة ما ياتى فى قوله وانشانا من بعدهم وقوله وهو الذى انشا جنات (قوله هى آدم) اى فكل افراد النوع الانسانى منه (قوله فمستقر) بالكسر اسم فاعل وصف والمعنى منكم من استقر فى الرحم وعبر فى جانبه بالاستقرار لان زمن بقاء النطفة فى الرحم اكثر من زمن بقائها فى الصلب (قوله وفى قراءة بفتح القاف) اى واما مستودع فليس فيه الا فتح الدال لكن على قراءة الكسر يكون معنى مستودع شئ مودوع وهو النطفة وعلى الفتح مكان استيداع وهو الصلب (قوله يفقهون) أى يفهمون الاسرار والدقائق وعبر هنا بيفقهون اشارة الى ان أطوار الانسان وما احتوى

عليه

عليه الانسان امر خفى تتحير فيه الالباب بخلاف النجوم فامرها ظاهر مشاهد فعبر فيها بيعلمون (قوله وهو الذى انزل من السماء ماء) لما امتن سبحانه وتعالى على عباده اولا بالايجاد حيث قال وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة امتن ثانيا بانزال الماء الذى به حياة كل شيء ونفعه وهو الرزق المشار اليه بقوله تعالى وفى السماء رزقكم (قوله فيه التفات) اى ونكتته الاعتناء بشان ذلك المخرج اشارة الى ان نعمه عظيمة (قوله به) الباء للسببية (قوله فاخرجنا) بيان لما اجمل اولا (قوله خضرا) يقال خضر الشيء فهو خضر واخضر كعور فهو عور واعور وقدر المفسر شيئا اشارة الى ان خضرا صفة لموصوف محذوف (قوله ومن النخل) شروع فى تفصيل حال الشجر بعد ذكر عموم النبات لمزيد الرغبة فيه (قوله ويبدل منه) اى بدل بعض من كل (قوله اول ما يخرج منها) اى قبل انفلاق الكيزان عنه فاذا انفلقت عنه سمى عذقا (قوله قنوان) جمع قنو كصنو وصنوان وهذا الجمع يلتبس بالمثنى حالة الوقف ويتميز المثنى بكسر نونه والجمع بتوارد حركات الاعراب عليه وبالاضافة فتحذف نون المثنى دون الجمع فتقول هذان قنواك وفى الجمع هذه قنوانك وبالنسب فاذا نسبت الى المثنى رددته الى المفرد فقلت قنوى واذا نسبت الى الجمع ابقيته على حاله فقلت قنوانى (قوله عراجين) جمع عرجون قيل هى الشماريخ وقيل هى السبائط ولا شك ان الشماريخ قريب بعضها من بعض والسبائط كذلك واعلم ان اطوار النخل سبع كالانسان يجمعها قولك طاب زبرت فاولها الطلع ثم الاغريض ثم البلح ثم الزهو ثم البسر ثم الرطب ثم التمر وفى الحديث اكرموا عمتكم النخلة ولهذه الامور قدم على ما بعده (قوله وجنات) معطوف على نبات من عطف الخاص على العام والنكتة مزيد الشرف لكونها من اعظم النعم وكذا قوله الزيتون والرمان معطوفان على النبات ويكون قوله ومن النخل الخ معترضا بين المعطوف والمعطوف عليه اعتناء بشان النخل لعظم منته ويصح عطف جنات على خضرا وهذا على قراءة الجمهور وقرئ شذوذا برفع جنات والزيتون والرمان وخرج على انه مبتدأ والخبر محذوف تقديره ومن الكرم جنات (قوله مشتبها) يقال مشتبه ومتشابه بمعنى (قوله نظر اعتبار) اى تفكر فى مصنوعاته لتعلموا ان ربكم هو القادر المريد لما يشاء فتفردوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئا (قوله وهو جمع ثمرة) اى المفتوح والمضموم وقوله كشجرة وشجر راجع المفتوح وقوله وخشبة وخشب راجع المضموم فهو لف ونشر مرتب (قوله وينعه) مصدر ينع بكسر النون ينع بفتحها كتعب يتعب ويصح العكس وقرئ بضم الياء والمعنى تفكروا وتاملوا ابتداء الثمر حيث يكون بعضه مرا وبعضه ملحا لا ينفع شيء منه وانتهاؤه اذا نضج فانه يعود حلوا تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل (قوله ان فى ذلكم) الاشارة الى جميع ما تقدم من قوله ان الله فالق الحب والنوى الى هنا (قوله لانهم المنتفعون بها) اشار بذلك الى ان ظهور الادلة لا تفيد ولا تنفع الا اذا كان العبد مؤمنا واما من سبق له الكفر فلا تنفعه الآيات ولا يهتدى بها (قوله وجعلوا) الضمير لعبدة الاصنام وهذا اشارة الى انهم قابلوا نعم الله العظيمة بالاشراك (قوله مفعول ثان) هذه طريقة فى الاعراب وهناك طريقة اخرى وهى ان لله متعلق بمحذوف حال والجن مفعول اول مؤخر وشركاء مفعول ثان مقدم (قوله الجن) قيل المراد بهم الشياطين والى هذا يشير المفسر بقوله حيث اطاعوهم الخ وقيل المراد بهم نوع من الملائكة كانوا يعبدونهم لاعتقادهم انهم بنات الله (قوله وخلقهم) الضمير يصح ان يكون عائدا على الجن وعليه المفسر ويصح ان يعود على الجميع والجملة حال من الجن ولذا قدر المفسر قد (قوله وخرقوا) الضمير عائد على اليهود والنصارى ومشركى العرب فاليهود والنصارى نسبوا لله البنين ومشركو العرب نسبوا لله البنات فالكلام على التوزيع (قوله اختلقوا) يقال اختلق وخلق

(وهو الذى انزل من السماء ماء فاخرجنا) فيه التفات عن الغيبة (به) بالماء (نبات كل شيء) ينبت (فاخرجنا منه) اى النبات شيئا (خضرا) بمعنى اخضر (نخرج منه) من الخضر (حبا متراكبا) يركب بعضه بعضا كسنابل الحنطة ونحوها (ومن النخل) خبر ويبدل منه (من طلعها) اول ما يخرج منها والمبتدا (قنوان) عراجين (دانية) قريب بعضها من بعض (و) اخرجنا به (جنات) بساتين (من اعناب والزيتون والرمان مشتبها) ورقهما حال (وغير متشابه) ثمرهما (انظروا) يا مخاطبين نظر اعتبار (الى ثمره) بفتح الثاء والميم وبضمهما وهو جمع ثمرة كشجرة وشجر وخشبة وخشب (اذا اثمر) اول ما يبدو كيف هو (و) الى (ينعه) نضجه اذا ادرك كيف يعود (ان فى ذلكم لآيات) دلالات على قدرته تعالى على البعث وغيره (لقوم يؤمنون) خصوا بالذكر لانهم المنتفعون بها فى الايمان بخلاف الكافرين (وجعلوا لله) مفعول ثان (شركاء) مفعول اول ويبدل منه (الجن) حيث اطاعوهم فى عبادة الاوثان (و) قد (خلقهم) فكيف يكونون شركاءه (وخرقوا) بالتخفيف والتشديد اى اختلقوا (له بنين وبنات بغير علم)

وخرق وافترى وافتعل وخرص بمعنى كذب وقرئ شذوذا بالحاء المهملة والفاء من التحريف وهو التزوير لان المحرف مزور ومغير للحق بالباطل (قوله حيث قالوا عزير ابن الله) كان عليه ان يقول والمسيح ابن الله ليكون قد جمع مقالة الفرق الثلاثة فاليهود قالوا عزير ابن الله والنصارى قالوا المسيح ابن الله والمشركون قالوا الملائكة بنات الله (قوله بديع السموات) خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هو (قوله أنى يكون له ولد) أنى منصوبة على التشبيه بالحال وله خبر يكون مقدم وولد اسمها مؤخر و يصح ان تكون تامة و ولد فاعلها والمعنى كيف يوجد له ولد والحال انه لم تكن له صاحبة مع كونه الخالق لكل شئ (قوله من شانه ان يخلق) دفع بذلك ما يقال ان من جملة الشيء ذاته وصفاته فيقتضى أنها مخلوقة مع ان ذلك مستحيل فاجاب المفسر بان ذلك عام مخصوص بما من شانه ان يخلق وهو ما عدا ذاته وصفاته (قوله ذلكم) مبتدأ والله خبر أول وربكم خبر ثان ولا اله الا هو خبر ثالث وخالق كل شيء خبر رابع وقوله فاعبدوه مفرع على ما ذكر من هذه الاوصاف فالمعنى ان المتصف بالالوهية الخالق لكل شئ هو أحق بالعبادة وحده فقوله خالق كل شئ توطئة لقوله فاعبدوه واما قوله وخلق كل شيء فهو رد لما زعموه من الولد له سبحانه وتعالى (قوله وهو على كل شيء وكيل) أى متصرف فى خلقه ومتولى أمورهم فالواجب قصر العبادة عليه وتفويض الامور اليه (قوله لا تدركه الابصار) جمع بصر وهو حاسة النظر اى القوة الباصرة و يطلق على العين نفسها من اطلاق الحال وارادة المحل (قوله وهذا مخصوص) اى نفى الرؤية عام مخصوص برؤية المؤمنين ربهم فى الآخرة لان الفعل اذا دخل عليه النفى يكون من قبيل العام (قوله لرؤية المؤمنين) علة لقوله مخصوص وقوله لقوله تعالى علة للعلة (قوله ناضرة) أى قامت بها النضارة وهى البهجة والحسن وقوله ناظرة أى باصرة للذات المقدس (قوله ليلة البدر) اى ليلة أربعة عشر (قوله وقيل المراد الخ) أى وعلى هذا فالنفى باق على عمومه فلا يحيط به بصر أحد أبدا لا فى الدنيا ولا فى الآخرة فلا ينافى ان المؤمنين يرونه فى الآخرة لكن بلا كيف ولا انحصار لوجود أدلة عقلية ونقلية أما النقلية فالكتاب والسنة والاجماع والعقلية منها ان الله علق رؤيته على استقرار الجبل وهو جائز والمعلق على الجائز جائز ومنها لو كانت الرؤية ممتنعة لما سالها موسى عليه السلام اذ لا يجوز على النبي سؤال المحال اذ هو جهل و يستحيل على النبي الجهل ومنها ان يقال الله موجود فكل موجود يصح ان يرى فالله يصح ان يرى خلافا للمعتزلة والمرجئة والخوارج حيث أحالوا الرؤية مستدلين بظاهر هذه الآية و بقولهم ان الرؤية تستلزم المقابلة واتصال أشعة بصر الرائى بالمرئى فيلزم ان يكون المرئى جسما وتعالى الله عن الجسمية ورد كلامهم بما علمت وبان هذا التلازم عادى لا عقلى و يجوز تخلف العادة (قوله لا تحيط به) اى لا تبلغ كنه حقيقة ذاته وصفاته أبصار ولا بصائر (قوله وهو يدرك الابصار) فيه تفسيران أيضا الاول يراها الثانى يحيط بها على أسلوب ما تقدم (قوله ولا يجوز فى غيره الخ) اى لان رؤية كل منهما لصاحبه غير مستحيلة وما جاز على احد المثلين يجوز على الآخر (قوله او يحيط بها علما) هذا هو التفسير الثانى (قوله وهو اللطيف) من لطف بمعنى احتجب فلا يحيط به بصر ولا بصيرة فهو راجع لقوله لا تدركه الابصار وقوله الخبير راجع لقوله وهو يدرك الابصار فهو لف ونشر مرتب وهذا هو المناسب هنا فقول المفسر باوليائه يقتضى ان معنى اللطيف الرؤف المحسن وهو وان كان مناسبا فى نفسه الا انه غير ملائم هنا فتحصل مما تقدم ان الرؤية بالبصر فى الآخرة للمؤمنين وقع فيها خلاف بين المعتزلة واهل السنة وتقدم ان الحق مذهب اهل السنة واما رؤية قلوب العارفين له فى الدنيا بمعنى شهود القلب له فى كل شيء فهو جائز بل هو مطلبهم وغاية مقصودهم ومناهم قال العارف

حيث قالوا عزير ابن الله والملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيها له (وتعالى عما يصفون) بان له ولدا هو (بديع السموات والارض) مبدعهما من غير مثال سبق (أنى) كيف (يكون له ولد ولم تكن له صاحبة) زوجة (وخلق كل شئ) من شانه ان يخلق (وهو بكل شئ عليم ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ فاعبدوه) وحدوه (وهو على كل شئ وكيل) حفيظ (لا تدركه الابصار) أى لا تراه وهذا مخصوص لرؤية المؤمنين له فى الآخرة لقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وحديث الشيخين انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر وقيل المراد لا تحيط به (وهو يدرك الابصار) اى يراها ولا تراه ولا يجوز فى غيره أن يدرك البصر وهو لا يدركه او يحيط به علما (وهو اللطيف) باوليائه (الخبير) بهم قل يا محمد لهم (قد جاءكم

أ لنا مع الاحباب رؤ يتك التى * اليها قلوب الاولياء تسارع

وكذا رؤياه فى المنام (قوله بصائر) جمع بصيرة وهى النور الباطنى الذى ينشأ عنه العلوم والمعارف (قوله حجج) جمع حجة وهى الادلة وسميت الحجج بصائر لانها تنشأ عنها من باب تسمية المسبب باسم السبب (قوله فمن أبصرها) قدر المفسر الضمير اشارة الى أن المفعول محذوف (قوله فلنفسه أبصر) قدر المفسر متعلق الجار والمجرور فعلا ماضيا مؤخرا وهو غير مناسب للزوم زيادة الفاء بل المناسب تقديره اسما مبتدأ والجار والمجرور خبره والتقدير فابصاره لنفسه وكذا يقال فى قوله ومن عمى فعليها (قوله لان ثواب ابصاره) أى نفعه له فلا يعود على الله من الطاعة نفع ولا يصل له من المعصية ضر (قوله ومن عمى عنها) اى عن البصائر بمعنى الحجج (قوله وكذلك نصرف الآيات) الكاف فى محل نصب نعت لمصدر محذوف تقديره نصرف الآيات فى غير هذه السورة تصريفا مثل التصريف فى هذه السورة (قوله كما بينا ماذكر) اى الاحكام المذكورة (قوله نبين الآيات) هذا وعد من الله باكمال الدين واظهاره فلذا كان نزول قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم من مبشرات الوفاة لرسول الله (قوله ليعتبروا) اى لتقوم بهم العبرة اى الاتعاظ فيميزوا الحق من الباطل وقدره المفسر لعطف قوله وليقولوا عليه (قوله فى عاقبة الامر) أشار بذلك الى أن اللام فى وليقولوا لام العاقبة والصيرورة نظير قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقيل ان اللام للعلة حقيقة والمعنى نصرف الآيات ليعتبر الذين آمنوا ويزدادوا بها ايمانا وليقول الذين كفروا درست ليزدادوا كفرا ونظيره قوله تعالى فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم (قوله دارست) كفاعلت من المدارسة والمعنى تذاكرت مع أهل الكتاب فتعلمت منهم تلك القصص (قوله وفى قراءة درست) اى قرأت الكتب وبقى قراءة ثالثة سبعية أيضا وهى درست بفتح الدال والراء والسين اى عفت وبليت وتكررت على الاسماع (قوله وجئت بهذا منها) راجع لكل من القراءتين (قوله ولنبينه) اى الآيات وذكر باعتبار معناها وهو القرآن (قوله اتبع ما أوحى اليك) لما ذكر الله سبحانه وتعالى قبائح المشركين وتكذيبهم لرسول الله أخذ يسلى رسوله بقوله اتبع أى دم على ذلك ولا تبال بكفرهم ولا تلتفت لقولهم وما اسم موصول والعائد محذوف ونائب فاعل أوحى ضمير مستتر عائد على ما واليك متعلق باوحى ومن ربك متعلق بمحذوف حال ومن لابتداء الغاية والتقدير اتبع الذى أوحى اليك هو اى القرآن حال كونه ناشئا وصادرا من ربك ويصح ان تكون مصدرية ونائب الفاعل هو الجار والمجرور والتقدير اتبع الايحاء الجائى اليك من ربك (قوله لا اله الا هو) جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه لتأكيد التوحيد (قوله واعرض عن المشركين) اى لا تتعرض لهم ولا تقاتلهم وهذا على انها منسوخة كما يأتى للمفسر وقيل ان الآية محكمة والمعنى لا تلتفت الى رأيهم ولا تغتظ من أقوالهم واشراكهم لان ذلك بمشيئة الله ومثل ذلك يقال اذا أجمع خلق على ضلالة لا يستطاع ردها ففى الحديث اذا رأيتم الامر لا تستطيعون رده فاصبروا حتى يكون الله هو الذى يغيره (قوله ولو شاء الله) مفعول شاء محذوف تقديره عدم اشراكهم (قوله وما أنت عليهم بوكيل) تأكيد لما قبله أى لست حفيظا مراقبا لهم فتجبرهم على الايمان (قوله وهذا قبل الامر بالقتال) أشار بذلك الى ان الآية منسوخة واسم الاشارة عائد على قوله واعرض عن المشركين الخ (قوله ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله) سبب نزولها انه لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم كثر سب المسلمين للاصنام فتحزب المشركون على كونهم يسبون الله نظير سب المسلمين لاصنامهم فنزلت الآية وقيل ان أبا طالب حضرته الوفاة فقالت قريش انطلقوا بنا لندخل على

بصائر) حجج (من ربكم فمن ابصر)ها فآمن (فلنفسه) ابصر لان ثواب ابصاره له (ومن عمى) عنها فضل (فعليها) وبال اضلاله (وما انا عليكم بحفيظ) رقيب لاعمالكم انما انا نذير (وكذلك) كما بينا ماذكر (نصرف) نبين (الآيات) ليعتبروا (وليقولوا) اى الكفار فى عاقبة الامر (دارست) ذاكرت اهل الكتاب وفى قراءة درست اى كتب الماضين وجئت بهذا منها (ولنبينه لقوم يعلمون اتبع ما أوحى اليك من ربك) اى القرآن (لا اله الا هو وأعرض عن المشركين ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا) رقيبا فتجازيهم باعمالهم (وما أنت عليهم بوكيل) فتجبرهم على الايمان وهذا قبل الامر بالقتال (ولا تسبوا

هذا الرجل فلنامره ان ينهى عنا ابن اخيه فانا نستحي ان نقتله بعد موته فتقول العرب كان عمه يمنعه فلما مات قتلوه فانطلق ابو سفيان وابو جهل والنضر بن الحرث وأمية وابي ابنا خلف وعقبة بن ابي معيط وعمرو بن العاص والاسود بن ابي البحتري الى ابي طالب فقالوا يا أباطالب انت كبيرنا وسيدنا وان محمدا قد آذانا وآذى آلهتنا فنحب ان تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا وندعه والهه فدعاه فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ابوطالب ان هؤلاء قومك وبنو عمك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومايريدون قالوا نريد ان تدعنا وآلهتنا وندعك والهك فقال له ابوطالب قد انصفك قومك فاقبل منهم فقال النبي ارأيتم ان اعطيتكم هذا فهل انتم معطي كلمة ان تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم العجم وادت لكم لكم الخراج قال ابوجهل نعم وابيك لنعطينكها وعشرة أمثالها فما هي فقال قولوا لا اله الا الله فابوا ونفروا فقال ابوطالب قل غيرها يا ابن اخي فقال يا عم ما انا بالذي اقول غيرها ولو اتوني بالشمس فوضعوها في يدي ماقلت غيرها فقالوا لتكفن عن شتمك آلهتنا او لنسبن من يامرك فنزلت (قوله الذين يدعون) اى يعبدون وقدر المفسر الضمير اشارة الى ان مفعول تدعون محذوف (قوله فيسبوا الله) اى فيترتب على ذلك سب الله فسب الاصنام وان كان جائزا الا انه عرض له النهي بسبب ما ترتب عليه من سب الله ففي الحقيقة النهي عن سب الله (قوله اعتداء) اشار بذلك الى ان عدوا مصدر ويصح ان يكون حالا مؤكدة لان السب لا يكون الا عدوانا (قوله اى جهلا منهم بالله) اى بما يجب في حقه (قوله كذلك زينا) نعت لمصدر محذوف اى زينا لهؤلاء أعمالهم تزيينا مثل تزيينا لكل امة عملهم (قوله من الخير والشر) اشار بذلك الى ان الآية رد على المعتزلة الزاعمين ان الله لا يريد الشرور ولا القبائح (قوله ثم الى ربهم مرجعهم) مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله فاتوه (قوله واقسموا) اى حلفوا (قوله غاية اجتهادهم) اى لانهم كانوا يحلفون بآبائهم وآلهتهم فاذا ارادوا تغليظ اليمين حلفوا بالله (قوله لئن جاءتهم آية) حكاية عنهم والا فلفظهم لئن جاءتنا آية (قوله مما اقترحوا) اى طلبوا وذلك ان قريشا قالوا يا محمد انك تخبرنا ان موسى كان له عصا يضرب بها الحجر فتنفجر منه اثنتا عشرة عينا وتخبرنا ان عيسى كان يحيي الموتى فأتنا بآية حتى نصدقك ونؤمن بك فقال رسول الله اى شيء تحبون قالوا تجعل لنا الصفا ذهبا وابعث لنا بعض موتانا نسأله عنك احق ما تقول ام باطل وارنا الملائكة يشهدون لك فقال رسول الله ان فعلت ما تقولون تصدقونني قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعنك اجمعين وسال المسلمون رسول الله ان ينزلها عليهم حتى يرضوا فقام رسول الله يدعو أن يجعل الصفا ذهبا فجاء جبريل وقال لك ما شئت ان شئت يصبح ذهبا ولكن ان لم يصدقوك لنعذبنهم وان شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله بل يتوب تائبهم فنزلت الآية (قوله ليؤمنن بها) جواب القسم وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه (قوله قل انما الآيات عند الله) اى لا عندي فالقادر على انزالها هو الله وينزلها على حسب ما يريد (قوله وما يشعركم) ما اسم استفهام مبتدأ وجملة يشعركم خبرها والكاف مفعول اول والثاني محذوف قدره المفسر بقوله بايمانهم والخطاب للمؤمنين أي وما يعلمكم ايها المؤمنون بايمانهم وقوله انها اذا جاءت بالكسر استئناف مسوق لقطع طمع المؤمنين من ايمان المشركين وتكذيب للمشركين في حلفهم (قوله اى انتم لا تدرون) اشار بذلك الى ان الاستفهام انكاري بمعنى النفي (قوله وفي قراءة بالتاء) ظاهره ان هذه القراءة مع كسر ان وليس كذلك بل هي مع الفتح فالمناسب تاخيرها عن قوله وفي اخرى بفتح ان فالقراآت ثلاث الكسر مع الياء لا غير والفتح امامع الياء والتاء (قوله بمعنى لعل) أي ومجيء ان بمعنى لعل كثير شائع في كلام العرب والترجي في كلام الله مثل التحقيق فهي مساوية لقراءة الكسر (قوله او معمولة لما قبلها) اى على انها المفعول الثاني ولا اما صلة او داخلة على محذوف والتقدير اذا جاءت لا تعلمون انهم يؤمنون أو

الذين يدعونهم (من دون الله) أي الاصنام (فيسبوا الله عدوا) اعتداء وظلما (بغير علم) اى جهلا منهم بالله (كذلك) كما زينا لهؤلاء ماهم عليه (زينا لكل امة عملهم) من الخير والشر فاتوه (ثم الى ربهم مرجعهم) في الآخرة (فينبئهم بما كانوا يعملون) فيجازيهم به (واقسموا) اى كفار مكة (بالله جهد ايمانهم) اى غاية اجتهادهم فيها (لئن جاءتهم آية) مما اقترحوا (ليؤمنن بها قل) لهم (انما الآيات عند الله) ينزلها كما يشاء وانما انا نذير (وما يشعركم) يدريكم بايمانهم اذا جاءت اى انتم لا تدرون ذلك (انها اذا جاءت لا يؤمنون) لما سبق في علمي وفي قراءة بالتاء خطابا للكفار وفي اخرى بفتح ان بمعنى لعل او معمولة لما قبلها

المقابل محذوف والتقدير اذا جاءت لا يؤمنون او يؤمنون وهو اخبار عن الكفار على قراءة الياء وخطاب لهم على قراءة التاء (قوله ونقلب أفئدتهم) استئناف مسوق لبيان ان خالق الهدى والضلال هو الله لا غيره فمن أراد له الله الهدى حول قلبه له ومن أراد الله شقاوته حول قلبه لها (قوله كما لم يؤمنوا به) مرتبط بمحذوف قدره المفسر بقوله فلا يؤمنون والمعنى نحول قلوبهم عن الايمان ثانيا كما حولناها أولا عند نزول الآيات لو نزلت أي فهم لا يؤمنون على كل حال (قوله ونذرهم) عطف على لا يؤمنون (قوله يعمهون) اما حال او مفعول ثان لان الترك بمعنى التصيير وعمه من باب تعب اذا تردد متحيرا ماخوذ من قولهم ارض عمهاء اذا لم يكن فيها أمارات تدل على النجاة (قوله ولو اننا نزلنا) هذه زيادة في الرد عليهم وتفصيل لما أجمل في قوله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون (قوله كما اقترحوا) اى طلبوا بقولهم لولا أنزل علينا الملائكة وقولهم فأتوا بآبائنا (قوله كل شيء) اى من اصناف المخلوقات كالوحوش والطيور (قوله بضمتين جمع قبيل) أي كنصيب ونصب وقضيب وقضب (قوله اى فوجا فوجا) تفسير لقبيل وأما قبلا فمعناه أفواجا افواجا وعلى هذه القراءة فنصب قبيلا على الحال (قوله وبكسر القاف وفتح الباء) اى وهي سبعية ايضا (قوله اى معاينة) اى فيقال فلان قبل فلان أي مواجهه ومعاينه وهو مصدر منصوب على الحال أي معاينين ومشاهدين لكل شيء وصاحب الحال الهاء في عليهم (قوله ما كانوا ليؤمنوا) جواب لو واللام في ليؤمنوا لام الجحود ويؤمنوا منصوب بان مضمرة وجوبا بعد لام الجحود وخبر كان محذوف تقديره ما كانوا اهلا للايمان (قوله الا ان يشاء الله) قرر المفسر لكن اشارة الى ان الاستثناء منقطع كما هو عادته وذلك لان المشيئة ليست من جنس اراداتهم وقال بعضهم ان الاستثناء متصل والمعنى ما كانوا ليؤمنوا في حال من الاحوال الا في حال مشيئة الله لهم بالايمان (قوله يجهلون ذلك) أي يجهلون ان ظهور الآيات يوجب الايمان ولم تصحبه مشيئة الله وهو توبيخ لهم حيث اقسموا بالله جهد ايمانهم انه اذا جاءتهم الآيات يؤمنون مع انه سبق في علم الله شقاؤهم ومن هنا لا ينبغي ترك المشيئة والاعتماد على الاسباب فقد يوجد السبب ولا يوجد المسبب (قوله وكذلك جعلنا) هذا تسلية لرسول الله على ما وقع منهم من العداوة والكاف داخلة على المشبه وهي بمعنى مثل والمعنى مثل ما جعلنا لك أعداء من قومك جعلنا لكل نبي عدوا الخ فتسل ولا تحزن وجعل بمعنى صير فتنصب مفعولين الاول عدوا مؤخر والثاني لكل نبي مقدم شياطين الانس والجن بدل وهذا ما درج عليه المفسر وقيل ان عدوا مفعول ثان وشياطين مفعول اول ولكل نبي متعلق بمحذوف حال من عدوا (قوله لكل نبي) أي وان لم يكن رسولا ولذا ورد ان الكفار قتلوا في يوم واحد سبعين نبيا (قوله مردة) جمع مارد وهو المتمرد المستعد للشر وقدم شياطين الانس لانها أقوى في الايذاء قال مالك بن دينار ان شيطان الانس اشد على من شيطان الجن وذلك اذا تعوذت بالله ذهب عني شيطان الجن وشيطان الانس يجيئني فيجرني الى المعاصي وقال الغزالي كن من شياطين الجن في امان واحذر من شياطين الانس فان شياطين الانس اراحوا شياطين الجن من التعب وهذا على ان المراد شياطين من الانس وشياطين من الجن وقيل ان الشياطين كلهم من ابليس وذلك انه فرق اولاده فرقتين ففرقة توسوس للانس وتسمى شياطين الانس وفرقة توسوس لصلحاء الجن وتسمى شياطين الجن وكل صحيح (قوله يوحي بعضهم) أي وهو شيطان الجن وقوله الى بعض اى وهو شيطان الانس قال تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك (قوله من الباطل) بيان لزخرف القول واشار به الى ان المراد بالزخرف المموه الظاهر الفاسد الباطن (قوله اى ليغروهم) أشار بذلك الى ان قوله غرورا مفعول لاجله (قوله ولو شاء ربك) مفعول شاء محذوف تقديره عدم فعلهم (قوله وما يفترون) ما اسم موصول او نكرة موصوفة وجملة يفترون

(ونقلب افئدتهم) نحول قلوبهم عن الحق فلا يفهمونه (وابصارهم) عنه فلا يبصرونه فلا يؤمنون (كما لم يؤمنوا به) اى بما انزل من الآيات (اول مرة ونذرهم) نتركهم (في طغيانهم) ضلالهم (يعمهون) يترددون متحيرين (ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى) كما اقترحوا (وحشرنا) جمعنا (عليهم كل شيء قبلا) بضمتين جمع قبيل اى فوجا فوجا وبكسر القاف وفتح الباء اى معاينة فشهدوا بصدقك (ما كانوا ليؤمنوا) لما سبق في علم الله (الا) لكن (ان يشاء الله) ايمانهم فيؤمنون (ولكن اكثرهم يجهلون) ذلك (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا) كما جعلنا هؤلاء اعداءك ويبدل منه (شياطين) مردة (الانس والجن يوحي) يوسوس (بعضهم الى بعض زخرف القول) مموهه من الباطل (غرورا) اى ليغروهم (ولو شاء ربك ما فعلوه) اى الايحاء المذكور (فذرهم) دع الكفار (وما يفترون) من الكفر وغيره مما زين لهم

وهذا قبل الامر بالقتال (ولتصغى) عطف على غرورا اى تميل (اليه) اى الزخرف (افئدة) قلوب (الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا) يكسبوا (ماهم مقترفون) من الذنوب فيعاقبوا عليه * ونزل لما طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم ان يجعل بينه وبينهم حكما (قل افغير الله ابتغى) اطلب (حكما) قاضيا بيني وبينكم (وهو الذى انزل اليكم الكتاب) القرآن (مفصلا) مبينا فيه الحق من الباطل (والذين آتيناهم الكتاب) التوراة كعبدالله بن سلام واصحابه (يعلمون انه منزل) بالتخفيف والتشديد (من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين) الشاكين فيه والمراد بذلك التقرير للكفار انه حق (وتمت كلمات ربك) بالاحكام والمواعيد (صدقا وعدلا) تمييز (لا مبدل لكلماته) بنقض او خلف (وهو السميع) لما يقال (العليم) بما يفعل (وان تطع اكثر من فى الارض) اى الكفار (يضلوك عن سبيل الله) دينه (ان) ما (يتبعون الا الظن) فى مجادلتهم لك فى امر الميتة اذ قالوا ما قتل الله احق ان تاكلوه مما قتلتم (وان) ما (هم الا يخرصون) يكذبون فى ذلك (ان ربك هو اعلم) اى عالم (من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين) فيجازى كلا منهم

صلة اوصفة والعائد محذوف تقديره فذرهم والذى يفترونه اومصدرية والتقدير فذرهم وافتراءهم (قوله وهذا قبل الامر بالقتال) اى فهى منسوخة (قوله عطف على غرورا) اى فاللام للتعليل وما بين الجملتين اعتراض والتقدير يوحى بعضهم الى بعض للغرور ولتصغى (قوله وليرضوه) اى يحبوه لانفسهم (قوله من الذنوب) بيان لما وقوله فيعاقبوا اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف والتقدير وليقترفوا اعقاب ماهم مقترفون (قوله لما طلبوا) اى قريش (قوله ان يجعل بينه وبينهم حكما) اى من احبار اليهود او من اساقفة النصارى ليخبرهم بما فى كتابهم من اوصاف النبي وامره (قوله أفغير الله) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أأميل لزخارفكم التى زينها الشيطان فغير الله ابتغى حكما وغير مفعول لابتغى وحكما حال او تمييز وحكما مفعول وغير حال والحكم ابلغ من الحاكم لان الحكم من تكرر منه الحكم واما الحاكم فبصدق ولو بمرة أولان الحكم لايجور اصلا والحاكم قد يجور (قوله وهو الذى انزل) الجملة حالية كانه قال أفغير الله اطلب حكما والحال ان الله هو الذى انزل اليكم الكتاب مفصلا فالذى يشهد لى هو القرآن واما الكتب القديمة فانها وان كانت تشهد له ايضا لكن لما غيروا وبدلوا صارت غير معول عليها (قوله واصحابه) اى ممن اسلم من علماء اليهود (قوله يعلمون انه) اى الكتاب (قوله بالتخفيف والتشديد) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بالحق) متعلق بمحذوف حال والتقدير انه منزل من ربك حال كونه ملتبسا بالحق (قوله والمراد بذلك التقرير الخ) دفع بذلك مايقال ان الشك مستحيل على النبي فكيف ينهى عما يستحيل وصفه به فاجاب بما ذكر واجيب ايضا بانه من باب التعريض للكفار بانهم هم الممترون فالخطاب له والمراد غيره (قوله وتمت كلمات ربك) اى القرآن وفيها قراءتان الجمع والافراد فالجمع ظاهر والافراد على ارادة الجنس والماهية وترسم بالتاء المجرورة على كل من القراءتين وهكذا كل ماقرئ بالجمع والافراد الا موضعين احدهما فى يونس فى قوله تعالى ان الذين حقت عليهم كلمة ربك وثانيهما فى غافر فى قوله تعالى وكذلك حقت كلمة ربك فاختلف فيها المصاحف فبعضهم بالتاء المجرورة وبعضهم بالتاء المربوطة (قوله بالاحكام والمواعيد) راجع لقوله صدقا وعدلا على سبيل اللف والنشر المشوش ولو اخره لكان احسن والمعنى تمت كلمات ربك من جهة الصدق كالاخبار والمواعيد والعدل كالاحكام فلاجور فيها وهذا اخبار من الله بحفظ القرآن من التغيير والتبديل كما وقع فى الكتب المتقدمة وذلك سر قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقوله تعالى وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث (قوله تمييز) اى على التوزيع اى صدقا فى مواعيده وعدلا فى احكامه ويصح ان يكون حالا من ربك ويؤول المصدر باسم الفاعل اى حال كونه صادقا وعادلا (قوله لا مبدل لكلماته) هذا كالتوكيد لقوله وتمت كلمات ربك وقوله بنقض او خلف راجع لقوله صدقا وعدلا على سبيل اللف والنشر المرتب (قوله اى الكفار) تفسير للاكثر (قوله ان يتبعون) قدر المفسر ما اشارة الى ان ان نافية بمعنى ما (قوله اذ قالوا الخ) اشارة لسبب نزول هذه الآية ومابعدها وذلك ان المشركين قالوا للنبي اخبرنا عن الشاة اذا ماتت من قتلها فقال الله قتلها قالوا انت تزعم ان ماقتلت انت واصحابك حلال وماقتلها الكلب والصقر حلال وماقتله الله حرام فكيف تدعون انكم تعبدون الله ولا تاكلون ماقتله ربكم فما قتله الله احق ان تاكلوه مما قتلتم انتم (قوله الا يخرصون) الخرص فى الاصل الحزر والتخمين ومنه خرص النخلة وقوله يكذبون سمى الخرص كذبا لان فيه تتبع الظنون الكاذبة (قوله فى ذلك) اى فى قولهم ماقتل الله احق ان تاكلوه مما قتلتم (قوله اى عالم) دفع بذلك مايقال ان افعل التفضيل بعض مايضاف اليه فاجاب بان اسم التفضيل مؤول باسم الفاعل واجيب ايضا بان قوله من يضل مفعول لمحذوف تقديره يعلم من يضل اومنصوب

بنزع الخافض والتقدير بمن يضل يدل عليه قوله بعد وهو أعلم بالمهتدين (قوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه) هذا رد لقولهم المتقدم فان الميتة لم يذكر عليها اسم الله واختلف فى طلب ذكر اسم الله فعند مالك الوجوب مع الذكر وعند الشافعى السنية والمراد بذكر اسم الله هنا عدم ذكر اسم غيره كالاصنام ليدخل ما اذا نسى التسمية فانها تؤكل وسياتى ايضاح ذلك (قوله وما لكم ان لا تاكلوا) هذا تاكيد لاباحة ماذبح على اسم الله وما استفهام مبتدأ ولكم خبره والتقدير أى شئ ثبت لكم فى عدم اكلكم الخ (قوله وقد فصل) اى بين وميز والواو للحال (قوله بالبناء للمفعول وللفاعل) اى فهما قراءتان سبعيتان وبقى ثالثة وهى بناء الاول للفاعل والثانى للمفعول (قوله فى الفعلين) اى فصل وحرم (قوله فى آية حرمت عليكم الميتة) اى التى ذكرت فى المائدة وفى المقام اشكال أورده فخر الدين الرازى وهو ان سورة الانعام مكية وسورة المائدة مدنية من آخر القرآن نزولا بالمدينة وأجيب بان الله علم ان سورة المائدة متقدمة على سورة الانعام فى الترتيب لافى النزول فبهذا الاعتبار حسنت الحوالة عليها لسبقية علم الله بذلك وقال بعضهم الاولى ان يقال وقد فصل لكم الخ أى فى قوله قل لا أجد فيما أوحى الى محرما الآية وهذه وان كانت مذكورة بعد الا أنه لا يمنع الاستدلال بها للاتحاد فى وقت النزول (قوله الا ما اضطررتم اليه) استثناء منقطع لان ما اضطر اليه ليس داخلا فى المحرم (قوله فهو أيضا حلال لكم) أى وهل يشبع ويتزود منها او يقتصر على ما يسد الرمق خلاف بين العلماء (قوله المعنى لا مانع الخ) اشار بذلك الى ان الاستفهام انكارى (قوله وهذا ليس منه) اى من المحرم واما ما لم ينص على حرمته ولا حله فهو من قبيل الحل لانه ذكر أشياء واستثنى الحرام منها فالحرام معدود ومعروف فمثل القهوة والدخان غير محرم الا ان يطرأ له ما يحرمه كالاسراف وتغييب العقل وحاصل ذلك ان يقال ان اعتاد ذلك وصار دواء له فهو جائز لكن بقدر الضرورة وان كان يضر جسمه او يسرف فيه فهو حرام وان اشتغل به عن عبادة مندوبة فهو مكروه فكثرته اما حرام او مكروه (قوله بفتح الياء) أى من ضل اللازم بمعنى قام به الضلال فى نفسه وقوله وضمها اى من أضل الرباعى بمعنى اوقع غيره فى الضلال (قوله باهوائهم) الباء سببية وفى قوله بغير علم متعلق بمحذوف حال والمعنى يضلون فى انفسهم أو يوقعون غيرهم فى الضلال بسبب اتباعهم أهواءهم ملتبسين بغير علم (قوله وغيرها) اى كالدم ولحم الخنزير الى آخر ما ذكر فى آية المائدة (قوله ان ربك هو اعلم بالمعتدين) اى فيجازيهم على اعتدائهم (قوله وذروا) الامر للمكلفين من الانس والجن وهو للوجوب (قوله علانيته وسره) لف ونشر مرتب (قوله قيل الزنا) اى وكان العرب يحبونه وكان الشريف منهم يستحى من اظهاره فيفعله سرا وغير الشريف لا يستحى من ذلك فيظهره فانزل الله تحريمه ظاهرا وباطنا (قوله وقيل كل معصية) اى فالظاهر منها كالزنا والسرقة وبقية معاصي الجوارح الظاهرية والباطن منها كالكبر والحقد والحسد والعجب والرياء وحب الرياسة وغير ذلك من المعاصى القلبية وهذا التفسير هو الاقرب وان كان الاول موافقا لسبب النزول لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله سيجزون فى الآخرة) أى بالعذاب الدائم ان كان مستحلا او بالعذاب مدة ويخرج ان لم يكن مستحلا ومات من غير توبة ولم يعف الله عنه فان تاب الكافر قبل قطعا وان تاب المسلم فقيل كذلك وقيل تقبل ظنا ان قلت لاى شئ اختلف فى توبة المسلم دون الكافر اجيب بان رحمة الله سبقت غضبه فلو لم جاز عدم القبول لتوبة الكافر لكان مخلدا فى النار مع ان رحمته غلبت غضبه وأما المؤمن فهو مقطوع له بالجنة فلو لم يقبل توبته وعذبه فلا بدله من الرحمة انتهاء غاية ما هنالك عذابه تطهير له (قوله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) اختلف فى تفسير هذه الآية فقال بعض المجتهدين غير الاربعة الآية عامة فى كل شئ فاى شئ لم يذكر اسم الله عليه لا يجوز

(فكلوا مما ذكر اسم الله عليه) أى ذبح على اسمه (ان كنتم بآياته مؤمنين وما لكم ان لا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه) من الذبائح (وقد فصل) بالبناء للمفعول وللفاعل فى الفعلين (لكم ما حرم عليكم) فى آية حرمت عليكم الميتة (الا ما اضطررتم اليه) منه فهو أيضا حلال لكم المعنى لا مانع لكم من أكل ما ذكر وقد بين لكم المحرم اكله وهذا ليس منه (وان كثيرا ليضلون) بفتح الياء وضمها (باهوائهم) بما تهواه أنفسهم من تحليل الميتة وغيرها (بغير علم) يعتمدونه فى ذلك (ان ربك هو أعلم بالمعتدين) المتجاوزين الحلال الى الحرام (وذروا) اتركوا (ظاهر الاثم وباطنه) علانيته وسره والاثم قيل الزنا وقيل كل معصية (ان الذين يكسبون الاثم سيجزون) فى الآخرة (بما كانوا يقترفون) يكسبون (ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) بان مات

كله وقال بعضهم الآية مخصوصة بالذبيحة فمتى ترك التسمية عمدا أو نسيانا لا تؤكل ذبيحته وقال بعضهم
ان تركها عمدا لا تؤكل وان تركها نسيانا أو عجزا كخرس اكلت وبه قال مالك وأبو حنيفة وقال بعضهم
التسمية سنة فان تركها عمدا أو نسيانا اكلت وبه قال الامام الشافعی وعن الامام أحمد روايتان الاولى
يوافق فيها مالكا والثانية يوافق فيها الشافعی اذا علمت ذلك فمحمل الآية ما أهل به لغير الله فقط لانه
المفسر به الفسق فيما يأتی فی قوله تعالى أو فسقا أهل لغير الله به وأما حكم الميتة فمعلوم من غير هذا الموضع
وحلها المفسر عليهما معا وهما طريقتان (قوله أو ذبح على اسم غيره) ای وان لم يذكر اسم غير الله وأما
الكتابی اذا لم يذكر اسم الله ولم يهل به لغيره فانها تؤكل فان جمع الكتابی بين اسم الله واسم غيره اكلت
ذبيحته عند مالك لان اسم الله يعلو ولا يعلى عليه واما المسلم ان جمع بينهما على وجه التشريك فی العبودية فهو
مرتد لا تؤكل ذبيحته (قوله وعليه الشافعی) ای فالتسمية عنده سنة (قوله ای الاكل منه) ای المفهوم
من لا تأكلوا على حد اعدلوا هو اقرب للتقوى ای العدل المفهوم من اعدلوا (قوله وان الشياطين) ای
ابليس وجنوده من الجن (قوله الكفار) ای وهم شياطين الانس (قوله ليجادلوكم) تعليل ليوحون وذلك
ان المشركين قالوا يا محمد اخبرنا عن الشاة اذا ماتت من قتلها فقال الله قتلها قالوا اتزعم ان ما قتلت انت
واصحابك حلال وما قتله الله حرام فنزلت (قوله انكم لمشركون) ای لان من احل شيأ مما حرم الله او حرم
شيأ مما احل الله فهو مشرك لانه اثبت حاكما غير الله ولا شك انه اشراك (قوله وغيره) ای كعمر بن
الخطاب او حمزة او عمار بن ياسر او النبی صلى الله عليه وسلم ولكن العبرة بعموم اللفظ فهذا المثل للكافر
والمسلم وسبب نزولها على القول بانها فی ابا جهل وحمزة ان ابا جهل رمى النبی صلى الله عليه وسلم بفرث
فاخبره حمزة بما فعل ابو جهل وكان حمزة قد رجع من صيد وبيده قوس وحمزة لم يكن مؤمنا اذ ذاك فاقبل
حمزة غضبان حتى علا ابا جهل وجعل يضربه بالقوس وجعل ابو جهل يتضرع الى حمزة ويقول يا ابا يعلى
الا ترى ما جاء به سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف آباءنا فقال حمزة ومن اسفه منكم عقولا تعبدون
الحجارة من دون الله اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فاسلم حمزة يومئذ فنزلت الآية (قوله
اومن كان ميتا) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف تقديره ايستويان ومن كان
ميتا الخ ومن اسم شرط مبتدأ وكان فعل الشرط واسمها مستتر وميتا خبرها وقوله فاحييناه جواب الشرط
وقوله كمن مثله خبر المبتدأ (قوله بالهدى) ای الايمان (قوله مثل زائدة) ای لان المثل هو الصفة والمستقر
فی الظلمات ذواتهم لا صفاتهم (قوله ليس بخارج منها) هذا اخبار من الله بعدم ايمان ابی جهل راسا
ولكن تقدم ان العبرة بعموم اللفظ (قوله لا) ای لا يستويان واشار بذلك الى ان الاستفهام انكاری
(قوله كما زين للمؤمنين الايمان) ای لقوله تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فی قلوبكم (قوله
زين للكافرين ما كانوا يعملون) ای والمزين لهم حقيقة هو الله ويصح نسبة التزيين الى الشياطين من
حيث الاغواء والوسوسة (قوله وكذلك) الكاف اسم بمعنى مثل والمعنى ومثل ما جعلنا فی مكة كبراءها
وعظماءها المجرمين جعلنا فی كل قرية كبراءها وعظماءها مجرميها فذلك سنة الله انه جعل اول من يقتدی
بالرسل الضعفاء والمعارضين المنكرين الكبراء ليكون عز الرسل بربهم ظاهرا وباطنا وكل آية وردت فی ذم
الكفار تجر بذيلها على عصاة الامة فان المباشر للظلم والفجور اكابر كل قرية ومدينة كما هو مشاهد (قوله
فساق مكة) هو معنى مجرميها وحل المفسر يفيد ان مجرميها مفعول اول مؤخر واكابر مفعول ثان مقدم
وفی كل قرية ظرف لغو متعلق بجعلنا وهو احد اعاريب اربعة الثانی ان قوله فی كل قرية مفعول ثان مقدم
واكابر مفعول اول مؤخر وهو مضاف لمجرميها واخر المفعول الاول لان فيه ضميرا يعود على المفعول

اوذبح على اسم غيره والا فما
ذبحه المسلم ولم يسم فيه عمدا
اونسيانا فهو حلال قاله ابن
عباس وعليه الشافعی (وانه)
ای الاكل منه (لفسق)
خروج عما يحل (وان
الشياطين ليوحون)
يوسوسون (الى اوليائهم)
الكفار (ليجادلوكم) فی
تحليل الميتة (وان اطعتموهم)
فيه (انكم لمشركون) ونزل
فی ابی جهل وغيره (اومن
كان ميتا) بالكفر
(فاحييناه) بالهدى (وجعلنا
له نورا يمشی به فی الناس)
يتبصر به الحق من غيره
وهو الايمان (كمن مثله)
مثل زائدة ای كمن هو (فی
الظلمات ليس بخارج منها)
وهو الكافر لا (كذلك) كما
زين للمؤمنين الايمان (زين
للكافرين ما كانوا يعملون)
من الكفر والمعاصی
(وكذلك) كما جعلنا فساق
مكة اكابرها (جعلنا فی
كل قرية اكابر مجرميها

الثانى فلو قدم لعاد الضمير على متاخر لفظا ورتبة وقد اشار ابن مالك لذلك بقوله

كذا اذا عاد عليه مضمر * مما به عنه مبينا يخبر

فيصير المعنى وكذلك جعلنا عظماء المجرمين كائنين فى كل قرية الثالث ان فى كل قرية مفعول ثان وأكابر مفعول اول ومجرميها بدل من أكابر ولم يضعف لئلا يلزم عليه اضافة الصفة للموصوف وهو لا يجوز عند البصريين الرابع ان اكابر مفعول اول مضاف لمجرميها وفى كل قرية ظرف لغو متعلق بجعلنا والمفعول الثانى محذوف تقديره فساقا ورد بان هذا التقدير لا فائدة فيه ولا محوج له فالاحسن الثلاثة الاول (قوله ليمكروا فيها) اللام اما لام العاقبة والصيرورة نظيرها فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا او لام العلة بمعنى الحكمة واما قولهم تنزه الله عن العلة فمعناه العلة الباعثة على الفعل ليتكمل به واما الحكم فلا تخلو أفعال الله عنها سبحانك ما خلقت هذا عبثا والمكر الخديعة والحيلة والغدر والفجور وترويج الباطل وهذه الاشياء لا تقبل عادة الا من الكبراء (قوله بالصد عن الايمان) اى لما ورد ان كل طريق من طرق مكة كان يجلس عليه اربعة يصرفون الناس عن الايمان بالنبى صلى الله عليه وسلم ويقولون هو كذاب ساحر كاهن (قوله لان وباله عليهم) اى وبال مكرهم لاحق بهم قال تعالى ولا يحيق المكر السيء الا باهله وقال ايضا سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله الآية (قوله وما يشعرون بذلك) اى لم يعلموا ان وباله عليهم (قوله واذا جاءتهم آية) نزلت فى الوليد بن المغيرة حيث قال للنبى لو كانت النبوة حقا لكنت انا اولى بها منك لانى أكبر منك سنا وأكثر منك مالا وقيل فى أبى جهل حيث قال زاحمنا بنو عبد مناف فى الشرف حتى اذا صرنا كفرسى رهان قالوا منا نبى يوحى اليه والله لا نؤمن به ولا نتبعه أبدا الا ان يأتينا وحى كما يأتيه (قوله آية) اى معجزة كانشقاق القمر وحنين الجذع ونبع الماء (قوله لن نؤمن) أى نصدق برسالته (قوله مثل ما أوتى رسل الله) قال بعضهم يسن الوقف عليه هنا ويستجاب الدعاء بين هاتين الجلالتين وذكر بعضهم له دعاء مخصوصا وهو اللهم من الذى دعاك فلم تجبه ومن الذى استجارك فلم تجره ومن الذى سالك فلم تعطه ومن الذى استعان بك فلم تعنه ومن الذى توكل عليك فلم تكفه ياغوثاه ياغوثاه ياغوثاه بك استغيث أغثنى يا مغيث واهدنى هداية من عندك واقض حوائجنا واشف مرضانا واقض ديوننا واغفر لنا ولآبائنا ولامهاتنا بحق القرآن العظيم والرسول الكريم برحمتك يا أرحم الراحمين اه (قوله قال تعالى) اى ردا عليهم (قوله لفعل دال عليه أعلم) دفع بذلك ما يقال من ان حيث مفعول به وليست ظرفا لانها كناية عن الذات التى قامت بها الرسالة واسم التفضيل لا ينصب المفعول به فاجاب بما ذكروا أجيب ايضا بان اسم التفضيل ليس على بابه بل هو مؤول باسم الفاعل وهذا اولى لان ما لا تقدير فيه خير مما فيه تقدير وأيضا يدفع توهم المشاركة بين علم القديم والحادث والحاصل ان اسم التفضيل فى اسماء الله وصفاته كاكرم واعلم وأعظم وأجل ليس على بابه (قوله والموضع الصالح لوضعها فيه) اى الذات التى تستحق الرسالة وهو محمد صلى الله عليه وسلم (قوله الذين أجرموا) اى وماتوا على الكفر (قوله صغار) كسحاب مصدر صغر كتعب معناه الذل والهوان واما الصغر ضد الكبر فيقال فيه صغر بالضم كعظم فهو صغير (قوله عند الله) اما ظرف ليصيب او لصغار والعندية مجازية كناية عن الحشر والوقوف بين يديه والحساب والجزاء (قوله اى بسبب مكرهم) اشار بذلك الى ان الباء سببية وما مصدرية (قوله فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره) اعلم ان الله سبحانه وتعالى جعل خلقه فى الازل قسمين شقى وسعيد وجعل لكل علامة تدل عليه فعلامة السعادة شرح الصدر للاسلام وقبوله لما يرد عليه من النور والاحكام وعلامة الشقاوة ضيق الصدر وعدم قبوله لذلك وجعل لكل قسم فى الآخرة دارا يسكنونها فلاهل السعادة الجنة ونعيمها ولاهل الشقاوة النار وعذابها لما فى الحديث ان الله خلق خلقا وقال هؤلاء للجنة ولا ابالى وخلق خلقا وقال هؤلاء للنار

ليمكروا فيها) بالصد عن الايمان (وما يمكرون الا بانفسهم) لان وباله عليهم (وما يشعرون) بذلك (واذا جاءتهم) اى اهل مكة (آية) على صدق النبى صلى الله عليه وسلم (قالوا لن نؤمن) به (حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله) من الرسالة والوحى الينا لانا أكثر مالا وأكبر سنا قال تعالى (الله أعلم حيث يجعل رسالاته) بالجمع والافراد وحيث مفعول به لفعل دل عليه أعلم اى يعلم الموضع الصالح لوضعها فيه فيضعها وهؤلاء ليسوا أهلا لها (سيصيب الذين أجرموا) بقولهم ذلك (صغار) ذل (عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون) أى بسبب مكرهم (فمن يرد الله ان

يهديه يشرح صدره للاسلام) بان يقذف فى قلبه نورا فينفسح له و يقبله كما ورد فى حديث (ومن يرد) الله (ان يضله يجعل صدره ضيقا) بالتخفيف والتشديد عن قبوله (حرجا) شديد الضيق بكسر الراء صفة وفتحها مصدر وصف به مبالغة (كأنما يصعد) وفى قراءة يصاعد وفيهما ادغام التاء فى الاصل فى الصاد وفى أخرى بسكونها (فى السماء) اذا كلف الايمان لشدته عليه (كذلك) الجعل (يجعل الله الرجس) العذاب او الشيطان اى يسلطه (على الذين لا يؤمنون وهذا) الذى انت عليه يا محمد (صراط) طريق (ربك مستقيما) لا عوج فيه ونصبه على الحال المؤكدة للجملة والعامل فيها معنى الاشارة (قد فصلنا) بينا (الآيات لقوم يذكرون) فيه ادغام التاء فى الاصل فى الذال اى يتعظون وخصوا بالذكر لانهم المنتفعون

ولا ابالى فذكر فى هذه الآية علامة كل قسم فاذا رزق الله العبد شرح الصدر واسكنه حلاوة الايمان فليعلم ان الله اعظم عليه النعمة * و بضدها تتميز الاشياء * ومن اسم شرط و يرد فعل الشرط و يشرح جوابه (قوله يهديه) اى يوصله للمقصود وليس المراد الدلالة لانها هى شرح الصدر (قوله يشرح صدره) الشرح فى الاصل التوسيع والمراد هنا لازمه وهو ان يقذف الله فى قلب الشخص النور حتى تكون احواله مرضية لله لانه يلزم من الوسع قبول ما يحل فيه (قوله كما ورد فى حديث) اى وهو انه لما نزلت هذه الآية سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شرح الصدر فقال هو نور يقذفه الله فى قلب المؤمن فينشرح له و ينفتح قيل فهل لذلك امارة قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت وفى رواية قبل لقى الموت (قوله ومن يرد ان يضله) اى يمنعه عن الوصول و يسكنه دار العقاب و يطرده عن رحمته ومن اسم شرط و يرد فعل الشرط و يجعل جوابه وجعل بمعنى صير فصدره مفعول أول وضيقا مفعول ثان وحرجا صفته والمعنى ان من أراد الله شقاوته وطرده عن رحمته ضيق قلبه فلا يقبل شيئا من اصول الاسلام ولا من فروعه ولو قطع اربا اربا وعلامة ذلك اذا ذكر التوحيد نفر قلبه واشمأز وان نطق بلسانه كاهل النفاق قال تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة الآية (قوله بالتخفيف والتشديد) أى كميت وميت قراءتان سبعيتان (قوله شديد الضيق) أى زائده فلا يقبل شيئا من الهدى أصلا (قوله بكسر الراء صفة) اى اسم فاعل كفرح فهو فرح (قوله وصف به مبالغة) اى أو على حذف مضاف اى ذا حرج على حذو زيد عدل (قوله كأنما يصعد) اى يتكلف الصعود فلا يستطيعه (قوله وفيهما ادغام التاء فى الاصل) أى بعد قلبها صادا فاصل الاولى يتصعد واصل الثانية يتصاعد وهاتان القراءتان مع تشديد ضيقا وكسر راء حرجا او فتحها واما قوله وفى اخرى بسكونها فهى قراءة من خفف ضيقا و يفتح حرجا فالمخفف للمخفف والمشدد للمشدد قوله لشدته عليه) اى لتعسر الايمان عليه فان القلب بيد الله يسكن فيه اى الامرين شاء وليس مملوكا لصاحبه وحينئذ فلا ينبغى له أن يامن لما هو فى قلبه من الايمان ومحبة الله ورسوله ومن هنا علمنا الله طلب الهداية على سبيل الدوام مع كونها حاصلة بقوله اهدنا الصراط المستقيم و بقوله ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم يا مقلب القلوب والابصار ثبت قلبي على دينك ولذا خاف العارفون ولم يسكنوا الى علم ولا عمل لما علموا ان القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء ولا يامنون حتى تقبض ارواحهم على الايمان ولكن شان الكريم ان من تمم لانه وعد منه وهو لا يخلف (قوله اى يسلطه) اى الشيطان وهو تفسير للجعل على التفسير الثانى واما تفسيره على الاول فمعناه يلقى و يصيب (قوله الذى انت عليه) اى وهو الاسلام (قوله صراط ربك) شبه دين الاسلام بالصراط المستقيم الذى لا اعوجاج فيه واستعار اسم المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الاصلية (قوله ونصبه على الحال المؤكدة للجملة) المناسب ان يقول المؤكدة لصراط لان الحال المؤكدة للجملة عاملها مضمر قال ابن مالك

وان تؤكد جملة فمضمر * عاملها ولفظها يؤخر

فينافيه قوله والعامل فيها معنى الاشارة (قوله معنى الاشارة) المناسب ان يقول والعامل فيها اسم الاشارة باعتبار ما فيه من معنى الفعل وهو اشير (قوله فيه ادغام التاء فى الاصل) اى بعد قلبها ذالا (قوله وخصوا بالذكر لانهم المنتفعون) اى المؤتمرون بامره المنتهون بنهيه وهم الصالحون المتقون فبقاء القرآن دليل على بقاء جماعة على قدم النبي بدليل هذه الآية وآية الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها ولا عبرة بمن يقول عدمت الصالحون وربما قال أنا لم أر أحدا منهم فقد قال ابن عطاء الله اولياء الله عرائس مخدرة ولا يرى

المرائس المجرمون (قوله لهم دار السلام) الجار والمجرور خبر مقدم ودار السلام مبتدأ مؤخر والجملة يحتمل أن تكون مستأنفة واقعة فى جواب سؤال مقدر تقديره وما جزاء من ينتفع بالذكرى فاجاب بقوله لهم دار السلام ويحتمل أن يكون حالا من القوم أو صفة لهم والتقدير قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون حال كونهم لهم دار السلام أو موصوفين بكونهم لهم دار السلام (قوله أى السلامة) أى من جميع المخاوف والمكاره لان بدخولها يحصل الامن التام من جميع المكاره حتى الموت ويصح أن المراد بالسلام التحية الواقعة من الله والملائكة قال تعالى تحيتهم فيها سلام وقال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وقال لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما الا قليلا سلاما سلاما (قوله وهى الجنة) أشار بذلك الى ان المراد بدار السلام ما يعم باقى الجنان وليس المراد خصوص الدار المسماة بدار السلام (قوله عند ربهم) العندية عندية شرف بمعنى انها منسوبة لله خاصة وليس لاحد فيها منة او المعنى ان من دخلها كان فى حضرة ربه لا يشهد شيا سواه ولا يحجب بنعيمها عن مولاه بل كلما ازداد من الجنة نعيما ازداد قربا من الله وزالت الحجب عن قلبه بخلاف الدنيا اذا اشتغل بشىء من زينتها بعد عن الله فكلما ازداد فيها شغلا ازداد بعدا عن الله فلا يخلص منها الا من جاهد نفسه وخرج عن هواه (قوله وهو وليهم) الجملة حالية والمعنى ناصرهم ومتولى امورهم وقوله بما كانوا يعملون الباء سببية وما مصدرية والتقدير بسبب عملهم السابق تولاهم وادخلهم حضرة قربه (قوله ويوم نحشرهم) يوم ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر (قوله بالنون والياء) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله اى الله) تفسير للضمير على قراءة الياء والنون على القراءة الاخرى (قوله الخلق) اى جميع الحيوانات عقلاء وغيرهم (قوله جميعا) توكيد للضمير او حال منه (قوله يامعشر الجن) معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله ويقال لهم وليس معمولا لنحشرهم بل هما جملتان وهذا الخطاب بعد جمع الخلائق فى الموقف وتصيير غير العاقل ترابا وقوله يامعشر الجن المعشر الجماعة والجمع معاشر والمراد بالجن الشياطين (قوله قد استكثرتم) السين والتاء لتاكيد الكثرة (قوله باغوائكم) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف والتقدير قد استكثرتم من اغواء الانس (قوله وقال اولياؤهم من الانس) لعل وجه الاقتصار على كلام الانس الاشارة الى ان الجن بهتوا فلم يردوا جوابا وقوله من الانس فى محل نصب على الحال (قوله ربنا) منادى حذف منه حرف النداء (قوله انتفع الانس بتزيين الجن لهم الشهوات) اى التى تنوعت فيها الانس من سحر وكهانة ودعوى الوهية ودعوى نبوة وسائر الاديان والعقائد الباطلة ومن ذلك كان الرجل فى الجاهلية اذا سافر فنزل بارض قفراء خاف على نفسه من الجن فقال اعوذ بسيد هذا الوادى من شر سفهاء قومه فيبيت فى جوارهم (قوله بطاعة الانس لهم) اى فى هذه الامور المزينة فاستمتاع الجن بالانس بالسلطنة التى تولوها عليهم حيث امتثلوا اوامرهم وكانوا من حزبهم ودخلوا فى جاههم (قوله الذى اجلت لنا) اى الذى قدرته لنا (قوله وهذا تحسر منهم) اى ما وقع منهم من تلك المقالة تحسر وتحزن على ما سلف منهم من طاعة الشيطان واتباع الهوى (قوله على لسان الملائكة) مرور على القول بان الله لا يكلمهم يوم القيامة اصلا (قوله خالدين فيها) حال من الكاف فى مثواكم (قوله من الاوقات التى يخرجون فيها) تبع المفسر فى ذلك شيخه الجلال المحلى فى تفسير سورة الصافات وهو مخالف لظاهر قوله تعالى يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها والاحسن ان يقال الا ما شاء الله من الاوقات التى ينقلون فيها من النار الى الزمهرير فينقلون من عذاب النار ويدخلون واديا فيه من الزمهرير وهو شدة البرد ما يقطع بعضهم من بعض فيطلبون الرد الى الجحيم كما ذكر فى حواشى البيضاوى (قوله لشرب الحميم) اى وهو ماء شديد الحرارة يقطع الامعاء وذلك حين يستغيثون من شدة حر النار

(لهم دار السلام) اى السلامة وهى الجنة (عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون و) اذكر (يوم نحشرهم) بالنون والياء اى الله الخلق (جميعا) ويقال لهم (يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس) باغوائكم (وقال اولياؤهم) الذين اطاعوهم (من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض) انتفع الانس بتزيين الجن لهم الشهوات والجن بطاعة الانس لهم (وبلغنا اجلنا الذى اجلت لنا) وهو يوم القيامة وهذا تحسر منهم (قال) تعالى لهم على لسان الملائكة (النار مثواكم) ماواكم (خالدين فيها الا ما شاء الله) من الاوقات التى يخرجون فيها لشرب الحميم فانه خارجها كما قال ثم ان مرجعهم لالى الجحيم

يطلبون الماء ليبرد عنهم تلك الحرارة قال تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه (قوله وعند ابن عباس الخ) أي فيحمل على من مات مؤمنا وهو مصر على المعاصي وتهذ فيه الوعيد و يكون المراد من النار دار العذاب وان لم تكن دار خلود كجهنم لعصاة المؤمنين (قوله حكيم في صنعه) أي يضع الشيء في محله (قوله عليم بخلقه) اى فيجازي كلا على عمله (قوله نولي) اى نسلط ونؤمر (قوله بما كانوا يكسبون) الباء سببية وما مصدرية والمعنى كما متعنا الانس والجن بعضهم ببعض نسلط بعض الظالمين على بعض بسبب كسبهم من المعاصي فيؤخذ الظالم بالظالم لما في الحديث ينتقم الله من الظالم بالظالم ثم ينتقم من كليهما ولما في الحديث أيضا كما تكونوا يولى عليكم ومن هذا المعنى قول الشاعر

وما من يد الا يد الله فوقها ❊ وما ظالم الا سيبلى بظالم

(قوله يا معشر الجن والانس) هذا زيادة في التوبيخ عليهم لان الله سبحانه وتعالى اولا وبخ الفريقين بتوجيه الخطاب للجن وثانيا خاطبهم جميعا ووبخهم (قوله اى من مجموعكم) دفع بذلك ما يقال ان ظاهر الآية يقتضي ان من الجن رسلا مع ان الرسالة مختصة بالانس فليس من الجن بل ولا من الملائكة رسل فاجاب بان المراد من مجموعكم الصادق بالانس ونظير ذلك قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان اى من أحدهما وهو الملح وقوله تعالى وجعل القمر فيهن نورا أي في احداهن وهي سماء الدنيا (قوله أو رسل الجن نذرهم) اشار بذلك الى جواب آخر وهو تسليم ان هناك رسلا من الجن لكنهم رسل الرسل الذين يسمعون من النبي المواعظ والاحكام ويبلغون قومهم ذلك قال تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين الآية وقال تعالى قل أوحي الى انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد الآيات فيكون المعنى على ذلك ألم ياتكم رسل منكم أي من الانس يبلغونكم عن الله ومن الجن يبلغونكم عن الرسل والمراد جنس الرسل الصادق بالواحد وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لانه لم يرسل لهم غيره وأما حكم سليمان فيهم فحكم سلطنة وملك لا حكم رسالة وأما قوله تعالى حكاية عن الجن يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى فلا يلزم من علمهم بموسى وسماعهم لكتابه ان يكونوا مكلفين به (قوله يقصون عليكم آياتي) القص معناه الحديث أي يحدثونكم بآياتي على وجه البيان (قوله وينذرونكم لقاء يومكم هذا) أي يخوفونكم يوم القيامة والمعنى يحذرونكم من مخالفة الله التي توجب الخوف يوم القيامة (قوله ان قد بلغنا) يصح بناؤه للفاعل والمفعول (قوله وغرتهم الحياة الدنيا) عطف سبب على مسبب أو علة على معلول (قوله وشهدوا على انفسهم) كرر شهادتهم على أنفسهم لاختلاف المشهود به فاولا شهدوا بتبليغ الرسل لهم وثانيا شهدوا بكفرهم زيادة في التقبيح عليهم والمقصود من ذكر ذلك الاتعاظ به والتحذير من فعل مثل ذلك ان قلت ان شهادتهم بكفرهم تدل على انهم أقروا به وهو مناف لقوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين أجيب بان مواقف القيامة مختلفة فاولا حين يرون المؤمنين توزن أعمالهم ويمشون على الصراط لدخول الجنة ينكرون الاشراك طمعا في دخولهم في زمرة المؤمنين فحينئذ يختم على افواههم وتنطق أعضاؤهم قهرا عليهم وتقر بالكفر (قوله ذلك ان لم يكن) اسم الاشارة مبتدأ وان لم يكن خبره واللام محذوفة وان مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان كما قال المفسر والتقدير ذلك ثابت لانه لم يكن الخ (قوله لم يكن ربك مهلك القرى) اى لغلبة رحمته لا ينزل العذاب على من خالف وعصي حتى يتكرر عليهم الانذار والتخويف (قوله بظلم منها) الباء سببية وقدر المفسر قوله منها اشارة الى ان الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من القرى والمعنى لم يكن مهلك اهل القرى بسبب وقوع

وعند ابن عباس انه فيمن علم الله انهم يؤمنون فما بمعنى من (ان ربك حكيم) في صنعه (عليم) بخلقه (وكذلك) كما متعنا عصاة الانس والجن بعضهم ببعض (نولي) من الولاية (بعض الظالمين بعضا) اى على بعض (بما كانوا يكسبون) من المعاصي (يا معشر الجن والانس ألم ياتكم رسل منكم) اى من مجموعكم اى بعضكم الصادق بالانس اورسل الجن نذرهم الذين يسمعون كلام الرسل فيبلغون قومهم (يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا اشهدنا على انفسنا) ان قد بلغنا قال تعالى (وغرتهم الحياة الدنيا) فلم يؤمنوا (وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ذلك) اى ارسال الرسل (أن) اللام مقدرة وهي مخففة اى لانه (لم يكن ربك مهلك القرى بظلم) منها (واهلها غافلون) لم يرسل اليهم رسول يبين لهم (ولكل)

ظلم منها والحال ان اهلها لم يرسل لهم رسول (قوله من العاملين) أى طائعين أو عاصين (قوله جزاء) دفع بذلك مايقال ان الدرجات بالجيم للطائعين فينا فى العموم المتقدم فاجاب بان المراد بالدرجات الجزاء وهو صادق بالدرجات والدركات وأجيب أيضا بان فى الكلام اكتفاء اى ودركات على حد سرابيل تقيكم الحر أى والبرد (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وربك الغنى) هذا مرتب على ماقبله جواب عما يقال حيث كان لكل من الطائعين والعاصين جزاء لامفر لهم منه فما وجه امهالهم وعدم تعجيل ذلك لهم فاجاب بانه الغنى فلا ينتفع بطاعة الطائع ولا تضره معصية العاصي وربك مبتدأ والغنى خبره وذو الرحمة خبر ثان ويصح أن يكون الغنى وذو الرحمة صفتين له وجملة ان يشا يذهبكم خبره (قوله ذو الرحمة) اى ومن أجل ذلك بقاء الخلق من غير استئصال الهلاك لهم (قوله بالاهلاك) اى جملة واحدة بحيث لم يبق منهم احد كعاد وثمود (قوله ويستخلف من بعدكم مايشاء) اى ينشئ ويوجد بعد اذهابكم مايشاء (قوله من ذرية قوم آخرين) اى وهم اهل سفينة نوح وذريتهم ومن بعدهم من القرون الى زمنكم (قوله ولكنه ابقاكم رحمة لكم) اى لوجود نبيكم لانه بعث رحمة لاعذابا (قوله من الساعة) بيان لما (قوله لآت) خبر ان مرفوع بضمة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين كقاض (قوله وما انتم بمعجزين) اى فائتين من عذابنا بل هو مدرككم لامحالة (قوله اعملوا على مكانتكم) هذا امر تهديد وزجر نظير قوله تعالى اعملوا ماشئتم وقوله عليه الصلاة والسلام اذا لم تستح فاصنع ماشئت والمكانة امامن التمكن وهو الاستطاعة فتكون الميم أصلية اومن الكون بمعنى الحالة فتكون زائدة والمفسر جعلها بمعنى الحالة (قوله من موصولة مفعول العلم) اى وتكون صلتها وعاقبة الدار اسمها وله خبرها وعلم عرفانية متعدية لواحد ويصح ان تكون من استفهامية مبتدأ وجملة تكون مع اسمها وخبرها خبر المبتدا والمبتدا والخبر فى محل نصب سدت مسد مفعول تعلمون (قوله اى العاقبة المحمودة فى الدار) اشار بذلك الى ان الاضافة على معنى فى والمراد بالعاقبة المحمودة الراحة التامة والسرور الكامل (قوله انحن أم انتم) هذا ايناسب كون من استفهامية لاموصولة والا لو جعلها موصولة لقال فسوف تعلمون الفريق الذى له عاقبة الدار (قوله انه لايفلح الظالمون) استئناف كأنه واقع فى جواب سؤال مقدر تقديره ماعاقبتهم فقال انه لايفلح الظالمون (قوله وجعلوا لله) هذا من جملة قبائحهم وخسران عقولهم وجعل فعل ماض والواو فاعل ولله جار ومجرور متعلق بمحذوف مفعول ثان مقدم ونصيبا مفعول اول مؤخر ومما ذرأ متعلق بجعلوا (قوله من الحرث) متعلق بمحذوف حال من ماذرأ (قوله الزرع) اى مايزرع كان حبا اوغيره (قوله والانعام) أى الابل والبقر والغنم (قوله ولشركائهم) متعلق بمحذوف تقديره وجعلوا لشركائهم واشار المفسر بذلك الى ان فى الآية اكتفاء بدليل التفصيل بعد ذلك بقوله وهذا لشركائنا (قوله الى سدنتها) أى خدمتها (قوله فقالوا) هذا تفريع على الشق المذكور والشق المطوى (قوله بزعمهم) الزعم الكذب ومصبه قوله بعد وهذا لشركائنا فحط الكذب التنصيف حيث جعلوا نصف ماخلق الله وأنشاه من الحرث والانعام له ونصفه لشركائهم وحق الجميع ان يكون لله ويحتمل ان الزعم من حيث ادعاؤهم الملك وانشاء الجعل من عندهم والملك فى الحقيقة لله (قوله بالفتح والضم) اى فهما قراءتان سبعيتان الاولى لغة أهل الحجاز والثانية لغة بنى اسد وفى لغة بالكسر لكن لم يقرأ بها والكل بمعنى واحد (قوله فكانوا اذا سقط فى نصيب الله شئ من نصيبها التقطوه) اى وكانوا اذا رأوا ماعينوه لله ازكى بدلوه بما لآلهتهم وان رأوا مالآلهتهم أزكى تركوه حبا لها واذا هلك ماجعلوه لها اخذوا بدله مما جعلوه لله ولا يفعلون ذلك فيما جعلوه لله (قوله اى جهته) اى لجهة مراضيه والا فيستحيل على

من العاملين (درجات) جزاء (مما عملوا) من خير وشر (وما ربك بغافل عما يعملون) بالياء والتاء (وربك الغنى) عن خلقه وعبادتهم (ذو الرحمة ان يشا يذهبكم) ياأهل مكة بالاهلاك (ويستخلف من بعدكم مايشاء) من الخلق (كما انشأكم من ذرية قوم آخرين) اذهبها ولكنه ابقاكم رحمة لكم (انما توعدون) من الساعة والعذاب (لآت) لامحالة (وما انتم بمعجزين) فائتين عذابنا (قل) لهم (ياقوم اعملوا على مكانتكم) حالتكم (انى عامل) على حالتى (فسوف تعلمون من) موصولة مفعول العلم (تكون له عاقبة الدار) أى العاقبة المحمودة فى الدار الآخرة أنحن ام انتم (انه لايفلح) يسعد (الظالمون) الكافرون (وجعلوا) اى كفار مكة (لله مما ذرأ) خلق (من الحرث) الزرع (والانعام نصيبا) يصرفونه الى الضيفان والمساكين ولشركائهم نصيبا يصرفونه الى سدنتها (فقالوا هذا لله بزعمهم) بالفتح والضم (وهذا لشركائنا) فكانوا اذا سقط فى نصيب الله شئ من نصيبها التقطوه اوفى نصيبها شئ من نصيبه تركوه وقالوا ان الله غنى عن هذا كما قال تعالى (فما كان لشركائهم) فلا يصل الى الله (اى لجهته) وما كان لله فهو يصل الى شركائهم

ساء) بئس (ما يحكمون) حكمهم هذا (وكذلك) كما زين لهم ما ذكر (زين لكثير من المشركين قتل أولادهم) بالوأد (شركاؤهم) من الجن بالرفع فاعل زين وفى قراءة ببنائه للمفعول ورفع قتل ونصب الاولاد به وجر شركائهم باضافته وفيه الفصل بين المضاف والمضاف اليه بالمفعول ولا يضر واضافة القتل الى الشركاء لامرهم به (ليردوهم) يهلكوهم (وليلبسوا) يخلطوا (عليهم دينهم ولو شاء الله مافعلوه فذرهم وما يفترون وقالوا هذه انعام وحرث حجر) حرام (لا يطعمها الامن نشاء) من خدمة الاوثان وغيرهم (بزعمهم) اى لا حجة لهم فيه (وأنعام حرمت ظهورها) فلا تركب كالسوائب والحوامى (وانعام لا يذكرون اسم الله عليها) عند ذبحها بل يذكرون اسم اصنامهم ونسبوا ذلك الى الله (افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون) عليه (وقالوا ما فى بطون هذه الانعام) المحرمة وهى السوائب والبحائر (خالصة) حلال (لذكورنا ومحرم على ازواجنا) اى النساء (وان يكن ميتة) بالرفع والنصب

الله الوصول والجهة (قوله ساء مايحكمون) ساء فعل ماض وما اسم موصول فاعل و يحكمون صلته والمخصوص بالذم محذوف قدره المفسر بقوله حكمهم وقوله هذا بدل من حكمهم لان حكمهم مبتدأ والجملة قبله خبره (قوله وكذلك) الجملة معطوفة على الجملة قبلها والكاف بمعنى مثل (قوله زين لكثير من المشركين) زين بالبناء للفاعل ولكثير متعلق بزين ومن المشركين صفة لكثير وقتل بالنصب مفعول لزين وهو مضاف لاولادهم وشركاؤهم بالرفع فاعل زين وقرأ ابن عامر من السبعة زين بالبناء للمفعول وقتل بالرفع نائب فاعل زين وأولادهم بالنصب مفعول المصدر الذى هو قتل وقتل مضاف وشركائهم مضاف اليه ولا يضر الفصل بين المضاف والمضاف اليه بمعمول المضاف لانه ليس أجنبيا والمضر الفصل بالاجنبى وهذه القراءة متواترة صحيحة موافقة للنحو خلافا لمن شذ وعاب على من قرأ بها كيف وهو أعلى القراء سندا وأقدمهم هجرة وقرأ أبو عبد الرحمن السلمى زين مبنيا للمفعول وقتل نائب الفاعل وأولادهم بالجر مضاف لقتل وشركاؤهم بالرفع فاعل قتل قال ابن مالك

و بعد جره الذى أضيف له ※ كمل بنصب او برفع عمله

وقرأ أهل الشام كقراءة ابن عامر الا انهم خفضوا الاولاد ايضا على ان شركاءهم صفة لهم بمعنى انهم يشركونهم فى المال والنسب وقرأ فرقة من أهل الشام زين بكسر الزاى بعدها ياء ساكنة مبنى للمفعول كقيل و بيع وقتل نائب الفاعل واولادهم بالنصب وشركائهم بالجر وتوجيهها معلوم مما تقدم فجملة القراآت خمس اثنتان سبعيتان وهما اللتان مشى عليهما المفسر وثلاثة شواذ (قوله بالوأد) هو دفن الاناث بالحياة مخافة الفقر والعار قال تعالى واذا الموؤدة سئلت باى ذنب قتلت (قوله من الجن) اى الملابسين للاصنام (قوله ولا يضر) رد على من منع ذلك وعاب على ابن عامر (قوله واضافة القتل) مبتدأ وقوله لامرهم به خبره ومباشر القتل هو كثير من المشركين (قوله ليردوهم) علة للتزيين وقوله وليلبسوا معطوف على ليردوهم وهو من لبس بفتح الباء يلبس بكسرها لبسا بمعنى خلط (قوله ولو شاء الله مافعلوه) مفعول شاء محذوف تقديره عدم فعلهم والمعنى لو اراد الله عدم التزيين والقتل مافعلوه لان الله هو الموجد للخير والشر وانما الخلق اسباب ظاهرية فى الخير والشر والا فرجع الكل الى الله ومن هنا قول سيدى ابراهيم الدسوقى من نظر للخلق بعين الشريعة مقتهم ومن نظر اليهم بعين الحقيقة عذرهم وقال بعض العارفين

الكل تقدير مولانا وتاسيسه ※ فاشكر لمن قد وجب حمده وتقديسه

وقل لقلبك اذا زادت وساويسه ※ ابليس لما طغى من كان ابليسه

(قوله فذرهم ومايفترون) اى اتركهم وافتراءهم (قوله وقالوا) هذا نوع آخر من انواع قبائحهم وقوله هذه انعام الخ الاشارة الى ماجعلوه لآلهتهم (قوله حجر) بمعنى محجور كذبح بمعنى مذبوح اى ممنوعة (قوله لا يطعمها) اى لا يأكلها والضمير عائد على الانعام والحرث (قوله وغيرهم) اى من الرجال دون النساء (قوله بزعمهم) حال من فاعل قالوا (قوله كالسوائب والحوامى) اى والبحائر (قوله ونسبوا ذلك) اى التقسيم الى الاقسام الثلاثة بان قالوا قسم حجر اى ممنوع منه بالكلية وقسم لا يركب وان كان يجوز اخذ لبنه وأولاده وقسم لا يذكر اسم الله عليه عند الذبح وانما يذكر اسم الصنم وقوله افتراء معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله ونسبوا ذلك (قوله بما كانوا يفترون) اى بسبب افترائهم (قوله وقالوا) هذا اشارة لنوع آخر من انواع قبائحهم (قوله مافى بطون هذه الانعام) اى نتاج الانعام السوائب والبحائر فما ولد منها حيا فهو حلال للذكور خاصة وما ولد منها ميتا فهو حلال للذكور والاناث (قوله خالصة) خبر

عن ما باعتبار معناها وقوله ومحرم خبر عنها باعتبار لفظها (قوله مع تانيث الفعل) اى باعتبار معنى ما وهو الاجنة وهذا على النصب وأما على الرفع فباعتبار تانيث الميتة وقوله وتذكيره اى باعتبار لفظ ما على قراءة النصب و باعتبار ان تانيث الميتة مجازى على قراءة الرفع فالقرا آت أربع وكلها سبعية وكان ناقصة فى النصب واسمها ضمير يعود على ما وتامة فى الرفع فاعلها ميتة (قوله فهم فيه) اى ذكورهم وانائهم يأكلون منه جميعا (قوله وصفهم) أى جزاء وصفهم والمراد بوصفهم التحليل والتحريم الذى اخترعوه فالباء فى قوله بالتحليل والتحريم لتصوير الوصف (قوله انه حكيم) تعليل لمجازاته اياهم أى فمن اجل حكمته وعلمه لا يترك جزاءهم (قوله قد خسر الذين قتلوا) اى فى الدنيا باعتبار السعى فى نقص عددهم وازالة ما انعم الله به عليهم وفى الآخرة باستحقاق العذاب الاليم (قوله بالتخفيف والتشديد) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله جهلا) روى البخارى عن ابن عباس قال اذا سرك ان تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من الانعام قد خسر الذين الى قوله وما كانوا مهتدين (قوله وحرموا) معطوف على قتلوا فهو صلة ثانية (قوله افتراء) معمول لحرموا (قوله قد ضلوا) اى عن الطريق المستقيم وقوله وما كانوا مهتدين فيه اعلام بان هؤلاء الذين فعلوا هذا الفعل يموتون على الضلال كان الله يقول لنبيه لا تعلق آمالك بهداهم (قوله وهو الذى انشا جنات) هذا امتنان من الله على عباده و بيان ان كل نعمة منه (قوله جنات) المراد بها جميع ما ينبت اعم من ان يكون بساتين اولا بدليل ما بعده من باب تسمية الكل باسم جزئه الاشرف اواطلق الخاص واراد العام فلا مفهوم لقول المفسر بساتين (قوله كالبطيخ) أى والعنب اذا لم يوضع على عريش (قوله كالنخل) اى وغيره مما له ساق يرتفع به كالجميز والنبق والعنب اذا وضع على عريش والحبوب وقيل المعروشات المرتفعات على ساق وغير المعروشات ما لا ساق له عكس ما ذكر المفسر (قوله والنخل والزرع) قدر المفسر انشا اشارة الى انه معطوف على جنات عطف خاص على عام والنكتة عموم النفع بالنخل والزرع لاقامتهما بنية الآدمى فهما يغنيان عن غيرهما وغيرهما لا يغنى عنهما والمراد بالزرع جميع الحبوب التى يقتات بها (قوله مختلفا أكله) فالمعنى انشاه مقدرا فى علمه سبحانه ان اكله مختلف والاكل بالضم المأكول اى ما كول كل منهما مختلف فى الصفة والطعم واللون والرائحة (قوله ثمره وحبه) لف ونشر مرتب (قوله والزيتون والرمان) معطوف ايضا على جنات وخصهما لانهما اشرف الثمار بعد النخل (قوله متشابها) هو بمعنى مشتبها المتقدم الا ان القراءة سنة متبعة (قوله طعمهما) اى ولونهما ورحهما وجرمهما (قوله كلوا من ثمره) هذا امر اباحة (قوله قبل النضج) اى استوائه ووجوب الزكاة فيه فلا تتوقف اباحة الاكل على الوصول الى حد وجوب الزكاة فيه وهو النضج والتهيؤ له ولا يحسب عليه شئ للفقراء اما بعد النضج فكل ما أكله حسبت عليه زكاته (قوله زكاته) هذا تفسير ابن عباس وانس بن مالك واستشكل بان السورة مكية وفرض الزكاة كان بالمدينة فى السنة الثانية من الهجرة * واجيب بان الآية مدنية وقيل المراد بالحق اطعام من حضر وترك ما سقط من الزرع والثمر للفقراء وهو قول الحسن وعطاء ومجاهد وعلى هذا القول فقيل الامر للوجوب و يكون منسوخا بآية الزكاة وقيل للندب و يكون محكما (قوله يوم حصاده) اى زمن تيسر الاخراج منه وهو ظاهر فيما لا يتوقف على تصفية كالعنب والزيتون والنخل واما ما يحتاج الى تصفية كالحبوب فيقال ان يوم ظرف متسع فيشمل مدة الحصاد والدراس او يقال ان يوم متعلق بمحذوف تقديره وآتوا حقه الذى وجب يوم حصاده وهو لا ينافى ان اخراج الحق بعد التصفية ان توقف عليها (قوله بالفتح والكسر) اى فهما قراءتان سبعيتان بمعنى واحد (قوله من العشر) اى فيما سقى بالسيح وقوله او نصفه اى فيما سقى بالآلة (قوله ولا تسرفوا) اى تتجاوزوا الحد باخراجه كله للفقراء او بعدم الاخراج من اصله او بانفاقه فى المعاصى والاقرب

مع تانيث الفعل وتذكيره (فهم فيه شركاء سيجزيهم الله (وصفهم) ذلك بالتحليل والتحريم اى جزاءه (انه حكيم) فى صنعه (عليم) بخلقه (قد خسر الذين قتلوا) بالتخفيف والتشديد (اولادهم) بالوأد (سفها) جهلا (بغير علم وحرموا ما رزقهم الله) مما ذكر (افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين وهو الذى انشا) خلق (جنات) بساتين (معروشات) مبسوطات على الارض كالبطيخ (وغير معروشات) بان ارتفعت على ساق كالنخل (و) انشا (النخل والزرع مختلفا أكله) ثمره وحبه فى الهيئة والطعم (والزيتون والرمان متشابها) ورقهما حال (وغير متشابه) طعمهما. (كلوا من ثمره اذا اثمر) قبل النضج (وآتوا حقه) زكاته (يوم حصاده) بالفتح والكسر من العشر او نصفه (ولا تسرفوا) باعطاء كله فلا يبقى لعيالكم شئ

(انه لايحب المسرفين) المتجاوزين ماحد لهم (و) انشا (من الانعام حمولة) صالحة للحمل عليها كالابل الكبار (وفرشا)
لا تصلح له كالابل الصغار والغنم سميت فرشا لانها كالفرش للارض لدنوها منها (كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان) طرائقه فى التحريم والتحليل (انه لكم عدو مبين) بين العداوة (ثمانية ازواج) أصناف بدل من حمولة وفرشا (من الضان) زوجين (اثنين) ذكر وأنثى (ومن المعز) بالفتح والسكون (اثنين قل) يا محمد لمن حرم ذكور الانعام تارة واناثها أخرى ونسب ذلك الى الله (آلذكرين) من الضان والمعز (حرم) الله عليكم (ام الانثيين) منهما (اما اشتملت عليه أرحام الانثيين) ذكرا كان أو انثى (نبؤنى بعلم) عن كيفية تحريم ذلك (ان كنتم صادقين) فيه المعنى من أين جاء التحريم فان كان من قبل الذكورة فجميع الذكور حرام او الانوثة فجميع الاناث او اشتمال الرحم فالزوجان فمن أين التخصيص والاستفهام للانكار (ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه رحام الانثيين ام) بل (كنتم شهداء) حضورا (اذ وصاكم الله بهذا) التحريم فاعتمدتم ذلك لا بل انتم كاذبون فيه (فمن) اى لا احد (أظلم ممن افترى على الله كذبا) بذلك (ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدى القوم الظالمين قل لا اجد فيما أوحى الى) شيا (محرما

قوله

الاول الذى اقتصر عليه المفسر لان سبب نزولها ان ثابت بن قيس صرم خمسمائة نخلة يوم أحد ففرقها ولم يترك لاهله شيا (قوله انه لايحب المسرفين) أى يعاقبهم (قوله ومن الانعام) معطوف على جنات واليه يشير المفسر حيث قدر انشا وفى الحقيقة قوله من الانعام متعلق بمحذوف حال من حمولة لانه نعت نكرة تقدم عليها وحمولة هو المعطوف على جنات (قوله صالحة للحمل عليها) مشي المفسر على ان المراد بالحمولة الصالح للحمل والفرش ماعداه والاحسن تفسير الحمولة بالكبار أعم من أن تكون ابلا أو بقرا أو غنما والفرش بالصغار منها و يدل عليه قوله ثمانية أزواج وقيل الحمولة كل ماحمل عليه من ابل وغيرها والفرش ما اتخذ من الصوف والوبر والشعر (قوله سميت) اى الابل الصغار والغنم (قوله كلوا مما رزقكم الله) اى من جميع الثمار والانعام والحرث (قوله فى التحريم والتحليل) اى فى الحرث والانعام بان تحللوا اشيا وتحرموا آخر كما يقول المشركون (قوله انه لكم عدو) تعليل لما قبله (قوله بين العداوة) اى ظاهرها لوجود عداوته لابينا آدم من قبل واتصالها بابنائه من بعده ولذلك قيل ان المولود فى حال ولادته ينخسه الشيطان فيصرخ عند ذلك من شدة عداوته له (قوله ثمانية أزواج) يطلق الزوج على الشيئين المتلازمين اللذين يحصل بينهما التناسل وعلى احدهما وهو المراد هنا (قوله بدل من حمولة وفرشا) اى بدل مفصل من مجمل (قوله من الضان) بدل من ثمانية أزواج على جواز الابدال من البدل (قوله اثنين) اى وهما الكبش والنعجة وقوله ومن المعز اثنين اى التيس والمعز (قوله بالفتح والسكون) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله لمن حرم ذكور الانعام) اى بعض ذكورها وقوله واناثها اى بعض اناثها (قوله آلذكرين) بمد الهمزة الثانية مدا لازما قدر ثلاث ألفات او تسهيلها وهو منصوب بالعامل الذى بعده وهو حرم وقدم لان مدخول الاستفهام له الصدارة (قوله أم الانثيين) أم عاطفة على الذكرين وكذلك أم الثانية عاطفة على ما الموصولة على ماقبلها ومحلها نصب ايضا تقديره أم الذى اشتملت عليه وأم فى كل منهما متصلة مقابلة لهمزة الاستفهام (قوله نبؤنى بعلم) اى أخبرونى خبرا ملتبسا بعلم ناشئ عن اخبار من الله بانه حرم ماذكر وهى جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه قصد بها الزام الحجة لهم (قوله عن كيفية تحريم ذلك) اى جهته وسببه (قوله فان كان من قبل الذكورة الخ) اى فان كان سبب التحريم الذكورة لزمكم تحريم جميع الذكور وان كانت الانوثة لزمكم تحريم جميع الاناث وان كان ما اشتملت عليه الارحام لزمكم تحريم الجميع فلاى شئ خصصتم التحريم ببعض الذكور والاناث فمن أين التخصيص اى تخصيص تحريم البحائر والسوائب بالابل دون بقية النعم من البقر والغنم (قوله والاستفهام للانكار) اى فى المواضع الثلاثة (قوله أم كنتم) ام منقطعة فلذا فسرها ببل والهمزة فمدخولها جملة مستقلة والمقصود بها التهكم بهم حيث نسبهم الى الحضور فى وقت الايصاء (قوله حضورا) اى حاضرين ومشاهدين تحريم البعض وتحليل البعض (قوله لا) أى لم تكونوا حاضرين ولم يدل دليل على تحريم البعض وتحليل البعض (قوله اى لا أحد) أشار بذلك الى ان الاستفهام انكارى بمعنى النفى (قوله ليضل الناس) متعلق بافترى وقوله بغير علم متعلق بمحذوف حال من فاعل افترى اى افترى حال كونه ملتبسا بغير علم بل جاهلا (قوله ان الله لا يهدى القوم الظالمين) تعليل لما قبله والمعنى لا يرشد الذين تعدوا حدود الله بالتحليل والتحريم الى الصراط المستقيم لسابق الشقاوة لهم (قوله قل لا أجد) لما ألزمهم الله الحجة بان التحريم من عند أنفسهم لا من عند الله أخبرهم بما ثبت تحريمه عن الله فهو نتيجة ماقبله وثمرته والمعنى قل يا محمد لكفار مكة لا أجد فيما أوحى الى الخ (قوله فيما أوحى الى) ما اسم موصول وأوحى صلته والعائد محذوف والتقدير فى الذى أوحاه الله الى وهو القرآن (قوله شيا محرما) قدره المفسر اشارة الى ان محرما صفة لموصوف محذوف

(قوله على طاعم) متعلق بمحرما وقوله يطعمه من باب فهم ومعنى طاعم آكل ويطعمه يأكله (قوله الا ان يكون) اسمها ضمير مستتر عائد على الشيء المحرم وميتة بالنصب خبرها فذكر باعتبار ما عاد عليه الضمير وهذا على قراءة الياء واما على التاء فالتانيث باعتبار خبر يكون وهو ميتة وهاتان قراءتان على نصب ميتة واما رفعها ففيه قراءة واحدة بالفوقانية فتكون تامة وميتة فاعل اذا علمت ذلك فقول المفسر وفي قراءة بالرفع مع التحتانية سبق قلم والصواب الفوقانية وهذا الاستثناء يصح ان يكون متصلا باعتبار عموم الاحوال او منقطعا لانه مستثنى من محرما وهو ذات والمستثنى كونه ميتة وهو معنى فليس من جنس المستثنى منه والاقرب كونه متصلا (قوله اودما) بالنصب عطف على ميتة في قراءة النصب وعلى المستثنى في قراءة الرفع (قوله مسفوحا) من السفح هو السيلان او الصب والدم المسفوح نجس من سائر الحيوانات ولو من سمك وذباب وعند ابي حنيفة لادم للسمك اصلا بدليل انه اذا اشفف صار ابيض (قوله كالكبد والطحال) اي فانهما طاهران لما في الحديث احلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال (قوله فانه) اي لحم الخنزير وخص اللحم بالذكر وان كان باقيه كذلك لاعتنائهم به اكثر من باقيه (قوله حرام) الاوضح ان يقول نجس لان التحريم علم من الاستثناء (قوله اوفسقا) عطف على ميتة وهو على حذف مضاف اي ذا فسق اوجعل نفس الفسق مبالغة على حد زيد عدل وقوله لغير الله به صفة لفسقا (قوله اي ذبح على اسم غيره) اي قربانا كما يتقرب الى الله كان ذلك الغير صنما اوغيره (قوله فمن اضطر) اي اصابته الضرورة (قوله مما ذكر) اي من الميتة وما بعدها (قوله غير باغ) تقدم في سورة البقرة انه فسر الباغي بالخارج على المسلمين والعادي بقاطع الطريق لان مع كل مندوحة وهي التوبة فاذا تاب كل جازله الاكل وتقدم الخلاف في المضطر هل له ان يشبع ويتزود وهو مشهور مذهب مالك او يقتصر على سد الرمق وهو مشهور مذهب الشافعي (قوله فان ربك غفور) تعليل لجواب الشرط المحذوف تقديره فلا اثم عليه (قوله ويلحق بما ذكر) كان المناسب تقديمه على قوله فمن اضطر (قوله كل ذي ناب) اي كالسبع والضبع والثعلب والهر والذئب وقوله ومخلب من الطير كالصقر والنسر والوطواط وهذا مذهب الامام الشافعي واما عند مالك فجميع الطيور يجوز اكلها ماعدا الوطواط فيكره اكله وجميع السباع مكروهة ماعدا الكلب الانسي والقرد ففيهما قولان بالحرمة والكراهة واما الخيل والبغال والحمير الانسية فمشهور مذهب مالك انها محرمة ومشهور مذهب الشافعي اباحة الخيل دون البغال والحمير (قوله وعلى الذين هادوا) الجار والمجرور متعلق بحرمنا وهادوا صلة الذين سموا بذلك لانهم هادوا بمعنى رجعوا عن عبادة العجل (قوله كل ذي ظفر) القراء السبعة على ضم الظاء والفاء وقرئ شذوذا بسكون الفاء وبكسر الظاء والفاء وبسكون الفاء وبقي في الظفر لغة خامسة لم يقرأ بها أظفور وجمع الاولى اظفار والاخيرة اظافير قياسا واظافر سماعا (قوله كالابل) ادخلت الكاف الاوز والبط (قوله ومن البقر والغنم) متعلق بحرمنا (قوله الثروب) جمع ثرب كفلس شحم رقيق يغشى الكرش والامعاء ولكن المراد بها هنا الشحم الذي على الكرش فقط والا ناقض ما بعده (قوله وشحم الكلى) جمع كلوة اوكلية (قوله الا ما حملت ظهورهما) ما اسم موصول في محل نصب على الاستثناء او نكرة موصوفة وجملة حملت ظهورهما صلة او صفة والعائد محذوف (قوله او الحوايا) معطوف على ظهورهما وسميت بذلك لانها محتوية على الفضلات لانها تنحل في الكرش ثم اذا صفيت استقرت في الامعاء أو لانها محتوية بمعنى ملتفة كالحلقة (قوله الامعاء) اي المصارين والمعنى ان الشحم الذي تعلق بالظهور أو احتوت عليه المصارين او اختلط بعظم كلحم الالية جائز لهم (قوله جمع حاوياء) اي كقاصعاء وقواصع وقوله او حاوية اي كزاوية وزوايا وقيل جمع حوية كهدية (قوله وهو شحم الالية) بفتح الهمزة (قوله بما سبق

على طاعم يطعمه الا ان يكون) بالياء والتاء (ميتة) بالنصب وفي قراءة بالرفع مع التحتانية (اودما مسفوحا) سائلا بخلاف غيره كالكبد والطحال (او لحم خنزير فانه رجس) حرام (او) اي الا ان يكون (فسقا اهل لغير الله به) اي ذبح على اسم غيره (فمن اضطر) الى شيء مما ذكر فاكله (غير باغ ولاعاد فان ربك غفور) له ما اكل (رحيم) به ويلحق بما ذكر بالسنة كل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير (وعلى الذين هادوا) أي اليهود (حرمنا كل ذي ظفر) وهو مالم تفرق اصابعه كالابل والنعام (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما) الثروب وشحم الكلى (الا ما حملت ظهورهما) أي ما علق بها منه (او) حملته (الحوايا) الامعاء جمع حاوياء او حاوية (او ما اختلط بعظم) منه وهو شحم الالية فانه احل لهم (ذلك) التحريم (جزيناهم) به (ببغيهم) بسبب ظلمهم بما سبق في سورة النساء (وانا لصادقون)

في سورة النساء) اي في قوله فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله الى ان قال فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم (قوله في اخبارنا ومواعيدنا) اي بان سبب ذلك التحريم هو بغيهم لا كما قالوا حرمها اسرائيل على نفسه فنحن مقتدون به فقد كذبوا في ذلك بل لم يطرأ التحريم الا بعد موسى ولم يكن ذلك محرما على أحد قبلهم لا في شرع ابراهيم ولا غيره وانما حرم اسرائيل على نفسه بالخصوص الابل من اجل شفائه من عرق النسا الذي كان به وقد تقدم الرد عليهم ايضا في قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل (قوله حيث لم يعاجلكم بالعقوبة) اي فامهاله للكافرين من سعة رحمته فاذا تاب خلده في الرحمة (قوله وفيه تلطف الخ) دفع بذلك ما يقال ان مقتضى الظاهر فقل ربكم ذو عقاب شديد فاجاب بانه تلطف بدعائهم الى الايمان ليطمع التائب ولا ييأس (قوله ولا يرد باسه) هذا من جملة المقول ايضا والمعنى لا يرد عذابه عمن لم يتب ومات على الكفر فاطمعهم في الرحمة بالجملة الاولى وبقي الاغترار بالجملة الثانية (قوله سيقول الذين اشركوا) هذا اخبار من الله لنبيه بما يقع منهم في المستقبل وقد وقع كما حكاه الله عنهم في سورة النحل بقوله تعالى وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء الخ وانما قالوه اظهارا لكونهم على الحق لا اعتذارا من ارتكاب هذه القبائح مدعين ان المشيئة لازمة للرضا فلا يشاء الا ما يرضاه وقد وقع الكفر بمشيئته فهو راض به فكيف تقول يا محمد انا نعذب على شيء أراده الله منا ورضيه وحاصل رد الشبه ان تقول لا يلزم من المشيئة الرضا بل يشاء القبيح ولا يرضاه ويشاء الحسن ويرضاه فكل شيء بمشيئته تعالى (قوله لو شاء الله) اي عدم اشراكنا فمفعول المشيئة محذوف وهذه المقدمة صادقة لكنهم توصلوا بها الى مقدمة كاذبة قدرها المفسر بقوله فهو راض به (قوله ولا آباؤنا) معطوف على الضمير في اشركنا والفاصل موجود وهو لا النافية وتقدير المفسر نحن بيان للضمير في اشركنا لا لصحة العطف اذ يكفي أي فاصل قال ابن مالك

وان على ضمير رفع متصل * عطفت فافصل بالضمير المنفصل

اوفاصل ما (قوله فهو راض به) هذا هو نتيجة قولهم لو شاء الله ما اشركنا (قوله قال تعالى) اي تسلية له عليه الصلاة والسلام (قوله كما كذب هؤلاء) اي مثل ما كذبوك ولم يصدقوك بما جئت به كذب الامم السابقة انبياءهم (قوله حتى ذاقوا باسنا) غاية للتكذيب اي استمروا على التكذيب حتى ذاقوا الخ (قوله من علم) من زائدة وعلم مبتدأ مؤخر وعند ظرف خبر مقدم والمعنى هل عندكم من شيء تحتجون به على ما زعمتم من ان الله راض بافعالكم فتظهروه لنا (قوله اي لا علم عندكم) اشار بذلك الى ان الاستفهام انكاري بمعنى النفي (قوله قل فلله الحجة البالغة) جواب شرط مقدر قدره المفسر بقوله ان لم يكن لكم حجة (قوله التامة) اي وهي ارسال الرسل وانزال الكتب ومعنى التامة الكاملة التي لا يعتريها نقص ولا خفاء (قوله هدايتكم) قدره اشارة الى ان مفعول شاء محذوف (قوله لهداكم اجمعين) اي ولكنه لم يشا ذلك فلم يحصل ومحط التعليق على هداية الجميع وأما هداية البعض فقد حصلت (قوله قل هلم) فيها لغتان لغة اهل الحجاز عدم الحاقها شيأ من العلامات فهي بلفظ واحد للمذكر والمؤنث والمثنى والمجموع والقرآن جاء عليها وعلى ذلك فهي اسم فعل بمعنى احضروا ولغة تميم وهي الحاقها العلامات فتقول هلموا وهلمي وهلما وهلممن وعليها فهي فعل امر وهذا الامر لمزيد التبكيت لهم واقامة الحجة عليهم (قوله فان شهدوا) اي بعد مجيئهم وحضورهم (قوله فلا تشهد معهم) اي لا تصدقهم ولا تمل لقولهم وهذا خطاب له والمراد غيره لاستحالته عليه (قوله والذين لا يؤمنون بالآخرة) معطوف على قوله الذين كذبوا (قوله وهم بربهم يعدلون) الجملة حالية ومعنى يعدلون يسوون به غيره والمعنى لا تتبع الذين يجمعون بين التكذيب بآيات الله وبين الكفر بالآخرة وبين الاشراك بالله في اهوائهم (قوله قل تعالوا)

في اخبارنا ومواعيدنا (فان كذبوك) فيما جئت به (فقل) لهم (ربكم ذو رحمة واسعة) حيث لم يعاجلكم بالعقوبة وفيه تلطف بدعائهم الى الايمان (ولا يرد باسه) عذابه اذا جاء (عن القوم المجرمين سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما أشركنا) نحن (ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء) فاشراكنا وتحريمنا بمشيئته فهو راض به قال تعالى (كذلك) كما كذب هؤلاء (كذب الذين من قبلهم) رسلهم (حتى ذاقوا باسنا) عذابنا (قل هل عندكم من علم) بان الله راض بذلك (فتخرجوه لنا) اي لا علم عندكم (ان) ما (تتبعون) في ذلك (الا الظن وان) ما (انتم الا تخرصون) تكذبون فيه (قل) ان لم تكن لكم حجة (فلله الحجة البالغة) التامة (فلو شاء) هدايتكم (لهداكم اجمعين قل هلم) احضروا (شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا) الذي حرمتموه (فان شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون) يشركون (قل تعالوا

لما

لما أقام الله سبحانه وتعالى الحجة على الكفار بانه لا تحليل ولا تحريم الا بما أحله الله او حرمه كان سائلا قال وما الذى حرمه وأحله فقال سبحانه قل تعالوا الخ وتعالوا افعل امر مبنى على حذف النون والواو فاعل وهو فى الاصل موضوع لطلب ارتفاع من مكان سافل الى مكان عال ثم استعمل فى الاقبال والحضور مطلقا وآثرها اشارة الى انهم فى اسفل الدركات وهو يطلبهم للرفع والعلو من أخس الاوصاف الى اكملها وأعلاها كانه قال أقبلوا الى المعالى لان من سمع أحكام الله وقبلها بنصح كان فى أعلى المراتب (قوله أتل) جواب الامر مجزوم بحذف الواو والضمة دليل عليها وقيل جواب الشرط محذوف تقديره ان تأتوا اتل اى اقرأ ما حرم الله عليكم (قوله ما حرم ربكم) ما اسم موصول وحرم صلته والعائد محذوف وربكم فاعل حرم وقوله عليكم تنازعه كل من اتل وحرم أعمل الثانى واضمر فى الاول وحذف لانه فضلة وحاصل ما ذكر فى هاتين الآيتين عشرة أشياء خمسة بصيغ النهى وخمسة بصيغ الامر وقدم المنهى عنه لان درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ولان المنهى عنه مامور باجتنابه مطلقا والمامور به على حسب الاستطاعة لما فى الحديث ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فائتوا منه ما استطعتم ووسط بينهما الامر ببر الوالدين اعتناء بشانه لكونه أعظم الواجبات بعد التوحيد وهذه العشرة لا تختلف باختلاف الامم والاعصار بل أجمع عليها جميع اهل الاديان قال ابن عباس هذه آيات محكمات لم ينسخهن شىء فى جميع الكتب وهن محرمات على بنى آدم كلهم وهن ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار (قوله ان مفسرة) اى وضابطها موجود وهو ان يتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه واستشكل بان هذا يقتضى ان جميع ما ياتى محرم مع ان بعضه مامور بفعله على سبيل الوجوب أجيب باجوبة منها ان التحريم فى المنهى عنه ظاهر وفى المامور به باعتبار اضدادها فالمعنى حرم فعلا وهى المنهيات اوتركا وهى المامورات ومنها ان فى الكلام حذف الواو مع ما عطفت والتقدير ما حرم ربكم عليكم وما أمركم به ثم فرع بعد ذلك على المذكور والمحذوف والاقرب الاول (قوله لا تشركوا به شيا) اى لا فى الاقوال ولا فى الافعال ولا فى الاعتقادات (قوله احسانا) مفعول مطلق لفعل محذوف قدره المفسر بقوله احسنوا والمراد بالوالدين الاب والام وان عليا (قوله بالوأد) تقدم أنه الدفن بالحياة (قوله من املاق) يطلق بمعنى الفقر والافلاس والافساد والمراد هنا الاول (قوله نحن نرزقكم واياهم) هذا فى معنى التعليل للنهى المتقدم والمعنى لا تقتلوا اولادكم من اجل حصول فقر لان رزقكم ورزقهم علينا لا على غيرنا وقال هنا من املاق وقال فى الاسراء خشية املاق لان ما هنا فى الفقر الحاصل بالفعل وما فى الاسراء فى الفقر المتوقع فهو خطاب للأغنياء وقدم هنا خطاب الآباء وهناك ضمير الاولاد قيل تفننا وقيل قدم هنا خطاب الآباء تعجيلا لبشارة الآباء الفقراء بانهم فى ضمان الله وقدم هناك ضمير الاولاد لتطمئن الآباء بضمان رزق الاولاد فهذه الآية تفيد النهى للآباء عن قتل الاولاد وان كانوا متلبسين بالفقر والاخرى عن قتلهم وان كانوا موسرين ولكن يخافون وقوع الفقر (قوله ولا تقربوا الفواحش) هذا اعم مما قبله لان من جملة الفواحش قتل الاولاد (قوله اى علانيتها) اى كالقتل والزنا والسرقة وجميع المعاصي الظاهرية وقوله وسرها اى كالرياء والعجب والكبر والحسد وجميع المعاصى القلبية (قوله ولا تقتلوا النفس) عطف خاص على عام ونكتته الاستثناء بعده (قوله التى حرم الله) مفعول حرم محذوف اى قتلها (قوله الا بالحق) فى محل نصب على الحال او صفة لمصدر محذوف والتقدير ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا ملتبسين بالحق او قتلا ملتبسا بالحق وهو استثناء مفرغ اى لا تقتلوها فى حال من الاحوال الا فى حال ملابستكم بالحق (قوله كالقود) اى القصاص وقوله وحد الردة اى لما فى الحديث من بدل دينه فاقتلوه

اتل) اقرأ (ما حرم ربكم عليكم ان) مفسرة (لا تشركوا به شيا و) احسنوا (بالوالدين احسانا ولا تقتلوا اولادكم) بالوأد (من) اجل (املاق) فقر تخافونه (نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش) الكبائر كالزنا (ما ظهر منها وما بطن) اى علانيتها وسرها (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق) كالقود وحد الردة ورجم المحصن

وقوله ورجم المحصن أي بشروطه هو وماقبله المذكورة في الفروع (قوله ذلكم وصاكم به) مبتدا وخبر وقوله المذكور اشارة الى أن اسم الاشارة عائد على ماتقدم من تلك الامور (قوله لعلكم تعقلون) ختم هذه الآية بذلك لانها اشتملت على خمسة أشياء عظام والوصية فيها أبلغ منها في غيرها لعموم نفعها في الدين والدنيا فختمها بالعقل الذي هو مناط التكليف (قوله أي بالخصلة التي هي أحسن) أشار بذلك الى انه نعت لمصدر محذوف والمعنى لاتقربوا مال اليتيم في حالة من الحالات الا في الحالة التي هي أحسن لليتيم (قوله حتى يبلغ أشده) غاية لما يفهم من النهي كانه قال احفظوه الى بلوغ أشده فسلموه له حينئذ (قوله بان يحتلم) هذا تفسير لبلوغ الاشد باعتبار أول زمانه وسيأتي في الاحقاف تفسيره باعتبار آخره وهو ثلاث وثلاثون سنة لان الاشد هو قوة الانسان وشدته ومبدؤه البلوغ وينتهي لثلاث وثلاثين سنة (قوله بالقسط) متعلق بمحذوف اما حال من فاعل أوفوا أو من مفعوله أي أوفوهما حال كونكم مقسطين أو حال كونهما تامين (قوله وترك البخس) أي النقص في الكيل أو الوزن (قوله فلا مؤاخذة عليه) أي لا اثم ولكنه يضمن ما أخطأ فيه لان العمد والخطأ في أموال الناس سواء (قوله واذا قلتم) المراد بالقول ما يعم الفعل وقوله فاعدلوا بالصدق أي لا تتركوه في القول ولا في الفعل وانما خص القول تنبيها بالادنى على الاعلى (قوله وبعهد الله) اما مضاف لفاعله أي ماعهده اليكم أو لمفعوله أي ماعاهدتم الله عليه (قوله لعلكم تذكرون) ختمها بذلك لان هذه الامور خفية غامضة لابد فيها من الاجتهاد والتذكر (قوله والسكون) صوابه والتخفيف اذ لم يقرأ بسكون الذال فمن شدد قلب التاء ذالا وادغمها في الاخرى ومن خفف حذف احدى التاءين (قوله بالفتح) أي مع التشديد أو التخفيف وقوله والكسر أي مع التشديد لاغير فالقراآت ثلاث وكلها سبعية (قوله على تقدير اللام) أي على كل من الوجهين وحينئذ تكون الواو عاطفة من عطف العلة على المعلول والتقدير كلمتم بهذا الذي وصاكم به من أول الربع الى هنا أو من أول السورة الى هنا لان هذا صراطي (قوله استئنافا) اي واقعا في جواب سؤال مقدر ومع ذلك فيها معنى التعليل كان قائلا قال لاي شيء كلفنا بما تقدم فقيل في الجواب ان هذا صراطي مستقيما ثم اعلم انه على قراءة التشديد فاسم الاشارة اسم ان وصراطي خبرها وعلى قراءة التخفيف فاسمها ضمير الشان واسم الاشارة مبتدا وصراطي خبره والجملة خبر ان ومستقيما حال من صراطي على كل حال (قوله وان هذا) يصح ان يرجع اسم الاشارة الى ماتقدم من اول الربع او من اول السورة (قوله صراطي مستقيما) اي ديني لا اعوجاج فيه فشبه الدين القويم بالصراط بمعنى الطريق بجامع ان كلا يوصل للمقصود واستعار اسم المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الاصلية (قوله فاتبعوه) اي اسلكوه ولا تحودوا عنه فتقعوا في الهلاك روى الدارقطني عن ابن مسعود قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وخطوطا عن شماله ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليها ثم قرأ هذه الآية وفي رواية انه خط خطا وخط خطين عن يمينه وخط خطين عن شماله ثم وضع يده في الخط الاوسط فقال هذا سبيل الله ثم تلا هذه الآية (قوله الطرق المخالفة) اي الاديان المباينة له فشبه الاديان الباطلة بالطرق المعوجة بجامع ان كلا يوصل صاحبه الى المهالك واستعير اسم المشبه به للمشبه (قوله فتفرق) بالنصب بان مضمرة في جواب النهي (قوله ذلكم) اي ما مر من اتباع دينه وترك غيره من الاديان (قوله لعلكم تتقون) اي تمتثلون المامورات وتجتنبون المنهيات واتى بالتقوى هنا لان الصراط المستقيم جامع للتكاليف وقد امر باتباعه ونهى عن الطرق المعوجة فناسب ذكر التقوى (قوله وثم لترتيب الاخبار) اي الترتيب في الذكر لا في الزمان وهو جواب عما يقال ان ايتاء موسى الكتاب كان قبل نزول القرآن فكيف يعطف بثم المفيدة للترتيب والتراخي واجيب ايضا بان ثم لمجرد العطف كالواو فلا ترتيب فيها ولا تراخي (قوله تماما)

(ذلكم) المذكور (وصاكم به لعلكم تعقلون) تتدبرون (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي) اي بالخصلة التي (هي احسن) وهي ما فيه صلاحه (حتى يبلغ اشده) بان يحتلم (واوفوا الكيل والميزان بالقسط) بالعدل وترك البخس (لا نكلف نفسا الا وسعها) طاقتها في ذلك فان اخطأ في الكيل والوزن والله يعلم صحة نيته فلا مؤاخذة عليه كما ورد في حديث (واذا قلتم) في حكم او غيره (فاعدلوا) بالصدق (ولو كان) المقول له او عليه (ذا قربى) قرابة (وبعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون) بالتشديد تتعظون والسكون (وان) بالفتح على تقدير اللام والكسر استئنافا (هذا) الذي وصيتكم به (صراطي مستقيما) حال (فاتبعوه ولا تتبعوا السبل) الطرق المخالفة له (فتفرق) فيه حذف احدى التاءين تميل (بكم عن سبيله) دينه (ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ثم آتينا موسى الكتاب) التوراة وثم لترتيب الاخبار (تماما)

مفعول لاجله اى آتيناه الكتاب لاجل تمام النعمة الخ (قوله للنعمة) اى الدنيوية والاخروية (قوله على الذى أحسن) متعلق بتماما ومعنى احسن قام به الحسن وهو الصفات الجميلة وقوله بالقيام به سبب لكونه قام به الحسن والمعنى تماما على المحسن منهم بسبب قيامه به اى اتباعه له وامتثاله ماموراته واجتنابه منهياته (قوله وتفصيلا) عطف على تماما (قوله أى بنى اسرائيل) أى المدلول عليهم بذكر موسى والكتاب (قوله بلقاء ربهم) متعلق بيؤمنون قدم عليه للفاصلة (قوله وهذا كتاب) مبتدا وخبر وجملة انزلناه نعت اول لكتاب ومبارك نعت ثان له اى كثير الخير والمنافع دينا ودنيا والمعنى وهذا القرآن العظيم كتاب انزلناه من اللوح المحفوظ ليلة القدر الى سماء الدنيا فى بيت العزة ثم نزل مفرقا على حسب الوقائع مبارك كثير الخير والمنافع فى الدنيا بالشفاء به والامن من الخسف والمسخ والضلال والآخرة بتلقى السؤال عن صاحبه وشهادته له وكونه ظلة على رأسه فى حر الموقف والرقى به الى الدرجات العلا (قوله يا اهل مكة) قصر الخطاب عليهم لانهم هم المعاندون فى ذلك الوقت (قوله بالعمل بما فيه) بيان لاتباعه (قوله لعلكم ترحمون) اى تصيبكم الرحمة فى الدنيا والآخرة (قوله ان تقولوا) مفعول لاجله والعامل محذوف قدره المفسر بقوله انزلناه ولا يصح ان يكون العامل انزلناه المذكور لانه يلزم عليه الفصل بين العامل والمعمول باجنبي وهو لفظ مبارك وقدر المفسر لا لان الانزال علة لعدم القول لا للقول وقال بعضهم ان الكلام على حذف مضاف اى كراهة ان تقولوا وكل صحيح (قوله انما انزل الكتاب) أى جنسه الصادق بالتوراة والانجيل (قوله وان مخففة) أى من الثقيلة (قوله واسمها محذوف الخ) فيه شيء وذلك لان ان المكسورة اذا خففت ودخلت على فعل ناسخ مثل كنا اهملت فلا عمل لها ووجب اقتران الخبر باللام وذلك كما فى هذه الآية (قوله قراءتهم) أى لكتبهم والمعنى لا نفهم معانيهما لانها بالعبرانية أو السريانية ونحن عرب لا نفهم الا اللغة العربية (قوله لغافلين) أى لا نعلمها والمقصود قطع حجتهم وعذرهم بانزال القرآن بلغتهم والمعنى انزلنا القرآن بلغتهم لئلا يقولوا يوم القيامة ان التوراة والانجيل انزلا على طائفتين من قبلنا بلغتهما فلم نفهم ما فيهما (قوله او تقولوا) عطف على المنفى وهو قطع لعذرهم أيضا (قوله لكنا اهدى منهم) اى الى الحق والطريق المستقيم (قوله فقد جاءكم بينة) اى لا تعتذروا بذلك فقد جاءكم (قوله اى لا احد) اشار بذلك الى ان الاستفهام انكارى بمعنى النفى (قوله سوء العذاب) اى العذاب السيء بمعنى الشديد (قوله بما كانوا يصدفون) الباء سببية وما مصدرية أى بسبب اعراضهم وتكذيبهم بآيات الله (قوله هل ينظرون) استفهام انكارى بمعنى النفى وهو مزيد تخويف وتحذير لمن بقى على الكفر * ان قلت ان ظاهر الآية يقتضى انهم مصدقون بهذه الاشياء حتى اثبت لهم انتظار احدها * اجيب بان هذه الاشياء لما كانت محتمة عوملوا معاملة المنتظر ولم يعول على اعتقادهم فالمعنى لا مفر لهم من ذلك (قوله ما ينتظر المكذبون) اى من اهل مكة وغيرهم (قوله بالتاء والياء) اى فهما قراءتان سبعيتان لان جمع التكسير يجوز تانيثه وتذكيره تقول قام الرجال وقامت الرجال (قوله الملائكة) اى عزرائيل واعوانه او ملائكة العذاب لما تقدم ان الكافر موكل باخذ روحه سبع من ملائكة العذاب (قوله أى أمره) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف ودفع بذلك توهم حقيقة الاتيان وهو الانتقال من مكان الى آخر اذ هو مستحيل على الله تعالى (قوله بمعنى عذابه) اى المعجل لهم اما بالسيف اوغيره (قوله الدالة على الساعة) اى على قربها والعلامات الكبرى عشر وهى الدجال والدابة وخسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب والدخان وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونار تخرج من قعر

للنعمة (على الذى أحسن) بالقيام به (وتفصيلا) بيانا (لكل شيء) يحتاج اليه فى الدين (وهدى ورحمة لعلهم) اى بنى اسرائيل (بلقاء ربهم) بالبعث (يؤمنون وهذا) القرآن (كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه) يا اهل مكة بالعمل بما فيه (واتقوا) الكفر (لعلكم ترحمون) انزلناه لـ(ان) لا (تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين) اليهود والنصارى (من قبلنا وان) مخففة واسمها محذوف اى انا (كنا عن دراستهم) قراءتهم (لغافلين) لعدم معرفتنا لها اذ ليست بلغتنا (او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم) لجودة اذهاننا (فقد جاءكم بينة) بيان (من ربكم وهدى ورحمة) لمن اتبعه (فمن) اى لا احد (اظلم ممن كذب بآيات الله وصدف) اعرض (عنها سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب) أى اشده (بما كانوا يصدفون هل ينظرون) ما ينتظر المكذبون (الا ان تأتيهم) بالتاء والياء (الملائكة) لقبض ارواحهم (او يأتى ربك) اى امره بمعنى عذابه (او يأتى بعض آيات ربك) اى علاماته الدالة على الساعة

عدن تسوق الناس الى المحشر (قوله يوم ياتى بعض آيات ربك) يوم معمول لينفع على الصحيح من ان
ما بعد لا يعمل فيما قبلها (قوله وهو طلوع الشمس من مغربها) ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما
أتدرون اين تذهب هذه الشمس اذا غربت قالوا الله ورسوله اعلم قال انها تذهب الى مستقرها تحت
العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي فارجعي من حيث جئت فتصبح طالعة
من مطلعها وهكذا كل يوم فاذا اراد الله ان يطلعها من مغربها حبسها فتقول يارب ان مسيرى بعيد فيقول
لها اطلعي من حيث غربت فقال الناس يارسول الله هل لذلك من آية فقال آية تلك الليلة ان تطول قدر
ثلاث ليال فيستيقظ الذين يخشون ربهم فيصلون ثم يقضون صلاتهم والليل مكانه لم ينقض ثم ياتون
مضاجعهم فينامون حتى اذا استيقظوا والليل مكانه خافوا ان يكون ذلك بين يدى امر عظيم فاذا
اصبحوا طال عليهم طلوع الشمس فبيناهم ينتظرونها اذ طلعت عليهم من قبل المغرب (قوله كما فى حديث
الصحيحين) اى وهو كما فى البخارى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة
حتى تطلع الشمس من مغربها وروى ان اول الآيات ظهور الدجال ثم نزول عيسى ثم خروج ياجوج
وماجوج ثم خروج الدابة ثم طلوع الشمس من مغربها وهو اول الآيات العظام المؤذنة بتغير احوال
العالم العلوى وذلك ان الكفار يسلمون فى زمن عيسى فاذا قبض ومن معه من المسلمين رجع أكثرهم الى
الكفر فعند ذلك تطلع الشمس من مغربها (قوله لا ينفع نفسا) اى كافرة او مؤمنة عاصية و يكون قوله لم
تكن آمنت راجعا للاولى وقوله اوكسبت راجعا للثانية و يكون التقدير لا ينفع نفسا كافرة لم تكن آمنت
من قبل ايمانها الآن ولا ينفع نفسا مؤمنة توبتها من المعاصى فقوله اوكسبت معطوف على آمنت وحينئذ
فيكون فى الكلام حذف قد علمته (قوله الجملة صفة نفس) اى جملة لم تكن آمنت من قبل وجاز الفصل بين
الصفة والموصوف لانه بالفاعل وهو ليس باجنبي (قوله او نفسا لم تكن كسبت) اشار بذلك الى ان
المعطوف فى الحقيقة محذوف وهو معطوف على المنفى (قوله كما فى الحديث) روى عن صفوان بن عسال
المرادى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم باب من قبل المغرب مسيرة عرضه اربعون او سبعون سنة
خلقه الله تعالى يوم خلق السموات والارض مفتوحا للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس منه وورد ان من
الاشراط العظام طلوع الشمس من مغر . . او خروج دابة الارض وهذان ايهما سبق الآخر فالآخر
على أثره وورد صبيحة تطلع الشمس من مغربها يصير فى هذه الامة قردة وخنازير وتطوى الدواوين
وتجف الاقلام لا يزاد فى حسنة ولا ينقص من سيئة ولا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او
كسبت فى ايمانها خيرا وورد لا تزال الشمس تجرى من مطلعها الى مغربها حتى ياتى الوقت الذى جعله الله
غاية لتوبة عباده فتستاذن الشمس من اين تطلع و يستاذن القمر من اين يطلع فلا يؤذن لهما فيحبسان
مقدار ثلاث ليال للشمس وليلتين للقمر فلا يعرف مقدار حبسهما الا قليل من الناس وهم اهل الاوراد
وحملة القرآن فينادى بعضهم بعضا فيجتمعون فى مساجدهم بالتضرع والبكاء والصراخ بقية تلك الليلة
ثم يرسل الله جبريل الى الشمس والقمر فيقول ان الرب تعالى يامركما ان ترجعا الى مغاربكما فتطلعا منه
لا ضوء لكما عندنا ولا نور فتبكى الشمس والقمر من خوف يوم القيامة وخوف الموت فترجع الشمس
والقمر فيطلعان من مغربهما فبينما الناس كذلك يتضرعون الى الله والغافلون فى غفلاتهم اذ نادى مناد الا
ان باب التوبة قد اغلق والشمس والقمر قد طلعا من مغاربهما فينظر الناس واذا بهما أسودين كالعكمين اى
الغرارتين العظيمتين لا ضوء لهما ولا نور فذلك قوله وجمع الشمس والقمر فيرتفعان مثل البعيرين المقرنين

(يوم ياتى بعض آيات ربك) وهى طلوع الشمس من مغربها كما فى حديث الصحيحين (لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل) الجملة صفة نفس (او) نفسا لم تكن (كسبت فى ايمانها خيرا) طاعة اى لا تنفعها توبتها كما فى الحديث

ينازع

ينازع كل منهما صاحبه استباقا ويتصايح اهل الدنيا وتذهل الامهات عن أولادها وتضع كل ذات حمل حملها فاما الصالحون والابرار فانهم ينفعهم بكاؤهم يومئذ ويكتب لهم عبادة واما الفاسقون والفجار فلا ينفعهم بكاؤهم يومئذ ويكتب عليهم حسرة فاذا بلغت الشمس والقمر وسط السماء جاءهما جبريل فاخذ بقرونهما فردهما الى المغرب فيغرب بهما فى باب التوبة ثم يرد المصراعين فيلتئم ما بينهما ويصيران كانهما لم يكن فيهما صدع ولا خلل فاذا أغلق باب التوبة لم يقبل لعبد بعد ذلك توبة ولا تنفعه حسنة يعملها بعد ذلك الا ما كان قبل ذلك فانه يجرى لهم وردان الدنيا تمكث بعد طلوع الشمس من مغربها مائة وعشرين سنة يتمتع المؤمنون فيها أربعين سنة لا يتمنون شيأ الا أعطوه ثم يعود فيهم الموت ويسرع فلا يبقى مؤمن ويبقى الكفار يتهارجون فى الطرق كالبهائم حتى ينكح الرجل المرأة فى وسط الطريق يقوم واحد عنها وينزل واحد وأفضلهم من يقول لو تنحيتم عن الطريق لكان أحسن فيكونون على مثل ذلك حتى لا يولد لاحد من نكاح ثم يعقم الله النساء ثلاثين سنة ويكون كلهم اولاد زنا شرار الناس عليهم تقوم الساعة (قوله قل انتظروا) أمر تهديد على حد اعملوا ما شئتم (قوله ان الذين فرقوا دينهم) الاقرب كما قال المفسر انها نزلت فى اليهود والنصارى لما ورد قام فينا رسول الله فقال ألا ان من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهى الجماعة وفى رواية من كان على ما أنا عليه وأصحابى (قوله فاخذوا ببعضه) اى كما حكاه الله عنهم بقوله فى سورة النساء ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية ايضا (قوله لست منهم فى شىء) اى لست مامورا بقتالهم وهذا ما مشى عليه المفسر من انها منسوخة وقيل انها محكمة والمعنى أنت برىء منهم ومن أفعالهم لقطع نسبهم منك بكفرهم (قوله فيجازيهم به) اى بفعلهم (قوله وهذا) اى قوله لست منهم فى شىء (قوله من جاء بالحسنة) أى يوم القيامة (قوله فله عشر أمثالها) هذا اخبار باقل المضاعفة والا فقد جاء مضاعفة الحسنة بسبعين وسبعمائة وبغير حساب واعلم ان المضاعفة تابعة للاخلاص فكل من عظم اخلاصه كانت مضاعفة حسناته أكثر ومن هنا قوله عليه الصلاة والسلام الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا من بعدى فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وفسر الحسنة بلا اله الا الله وهو احد تفسيرين والآخر ان المراد بها كل ما أمر الله به فيشمل الذكر والصلاة والصدقة وغير ذلك من انواع البر وهو الاولى لانه ان اراد خصوص ما ينجى من الشرك فذلك جزاؤه دخول الجنة وان أراد الذكر بها فلا مفهوم له الا ان العبرة بعموم اللفظ وافرد فى الحسنة والسيئة لانه لو جمع لربما توهم ان الجزاء اجمالى بحيث يعطى فى نظير حسناته كلها عشرة أمثالها بل الجزاء لكل فرد من افراد الحسنات والسيئات لان الحسنات تتفاوت فربما جوزى على بعضها عشرا وعلى بعضها أكثر (قوله أمثالها) جمع مثل ان قلت انه مذكر فكان مقتضاه تانيث العدد قال ابن مالك

ثلاثة بالتاء قل للعشره * فى عد ما آحاده مذكره

فى الضد جرد وأجيب بانه جرد التاء مراعاة لاضافة مثل لضمير الحسنة فكانه اكتسب التانيث من المضاف اليه او يقال ان أمثال صفة لموصوف محذوف تقديره عشر حسنات أمثالها فجرد العدد من التاء مراعاة للموصوف المحذوف والى هذا الثانى اشار المفسر بقوله اى جزاء عشر حسنات (قوله ومن جاء بالسيئة) اى الشرك على ما قال المفسر حيث فسر الحسنة بلا اله الا الله او ما هو اعم وهو الاولى (قوله فلا يجزى الا مثلها) اى ان مات غير تائب وجوزى والا فامره مفوض لربه فان شاء عذبه وان شاء عفا عنه واما ان مات تائبا فلا سيئة له لانه من المحبوبين لله والمحبوب لا سيئة له قال تعالى ان الله يحب التوابين وقال عليه الصلاة

(قل انتظروا) احد هذه الاشياء (انا منتظرون) ذلك (ان الذين فرقوا دينهم) باختلافهم فيه فاخذوا ببعضه وتركوا بعضه (وكانوا شيعا) فرقا فى ذلك وفى قراءة فارقوا اى تركوا دينهم الذى أمروا به وهم اليهود والنصارى (لست منهم فى شىء) فلا تتعرض لهم (انما أمرهم الى الله) يتولاه (ثم ينبئهم) فى الآخرة (بما كانوا يفعلون) فيجازيهم به وهذا منسوخ بآية السيف (من جاء بالحسنة) اى لا اله الا الله (فله عشر أمثالها) اى جزاء عشر حسنات (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها) اى جزاءه

والسلام التائب من الذنب كمن لا ذنب له (قوله وهم لا يظلمون) اى العاملون للحسنات والسيئات (قوله ينقصون من جزائهم) هذا بالنظر لجزاء الحسنات اى ولا يزاد فى سيئات اهل العقاب فالظلم نقص المحسن والزيادة فى المسيء وتسميته ظلما تنزل منه سبحانه وتعالى والا فالظلم التصرف فى ملك الغير ولا مالك لا حد معه تبارك وتعالى واما الزيادة فى الحسنات فليس بظلم بل هو تفضل منه واحسان واعلم ان الحسنة تتفاوت والسيئة كذلك فليس من تصدق بدرهم كمن تصدق بدينار وهكذا وليس من فعل صغيرة كمن فعل كبيرة هكذا فعشرة امثال الحسنة من شكلها ومثل السيئة من شكلها واعلم ايضا ان هذا الجزاء لمن فعل الحسنة والسيئة واما من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة واحدة ومن هم بسيئة ولم يعملها فان تركها خوف الله كتبت حسنة وان تركها لا لذلك لم تكتب شيا لما فى الحديث قال الله تعالى اذا تحدث عبدى بحسنة ولم يعملها فانا اكتبها له حسنة حتى يعملها فان عملها فانا اكتبها له بعشر حسنات واذا تحدث عبدى بسيئة ولم يعملها فانا اغفرها له حتى يعملها فان عملها فانا اكتبها له بمثلها (قوله قل اننى هدانى) ان حرف توكيد ونصب والياء اسمها وجملة هدانى ربى خبرها وهدى فعل ماض والياء مفعول اول والى صراط مستقيم مفعول ثان وربى فاعل والمعنى قل يا محمد لكفار مكة اننى ارشدنى ربى ووصلنى الى دين مستقيم لا اعوجاج فيه (قوله ويبدل من محله) اى محل الى صراط مستقيم وهو النصب لانه المفعول الثانى (قوله قيما) نعت لدينا أى لا اعوجاج فيه (قوله ملة ابراهيم) بدل دينا أى دينه وشريعته وما أوحى به اليه (قوله حنيفا) حال من ابراهيم أى مائلا عن الضلال الى الاستقامة (قوله وما كان من المشركين) عطف حال على أخرى وفيه تعريض بخروج جميع من خالف دين الاسلام عن ملة ابراهيم (قوله عبادتى) اشار بذلك الى ان قوله ونسكى عطف عام على خاص (قوله ومحياى ومماتى) قرأ نافع بسكون ياء محياى وفتح ياء مماتى والباقون بالعكس (قوله لله رب العالمين) الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر ان ولكن يقدر بالنسبة للعبادة خالصة وبالنسبة للحياة والموت مخلوقة (قوله فى ذلك) اى الصلاة والنسك والمحيى والممات (قوله وانا أول المسلمين) اى المنقادين لله واستشكل بانه تقدمه الانبياء واممهم واجاب المفسر بان الاولية بالنسبة لامته واجيب ايضا بان الاولية بالنسبة لعالم الذر فهى حقيقية (قوله قل اغير الله) نزلت لما قال الكفار يا محمد ارجع الى ديننا وغير منصوب بابغى وربا تمييز وقوله الها تفسير لربا (قوله اى لا اطلب) اشار بذلك الى ان الاستفهام انكارى بمعنى النفى (قوله وهو رب كل شىء) الجملة حالية والمعنى لا يليق ان اتخذ الها غير الله والحال انه مالك كل شىء (قوله ولا تكسب كل نفس الا عليها) رد لقولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم اى يكتب علينا ما عملتم من الخطايا (قوله الا عليها) اى الا فى حال كونه مكتوبا عليها الا على غيرها (قوله ولا تزر وازرة) اى ولا غير وازرة وانما قيد بالوازرة موافقة لسبب النزول وهو ان الوليد بن المغيرة كان يقول للمؤمنين اتبعوا سبيلى احمل عنكم اوزاركم وهو وازر (قوله وزر أخرى) ان قلت كيف هذا مع قوله تعالى وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وقوله عليه الصلاة والسلام من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة اجيب بان ما هنا محمول على من لم يتسبب فيه بوجه وفى الآية الاخرى والحديث محمول على من تسبب فيه فعليه وزر المباشرة ووزر التسبب ووزر الفاعل لا يفارقه (قوله فينبئكم) اى يخبركم ويعلمكم (قوله بما كنتم فيه تختلفون) اى من الاديان والملل (قوله اى يخلف بعضكم بعضا فيها) اشار بذلك الى ان اضافة خلائف للارض على معنى فى (قوله ورفع بعضكم فوق بعض) اى خالف بين احوالكم حيث جعل منكم الحسن والقبيح والغنى والفقير والعالم والجاهل والقوى والضعيف ليبلوكم فيما آتاكم وليس عجزا عن مساواتكم فانه منزه عنه سبحانه (قوله ليختبركم) اى

(وهم لا يظلمون) ينقصون من جزائهم شيا (قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم) ويبدل من محله (دينا قيما) مستقيما (ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين قل ان صلاتى ونسكى) عبادتى من حج وغيره (ومحياى) حياتى (ومماتى) موتى (لله رب العالمين لا شريك له) فى ذلك (وبذلك) اى التوحيد (امرت وانا اول المسلمين) من هذه الامة (قل اغير الله ابغى ربا) الها اى لا اطلب غيره (وهو رب) مالك (كل شيء ولا تكسب كل نفس) ذنبا (الا عليها ولا تزر) تحمل نفس (وازرة) آثمة (وزر) نفس (أخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وهو الذى جعلكم خلائف الارض) جمع خليفة أى يخلف بعضكم بعضا فيها (ورفع بعضكم فوق بعض درجات) بالمال والجاه وغير ذلك (ليبلوكم) ليختبركم فيما آتاكم

اى اعطاكم اياه ليظهر المطيع منكم والعاصى (ان ربك سريع العقاب) لمن عصاه (وانه لغفور) للمؤمنين (رحيم) بهم

﴿سورة الاعراف مكية الا واسألهم عن القرية الثمان او الخمس آيات مائتان وخمس اوست آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (المص) الله اعلم بمراده بذلك هذا (كتاب انزل اليك) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (فلا يكن فى صدرك حرج) ضيق (منه) ان تبلغه مخافة ان تكذب (لتنذر) متعلق بانزل اى للانذار (به وذكرى) تذكرة (للمؤمنين) به قل لهم (اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم) اى القرآن (ولا تتبعوا) تتخذوا (من دونه) اى الله اى غيره (اولياء) تطيعونهم فى معصيته تعالى (قليلاما تذكرون) بالتاء والياء تتعظون وفيه ادغام التاء فى الاصل فى الذال وفى قراءة بسكونها

يساملكم معاملة المختبر والا فلا يخفى عليه شئ (قوله اى اعطاكم اياه) اى من الغنى والفقر ليتبين الصابر والشاكر من غيرهما (قوله ان ربك سريع العقاب) ان قلت ان الله حليم لا يعجل بالعقوبة على من عصاه فكيف وصف بكونه سريع العقاب اجيب بان كل آت قريب او المعنى سريع العقاب اذا جاء وقته واكد الجملة الثانية هنا باللام وفى الاعراف الجملتين لان الوعيد المتقدم هنا اخف من الوعيد المتقدم هناك فالوعيد هنا هو قوله ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها واما فى الاعراف فهو قوله واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس وقوله كونوا قردة خاسئين فالمقام هنا لغلبة الرحمة فلذلك اكدت دون العقاب واما هناك فالمقام لهما فلذلك اكدهما (قوله وانه لغفور رحيم) جعل خبر ان فى هذه الآية من الصفات الذاتية الواردة على بناء المبالغة واكده باللام وجعل خبر ان السابقة صفة جارية على غير من هى له للتنبيه على انه تعالى غفور رحيم بالذات مبالغ فيهما ومعاقب بالعرض مسامح فى العقوبة ومعنى بالذات مغفرته ورحمته لا تتوقف على تاهل من العبد ومعنى بالعرض ان عقابه لا يكون الا بعد صدور ذنب فتامل

﴿سورة الاعراف﴾

سميت بذلك لذكر اهل الاعراف فيها من باب تسمية الشئ بجزئه (قوله مكية) تقدم ان المكى ما نزل قبل الهجرة وان بارض المدينة (قوله الثمان) اى ومنتهاها انا لا نضيع اجر المصلحين وقوله او الخمس اى ومنتهاها وانه لغفور رحيم (قوله الله اعلم بمراده بذلك) هذا احد اقوال تقدم جملة منها وقد ذكر هذا القول فى الخازن بقوله هى حروف مقطعة استاثر الله بعلمها وهى سره فى كتابه العزيز (قوله هذا كتاب) قدره اشارة الى ان كتاب خبر لمحذوف واسم الاشارة عائد على القرآن بمعنى القدر الذى نزل منه وجملة انزل اليك نعت لكتاب قصد به تشريف النازل والمنزل عليه (قوله فلا يكن فى صدرك حرج منه) لا ناهية ويكن مجزوم بها وفى صدرك خبرها مقدم وحرج اسمها مؤخر ومنه صفة لحرج وهو نهى عن المسبب وفى الحقيقة النهى عن اسباب الحرج والمعنى لا تتعاط اسبابا توجب الحرج (قوله ان تبلغه) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف اى من تبليغه ويصح ان الضمير عائد على المنزل او الانزال او الانذار (قوله لتنذر) من الانذار وهو التخويف من عذاب الله بسبب مخالفته (قوله متعلق بانزل) اى واللام للتعليل فهو مفعول لاجله وانما جر باللام لفقد بعض الشروط لانه اختلف مع عامله فى الزمان والفاعل لان زمن الانزال غير زمن الانذار وفاعل الانزال الله تعالى وفاعل الانذار النبى صلى الله عليه وسلم (قوله وذكرى) اما فى محل نصب عطف على تنذر او فى محل رفع خبر لمحذوف تقديره هو ذكرى او فى محل جر عطف على المصدر المنسبك من ان المقدرة بعد اللام والفعل والتقدير انزل للانذار والتذكير ❊ ولما كان النبى مكلفا بالتبليغ للكفار وان لم يتعظوا به اسند الانذار له ولما كانت الموعظة والتذكر قائمة بالمؤمنين عند سماعه اسندت لهم فالواعظ للكفار من غيرهم والواعظ للمؤمنين من انفسهم وحيث كان القرآن منزلا لانذار الكفار واتعاظ المؤمنين به فلا يحل اخراجه عما انزل له كان يقرأه الشخص فى الطرقات لطلب الدنيا وليتغنى به حيث يكون المقصود من القرآن الدنيا او التلذذ بالصوت الحسن كما يتلذذ بالغناء فان ذلك من الضلال المبين الموجب للعقوبة (قوله اتبعوا) امر لجميع المكلفين او للكافرين (قوله من ربكم) اما متعلق بانزل او بمحذوف حال من الموصول (قوله من دونه) اما متعلق بقوله لا تتبعوا والمعنى لا تعدلوا عنه الى غيره من الشياطين والكهان او حال من اولياء لانه نعت نكرة قدم عليها والمعنى لا تتولوا من دونه احدا من شياطين الانس والجن ليحملوكم على الاهواء والبدع (قوله بالتاء) اى مع تشديد الذال بعدها وقوله والياء اى قبل التاء مع تخفيف الذال وقوله وفيه ادغام التاء راجع الى القراءة الاولى وقوله وفى قراءة بسكونها

صوا به بتخفيفها وفيه حذف احدى التاءين فالقراآت ثلاث وكلها سبعية (قوله وما زائدة لتاكيد القلة) اى وقليلا نعت مصدر محذوف أى تذكرا قليلا او نعت ظرف زمان محذوف اى زمانا قليلا والمصدر او الظرف منصوب بالفعل بعده (قوله وكم خبرية) اى بمعنى كثيرا ولم ترد فى القرآن الا هكذا ويجب لها الصدارة لكونهــا على صورة الاستفهــامية (قوله مفعول) اى لفعل محــذوف يفسره قوله اهلكناها من باب الاشتغال والتقدير وكم من قرية اهلكنا اهلكناها ويصح ان يكون كم مبتدا وجملة اهلكناها خبر ومن قرية تمييز لكم على كل حال (قوله اريد اهلها) اى فاطلق المحل واريد الحال فيه فهو مجاز مرسل (قوله اردنا اهلاكها) جواب عما يقال ان الاهلاك مسبب عن الباس الذى هو العذاب وظاهر الآية يقتضي ان العذاب مسبب عن الاهلاك فاجاب بان الكلام فيه حذف (قوله بياتا) يحتمل انه حال والتقدير جاءها باسنا حال كونه بياتا أى فى البيات بمعنى الليل او ظرف وهو المتبادر من عبارة المفسر (قوله او هم قائلون) او للتنويع والجملة حالية معطوفة على ماقبلها والواو مقدرة وانما حذفت لدفع الثقل باجتماع حرفى عطف فى الصورة وقائلون من قال يقيل كباع يبيع فالفه منقلبة عن ياء بخلاف قال من القول فهى منقلبة عن واو (قوله والقيلولة استراحة نصف النهار) هذا قول ثان فى تفسيرها فتحصل ان القيلولة فيها قولان النوم وقت الظهر او الاستراحة فى وسط النهار وان لم يكن معها نوم (قوله اى مرة جاءها ليلا الخ) هذا تفسير مراد للآية وقوله جاءها اى جاء بعضها ليلا كقوم لوط وقوله ومرة نهارا أى كقوم شعيب (قوله فما كان دعواهم) أى استغاثتهم وتضرعهم أو المراد قولهم على سبيل التحسر والتندم (قوله اذ جاءهم) ظرف لقوله دعواهم (قوله الا ان قالوا) أى الا قولهم انا كنا ظالمين والمعنى انهم لم يقدروا على دفع العذاب عنهم وانما ذلك تحسر وندامة طمعا فى الخلاص (قوله فلنسألن) اللام موطئة لقسم محذوف والتقدير والله لنسألن وهذا اشارة لعذابهم فى الآخرة اثر بيان عذابهم فى الدنيا والمقصود من سؤال الامم زيادة الافتضاح لهم ومن سؤال الرسل رفع قدرهم وزيادة شرفهم وتوبيخ الامم حيث كذبوهم (قوله بعلم) متعلق بمحذوف حال من فاعل نقصن والتقدير فلنقصن عليهم حال كوننا مصحوبين بعلم وهذا حيث سكتت الرسل عن الجواب وقالوا لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت علام الغيوب (قوله وما كنا غائبين) توكيد لما قبله (قوله فيما عملوا) فى بمعنى عن اى عما عملوا (قوله والوزن) مبتدا وقوله يومئذ خبره والحق نعته وهذا هو اعراب المفسر ويصح ان يكون الحق خبر المبتدا ويومئذ ظرف منصوب على الظرفية وهذا الوزن بعد اخذ الصحف والحساب ثم بعد الوزن يكون المرور على الصراط وهو يختلف باختلاف احوال العباد (قوله للاعمال او لصحائفها) هذا اشارة لقولين فعلى الاول تصور الاعمال الصالحة بصورة نيرة حسنة وتوضع فى كفة الحسنات وتصور الاعمال السيئة بصورة مظلمة قبيحة وتوضع فى كفة السيئات وبقى قول ثالث وهو ان الوزن للذوات لمــا فى الحديث انه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة (قوله وكفتان) بكسر الكاف وفتحها فى المثنى والمفرد والجمع كفف بالكسر لاغير (قوله فمن ثقلت موازينه الخ) اعلم ان الناس فى القيامة ثلاث فرق متقون لا كبائر لهم ومخلطون وكفار فاما المتقون فان حسناتهم توضع فى الكفة النيرة وصغائرهم ان كانت لهم فى الكفة الاخرى فلا يجعل الله لتلك الصغائر وزنا وتكفر صغائرهم باجتنابهم الكبائر ويؤمر بهم الى الجنة وينعم كل على حسب اعماله واما الكفار فانهم يوضع كفرهم فى الكفة المظلمة ولا توجد لهم حسنة توضع فى الكفة الاخرى فتبقى فارغة فيامر الله بهم الى النار وهذان الصنفان هما المذكوران فى القرآن صراحة فى آيات الوزن وأما الذين خلطوا فقد ثبت فى السنة ان حسناتهم توضع فى الكفة النيرة وسيآتهم فى الكفة المظلمة فان كانت الحسنات أثقل ولو باقل قليل او ساوت أدخلوا الجنة وان كانت السيآت اثقل ولو باقل

وما زائدة لتاكيد القلة (وكم) خبرية مفعول (من قرية) اريد أهلها (اهلكناها) اردنا اهلاكها (فجاءها باسنا) عذابنا (بياتا) ليلا (او هم قائلون) نائمون بالظهيرة والقيلولة استراحة نصف النهار وان لم يكن معها نوم اى مرة جاءها ليلا ومرة نهارا (فما كان دعواهم) قولهم (اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين فلنسألن الذين ارسل اليهم) اى الامم عن اجابتهم الرسل وعملهم فيما بلغهم (ولنسألن المرسلين) عن الابلاغ (فلنقصن عليهم بعلم) لنخبرنهم عن علم بما فعلوه (وما كنا غائبين) عن ابلاغ الرسل والامم الخالية فيما عملوا (والوزن) للاعمال ولصحائفها بميزان له لسان وكفتان كما ورد فى حديث كائن (يومئذ) اى يوم السؤال المذكور وهو يوم القيامة (الحق) العدل صفة الوزن (فمن ثقلت موازينه)

قليل

قلبل ادخلوا النار الا أن يعفو الله هذا ان كانت كبائرهم فيما بينهم وبين الله وأما ان كانت عليهم تبعات وكانت لهم حسنات كثيرة فانه يؤخذ من حسناتهم فيرد على المظلوم وان لم يكن لهم حسنات أخذ من سيآت المظلوم فيحمل على الظالم من أوزار من ظلمه ثم يعذب الا أن يرضي الله عنه خصماءه (قوله بالحسنات) أى بسبب ثقلها فى الميزان ورجحانها على السيآت (قوله بالسيآت) اى بسبب رجحانها على الحسنات (قوله بما كانوا) متعلق بخسروا وما مصدرية وبآياتنا متعلق بيظلمون قدم عليه للفاصلة وقوله يجحدون أشار بذلك الى انه ضمن الظلم معنى الجحد فعداه بالباء (قوله ولقد مكناكم الخ) لما بين سبحانه وتعالى عاقبة من استمر على الكفر ومن استمر على الايمان ذكر ما أفاض عليهم من النعم الموجبة للشكر (قوله معايش بالياء) أى باتفاق السبعة لان الياء اصلية اذ هى جمع معيشة واصلها معيشة بسكون العين وكسر الياء وضمها نقلت كسرة الياء الى الساكن قبلها أو قلبت ضمة الياء كسرة ثم نقلت الى ماقبلها وحيث كانت الياء فى المفرد اصلية فانها تبقى فى الجمع وقرئ شذوذا بالهمزة تخريجا على زيادة الياء واصالة الميم واما ان كانت الياء فى المفرد زائدة فانها تكون فى الجمع همزة كصحائف وصحيفة قال ابن مالك

والمد زيد ثالثا فى الواحد * همزا يرى فى مثل كالقلائد

(قوله اسبابا تعيشون بها) اى تحيون فيها كالماكل والمشرب وما به تكون الحياة (قوله لتاكيد القلة) اى زائدة لتاكيد القلة والمعنى ان الشاكر قليل قال تعالى وقليل من عبادى الشكور (قوله ولقد خلقناكم الخ) تذكير لنعمة عظيمة على آدم سارية الى ذريته موجبة لشكرها (قوله اى اباكم آدم) اى حين كان طينا غير مصور (قوله اى صورناه) اى حين كان بشرا بتخطيطه وشق حواسه وانما جعل المفسر الكلام على حذف مضاف لاجل ان يصح الترتيب بثم وانما ينسب الخلق والتصوير للمخاطبين اعطاء لمقام الامتنان حقه وتاكيد الوجوب الشكر عليهم بالرمز الى ان لهم حظا من خلق ابيهم وتصويره لانهما من الامور السارية فى الذرية جميعا (قوله اوانتم فى ظهره) هكذا فى نسخة باو وفى اخرى بالواو فعلى الاولى يكون جوابا ثانيا والحاصل ان الناس اختلفوا فى ثم فى هذين الموضعين فمنهم من لم يلتزم فيها ترتيبا وجعلها بمنزلة الواو وابقى الآية على ظاهرها ومنهم من قال هى للترتيب الزمانى وجعل الكلام على حذف مضاف فى الخلق والتصوير (قوله سجود تحية بالانحناء) اشار بذلك الى ان المراد السجود اللغوى وهو الانحناء كسجود اخوة يوسف وأبويه له وقد كان تحية للملوك فى الامم السابقة وعليه فلا اشكال وقال بعضهم ان السجود شرعى بوضع الجبهة على الارض لله وآدم قبلة كالكعبة ويحتمل ان السجود على ظاهره لآدم وقولهم ان السجود لغير الله كفر محله ان كان من هوى النفس لا بامر الله ونظير ذلك تعظيمنا مشاعر الحج فتامل (قوله فسجدوا) اى قبل دخول الجنة واول من سجد جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم الملائكة المقربون واختلف فى مدة السجود فقيل مائة سنة وقيل خمسمائة سنة وقيل غير ذلك (قوله ابا الجن) هذا احد قولين والثانى هو ابو الشياطين فرقة من الجن لم يؤمن منهم احد (قوله كان بين الملائكة) اشار بذلك الى ان الاستثناء منقطع وانه ليس من الملائكة قال فى الكشاف لما اتصف بصفات الملائكة جمع معهم فى الآية واحتيج الى استثنائه ويدل على ذلك قوله تعالى الا ابليس كان من الجن وقال بعضهم انه من الملائكة فالاستثناء متصل وقوله تعالى كان من الجن اى فى الفعل والمعول عليه الاول (قوله ما منعك) ما استفهامية للتوبيخ فى محل رفع بالابتداء والجملة بعدها خبر وان فى محل نصب اوجر لانها على حذف حرف الجر واذ منصوب بتسجد والتقدير اى شئ منعك من السجود حين امرتك (قوله زائدة) اى لتاكيد معنى النفى فى منعك فهو كما فى ص بحذفها وهو الاصل لان القرآن

بالحسنات (فاولئك هم المفلحون) الفائزون (ومن خفت موازينه) بالسيآت (فاولئك الذين خسروا انفسهم) بتصييرها الى النار (بما كانوا بآياتنا يظلمون) يجحدون (ولقد مكناكم) يابنى آدم (فى الارض وجعلنا لكم فيها معايش) بالياء اسبابا تعيشون بها جمع معيشة (قليلا ما) لتاكيد القلة (تشكرون) على ذلك (ولقد خلقناكم) أى اباكم آدم (ثم صورناكم) اى صورناه أوانتم فى ظهره (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) سجود تحية بالانحناء (فسجدوا الا ابليس) ابا الجن كان بين الملائكة (لم يكن من الساجدين قال) تعالى (مامنعك ان لا) زائدة (تسجد اذ) حين (امرتك قال انا خير منه

خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها) اى من الجنة وقيل من السموات (فما يكون) ينبغي (لك ان تتكبر فيها فاخرج) منها (انك من الصاغرين) الذليلين (قال انظرني) أخرني (الى يوم يبعثون) اى الناس (قال انك من المنظرين) وفي آية أخرى الى يوم الوقت المعلوم اى وقت النفخة الاولى (قال فبما اغويتني) اى باغوائك لي والباء للقسم وجوابه (لاقعدن لهم) اى لبني آدم (صراطك المستقيم) اى على الطريق الموصل اليك (ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم) اى من كل جهة فامنعهم عن سلوكه قال ابن عباس ولا يستطيع ان ياتي من فوقهم لئلا يحول بين العبد وبين رحمة الله تعالى (ولا تجد أكثرهم شاكرين) مؤمنين (قال اخرج منها مذؤما) بالهمزة معيبا او ممقوتا (مدحورا) مبعدا عن الرحمة (لمن تبعك منهم) من الناس واللام للابتداء او موطئة للقسم وهو (لأملان جهنم منكم اجمعين) اى منك بذريتك ومن الناس وفيه تغليب الحاضر على الغائب وفي الجملة معنى جزاء من الشرطية اى من تبعك اعذبه

يفسر بعضه بعضا (قوله خلقتني من نار) هذه الجملة لا محل لها من الاعراب لانها كالتفسير والبيان لما قبلها من دعوى الخيرية (فائدة) قال هنا ما منعك وفي سورة الحجر قال يا ابليس ما لك ان لا تكون مع الساجدين وفي سورة ص ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي الآية اختلاف العبارات عند الحكاية دل على ان اللعين قد أدرج في معصية واحدة ثلاث معاص مخالفة الامر ومفارقة الجماعة والاستكبار مع تحقير آدم وشبهة الخيرية ان النار جسم لطيف نوراني والطين جسم كثيف ظلماني وما كان لطيفا نورانيا خير مما كان كثيفا ظلمانيا ولما كان ما احتج به على ربه باطلا لكون الطين فيه منافع كثيرة وفوائد جمة ويتوقف عليه نظام العالم لاحتياجه اليه ولما ينشا عنه من النبات والماء اللذين هما غذاء العالم السفلي والنار منافعها قليلة ولا يتوقف عليها نظام العالم لوجود كثير منه غير محتاج لها ولا لما يسوى بها رد عليه المولى باشنع رد واجابه بجواب السائل المتعنت المتكبر بقوله فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها الآية (قوله قال فاهبط منها) الفاء لترتيب الامر على ما ظهر من مخالفة اللعين (قوله أي من الجنة) اى وعليه فبقي في السموات خارج الجنة (قوله وقيل من السموات) اى فلم يبق له استقرار في العالم العلوي اصلا (قوله ان تتكبر فيها) اى ولا في غيرها ففي الكلام اكتفاء لان الكبر مذموم مطلقا (قوله الذليلين) تفسير للصغارين من الصغار وهو بالفتح الذل والضيم (قوله قال انظرني) لما كره اللعين اذاقة الموت طلب البقاء والخلود الى يوم البعث ومن المعلوم أن لا موت بعده فقصد استمرار الحياة في الدنيا والآخرة فاجابه الله لا على مراده بل امهله الى النفخة الاولى ولا نجاة له من الموت ولا من العذاب (قوله اى وقت النفخة الاولى) أي لا وقت النفخة الثانية التي طلبها اللعين (قوله قال فبما اغويتني الخ) غرضه بهذا أخذ ثاره منهم لانه لما طرد ومقت بسببهم أحب ان ينتقم منهم أخذا بالثار (قوله والباء للقسم) اى وما مصدرية وما بعدها مسبوك بها يشير له قول المفسر أي باغوائك لي ويصح ان تكون للسببية (قوله اى على الطريق الخ) اشار به الى ان صراط منصوب على نزع الخافض (قوله من بين ايديهم ومن خلفهم) أي من الجهات التي يعتاد الهجوم منها وهي الجهات الاربع ولذلك لم يذكر الفوق والتحت وأما الفوق فلكونه لم يمكنه ان يحول بين العبد ورحمة ربه كما قال ابن عباس واما التحت فلكبره لا يرضى ان ياتي من ذلك ويكثر اتيانه من أمام وخلف ويضعف في اليمين واليسار لحفظ الملائكة وذكر بعضهم حكمة اخرى لعدم مجيئه من تحت لكون الآتي من تحت انما يريد الازعاج وهو يريد التاليف للغواية والاول اقرب وانما عدى الفعل في الاولين بمن الابتدائية لان شان التوجه منهما بخلاف الاخيرين فالآتي منهما كالمنحرف لليسار (قوله ولا تجد اكثرهم شاكرين) يحتمل انه من الوجدان بمعنى اللقاء فيتعدى لواحد وشاكرين حال ويحتمل انه بمعنى العلم فيتعدى لاثنين (قوله قال اخرج منها مذؤما) تاكيد لما تقدم والمذؤم بالهمزة من ذأمه يذأمه ذأما اذا عابه ومقته أي اخرج ممقوتا معابا عليك (قوله مبعدا عن الرحمة) أي لان الدحر الطرد والابعاد يقال دحره يدحره دحرا ودحورا ومنه قوله تعالى ويقذفون من كل جانب دحورا وهما حالان من فاعل اخرج (قوله واللام للابتداء) اى داخلة على المبتدا فمن اسم موصول مبتدأ وتبعك صلته ومنهم متعلق بتبعك وقوله لأملأن جواب قسم محذوف بعد قوله منهم والقسم وجوابه في محل رفع خبر المبتدا (قوله او موطئة للقسم) والتقدير والله لمن تبعك ومن اسم شرط مبتدأ ولاملان جواب القسم المدلول عليه بلام التوطئة وجواب الشرط محذوف لسد جواب القسم مسده (قوله وفيه تغليب الحاضر) اى وهو ابليس وقوله على الغائب اى وهو الناس (قوله وفي الجملة) اى وهي لأملأن وقوله معنى جزاء من اى على كونها شرطية

وتقديره أعذ به (قوله ويا آدم) تقدير المفسر قال يفيد انه معطوف على اخرج مسلط عليه عامله عطف قصة
على قصة ويصح عطفه على قوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا فيكون مسلطا عليه قلنا وربما كان هذا أقرب من
حيث المناسبة والاول أقرب من حيث قرب المعطوف من المعطوف عليه وهذا القول يحتمل انه واقع من
الله مباشرة او على لسان ملك (قوله تا كيد للضمير في اسكن) أي وليس هو الفاعل لان فاعل فعل الامر
واجب الاستتار وقوله ليعطف عليه وزوجك جواب عما يقال لم أتى بالضمير المنفصل (قوله حواء)
سميت بذلك لانها خلقت من حي وهو آدم وذلك ان آدم لما أسكن الجنة مشى فيها مستوحشا فلما نام
خلقت من ضلعه القصير من شقه الايسر ليسكن اليها ويانس بها فلما استيقظ ورآها مال اليها فقالت له
الملائكة مه يا آدم حتى تؤدي مهرها فقال وما مهرها فقالوا ثلاث صلوات اوعشرون صلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم ان قلت ان شرط المهر ان يكون متمولا وهذا ليس بمتمول اجيب بان هذا الشرط في
شرع محمد ولم يكن في شرع آدم وأيضا الآمر هو الله وهو يحكم لا معقب لحكمه وايضا من خصائص رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يزوج بلا مهر اصلا فلما كان هو الواسطة في ذلك عد كانه هو العاقد لهما وانما
كان خصوص الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم هو الواسطة العظمى
في كل نعمة وصلت لكل احد حتى لابيه آدم وأمر الله آدم بالسكون في الجنة قيل قبل دخول الجنة فتوجيه
الخطاب لحواء باعتبار تعلق علم الله بها فانها لم تكن خلقت اذ ذاك وقيل بعد الدخول وهو المعتمد وعليه
فيكون المراد من الامر بالسكون الاستمرار (قوله فكلا من حيث شئتما) اي في اي مكان وفي الكلام
حذف بعد من والاصل فكلا من ثمارها حيث شئتما وترك رغدا من هنا اكتفاء بذكره في البقرة وأتى
بالفاء هنا وفي البقرة بالواو تفننا واشارة الى ان كلا من الحرفين بمعنى الآخر وقيل ان الواو تفيد الجمع
المطلق والفاء تفيد الجمع على سبيل التعقيب فالمفهوم من الفاء نوع داخل تحت المفهوم من الواو فلا منافاة
وماذكره شيخ الاسلام من الجواب بعيد كما تقدم لنا في البقرة فانظره * بقي شيء آخر وهو انه وجه
الخطاب اولا لآدم وثانيا لهما وحكمة ذلك ان حواء في السكنى تابعة لآدم فوجه الخطاب في السكنى
لآدم واما في الاكل من حيث شاآ والنهي عن قربان الشجرة فقد اشتركا فيه فلذا وجه الخطاب لهما معا
(قوله ولا تقربا) يقال قربت الامر اقربه من باب تعب وفي لغة من باب قتل قربانا بالكسر فعلته او دانيته
وحينئذ يكون النهي عن القربان ابلغ من النهي عن الاكل لو لم يقل (قوله وهي الحنطة) وقيل الكرم وقيل
التين وقيل البلح وقيل الاترج والمشهور ما قاله المفسر (قوله من الظالمين) اى لانفسهما (قوله فوسوس لهما
الشيطان) الوسوسة الحديث الخفي الذي يلقيه الشيطان في قلب الانسان على سبيل التكرار ان قلت ان
الانبياء معصومون من وسوسة الشيطان وظاهر الآية يقتضي ان الشيطان وسوس لآدم اجيب بانه لم
يباشر آدم بالوسوسة وانما باشر حواء وهي باشرت آدم بذلك قال محمد بن قيس ناداه ربه يا آدم لم أكلت منها
وقد نهيتك قال اطعمتني حواء قال لحواء لم اطعمتيه قالت امرتني الحية قال للحية لم امرتيها قالت امرني
ابليس قال الله اما انت يا حواء فلا دمينك كل شهر كما ادميت الشجرة واما انت يا حية فاقطع رجليك
فتمشين على وجهك وليشدخن رأسك كل من لقيك واما انت يا ابليس فملعون ان قلت كيف وسوس لهما
وهو خارج الجنة اجيب بان وسوسته وان كانت خارج الجنة الا انها وصلت لهما بقوة جعلها الله له على ذلك
اوانه تحيل على دخول الجنة بدخوله في جوف الحية ووسوس لهما وقوله الشيطان من شاط بمعنى احترق او
من شطن بمعنى بعد (قوله ابليس) من ابلس ابلاسا بمعنى يائس لانه آيس من رحمة الله وقد تقدم في البقرة

(و) قال (يا آدم اسكن انت) تا كيد للضمير في اسكن ليعطف عليه (و زوجك) حواء بالمد (الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة) بالاكل منها وهي الحنطة (فتكونا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان) ابليس

جملة اسمائه فانظرها (قوله ليبدى لهما) هذا من جملة أغراضه فى الوسوسة فتكون اللام للتعليل ويحتمل انها
للعاقبة وان غرضه فى الوسوسة خصوص غضب الله عليهما وطردهما من الجنة (قوله ماوورى عنهما) اى
غطى وستر عنهما واختلف فى ذلك اللباس فقيل غطاء على الجسد من جنس الاظفار فنزع عنهما وبقيت
الاظفار فى اليدين والرجلين تذكرة وزينة وانتفاعا ولذلك قالوا ان النظر للاظفار فى حال الضحك يقطعه
وقيل كان نورا وقيل كان من ثياب الجنة (قوله فوعل) أشار بذلك الى ان الواو الثانية زائدة وحينئذ فلا
يجب قلب الاولى همزة وانما يجب لو كانت الثانية أصلية (قوله من سوآتهما) اى عوراتهما سميت بذلك
لان كشفها يسيء صاحبها (قوله وقال مانهاكما) معطوف على وسوس بيان له (قوله الا ان تكونا ملكين)
بفتح اللام أى لم ينهكما عن الاكل منها الا كراهة ان تكونا من الملائكة او تكونا من الخالدين فى الجنة
فالمعنى الذى ادعاه لهما ان الاكل منها سبب لان يكونا من الملائكة وسبب للخلود فيها (قوله كراهة) أفاد
المفسر ان الاستثناء مفرغ وهو مفعول من اجله قدره البصريون الا كراهة ان تكونا الخ وقدره
الكوفيون ان لا تكونا وتقدير البصريين اولى لان اضمار الاسم احسن من اضمار الحرف (قوله وقرئ
بكسر اللام) اى شذوذا ويؤيده قوله تعالى فى موضع آخر هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى
فالملك بالضم يناسب الملك بالكسر (قوله اى وذلك) اى احد الامرين وقوله لازم اى ناشئ عن الاكل
منها وقضية هذه الآية على قراءة الكسر عدم اجتماع الامرين وقضية الآية الاخرى وهى هل ادلك على
شجرة الخلد وملك لا يبلى اجتماعهما واجيب بان او بمعنى الواو وحكمة ترغيبهما فى الملكية ان الملائكة
خصوا بالقرب من العرش ولهم المنزلة عند الله (قوله وقاسمهما) معطوف على فوسوس لهما الشيطان وانما
أقسم لهما لاجل تأكيد اضلاله فهو أول من حلف كاذبا بل هو اول من عصى الله مطلقا (قوله اى اقسم
لهما بالله) اى وقبلا منه القسم فالمفاعلة باعتبار ذلك والا فالواقع ليست على بابها لان الحالف هو فقط
(قوله فى ذلك) اى ماذكر من كونهما يلحقان بالملائكة ويكونان من الخالدين (قوله فدلاهما) التدلى
النزول من اعلى لاسفل (قوله حطهما عن منزلتهما) اى الحسية لان غروره تسبب عنه نزولهما من الجنة
الى الارض لا المعنوية بل رتبتهما عند الله لم تنقص بل ازدادت (قوله بغرور) الباء سببية والغرور تصوير
الباطل بصورة الحق (قوله فلما ذاقا الشجرة) من الذواق وهو تناول الشيء ليعرف طعمه وفيه اشارة الى
انهما لم يتناولا منها كثيرا لان شان من ذاق الشيء ان يقتصر على ماقل منه (قوله بدت لهما سوآتهما) اى
سقط عنهما لباسهما فبدت الخ (قوله ودبره) اى الآخر وامادبر نفسه فلا يظهر له الا ان التفت له وتعاناه
(قوله يسوء صاحبه) اى يوقعه فى السوء (قوله وطفقا) من باب طرب اى شرعا واخذا (قوله يخصفان)
من خصف النعل خرزه والمراد يلزقان بعضه على بعض لاجل الستر (قوله عليهما) اى القبل والدبر (قوله
من ورق الجنة) قيل ورق التين وقيل ورق الموز (قوله وناداهما ربهما) يحتمل على لسان ملك اومباشرة
(قوله الم انهكما) اما تفسير للنداء فلا محل له من الاعراب اومقول لقول محذوف والتقدير قائلا الم انهكما
الخ (قوله واقل لكما) اى كما فى آية طه فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك الآية (قوله بين العداوة) اى
حيث امتنع من السجود له ورضي بالطرد والبعد (قوله استفهام تقرير) اى وهو حمل المخاطب على الاقرار
والمعنى اقر بذلك على حد ألم نشرح لك صدرك (قوله قالا ربنا ظلمنا انفسنا) هذا اخبار من الله عن آدم
وحواء باعترافهما وندمهما على ماوقع منهما وانما عاتبهما الله على ذلك وان كان ليس بمعصية حقيقية لان
حسنات الابرار سيآت المقربين وليس ذلك بقادح فى عصمة آدم لان المستحيل على الانبياء تعمد المخالفة واما
الخطا فى الاجتهاد والنسيان الرحمانى فهو جائز عليهم ونظير ذلك ماوقع فى قصة ذى اليدين حيث سلم رسول

الله

(ليبدى) يظهر (لهما
ماوورى) فوعل من
المواراة (عنهما من سوآتهما
وقال مانهاكما ربكما عن
هذه الشجرة الا) كراهة
(ان تكونا ملكين) وقرئ
بكسر اللام (او تكونا من
الخالدين) اى وذلك لازم
عن الاكل منها كما فى آية
اخرى هل ادلك على
شجرة الخلد وملك لا يبلى
(وقاسمهما) اى اقسم
لهما بالله (انى لكما لمن
الناصحين) فى ذلك
(فدلاهما) حطهما عن
منزلتهما (بغرور) منه
(فلما ذاقا الشجرة) أى
أكلا منها (بدت لهما
سوآتهما) اى ظهر لكل
منهما قبله وقبل الآخر
ودبره وسمى كل منهما
سوأة لان انكشافه يسوء
صاحبه (وطفقا يخصفان)
اخذا يلزقان (عليهما من
ورق الجنة) ليستترا به
(وناداهما ربهما الم
انهكما عن تلكما الشجرة
واقل لكما ان الشيطان
لكما عدو مبين) بين
العداوة والاستفهام
للتقرير (قالا ربنا ظلمنا
انفسنا) بمعصيتنا

الله من ركعتين فقال له ذواليدين أقصرت الصلاة أم نسيت يارسول الله فقال كل ذلك لم يكن فقال بل بعض ذلك قد كان الحديث وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أنس ولكن أنسي لاسن وحكمة الاكل من الشجرة ما ترتب على ذلك من وجود الخلق وعمارة الدنيا فانساه الله لاجل حصول تلك الحكمة البالغة فمن نسب التعمد والتجرأ لآدم فقد كفر كما ان من نفى عنه اسم العصيان فقد كفر لمصادمة آية وعصى آدم ربه فغوى فالمخلص من ذلك ان يقال ان معصيته ليست كالمعاصي وتقدم تحقيق هذا المقام في سورة البقرة فانظره (قوله وان لم تغفر لنا) شرط حذف جوابه اكتفاء بجواب القسم (قوله بما اشتملتما عليه من ذريتكما) اى فهذا هو وجه الجمع في الآية وقيل ان الجمع باعتبار آدم وحواء والحية وابليس ويكون قوله بعضكم لبعض عدو باق على ظاهره لان ابليس والحية عدو لآدم وحواء (قوله مكان استقرار) اى وهو المكان الذى يعيش فيه الانسان والمكان الذى يدفن فيه (قوله قال فيها تحيون) اصله تحييون كترضيون تحركت الياء الثانية وانفتح ماقبلها قلبت الفا ثم حذفت لالتقاء الساكنين (قوله بالبناء للفاعل الخ) اى في تخرجون واما تحيون وتموتون فللفاعل لاغير (قوله يا بني آدم) لما قدم قصة آدم وحواء وما انعم به عليهما وفتنة الشيطان لهما خاطب اولاد آدم عموما بتذكير نعمه عليهم وحذرهم من اتباع الشيطان لانه عدو لابيهم والعداوة للآباء متصلة للابناء (قوله قد انزلنا عليكم لباسا) اى انزلنا اسبابه من السماء وهو المطر فينشا عنه النبات الذى يكون منه اللباس كالقطن والكتان وتعيش به الحيوانات التى يكون منها الصوف والشعر والوبر والحرير (قوله سوآتكم) اى عوراتكم اى فهو نعمة (قوله وريشا) معطوف على لباسا وعبر عنه بالريش لان الريش زينة الطائر كما ان اللباس زينة الآدميين والمعنى ان الله تعالى من على بنى آدم ٣ باللباسين لباسا يوارى سوآتهم ولباسا ريشا اى زينة ويصح ان يكون معطوفا على يوارى فيكون وصف اللباس بشيئين كونه يوارى سوآتكم وكونه زينة لكم ويؤخذ من الآية ان لبس لباس الزينة غير مذموم والمراد الزينة التى لم تخالف الشرع وهذا ان صح القصد بان لم يقصد الفخر ولا العجب بها كما ان التقشف في اللباس غير مذموم ان كان خاليا من الاغراض الفاسدة بان لم يقصد به دعوى الولاية او اظهار الفقر لاجل ان يتصدق عليه وبالجملة فالمدار على حسن القصد تجمل بالثياب او تخشن فيها وفي هذا المعنى قال بعضهم

ليس التصوف لبس الصوف والخلق * بل التصوف حسن الصمت والخلق

فالبس من اللبس ما تختار انت وقم * جنح الظلام وأجر الدمع في الغسق

فرب لابس الديباج مشغله * حب الذى خلق الانسان من علق

وكم فتى لابس للخيش تحسبه * ناج وذلك عند العارفين شقى

فان ذلك لم يحجبه ملبسه * وذامع اللبس ماسور فلم يفق

(قوله ولباس التقوى) أى الناشئ عنها والناشئة عنه (قوله العمل الصالح) اى المنجي من العذاب لان الانسان يكسي من عمله يوم القيامة (قوله خبره جملة ذلك خير) اى فاسم الاشارة مبتدأ ثان وخير خبره والجملة من المبتدا الثانى وخبره خبر الاول واسم الاشارة عائد على قوله ولباس التقوى وانما كان خيرا لانه يستر من فضائح الآخرة وفي الحديث ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم فاذا كان كذلك فينبغي للانسان ان يشتغل بتحسين ظاهره بالاعمال الصالحة وباطنه بالاخلاص فانه محل نظر الله منه ولذلك قال العارف البكرى الهى زين ظاهرى بامتثال ماأمرتنى به ونهيتنى عنه وزين سرى بالاسرار وعن الاغيار فصنه (قوله ذلك من آيات الله) اسم الاشارة عائد على

(وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين قال اهبطوا) اى آدم وحواء بما اشتملتما عليه من ذريتكما (بعضكم) بعض الذرية (لبعض عدو) من ظلم بعضهم بعضا (ولكم في الارض مستقر) مكان استقرار (ومتاع) تمتع (الى حين) تنقضي فيه آجالكم (قال فيها) اى الارض (تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون) بالبعث بالبناء للفاعل والمفعول (يابنى آدم قد انزلنا عليكم لباسا) أى خلقناه لكم (يوارى) يستر (سوآتكم وريشا) هو ما يتجمل به من الثياب (ولباس التقوى) العمل الصالح والسمت الحسن بالنصب عطف على لباسا والرفع مبتدا خبره جملة (ذلك خير ذلك من آيات الله) دلائل قدرته (لعلهم يذكرون) فيؤمنون

---

٣ قوله لباسا يوارى سوآتهم الخ هكذا في النسخ التى بايدينا وعبارة الزمخشرى اى أنزلنا عليكم لباسين لباسا يوارى سوآتكم ولباسا يزينكم اه

اللباس المنزل باقسامه (قوله فيه التفات عن الخطاب) اى وكان مقتضي الظاهر لعلكم تذكرون ونكتته
دفع الثقل فى الكلام (قوله يا بنى آدم) لماذ كرهم نعمة اللباس نبههم على ان الشيطان حسود وعدو لهم كما انه
حسود وعدو لابيهم (قوله لا يفتننكم الشيطان) هونهى له صورة وفى الحقيقة نهى لبنى آدم عن الاصغاء
لفتنته واتباعه فليس المراد النهى عن تسلطه اذلا قدرة لمخلوق على منع ذلك لانه قضاء مبرم بل المراد النهى
عن الميل اليه والى ذلك اشار المفسر بقوله اى لا تتبعوه فتفتتنوا (قوله كما اخرج) الكاف بمعنى مثل صفة
لمصدر محذوف ومامصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر والتقدير فتنة مثل فتنة اخراج ابويكم والجامع
بينهما زوال النعم فى كل (قوله ابويكم) أى آدم وحواء (قوله بفتنته) الباء سببية (قوله حال) اى من
أبويكم اومن ضمير اخرج وكل صحيح فان الجملة مشتملة على ضمير الابوين وعلى ضمير الشيطان واسناد
النزع اليه باعتبار كونه سببا فيه والنزع أخذ الشئ بسرعة وقوة ومنه قوله تعالى تنزع الناس كانهم أعجاز
نخل منقعر وفيه اشارة الى ان من اتبع الشيطان تزول نعمه بسرعة وقوة وأتى بالمضارع حكاية للحال
الماضية استحضارا للصورة العجيبة (قوله انه يراكم) تعليل للتحرز من الشيطان اللازم للنهى كانه قيل
فاحذروه لانه يراكم الخ (قوله وقبيله) معطوف على الضمير المتصل فى يراكم وأتى بالضمير المنفصل وان
كان قد حصل الفصل بالكاف زيادة فى الفصاحة والقبيل اسم لما اجتمع من شتات الخلق ولذلك فسره
بالجنود والقبيلة الجماعة من اب واحد (قوله من حيث لا ترونهم) من ابتدائية وحيث ظرف مكان
والتقدير انه يراكم رؤية مبتدأة من مكان لا ترونهم فيه (قوله للطافة اجسادهم) اى فاجسامهم كالهواء
نعلمه ونتحققه ولا نراه للطافته وعدم تلونه هذا وجه عدم رؤيتنا لهم وأما وجه رؤيتهم لنا فكثافة
أجسادنا وتلوننا وأما رؤية بعضهم لبعض فحاصلة لقوة فى ابصارهم وهذا حيث كانوا بصورتهم
الاصلية وأما اذا تصوروا بغيرها فنراهم لان الله جعل لهم قدرة على التشكل بالصور الجميلة او الخسيسة
وتحكم عليهم الصورة كما فى الاحاديث الصحيحة فالآية ليست على عمومها والفرق بينهم وبين الملائكة
ان الملائكة لا يتشكلون الا فى الصور الجميلة ولا تحكم عليهم بخلاف الجن وقد ورد ان الشيطان يجرى
من ابن آدم مجرى الدم وجعلت صدور بنى آدم مساكن لهم الا من عصمه الله كما قال تعالى الذى يوسوس
فى صدور الناس فهم يرون بنى آدم وبنو آدم لا يرونهم قال مجاهد قال ابليس جعل لنا اربع نرى ولا نرى
ونخرج من تحت الثرى ويعود شيخنا شابا وقال مالك بن دينار ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المجاهدة
الا من عصمه الله (قوله انا جعلنا الشياطين أولياء) اى صيرناهم أعوانا لغير المؤمنين ومكناهم من
اغوائهم فتحرزوا منهم (قوله واذا فعلوا فاحشة) هذه الآية نزلت فى كفار مكة كانوا يطوفون عراة
رجالهم بالنهار ونساؤهم بالليل فكان احدهم اذا قدم حاجا اومعتمرا يقول لا ينبغى ان اطوف فى ثوب
قد عصيت فيه ربى فيقول من يعيرنى ازارا فان وجد والا طاف عريانا واذا فرض وطاف فى ثياب نفسه
ألقاها اذا قضى طوافه وحرمها على نفسه (قوله قالوا وجدنا الخ) اى محتجين بهذين الامرين تقليد
الآباء والافتراء على الله (قوله قل ان الله لا يامر بالفحشاء) اى ردلما انهم الثانية وترك رد الاولى
لوضوح فسادها (قوله اتقولون على الله مالا تعلمون) اى لانكم لم تسمعوه مشافهة ولم تاخذوه عن
الانبياء الذين هم وسايط بين الله وخلقه (قوله استفهام انكار) اى وتوبيخ وفيه معنى النهى (قوله
معطوف على معنى بالقسط) دفع بذلك ما يقال ان قوله امر ربى بالقسط خبر وقوله واقيموا انشاء
ولا يصح عطف الانشاء على الخبر فاجاب بجوابين الاول ان اقيموا معطوف على المعنى والتقدير قال
اقسطوا وأقيموا الثانى ان الكلام فيه حذف والتقدير قل امر ربى بالقسط فاقبلوا واقيموا (قوله اى
اخلصوا له سجودكم) أى صلاتكم ففيه تسمية الكل باسم اشرف اجزائه لان اقرب ما يكون العبد من ربه

وهو

فيه التفات عن الخطاب
(يابنى آدم لا يفتننكم)
يضلنكم (الشيطان) اى
لاتتبعوه فتفتتنوا (كما
أخرج ابويكم) بفتنته
(من الجنة ينزع) حال
(عنهما لباسهما ليريهما
سوآتهما انه) أى الشيطان
(يراكم هو وقبيله) جنوده
(من حيث لا ترونهم)
للطافة اجسادهم او عدم
ألوانهم (انا جعلنا الشياطين
اولياء) اعوانا وقرناء
(للذين لا يؤمنون واذا
فعلوا فاحشة) كالشرك
وطوافهم بالبيت عراة
قائلين لا نطوف فى ثياب
عصينا الله فيها فنهوا عنها
(قالوا وجدنا عليها آباءنا)
فاقتدينا بهم (والله امرنا
بها) ايضا (قل) لهم (ان الله
لا يامر بالفحشاء أتقولون
على الله مالا تعلمون) انه
قاله استفهام انكار (قل
امر ربى بالقسط) العدل
(واقيموا) معطوف على
معنى بالقسط أى قال
اقسطوا واقيموا أوقبله
فاقبلوا مقدرا (وجوهكم)
لله (عند كل مسجد) اى
اخلصوا له سجودكم

وهو ساجد (قوله وادعوه) عطف عام (قوله كما بدأكم تعودون) كلام مستانف مسوق للرد على منكرى البعث اى يعيدكم احياء اى بالارواح والاجساد بعينها (قوله فريقا هدى) فريقا معمول لهدى وفريقا الثانى معمول لمقدر من قبيل الاشتغال موافق فى المعنى والتقدير وأضل فريقا حق عليهم الضلالة اى ثبت فى الازل ضلالهم (قوله انهم اتخذوا) علة لقوله حق عليهم (قوله ويحسبون انهم مهتدون) اى يظنون انهم على هدى والحال انهم ليسوا كذلك (قوله يا بنى آدم الخ) سبب نزولها كما قال ابن عباس ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال بالنهار والنساء بالليل يقولون لا نطوف فى ثياب عصينا الله فيها وكانوا لا يأكلون فى ايام حجهم الا قوتا ولا يأكلون لحما ولا دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون ان يفعلوا كفعلهم (قوله اى ما يستر عورتكم) راعى فى هذا المحل سبب النزول واصل الواجب وعموم اللفظ يفيد ان المطلوب فى الصلاة والطواف ومشاهد الخير جميل الثياب كما هو المندوب شرعا تامل (قوله عند كل مسجد) المسجد فى الاصل موضع السجود ثم أطلق وأريد منه نفس الصلاة والطواف من باب تسمية الحال باسم المحل والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فالذى ينبغى للامة التجمل بالثياب عند حضور مشاهد الخير مع القدرة (قوله وكلوا واشربوا) اى من الحلال فانه رأس التقوى (قوله ولا تسرفوا) اى بان تحرموا الحلال كما كانوا يفعلون من امتناعهم من اللحم والدسم او تحلوا الحرام او تتجاوزوا الحد فى الاكل والشرب كالتعمق فى ذلك او الاكثار المضر لما فى الحديث ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ولان ما زاد على ثلث البطن لا يعود على الشخص الا بالضرر لما فى الحديث اصل كل داء البردة وهى ادخال الطعام على الطعام فالمناسب ان لا يأكل حتى يجوع وان يقوم ونفسه تشتهى الطعام فان ملك النفس عن الاسراف فى المباح اكبر دليل على ملكها عن الحرام (قوله انه لا يحب المسرفين) اى يعاقبهم على ذلك ولا يرضى فعلهم (قوله انكارا عليهم) أى وتوبيخا لهم وحيث كان انكارا فلا جواب له (قوله التى اخرج لعباده) اى التى خلقها لهم من النبات كالقطن والكتان ومن الحيوان كالحرير والصوف ومن المعادن كالدروع وكلها جائزة للرجال والنساء ما عدا الحرير الخالص للرجال فانه يحرم عليهم اجماعا وأما ما اختلط بالحرير وغيره ففيه خلاف بين العلماء بالكراهة والحرمة والجواز والمعتمد عدم الحرمة (قوله قل هى) أى الزينة من الثياب والطيبات من الرزق (قوله بالاستحقاق) اى الاصلى وأما مشاركة غيرهم لهم فهو بطريق التبع وهذا جواب عما يقال ان المشاهد ان الكافر يستمتع بالزينة والمستلذات اكثر من المسلم فكيف يقال انها للذين آمنوا فى الحياة الدنيا فاجاب بما ذكر ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فامتعه قليلا الآية ولذا لا يعاقبون عليها الان الله خلقها لهم بطريق الاصالة ليستعينوا بها على طاعاته ولذا اذا عدمت المؤمنون فى آخر الزمان تقوم القيامة اذ لم يبق مستحق للنعم (قوله خالصة بهم) اى لا يشاركهم فيها غيرهم (قوله بالرفع) اى خبر ثان (قوله والنصب حال) اى من الضمير فى الخبر فى المحذوف والتقدير هى كائنة للذين آمنوا فى الحياة الدنيا حال كونها خالصة لهم يوم القيامة وانما كانت خالصة للمؤمنين يوم القيامة لان رحمة الله تنفرد بالمؤمنين وغضبه ينفرد بالكافرين قال تعالى وامتازوا اليوم ايها المجرمون (قوله كذلك نفصل الآيات) اى نبينها ونوضحها فى غير هذا الموضع مثل ذلك التفصيل والتوضيح فى هذا الموضع (قوله لقوم يعلمون) اى انه مستحق للعبادة (قوله فانهم المنتفعون بها) اى وغيرهم لا يعبأ به ولا يخاطب (قوله كالزنا) اى والقتل وسلب الاموال وسائر انواع الفسق بالجارحة (قوله اى جهرها وسرها) المراد بالجهر المعاصى الظاهرية كالقتل وشرب الخمر وبالسر المعاصى الباطنية القلبية كالعجب والكبر والرياء (قوله والاثم) عطف عام

(وادعوه) اعبدوه (مخلصين له الدين) من الشرك (كما بدأكم) خلقكم ولم تكونوا شيأ (تعودون) اى يعيدكم احياء يوم القيامة (فريقا) منكم (هدى وفريقا حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله) أى غيره (ويحسبون انهم مهتدون يا بنى آدم خذوا زينتكم) اى ما يستر عورتكم (عند كل مسجد) عند الصلاة والطواف (وكلوا واشربوا) ما شئتم (ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين قل) انكارا عليهم (من حرم زينة الله التى اخرج لعباده) من اللباس (والطيبات) المستلذات (من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا) بالاستحقاق وان شاركهم فيها غيرهم (خالصة) خاصة بهم بالرفع والنصب حال (يوم القيامة كذلك نفصل الآيات) نبينها مثل ذلك التفصيل (لقوم يعلمون) يتدبرون فانهم المنتفعون بها (قل انما حرم ربى الفواحش) الكبائر كالزنا (ما ظهر منها وما بطن) اى جهرها وسرها (والاثم) المعصية (والبغى) على الناس (بغير الحق)

هو الظالم (وأن تشركوا بالله مالم ينزل به) باشراكه (سلطانا) حجة (وان تقولوا على الله مالا تعلمون) من تحريم مالم يحرم وغيره (ولكل امة اجل) مدة (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون) عنه (ساعة ولا يستقدمون) عليه (يا بنى آدم اما) فيه ادغام نون ان الشرطية فى ما المزيدة (يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى فمن اتقى) الشرك (وأصلح) عمله (فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون) فى الآخرة (والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا) تكبروا (عنها) فلم يؤمنوا بها (أولئك اصحاب النار هم فيها خالدون فمن) اى لا أحد (أظلم ممن افترى على الله كذبا) بنسبة الشريك والولد اليه (اوكذب بآياته) القرآن (أولئك ينالهم) يصيبهم (نصيبهم) حظهم (من الكتاب) مما كتب لهم فى اللوح المحفوظ من الرزق والاجل وغير ذلك (حتى اذا جاءتهم رسلنا) أى الملائكة (يتوفونهم قالوا) لهم تبكيتا (اين ما كنتم تدعون) تعبدون (من دون الله قالوا ضلوا) غابوا (عنا) فلم نرهم (وشهدوا على انفسهم) عند الموت (انهم كانوا كافرين

على خاص وما بعده عطف خاص على عام لمزيد الاعتناء بشانه (قوله هو الظلم) اى للناس اما بالقتل أو سلب الاموال او التكلم فى اعراضهم أو غير ذلك وقوله بغير الحق ايضاح لمعنى البغى فهو صفة كاشفة (قوله مالم ينزل به سلطانا) ما نكرة بمعنى شيء أى شيئا سواه تعالى (قوله حجة) أى دليلا لان دليل الوحدانية لله ابطل الشرك لغيره (قوله وغيره) أى كتحليل الحرام و يدخل فى ذلك المفترى بالكذب (قوله ولكل أمة أجل) اى لكل فرد من افراد الامة (قوله مدة) اى وقت معين (قوله ساعة) اى شيا قليلا من الزمن فالمراد بالساعة الساعة الزمانية وقوله لا يستأخرون جواب اذا وقوله ولا يستقدمون مستأنف أو معطوف على الجملة الشرطية ولا يصح عطفه على قوله لا يستأخرون لان المعطوف على الجواب جواب وجواب اذا يشترط أن يكون مستقبلا والاستقدام بالنسبة لمجيء الاجل ماض فلا يصح ترتبه على الشرط (قوله يا بنى آدم) هذا خطاب عام لكل من لآدم عليه ولادة من اول الزمان لآخره ولكن المقصود من كان فى زمنه صلى الله عليه وسلم وفى هذه الآية دليل على عموم رسالته لان الله خاطب من اجله عموم بنى آدم (قوله فى ما المزيدة) اى للتأكيد (قوله يأتينكم) فعل الشرط مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة فى محل جزم وجملة فمن اتقى الى خالدون جواب الشرط والرابط محذوف تقديره فمن اتقى منكم ومن يحتمل ان تكون شرطية واتقى فعل الشرط وجملة فلا خوف عليهم جوابه و يحتمل انها موصولة واتقى صلتها وجملة فلا خوف عليهم خبرها وقرن بالفاء لما فى المبتدإ من معنى العموم (قوله منكم) أى من جنسكم يا بنى آدم وانما كان من جنسهم لانه اقطع لعذرهم وحجتهم (قوله يقصون) اى يقرؤن و يتلون (قوله آياتى) اى القرآنية وغيرها (قوله فمن اتقى الشرك) اشار بذلك الى ان المراد بالتقوى هنا التقوى العامة وهى اتقاء الشرك بالايمان لقرينة قوله واصلح واعلى منها تقوى الخواص وهى ترك المعاصى واعلى منها ترك الاغيار وهى كل مشغل عن الله ولهذه المرتبة اشار العارف بقوله

ولو خطرت لى فى سواك ارادة ✽ على خاطرى يوما حكمت بردتى

(قوله واصلح عمله) اى بان ترك المعاصى او كل مشغل عن الله فهو صادق بتقوى الخواص وخواص الخواص (قوله فى الآخرة) اى واما فى الدنيا فلا يفارقهم الخوف ولا الحزن لتذكرهم الموت واحوال الآخرة ولو جاءتهم البشرى من الله فالحزن دأب الصالحين فى الدنيا لزيادة درجاتهم (قوله فلم يؤمنوا بها) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف اى تكبروا عن الايمان بها (قوله اى لا احد) اشار بذلك الى ان الاستفهام انكارى بمعنى النفى (قوله بنسبة الشريك) الباء سببية والمعنى لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذبا بسبب نسبة الشريك لله ككفار مكة حيث أشركوا مع الله الاصنام والنصارى واليهود حيث نسبوا له الولد (قوله او كذب بآياته) وانما لم ينسب الشريك له لانه لا يلزم من التكذيب بالآيات نسبة الشريك له واما نسبة الشريك له فيلزم منها التكذيب بالآيات (قوله أولئك ينالهم نصيبهم) أى فى الدنيا (قوله من الكتاب) من ابتدائية متعلقة بمحذوف حال من نصيبهم وقوله مما كتب لهم بيان للنصيب (قوله من الرزق) اى على حسبه من سعة وضيق وكونه من حلال أو حرام وقوله والاجل اى من قصر أو طول وقوله وغير ذلك اى كالعمل وكما ان ذلك مكتوب فى اللوح المحفوظ مكتوب فى صحف الملائكة وهو فى بطن أمه فتحصل ان ما قسم له فى الحياة الدنيا لا يغيره كفر ولا اسلام (قوله حتى اذا جاءتهم) حتى اما ابتدائية او جارة (قوله الملائكة) قيل انهم عزرائيل واعوانه لقبض ارواحهم وقيل انهم ملائكة العذاب وتقدم انهم سبع موكلون باخذ روح الكافر بعد قبضها للعذاب (قوله تبكيتا) اى توبيخا وتقريعا (قوله اين ما كنتم تدعون من دون الله) اى الآلهة التى كنتم تعبدونها فى الدنيا فتمنعكم الآن من العذاب (قوله فلم نرهم) اى مع شدة احتياجنا اليهم فى هذا الوقت (قوله وشهدوا على انفسهم) كلام مستأنف اخبار من الله باقرارهم على انفسهم بالكفر ولا تعارض بين

هذا

هذا وبين قوله والله ربنا ما كنا مشركين لان مواقف القيامة مختلفة (قوله قال ادخلوا فى امم) اى لهؤلاء الذين افتروا على الله الكذب وكذبوا بآياته (قوله فى امم) فى بمعنى مع أى ادخلوا مصاحبين لامم وهو حال من فاعل ادخلوا وتسمى منتظرة لانهم عند الدخول لم يكونوا مصاحبين للامم وقوله قد خلت صفة أولى لامم وقوله من قبلكم صفة ثانية وقوله من الجن والانس صفة ثالثة وقوله فى النار فى للظرفية فاندفع ما يقال يلزم عليه تعلق حرفى جر متحدى اللفظ والمعنى بعامل واحد (قوله قد خلت) اى سبقت ومضت (قوله فى النار) المراد بها دار العقاب بجميع طباقها (قوله لعنت اختها) اى فى الدين (قوله التى قبلها) اى فى التلبس بذلك الدين فالنصارى تلعن النصارى واليهود تلعن اليهود والمجوس تلعن المجوس وهكذا كل من اقتدى بغيره فى دين باطل (قوله اداركوا) اصله تداركوا قلبت التاء دالا وادغمت فى الدال وأتى بهمزة الوصل توصلا للنطق بالساكن (قوله اخراهم) اى المتاخرون عنهم فى الزمن فاخرى تانيث آخر مقابل أول لا تانيث آخر الذى بمعنى غير (قوله وهم الاتباع) اى كانوا فى زمنهم او تاخروا بعدهم (قوله أى لاجلهم) اشار بذلك الى ان اللام فى لاولاهم للتعليل وليست للتبليغ لان الخطاب مع الله لا معهم (قوله وهم المتبوعون) اى الرؤساء (قوله ضعفا) ضعف الشيء فى الاصل اقل ما يتحقق فيه مثل ذلك الشيء والمراد هنا الزيادة الى غير نهاية بدليل قول المفسر مضعفا (قوله لكل ضعف) اما المتقدمون فلضلالهم واضلالهم وأما المتاخرون فلكفرهم وتقليدهم (قوله بالياء والتاء) اى فهما قراءتان سبعيتان فعلى التاء يكون خطابا للاخرى أو للاحياء الذين فى الدنيا وعلى الياء يكون اخبارا عن المتقدمين والمتاخرين (قوله ما لكل فريق) اشار بذلك الى ان مفعول يعلمون محذوف (قوله لاخراهم) اللام هنا للتبليغ لان الخطاب معهم (قوله لانكم لم تكفروا بسببنا) أى بل كفرتم اختيارا الا أنا حملناكم على الكفر وأكرهناكم عليه لانه لا يمكن الجبر على الكفر لتعلقه بالقلب (قوله قال تعالى لهم) هذه احدى طريقتين والاخرى انه من كلام الرؤساء للاتباع (قوله بما كنتم تكسبون) اى بسبب كسبكم من الكفر والمخالفة (قوله ان الذين كذبوا بآياتنا) أى وماتوا على ذلك (قوله فلم يؤمنوا بها) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف والتقدير تكبروا عن الايمان بها (قوله لا تفتح) بالبناء للمفعول اما بالتاء او الياء مع التخفيف او التشديد وكلها سبعية (قوله اذا عرج بارواحهم) ومثلها دعاؤهم وأعمالهم (قوله الى سجين) هو واد فى جهنم اسفل الارض السابعة تسجن به ارواح الكفار وقيل هو كتاب جامع لاعمال الشياطين والكفرة وأما عليون فقيل هو كتاب جامع لاعمال الخير من الملائكة ومؤمنى الثقلين وقيل هو مكان فى الجنة فى السماء السابعة تحت العرش (قوله ويصعد بروحه الى السماء السابعة) اى وترى مقعدها فى الجنة وترجع مسرورة فعند ذلك يرى البشر والنور على جسمها (قوله كما ورد فى الحديث) اى وهو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبض روح الكافر ويخرج منها ريح كانتن جيفة وجدت على وجه الارض فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة الا قالوا ما هذه الروح الخبيثة فيقولون فلان بن فلان باقبح اسمائه التى يسمى بها فى الدنيا حتى ينتهوا بها الى السماء الدنيا فيستفتحون فلا يفتح لهم ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتح لهم ابواب السماء (قوله ولا يدخلون الجنة) اى بعد الموت (قوله حتى يلج الجمل) الولوج الدخول بشدة والجمل الذكر من الابل وخص بذلك لانه اعظم جسم عند العرب فجسم الجمل من اعظم الاجسام وثقب الابرة من اضيق المنافذ وهو تعليق جائز على مستحيل والمعلق على المستحيل مستحيل فاستفيد من ذلك ان دخول الكفار الجنة مستحيل (قوله فى سم الخياط) السم مثلث السين لكن القراء السبعة على الفتح وقرىء شذوذا بالضم والكسر وجمعه سمام وأما ما يقتل فهو مثلث أيضا الا ان جمعه سموم والخياط هو الآلة التى يخاط بها ويقال لها مخيط أيضا

قال) تعالى لهم يوم القيامة (ادخلوا فى) جملة (امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس فى النار) متعلق بادخلوا (كلما دخلت أمة) النار (لعنت اختها) التى قبلها لضلالها بها (حتى اذا اداركوا) تلاحقوا (فيها جميعا قالت اخراهم) وهم الاتباع (لاولاهم) اى لاجلهم وهم المتبوعون (ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا) مضعفا (من النار قال) تعالى (لكل) منكم ومنهم (ضعف) عذاب مضعف (ولكن لا يعلمون) بالياء والتاء ما لكل فريق (وقالت أولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل) لانكم لم تكفروا بسببنا فنحن وانتم سواء قال تعالى لهم (فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا) تكبروا (عنها) فلم يؤمنوا بها (لا تفتح لهم ابواب السماء) اذا عرج بارواحهم اليها بعد الموت فيهبط بها الى سجين بخلاف المؤمن فتفتح له ويصعد بروحه الى السماء السابعة كما ورد فى حديث (ولا يدخلون الجنة حتى يلج) يدخل (الجمل فى سم الخياط) ثقب الابرة وهو غير ممكن فكذا دخولهم

(قوله وكذلك الجزاء) أى المتقدم وهو عدم فتح أبواب السماء لهم وعدم دخولهم الجنة (قوله نجزى المجرمين) اى كما جزيناهؤلاء نجزى كل من اتصف بالاجرام من مبدا الزمان الى منتهاه (قوله لهم) أى للذين كذبوا واستكبروا (قوله من فوقهم غواش) الجار والمجرور خبر مقدم وغواش مبتدأ مؤخر مرفوع بضمة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين منع من ظهورها الثقل والمعنى ان النار محيطة بهم من كل جانب وقد ورد ان سقف النار من نحاس وأرضها من رصاص وحيطانها من كبريت ووقودها الناس والحجارة (قوله وتنوينه عوض من الياء المحذوفة) هذا بناء على الصحيح من ان الاعلال مقدم على منع الصرف فاصله غواشي بالتنوين استثقلت الضمة على الياء فحذفت فاجتمع ساكنان الياء والتنوين فحذفت لالتقائهما ثم لوحظ أن الكلمة ممنوعة من الصرف فحذف تنوين الصرف فخيف من رجوع الياء فاتى بالتنوين عوضا عنها واما تصريفها على ان منع الصرف مقدم على الاعلال فاصلها غواشي بترك التنوين استثقلت الضمة على الياء فحذفت ثم أتى بالتنوين عوضا عن الحركة التى هى الضمة فالتقى ساكنان الياء والتنوين حذفت الياء لالتقائهما (قوله وكذلك) اى مثل الجزاء المتقدم (قوله نجزى الظالمين) عبر عنهم أولا بالمجرمين وهنا بالظالمين اشارة الى انهم اتصفوا بالامرين معا (قوله والذين آمنوا) لما ذكر وعيد الكافرين أتبعه بذكر وعد المؤمنين على حكم عادته سبحانه فى كتابه والاسم الموصول مبتدأ وآمنوا صلته وعملوا الصالحات معطوف عليه وقوله لا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدا والخبر وهو قوله أولئك أصحاب الجنة وهذا ماشى عليه المفسر تبعا لاكثر علماء المعانى وقال بعضهم لا نكلف نفسا الا وسعها خبر والرابط محذوف اى لا نكلف منهم (قوله لا نكلف نفسا الا وسعها) اى ما يسعها من الاعمال وما يسهل عليها ودخل فى طوقها وقدرتها وكل هذا تفضل منه سبحانه وتعالى (قوله اعتراض) وحكمته تبكيت الكفار وتنبيههم على ان الجنة مع عظم قدرها يتوصل اليها بالعمل السهل من غير كلفة ولا مشقة ان قلت ورد ان الجنة حفت بالمكاره فكيف تقولون ان الجنة يتوصل اليها بالعمل السهل اجيب بان المراد بالمكاره مخالفة شهوات النفس وهى فى طاقة العبد فالمراد بالعمل السهل ما كان فى طاقة العبد كان فعلا او تركا (قوله ونزعنا ما فى صدورهم من غل) اى خلقناهم فى الجنة مطهرين منه لانهم دخلوا الجنة به ثم نزع وحكمة نزع الغل من صدور اهل الجنة ان كل احد منهم اعطى فوق أمانيه اضعافا مضاعفة (قوله حقد كان بينهم فى الدنيا) الحقد هو ضيق الصدر من الغير وهو اس الحسد وهو معصية قلبية تجب التوبة منه ومجاهدة النفس لتخلص منه ومن هنا افترق كبار الصالحين من صغارهم واعلم ان الناس ثلاثة أقسام قسم خلصت قلوبهم من الامراض الباطنية فهم فى الدنيا كاهل الجنة فى الجنة يحبون للناس ما يحبونه لانفسهم وهم الانبياء ومن كان على قدمهم وقسم لم تخلص قلوبهم غير انهم لم يرضوا لانفسهم بذلك ويلومون أنفسهم على ما فى قلوبهم وهؤلاء المجاهدون لانفسهم ولا يؤاخذون بذلك حينئذ وقسم لم تخلص قلوبهم وهم راضون لانفسهم بذلك وهؤلاء فساق يجب عليهم مجاهدة نفوسهم فى تخليصهم من تلك الآفات (قوله تحت قصورهم) اى بجانب جدارها وليس المراد انها تجرى من تحت الجدار (قوله الذى هدانا) أى ارشدنا ووفقنا (قوله العمل الذى هذا جزاؤه) كذا فى نسخة وفى نسخة اخرى لعمل هذا جزاؤه وفى اخرى لهذا العمل هذا جزاؤه (قوله وما كنا لنهتدى) بالواو ودونها قراءتان سبعيتان والجملة امامستأنفة اوحالية على كل (قوله لدلالة ما قبله عليه) اى وهو قوله وما كنا لنهتدى والتقدير ولولا هداية الله لنا موجودة ما اهتدينا (قوله لقد جاءت رسل ربنا بالحق) هذا إقسام من اهل الجنة شكر النعم الله وتحدثا بها والمعنى ان ما أخبرونا به فى الدنيا من الثواب حق وصدق لمشاهدتنا له عيانا (قوله ونودوا) يحتمل ان المنادى هو الله ويحتمل

(وكذلك) الجزاء (نجزى المجرمين) بالكفر (لهم من جهنم مهاد) فراش (ومن فوقهم غواش) أغطية من النار جمع غاشية وتنوينه عوض من الياء المحذوفة (وكذلك نجزى الظالمين والذين آمنوا وعملوا الصالحات) مبتدأ وقوله (لا نكلف نفسا الا وسعها) طاقتها من العمل اعتراض بينه وبين خبره وهو (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ونزعنا ما فى صدورهم من غل) حقد كان بينهم فى الدنيا (تجرى من تحتهم) تحت قصورهم (الانهار وقالوا) عند الاستقرار فى منازلهم (الحمد لله الذى هدانا لهذا) العمل الذى هذا جزاؤه (وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله) حذف جواب لولا لدلالة ما قبله عليه (لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا ان)

(ان قد وجدنا ماوعدنا ربنا من الثواب (حقا فهل وجدتم ماوعد) كم (ربكم) من العذاب (حقا قالوا نعم فاذن مؤذن) نادى مناد (بينهم) بين الفريقين اسمعهم (ان لعنة الله على الظالمين الذين يصدون الناس (عن سبيل الله) دينه (ويبغونها) اى يطلبون السبيل (عوجا) معوجة (وهم بالآخرة كافرون وبينهما) اى اصحاب الجنة والنار (حجاب) حاجز قيل هو سور الاعراف (وعلى الاعراف) وهو سور الجنة (رجال) استوت حسناتهم وسيآتهم كما فى الحديث (يعرفون كلا) من اهل الجنة والنار (بسيماهم) بعلامتهم وهى بياض الوجوه للمؤمنين وسوادها للكافرين لرؤيتهم لهم اذ موضعهم عال (ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم) قال تعالى (لم يدخلوها) اى اصحاب الاعراف الجنة (وهم يطمعون) فى دخولها قال الحسن لم يطمعهم الا لكرامة يريدها بهم وروى الحاكم عن حذيفة قال بينا هم كذلك اذ طلع عليهم ربك فقال قوموا ادخلوا الجنة فقد غفرت لكم (واذا صرفت ابصارهم) اى اصحاب الاعراف (تلقاء) جهة (اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا)

انه الملائكة (قوله مخففة) أى واسمها ضمير الشان وخبرها الجملة بعدها (قوله أومفسرة) أى لانه تقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه وهو قوله ونودوا (قوله فى المواضع الخمسة) أى من هنا الى قوله افيضوا علينا من الماء (قوله تلكم الجنة) اسم الاشارة مبتدا والجنة خبر وقوله اورثتموها حال من الجنة أو الجنة نعت لاسم الاشارة واورثتموها خبره وأتى باسم الاشارة البعيدة اشارة لعظم رتبتها ومكانتها على حد ذلك الكتاب (قوله اورثتموها) اى من الكفار لان الله خلق فى الجنة منازل للكفار بتقدير ايمانهم فمن لم يؤمن منهم جعل منزله لاهل الجنة فكل واحد من اهل الجنة ياخذ منازل تسعمائة وتسعة وتسعين من اهل النار يضم لمنزله فيجتمع له الف منزل فلما كان الغالب منها ميراثا اطلق على جميعها اسم الميراث وحكمة اطلاق اسم الارث عليها ان الكفار سماهم الله امواتا بقوله اموات غير احياء والمؤمنين احياء ومن المعلوم ان الحى يرث الميت (قوله بما كنتم تعملون) الباء سببية وما مصدرية اى بسبب عملكم ان قلت ورد فى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لن يدخل الجنة احد بعمله قيل ولا انت يارسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدنى الله برحمته اجيب بان الآية محمولة على العمل المصحوب بالفضل والحديث محمول على العمل المجرد عنه (قوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار) ان قلت اذا كانت الجنة فى السماء والنار فى الارض فكيف يسمعون النداء اجيب بان القيامة خارقة للعادة فلا مانع من وصول النداء لهم وهذا النداء من كل فرد من افراد اهل الجنة لكل فرد من افراد اهل النار لان مقابلة الجمع بالجمع تقتضى القسمة على الآحاد (قوله ماوعدكم ربكم حقا) تسميته وعدا مشاكلة والا فالاخبار بالشر ايعاد لا وعد وقدر المفسر الكاف اشارة الى ان مفعول وعد محذوف وقوله من العقاب بيان لما (قوله نادى مناد) قيل هو اسرافيل وقيل غيره من الملائكة (قوله اسمعهم) تفسير لقوله بينهم (قوله الذين يصدون) نعت للظالمين (قوله معوجة) اى مائلة عن الحق والمعنى انهم يغيرون دين الله وطريقته التى شرع لعباده (قوله حاجز) اى يمنع وصول كل منهما للآخر (قوله استوت حسناتهم وسيآتهم) هذا قول من ثلاثة عشر قولا وقيل اولاد المشركين الذين ماتوا اصغارا وقيل اناس خرجوا للغزو فى سبيل الله من غير اذن آبائهم ثم قتلوا وقيل ناس بروا آباءهم دون امهاتهم وبالعكس وقيل انهم عدول القيامة يشهدون على الناس باعمالهم وهم فى كل امة (قوله كما فى الحديث) اى وهو ان الله يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته اكثر بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيآته اكثر بواحدة دخل النار ومن استوت حسناته وسيآته كان من اصحاب الاعراف فوقفوا على الاعراف فاذا نظروا الى اهل الجنة نادوهم سلام عليكم سلام عليكم واذا نظروا الى اهل النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فهنالك يقول الله تعالى لم يدخلوها وهم يطمعون فكان الطمع دخولا (قوله ونادوا) اى اصحاب الاعراف (قوله قال تعالى) اشار بذلك الى ان الوقف على قوله عليكم وقوله لم يدخلوها كلام مستانف جواب عن سؤال مقدر كان قائلا قال وما صنع باهل الاعراف فاجيب بانهم لم يدخلوها (قوله اذا اطلع عليهم ربك) اى ازال عنهم الحجب حتى راوه وسمعوا كلامه (قوله فقال قوموا ادخلوا الجنة) اى فينطلق بهم الى نهر يقال له نهر الحياة حافتاه قضب الذهب مكلل باللؤلؤ ترابه المسك فيلقوا فيه فتصلح الوانهم وتبدو فى نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها يسمون مساكين اهل الجنة (قوله واذا صرفت ابصارهم) عبر بالصرف دون النظر اشارة الى ان نظرهم الى اهل النار غير مقصود لان رؤية العذاب واهله تسىء الناظرين بخلاف النظر للنعيم واهله ففيه مسرة للناظرين فلذا لم يعبر فى جانبه بالصرف بل قيل ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم (قوله تلقاء) بالمد والقصر قراءتان سبعيتان وهى ظرف مكان بمعنى جهة ويستعمل مصدرا كالتبيان ولم يجىء من المصادر على التفعال بالكسر غير التلقاء والتبيان والزلزال

و بعضهم الحق التكرار بذلك (قوله فى النار) اى لا ابتداء مع العصاة ولا دواما مع الكفار (قوله رجالا) اى كانوا عظماء فى الدنيا كابى جهل والوليد بن المغيرة وعقبة بن ابى معيط واضرابهم (قوله بسيماهم) اى علامتهم وتقدم انها سواد الوجه للكفار (قوله ما اغنى عنكم) يحتمل ان ما استفهامية أى أى شيء اغنى عنكم جمعكم ويحتمل انها نافية أى لم يغن عنكم جمعكم ولا استكباركم شيئا من عذاب الله (قوله المال) اشار بذلك الى ان جمع مصدر مضاف لفاعله ومفعوله محذوف قدره بقوله المال وقوله او كثرتكم اشارة لتفسير ثان لجمعكم فيكون معناه جماعتكم (قوله اى واستكباركم) سبك المصدر مما بعد كان جريا على قول من يقول ان كان تجردت عن معنى الحدث وصارت لمجرد الربط ولو مشي على مقابله المشهور لقال وكونكم مستكبرين وانما احل المفسر على ذلك الاختصار (قوله مشيرين) اى أهل الاعراف (قوله الى ضعفاء المسلمين) أى الذين كانوا يعذبون فى الدنيا وكان المشركون يسخرون بهم كصهيب وبلال وسلمان وخباب ونحوهم (قوله اهؤلاء) استفهام تقرير وتوبيخ (قوله اقسمتم) أى باللات والعزى وقوله لا ينالهم الله برحمة هذا هو المقسم عليه ويؤخذ من الآية ان اهل الاعراف ناظرون لاهل الجنة واهل النار وان اهل النار ناظرون لاهل الاعراف واهل الجنة وهذا المزيد الحسرة لهم فهم يعذبون بالنار والتبكيت من اهل الاعراف (قوله قد قيل لهم) قدره اشارة الى ان قوله ادخلوا الجنة مقول لذلك القول المحذوف ليصح جعلها خبرا ثانيا لان الجملة الطلبية لا يصح وقوعها خبرا الا اذا أولت بخبر (قوله وقرئ ادخلوا الخ) هاتان شاذتان على عادته حيث يعبر عن الشاذ بقرئ وعن السبعى بوفى قراءة وعلى هاتين القراءتين فلا يحتاج لتقدير القول لان الجملة خبرية (قوله فجملة النفى) اى جنسها الصادق بالجملتين وهما لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون (قوله حال) اى معمول لحال محذوفة ففى كلامه تسمح وهذا على القراءتين الشاذتين واما على القراءة السبعية فلا يحتاج لذلك (قوله ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة) قال ابن عباس رضي الله عنهما لما صار اصحاب الاعراف الى الجنة طمع اهل النار فى الفرج عنهم فقالوا يارب ان لنا قرابات من اهل الجنة فائذن لنا حتى نراهم ونكلمهم فياذن لهم فينظرون الى قراباتهم فى الجنة وما هم فيه من النعيم فيعرفونهم وينظر اهل الجنة الى قراباتهم من اهل النار فلم يعرفوهم لسواد وجوههم فينادى اصحاب النار اصحاب الجنة باسمائهم فينادى الرجل اباه واخاه فيقول قد احترقت افض علي من الماء فيقال لهم اجيبوهم فيقولون ان الله حرمهما على الكافرين (قوله من الطعام) اى الشامل للمشروب والمأكول وحينئذ فيضمن افيضوا معنى القوا نظير علفتها تبنا وماء باردا او بمعنى الواو بدليل قوله حرمهما والا لو بقيت على بابها من التخيير لاعيد الضمير مفردا (قوله منعهما) أى فالتعبير بالتحريم مجاز لانقطاع التكليف بالموت ويعلم من هذا انه لا يتأثر أهل الجنة بعذاب أهل النار لتقطع الاسباب بينهم ونزع الرحمة من قلوب أهل الجنة لاهل النار لاستحقاقهم ما هم فيه من العذاب (قوله الذين اتخذوا) هذا وصف للكافرين (قوله لهوا ولعبا) اللهو صرف الهم بما لا يحسن ان يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب به (قوله وغرتهم الحياة الدنيا) أى شغلتهم بالطمع فى طول العمر وحسن العيش (قوله فاليوم ننساهم) ليس من كلام أهل الجنة وانما هو قول الرب جل جلاله فالفاء واقعة فى جواب شرط مقدر تقديره فاذا كان هذا حال الكافرين فاليوم ننساهم (قوله نتركهم فى النار) اشار بذلك الى ان النسيان مستعمل فى لازمه وهو الترك لان حقيقته مستحيلة على الله فالمعنى نعاملهم معاملة الناسي من عدم الاعتناء بهم وتركهم فى النار (قوله كما نسوا) الكاف تعليلية وما مصدرية اى لاجل نسيانهم (قوله بتركهم العمل له) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف تقديره كما نسوا العمل للقاء يومهم هذا (قوله اى وكما جحدوا) اشار بذلك الى ان ما معطوف

فى النار (مع القوم الظالمين ونادى اصحاب الاعراف رجالا) من اصحاب النار (يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم) من النار (جمعكم) المال او كثرتكم (وما كنتم تستكبرون) اى واستكباركم عن الايمان ويقولون لهم مشيرين الى ضعفاء المسلمين (اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة) قد قيل لهم (ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون) وقرئ ادخلوا بالبناء للمفعول ودخلوا فجملة النفى حال اى مقولا لهم ذلك (ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان أفيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله) من الطعام (قالوا ان الله حرمهما) منعهما (على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم) نتركهم فى النار (كما نسوا لقاء يومهم هذا) بتركهم العمل له (وما كانوا بآياتنا يجحدون) اى وكما جحدوا (ولقد جئناهم) اى اهل مكة (بكتاب) قرآن

على

على ما الاولى مسلط عليه كاف التعليل والمعنى تتركهم فى النار لتركهم العمل ولجحدهم آياتنا (قوله فصلناه) القراءة السبعية بالصاد وقرئ شذوذا بالضاد المعجمة أى فضلناه على غيره من الكتب السماوية (قوله بالاخبار والوعد) اى وكذا بقية الانواع التسعة التى جمعها بعضهم فى قوله

حلال حرام محكم متشابه * بشير نذير قصة عظة مثل

(قوله حال) اى من الفاعل ويصح كونه حالا من المفعول والمعنى فصلناه حال كونه مشتملا على علم (قوله حال من الهاء) اى أو من كتاب وجاز ذلك لتخصيصه بالوصف (قوله هل ينظرون) اى اهل مكة (قوله عاقبة ما فيه) اى فهذا هو المراد بتاويله بمعنى ما يؤول اليه وعيد القرآن لهم (قوله الذين نسوه) اى التاويل (قوله قد جاءت رسل ربنا بالحق) اى تبين صدقهم فيما جاؤا به واعترفوا بذلك لمعاينة العذاب (قوله فيشفعوا) منصوب بان مضمرة فى جواب الاستفهام فهو عطف اسم مؤول على اسم صريح (قوله او هل نرد) اشار بذلك الى ان جملة نرد معطوفة على التى قبلها والاستفهام مسلط عليها (قوله فنعمل) منصوب بان مضمرة فى جواب الاستفهام الثانى والمعنى نطلب احد امرين اما الشفاعة لنا فيما سبق منا ونرجع الى الدنيا ونحسن العمل فيها (قوله من دعوى الشريك) اى من دعوى نفع الشريك لانهم كانوا يدعون ان الاصنام تنفعهم (قوله ان ربكم الله) اى لا غيره (قوله فى ستة ايام) اى اولها الاحد وآخرها الجمعة كما ورد انه ابتدأ الخلق فى يوم الاحد وانه خلق الارض فى يومين الاحد والاثنين والسموات فى يومين الخميس والجمعة وانه خلق الجبال والوحوش والاشجار والزروع فى الثلاثاء والاربعاء وروى مسلم والحاكم عن ابن عباس ان الله خلق الارض يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال وما فيهن من منافع يوم الثلاثاء وخلق يوم الاربعاء الصخر والماء والطين والعمران والخراب وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة الى ثلاث ساعات بقين منه فخلق الله فى اول ساعة من هذه الثلاث ساعات الآجال وفى الثانية القى الله الآفة على كل شىء مما ينتفع به الناس وخلق فى الثالثة آدم وأسكنه الجنة وأمر ابليس بالسجود له وأخرجه منها فى آخر ساعة واستشكل ذلك بانه لم يكن ثم شمس والجواب بان المراد فى قدرها لا يجدى نفعا الا ان يقال ان ذلك التقدير فى علم الله بحيث لو كانت الايام موجودة لكانت كذلك ثم اعلم ان ما هنا من الاحاديث موافق لما ياتى فى سورة فصلت من ان خلق الارض مقدم على السماء ولا تنافى بينه وبين ما ياتى فى سورة النازعات فى قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها المقتضى تقديم السماء على الارض لان الدحى غير الخلق فان الارض خلقت اولا كرة ثم بعد خلق السماء بسطت الارض (قوله اى فى قدرها) جواب عن سؤال مقدر افاده المفسر بقوله لانه لم يكن ثم شمس (قوله التثبت) اى التمهل فى الامور وعدم العجلة (قوله هو فى اللغة سرير الملك) اى وتسميته عرشا انما هو بالنسبة لما عدا الراكب عليه لعلوه عليهم واما المراد به هنا فهو الجسم النورانى المرتفع على كل الاجسام المحيط بكلها (قوله استواء يليق به) هذه طريقة السلف الذين يفوضون علم المتشابه لله تعالى وهذا نظير ما وقع لمالك بن أنس انه ساله رجل عن قوله تعالى الرحمن على العرش استوى فقال الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة أخرجوا عنى هذا المبتدع واما طريقة الخلف فيؤولون الاستواء بالاستيلاء بمعنى الملك والتصرف فالاستواء يطلق حقيقة على الركوب وهو مستحيل على الله وعلى الاستيلاء والتصرف وهو المراد قال الشاعر

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق

وقد اشار صاحب الجوهرة للطريقتين بقوله

(فصلناه) بيناه بالاخبار والوعد والوعيد (على علم) حال اى عالمين بما فصل فيه (هدى) حال من الهاء (ورحمة لقوم يؤمنون) به (هل ينظرون) ما ينظرون (الا تاويله) عاقبة ما فيه (يوم ياتى تاويله) هو يوم القيامة (يقول الذين نسوه من قبل) تركوا الايمان به (قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو) هل (نرد) الى الدنيا (فنعمل غير الذى كنا نعمل) نوحد الله ونترك الشرك فيقال لهم لا قال تعالى (قد خسروا أنفسهم) أى صاروا الى الهلاك (وضل) ذهب (عنهم ما كانوا يفترون) من دعوى الشريك (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام) من ايام الدنيا اى فى قدرها لانه لم يكن ثم شمس ولو شاء خلقهن فى لمحة والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت (ثم استوى على العرش) هو فى اللغة سرير الملك استواء يليق به (يغشى الليل النهار)

وكل نص اوهم التشبيها * أوله أو فوض ورم تنزيها

(قوله مخففا ومشددا) اى فيه قراء تان سبعيتان وعليهما فالليل فاعل معنى والنهار مفعول لفظا ومعنى ووجب تقديم ماهو فاعل معنى لئلا يلتبس نحو اعطيت زيدا عمرا (قوله) اى يغطى كلا منهما بالآخر) يشير الى ان فى الآية حذفا تقديره ويغشى النهار الليل ويؤيده آية يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل (قوله يطلبه حثيثا) اى ليس بينهما فاصل والحث والحض بمعنى واحد وهو الطلب بسرعة وحثيثا نعت مصدر محذوف اى طلبا حثيثا (قوله بالنصب عطفا على السموات) اى ونصب مسخرات على الحال من الشمس والقمر والنجوم (قوله والرفع) اى فيهما قراء تان سبعيتان (قوله مذللات) اى مسيرات فحيث سيرها سارت وفى هذا رد على الفلاسفة القائلين بتاثير الكواكب فى العالم السفلى فهى أسباب عادية توجد الاشياء عندها لا بها (قوله ألا له الخلق والامر) الا للاستفتاح يؤتى بها فى مبدأ الكلام البليغ الذى يقصد به الرد على المنكر والمراد بالخلق الايجاد وبالامر التصرف فهو منفرد بالايجاد والتصرف فلا شريك له فيهما وتصرف الحادث انما هو بتصريف الله له وليس لمخلوق استقلال بتصريف ابدا وانما العبيد مظاهر التصريف فمن اكرمه اجرى جلب الخير ودفع الضر على يديه كمعجزات الانبياء وكرامات الاولياء ومن اهانه اجرى الشرور على يده (قوله تبارك) فعل ماض جامد لا يتصرف ومعناه تمجد وتنزه عن صفات الحدوث (قوله ادعوا ربكم) امر لجميع العباد بالتوجه فى الدعاء لله سبحانه وتعالى اى فحيث علمتم ان الله هو المتصرف فى خلقه ايجادا واعداما واعطاء ومنعا فوجهوا اليه قلوبكم واسالوه بالسنتكم وقد ذكر الله سبحانه وتعالى للدعاء اربعة شروط التضرع والخفية والخوف والطمع (قوله حال) اى من الفاعل فى ادعوا اى ادعوا حال كونكم متضرعين ومتذللين لان الدعاء اذا كان مع التذلل كان للاجابة اقرب (قوله سرا) اى باسماع نفسه لان الله تعبدنا بالدعاء كما تعبدنا بالقراءة فلا يكفى مرور الدعاء على قلبه واعلم ان الانسان اذا كان وحده فالسر افضل له ان كان ينشط فى ذلك والا فالجهر افضل له كالجماعة (قوله بالتشدق) هو كثرة الكلام من غير حضور فى القلب فهو راجع لقوله تضرعا وقوله ورفع الصوت هو راجع لقوله وخفية (قوله خوفا) الخوف غم يحصل من امر مكروه يقع فى المستقبل (قوله وطمعا) الطمع توقع امر محبوب يحصل فى المستقبل ومنه رجاء الاجابة ففى الحديث ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة وفى الحديث ايضا مامن عبد يرفع يديه ويقول يارب الاو يستحى الله ان يردهما صفرين فاستفيد من هذا انه ينبغى للداعى الخوف والرجاء فيجعلهما كجناحى الطائر ان مال احدهما سقط (قوله المطيعين) اى ولو بالتوبة فالمطلوب تقديم التوبة على الدعاء ليقع الدعاء من قلب طاهر فيكون اقرب للاجابة (قوله وتذكير قريب) جواب عما يقال ان قريب فى الاصل وصف فى المعنى لرحمة وهى مؤنثة فكان حقه التانيث فاجاب بانه اكتسب التذكير من المضاف اليه وهو لفظ الجلالة او يقال ان رحمة مجازى التانيث فيوصف بالمذكر او يقال ان معنى الرحمة الثواب وهو مذكر فوصفه بالمذكر من حيث المعنى (قوله وهو الذى يرسل الرياح) معطوف على قوله ان ربكم الله الآية والرياح جمع ريح وهى أربعة الصبا والدبور والجنوب والشمال فالصبا تثير السحاب وهى من مطلع الشمس والشمال تجمعه وهى من تحت القطب والجنوب تدره وهى من جهة القبلة والدبور تفرقه وهى من مغرب الشمس وفى رواية الرياح ثمانية اربعة عذاب العاصف والقاصف والصرصر والعقيم واربعة رحمة الناشرات والمرسلات والنازعات والمبشرات (قوله متفرقة) هذا التفسير لم يوافقه عليه احد بل بعض المفسرين قال ان معنى نشرا منتشرة متسعة اوناشرة للسحاب (قوله قدام المطر) فى الكلام استعارة مكنية حيث شبهت الرحمة بمعنى المطر

مخففا ومشددا اى يغطى كلا منهما بالآخر (يطلبه) يطلب كل منهما الآخر طلبا (حثيثا) سريعا (والشمس والقمر والنجوم) بالنصب عطفا على السموات والرفع مبتدا خبره (مسخرات) مذللات (بامره) بقدرته (الا له الخلق) جميعا (والامر) كله (تبارك) تعاظم (الله رب) مالك (العالمين ادعوا ربكم تضرعا) حال تذللا (وخفية) سرا (انه لا يحب المعتدين) فى الدعاء بالتشدق ورفع الصوت (ولا تفسدوا فى الارض) بالشرك والمعاصى (بعد اصلاحها) ببعث الرسل (وادعوه خوفا) من عقابه (وطمعا) فى رحمته (ان رحمت الله قريب من المحسنين) المطيعين وتذكير قريب المخبر به عن رحمة لاضافتها الى الله (وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته) اى متفرقة قدام المطر وفى قراءة بسكون الشين

بسلطان

بسلطان يقدم وله مبشرات وطوى ذكر المشبه به ورمزله بشيء من لوازمه وهو قوله بين يدى فاثباته تخييل
(قوله تخفيفا) اى بحذف ضمة الشين وهى سبعية أيضا كالتين بعدها (قوله بسكونها وفتح النون) اى
وافراد الريح (قوله مصدر) اى اما بمعنى اسم الفاعل او اسم المفعول اى ناشرة للسحاب اومنشورة
(قوله ومفرد الاولى) اى ضم الشين ومثلها سكونها فمفرد الاثنين واحد (قوله حتى اذا أقلت) غاية
لارسال الرياح (قوله سحابا) هو ثمر شجرة فى الجنة (قوله بالمطر) متعلق بثقالا والباء للسببية (قوله عن
الغيبة) اى الى التكلم اذ كان مقتضى الظاهر فساقه (قوله لا نبات به) أى فموت الارض كناية عن عدم
النبات بها (قوله بالبلد) اشار بذلك الى ان الضمير فى به عائد على البلد والباء بمعنى فى وقوله بالماء يشير الى
ان الضمير عائد على الماء والباء سببية و يصح عوده على البلد وتكون الباء بمعنى فى (قوله كذلك الاخراج)
أى فالتشبيه فى مطلق الاخراج من العدم فمن كان قادرا على اخراج الثمار من الارض سيما ارض الجبال
التى شانها عدم انبات شيء من الثمار قادر على احياء الموتى من قبورهم فهو رد على منكرى البعث (قوله
والبلد) اى الارض (قوله حسنا) أخذه من قوله لا يخرج الا نكدا (قوله باذن ربه) أى بارادته ولم يذكر
ذلك فى المقابل وان كان باذنه ايضا تعليما لعباده الادب حيث أسند لنفسه الخير دون الشر وان كان منه
أيضا لما ورد ان الله جميل يحب الجمال وقوله تعالى بيدك الخير ولم يقل و بيدك الشر فلا يجوز ان يقال
سبحان من خلق القردة ولا سبحان من دبب الشوك (قوله هذا مثل للمؤمن) أى ولعمله فمثل المؤمن كمثل
الارض الطيبة ومثل المواعظ والقرآن كمثل الماء فكما ان الماء اذا نزل على الارض الطيبة أنبتت طيبا
كذلك المواعظ والقرآن اذا نزلت على قلب المؤمن أنبتت الطاعات والصفات الحميدة (قوله الا نكدا)
اى الا نباتا نكدا عديم النفع ونصب نكدا على الحال أو نعت مصدر محذوف اى الا خروجا نكدا
وهو من باب تعب (قوله لقد أرسلنا نوحا) المقصود من ذكر تلك القصص تسلية النبى صلى الله عليه
وسلم وتركت الواو هنا وذكرت فى سورة هود والمؤمنون لعدم تقدم ما يعطف عليه هنا بخلاف ما ياتى
ونوح اسمه عبد الغفار بن لمك بفتح الميم وسكونها ابن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس بعث على رأس
اربعين سنة على الصحيح وقيل على رأس خمسين وقيل مائتين وخمسين وقيل مائة سنة ومكث فى قومه
تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين فجملة عمره ألف ومائتان واربعون بناء على
الصحيح من انه بعث على رأس الاربعين وكان نجارا وصنع السفينة فى عامين ولقب بنوح لكثرة نوحه
على نفسه حيث دعا على قومه فهلكوا وقيل لمراجعته ربه فى شان ولده كنعان وقيل لانه مر على كلب
مجذوم فقال له اخسأ يا قبيح فاوحى الله اليه اعبتنى ام عبت الكلب وقدم قصة نوح لان قومه اول من كفر
واستحق العذاب (قوله جواب قسم محذوف) انما اتى بالقسم هنا للرد على المنكرين وهو مما يجب التاكيد
فيه (قوله الى قومه) القوم فى الاصل قبيلة الرجل واقاربه الذين اجتمعوا معه فى جد واحد و يطلق
القوم مجازا على من عاشرهم الرجل وسكن عندهم وان يكونوا أقارب له (قوله اعبدوا الله) اى وحدوه
(قوله ما لكم من اله غيره) استئناف مسوق لبيان وجه افراده بالعبادة (قوله صفة لاله) اى مراعاة للفظه
(قوله بدل من محله) اى لان محله رفع بالابتداء ومن زائدة (قوله انى اخاف) علة ثانية
للامر بالعبادة والمعنى اعبدوا الله لانه ليس لكم اله غيره ولانى اتحقق نزول عذاب الآخرة بكم
ان خالفتم ذلك اما عاجلا فى الدنيا او آجلا فى الآخرة (قوله قال الملأ) بالهمز والقصر سموا بذلك
لانهم يملؤن المجالس باجسامهم والقلوب بهيبتهم والعيون بابهتهم (قوله من قومه) لم يقل الذين كفروا
مثل ما قيل فى قوم هود لان ذلك كان فى مبدإ رسالته ولم يكن ثم مؤمن هكذا قيل والاحسن ان يقال حذفه

تخفيفا وفى اخرى بسكونها
وفتح النون مصدرا وفى
اخرى بسكونها وضم
الموحدة بدل النون اى
مبشرا ومفرد الاولى
نشور كرسول والاخيرة
بشير (حتى اذا أقلت)
حملت الرياح (سحابا
ثقالا) بالمطر (سقناه)
اى السحاب وفيه التفات
عن الغيبة (لبلد ميت)
لا نبات به اى لاحيائها
(فانزلنا به) بالبلد (الماء
فاخرجنا به) بالماء (من كل
الثمرات كذلك) الاخراج
(نخرج الموتى) من قبورهم
بالاحياء (لعلكم تذكرون)
فتؤمنون (والبلد الطيب)
العذب التراب (يخرج
نباته) حسنا (باذن ربه)
هذا مثل للمؤمن يسمع
الموعظة فينتفع بها (والذى
خبث) ترابه (لا يخرج)
نباته (الا نكدا) عسرا
بمشقة وهذا مثل للكافر
(كذلك) كما بينا ما ذكر
(نصرف) نبين (الآيات
لقوم يشكرون) الله
فيؤمنون (لقد) جواب
قسم محذوف (أرسلنا نوحا
الى قومه فقال ياقوم
اعبدوا الله ما لكم من اله
غيره) بالجر صفة لاله
والرفع بدل من محله (انى
اخاف عليكم) ان عبدتم
غيره (عذاب يوم عظيم) هو
يوم القيامة (قال الملأ)
الاشراف (من قومه انا لنراك)

منه لعلمه مما يأتي في الآية الاخرى (قوله في ضلال مبين) اى حيث عدل عن عبادة آلهتهم المجمعين عليها المذكورين في سورة نوح في قوله تعالى وقالوا لا تذرن آلهتكم الآية (قوله هي اعم من الضلال) اى لان الضلال هو الخروج عن الحق من كل وجه والضلالة هي الخروج عن الحق ولو بوجه (قوله فنفيها ابلغ) اى لانها نكرة في سياق النفي فتعم (قوله ولكني رسول) قد وقع الاستدراك احسن موقع لكونه وقع بين ضدين نفى الضلالة المتوهم ثبوتها وثبوت الرسالة المتوهم نفيها (قوله بالتخفيف والتشديد) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله رسالات ربي) الجمع باعتبار تعدد الازمنة أو المراد بالرسالات المرسل بها التي هي الاحكام (قوله وانصح لكم) النصح يتعدى بنفسه وباللام وهو ارادة الخير للغير كما يريده لنفسه (قوله واعلم من الله ما لا تعلمون) اى من الاحكام التي تأتيه عن الله أو من العذاب الذي يحل بهم ان لم يؤمنوا (قوله أكذبتم) اشار بذلك الى ان الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف (قوله موعظة) اى تخوفكم من عذاب الله ان لم تؤمنوا (قوله لينذركم) علة للمجيء وقوله ولتتقوا مرتب على الانذار وقوله ولعلكم ترحمون مرتب على التقوى فهذا الترتيب في احسن البلاغة وعبر في جانب الرحمة بالترجي اشارة الى ان الرحمة أمرها عزيز لا تنال بالعمل بل بفضل الله (قوله العذاب) قدره اشارة الى ان مفعول ينذر محذوف (قوله ولتتقوا الله) قدره اشارة الى أن مفعول تتقوا محذوف أيضا (قوله فكذبوه) اى استمروا على تكذيبه (قوله والذين معه) قيل كانوا أربعين رجلا واربعين امرأة وقيل تسعة اولاده الثلاثة سام وهو ابو العرب وحام وهو ابو السودان ويافث وهو ابو الترك وستة من غيرهم (قوله في الفلك) يطلق على المفرد والجمع والمذكر والمؤنث ووزن المفرد قفل والجمع أسد (قوله السفينة) وكان طولها ثلثمائة ذراع وسمكها ثلاثين ذراعا وعرضها خمسين وطبقاتها ثلاث السفلى للوحوش والدواب والوسطى للانس والعليا للطيور وركبها في عاشر رجب واستوت على الجودي في عاشر المحرم (قوله بآياتنا) اى الدالة على التوحيد وهي معجزات نوح (قوله عمين) اصله عميين حذفت الياء الاولى تخفيفا وهو جمع عم يقال لاعمى البصيرة واما عميان فجمع أعمى يقال لاعمى البصر (قوله والى عاد) جرت عادة الله في كتابه انه اذا كان للمرسل اليهم اسم ذكرهم به والا عبر بقوله قومه وقدر المفسر أرسلنا اشارة الى ان اخاهم معطوف على نوحا والعامل فيه ارسلنا المتقدم والجار والمجرور معطوف على قوله الى قومه فتكون الواو عاطفة عطف قصة على قصة وهكذا يقال في باقي القصص (قوله الاولى) يحترز به عن عاد الثانية فانها قوم صالح (قوله أخاهم هودا) سمي أخاهم لانه من جنسهم واجتمع معهم في جد لان عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح فسميت القبيلة باسم جدهم وهود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام ابن نوح وقيل هو ابن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح فعلى الاول قد اجتمع معهم في عاد وعلى الثاني لانه اجتمع معهم في سام وكان بين هود ونوح ثمانمائة سنة وبين القبيلتين مائة سنة وعاش اربعمائة واربعا وستين سنة وعاد يجوز صرفه باعتبار كونه اسما للحي ومنعه باعتبار كونه اسما للقبيلة وهذا من حيث العربية واما في القرآن فلم يقرأ بمنع الصرف (قوله قال ياقوم) أتى في قصة نوح بالفاء لانه كان مسارعا في دعوتهم الى الله غير متوان كما حكي في سورة نوح قال تعالى قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا بخلاف هود (قوله ما لكم من اله غيره) اى لانه الخالق للعالم المتصرف فيه (قوله افلا تتقون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير اتركتم التفكر في مصنوعات الله فلا تتقون (قوله الذين كفروا) صفة للملا كاشفة لان هذه المقالة لا تقع من مؤمن ولذا تركت من قصة نوح لعلمها مما هنا (قوله انا لنراك) رأى هنا علمية فمفعولها الاول الكاف والثاني متعلق الجار والمجرور (قوله في سفاهة) الحكمة في تعبير قوم هود بالسفاهة وقوم نوح بالضلال ان نوحا لما خوف قومه بالطوفان وجعل يصنع الفلك نسبوه للضلال

في ضلال مبين) بين (قال ياقوم ليس بي ضلالة) هي أعم من الضلال فنفيها أبلغ من نفيه (ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم) بالتخفيف والتشديد (رسالات ربي وانصح) أريد الخير (لكم واعلم من الله ما لا تعلمون أ) كذبتم (وعجبتم ان جاءكم ذكر) موعظة (من ربكم على) لسان (رجل منكم لينذركم) العذاب ان لم تؤمنوا (ولتتقوا) الله (ولعلكم ترحمون) بها (فكذبوه فانجيناه والذين معه) من الغرق (في الفلك) السفينة (واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) بالطوفان (انهم كانوا قوما عمين) عن الحق (و) أرسلنا (الى عاد) الاولى (اخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله) وحدوه (ما لكم من اله غيره أفلا تتقون) تخافونه فتؤمنون (قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة) جهالة (وانا لنظنك من الكاذبين) في رسالتك (قال ياقوم ليس بي سفاهة

ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح امين) مامون على الرسالة (اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على) لسان (رجل منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم خلفاء) فى الارض (من بعد قوم نوح وزادكم فى فى الخلق بسطة) قوة وطولا وكان طويلهم مائة ذراع وقصيرهم ستين (فاذكروا آلاء الله) نعمه (لعلكم تفلحون) تفوزون (قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر) نترك (ما كان يعبد آباؤنا فائتنا بما تعدنا) به من العذاب (ان كنت من الصادقين) فى قولك (قال قد وقع) وجب (عليكم من ربكم رجس) عذاب (وغضب أتجادلونني فى اسماء سميتموها) أى سميتم بها (انتم وآباؤكم) اصناما تعبدونها (ما نزل الله بها) اى بعبادتها (من سلطان) حجة وبرهان (فانظروا) العذاب (انى معكم من المنتظرين) ذلك بتكذيبكم لى فارسلت عليهم الريح العقيم (فانجيناه) اى هودا (والذين معه) من المؤمنين (برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا) اى استاصلناهم (وما كانوا مؤمنين) عطف على كذبوا (و) ارسلنا (الى ثمود) بترك الصرف مرادا به القبيلة (اخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قد جاءتكم بينة) معجزة (من ربكم) على صدقى (هذه ناقة الله لكم آية) حال عاملها معنى الاشارة وكانوا سالوه ان يخرجها لهم

حيث اتعب نفسه فى عمل سفينة فى ارض لا ماء بها ولا طين وهود لما نهاهم عن عبادة الاصنام التى سموها صمودا وصمدا وهبا ونسب من يعبدها للسفه خاطبوه بمثل ما خاطبهم به (قوله ولكني رسول) تقدم ان مثل هذا الاستدراك وقع أحسن موقع لكونه وقع بين ضدين (قوله أبلغكم) بالتخفيف والتشديد قراءتان سبعيتان (قوله وأنا لكم ناصح) الحكمة فى تعبير هود بالجملة الاسمية ونوح بالجملة الفعلية أن هودا كان نصوحا مع التراخى ومعلوم ان ذلك يدل عليه بالجملة الاسمية ونوح كان مكررا للنصح وذلك يدل عليه بالجملة الفعلية لان الفعل للتجدد (قوله مامون على الرسالة) اى فلا أزيد ولا انقص (قوله أوعجبتم) الهمزة داخلة على محذوف تقديره أكذبتمونى وعجبتم (قوله ذكر) اى موعظة تخوفكم من عذاب الله (قوله اذ جعلكم خلفاء) اذ ظرف معمول لاذكروا اى اذكروا وقت جعلكم والمقصود ذكر النعمة لا ذكر وقتها (قوله بسطة) بالسين والصاد قراءتان سبعيتان ومعناهما واحد (قوله قوة وطولا) اى ومالا (قوله مائة ذراع الخ) الذى قاله المحلى فى سورة الفجر أن طويلهم كان اربعمائة ذراع بذراع نفسه وفى رواية خمسمائة ذراع وقصيرهم ثلثمائة ذراع وكان رأس الواحد منهم قدر القبة العظيمة وكانت عينه بعد موته تفرخ فيها الضباع (قوله آلاء الله) جمع الى بكسر الهمزة وضمها كحمل وقفل او بكسر ففتح كضلع أو بفتحتين كقفا (قوله تفوزون) اى برضا الله وزيادة النعم لان شكر النعم مما يديمها ويزيدها (قوله قالوا أجئتنا) اى جوابا لنصحه لهم (قوله وجب) اى حق وثبت والتعبير بالماضى اشارة الى انه واقع لا محالة (قوله وغضب) عطف سبب على مسبب (قوله فى اسماء) اى مسميات (قوله أصناما) قدره اشارة الى مفعول سميتموها الثانى (قوله فارسلت عليهم الريح العقيم) وكانت باردة ذات صوت شديد لا مطر فيها وكان وقت مجيئها فى عجز الشتاء وابتدأتهم صبيحة الاربعاء لثمان بقين من شوال وسخرت عليهم سبع ليال وثمانية أيام فاهلكت رجالهم ونساءهم وأولادهم وأموالهم بان رفعت ذلك فى الجو فمزقته وفى رواية بعث الله عز وجل الريح العقيم فلما دنت منهم نظروا الى الابل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والارض فلما رأوها بادروا الى البيوت فدخلوها وأغلقوا الابواب فجاءت الريح فقلعت ابوابهم ودخلت عليهم فاهلكتهم فيها ثم اخرجتهم من البيوت فلما اهلكتهم ارسل الله عليهم طيرا اسود فنقلتهم الى البحر فالقتهم فيه وقيل ان الله تعالى امر الريح فامالت عليهم الرمال فكانوا تحت الرمال سبع ليال وثمانية ايام يسمع لهم انين تحت الرمل ثم امر الريح فكشفت عنهم الرمل ثم احتملتهم فرمت بهم فى البحر (قوله والذين معه) اى وكانوا اشرذمة قليلة يكتمون ايمانهم وسبب نجاتهم انهم دخلوا فى حظيرة فصار يدخل عليهم من الريح ما يلتذون به ثم بعد ذلك اتوا مكة مع هود فعبدوا الله فيها حتى ماتوا (قوله اى استاصلناهم) اى لم نبق منهم احدا (قوله عطف على كذبوا) اى وفائدته وان علم منه الاشارة الى ان الله علم عدم ايمانهم وانهم لو بقوا ما آمنوا اى فلا تحزن عليهم ايها السامع (قوله والى ثمود) تقدم انه معطوف على قوله لقد ارسلنا نوحا عطف قصة على قصة وثمود قبيلة سموا باسم جدهم ثمود بن عابر بن سام ابن نوح (قوله بترك الصرف) اى للعلمية والتانيث ولو اريد به الحى لصرف (قوله اخاهم) اى فى النسب لانه ابن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود المتقدم وكان بين صالح وهود مائة سنة وعاش صالح مائتين وثمانين سنة (قوله صالحا) بدل من اخاهم او عطف بيان عليه (قوله مالكم من اله غيره) علة لقوله اعبدوا الله وقوله قد جاءتكم علة لمحذوف والتقدير امتثلوا ما أمرتكم به لانه قد جاءتكم بينة على صدقى (قوله هذه ناقة الله لكم آية) كلام مستانف بيان للمعجزة والاضافة للتشريف واسم الاشارة مبتدأ وناقة الله خبر ومضاف اليه ولكم جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من آية لانه نعت نكرة تقدم عليها او خبر ثان وآية حال والعامل فيها محذوف تقديره اشير وقد اشار له المفسر بقوله حال عاملها معنى الاشارة وهذا القول وقع من صالح بعد نصحهم كما قال تعالى فى سورة

من صخرة عينوها (فذروها تاكل فى ارض الله ولا تمسوها بسوء) بعقر او ضرب (فياخذكم عذاب اليم واذكروا اذ جعلكم خلفاء) فى الارض (من بعد عاد وبوأكم) اسكنكم (فى الارض تتخذون من سهولها قصورا) تسكنونها فى الصيف (وتنحتون من الجبال بيوتا) تسكنونها فى الشتاء ونصبه على الحال المقدرة (فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الارض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه) تكبروا عن الايمان به (للذين استضعفوا لمن آمن منهم) اى من قومه بدل مما قبله باعادة الجار (اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه) اليكم (قالوا) نعم (انا بما ارسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم به كافرون) وكانت الناقة لها يوم فى الماء ولهم يوم فملوا ذلك (فعقروا الناقة) عقرها قدار بامرهم بان قتلها بالسيف (وعتوا عن امر ربهم

هود هو انشأكم من الارض واستعمركم فيها الآيات (قوله من صخرة عينوها) وكان يقال لها الكاثبة وكانت منفردة فى ناحية الجبل فقالوا أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة تكون على شكل البخت وتكون عشراء جوفاء وبراء أى ذات جوف واسع ووبر وصوف فدعا الله فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله تعالى فعند خروجها ولدت ولدا مثلها فى العظم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى وتشرب الى أن عقروها (قوله فذروها تاكل) مرتب على كونها آية من آيات الله (قوله تاكل فى أرض الله) أى وتشرب (قوله فياخذكم) بالنصب فى جواب النهى والتعقيب ظاهر لانهم لم يلبثوا الا ثلاثة أيام رأوا فيها أمارات العذاب كما ياتى فى سورة هود (قوله عذاب اليم) أى مؤلم (قوله واذكروا اذ جعلكم خلفاء) تذكير لهم بنعم الله التى انعمها عليهم (قوله فى الارض) قدره المفسر اشارة الى أن فى الآية الحذف من الاول لدلالة الثانى عليه (قوله وبوأكم فى الارض) أى أرض الحجر بكسر الحاء مكان بين الحجاز والشام (قوله تتخذون) اى تعملون وتصنعون واتخذ يصح أن يكون متعديا لواحد فمن سهولها متعلق باتخذ اولاثنين فمن سهولها متعلق بمحذوف مفعول ثان (قوله من سهولها) جمع سهل وهو المكان المتسع الذى لا جبل به ومن بمعنى فى أى تصنعون فى الارض السهلة القصور ويصح أن تكون من للابتداء اى تتخذون من السهول اى الاراضى اللينة القصور اى طوبها وطينها والاقرب الاول وسميت القصور بذلك لقصر ايدى الفقراء من تحصيلها (قوله وتنحتون الجبال بيوتا) يصح ان يكون المعنى على اسقاط الخافض اى من الجبال وبيوتا مفعول تنحتون ويصح أن يكون الجبال مفعولا به وبيوتا حال مقدرة كما قال المفسر لان الجبال لا تصير بيوتا الا بعد نحتها وهو وان كان جامدا الا انه مؤول بالمشتق اى مساكن (قوله مفسدين) حال مؤكدة لعاملها لان العثو هو الفساد (قوله تكبروا) اشار بذلك الى ان السين زائدة (قوله عن الايمان به) اى بصالح (قوله بدل مما قبله باعادة الجار) اى بدل كل من كل ان كان الضمير فى منهم عائدا على القوم ويكون جميع المستضعفين آمنوا وبدل بعض من كل ان كان الضمير عائدا على المستضعفين ويكون بعض المستضعفين آمنوا والله اعلم بحقيقة الحال (قوله اتعلمون) مقول قول المستكبرين (قوله قالوا نعم) قدره المفسر اشارة الى ان هذا حق الجواب وانما عدلوا عنه مسارعة الى تحقيق الحق واظهارا لايمانهم وتنبيها على ان رسالته واضحة لا تخفى فلا ينبغى السؤال عنها فهذا الجواب تبكيت لهم (قوله قال الذين استكبروا) اظهار فى محل الاضمار تهكيتا لهم (قوله انا بالذى آمنتم) لم يقولوا انا بما ارسل به اظهارا لمخالفتهم اياهم تعنتا وعنادا (قوله وكانت الناقة لها يوم فى الماء) اى فاذا كان يومها وضعت راسها فى البئر فما ترفعه حتى تشرب جميع ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤا حتى يملؤا اوانيهم فيشربون ويدخرون (قوله فعقروا الناقة) اى فى يوم الاربعاء فقال لهم صالح تصبحون غدا وجوهكم مصفرة ثم تصبحون فى يوم الجمعة ووجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم السبت ووجوهكم مسودة فاصبحوا يوم الخميس قد اصفرت وجوههم فايقنوا بالعذاب ثم احمرت فى يوم الجمعة فازداد خوفهم ثم اسودت يوم السبت فتجهزوا للهلاك فاصبحوا يوم الاحد وقت الضحى فكفنوا انفسهم وتحنطوا كما يفعل بالميت والقوا بانفسهم الى الارض فلما اشتد الضحى اتتهم صيحة عظيمة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت فى ذلك الوقت كل شىء له صوت مما فى الارض ثم تزلزلت بهم الارض حتى هلكوا جميعا واما ولد الناقة فقيل انه فر هاربا فانفتحت له الصخرة التى خرجت منها امه فدخلها وانطبقت عليه قال بعض المفسرين انه الدابة التى تخرج قرب يوم القيامة وقيل انهم ادركوه وذبحوه (قوله عقرها قدار) اى ابن سالف وكان رجلا احمر ازرق العينين قصيرا وكان ابن زانية ولم يكن لسالف وهو اشقى الاولين كما ورد فى الحديث (قوله بان قتلها بالسيف) اى فالمراد بالعقر والنحر ففيه اطلاق السبب على

المسبب لان العقر ضرب قوائم البعير أو الناقة لتقع فتنحر (قوله وقالوا ياصالح) أى على سبيل التهكم والاستهزاء (قوله بما تعدنا به) قدره اشارة الى ان العائد محذوف وكان الاولى ان يقدر ضمير نصب بان يقول تعدناه لئلا يلزم حذف العائد المجرور بالحرف من غير اتحاد متعلقهما (قوله فاخذتهم الرجفة) أى بعد مضى ثلاثة أيام والتعقيب ظاهر لان الثلاثة أيام مقدمات الهلاك (قوله والصيحة من السماء) اشار بذلك الى ان فى الآية اكتفاء لان عذابهم كان بهما معا (قوله فى دارهم) اى ارضهم فالمراد بها الجنس (قوله فتولى عنهم) اى بعد ان هلكوا وماتوا توبيخا كما خاطب النبي صلى الله عليه وسلم الكفار من قتلى بدر حين ألقوا فى القليب فقال عمر يارسول الله كيف تكلم أقواما قد جيفوا فقال صلى الله عليه وسلم ما أنت باسمع لما اقول منهم ولكن لا يجيبون وقيل خاطبهم قبل موتهم وقت ظهور العلامات فيهم وعليه يكون فى الآية تقديم وتاخير تقديره فتولى عنهم وقال ياقوم لقد ابلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا فى دارهم جاثمين (قوله واذكر) خطاب لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقدره ولم يقدر أرسلنا مع انه يكون موافقا لما قبله وما بعده لانه يوهم ان وقت الارسال قال لقومه ماذكر مع انه ليس كذلك بل امرهم اولا بالتوحيد ثم بين لهم فروع شريعته ولوط بن هاران أخى ابراهيم الخليل عليهما السلام وكان ابراهيم ولوط ببابل بالعراق فهاجرا الى الشام فنزل ابراهيم بارض فلسطين ونزل لوط بالاردن وهى قرية بالشام فارسله الله الى اهل سذوم بالذال المعجمة على وزن رسول وهى بلد بحمص (قوله أتاتون الفاحشة) استفهام توبيخ وتقريع لانها من أعظم الفواحش ولذا كان حدها عند أبى حنيفة الرمى بشاهق جبل وعند مالك الرجم مطلقا فاعلا او مفعولا أحصنا اولم يحصنا (قوله ماسبقكم الخ) تاكيد للانكار عليهم لان مباشرة القبيح قبيحة واختراعه أقبح (قوله الانس والجن) أى وجميع البهائم بل هذه الفعلة لم توجد فى أمة الا فى قوم لوط وفساق هذه الامة المحمدية وكان قوم لوط يتباهون بالضراط فى المجالس أيضا كما قال تعالى وتاتون فى ناديكم المنكر وهو فاحشة عظيمة ايضا (قوله بتحقيق الهمزتين) حاصل ما افاده المفسر ان القراآت أربع تحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية من غير ادخال ألف بين الهمزتين او بادخالها ولكن الحق ان ادخال الالف بين الهمزتين المحققتين غير سبعية وانما هى لهشام وبقى قراءة سبعية أيضا وهى بهمزة واحدة على الخبر المستانف بيان لتلك الفاحشة وهى لنافع وحفص عن عاصم فتحصل ان القراآت خمس أربع سبعية وواحدة غير سبعية (قوله شهوة) أى لاجل الشهوة (قوله من دون النساء) اما حال من الرجال او من الواو فى تاتون وحكمة التوبيخ على هذا الفعل القبيح ان الله تعالى خلق الانسان وركب فيه شهوة النكاح لبقاء النسل وعمران الدنيا وجعل النساء محلا للشهوة والنسل فاذا تركهن الانسان فقد عدل عما أحل له وتجاوز الحد لوضعه الشئ فى غير محله لان الادبار ليست محلا للولادة التى هى المقصودة بالذات (قوله وما كان جواب قومه) القراء على نصب جواب خبر الكان واسمها ان وما دخلت عليه وقرأ الحسن بالرفع اسم كان وان وما دخلت عليه خبرها ومامشى عليه الجماعة افصح عربية لان الاعرف وقع اسما والواو هنا للتعقيب لحلولها محل الفاء فى النمل والعنكبوت لان جوابهم لم يتاخر عن نصيحته والحصر نسبي والمراد انه لم يقع منهم جواب عن نصح وموعظة فلا ينافى انهم زادوا فى الجواب من الكلام القبيح (قوله من قريتكم) اى سذوم (قوله انهم اناس يتطهرون) قالوا ذلك استهزاء (قوله فانجيناه واهله) اى ابنتيه لانه لم ينج من العذاب الا هو وبنتاه لايمانهما به فخرج لوط من ارضه وطوى الله له الارض فى وقته حتى نجا ووصل الى ابراهيم وسياتى تمام القصة فى سورة هود وانما ذكرت هنا اختصارا (قوله الباقين فى العذاب) اى لان الغبور من باب قعد يستعمل بمعنى البقاء فى الزمان المستقبل وبمعنى المكث فى الزمان الماضي والمراد الاول (قوله وامطرنا) يقال

وقالوا ياصالح ائتنا بما تعدنا به من العذاب على قتلها (ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة) الزلزلة الشديدة من الارض والصيحة من السماء (فاصبحوا فى دارهم جاثمين) باركين على الركب ميتين (فتولى) اعرض صالح (عنهم وقال ياقوم لقد ابلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين و) اذكر (لوطا) ويبدل منه (اذقال لقومه اتاتون الفاحشة) اى ادبار الرجال (ماسبقكم بها من احد من العالمين) الانس والجن (أئنكم) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وادخال الالف بينهما على الوجهين (لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون) متجاوزون الحلال الى الحرام (وماكان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم) اى لوطا واتباعه (من قريتكم انهم اناس يتطهرون) من ادبار الرجال (فانجيناه واهله الا امرأته كانت من الغابرين) الباقين فى العذاب (وامطرنا عليهم مطرا)

هو حجارة السجيل فاهلكتهم (فانظر كيف كان عاقبة المجرمين و) أرسلنا (الى مدين اخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة) معجزة (من ربكم) على صدقى (فاوفوا) اتموا (الكيل والميزان ولا تبخسوا) تنقصوا (الناس اشياءهم ولا تفسدوا فى الارض) بالكفر والمعاصي (بعد اصلاحها) ببعث الرسل (ذلكم) المذكور (خير لكم ان كنتم مؤمنين) مريدى الايمان فبادروا اليه (ولا تقعدوا بكل صراط) طريق (توعدون) تخوّفون الناس باخذ ثيابهم اوالمكس منهم (وتصدون) تصرفون (عن سبيل الله) دينه (من آمن به) بتوعدكم اياه بالقتل (وتبغونها) تطلبون الطريق (عوجا) معوجة (واذكروا اذكنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) قبلكم بتكذيبهم رسلهم اى آخر أمرهم من الهلاك (وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا) به (فاصبروا) انتظروا (حتى يحكم الله بيننا) وبينكم بانجاء المحق واهلاك المبطل (وهو خير الحاكمين) اعدلهم (قال الملأ الذين استكبروا من قومه) عن الايمان (لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا اولتعودن) ترجعن (فى ملتنا) ديننا وغلبوا فى الخطاب الجمع على الواحد لان شعيبا لم يكن فى ملتهم قط

جواب

غالبا فى الرحمة مطر وفى العذاب أمطر وعلى كل هو متعد ينصب المفعول (قوله هو حجارة السجيل) اى وكانت معجونة بالكبريت والنار وهلكوا أيضا بالخسف قال تعالى فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وردان جبريل رفع مدائنهم الى السماء وكانت خمسة واسقطها مقلوبة الى الارض وامطر عليهم الحجارة متتابعة فى النزول عليها اسم كل من يرمى بها وقيل ان الحجارة لمن كان مسافرا منهم والخسف لمن كان فى المدائن (قوله فانظر) الخطاب لكل سامع يتأتى منه النظر والتامل ليحصل الاعتبار بما وقع لهؤلاء القوم (قوله والى مدين) معطوف على قوله لقد ارسلنا نوحا عطف قصة على قصة ولذا قدر المفسر أرسلنا ومدين اسم قبيلة شعيب واسم لقريته أيضا بينها وبين مصر ثمانية مراحل سميت باسم ابيهم مدين بن ابراهيم الخليل عليه السلام وشعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين بن ابراهيم الخليل فشعيب أخوهم فى النسب وليس من انبياء بنى اسرائيل وقوله شعيبا بدل من اخاهم اوعطف بيان عليه وأرسل شعيب أيضا الى اصحاب الايكة وهى شجر ملتف بعضه ببعض بالقرب من مدين قال تعالى كذب اصحاب الايكة المرسلين (قوله معجزة) لم تذكر تلك المعجزة فى القرآن وقيل المراد بها نفسه بمعنى ان اوصافه لا يمكن معارضتها وقيل المراد بها قوله فاوفوا الكيل والميزان الخ بمعنى ما يترتب عليها من العز للمطيع والذل والعقاب للمخالف (قوله فاوفوا الكيل والميزان) أى وكان عادتهم نقص الكيل والميزان (قوله ولا تبخسوا الناس اشياءهم) هذا لازم لقوله فاوفوا الكيل والميزان لان الشخص اذا لم يوف الكيل والميزان لغيره فقد نقصه من المثمن وكذلك اذا استوفى الكيل والميزان لنفسه فقد نقص الغير من الثمن (قوله بعد اصلاحها) ورد انه قبل بعث شعيب لهم كانوا يفعلون المعاصى ويستحلون المحارم ويسفكون الدماء فلما بعث شعيب اصلح الله به الارض وهكذا كل نبى بعث الى قومه (قوله مريدى الايمان) جواب عما يقال انهم لم يكونوا مؤمنين اذذاك (قوله فبادروا اليه) جواب الشرط وماقبله دليل الجواب (قوله بكل صراط) اى محسوس بدليل ما بعده (قوله تخوفون الناس) قدره اشارة الى ان مفعول توعدون محذوف (قوله باخذ ثيابهم) ورد انهم كانوا يجلسون على الطريق ويقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب ارجع لا يفتنك عن دينك فان آمنت به قتلناك (قوله من آمن) هذا مفعول تصدون (قوله تطلبون الطريق) اى المعبر عنه بالسبيل وهو الطريق المعنوى الذى هو الدين والمعنى تعدلوا عن الصراط المستقيم الى الاعوجاج (قوله واذكروا اذكنتم) اذ ظرف معمول لقوله اذكروا أى اذكروا وقت كونكم قليلا الخ والمراد اذكروا تلك النعمة العظيمة (قوله قليلا) اى فى العدة والعدد والضعف وقوله فكثركم اى فزاد عددكم وقوّتكم فكانوا أغنياء اقوياء ذا عدد كثير بوجود شعيب بينهم ولذا لما فر موسى هاربا من فرعون نزل عند شعيب فطمنه وامن روعه قال تعالى حكاية عن شعيب قال لاتخف نجوت من القوم الظالمين (قوله عاقبة المفسدين) اى واقربهم اليكم قوم لوط فانظروا مانزل بهم (قوله وطائفة لم يؤمنوا) فى الكلام الحذف من الثانى لدلالة الاول عليه والتقدير وطائفة منكم لم يؤمنوا بالذى ارسلت به (قوله فاصبروا) يجوز ان يكون الضمير للمؤمنين من قومه وان يكون للكافرين منهم وان يكون للفريقين وهذا هو الظاهر فامر المؤمنين بالصبر ليحصل لهم الظفر والغلبة والكافرين بالصبر لسوء عاقبة امرهم وهو نظير قوله تعالى فتربصوا انا معكم متربصون (قوله وبينكم) لا حاجة له لان الضمير عائد على شعيب وعليهم والمعنى حتى يقضي الله بين الفريقين المؤمنين والكفار (قوله وهو خير الحاكمين) التعبير باسم التفضيل باعتبار انه الحاكم حقيقة وغيره حاكم مجازا اومن كان له الحكم بالاصالة والحقيقة خير ممن كان له الحكم مجازا (قوله قال الملا) اى جوابا لما قاله لهم (قوله ياشعيب) انما وسطوا اسمه بين المعطوف والمعطوف عليه زيادة فى القباحة والشناعة منهم (قوله وغلبوا فى الخطاب الجمع على الواحد الخ)

وعلى نحوه اجاب (قال أ) نعود فيها (ولو كنا كارهين) لها استفهام انكار (قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون) ينبغي (لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا) ذلك فيخذلنا (وسع ربنا كل شيء (٧٧) علما) اي وسع علمه كل شيء ومنه حالي وحالكم (على الله توكلنا ربنا افتح) احكم (بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين) الحاكمين (وقال الملأ الذين كفروا من قومه) اي قال بعضهم لبعض (لئن) لام قسم (اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فاخذتهم الرجفة) الزلزلة الشديدة (فاصبحوا في دارهم جاثمين) باركين على الركب ميتين (الذين كذبوا شعيبا) مبتدا خبره (كان) مخففة واسمها محذوف اي كأنهم (لم يغنوا) يقيموا (فيها) في ديارهم (الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين) التاكيد باعادة الموصول وغيره للرد عليهم في قولهم السابق (فتولى) أعرض (عنهم وقال ياقوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم) فلم تؤمنوا (فكيف آسى) احزن (على قوم كافرين) استفهام بمعنى النفي (وما ارسلنا في قرية من نبي) فكذبوه (الا اخذنا) عاقبنا (اهلها بالباساء) شدة الفقر (والضراء) المرض (لعلهم يضرعون) يتذللون فيؤمنوا (ثم بدلنا) اعطيناهم (مكان السيئة) العذاب (الحسنة) الغنى والصحة (حتى عفوا) كثروا (وقالوا) كفرا للنعمة (قد مس آباءنا الضراء والسراء) كما مسنا وهذه عادة الدهر وليست بعقوبة من الله فكونوا على ما انتم عليه قال تعالى (فاخذناهم) بالعذاب (بغتة) فجاة (وهم لا يشعرون) بوقت مجيئه قبله (ولو ان اهل القرى) المكذبين (آمنوا) بالله ورسلهم (واتقوا) الكفر والمعاصي (لفتحنا)

جواب عما يقال ان شعيبا لم يسبق له الدخول في ملتهم وانما حمل المفسر على هذا الجواب تفسيره العود بالرجوع وقال بعضهم ان عاد تاتي بمعنى صار وعلى هذا فلا اشكال ولا جواب (قوله وعلى نحوه) اي التغليب (قوله أنعود فيها) اشار بذلك الى ان الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف (قوله أولو كنا كارهين) الهمزة لانكار الوقوع وكلمة لو في مثل هذا المقام ليست لبيان انتفاء شيء في الزمن الماضي لانتفاء غيره فيه بل هي لمجرد الربط والمبالغة في انتفاء العود والمعنى لا تطمعوا في عودنا مختارين ولا مكرهين فتامل (قوله ان عدنا في ملتكم) شرط حذف جوابه لدلالة قوله قد افترينا عليه (قوله وما يكون لنا) اي لا يصح ولا يليق لنا ان نعود فيها في حال من الاحوال الا في حال مشيئة الله لنا (قوله الا أن يشاء الله ربنا) يصح ان يكون متصلا والمستثنى منه عموم الاحوال او منقطعا وهذا الاستثناء محض رجوع الى الله وتفويض الامر اليه وقد جازاهم الله بان كفاهم شر اعدائهم واخذهم اخذ عزيز مقتدر (قوله اي وسع علمه) اشار بذلك الى ان علما تمييز محول عن الفاعل (قوله وبين قومنا) اي الكفار وانما اعرض عن مكالمتهم ورجع لله متضرعا لما ظهر له من شدة عنادهم وتعنتهم في كفرهم (قوله وقال الملأ الذين كفروا الخ) انما قال بعضهم لبعض هذه المقالة خوفا على بعضهم من الميل لشعيب حيث توعدوه بما تقدم فلم يبال بهم (قوله انكم اذا لخاسرون) اي في الدنيا بفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف وجملة انكم اذا لخاسرون جواب القسم وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه (قوله فاخذتهم الرجفة) ذكر هنا وفي العنكبوت الرجفة وذكر في سورة هود واخذ الذين ظلموا الصيحة اي صيحة جبريل عليهم من السماء وجمع بينهما بان الرجفة في المبدإ والصيحة في الاثناء فتامل واما اهل الايكة فاهلكوا بالظلة كما سياتي في سورة الشعراء (قوله كان لم يغنوا فيها) اي كانهم لم يلبثوا في ديارهم اصلا لانهم استؤصلوا بالمرة (قوله وغيره) اي وهو ضمير الفصل (قوله وقال ياقوم) ما تقدم من كون القول بعد هلاكهم او قبله في قصة صالح يجري هنا (قوله فكيف آسى) أصله أأسى بهمزتين قلبت الثانية الفا (قوله وما ارسلنا في قرية من نبي) جملة مستانفة قصد بها التعميم بعد ذكر بعض الامم بالخصوص وانما خص ما تقدم بالذكر لمزيد تعنتهم وكفرهم (قوله فكذبوه) قدره اشارة الى ان الكلام فيه حذف لان قوله الا اخذنا اهلها لا يترتب على الارسال وانما يترتب على التكذيب (قوله لعلهم يضرعون) اصله يتضرعون قلبت التاء ضادا وادغمت في الضاد وانما قرئ بالفك في الانعام لاجل مناسبة الماضي في قوله تضرعوا بخلاف ما هنا فجيء به على الاصل (قوله ثم بدلنا) اي استدراجا لهم (قوله العذاب) اي الفقر والمرض (قوله الغنى والصحة) لف ونشر مرتب (قوله كفرا للنعمة) اي وتكذيبا لانبيائهم (قوله وهذه عادة الدهر) هذا من جملة مقولهم (قوله فكونوا على ما انتم عليه) هذا من جملة قول بعضهم لبعض (قوله فاخذناهم بغتة) مرتب على قوله وقالوا قد مس آباءنا الخ (قوله وهم لا يشعرون) اي لعدم تقدم اسبابه لهم وهذه الآية بمعنى آية الانعام قال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء الآية (قوله ولو ان اهل القرى) جمع قرية والمراد جميع القرى المتقدم ذكرهم وغيرهم (قوله ورسلهم) اي اهل القرى وفي نسخة ورسله اي الله (قوله واتقوا) عطف على آمنوا عطف عام على خاص لان التقوى امتثال المامورات ومن جملتها

بالتخفيف والتشديد (عليهم بركات من السماء) بالمطر (والارض) بالنبات (ولكن كذبوا) الرسل (فاخذناهم) عاقبناهم (بما كانوا يكسبون أفامن اهل القرى) (٧٨) المكذبون (ان يأتيهم بأسنا) عذابنا (بياتا) ليلا (وهم نائمون) غافلون عنه (اوأمن اهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى) نهارا (وهم يلعبون أفامنوا مكر الله) استدراجه اياهم بالنعمة وأخذهم بغتة (فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون او لم يهد) يتبين (للذين يرثون الارض) بالسكنى (من بعد) هلاك (أهلها ان) مخففة واسمها محذوف فاعل اى انه (لو نشاء أصبناهم) بالعذاب (بذنوبهم) كما اصبنا من قبلهم والهمزة فى المواضع الاربعة للتوبيخ والفاء والواو الداخلة عليهما للعطف وفى قراءة بسكون الواو فى الموضع الاول عطفا باو (و) نحن (نطبع) نختم (على قلوبهم فهم لا يسمعون) الموعظة سماع تدبر (تلك القرى) التى مر ذكرها (نقص عليك) يا محمد (من أنبائها) أخبار أهلها (ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات) المعجزات الطاهرات (فما كانوا ليؤمنوا) عند مجيئهم (بما كذبوا) كفروا (من قبل) قبل مجيئهم بل استمروا على الكفر (كذلك) الطبع (يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لاكثرهم) اى الناس (من عهد) اى وفاء بعهدهم يوم أخذ الميثاق (وان) مخففة (وجدنا اكثرهم لفاسقين ثم بعثنا من بعدهم) اى الرسل المذكورين (موسى بآياتنا) التسع (الى فرعون وملئه) قومه (فظلموا) كفروا (بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) بالكفر من اهلاكهم (وقال موسى يا فرعون انى رسول من رب العالمين) وقوله

الايمان (قوله بالتخفيف والتشديد) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بركات) جمع بركة وهى زيادة الخير فى الشئ (قوله ولكن كذبوا) أى لم يؤمنوا ولم يتقوا (قوله بما كانوا يكسبون) أى بسبب كسبهم من الكفر والمعاصى (قوله أفامن) الهمزة مقدمة من تاخير والفاء عاطفة على قوله فاخذناهم بغتة وما بينهما اعتراض وهذه طريقة الجمهور وعند الزمخشرى ان الهمزة داخلة على محذوف وما بعدها معطوف على ذلك المحذوف ولكنه فى هذا الموضع وافق الجمهور فى كشافه (قوله بياتا) حال من بأسنا وجملة وهم نائمون حال من ضمير يأتيهم (قوله وهم يلعبون) اى يشتغلون بما لا يعنيهم (قوله مكر الله) المكر فى الاصل الخديعة والحيلة وذلك مستحيل على الله وحينئذ فالمراد بالمكر ان يفعل بهم فعل الماكر بان يستدرجهم بالنعم أولا ثم ياخذهم أخذ عزيز مقتدر (قوله للذين يرثون) اى وهم كل قوم جاؤا بعد هلاك من قبلهم كعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين والامة المحمدية فان كل فرقة من هؤلاء تبين لها الاصابة بذنوبهم حيث شاء الله ذلك (قوله فاعل) اى المصدر الماخوذ منها ومن جواب لو هو الفاعل والتقدير أولم يتبين اصابتنا بالعذاب لو شئنا الاصابة (قوله لو نشاء) اى اصابتهم فمفعول نشاء محذوف (قوله فى المواضع الاربعة) أى وأولها أفامن اهل القرى وآخرها أولم يهد فاثنان بالفاء واثنان بالواو (قوله الداخلة) اى الهمزة وقوله عليهما أى الفاء والواو (قوله فى الموضع الاول) اى من موضعى الواو (قوله ونطبع) قدر المفسر نحن اشارة الى انه مستانف منقطع عما قبله (قوله تلك القرى نقص) اسم الاشارة مبتدأ والقرى بدل أو عطف بيان ونقص خبره (قوله التى مر ذكرها) أى وهى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب (قوله من أنبائها) اى بعض أخبارها وما وقع لها (قوله ليؤمنوا) اللام زائدة لتوكيد النفى (قوله عند مجيئهم) اى الرسل (قوله قبل مجيئهم) اى بالمعجزات بعد ارسالهم للخلق (قوله اى الناس) أشار بذلك الى ان هذه الجملة غير مرتبطة بما قبلها ويصح ان الضمير عائد على الامم فيكون بينهما ارتباط (قوله وان وجدنا) اى علمنا فاكثر مفعول اول وفاسقين مفعول ثان واللام فارقة والمراد ليظهر متعلق علمنا للخلق على حد لنعلم اى الحزبين أحصى (قوله لفاسقين) اى خارجين عن طاعتنا بترك الوفاء بالعهد (قوله اى الرسل المذكورين) اى وهم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب (قوله موسى) وعاش مائة وعشرين سنة وبينه وبين يوسف أربعمائة سنة وبين موسى وابراهيم سبعمائة سنة (قوله التسع) اى وهى العصا واليد البيضاء والسنون المجدبة والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس وكلها مذكورة فى هذه السورة الا الطمس ففى سورة يونس قال تعالى ربنا اطمس على أموالهم (قوله الى فرعون) هذا لقبه واسمه الوليد بن مصعب بن الريان ففرعون فى الاصل علم شخص ثم صار لقبا لكل من ملك مصر فى الجاهلية وعاش من العمر ستمائة وعشرين سنة ومدة ملكه اربعمائة سنة لم ير مكروها قط وكنيته أبو مرة وقيل أبو العباس وهو فرعون الثانى وفرعون الاول أخوه واسمه قابوس بن مصعب ملك العمالقة وفرعون ابراهيم النمروذ وفرعون هذه الامة ابو جهل (قوله فظلموا بها) ضمن ظلموا معنى كفروا فعداه بالباء ويصح ان تكون الباء سببية والمفعول محذوف تقديره ظلموا أنفسهم بسببها اى بسبب تكذيبهم بها (قوله كيف كان عاقبة المفسدين) كيف اسم استفهام خبر كان مقدم عليها وعاقبة اسمها وانما قدم لان الاستفهام له الصدارة (قوله وقال موسى) تفصيل لما أجمل أولا لان التفصيل بعد الاجمال اوقع فى النفس وهذا القول وما بعده انما وقع بعد كلام طويل حكاه الله فى سورة الشعراء بقوله تعالى فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين الآيات

فكذبه فقال أنا (حقيق) جدير (على ان) أي بان (لا أقول على الله الا الحق) وفى قراءة بتشديد الياء فحقيق مبتدأ خبره

أن وما بعده (قد جئتكم بينة من ربكم فارسل معى) الى الشام (بنى اسرائيل) وكان استعبدهم (قال) فرعون له (ان كنت جئت بآية) على دعواك (فأت بها ان كنت من الصادقين) فيها (فالقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين) حية عظيمة (ونزع يده) اخرجها من جيبه (فاذا هى بيضاء) ذات شعاع (للناظرين) خلاف ماكانت عليه من الادمة (قال الملأ من قوم فرعون ان هذا الساحر عليم) فائق فى علم السحر وفى الشعراء انه من قول فرعون نفسه فكأنهم قالوه معه على سبيل التشاور (يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون قالوا ارجئه وأخاه) أخر أمرهما (وارسل فى المدائن حاشرين) جامعين (ياتوك بكل ساحر) وفى قراءة سحار (عليم) يفضل موسى فى علم السحر فجمعوا (وجاء السحرة فرعون قالوا ائن) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وادخال ألف بينهما على الوجهين (لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين قالوا ياموسى

اما ان تلقى) عصاك (واما ان نكون نحن الملقين) ما معنا (قال القوا) امر للاذن بتقديم القائهم توسلا به الى اظهار الحق (فلما ألقوا) حبالهم
وعصيهم (سحروا أعين الناس) صرفوها عن حقيقة ادراكها (واسترهبوهم) خوّفوهم حيث خيلوها حيات تسعى (وجاؤا

وقوله تعالى قال فرعون ومارب العالمين الآيات وفى طه أيضا (قوله فكذبه) قدره اشارة الى ان جملة حقيق مرتبة على محذوف (قوله حقيق) خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله انا (قوله اى بان) أشار بذلك الى ان على بمعنى الباء (قوله الا الحق) مقول القول وهو مفرد فى معنى الجملة و يصح ان يكون صفة لمصدر محذوف مفعول مطلق تقديره الا القول الحق (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية ايضا (قوله مبتدأ) أى وسوغ الابتداء به العمل فى الجار والمجرور فان على متعلق بحقيق (قوله وارسل معى الى الشام) اى بسبب سكناهم بمصر مع ان اصلهم من الشام أن الاسباط أولاد يعقوب جاؤا مصر لاخيهم يوسف فمكثوا وتناسلوا فى مصر فلما ظهر فرعون استعبدهم واستعملهم فى الاعمال الشاقة فاحب موسى ان يخلصهم من ذلك الاسر (قوله استعبدهم) اى جعلهم عبيدا ارقاء بسبب استخدامه اياهم (قوله ان كنت من الصادقين) شرط حذف جوابه لدلالة ماقبله عليه (قوله ثعبان مبين) الثعبان ذكر الحيات وصفت هنا بكونها ثعبانا وفى آية أخرى كأنها جان والجان الحية الصغيرة ووجه الجمع انها كانت فى العظم كالثعبان العظيم وفى خفة الحركة كالحية الصغيرة وورد انه لما ألقى العصا صارت حية عظيمة صفراء شقراء فاتحة فمها بين لحييها ثمانون ذراعا وارتفعت من الارض قدر ميل وقامت على ذنبها واضعة لحيها الاسفل فى الارض والاعلى على سور القصر وتوجهت نحو فرعون لتاخذه فوثب هاربا واحدث اى تغوّط فى ثيابه بحضرة قومه فى ذلك اليوم اربعمائة مرة واستمر معه هذا المرض وهو الاسهال الى ان غرق مع كونه كان لا يتغوط الا فى كل اربعين يوما مرة وقيل انها ادخلت قبة القصر بين انيابها وحملت على الناس فانهزموا ومات منهم خمسة وعشرون ألفا ودخل فرعون البيت وصاح ياموسى انشدك بالذى ارسلك ان تاخذها وانا أومن بك وارسل معك بنى اسرائيل فامسكها بيده فعادت كما كانت (قوله ونزع يده) اى اليمنى (قوله ذات شعاع) أى نور يغلب على ضوء الشمس (قوله من الادمة) أى السمرة (قوله وفى الشعراء انه) اى هذا القول (قوله فكأنهم قالوه معه) هذا بيان لوجه الجمع بين ماهنا و بين ماياتى فى الشعراء (قوله فماذا تامرون) يصح ان يكون من كلام فرعون و يكون معناه تشيرون و يصح ان يكون من كلام الملائه والجمع للتعظيم على عادة خطاب الملوك والاول اقرب (قوله ارجئه) فيه ست قراآت سبعية ثلاثة مع الهمز وهى كسر الهاء من غير اشباع وضمها مع الاشباع وعدمه وثلاث من غير همز وهى اسكان الهاء وكسرها باشباع و بدونه (قوله وارسل فى المدائن) اى مدائن صعيد مصر وكان رؤساء السحرة باقصى صعيد مصر (قوله وفى قراءة سحار) أى بالامالة وتركها فتكون القراآت ثلاثا وكلها سبعية (قوله فجمعوا) أى وكانوا اثنين وسبعين وقيل اثنى عشر ألفا وقيل خمسة عشر ألفا وقيل سبعين ألفا وقيل ثمانين ألفا وقيل بضعا وثمانين ألفا (قوله بتحقيق الهمزتين الخ) كلامه يفيد ان هنا قراءتين فقط مع انها اربع فكان عليه ان يقول وادخال ألف بينهما وتركه و بقيت خامسة وهى ان بهمزة واحدة (قوله قال نعم) اى لكم الاجر (قوله وانكم لمن المقربين) اى فى المنزلة عندى بحيث تكونون أول من يدخل عندى وآخر من يخرج (قوله قالوا ياموسى الخ) اما أن يكون ذلك تادبا من السحرة مع موسى وقد جوزوا عليه بالايمان والنجاة من النار واما ان يكون ذلك على عادة اهل الصنائع اوعدم مبالاة بموسى لاعتمادهم على غلبتهم (قوله اما ان تلقى الخ) ان وما دخلت عليه فى تاويل مصدر مفعول لمحذوف تقديره اختر اما الالقاء أو القاءك (قوله امر للاذن) جواب عما يقال كيف أمرهم بالسحر واقرهم عليه * فاجاب بان ذلك للتوصل الى اظهار الحق (قوله عن حقيقه ادراكها)

بسحر عظيم واوحينا الى موسى أن الق عصاك فاذا هى تلقف) بحذف احدى التاءين فى الاصل تبتلع (ماياففكون) يقلبون بتمويههم (فوقع الحق) ثبت وظهر (وبطل ماكانوا يعملون) من السحر (فغلبوا) اى فرعون وقومه (هنالك وانقلبوا صاغرين) صاروا ذليلين (والقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون) لعلمهم بان ماشاهدوه من العصا لايتاتى بالسحر (قال فرعون أآمنتم) بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية الفا (به) بموسى (قبل ان آذن) انا (لكم ان هذا) الذى صنعتموه (لمكر مكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها اهلها فسوف تعلمون) ماينالكم منى (لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) اى يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى (ثم لاصلبنكم اجمعين قالوا انا الى ربنا) بعد موتنا باى وجه كان (منقلبون) راجعون فى الآخرة (وما تنقم) تنكر (منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا افرغ علينا صبرا) عند فعل ماتوعده بنا لئلا نرجع كفارا (وتوفنا مسلمين وقال الملأ من قوم فرعون) له (اتذر) تترك (موسى وقومه ليفسدوا فى الارض) بالدعاء الى مخالفتك

أى من ادراك حقيقتها (قوله بسحر عظيم) اى عند السحرة وفى باب السحر وان كان حقيرا فى نفسه وذلك انهم القوا حبالا غلاظا واخشابا طوالا وطلوا تلك الحبال بالزئبق وجعلوا داخل تلك الاخشاب الزئبق ايضا فلما اثر فيها حر الشمس تحركت والتوى بعضها على بعض حتى تخيل للناس انها حيات وكانت سعة الارض ميلا فى ميل وكانت الواقعة فى سكندرية فلما القى موسى عصاه بلغ ذنبها وراء البحر ثم فتحت فاها ثمانين ذراعا فكانت تبتلع حبالهم وعصيهم واحدا واحدا حتى ابتلعت الكل وقصدت القوم الذين حضروا ذلك الجمع ففزعوا ووقع الزحام فمات منهم خمسة وعشرون الفا ثم اخذها موسى فصارت فى يده عصا كما كانت فلما رأى السحرة ذلك عرفوا أنه امر من السماء وليس بسحر فخروا لله ساجدين وقالوا لوكان ماصنع موسى سحرا لبقيت حبالنا وعصينا وكانت حمل ثلثمائة بعير فعدمت بقدرة الله تعالى (قوله وأوحينا الى موسى) اى بعد ان القى السحرة حبالهم وعصيهم اوحى الله الى موسى على لسان جبريل حيث قال له كما فى سورة طه قلنا لاتخف انك انت الاعلى الآية (قوله تلقف) اى تاخذ وتبتلع بسرعة (قوله فى الاصل) اى واصلها تتلقف حذفت احدى التاءين تخفيفا وهذه قراءة الجمهور وفى قراءة بادغام التاء فى التاء وفى قراءة تلقف من لقف كعلم فتكون القراآت ثلاثا وكلها سبعية (قوله ماياففكون) اى يكذبون فالافك الكذب (قوله بتمويههم) اى تزيينهم الباطل بصورة الحق (قوله وبطل ماكانوا يعملون) اى ظهر بطلانه (قوله هنالك) اى فى ذلك المكان وهو سكندرية (قوله وانقلبوا صاغرين) اى فرعون وقومه غير السحرة فانهم لم يصبهم صغار بل اصابهم العز الابدى بايمانهم بالله وحده (قوله ساجدين) حال من السحرة وقوله قالوا آمنا فى موضع الحال من الضمير فى ساجدين والتقدير قائلين فى حال سجودهم آمنا الخ (قوله رب موسى وهرون) بدل من رب العالمين او عطف بيان او نعت جئ به لدفع ايهام فرعون الناس انه هو رب العالمين حيث قال للسحرة اياى تعنون فدفعوا ذلك بقولهم رب موسى وهرون (قوله بتحقيق الهمزتين) أى همزة الاستفهام والهمزة الزائدة فى الفعل وقوله وابدال الثانية اى فى الفعل وان كانت ثالثة فهى فاء الكلمة وفى قراءة سبعية ايضا بحذف همزة الاستفهام وفى قراءة بتحقيق الاولى وتسهيل الثانية وابدال الثالثة الفا وفى قراءة بقلب الاولى واوا فى الوصل وتسهيل الثانية وقلب الثالثة ألفا فالقراآت اربع وكلها سبعية (قوله قبل ان آذن لكم) اصله أأذن ابدلت الثانية الفا على القاعدة المشهورة والمعنى احصل منكم الايمان قبل حصول الاذن منى لايليق منكم ذلك والفعل مضارع منصوب بان (قوله ان هذا المكر) اى حيلة وخديعة (قوله مكرتموه) اى تواطأتم عليه قبل مجيئكم الينا وقصد بذلك اللعين تثبيت القبط بهاتين الشبهتين اللتين القاهما عليهم وهما قوله ان هذا المكر وقوله لتخرجوا منها اهلها (قوله ماينالكم منى) قدره اشارة الى ان مفعول تعلمون محذوف (قوله لاقطعن ايديكم) هذا بيان لوعيده الذى توعدهم به وهل فعل ماتوعدهم به اولا خلاف بل قال بعضهم انه لم يفعل بدليل قوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون (قوله من خلاف) الجار والمجرور فى محل نصب على الحال اى مختلفة (قوله باى وجه كان) اى سواء كان بقتلك اولا وفى آية طه انما تقضى هذه الحياة الدنيا (قوله وما تنقم منا) اى تكره منا فقوله الا ان آمنا ان ومادخلت عليه فى تاويل مصدر مفعول به لتنقم والمعنى وما تكره منا الا ايماننا ويصح ان يكون المعنى وما تعذبنا بشئ من الاشياء الا لاجل ايماننا فيكون مفعولا لاجله (قوله لما جاءتنا) اى حين اتتنا من عنده (قوله عند فعل ماتوعده بنا) اى ماتوعدنا به وهو القطع من خلاف والتصليب ففى العبارة قلب (قوله لئلا نرجع كفارا) علة لقوله ربنا افرغ علينا صبرا (قوله وتوفنا مسلمين) اى ثابتين على الدين الحق غير مغيرين ولا مبدلين (قوله وقال الملأ) اى

المصرون

المصرون على الكفر فانه حين آمنت به السحرة آمن من بنى اسرائيل ستمائة الف (قوله ويذرك) معطوف على ليفسدوا والمعنى أتترك موسى وقومه ليفسدوا فى الارض وليتركك وآلهتك والاستفهام انكارى والمعنى لا يليق ذلك (قوله وآلهتك) بالجمع فى قراءة الجمهور لانه جعل آلهة يعبدها قومه وجعل نفسه هو الاله الاعلى قال تعالى فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى وقرئ شذوذا والهتك بتاء التانيث لانه كان يعبد الشمس (قوله اصناما صغارا) اى على صورة الكواكب (قوله بالتشديد والتخفيف) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله المولودين) اى الصغار (قوله ونستحيي نساءهم) اى للخدمة (قوله من قبل) اى قبل مولد موسى (قوله قال موسي لقومه) اى تسلية لهم (قوله استعينوا بالله) اى اطلبوا الاعانة منه سبحانه (قوله يورثها) الجملة حالية من لفظ الجلالة وقوله من يشاء مفعول ثان والمفعول الاول الهاء (قوله للمتقين الله) قدره اشارة الى ان مفعول المتقين محذوف (قوله قالوا أوذينا) اى بالقتل للاولاد واستبقاء النساء للخدمة (قوله من قبل ان تاتينا) اى بالرسالة وكان فرعون يستعملهم فى الاعمال الشاقة نصف النهار فلما بعث موسي وجرى بينهم ماجرى استعملهم جميع النهار وأعاد القتل فيهم (قوله كيف تعملون فيها) اى من الاصلاح والافساد (قوله ولقد) اللام موطئة لقسم محذوف تقديره والله لقد اخذنا اى ابتلينا وهذا شروع فى تفصيل مبادى هلاك فرعون وقومه لتكذيبهم بالآيات البينات (قوله بالسنين) جمع سنة ومن المعلوم انه يجرى مثل جمع المذكر السالم فى اعرابه بالواو رفعا وبالياء نصبا وجرا وتحذف نونه للاضافة ففى الحديث اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف ويقل اعرابه كحين (قوله بالقحط) اى احتباس المطر (قوله ونقص من الثمرات) اى اتلافها بالآفات (قوله فاذا جاءتهم الحسنة) اشار بذلك الى انهم باقون فى غيهم وضلالهم لم يتعظوا ولم ينزجروا عماهم عليه (قوله اى نستحقها) اى بحولنا وقوتنا (قوله يطيروا) اصله يتطيروا ادغمت التاء فى الطاء والتطير فى الاصل ان يفرق الشئ بين القوم ويطير لكل واحد مايخصه فيشمل النصيب الحسن والسيء ثم غلب على الحظ والنصيب السيء والحكمة فى التعبير فى جانب الحسنة باذا المفيدة للتحقيق وتعريفها وفى جانب السيئة بان المفيدة للشك وتنكيرها الاشارة الى ان رحمة الله تغلب غضبه وانها صادرة منه سبحانه وتعالى وان لم يتاهل لها العبد بخلاف السيئة فصدورها منه نادر ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون (قوله الا انما طائرهم) الا اداة استفتاح يؤتى بها اعتناء بما بعدها للرد عليهم (قوله شؤمهم) اى عذابهم الذى تشاءموا به (قوله عند الله) اى لا عند موسي فليس له مدخل فى ايجاد ذلك (قوله ياتيهم به) اى جزاء لاعمالهم السيئة (قوله ولكن اكثرهم لا يعلمون) يفيد ان الاقل يعلم ان فرعون كاذب وموسى صادق وانما كفرهم محض عناد (قوله وقالوا) اى فرعون وقومه (قوله مهما تاتنا به الخ) مهما اسم شرط جازم وتات فعل الشرط مجزوم بحذف الياء والكسرة دليل عليها ونا مفعول ومن آية بيان لمهما وبه متعلق بتات وضميرها راجع لمهما ولتسحرنا متعلق بتاتنا وبها متعلق بتسحرنا وقوله فما الفاء واقعة فى جواب الشرط وما نافية ونحن مبتدأ وبمؤمنين خبر مرفوع بواو مقدرة منع من ظهورها اشتغال المحل بالياء التى جلبها حرف الجر الزائد والجملة فى محل جزم جواب الشرط (قوله فدعا عليهم) قال سعيد بن جبير لما آمنت السحرة ورجع فرعون مغلوبا ابى هو وقومه الا الاقامة على الكفر والتمادى على الشر فتابع الله عليهم الآيات فاخذهم الله اولا بالسنين وهو القحط ونقص الثمرات واراهم قبل ذلك من المعجزات اليد والعصا فلم يؤمنوا فدعا عليهم موسي وقال يارب ان عبدك فرعون علا فى الارض وبغى وعتا وان قومه قد نقضوا العهد فخذهم بعقوبة تجعلها عليهم نقمة ولقومى عظة ولمن بعدهم آية وعبرة ففعل الله بهم ماسيذكر (قوله فارسلنا عليهم الطوفان) اى ماء من السماء والحال ان بيوت القبط مشتبكة ببيوت بنى اسرائيل فامتلأت

(ويذرك وآلهتك) وكان صنع لهم اصناما صغارا يعبدونها وقال انا ربكم وربها ولذا قال انا ربكم الاعلى (قال سنقتل) بالتشديد والتخفيف (ابناءهم) المولودين (ونستحيي) نستبقى (نساءهم) كفعلنا بهم من قبل (وانا فوقهم قاهرون) قادرون ففعلوا بهم ذلك فشكا بنو اسرائيل (قال موسي لقومه استعينوا بالله واصبروا) على اذاهم (ان الارض لله يورثها) يعطيها (من يشاء من عباده والعاقبة) المحمودة (للمتقين) الله (قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسي ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض فينظر كيف تعملون) فيها (ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين) بالقحط (ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون) يتعظون فيؤمنون (فاذا جاءتهم الحسنة) الخصب والغنى (قالوا لنا هذه) اى نستحقها ولم يشكروا عليها (وان تصبهم سيئة) جدب وبلاء (يطيروا) يتشاءموا (بموسي ومن معه) من المؤمنين (الا انما طائرهم) شؤمهم (عند الله) ياتيهم به (ولكن اكثرهم لا يعلمون) ان مايصيبهم من عنده (وقالوا) لموسي (مهما تاتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين) فدعا عليهم (فارسلنا عليهم الطوفان) وهو ماء دخل بيوتهم

ووصل الى حلوق الجالسين سبعة ايام (والجراد) فاكل زرعهم وثمارهم كذلك (والقمل) السوس اوهو نوع من القراد فتتبع ماتركه الجراد (والضفادع) فملأت بيوتهم وطعامهم (والدم) فى مياههم (آيات مفصلات) مبينات (فاستكبروا) عن الايمان بها (وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز) العذاب (قالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك) من كشف العذاب عنا ان آمنا (لئن) لام قسم (كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل فلما كشفنا) بدعاء موسى (عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اذاهم ينكثون) ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم (فانتقمنا منهم فاغرقناهم فى اليم) البحر الملح (بانهم) بسبب انهم (كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) لا يتدبرونها (واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون) بالاستعباد وهم بنواسرائيل (مشارق الارض ومغاربها التى باركنا فيها) بالماء والشجر صفة للارض وهى الشام (وتمت

بيوت القبط حتى قاموا فى الماء الى تراقيهم ومن جلس منهم غرق ولم يدخل من ذلك الماء فى بيوت بنى اسرائيل شئ وركب ذلك الماء على أرضهم فلم يقدروا على الحرث ودام عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت فاستغاثوا بموسى فازال الله عنهم المطر وأرسل الريح فجفف الارض وخرج من النبات مالم ير مثله قط فقالوا هذا الذى جزعنا منه خير لنا لكنالم نشعر فلا والله لا نؤمن بك ولا نرسل معك بنى اسرائيل فاقاموا شهرا فى عافية (قوله الى حلوق الجالسين) فى كلام غيره الى حلوق القائمين ومن جلس غرق كما علمت (قوله والجراد) أى واستمر من السبت الى السبت يأكل زروعهم وثمارهم وأوراق أشجارهم وابتلى الجراد بالجوع فكانت لا تشبع ولم تصب بنى اسرائيل فعظم الامر عليهم فضجوا من ذلك وقالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل فاشار موسى بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الجراد من حيث جاءت فاقاموا شهرا فى عافية ثم رجعوا الى أعمالهم الخبيثة (قوله والقمل) مشى المفسر على أنه السوس أو نوع من القراد وقيل انه القمل المعروف بدليل قراءة الحسن والقمل بفتح القاف وسكون الميم وقيل هو البراغيث فاكل ما أبقاه الجراد وكان يدخل بين ثوب أحدهم وجلده فيمصه وكان أحدهم يأكل الطعام فيمتلئ قملا فاستمر ذلك سبعة أيام من السبت الى السبت فضجوا واستغاثوا فرفع عنهم ثم أقاموا شهرا فى عافية ثم رجعوا لاخبث ما كانوا عليه (قوله والضفادع) جمع ضفدع كدرهم وزبرج (قوله فملأت بيوتهم وطعامهم) اى وكان الواحد منهم يجلس فى الضفادع الى رقبته ويهم أن يتكلم فيثب الضفدع فى فيه وكان يملأ قدورهم ويطفئ نيرانهم وكان احدهم يضطجع فيركبه الضفدع فيكون عليه ركاما حتى لا يستطيع ان ينقلب الى شقه الآخر وردان الضفادع كانت برية فلما ارسلها الله سمعت واطاعت فجعلت تلقى نفسها فى القدور وهى تغلى وفى التنانير وهى تفور فاثابها الله بحسن طاعتها برد الماء فصارت من حينها تسكن الماء ثم ضجوا وشكوا لموسى وقالوا ارحمنا هذه المرة فما بقى الا ان نتوب ولا نعود بعدما اقامت عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت فدعا الله موسى فكشف الله عنهم ذلك واستمروا شهرا فى عافية ثم عادوا (قوله والدم) اى وكان احمر خالصا فصارت مياههم كلها دما فما يستقون من بئر ولا نهر الا وجدوه دما فاجهدهم العطش جدا حتى ان القبطية تاتى للمراة من بنى اسرائيل فتقول لها اسقينى من مائك فتصب لها من قربتها فيعود فى الاناء دما حتى كانت القبطية تقول للاسرائيلية اجعليه فى فيك ثم مجيه فى فى فتاخذه فى فيها ماء واذا مجته فى فيها صار دما واعترى فرعون العطش حتى انه ليضطر الى مضغ الاحجار الرطبة فاذا مضغها صار دما فمكثوا على ذلك سبعة ايام من السبت الى السبت فشكوا لموسى ذلك فكشف عنهم (قوله آيات) حال من الخمسة المذكورة (قوله مفصلات) اى مفرقات فكانت كل واحدة تمكث سبعة ايام وبين كل واحدة واخرى شهرا (قوله ولما وقع عليهم الرجز) هذا موزع على الخمسة فكانوا كلما ضجوا قالوا هذه المقالة (قوله من كشف العذاب) بيان لما (قوله فلما كشفنا) اى فى كل واحدة من الخمس (قوله الى اجل هم بالغوه) اى وهو وقت اغراقهم (قوله فانتقمنا منهم) اى اردنا الانتقام منهم لان الانتقام هو الاغراق فلا يحسن دخول الفاء بينهما (قوله مشارق الارض ومغاربها) اى نواحيها وجميع جهاتها (قوله صفة للارض) فيه انه يلزم عليه الفصل بين الصفة والموصوف بالمعطوف وهو اجنبى والاولى ان يكون صفة للمشارق والمغارب (قوله وهو الشام) الحامل له على هذا التفسير قوله تعالى التى باركنا فيها وهذا الوصف لا يعين هذا المعنى بل يمكن تفسير الارض بارض مصر كما هو السياق وقد بارك الله فيها بالنيل وغيره ويؤيده قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون الى ان قال كذلك واورثناها قوما آخرين وكذلك آية الشعراء وقد اختار ماقلناه جملة من المفسرين وقال بعضهم المراد بمشارق الارض

الشام ومغاربها مصرفانهم ورثوا العمالقة فى الشام وورثوا الفراعنة فى مصر (قوله كلمت) ترسم هذه بالتاء المجرورة لاغير وماعداها فى القرآن بالهاء على الاصل (قوله بما صبروا) أى بسبب صبرهم (قوله ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه) اى أهلكنا وخربنا الذى كان يصنعه فرعون وقومه (قوله وما كانوا يعرشون) هذا آخر قصة فرعون وقومه (قوله بكسر الراء وضمها) قراءتان سبعيتان (قوله من البنيان) اى كصرح هامان وغيره من جميع ما أسسوه بارض مصر (قوله وجاوزنا) شروع فى قصة بنى اسرائيل وماوقع منهم من كفر النعمة والقبائح والمقصود من ذلك تسلية النبي صلى الله عليه وسلم وتخويف أمته من ان يفعلوا مثل فعلهم (قوله عبرنا) العبر هو الانتقال من جانب لآخر لانتقالهم من الجانب الشرقى للغربى (قوله بضم الكاف وكسرها) اى من بابى نصر وضرب وهما قراءتان سبعيتان (قوله على أصنام لهم) قيل هى حجارة على صور البقر وقيل بقر حقيقة وكان هؤلاء القوم العاكفون من الكنعانيين الذين أمر موسي بقتالهم بعد ذلك (قوله قالوا ياموسي) القائل بعضهم لا جميعهم (قوله اجعل لنا الها) قيل انهم مرتدون بهذه المقالة لقصدهم بذلك عبادة الصنم حقيقة وقيل ليسوا مرتدين بل هم جاهلون جهلا مركبا لاعتقادهم ان عبادة الصنم بقصد التقرب الى الله تعالى لا تضرهم فى الدين وعلى كل فهذه المقالة فى شرعنا ردة والجار والمجرور مفعول ثان والهاء مفعول أول وقوله كما لهم آلهة صفة لالها وما اسم موصول ولهم صلتها وآلهة بدل من الضمير المستتر فى لهم والتقدير اجعل الها لنا كالذى استقر لهم الذى هو آلهة (قوله ان هؤلاء متبر ماهم فيه) جملة مستانفة قصد بها توبيخهم وزجرهم (قوله ماهم فيه) اى من الدين الباطل وهو عبادة الاصنام (قوله قال أغير الله) الاستفهام للانكار والتوبيخ (قوله أبغيكم) اى أطلب وأقصد لكم (قوله وأصله أبغى لكم) اى فحذف الجار فاتصل الضمير (قوله وهو فضلكم) الجملة حالية من لفظ الجلالة (قوله فى زمانكم) اى بانجائكم واغراق عدوكم وانزال المن والسلوى عليكم وليس تفضيلهم على جميع العالمين فان أمة محمد صلى الله عليه وسلم أفضل من جميع الامم (قوله واذ انجيناكم) هذا من كلام موسي فاسناد الانجاء اليه مجاز لكونه على يده وسببا فيه حيث ضرب بعصاه البحر فانفلق (قوله وفى قراءة أنجاكم) اى وهى ظاهرة فان الفاعل ضمير عائد على الله وهما قراءتان سبعيتان (قوله يسومونكم) من السوم وهو الاذاقة (قوله يقتلون ابناءكم) قدر المفسر هم اشارة الى ان يقتلون بيان ليسومونكم (قوله ويستحيون نساءكم) اى لخدمتهم (قوله الانجاء أو العذاب) أشار بذلك الى ان اسم الاشارة يصح عوده على الانجاء ومعنى كونه بلاء انه يختبرهم هل يشكرون فيؤجروا أو يكفرون فيعاقبوا وعوده على العذاب ظاهر فالابتلاء كما يكون فى الشر يكون فى الخير قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة فالشكر على النعمة موجب لزيادتها كما ان الصبر على البلايا موجب لرضا الله قال تعالى وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون (قوله بالف ودونها) اى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الالف من المواعدة وهى مفاعلة من الجانبين فمن الله الامر ومن العبد القبول وعلى حذف الالف فالوعد من الله لاغير وهو ظاهر (قوله ثلاثين ليلة) انما عبر بالليالى دون الايام مع ان الصيام فى الايام لان موسي كان صائما تلك المدة ليلا ونهارا مواصلا وحرمة الوصال على غير الانبياء فعبر بالليالى لدفع توهم اقتصاره على صوم النهار فقط قال المفسرون ان موسى عليه الصلاة والسلام وعد بنى اسرائيل اذا أهلك الله تعالى عدوهم فرعون ان يأتيهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما أهلك الله فرعون سال موسى ربه ان ينزل عليه الكتاب الذى وعد به بنى اسرائيل فامره ان يصوم ثلاثين يوما فصامها فلما تمت أنكر خلوف فمه فاستاك بعود خرنوب وقيل أكل من ورق الشجر فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك فامره الله ان

كلمت ربك الحسنى) وهى قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض الخ (على بنى اسرائيل بما صبروا) على اذى عدوهم (ودمرنا) أهلكنا (ما كان يصنع فرعون وقومه) من العمارة (وما كانوا يعرشون) بكسر الراء وضمها يرفعون من البنيان (وجاوزنا) عبرنا (ببنى اسرائيل البحر فاتوا) فمروا (على قوم يعكفون) بضم الكاف وكسرها (على أصنام لهم) يقيمون على عبادتها (قالوا ياموسي اجعل لنا الها) صنما نعبده (كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون) حيث قابلتم نعمة الله عليكم بما قلتموه (ان هؤلاء متبر) هالك (ماهم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال أغير الله أبغيكم الها) معبودا وأصله أبغى لكم (وهو فضلكم على العالمين) فى زمانكم بما ذكره فى قوله (و) اذكروا (اذ أنجيناكم) وفى قراءة أنجاكم (من آل فرعون يسومونكم) يكلفونكم ويذيقونكم (سوء العذاب) اشده وهو (يقتلون ابناءكم ويستحيون) يستبقون (نساءكم وفى ذلكم) الانجاء او العذاب (بلاء) انعام او ابتلاء (من ربكم عظيم) أفلا تتعظون فتنتهون عما قلتم (وواعدنا) بالف ودونها (موسي ثلاثين ليلة) نكلمه عند انتهائها بان يصومها وهى ذو القعدة فصامها فلما تمت

انكر خلوف فمه فاستاك فامره الله بعشرة اخرى ليكلمه بخلوف فمه كما قال تعالى (واتممناها بعشر) من ذي الحجة (فتم ميقات ربه)

وقت وعده بكلامه اياه (اربعين) حال (ليلة) تمييز (وقال موسى لاخيه هرون) عند ذهابه الى الجبل للمناجاة (اخلفني) كن خليفتي (في قومي واصلح) امرهم (ولا تتبع سبيل المفسدين) بموافقتهم على المعاصي (ولما جاء موسى لميقاتنا) اي للوقت الذي وعدناه بالكلام فيه (وكلمه ربه) بلا واسطة كلاما سمعه من كل جهة (قال رب ارني) نفسك (انظر اليك قال لن تراني) اي لا تقدر على رؤيتي والتعبير به دون لن ارى يفيد امكان رؤيته تعالى (ولكن انظر الى الجبل) الذي هو اقوى منك (فان استقر) ثبت (مكانه فسوف تراني) اي تثبت لرؤيتي والا فلا طاقة لك (فلما تجلى ربه) اي ظهر من نوره قدر نصف انملة الخنصر كما في حديث صححه الحاكم (للجبل جعله دكا) بالقصر والمد اي مدكوكا مستويا بالارض (وخر موسى صعقا) مغشيا عليه لهول ما رأى (فلما افاق قال سبحانك) تنزيها لك (تبت اليك) من سؤال ما لم اومر به (وانا اول المؤمنين) في زماني (قال) تعالى (يا موسى اني اصطفيتك) اخترتك (على الناس) اهل زمانك (برسالتي)

يصوم عشر ذي الحجة فكان فتنة بني اسرائيل في تلك العشر (قوله انكر خلوف فمه) اي كره رائحة فمه من اثر الصوم وهو بضم الخاء واللام معناه الرائحة (قوله واتممناها) اي المواعدة المأخوذة من قوله وواعدنا (قوله اربعين حال) اي من ميقات (قوله وقال موسى) الواو لا تقتضي ترتيبا ولا تعقيبا لان تلك الوصية كانت قبل ذهابه وصيامه (قوله واصلح امرهم) اي امر بني اسرائيل ولا تغفل عنهم (قوله ولما جاء موسى لميقاتنا) قال اهل التفسير لما جاء موسى لميقات ربه تطهر وطهر ثيابه وصام ثم اتى طور سيناء فانزل الله ظلة غشيت الجبل على اربع فراسخ من كل ناحية وطرد عنه الشيطان وهوام الارض ونحى عنه الملكين وكشط له السماء فرأى الملائكة قياما في الهواء ورأى العرش بارزا وادناه ربه حتى سمع صريف الاقلام على الالواح وكلمه وكان جبريل معه فلم يسمع ذلك الكلام فاستحلى موسى كلام ربه فاشتاق الى رؤيته فقال رب ارني الخ (قوله اي للوقت) اي وكان يوم الخميس يوم عرفة فكلمه الله فيه واعطاه التوراة صبيحة يوم الجمعة يوم النحر (قوله وكلمه ربه) اي ازال الحجاب عنه حتى سمع كلامه بجميع اجزائه من جميع جهاته لا ان الله انشأ له الكلام لان الله سبحانه وتعالى دائما متكلم يستحيل عليه السكوت والآفة ولم يصل لنا معنى ما فهمه موسى من تلك المكالمة (قوله قال رب ارني) لما سمع الكلام هام واشتاق الى رؤية الذات فسأل الله ان يزيل عنه حجاب البصر كما ازال الله عنه حجاب السمع اذ لا فرق بين الحاستين فقد سأل جائزا اذ كل من جاز سماع كلامه جازت رؤية ذاته (قوله نفسك) قدره اشارة الى ان مفعول ارني محذوف (قوله انظر اليك) جواب الشرط ولا يقال ان الشرط قد اتحد مع الجواب لان المعنى هيئني لرؤيتك ومكني منها فان تفعل بي ذلك انظر اليك (قوله لن تراني) اي لا طاقة لك على رؤيتي في الدنيا وهذا لا يقتضي انها مستحيلة عقلا والا لما علقت على جائز وهو استقرار الجبل (قوله ولكن انظر الى الجبل) هذا من تنزلات الحق لموسى وتسلية له على ما فاته من الرؤية وهذا الجبل كان اعظم الجبال واسمه زبير (قوله الذي هو اقوى منك) اي فحجبه عن الرؤية رحمة به لعدم طاقة الجبل على ذلك فضلا عن موسى (قوله اي ظهر من نوره) اي نور جلال عرشه وفي رواية امر الله ملائكة السموات السبع بحمل عرشه فلما بدا نور عرشه انصدع الجبل من عظمة الرب سبحانه وتعالى (قوله نصف انملة الخنصر) وفي رواية قدر منخر الثور وفي رواية قدر سم الخياط وفي رواية قدر الدرهم (قوله بالقصر والمد) اي فهما قراءتان سبعيتان (قوله مستويا بالارض) اي بعد ان كان عاليا مرتفعا وقيل تفرق ستة اجبل فوقع ثلاثة بالمدينة وهي احد وورقان ورضوى وثلاثة بمكة ثبير وثور وحراء (قوله وخر موسى صعقا) اي سقط مغشيا عليه ذاهبا عن حواسه ولذا لا يصعق عند النفخة (قوله فلما افاق) اي ردت حواسه له (قوله من سؤال ما لم اومر به) اي وليس المراد ان طلب الرؤية معصية وانما هو من باب حسنات الابرار سيئات المقربين (قوله في زماني) دفع بذلك ما يقال ان قبله من المؤمنين كثيرا من الانبياء والامم وفي القصة ان موسى عليه السلام كان بعد ما رجع من المكالمة لا يستطيع احد ان ينظر اليه لما غشي وجهه من النور ولم يزل على وجهه برقع حتى مات وقالت له زوجته انا لم ارك منذ كلمك ربك فكشف لها عن وجهه فاخذها مثل شعاع الشمس فوضعت يدها على وجهها وخرت ساجدة وقالت ادع الله ان يجعلني زوجتك في الجنة قال ذلك لك ان لم تتزوجي بعدي فان المرأة لآخر ازواجها وورد ايضا انه مكث زمنا طويلا كلما سمع كلام الناس تقايا (قوله قال يا موسى) هذا تسلية على ما فاته من الرؤية (قوله اهل زمانك) دفع بذلك ما يقال ان من جملة الناس سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وابراهيم الخليل فيقتضي انه مختار عليهما فاجاب بان

المراد بالناس أهل زمانه انبياء اوغيرهم ولذلك كانت انبياء بنى اسرائيل يتعبدون بالتوراة (قوله بالجمع) اى باعتبار تعدد الاحكام الموحى بها (قوله والافراد) أى مرادا بها المعنى المصدرى أى ارسالى وهما قراءتان سبعيتان (قوله وبكلامى) اسم مصدر بمعنى التكليم اى تكليمى اياك مباشرة بلا واسطة ويصح ان يراد بالكلام التوراة كما يقال للقرآن كلام الله يقال للتوراة أيضا كلام الله لانها افضل كتاب انزل من السماء بعد القرآن (قوله لانعمى) جمع نعمة ويجمع ايضا على نعم (قوله وكتبنا له فى الالواح) اى وكان طول اللوح منها اثنى عشر ذراعا وقيل عشرة على طول موسى والكاتب لها هو الله بلا واسطة (قوله من سدر الجنة) اى خشبها المسمى بالسدر والشاقق لها هو الله بلا واسطة (قوله اوزمرد) وقيل من ياقوتة حمراء (قوله سبعة اوعشرة) وقيل تسعة وقيل اثنان و يكون المراد بالجمع مافوق الواحد قال الربيع ابن انس نزلت التوراة وهى وقر سبعين بعيرا يقرأ الجزء منها فى سنة ولم يحفظها الا اربعة موسى و يوشع ابن نون وعزيز وعيسى عليهم السلام وقال الحسن هذه الآية فى التوراة بالف آية (قوله بدل) اى قوله موعظة وتفصيلا بدل من محل قوله من كل شئ وهو النصب وقوله لكل شئ متعلق بتفصيلا (قوله قلنا مقدرا) اشار بذلك الى ان هذا المحذوف معطوف على كتبنا (قوله بجد واجتهاد) اى لا بتراخ وكسل فان العلم لا ياتى الا للمجد المشتاق كان كسبيا اووهبيا فلابد لمتعاطى العلم من الكد والتعب ومخالفة النفس قال بعضهم

بقدر الكد تكتسب المعالى * ومن طلب العلا سهر الليالى
تروم العز ثم تنام ليلا * يغوص البحر من طلب اللآلى

وقال بعض العارفين

فجد بالروح والدنيا خليلى * كذا الاوطان كى تدرك سناه

وهذا الخطاب لموسى والمراد غيره لانه هو آخذ لها بقوة واجتهاد (قوله باحسنها) اى بالاحوط منها لان فيها عزائم ورخصا وفاضلا ومفضولا وجائزا ومندوبا فامر قومك ياخذوا بالاحوط بان يتبعوا العزائم ويتركوا الرخص وذلك كالقود والعفو والانتصار والصبر فالاخذ بالعفو احسن من القود والصبر احسن من الانتصار او يقال ان اسم التفضيل ليس على بابه اى بحسنها والاضافة بيانية والمعنى يعملون بجميع مافيها (قوله ساريكم) الخطاب لموسى ومن تبعه فالكاف مفعول اول ودار مفعول ثان والمعنى املككم اياها بدليل قراءة من قرأ ساورثكم بالثاء المثلثة (قوله وهى مصر) هذا هو الاقرب وقيل المراد بدار الفاسقين ديار عاد وثمود وقوم لوط وقوم نوح (قوله ليعتبروا بهم) اى ففى الآية اشارة الى انهم ان خالفوا فعل بهم كما فعل بفرعون وقومه وهكذا كل ظالم فاجر ولو من المسلمين اذا بغى واعتدى وتكبر وتجبر يمهل مدة ثم تصير دياره بلاقع فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ويؤيده قوله تعالى فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم كذلك نجزى القوم المجرمين (قوله ساصرف عن آياتى) أى اقسى قلوبهم واطمسها عن فهم آياتى فلا يتفكرون ولا يتدبرون (قوله بغير الحق) حال من الذين يتكبرون اى حال كونهم متلبسين بالدين الغير الحق (قوله وان يروكل آية لا يؤمنوا بها) اى لوجود الطبع على قلوبهم وفى الآية اشارة الى ان المتكبر المعترض لا يستفيد نورا ولا خيرا من الذى اعترض وتكبر عليه (قوله بانهم كذبوا) أى بسبب تكذيبهم (قوله تقدم مثله) اى فى قوله فاغرقناهم فى اليم بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين (قوله والذين كذبوا) مبتدأ وجملة حبطت اعمالهم خبره (قوله لعدم شرطه) اى الثواب وهو الايمان فالايمان شرط فى الثواب لانه مقدار من الجزاء يعطى المؤمنين فى مقابلة اعمالهم الحسنة فاعمال الكفار الحسنة إلا تتوقف على نية يجازون عليها فى الدنيا ويخفف عنهم من عذاب غير الكفر لكنه لا يقال له ثواب كذا قرر الاشياخ (قوله هل يجزون) استفهام انكارى بمعنى النفى ولذا اشار له المفسر بقوله ما

بالجمع والافراد (وبكلامى) اى تكليمى اياك (فخذ ما آتيتك) من الفضل (وكن من الشاكرين) لانعمى (وكتبنا له فى الالواح) اى الواح التوراة وكانت من سدر الجنة وزبرجد اوزمرد سبعة اوعشرة (من كل شئ) يحتاج اليه فى الدين (موعظة وتفصيلا) تبيينا (لكل شئ) بدل من الجار والمجرور قبله (فخذها) قبله قلنا مقدرا (بقوة) بجد واجتهاد (وامر قومك ياخذوا باحسنها ساريكم دار الفاسقين) فرعون واتباعه وهى مصر لتعتبروا بهم (ساصرف عن آياتى) دلائل قدرتى من المصنوعات وغيرها (الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق) بان أخذلهم فلا يتفكرون فيها (وان يرواكل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل) طريق (الرشد) الهدى الذى جاء من عند الله (لا يتخذوه سبيلا) يسلكوه (وان يروا سبيل الغى) الضلال (يتخذوه سبيلا ذلك) الصرف (بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) تقدم مثله (والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) البعث وغيره (حبطت) بطلت (اعمالهم) ما عملوه فى الدنيا من خير كصلة رحم وصدقة فلا ثواب لهم لعدم شرطه (هل) ما (يجزون الا) جزاء (ما كانوا يعملون) من التكذيب والمعاصى

(واتخذ قوم موسى من بعده) اى بعد ذهابه الى المناجاة (من حليهم) الذى استعاروه من قوم فرعون بعلة عرس فبقى عندهم (عجلا) صاغه لهم منه السامرى (جسدا) بدل لحما ودما (له خوار) اى صوت يسمع انقلب كذلك بوضع التراب الذى اخذه من حافر فرس جبريل فى فمه فان اثره الحياة فيما يوضع فيه ومفعول اتخذ الثانى محذوف اى الها (ألم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا) فكيف يتخذ الها (اتخذوه) الها (وكانوا ظالمين) باتخاذه (ولما سقط فى ايديهم) اى ندموا على عبادته (ورأوا) علموا (انهم قد ضلوا) بها وذلك بعد رجوع موسى (قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا) باليا والتاء فيهما (لنكونن من الخاسرين ولما رجع موسى الى قومه غضبان) من جهتهم (اسفا) شديد الحزن (قال) لهم (بئسما) اى بئس خلافة (خلفتمونى) ها (من بعدى) خلافتكم هذه حيث اشركتم (أعجلتم أمر ربكم وألقى الالواح) ألواح التوراة غضبا لربه فتكسرت (واخذ برأس أخيه) أى بشعره بيمينه ولحيته بشماله (يجره اليه) غضبا (قال) يا (ابن أم)

(قوله واتخذ قوم موسى) عطف قصة على قصة والواو لا تقتضى ترتيبا ولا تعقيبا لان عبادتهم العجل كانت زمن المكالمة فى مدة العشرة الايام الزائدة فوق الثلاثين (قوله من حليهم) جمع حلى بفتح فسكون واصله حلوى اجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون قلبت الواو ياء وادغمت فى الياء وقلبت ضمة اللام كسرة لتصح الياء (قوله الذى استعاروه من قوم فرعون) اى قبل غرقهم (قوله فبقى عندهم) اى ملكا لبنى اسرائيل كما ملكوا غيرهم من اموالهم وديارهم ولذا اضافه الله لهم وأما قول المفسر استعاروه فهو باعتبار ما كان (قوله عجلا) وهذا العجل قد حرقه موسى عليه السلام ونسفه فى البحر كما قصه الله تعالى فى سورة طه (قوله صاغه لهم منه السامرى) واسمه موسى وكان ابن زنا وضعته امه فى جبل فارسل الله اليه جبريل فصار يرضعه من اصبعه فكان يعرفه اذا نزل الى الارض فلما نزل جبريل يوم غرق فرعون وكان راكبا فرسا فكان كل شئ وطئته بحافرها يخضر ويثمر ففطن موسى السامرى لذلك وعلم ان هذا التراب له اثر فاخذ شيأ منه وادخره فلما توجه موسى المناجاة صنع لهم العجل ووضع التراب فى فيه فصار له خوار فقال هذا الهكم واله موسى فنسى كما فى سورة طه وكان موسى السامرى منافقا وانظر الى من رباه جبريل حيث كان منافقا والى من رباه فرعون حيث كان مرسلا فان هذا دليل على ان السعادة والشقاوة بيد الله فقد قال بعضهم

اذا المرء لم يخلق سعيدا من الازل * فقد خاب من ربى وخاب المؤمل

فموسى الذى رباه جبريل كافر * وموسى الذى رباه فرعون مرسل

(قوله بدل) اى من عجلا او عطف بيان (قوله لحما ودما) تفسير لجسدا (قوله له خوار) هذه قراءة العامة وقرئ شذوذا له جؤار بجيم فهمزة وهو الصوت الشديد (قوله فان أثره الحياة) اى بتأثير الله (قوله الم يروا) استفهام توبيخ وتقريع (قوله اتخذوه) كرره لمزيد التشنيع عليهم (قوله وكانوا ظالمين) اى اتصفوا باشد الظلم حيث عبدوا غير الله (قوله ولما سقط فى ايديهم) فعل مبنى للمجهول والجار والمجرور نائب الفاعل وقرئ شذوذا بالبناء للفاعل فالفاعل ضمير يعود على الندم وقرئ شذوذا ايضا اسقط بضم الهمزة والضمير عائد على الندم والاصل على القراءة السبعية سقطت افواههم على ايديهم ففى بمعنى على وذلك من شدة الندم فان العادة أن الانسان اذا ندم على شئ عض بفمه على يده فسقوط الفم على اليد لازم للندم فاطلق اللازم واريد الملزوم على سبيل الكناية ولم تعرف هذه الكناية فى لغة العرب الا فى القرآن (قوله ورأوا) الجملة حالية (قوله وذلك) اى الندم (قوله بعد رجوع موسى) اى وانما قدم ليتصل ماقالوه بما فعلوه (قوله لئن لم يرحمنا ربنا الخ) فيها قراءتان سبعيتان بالياء والتاء فعلى قراءة الياء يكون ربنا مرفوعا على الفاعلية وعلى قراءة التاء يكون منصوبا على النداء (قوله ولما رجع موسى) اى من المناجاة (قوله غضبان) أى لما فعلوه من عبادة العجل وقد اخبره بذلك المولى حيث قال له كما فى طه فانا قد فتنا قومك من بعدك الآية (قوله أسفا) حال وكذا غضبان فتكون حالا متداخلة (قوله بئسما خلفتمونى) بئس فعل ماض لانشاء الذم وما تمييز وقيل فاعل وجملة خلفتمونى صفة لما والمخصوص بالذم محذوف قدره المفسر بقوله خلافتكم هذه والمعنى بئس خلافة خلفتمونيها خلافتكم هذه (قوله من بعدى) متعلق بخلفتمونى (قوله اعجلتم امر ربكم) اى تركتموه غير تام على تضمين عجل معنى سبق أو المعنى أعجلتم وعد ربكم الذى وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتى وغيرتم بعدى كما غيرت الامم بعد انبيائهم (قوله والقى الالواح) اى وكان حاملا لها (قوله فتكسرت) هذا احد الاقوال وقيل انه تكسر البعض وبقى البعض وقيل المراد بالقائها وضعها ليتفرغ لمكالمة اخيه فلما فرغ أخذها بعينها ولم يذهب منها شئ كما حققه زاده على البيضاوى (قوله اى بشعره بيمينه) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف (قوله يجره اليه)

بكسر الميم وفتحها ارادامى وذكرها اعطف لقلبه (ان القوم استضعفونى وكادوا) (٨٧) قاربوا (يقتلوننى فلا تشمت) تفرح (بى الاعداء) باهانتك اياى (ولا تجعلنى مع القوم الظالمين) بعبادة العجل فى المؤاخذة (قال رب اغفرلى) ماصنعت باخى (ولاخى) اشركه فى الدعاء ارضاء له ودفعا للشماتة به (وأدخلنا فى رحمتك وانت ارحم الراحمين) قال تعالى (ان الذين اتخذوا العجل) الها (سينالهم غضب) عذاب (من ربهم وذلة فى الحيوة الدنيا) فعذبوا بالامر بقتل انفسهم وضربت عليهم الذلة الى يوم القيامة (وكذلك) كما جزيناهم (نجزى المفترين) على الله بالاشراك وغيره (والذين عملوا السيآت ثم تابوا) رجعوا عنها (من بعدها وآمنوا) بالله (ان ربك من بعدها) اى التوبة (لغفور) لهم (رحيم) بهم (ولما سكت) سكن (عن موسى الغضب اخذ الالواح) التى القاها (وفى نسختها) اى ما نسخ فيها اى كتب (هدى) من الضلالة (ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) يخافون وادخل اللام على المفعول لتقدمه (واختار موسى قومه) اى من قومه (سبعين رجلا) ممن لم يعبد العجل بامره تعالى (لميقاتنا) اى للوقت الذى وعدناه باتيانهم فيه ليعتذروا من عبادة اصحابهم العجل فخرج بهم (فلما اخذتهم الرجفة) الزلزلة الشديدة قال ابن عباس لانهم

حال من فاعل أخذ (قوله بكسر الميم وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان فاما قراءة الفتح فعند البصريين مبنى على الفتح لتركيبه تركيب خمسة عشر وعند الكوفيين ابن منادى منصوب بفتحة ظاهرة وهو مضاف لام مجرور بكسرة مقدرة على ماقبل ياء المتكلم المنقلبة ألفا المحذوفة للتخفيف وبقيت الفتحة لتدل عليها واما على قراءة الكسر فعند البصريين هو منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة تخفيفا فهو كسر بناء وعند الكوفيين كسرة اعراب وحذفت الياء اكتفاء بالكسرة (قوله وذكرها أعطف) جواب عما يقال ان هرون شقيق موسى فلم اقتصر فى خطابه على الام وكان هرون كثير الحلم محببا فى بنى اسرائيل وهو أكبر من موسى بثلاث سنين (قوله وكادوا يقتلوننى) أى بذلت وسعى فى نصيحتهم حتى قهرونى وقاربوا قتلى (قوله فلا تشمت بى الاعداء) الشماتة فرح العدو بما ينال الشخص من المكروه (قوله قال رب اغفر لى) اى لما تبين له عذر أخيه جمعه معه فى الدعاء استعطافا وارضاء له (قوله ان الذين اتخذوا العجل) اى وكانوا ستمائة ألف وثمانية آلاف وبقى اثنا عشر ألفا لم يعبدوه لان جملة من عبر البحر مع موسى ستمائة الف وعشرون الفا (قوله الها) قدره اشارة الى ان مفعول اتخذوا محذوف (قوله سينالهم) الاستقبال بالنسبة لخطاب موسى به واما بالنسبة لنزوله على نبينا فهو ماض (قوله رجعوا عنها) اى عن السيآت التى منها عبادة العجل (قوله ولما سكت عن موسى الغضب) اى بمراجعة هرون له حيث الان له الكلام واعتذر له وفى الكلام استعارة بالكناية حيث شبه الغضب بامير قام على موسى فامره بالقاء الالواح والاخذ برأس اخيه وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشئ من لوازمه وهو السكوت فاثباته تخييل وفى السكوت استعارة تبعية حيث شبه السكون بالسكوت واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من السكوت سكت بمعنى سكن على طريق الاستعارة التصريحية التبعية وماوقع من موسى عليه السلام من الغضب ليس ناشئا عن سوء خلق وعدم حلم وانما هو غضب لانتهاك حرمات الله ولا ينافى الحلم قال بعضهم

اذا قيل حلم قل فللحلم موضع ❋ وحلم الفتى فى غير موضعه جهل

وماقيل ان موسى لما كان قليل الحلم امره الله بالالانة الكلام لفرعون حيث قال له فقولا له قولا لينا ومحمد عليه السلام لما كان كامل الحلم امره الله بالاغلاظ على الكفار حيث قال واغلظ عليهم فهو باطل لا اصل له وانما الذى يقال ان كلا كامل فى الحلم وكلا مامور بالالانة اولا فاذا تقرر الدين وثبت وامروا بالجهاد امروا بالاغلاظ هذا هو الحق ومن نفى عن احد منهم الحلم فقد كفر (قوله وفى نسختها) اى كتابتها وتسميتها نسخة باعتبار كتابتها من اللوح المحفوظ وهذا على ماقاله زاده من ان الالواح لم تنكسر واما على ماقاله ابن عباس من انها تكسرت فصام موسى اربعين يوما فردت عليه فى لوحين فمعنى قوله وفى نسختها اى ما نسخ من الالواح التى كسرت فى الواح أخر فتسميتها نسخة ظاهر لان نسخ الشئ نقله (قوله للذين هم لربهم يرهبون) اى واما لغيرهم فليس فيه هدى ورحمة وانما هو وبال وخسران فهى نظير القرآن مع المؤمن والمنافق قال تعالى فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون (قوله وادخل اللام على المفعول لتقدمه) اى فضعف عن العمل فقوى باللام والمعنى الذين هم يخافون ربهم اى يخافون عقابه (قوله اى من قومه) اشار بذلك الى ان قوله من قومه مفعول ثان مقدم منصوب بنزع الخافض والمفعول الاول قوله سبعين (قوله سبعين رجلا) اى من شيوخهم روى انه لم يجد الا ستين شيخا فاوحى الله اليه ان يختار من الشباب عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا فامرهم موسى عليه السلام أن يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم خرج بهم الى الميقات وهو طور سينا فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود من الغمام

لم يزايلوا قومهم حين عبدوا العجل قال وهم غير الذين سالوا الرؤية واخذتهم الصاعقة (قال) موسى (رب لوشئت أهلكتهم من قبل) اى قبل خروجي بهم ليعاين بنواسرائيل ذلك ولا يتهموني (واياى اتهلكنا بما فعل السفهاء منا) استفهام استعطاف اى لا تعذبنا بذنب غيرنا (ان) ما (هى) اى الفتنة التى وقعت فيها السفهاء (الا فتنتك) ابتلاؤك (تضل بهـا من تشاء) اضلاله (وتهدى من تشاء) هدايته (انت ولينا) متولى امورنا (فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين وا كتب) اوجب (لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة) حسنة (انا هدنا) تبنا (اليك قال) تعالى (عذابى اصيب به من اشاء) تعذيبه (ورحمتى وسعت) عمت (كل شيء) فى الدنيا (فسا كتبها) فى الآخرة (للذين يتقون و يؤتون الزكوة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الامى) محمدا صلى الله عليه وسلم (الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل) باسمه وصفته

حتى احاط بالجبل ودخل موسى فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى دخلوا فى الغمام ووقعوا سجدا وسمعوا الله وهو يكلم موسى يامره وينهاه فلما انكشف الغمام اقبلوا على موسى وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وهى المرادة بالرجفة هنا وماتوا يوما وليلة وسبب اخذ الصاعقة لهم سؤالهم الرؤية وهذا قول غير ابن عباس وقال ابن عباس ان السبعين الذين سالوا الرؤية غير السبعين الذين ذهبوا للشفاعة فالاولى اخذتهم الصاعقة بسبب سؤالهم الرؤية والثانية اخذتهم الرجفة بسبب ما شاهدتهم لمن عبدوا العجل وسكوتهم عليهم والى هذا القول يشير المفسر بقوله قال وهم غير الذين سالوا الرؤية الخ (قوله لم يزايلوا) اى لم يفارقوا قومهم (قوله وهم غير الذين سالوا الرؤية) أى لانهم لم يكونوا فى ذلك الميعاد بل كانوا مع موسى حين اخذ التوراة فلما سمعوا كلام الله لموسى اقبلوا عليه وقالوا أرنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة (قوله لوشئت اهلكتهم) مفعول المشيئة محذوف تقديره اهلاكهم (قوله استفهام استعطاف) اى طلب العطف والرحمة من الله (قوله ابتلاؤك) اى اختبارك ليتبين المطيع من العاصى (قوله وانت خير الغافرين) اسم التفضيل ليس على بابه او على بابه باعتبار ان الغفر ينسب لغيره تعالى لكونه سببا وهو الغافر الحقيقى (قوله وا كتب) أى حقق واثبت وهذا من جملة دعاء موسى فاوله انت ولينا وآخره انا هدنا اليك وحينئذ فلا ينبغى جعل قوله وا كتب لنا أول الربع (قوله فى هذه الدنيا حسنة) اى ما تحمد عاقبته كالعافية والايمان والمعرفة وقوله وفى الآخرة حسنة اى وهى الجنة وما احتوت عليه من اللقاء والمشاهدة (قوله انا هدنا اليك) استئناف مسوق لتعليل الدعاء اى لاننا هدنا اليك اى رجعنا من هاد يهود اذا رجع ولذلك سميت اليهود بذلك وكان اسم مدح قبل نسخ شريعتهم وبعد ذلك صار ذما (قوله قال عذابى) جواب من الله لموسى (قوله اصيب به من أشاء) اى فى الدنيا كقتل الذين عبدوا العجل أنفسهم وفى الآخرة بالنار لمن كفر (قوله ورحمتى وسعت كل شيء) وورد انه لما نزلت هذه الآية فرح ابليس وقال قد دخلت فى رحمة الله فلما نزل فسا كتبها الخ أيس من ذلك وفرحت اليهود وقالوا نحن من المتقين الذين يؤتون الزكاة المؤمنين فاخرجهم الله منها وأثبتها لهذه الامة بقوله الذين يتبعون الرسول الخ (قوله فى الدنيا) أى فما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص الا وهو متقلب فى الرحمة (قوله فسا كتبها) اى أثبتها (قوله للذين يتقون) أى يمتثلون الاوامر ويجتنبون النواهى (قوله ويؤتون الزكاة) خصها بالذكر لمشقتها على النفوس من حيث ان المال محبوب (قوله الذين يتبعون الرسول) أى بالايمان به بعد بعثته والعمل بشريعته وورد أن الله قال لموسى اجعل لك الارض مسجدا وطهورا تصلون حيث أدركتكم الصلاة وأجعلكم تقرؤن التوراة عن ظهر قلب يحفظها الرجل والمرأة والحر والعبد والصغير والكبير فقال موسى ذلك لقومه فقالوا لا نريد ان نصلى الا فى الكنائس ولا نستطيع أن نقرأ التوراة عن ظهر قلب ولا نقرؤها الا نظرا قال فسا كتبها الى قوله هم المفلحون فجعل هذه الامور لهذه الامة (قوله الامى) اى الذى لا يقرأ ولا يكتب نسب اما للام لانه باق على حالته التى ولدته عليها او لام القرى وهى مكة لكونه ولد بها (قوله باسمه وصفته) اى من كونه محمدا ولد بمكة وهاجر الى المدينة يقبل الهدية و يرد الصدقة وهكذا من اوصافه وأخلاقه العظيمة قال الخميس فى تاريخه ان محمدا مذكور فى التوراة باللغة السريانية بلفظ المنحمنا بضم الميم وسكون النون وفتح الحاء وكسر الميم الثانية و بعدها نون مشددة بعدها الف ومعناه محمد وذكر الحسن عن كعب الاحبار ان اسم النبي صلى الله عليه وسلم عند اهل الجنة عبد الكريم وعند اهل النار عبد الجبار وعند اهل العرش عبد المجيد وعند سائر الملائكة عبد الحميد وعند الانبياء عبد الوهاب وعند الشياطين عبد القاهر وعند الجن عبد الرحيم وفى الجبال عبد الخالق وفى البر

عبد القادر وفى البحر عبد المهيمن وعند الهوام عبد الغياث وعند الوحوش عبد الرزاق وفى التوراة موذ موذ وفى الانجيل طاب طاب وفى الصحف عاقب وفى الزبور فاروق وعند الله طه ومحمد صلى الله عليه وسلم اه بحروفه (قوله يامرهم بالمعروف الخ) هـذا وما بعـده الى المفلحون من جملة أوصافه المكتوبة فى التوراة والانجيل (قوله مما حرم فى شرعهم) أى وهى لحوم الابل وشحم الغنم والمعز والبقر (قوله من الميتة ونحوها) أى كالدم ولحم الخنزير (قوله كقتل النفس) أى وتعيين القصاص فى القتل وتحريم أخذ الدية وترك العمل يوم السبت وكون صلاتهم لا تجوز الا فى الكنائس ونحو ذلك من الامور الشاقة التى كلفوا بها وتسميتها اغلالا مجازلان التحريم يمنع من الفعل كما أن الاغلال تمنع منه (قوله وقروه) أى عظموه (قوله ونصروه) أى أيدوه (قوله الذى أنزل معـه) أى مقارنا لزمانه ومصحوبا به (قوله أى القرآن) تفسير للنور سمى القرآن بذلك لانه ظاهر فى نفسه مظهر لغيره يهدى من الضلال المعنوى كما أن النور يهدى من الضلال الحسي (قوله أولئك هم المفلحون) أى الموصوفون بهـذه الصفات فائزون ظافرون بالنجاة من الاهوال دنيا وأخرى (قوله قل يا أيها الناس) أتى بهذه الآية دفعا لما يتوهم أن الفوز مخصوص بمن تبعه من أهل الكتابين فافادها ان الفوز ليس قاصرا عليهم بل كل من تبعه حصل له الفوز كان من اهل الكتابين اولا والناس اسم جنس واحده انسان (قوله جميعا) حال من ضمير اليكم (قوله الذى له ملك السموات) يصح رفع الذى ونصبه على انه نعت مقطوع وجره على انه نعت متصل وقوله له ملك السموات والارض صلة الموصول لا محل لها من الاعراب وقوله لا اله الا هو بيان للصلة وقوله يحيي ويميت بيان لقوله لا اله الا هو فكل واحدة من هـذه الجمل كالدليل لما قبلها ولا محل لكل من الاعراب لان الصلة لا محل لها فكذا مبينها (قوله فآمنوا بالله) تفريع على ما تقـدم اى فحيث علمتم ان محمدا مرسل لجميع الناس وان الله له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت وجب عليكم الايمان بالله ورسوله وفيه التفات من التكلم للغيبة ونكتته التوطئة للاتصاف بقوله النبي الامى الخ (قوله الذى يؤمن بالله وكلماته) اى لانه مرسل لنفسه (قوله لعلكم يهتدون) اى تفلحون والترجي فى القرآن بمنزلة التحقيق فهو بمعنى قوله فيما سبق اولئك هم المفلحون (قوله ترشدون) من باب تعب ونصر (قوله ومن قوم موسى امه) استئناف مسوق لدفع توهم ان قوم موسى لم يحصل لهم هدى بل استمروا على ضلالهم فدفع ذلك بان بعضهم آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وهم شرذمـة قليلة كعبد الله بن سلام واضرابه (قوله وقطعناهم) الهاء مفعوله واثنتى عشرة حال واسباطا بدل كما قال المفسر وتمييز العدد محذوف تقديره فرقة ويصح ان قطع بمعنى صير فالهاء مفعول اول واثنتى عشرة مفعول ثان واسباطا بدل وسبب تفرقهم كذلك ان اولاد يعقوب كانوا كذلك فكل سبط ينتمى لواحد منهم والاسباط جمع سبط وهو ولد الولد مرادف للحفيد هكذا فى كتب اللغة وتفرقة بعض العلماء بين السبط والحفيد بان السبط ولد البنت والحفيد ولد الولد اصطلاح (قوله اى قبائل) اى كالقبائل فى التفرق والتعدد (قوله بدل مما قبله) اى فهـو بدل من البدل (قوله واوحينا الى موسى) اى حيث امر بقتال الجبارين هو ومن معه من بنى اسرائيل ونقب عليهم اثنى عشر نقيبا وارسلهم يأتون له باخبار الجبارين فاطلعوا على اوصاف مهولة لهم فرجعوا واخبروا موسي عليه السلام فامرهم بالكتم عن قومهم فخانوا الا اثنين منهم يوشع وكالب فحينئذ حرم الله عليهم دخول القرية اربعين سنة يتيهون فى الارض فلما طالت عليهم المدة فى التيه عطشوا فطلبوا منه السقيا فدعا الله موسى فامره بضرب الحجر بعصاه وهذا الحجر هو الذى فر بثوبه حين اتهموه بالادرة خفيف مربع كراس الرجل (قوله فانبجست) اى انفجرت (قوله مشربهم) اى عينهم الخاصة بهم (قوله وظللنا عليهم الغمـام) اى السحاب يسير بسيرهم ويضئ لهـم بالليـل

(يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات) مما حرم فى شرعهم (ويحرم عليهم الخبائث) من الميتة ونحوها (ويضع عنهم اصرهم ثقلهم (والاغلال) الشدائد (التى كانت عليهم) كقتل النفس فى التوبة وقطع اثر النجاسة (فالذين آمنوا به) منهم (وعزروه) وقروه (ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه) اى القرآن (اولئك هم المفلحون قل) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الامى الذى يؤمن بالله وكلماته) القرآن (واتبعوه لعلكم تهتدون) ترشدون (ومن قوم موسى امـة) جماعـة (يهـدون) الناس (بالحق وبه يعدلون) فى الحكم (وقطعناهم) فرقنا بنى اسرائيل (اثنتى عشرة) حال (اسباطا) بدل منه اى قبائل (امما) بدل مما قبله (واوحينا الى موسى اذا استسقاه قومه) فى التيه (ان اضرب بعصاك الحجر) فضربه (فانبجست) انفجرت (منه اثنتا عشرة عينا) بعدد الاسباط (قد علم كل اناس) سبط منهم (مشربهم وظللنا عليهم الغمام) فى التيه من حر الشمس (وانزلنا عليهم المن والسلوى) هما

يسيرون بضوئه (قوله الترنجبين) هو شيء حلو كان ينزل عليهم مثل الثلج من الفجر الى طلوع الشمس فيأخذ كل انسان صاعا (قوله والطير السمانى) اى فكانت ريح الجنوب تسوقه اليهم فيأخذ كل منهم ما يكفيه (قوله مارزقناكم) اى وهو المن والسلوى (قوله وماظلمونا) اى لم يصل لنا منهم ظلم بفعلهم ذلك فان ذلك مستحيل (قوله واذكر) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (قوله واذ قيل لهم) اى بعد خروجهم من التيه (قوله بيت المقدس) وقيل اريحا وقد ذكر القولين فى البقرة فعلى الاول يكون القائل الله على لسان موسى وهم فى التيه وعلى الثانى يكون على لسان يوشع وهو المعتمد كما تقدم فى البقرة (قوله وقولوا حطة) قدر المفسر امرنا اشارة الى ان حطة خبر لمحذوف ومعنى امرنا حطة اى طلبنا حطة الذنوب ومغفرتها (قوله سجودا نحناء) اى فالمراد السجود اللغوى بان يكونوا على هيئة الراكعين (قوله بالنون والتاء) اى فهما قراءتان سبعيتان ولكن على النون يقرأ خطايا وخطيآت وعلى التاء يقرأ خطيآتكم وخطيئتكم بالجمع والافراد فالقراآت اربع (قوله قولا غير الذى قيل لهم) اى وفعلا غير ما أمروا به (قوله فقالوا حبة الخ) يحتمل انه مجرد هذيان قصدوا به اغاظة موسى ويحتمل ان يكون له معنى صحيح كانهم قالوا مطلوبنا حبة يعنى قمح فى زكائب من شعر وقد تقدم بسطه فى البقرة (قوله على استاههم) جمع سته وهو الدبر (قوله عذابا) اى وهو الطاعون ومات منهم فى وقت واحد سبعون الفا (قوله بما كانوا يظلمون) اى بسبب ظلمهم وقد غايرت هذه القصة ما فى البقرة من عشرة اوجه قد تقدمت مفصلة فراجعه ان شئت (قوله واسألهم) اى اليهود الذين فى المدينة وسبب نزولها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوبخ اليهود على كفرهم ويقول لهم انتم قد تبعتم اصولكم فى الكفر بانبيائهم فكانوا يقولون ان اصولنا لم تقع منهم مخالفة لربهم ولا كفر بانبيائهم وكانوا يعرفون ما وقع لهذه القرية ويخفونه ويعتقدون انه لا علم لاحد غيرهم به فنزلت الآية فقصها رسول الله عليهم فبهتوا ان قلت ان السورة مكية وهذا خطاب لاهل المدينة فالجواب انها مكية ما عدا الآيات الثمانية التى اولها واسألهم الخ فانها مدنية كما تقدم (قوله توبيخا) اى وتقريعا وتبكيتا (قوله عن القرية) اى اهلها (قوله مجاورة لبحر القلزم) اى عند العقبة بجانب القلعة (قوله اذ يعدون) اى يتعدون الحدود وكانوا فى زمن داود عليه السلام وسبب نهيهم عن الصيد يوم السبت ان الله امرهم على لسان داود أن يتخذوا يوم الجمعة عيدا ينقطعون فيه لعبادة الله فكرهوا ذلك واختاروا السبت ومعناه فى اللغة القطع فهو اشارة الى انهم منقطعون عن كل خير فلما شددوا امتحنهم الله بان حرم عليهم صيد السمك يوم السبت وأحله لهم باقى الاسبوع فكانوا يوم السبت يجدون السمك مترا كما وباقى الجمعة لم يجدوا منه شيا ثم ان ابليس علمهم ان يصنعوا جداول حول البحر يوم السبت فاذا جاء العصر وملئت الجداول بالسمك سدوا عليه واخذوه يوم الاحد فافترقت القرية ثلاث فرق وكانوا سبعين الفا ففرقة اصطادوا وفرقة نهتهم وضربوا بينهم وبينهم سورا وفرقة لم تصد ولم تنه فبعد ايام قلائل مسخ من اصطاد قردة وخنازير ومكثوا ثلاثة ايام وماتوا وانجى الله الفرقة الناهية والفرقة الثالثة وقع فيها خلاف بالانجاء والاهلاك والصحيح نجاتهم (قوله حيتانهم) جمع حوت واصل حيتان حوتان وقعت الواو ساكنة بعد كسرة قلبت ياء (قوله شرعا) حال من فاعل تاتيهم اى قريبة من الساحل (قوله ويوم لا يسبتون) اى لا يكون يوم سبت والمعنى تاتيهم حيتانهم يوم السبت ظاهرة وغير يوم السبت لا تاتيهم ولما كانت العبارة موهمة قال المفسر اى سائر الايام اى باقيها (قوله ابتلاء من الله) علة لقوله تاتيهم وقوله لا تاتيهم (قوله كذلك) اى الابتلاء المتقدم (قوله بما كانوا يفسقون) اى يتجاوزون الحد (قوله ثلث صادوا معهم)

الترنجبين والطير السمانى بتخفيف الميم والقصر وقلنا لهم (كلوا من طيبات مارزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون و) اذكر (اذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية) بيت المقدس (وكلوا منها حيث شئتم وقولوا) امرنا (حطة وادخلوا الباب) اى باب القرية (سجدا) سجود انحناء (نغفر) بالنون والتاء مبنيا للمفعول (لكم خطاياكم سنزيد المحسنين) بالطاعة ثوابا (فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم) فقالوا حبة فى شعرة ودخلوا يزحفون على استاههم (فارسلنا عليهم رجزا) عذابا (من السماء بما كانوا يظلمون واسألهم) يا محمد توبيخا (عن القرية التى كانت حاضرة البحر) مجاورة لبحر القلزم وهى أيلة ما وقع باهلها (اذ يعدون) يعتدون (فى السبت) بصيد السمك المامورين بتركه فيه (اذ) ظرف ليعدون (تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا) ظاهرة على الماء (ويوم لا يسبتون) لا يعظمون السبت اى سائر الايام (لا تاتيهم) ابتلاء من الله (كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون) ولما صادوا السمك افترقت القرية اثلاثا ثلث صادوا معهم وثلث نهوهم وثلث امسكوا عن الصيد والنهى (واذ)

عطف على اذقبله (قالت امة منهم) لم تصد ولم تنه لمن نهى (لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا قالوا) موعظتنا (معذرة) نعتذر بها (الى ربكم) لئلا ننسب الى تقصير في ترك النهي (ولعلهم يتقون) الصيد (فلما نسوا) تركوا (ماذكروا) وعظوا (به)

فلم يرجعوا (انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا) بالاعتداء (بعذاب بئيس) شديد (بما كانوا يفسقون فلما عتوا) تكبروا (عن) ترك (مانهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) صاغرين فكانوها وهذا تفصيل لما قبله قال ابن عباس ما ادري مافعل بالفرقة الساكتة وقال عكرمة لم تهلك لانها كرهت مافعلوه وقالت لم تعظون الخ وروى الحاكم عن ابن عباس انه رجع اليه واعجبه (واذ تاذن) اعلم (ربك ليبعثن عليهم) اي اليهود (الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) بالذل واخذ الجزية فبعث عليهم سليمان و بعده بختنصر فقتلهم وسباهم وضرب عليهم الجزية فكانوا يؤدونها الى المجوس الى ان بعث نبينا صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم (ان ربك لسريع العقاب) لمن عصاه (وانه لغفور) لاهل طاعته (رحيم) بهم (وقطعناهم) فرقناهم (في الارض امما) فرقا (منهم الصالحون ومنهم) ناس

(دون ذلك) الكفار والفاسقون (و بلوناهم بالحسنات) بالنعم (والسيئات) بالنقم (لعلهم يرجعون) عن فسقهم (فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب) التوراة عن آبائهم (ياخذون عرض هذا الادنى) اي حطام هذا الشيء الدني اي الدنيا من حلال وحرام (و يقولون سيغفر لنا) مافعلناه (وان ياتهم عرض مثله ياخذوه) الجملة حال اي يرجون المغفرة وهم عائدون الى مافعلوه

المناسب حذف قوله معهم (قوله عطف على اذقبله) اي وهو اذ يعدون (قوله لم تعظون قوما) انما قصدوا بذلك اللوم على الناهين حيث وعظوهم فلم يقبلوا منهم (قوله اومعذبهم عذابا شديدا) او مانعة خلو تجوز الجمع والمعنى مهلكهم في الدنيا ومعذبهم في الآخرة (قوله قالوا معذرة) قدر المفسر موعظتنا اشارة الى ان معذرة خبر لمحذوف وفي قراءة النصب على المفعول من اجله اي وعظناهم لاجل المعذرة (قوله لئلا ننسب الى تقصير) اشار بذلك الى ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب عليهم ولذا اوردانه مجمع عليه في جميع الشرائع (قوله ولعلهم يتقون) اشارة الى انهم ظانون افادة الموعظة وهو عطف على المعنى اذ التقدير موعظتنا للاعتذار ولعلهم يتقون (قوله فلما نسوا ماذكروا به) في الكلام حذف دل عليه قوله انجينا الذين ينهون الخ والتقدير فلما ذكر من تذكر ونسي من نسي انجينا الخ (قوله بئيس) فعيل من بؤس اذا اشتد وقرئ بيئس على وزن ضيغم و بئس بكسر الباء وسكون الهمزة وقلبها ياء وبيس بفتح الباء وتشديد الياء مكسورة و بيس بفتح الباء وسكون الياء و بائس على وزن فاعل هكذا في البيضاوي وليست كلها سبعية (قوله كونوا) امر تكوين لا قول فهو كناية عن سرعة التصيير اذ لا يكلف الشخص الا بما يقدر عليه وكونهم قردة ليس في طاقتهم (قوله فكانوها) اي قردة وقيل ان شبابهم مسخوا قردة وشيوخهم خنازير وقيل ان الذين مسخوا خنازير هم أصحاب المائدة (قوله وهذا) أي قوله فلما عتوا تفصيل لما قبله وهو قوله وأخذنا الذين ظلموا الخ (قوله لانها كرهت مافعلوه) اي فهي داخلة تحت قوله انجينا الذين ينهون عن السوء فهي وان لم تنه صريحا لكنها نهت ضمنا (قوله انه رجع اليه) اي الى قول عكرمة (قوله واذ تاذن) اذ ظرف لمحذوف تقديره اذكر وقت اذ تاذن (قوله أعلم) مفعوله محذوف والتقدير اعلم ربك أسلافهم (قوله ليبعثن) أي ليسلطن عليهم (قوله من يسومهم) اي يذيقهم (قوله بختنصر) علم مركب تركيبا مزجيا كبعلبك فاعرابه على الجزء الثاني والاول ملازم للفتح وهو غير منصرف للعلمية والتركيب المزجي وبخت معناه في الاصل ابن ونصر اسم صنم سمي بذلك لانه وجد وهو صغير مطروحا عند ذلك الصنم (قوله وسباهم) اي سبي نساءهم وصغارهم (قوله وضرب عليهم الجزية) اي على من لم يقاتل منهم (قوله فضربها عليهم) اي ولا تزال كذلك الى نزول عيسى فلا يقبل منهم الا الاسلام (قوله ان ربك لسريع العقاب) اي اذا تعلقت ارادته به والا فهو واسع الحلم (قوله وقطعناهم) اي بني اسرائيل الكائنين قبل زمن النبي صلى الله عليه وسلم (قوله ومنهم دون ذلك) قدر المفسر ناس اشارة الى ان دون نعت لمنعوت محذوف وهو كثير اذا كان التفصيل بمن كقولهم مناظعن ومنا أقام أي منا فريق ظعن ومنا فريق اقام (قوله و بلوناهم بالحسنات والسيئات) اي اختبرناهم بالعطايا كالنعم والعافية والبلايا كالنقم والاسقام والشدائد لعلهم يرجعون عما هم عليه من الكفر والمعاصي الى طاعة ربهم فلم يرجعوا (قوله فخلف من بعدهم خلف) بسكون اللام للشر و بفتحها للخير يقال خلف سوء وخلف صالح وهذه صفة من كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم اثر بيان صفات اسلافهم (قوله التوراة) اشار بذلك الى ان أل في الكتاب للعهد (قوله عن آبائهم) أي اسلافهم سواء كانوا صلحاء أولا (قوله عرض هذا الادنى) سمي عرضا لتعرضه للزوال ففي الكلام استعارة تصريحية حيث شبه متاع الدنيا بالعرض الذي لا يقوم بنفسه بجامع الزوال في كل واستعير اسم المشبه به للمشبه (قوله و يقولون) اي زيادة على طمعهم في الدنيا (قوله سيغفر لنا) أي لانا أبناء

مصرون عليه وليس فى التوراة وعد المغفرة مع الاصرار (الم يؤخذ) استفهام تقرير (عليهم ميثاق الكتاب) الاضافة بمعنى فى (ان لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا) عطف على يؤخذ قرؤا (ما فيه) فلم كذبوا عليه بنسبة المغفرة اليه مع الاصرار (والدار الآخرة خير للذين يتقون) الحرام (افلا يعقلون) بالياء والتاء انها خير فيؤثرونها على الدنيا (والذين يمسكون) بالتشديد والتخفيف (بالكتاب) منهم (واقاموا الصلوة) كعبد الله بن سلام واصحابه (انا لا نضيع اجر المصلحين) الجملة خبر الذين وفيه وضع الظاهر موضع المضمر اى اجرهم (و) اذكر (اذ نتقنا الجبل) رفعناه من اصله (فوقهم كانه ظلة وظنوا) ايقنوا (انه واقع بهم) ساقط عليهم بوعد الله اياهم بوقوعه ان لم يقبلوا احكام التوراة وكانوا ابوها لثقلها فقبلوا وقلنا لهم (خذوا ما آتيناكم بقوة) بجد واجتهاد (واذكروا ما فيه) بالعمل به (لعلكم تتقون و) اذكر (اذ) حين (اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم) بدل اشتمال مما قبله باعادة الجار (ذرياتهم) بان اخرج بعضهم من صلب بعض من صلب آدم نسلا بعد نسل كنحو ما يتوالدون

الله واحباؤه وشان الحبيب ان لا يعذب حبيبه (قوله مصرون عليه) اى لم يقلعوا عنه فقد طمعوا فى المغفرة مع فقد شروطها اذ من اكبر شروطها الندم والاقلاع (قوله ميثاق الكتاب) اى التوراة والمعنى اخذ عليهم الميثاق فى التوراة انهم لا يكذبون على الله ولا يقولون الا الحق (قوله الا الحق) صفة لموصوف محذوف مفعول مطلق لقوله ان لا يقولوا والتقدير ان لا يقولوا على الله الا القول الحق (قوله فلم كذبوا عليه) اى الله (قوله أفلا يعقلون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير اتركوا التدبر والتفكر فلا يعقلون (قوله بالياء والتاء) اى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الياء يكون اخبارا عنهم وعلى التاء يكون خطابا لهم (قوله بالتشديد) أى يمسكون غيرهم بالكتاب ويدلونه على طريق الهدى (قوله والتخفيف) اى يمسكون بالكتاب بمعنى يهتدون فى انفسهم (قوله منهم) اى من بنى اسرائيل (قوله واقاموا الصلوة) خصها بالذكر لانها اعظم اركان الدين بعد التوحيد (قوله وفيه وضع الظاهر موضع المضمر) اشار بذلك الى ان الرابط هو لفظ المصلحين لقيامه مقام الضمير على حد قول الشاعر * سعاد التى اضناك حب سعادا * ونكتة ذلك الاشارة الى شرفهم والاعتناء بهم (قوله واذ نتقنا) اذ ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر والمقصود من ذلك الرد على اليهود والتقبيح عليهم حيث قالوا ان بنى اسرائيل لم تصدر عنهم مخالفة لله (قوله الجبل) قيل هو الطور وقيل هو جبل من جبال فلسطين وقيل من جبال بيت المقدس وفى آية النساء التصريح بالطور وسبب رفع الجبل فوقهم ان موسى لما جاءهم بالتوراة وقرأها عليهم فلما سمعوا ما فيها من التغليظ ابوا ان يقبلوا ذلك فامر الله الجبل فانقلع من اصله حتى قام على رؤسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا فى فرسخ وكان ارتفاعه على قدر قامتهم محاذيا لرؤسهم كالسقيفة فلما نظروا الى الجبل فوق رؤسهم خروا سجدا فسجد كل واحد على خده وحاجبه الايسر وجعل ينظر بعينه اليمنى الى الجبل خوف ان يسقط عليه ولذلك لا تسجد اليهود الا على شق وجوههم الايسر (قوله فوقهم) اما حال منتظرة او ظرف لنتقنا (قوله كانه ظلة) حال من الجبل (قوله وظنوا) الجملة حالية من الجبل والتقدير رفعناه فوقهم والحال انه مظنون وقوعه عليهم ومعنى الظن اليقين كما قال المفسر (قوله وقلنا) قدره اشارة الى ان قوله خذوا معمول لمحذوف وهو معطوف على نتقنا (قوله لعلكم تتقون) اى تتصفون بالتقوى وهى امتثال المامورات واجتناب المنهيات أو تجعلون بينكم وبين النار وقاية تحفظكم منها (قوله واذ أخذ ربك) عطف على قوله واذ نتقنا عطف قصة على قصة وقدر المفسر اذكر اشارة الى ان اذ ظرف معمول لمحذوف والحكمة فى تخصيص بنى اسرائيل بهذه القصة الزيادة فى اقامة الحجة عليهم حيث اعلمهم الله بان اعلم بنيه بمبدا العالم فضلا عن وقائعهم (قوله بدل اشتمال) اى من قوله بنى آدم والاوضح انه بدل بعض من كل لان الظهور بعض بنى آدم كضربت زيدا يده (قوله بان اخرج بعضهم من صلب بعض) اى فاخرج اولاد آدم لصلبه من ظهره ثم اخرج من ظهر اولاده لصلبه اولادهم وهكذا على حسب الظهور الجسمانى الى يوم القيامة وميز المسلم من الكافر بان جعل ذر المسلم ابيض وذر الكافر اسود * روى انهم لما اجتمعوا قال لهم اعلموا انه لا اله غيرى وانا ربكم لا رب لكم غيرى فلا تشركوا بى شيئا فانى سانتقم ممن اشرك بى ولم يؤمن وانى مرسل اليكم رسلا يذكرونكم عهدى وميثاقى ومنزل عليكم كتابا فتكلموا جميعا وقالوا شهدنا انك ربنا لا رب لنا غيرك فاخذ بذلك مواثيقهم ثم كتب الله آجالهم وارزاقهم ومصائبهم فنظر اليهم آدم عليه السلام فرأى منهم الغنى والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال رب هلا سويت بينهم فقال انى احب ان اشكر فلما اقررهم بتوحيده واشهد بعضهم على بعض اعادهم الى صلبه فلا

تقوم الساعة حتى يولد كل من اخذ منه الميثاق (قوله كالذر) قيل هو صغار النمل وقيل هو الهباء الذى يطير فى الشمس وقيل غير ذلك (قوله بنعمان) مكان بجنب عرفة (قوله وركب فيهم عقلا) اى وسمعا وروحا (قوله واشهدهم على انفسهم) اى قررهم فان الشهادة على النفس معناها الاقرار (قوله بلى) هى جواب للنفى ولكنها تفيد اثباته كان مجردا او مقرونا بالاستفهام التقريرى كما هنا ولذلك قال ابن عباس لو قالوا نعم لكفروا لان نعم لتقرير ما قبلها مثبتا او منفيا فكانهم أقروا بانه ليس بربهم والى ذلك أشار العارف الاجهورى رضي الله عنه بقوله

بلى جواب النفى لكنه * يصير اثباتا كذا قرروا
نعم لتقرير الذى قبلها * اثباتا او نفيا كذا حرروا

(قوله شهدنا) يحتمل ان يكون من كلام الملائكة الذين استشهدهم الله على ذلك فيكون الوقف على قوله بلى ويحتمل ان يكون من كلام الذرية ويكون المعنى أقررنا بذلك وحينئذ فلا يصح الوقف على بلى (قوله فى الموضعين) أى قوله ان يقولوا او يقولوا والمناسب تاخير قوله فى الموضعين فعلى الياء يكون اخبارا عنهم وعلى التاء يكون خطابا لهم (قوله فاقتدينا بهم) أى فهم مؤاخذون بذلك ونحن معذورون (قوله المعنى لا يمكنهم) اى معنى الجملتين (قوله مع اشهادهم على انفسهم) اى اقرارهم عليها (قوله على لسان صاحب المعجزة) أى وهم المرسلون وهو جواب عما يقال ان هذا العهد لا يذكره احد اليوم (قوله ولعلهم يرجعون) عطف على ماقدره المفسر *فائدة حسنة* ذكر القطب الشعرانى فى رسالة سماها القواعد الكشفية فى الصفات الالهية قد ذكر العلماء فى قوله تعالى واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم الآية اثنى عشر سؤالا ونحن نوردها عليك مع الجواب عنها بما فتح الله به * الاول اين موضع اخذ الله تعالى هذا العهد * والجواب ان الله أخذ ذلك عليهم ببطن نعمان وهو واد بجنب عرفة قاله ابن عباس وغيره وقال بعضهم أخذه بسرنديب من ارض الهند وهو الموضع الذى هبط آدم فيه من الجنة وقال الكلبى كان اخذ العهد بين مكة والطائف وقال الامام على بن أبى طالب كان أخذ العهد فى الجنة وكل هذه الامور محتملة ولا يضرنا الجهل بالمكان بعد صحة الاعتقاد باخذ العهد * الثانى كيف استخرجهم من ظهره * والجواب ورد فى الصحيح انه تعالى مسح ظهر آدم واخرج ذريته منه كلهم كهيئة الذر ثم اختلف الناس هل شق ظهره واستخرجهم منه أو استخرجهم من بعض ثقوب رأسه وكلا الوجهين بعيد والاقرب كما قيل انه استخرجهم من مسام شعر ظهره اذ تحت كل شعرة ثقبة دقيقة يقال لها سم مثل سم الخياط فى النفوذ لا فى السعة فتخرج الذرة الضعيفة منها كما يخرج الصئبان من العرق السائل وهذا غير بعيد فى العقل فيجب اعتقاد اخراجها من ظهر آدم كما شاء الله ولا يجوز اعتقاد انه تعالى مسح ظهر آدم على وجه المماسة اذ لا اتصال بين الحادث والقديم * الثالث كيف اجابوه تعالى ببلى هل كانوا أحياء عقلاء ام اجابوه بلسان الحال * والجواب انهم أجابوه بالنطق وهم احياء عقلاء اذ لا يستحيل فى العقل ان الله يعطيهم الحياة والعقل والنطق مع صغرهم فان بحار قدرته تعالى واسعة وغاية وسعنا فى كل مسئلة ان نثبت الجواز ونكل علم كيفيتها الى الله تعالى * الرابع فاذا قال الجميع بلى فلم قبل قوما ورد آخرين * والجواب كما قال الحكيم الترمذى ان الله تعالى تجلى للكفار بالهيبة فقالوا بلى مخافة فلم يك ينفعهم ايمانهم فكان ايمانهم كايمان المنافقين وتجلى للمؤمنين بالرحمة فقالوا بلى مطيعين مختارين فنفعهم ايمانهم * الخامس اذا سبق لنا عهد وميثاق مثل هذا فلاى شىء لا نذكره اليوم * والجواب انا لم نتذكر هذا العهد لان تلك البنية قد انقضت وتغيرت احوالها بمرور الزمان عليها فى اصلاب الآباء وارحام الامهات ثم استحال تصويرها فى الاطوار الواردة عليها من العلقة والمضغة واللحم والعظم وهذا كله مما يوجب النسيان وكان على كرم الله وجهه يقول انى لاذكر العهد الذى عهد الى ربى وكان سهل التسترى يقول انى لاعرف

كالذر بنعمان يوم عرفة نصب لهم دلائل على ربوبيته وركب فيهم عقلا (واشهدهم على انفسهم قال (ألست بربكم قالوا بلى) انت ربنا (شهدنا) بذلك والاشهاد (ان) لا (يقولوا) بالياء والتاء فى الموضعين اى الكفار (يوم القيامة انا كنا عن هذا) التوحيد (غافلين) لا نعرفه (او يقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل) اى قبلنا (وكنا ذرية من بعدهم) فاقتدينا بهم (افتهلكنا) تعذبنا (بما فعل المبطلون) من آبائنا بتاسيس الشرك المعنى لا يمكنهم الاحتجاج بذلك مع اشهادهم على انفسهم بالتوحيد والتذكير به على لسان صاحب المعجزة قائم مقام ذكره فى النفوس (وكذلك نفصل الآيات) نبينها مثل ما بينا الميثاق ليتدبروها (ولعلهم يرجعون) عن كفرهم

تلامذتي من ذلك اليوم ولم أزل اربيهم في الاصلاب حتى وصلوا الى السادس هل كانت تلك الذوات مصورة بصورة الانسان أم لا والجواب لم يبلغنا في ذلك دليل الا ان الاقرب للعقول عدم الاحتياج الى كونها بصورة الانسان اذ السمع والنطق لا يفتقران الى الصورة بل يقتضيان محلا حيا لا غير السابع متى تعلقت الارواح بالذوات التي هي الذرية هل قبل خروجها من ظهره أم بعد خروجها منه والجواب قال بعضهم ان الظاهر انه تعالى استخرجهم احياء لانه سماهم ذرية والذرية هم الاحياء لقوله تعالى وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون فيحتمل ان الله تعالى أدخل فيهم الارواح وهم في ظلمات ظهر ابيهم ثم أدخلها مرة أخرى وهم في ظلمات بطون امهاتهم ثم أدخلها مرة ثالثة وهم في ظلمات بطون الارض هكذا جرت سنة الله فسمى ذلك خلقا * الثامن ما الحكمة في اخذ الميثاق منهم والجواب ان الحكمة في ذلك اقامة الحجة على من لم يوف بذلك * التاسع هل أعادهم الى ظهر آدم احياء أم استرد ارواحهم ثم اعادهم اليه أمواتا والجواب ان الظاهر انه لما ردهم الى ظهره قبض أرواحهم قياسا على ما يفعله بهم اذا ردهم الى الارض بعد الموت فانه يقبض أرواحهم ويعيدهم فيها العاشر اين رجعت الارواح بعد رد الذرات الى ظهره والجواب ان هذه مسئلة غامضة لا يتطرق اليها النظر العقلي عندي باكثر من ان يقال رجعت لما كانت عليه قبل حلولها في الذرات فمن رأى في ذلك شيأ فليلحقه بهذا الموضع * الحادي عشر قوله واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم والناس يقولون ان الذرية اخذت من ظهر آدم * والجواب انه تعالى اخرج من ظهر آدم بنيه لصلبه ثم اخرج بني بنيه من ظهور بنيه فاستغنى عن ذكر اخرج بني آدم من آدم بقوله من بني آدم اذ من المعلوم ان بني بنيه لا يخرجون الا من بنيه ومثال ذلك من أودع جوهرة في صدفة ثم أودع الصدفة في خرقة ثم أودع الخرقة مع الجوهرة في حقة ثم أودع الحقة في درج ثم أودع الدرج في صندوق فاخرج منه تلك الاشياء بعضها من بعض ثم أخرج الجميع من الصندوق فهذه لا تناقض فيه * الثاني عشر في اى مكان اودع كتاب العهد والميثاق والجواب قد جاء في الحديث انه مودع في باطن الحجر الاسود وان للحجر الاسود عينين وفما ولسانا فان قال قائل هذا غير متصور في العقل فالجواب ان كل ما عسر على العقل تصوره يكفينا فيه الايمان به ورد معناه الى الله تعالى اه ملخصا (قوله واتل عليهم) عطف على واسالهم عطف قصة على قصة (قوله آياتنا) اى وهي علوم الكتب القديمة ومعرفة الاسم الاعظم فكان يدعو به حيث شاء فيحصل بعينه وكان يرى العرش وهو جالس مكانه وكان في مجلسه اثنا عشر ألف محبرة للمتعلمين الذين يكتبون عنه وحاصل قصته على ماذكره ابن عباس وغيره ان موسى عليه السلام لما قصد قتال الجبارين ونزل أرض الكنعانيين من ارض الشام أتى قوم بلعم اليه وكان عنده الاسم الاعظم فقالوا ان موسى رجل حديد ومعه جند كثير وانه جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويخليها لبني اسرائيل وانت رجل مجاب الدعوة فاخرج فادع الله ان يردهم عنا فقال ويلكم نبي الله ومعه الملائكة والمؤمنون فكيف ادعو عليهم وانا اعلم من الله ما لا تعلمون واني ان فعلت ذلك ذهبت دنياي وآخرتي فراجعوه والحوا عليه فقال حتى أوامر ربي وكان لا يدعو حتى ينظر ما يؤمر به في المنام فآمرر به في الدعاء عليهم فقيل له في المنام لا تدع عليهم فقال لقومه اني قد آمرت ربي واني نهيت ان ادعو عليهم فاهدوا اليه هدية فقبلها وراجعوه فقال حتى أؤامر ربي فآمر فلم يؤمر بشيء فقال قد آمرت ربي فلم يامرني بشيء فقالوا له لو كره ربك ان تدعو عليهم لنهاك كما نهاك في المرة الاولى فلم يزالوا يتضرعون اليه حتى فتنوه فافتتن فركب اتانا له متوجها الى جبل يطلعه على عسكر بني اسرائيل يقال له حسبان فلما سار عليها غير بعيد ربضت فنزل عنها وضربها فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت فضربها وهكذا مرارا فاذن الله تعالى لها في الكلام فانطقها له فكلمته حجة عليه فقالت ويحك يا بلعم اين تذهب اما ترى الملائكة امامي

(واتل) يا محمد (عليهم) اى اليهود (نبا) خبر (الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها) خرج بكفره كما تخرج الحية من جلدها وهو بلعم ابن باعوراء

من علماء بنى اسرائيل سئل ان يدعو على موسى واهدى اليه شئ فدعا فانقلب عليه واندلع لسانه على صدره (فاتبعه الشيطان) فادركه فصار قرينه (فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه) الى منازل العلماء (بها) بان نوفقه للعمل (ولكنه اخلد) سكن (الى الارض) اى الدنيا ومال اليها (واتبع هواه) فى دعائه اليها فوضعناه (فمثله) صفته (كمثل الكلب ان تحمل عليه) بالطرد والزجر (يلهث) يدلع لسانه (او) ان (تتركه يلهث) وليس غيره من الحيوان كذلك وجملتا الشرط حال اى لاهثا ذليلا بكل حال والقصد التشبيه فى الوضع والخسة بقرينة الفاء المشعرة بترتب ما بعدها على ما قبلها من الميل الى الدنيا واتباع الهوى وبقرينة قوله (ذلك المثل) (مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص) على اليهود (لعلهم يتفكرون) يتدبرون فيها فيؤمنون (ساء) بئس (مثلا القوم) اى مثل القوم (الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون) بالتكذيب (من يهدى الله فهو المهتدى ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون ولقد ذرأنا) خلقنا (لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها) الحق (ولهم اعين لا يبصرون بها) دلائل قدرة الله بصر اعتبار (ولهم آذان لا يسمعون بها) الآيات والمواعظ سماع تدبر واتعاظ (أولئك كالانعام) فى عدم الفقه والبصر والاستماع (بل هم أضل) من الانعام لانها تطلب منافعها وتهرب من مضارها وهؤلاء يقدمون على النار معاندة (أولئك هم الغافلون ولله الأسماء الحسنى) التسعة والتسعون الوارد بها الحديث

ترد نى عن وجهى ويحك تذهب الى نبى الله والمؤمنين فتدعو عليهم فلم ينزجر فخلى الله سبيل الاتان فانطلقت حتى اشرف على جبل حسبان فجعل يدعو عليهم فلا يدعو بشر الا صرف الله به لسانه الى قومه ولا يدعو بخير لقومه الا صرف الله به لسانه الى بنى اسرائيل فقال له قومه يا بلعم أتدرى ما تصنع انما تدعو لهم وتدعو علينا فقال هذا ما لا أملكه هذا شئ قد غلب الله عليه فاندلع لسانه فوقع على صدره فقال لهم الآن قد ذهبت منى الدنيا والآخرة ولم يبق الا المكر والخديعة فسامكر لكم واحتال احملوا النساء وزينوهن واعطوهن السلع ثم ارسلوهن الى عسكر بنى اسرائيل يبعنها فيه ومروهن ان لا تمنع امرأة نفسها من رجل راودها فانه ان زنى رجل بواحدة كفيتموهم ففعلوا فلما دخل النساء العسكر مرت امرأة من الكنعانيين على رجل من عظماء بنى اسرائيل وكان رأس سبط شمعون بن يعقوب فقام الى المرأة وأخذ بيدها حين اعجبه جمالها ثم أقبل بها حتى وقف على موسى وقال انى أظنك ان تقول هذه حرام عليك قال أجل هى حرام عليك لا تقربها قال فوالله لا نطيعك ثم دخل بها قبته فوقع عليها فارسل الله عليهم الطاعون فى الوقت فهلك منهم سبعون الفا فى ساعة من النهار (قوله من علماء بنى اسرائيل) اى بل قيل بنبوته والحق خلافه لان الانبياء معصومون من كل ما يغضب الله تعالى (قوله وأهدى اليه شئ) اى فى نظير الدعاء عليهم وتسمى تلك الهدية رشوة وهى محرمة فى شرعنا لذى الجاه والمنصب (قوله واندلع لسانه) اى تدلى (قوله فاتبعه الشيطان) هذا مبالغة فى ذمه حيث كان عالما عظيما ثم صار الشيطان من اتباعه (قوله ولو شئنا لرفعناه) مفعول المشيئة محذوف تقديره رفعته (قوله بها) اى بسبب تلك الآيات (قوله ولكنه اخلد) اى مال واطمان (قوله كمثل الكلب) اى الذى هو اخس الحيوانات (قوله ان تحمل عليه) اى تشدد عليه وتجهده يلهث اى يخرج لسانه (قوله او تتركه) اى من غير تشديد عليه (قوله وليس غيره من الحيوانات كذلك) اى بل غيره يلهث فى حال التعب فقط (قوله ما بعدها) اى وهو الانسلاخ وقوله من الميل الخ بيان لما قبلها (قوله ذلك مثل القوم) اى اليهود الذين أوتوا التوراة وفيها صفات النبى صلى الله عليه وسلم واخلاقه وشمائله فغيروا وبدلوا (قوله فاقصص القصص) اى الذى اوحى اليك ليعلموا أنك علمته من الوحى فيؤمنون (قوله على اليهود) لا مفهوم له بل المراد اقصص القصص على امتك ليتعظوا بذلك (قوله ساء مثلا القوم) ساء فعل ماض لانشاء الذم ومثلا تمييز والقوم فاعل على حذف مضاف تقديره مثل القوم والمخصوص بالذم محذوف تقديره مثلهم (قوله من يهدى الله) هذا رجوع للحقيقة وتسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله فهو المهتدى) باثبات الياء وصلا ووقفا باتفاق القراء هنا (قوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا) أى بحكم القبضة الالهية حين قبض قبضة وقال هذه للجنة ولا أبالى وقبض قبضة وقال هذه للنار ولا أبالى وقوله كثيرا يؤخذ منه ان اهل النار اكثر من اهل الجنة وهو كذلك لما تقدم من ان من كل الف واحد للجنة والباقى للنار (قوله الحق) قدره هو ونظيره فى يبصرون ويسمعون اشارة الى ان مفعول كل محذوف (قوله بل هم اضل) اضراب انتقالى ونكتة الاضراب ان الانعام لا تدرى العواقب والعقلاء تعرفها فقدومهم على المضار مع علمهم بعواقبها اضل من قدوم الانعام على مضارها (قوله أولئك هم الغافلون) اى قلبا وسمعا وبصرا وهذه علامة أهل النار المخلدين فيها (قوله ولله الاسماء الحسنى) ذكرت فى اربعة مواضع من القرآن هنا وفى آخر الاسراء وفى أول طه وفى آخر الحشر (قوله الوارد بها الحديث) اى وقد ورد بطرق مختلفة منها قوله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما مائة غير واحد انه وتر يحب الوتر وما من عبد يدعو بها الا وجبت له الجنة ومنها ان لله تسعة وتسعين اسما من احصاها

دخل الجنة ومنها ان الله عز وجل تسعة وتسعين اسما مائة غير واحد ان الله وتر يحب الوتر من حفظها دخل الجنة ومنها ان لله مائة اسم غير اسم من دعا بها استجاب الله له وكلها مذكورة فى الجامع الصغير عن على وعن أبى هريرة والاسماء جمع اسم وهو اللفظ الدال على المسمى اما على الذات فقط او على الذات والصفات والاخبار بانها تسع وتسعون ليس حصرا وانما ذلك اخبار عن دخول الجنة باحصائها أو استجابة الدعاء بها والا فاسماء الله كثيرة قال بعضهم ان لله الف اسم وقال بعضهم ان اسماءه على عدد أنبيائه فكل نبي يستمد من اسم ونبينا يستمد من الجميع (قوله والحسنى مؤنث الاحسن) اى ككبرى وصغرى مؤنث الاكبر والاصغر وانما كانت حسنى لان الدال يشرف بشرف مدلوله (قوله سموه بها) أى وقت دعائكم وندائكم واذكاركم (قوله وذروا) امر للمكلفين (قوله من ألحد ولحد) اى رباعيا وثلاثيا وهما قراءتان سبعيتان (قوله يميلون عن الحق) تفسير لكل من القراءتين ومنه لحد الميت لانه يمال بحفره الى جنب القبر بخلاف الضريح فانه الحفر فى الوسط (قوله حيث اشتقوا) اى اقتطعوا وهذا الالحاد كفر ويطلق الالحاد على التسمية بما لم يرد وهو بهذا المعنى حرام لان اسماءه توقيفية فيجوز ان يقال ياجواد ولا يجوز ان يقال ياسخى ويقال ياعالم دون عاقل وحكيم دون طبيب وهكذا (قوله جزاء ما كانوا يعملون) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف وقدر ليصح الكلام اذ لا معنى لكونهم يجزون الذى كانوا يعملونه من الالحاد بل المراد جزاؤه (قوله وهذا قبل الامر بالقتال) اسم الاشارة راجع لقوله وذروا الذين يلحدون فى اسمائه فهذه الآية منسوخة بآية القتال (قوله وممن خلقنا) الجار والمجرور خبر مقدم وامة مبتدأ مؤخر (قوله بالحق) الباء للملابسة اى يهدون الناس ويرشدونهم ملتبسين بالحق (قوله وبه يعدلون) أى بالحق يجعلون الامور معادلة مستوية لا افراط فيها ولا تفريط (قوله كما فى الحديث) اى وهو قوله صلى الله عليه وسلم لا تزال من امتى طائفة على الحق الى ان يأتى أمر الله وعن معاوية قال وهو يخطب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تزال من امتى امة قائمة بامر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى امر الله وهم على ذلك وهذه الطائفة لا تختص بزمان دون زمان ولا مكان دون مكان بل هم فى كل مكان وفى كل زمان فالاسلام دائما يعلو ولا يعلى عليه وان كثر الفساق واهل الشر فلا عبرة بهم ولا صولة لهم وفى هذا بشارة لهذه الامة المحمدية بان الاسلام فى علو وشرف واهله كذلك الى قرب يوم القيامة حتى تموت حملة القرآن والعلماء وينزع القرآن من المصاحف وتأتى الريح اللينة فيموت كل من كان فيه مثقال ذرة من الايمان ولا يكون هذا الامر الا بعد وفاة عيسى عليه الصلاة والسلام (قوله والذين كذبوا بآياتنا) مبتدأ خبره الجملة الاستقبالية بعده (قوله سنستدرجهم) الاستدراج هو الاستصعاد درجة فدرجة او الاستنزال درجة بعد درجة (قوله نأخذهم قليلا قليلا) اى نمدهم بالعطايا شيأ فشيأ وهم مقيمون على المعاصى حتى ينتهى بهم الامر الى الهلاك فهم يظنون انهم فى نعم وهم فى نقم ولذا قيل اذا رأيت الله انعم على عبده وهو مقيم على معصيته فاعلم انه مستدرج له (قوله ان كيدى متين) الكيد فى الاصل المكر والخديعة وذلك مستحيل على الله بل المراد الاستدراج؛ وكان شديدا لان ظاهره احسان وباطنه خذلان (قوله اولم يتفكروا) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أعموا ولم يتفكروا (قوله ما بصاحبهم من جنة) سبب نزولها ماروى انه صلى الله عليه وسلم صعد على الصفا فدعاهم فخذا فخذا يا بنى فلان يا بنى فلان يحذرهم بأس الله فقال بعضهم ان صاحبكم لمجنون بات يهوت الى الصباح ومعنى يهوت يصوت وانما نسبوه الى الجنون لمخالفته لهم فى الاقوال والافعال فانه كان موحدا مقبلا على الله بكليته معرضا عن الدنيا وشهواتها وهم ليسوا كذلك (قوله ملك السموات والارض) انما فسر الملكوت بالملك لان

والحسنى مؤنث الاحسن (فادعوه) سموه (بها وذروا) اتركوا (الذين يلحدون) من الحد ولحد يميلون عن الحق (فى اسمائه) حيث اشتقوا منها اسما لآلهتهم كاللات من الله والعزى من العزيز ومنات من المنان (سيجزون) فى الآخرة جزاء (ما كانوا يعملون) وهذا قبل الامر بالقتال (وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون) هم امة محمد صلى الله عليه وسلم كما فى الحديث (والذين كذبوا بآياتنا) القرآن من اهل مكة (سنستدرجهم) نأخذهم قليلا قليلا (من حيث لا يعلمون واملى لهم) أمهلهم (ان كيدى متين) شديد لا يطاق (أولم يتفكروا) فيعلموا (ما بصاحبهم) محمد صلى الله عليه وسلم (من جنة) جنون (ان) ما (هو الا نذير مبين) بين الانذار (اولم ينظروا فى ملكوت) ملك (السموات والارض

الملكوت

و) في (ما خلق الله من شيء) بيان لما فيستدلوا به على قدرة صانعه ووحدانيته (و) في (أن) اى انه (عسى ان يكون قد اقترب) قرب (اجلهم) فيموتوا كفارا فيصيروا الى النار فيبادروا الى الايمان (فبأى حديث بعده) اى القرآن (يؤمنون من يضلل الله فلا هادى له ويذرهم) بالياء والنون مع الرفع استئنافا والجزم عطفا على محل ما بعد الفاء (في طغيانهم يعمهون) يترددون تحيرا (يسئلونك) اى اهل مكة (عن الساعة) القيامة (أيان) متى (مرساها قل) لهم (انما علمها) متى تكون (عند ربى لا يجليها) يظهرها (لوقتها) اللام بمعنى في (الا هو ثقلت) عظمت (في السموات والارض) على أهلهما لهولها (لا تأتيكم الا بغتة) فجأة (يسئلونك كأنك حفى) مبالغ في السؤال (عنها) حتى علمتها (قل انما علمها عند الله) تأكيد (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) ان علمها عنده تعالى (قل لا املك لنفسي نفعا) أجلبه (ولا ضرا) أدفعه (الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب) ما غاب عنى (لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء) من فقر وغيره لاحترازى عنه باجتناب المضار (ان) ما (انا الا نذير) بالنار

الملكوت ما غاب عنا كالملائكة والعرش والكرسي والمأمور بالنظر فيه عالم الملك وهو ما ظهر لنا (قوله وما خلق الله) قدر المفسر في اشارة الى انه معطوف على ملكوت السموات والارض (قوله وان عسى) قدر المفسر في اشارة الى ان الجملة في محل جر عطفا على ما قبلها وان مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان وجملة عسى ان يكون قد اقترب اجلهم خبرها (قوله فبأى حديث الخ) متعلق يؤمنون وهو استفهام تعجبي والمعنى اذا لم يؤمنوا بهذا القرآن الذي هو أعظم المعجزات فبأى آية ومعجزة يؤمنون بها (قوله من يضلل الله) تذييل لما قبله خارج مخرج المثل (قوله بالياء والنون) اى مع الرفع وبالياء لا غير مع الجزم فالقراآت ثلاث وكلها سبعية فعلى النون يكون التفاتا من الغيبة للتكلم لان الاسم الظاهر من قبيل الغيبة (قوله على محل ما بعد الفاء) اى وهو الجزم لان جملة فلا هادى له جواب الشرط في محل جزم (قوله يسئلونك) الضمير عائد على اهل مكة كما قال المفسر لان السورة مكية الا ما تقدم من الثمان آيات وهذا استئناف مسوق لبيان تعنتهم في كفرهم لانه صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم من الساعة واهوالها (قوله القيامة) سميت ساعة اما لسرعة مجيئها قال تعالى وما امر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب او لسرعة حسابها لان الخلق جميعا يحاسبون في قدر نصف من نهار او لانها ساعة عند الله لخفتها وان كانت في نفسها طويلة لان الازمان عنده مستوية ولها اسماء كثيرة منها القيامة لقيام الناس لرب العالمين فيها والقارعة لانها تقرع القلوب باهوالها والحاقة لانها ثابتة والخافضة والرافعة لانها تخفض أقواما وترفع آخرين والطامة لانه لا يمكن ردها والصاخة لانها تصم الآذان والزلزلة لتزلزل الارض والقلوب ويوم الفرقة لتفرقهم في الجنة والنار واليوم الموعود لان الله وعد فيه اقواما بالجنة وأوعد اقواما بالنار ويوم العرض لعرض الناس على ربهم ويوم المفر لقول الانسان الكافر يومئذ اين المفر واليوم العسير لشدة الحساب فيه وزحمة الناس بعضهم على بعض حتى يكون على القدم الف قدم وفي رواية سبعون الف قدم على قدم وتدنو الشمس من الرؤس حتى تكون بينها وبين الرؤس قدر المرود الى غير ذلك من اسمائها (قوله أيان مرساها) في الكلام استعارة بالكناية حيث شبه الساعة بسفينة في البحر وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو الارساء فذكره تخييل وهذه الجملة من المبتدا والخبر بدل من الجار والمجرور قبله والمعنى يسالونك عن وقت مجيء الساعة وهو في محل نصب لان الجار والمجرور في محل نصب معمول ليسالونك (قوله متى تكون) اشار بذلك الى ان الكلام فيه حذف مضاف والتقدير انما علم وقتها عند الله (قوله على أهلهما) أشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف وفي بمعنى على ويصح ان نبقى الآية على ظاهرها لانه لا يطيقها شيء من السموات لطيها ولا الارض لتبدلها فهى شاقة مفزعة لكل ماسوى الله (قوله لا تأتيكم الا بغتة) اى على حين غفلة والحكمة في اخفائها ليتاهب لها كل احد كما اخفيت ساعة الاجابة يوم الجمعة ليعتنى باليوم كله وليلة القدر في سائر الليالي ليعتنى بجميع الليالي والرجل الصالح في جميع الخلق ليعتقد الجميع والصلاة الوسطى في جميع الصلوات للمحافظة على الجميع (قوله كأنك حفى عنها) عن بمعنى الباء والمعنى كأنك عالم بها ومتيقن لها (قوله تأكيد) أى لما قبله لبيان انها من الامر المكتوم الذي استاثر الله بعلمه فلم يطلع عليه أحدا الا من ارتضاه من الرسل والذي يجب الايمان به ان رسول الله لم ينتقل من الدنيا حتى أعلمه الله بجميع المغيبات التي تحصل في الدنيا والآخرة فهو يعلمها كما هي عين يقين لما ورد رفعت لى الدنيا فانا انظر فيها كما أنظر الى كفى هذه وورد انه أطلع على الجنة وما فيها والنار وما فيها وغير ذلك مما تواترت به الاخبار ولكن أمر بكتمان البعض (قوله لنفسي) معمول لا أملك (قوله الا ما شاء الله) اى تمليكه لى فانا أملكه (قوله ولو كنت اعلم الغيب الخ) ان قلت ان هذا يشكل مع ما تقدم لنا انه اطلع على جميع مغيبات الدنيا والآخرة والجواب انه قال ذلك تواضعا أو ان علمه بالمغيب كلا علم

للكافرين (وبشير) بالجنة (لقوم يوقنون هو) اى الله (الذى خلقكم من نفس واحدة) اى آدم (وجعل) خلق (منها زوجها) حـواء (ليسكن اليها) ويألفها (فلمـا تغشاها) جامعها (حملت حملا خفيفا) هو النطفـة (فمرت به) ذهبت وجاءت لخفته (فلما أثقلت) بكبر الولد فى بطنها وأشـفقا ان يكون بهيمة (دعوا الله ربهما لئن آتيتنا ولدا (صالحا) سـويا (لنكونن من الشاكرين) لك عليـه (فلما آتاهما) ولدا (صالحا جعلا له شركاء) وفى قراءة بكسر الشـين والتنوين اى شريكا (فيما آتاهما) بتسميته عبـد الحرث ولا ينبغى أن يكون عبدا الا لله وليس باشراك فى العبودية لعصمة آدم وروى سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما ولدت حواء طاف بها ابليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحرث فانه يعيش فسمته فعاش فكان ذلك من وحى الشيطان وامره رواه الحاكم وقال صحيح والترمذى وقال حسن غريب (فتعالى الله عما يشركون) أى اهل مكة به من الاصـنام والجملة مسببة عطف على خلقكم وما بينهمـا اعـتراض (أيشركون) به فى العبادة (ما لا يخلق شيا وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم) اى لعابديهم (نصرا ولا انفسهم ينصرون) بمنعها ممن ارادهم بسوء من كسر اوغيره والاستفهام للتوبيخ (وان تدعوهم) اى الاصنام (الى الهدى لا يتبعوكم)

من حيث انه لا قدرة له على تغيير ما قدر الله وقوعه فيكون المعنى حينئذ لو كان لى علم حقيقى بان أقدر على ما أريد وقوعه لاستكثرت الخ ان قلت ان دعاءه مستجاب لا يرد أجيب بانه لا يشاء الا ما يشاؤه الله فلو اطلع على ان هـذا الشىء مثلا لا يكون كذا لا يوفق للدعاء له اذ لا يشفع ولا يدعو الا بما فيه اذن من الله واطلاع منه على انه يحصل ما دعا به وهو سر قوله تعالى من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه وفى ذلك المعنى قال العارف وخصك بالهدى فى كل امر * فلست تشا الا ما يشاء وللخواص من أمته حظ من هذا المقام ولذا قال العارف أبو الحسن الشاذلى اذا أراد الله امرا أمسك ألسنة اوليائه عن الدعاء سترا عليهم لئلا يدعوا فلا يستجاب لهم فيفتضحوا (قوله للكافرين) أشار بذلك الى ان فى الآية اكتفاء (قوله لقوم يؤمنون) خصوا بذلك لانهم المنتفعون بذلك (قوله هو الذى خلقكم) الخطاب لاهـل مكة المعارضين المعاندين (قوله من نفس واحدة) أى لانه المالك المتصرف وهـذا أعظم دليل على انفراده بالوحدانية (قوله أى آدم) اى وهو مخلوق من الماء والطين والماء والطين موجودان من عدم فآل الامر الى ان آدم واولاده موجودون من عدم (قوله وجعل منها زوجها) اى من الضلع الايسر فنبتت منه كما نبتت النخلة من النواة (قوله حواء) تقدم انها سـميت حواء لانها خلقت من حى وهو آدم (قوله ليسكن اليها) هذا هو حكمة كون حواء من آدم اى فالحكمة فى كونها منه كونه يسكن اليها ويألفها لانها جزء منه (قوله ويألفها) عطف تفسير (قوله فلما تغشاها) التغشى كناية عن الجماع وعبر به تعليما لعباده الادب (قوله هو النطفة) ان قلت ان الجنة لا حمل فيها ولا ولادة اجيب بان ذلك بعد هبوطهما الى الارض واما جماعه لها فى الجنة فبغير نطفة ولا حمل منها ولا ولادة (قوله فمرت به) أى ترددت بذلك الحمل لعدم المشقة الحاصلة منه (قوله فلما اثقلت) اى صارت ذات ثقل اودخلت فى الثقل كاصبح اذا دخل فى الصباح (قوله وأشفقا) اى خافا وردانه لما جاءها ابليس وقال لها ما هذا الذى فى بطنك فقالت لا ادرى فقال لها يحتمل ان يكون كلبا أو حمارا أو غير ذلك ويحتمل أن يخرج من عينك اوفمك او تشق بطنك لاخراجه فخوفها بهذا كله فعرضت الامر على آدم فدعوا ربهما الى آخر الدعاء المذكور (قوله لئن) اللام موطئة لقسم محذوف تقديره والله (قوله ولدا اقدره) اشارة الى ان صالحا صفة لموصوف محذوف مفعول ثان لآتيتنا لانه بمعنى اعطيتنا (قوله لنكونن من الشاكرين) اى نزيد فى الشكر لان الشكر يزيد ويعظم بزيادة النعم (قوله شركاء) جمع شريك والمراد بالجمع المفرد بدليل القراءة الثانية (قوله اى شريكا) تفسير لكل من القراءتين (قوله بتسميته عبد الحرث) اى والحرث كان اسما لابليس فقصد اللعين بذلك انتسابه له وانه عبده (قوله وليس باشراك فى العبودية) المناسب ان يقول فى العبادة أو فى المعبودية وانما هو اشراك فى التسمية وهو ليس بكفر بل تعمده حرام لعدم تعظيمه شرعا وأما النسبة المعظم شرعا كعبد النبي وعبد الرسول فقيل بالكراهة والحاصل ان النسبة المعظم شرعا لا حرمة فيها ولغيره حـرام ان لم يعتقد المعبودية والا كان كفرا فى الجميع (قوله وروى سمرة) الحكمة فى ذكر هذه الرواية ان هذا المقام زلت فيه اقدام العلماء فمنهم من اصاب ومنهم من أخطأ فذكر هذه الرواية ليتضح المقام ويظهر الغث من السمين (قوله وكان لا يعيش لها ولد) وذلك انها ولدت قبل ذلك عبد الله وعبيد الله وعبيـد الرحمن فاصابهم الموت وكان يلح عليها كل مرة فالح عليها فى الاخير فسمته عبد الحرث كما أفادته رواية المفسر (قوله والجملة) اى قوله فتعالى الله عما يشركون (قوله مسببة) عطف على قوله خلقكم اى وليس لها تعلق بقصة آدم وحواء اصلا ويؤيد ذلك الجمع بعـد التثنية ولو كان راجعا لها لثنى الضمير وقال يشركان وفى قوله يشركون التفات من الخطاب الى الغيبـة (قوله أيشركون) شروع فى توبيخ أهل مكة عـلى الاشراك (قوله وان تدعوهم)

بالتخفيف والتشديد (سواء عليكم ادعوتموهم) اليه (ام انتم صامتون) عن دعائهم لا يتبعوه لعدم سماعهم (ان الذين تدعون) تعبدون (من دون الله عباد) مملوكة (أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم) دعاءكم (ان كنتم صادقين) فى انها آلهة ثم بين غاية عجزهم وفضل عابديهم عليهم فقال (ألهم أرجل يمشون بها أم) بل ا(لهم أيد) جمع يد (يبطشون بها ام) بل أ(لهم اعين يبصرون بها أم) بل أ(لهم آذان يسمعون بها) استفهام انكارى أى ليس لهم شئ من ذلك مما هو لكم فكيف تعبدونهم وانتم اتم حالا منهم (قل) لهم يا محمد (ادعوا شركاءكم) الى هلاكى (ثم كيدون فلا تنظرون) تمهلون فانى لا ابالى بكم (ان ولى الله) متولى امورى (الذى نزل الكتاب) القرآن (وهو يتولى الصالحين) بحفظه (والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون) فكيف ابالى بهم (وان تدعوهم) اى الاصنام (الى الهدى لا يسمعوا وتراهم) اى الاصنام يا محمد (ينظرون اليك) اى يقابلونك كالناظر (وهم لا يبصرون خذ العفو) اليسر من اخلاق الناس ولا تبحث عنها (وأمر بالعرف) المعروف (واعرض عن الجاهلين فلا تقابلهم بسفههم (واما) فيه ادغام نون ان الشرطية فى ما الزائدة (ينزغنك من الشيطان نزغ) اى ان يصرفك عما امرت به صارف (فاستعذ بالله)

هذا بيان لعجز الاصنام عما هو ادنى من النصر المنفى عنها والخطاب للمشركين بطريق الالتفات اعتناء بمزيد التوبيخ (قوله الى الهدى) اى لكم اى ان تدعوهم الى ان يهدوكم لا تبعوكم الى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله (قوله بالتخفيف والتشديد) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله سواء عليكم) استئناف مقرر لمضمون ما قبله اى سواء عليكم فى عدم الافادة دعاؤكم لهم وسكوتكم عنهم فانه لا يتغير حالكم فى الحالين كما لا يتغير حالهم عن حكم الجمادية (قوله مملوكة) دفع بذلك ما يقال ان الاصنام جمادات لا تعقل فكيف توصف بانها مثلكم واجيب بان المراد بكونهم أمثالكم انهم مملوكون مقهورون لا يملكون ضرا ولا نفعا فالتشبيه من هذه الحيثية لا من كل وجه (قوله وفضل عابديهم) اما بتشديد الضاد عطف على بين او بسكون الضاد عطف على غاية ومعنى فضلهم زيادتهم عليهم بهذه المنافع المذكورة (قوله ام لهم) اشار المفسر الى ان أم منقطعة تفسر ببل والهمزة والاضراب انتقالى من توبيخ لتوبيخ آخر (قوله يبطشون) من باب ضرب وبها قرأ السبعة وقرئ شذوذا من باب قتل والبطش هو الاخذ بعنف (قوله استفهام انكارى) اى فى المواضع الاربعة اى ليس لهم شئ من المنافع المذكورة (قوله قل ادعوا شركاءكم) اى واستعينوا بهم فى عداوتى (قوله ثم كيدون) قرئ باثبات الياء وصلا وحذفها وقفا وباثباتها فى الحالين وبحذفها فى الحالين وكلها سبعية وفى القرآن كيدون فى ثلاثة مواضع هنا وفى هود باثبات الياء عند السبع فى الحالين وفى المرسلات بحذفها عند السبع فى الحالين (قوله ان وليى) العامة على تشديد الولى مضافا لياء المتكلم المفتوحة وفى بعض الطرق بياء واحدة مشددة مفتوحة (قوله والذين تدعون من دونه) من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم (قوله وان تدعوهم) اى ايها المشركون اى تدعوا اصنامكم الى ان يهدوكم لا يسمعوا دعاءكم فضلا عن المساعدة والامداد وهذا ابلغ من نفى الاتباع وقوله وتراهم ينظرون الخ بيان لعجزهم عن الابصار بعد بيان عجزهم عن السمع وبه يتم التعليل و رأى بصرية (قوله خذ العفو) هذا امر من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم بمكارم الاخلاق وحسن معاملة الكفار اثر بيان زجرهم وافحامهم بالخطاب ورد لما نزلت هذه الآية سأل النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عن معناها فقال حتى أسأل ربى فذهب ثم رجع فقال يا محمد ان ربك يأمرك ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك قال جعفر الصادق ليس فى القرآن آية اجمع لمكارم الاخلاق من هذه الآية (قوله اى اليسر من اخلاق الناس) اى ما سهل منها (قوله ولا تبحث عنها) اى لا تفتش عن الاخلاق بل اقبل ما ظهر ودع ما بطن لله (قوله وأمر بالعرف) اى ما عرف حسنه فى الشرع (قوله واعرض عن الجاهلين) ان كان المراد بالجاهلين الكفار وبالاعراض عدم مقاتلتهم فالآية منسوخة بآية القتال وان كان المراد بالجاهلين ضعفاء الاسلام واجلاف العرب وبالاعراض عدم تعنيفهم والاغلاظ عليهم فالآية محكمة وكلام المفسر يشهد للثانى ومن معنى ذلك قوله تعالى فاصفح الصفح الجميل وهو الذى لا عتاب بعده وفى هذه الآية تعليم مكارم الاخلاق للعباد فليس هذا الامر من خصوصياته صلى الله عليه وسلم (قوله واما ينزغنك) سبب نزولها انه صلى الله عليه وسلم لما أمر باخذ العفو والامر بالعرف والاعراض عن الجاهلين قال وكيف بالغضب فنزلت هذه الآية والنزغ هو النخس وهو فى الاصل حث السائق للدابة على السير والمراد منه الوسوسة فشبهت الوسوسة بالنزغ بمعنى الحث على السير واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من النزغ ينزغنك بمعنى يوسوس لك والخطاب للنبي والمراد غيره لان الشيطان لا تسلط له عليه (قوله فاستعذ بالله) اى اطلب الاستعاذة بالله بان تقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

جواب الشرط وجواب الامر محذوف اى يدفعه عنك (انه سميع) للقول (عليم) بالفعل (ان الذين اتقوا اذا مسهم) اصابهم (طيف) وفى قراءة طائف اى شئ ألمّ بهم (من الشيطان تذكروا) عقاب الله وثوابه (فاذاهم مبصرون) الحق من غيره فيرجعون (واخوانهم) اى اخوان الشياطين من الكفار (يمدونهم) اى الشياطين (فى الغى ثم) هم (لا يقصرون) يكفون عنه بالتبصر كما تبصر المتقون (واذا لم تأتهم) اى اهل مكة (بآية) مما اقترحوا (قالوا لولا) هلا (اجتبيتها) انشأتها من قبل نفسك (قل) لهم (انما اتبع ما يوحى الى من ربى) وليس لى ان آتى من عند نفسى بشئ (هذا) القرآن (بصائر) حجج (من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا) عن الكلام (لعلكم ترحمون) نزلت فى ترك الكلام فى الخطبة وعبر عنها بالقرآن لاشتمالها عليه وقيل فى قراءة القرآن مطلقا (واذكر ربك فى نفسك) اى سرا (تضرعا) تذللا (وخيفة) خوفا منه (و) فوق السر (دون الجهر من القول) اى قصدا بينهما (بالغدو والآصال) اوائل النهار واواخره (ولا تكن من الغافلين) عن ذكر الله (ان الذين عند ربك) اى الملائكة (لا يستكبرون) يتكبرون (عن عبادته ويسبحونه) ينزهونه عما لا يليق به (وله يسجدون) اى يخصونه بالخضوع والعبادة فكونوا مثلهم

(قوله جواب الشرط) أى وقرن بالفاء لانه جملة طلبية (قوله انه سميع عليم) أى فيجيبك لما طلبت (قوله ان الذين اتقوا) أى الذين اتصفوا بامتثال الاوامر واجتناب النواهى (قوله أى شئ ألم بهم) تفسير للقراءتين أى خاطر قليل من الشيطان فاذا وسوس الشيطان لهم بفعل المعاصي أو ترك الطاعات تذكروا عقاب الله وثوابه فرجعوا الى ما أمر الله به ونهى عنه (قوله عقاب الله) أى فى متابعة الشيطان وقوله وثوابه أى فى مخالفته (قوله واخوانهم) مبتدأ وجملة يمدونهم خبر (قوله أى اخوان الشياطين من الكفار) أى والفساق أشار بذلك الى أن المراد بالاخوان الكفار والفساق والضمير عائد على الشياطين (قوله يمدونهم) الواو عائدة على الشياطين والهاء عائدة على الكفار والفساق فقد عاد ضمير الخبر على غير المبتدا فى المعنى (قوله ثم هم) أى الاخوان (قوله لا يقصرون) اى لا يبعدون عن الغى (قوله بالتبصر) اى التامل والتفكر والمعنى ان الشياطين يمدون الكفار والفساق فى الغى حتى لا يكفون عنه ولا يتركونه فجعل الله فى هذه الآية المتقين علامة ولغيرهم علامة (قوله واذا لم تأتهم) رجوع لخطاب كفار مكة (قوله مما اقترحوا) اى طلبوا (قوله لولا اجتبيتها) اشار المفسر الى ان لولا تحضيضية حيث قال هلا (قوله انشأتها) اى اخترعتها واختلقتها (قوله وليس لى ان آتى من عند نفسي بشئ) اى لا يمكنني ذلك (قوله بصائر) اى سبب فيها فسمى السبب وهو القرآن باسم المسبب وهو الحجج (قوله لقوم يؤمنون) خصوا بذلك لانهم المنتفعون به (قوله فاستمعوا له) اى للقرآن (قوله نزلت فى ترك الكلام فى الخطبة) اى وهو واجب عند مالك والشافعى فى القديم ومذهب الشافعى فى الجديد الانصات سنة والكلام مكروه (قوله وقيل فى قراءة القرآن مطلقا) اى فيحرم الكلام فى مجلس القرآن للتخليط على القارئ بل يجب الانصات والاستماع فان امن التخليط فلا حرمة وما ذكره المفسر قولان من اربع وثالثها انها نزلت فى تحريم الكلام فى الصلاة لانهم كانوا يتكلمون فى الصلاة رابعها انها نزلت فى ترك الجهر بالقراءة خلف الامام (قوله واذكر ربك فى نفسك) اى باى نوع من انواع الذكر كالتسبيح والتهليل والدعاء والقرآن وغير ذلك وقوله سرا اى ان لم يلزم عليه الكسل والاجهر (قوله تضرعا وخيفة) مفعولان لاجله أو حالان اى متضرعين خائفين (قوله ودون الجهر) معطوف على قوله فى نفسك (قوله بالغدو) جمع غدية وهى من طلوع الفجر الى طلوع الشمس والآصال جمع اصيل وهو من العصر الى الغروب وانما خص هذين الوقتين بالذكر لان الانسان يقوم من النوم عند الغداة فطلب ان يكون اول صحيفته ذكر الله واما وقت الآصال فلان الانسان يستقبل النوم وهو اخو الموت فينبغى له ان يشغله بالذكر خيفة ان يموت فى نومه فيبعث على مامات عليه وقيل ان الاعمال تصعد فى هذين الوقتين وقيل لكراهة النفل فى هذين الوقتين فطلب بالذكر فيهما لئلا يضيع على الانسان وقته (قوله ولا تكن من الغافلين) خطاب للنبى والمراد غيره (قوله عند ربك) العندية عندية مكانة لا مكان اوالمراد عند عرش ربك وهذا كالدليل لما قبله اى فاذا كان دوام الذكر داب من لم يجعل لهم على اعمالهم جنة ولا نار فلتكونوا كذلك بالاولى (قوله ينزهونه) اى يعتقدون تنزيهه (قوله اى يخصونه) اخذ هذا الحصر من تقديم المعمول (قوله بالخضوع) تفسير للسجود اى فالمراد بالسجود مطلق العبادة لا خصوص السجود المعروف وانما خص السجود لان اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد وهذه اول سجدات القرآن الماه وربها عند التلاوة والله اعلم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قوله

(قوله سورة الانفال) مبتدأ مضاف اليه ومدنية خبر اول وخمس الخ خبر ثان (قوله او الا) أو لحكاية الخلاف فانه اختلف هل هي مدنية كلها وهو الصحيح أو الا سبع آيات اولها واذ يمكر بك الذين كفروا وآخرها بما كنتم تكفرون فمكيات وهو ضعيف ولا يلزم من كونها في شان اهل مكة انها نزلت بها بل نزلت بالمدينة حكاية عما وقع في مكة (قوله في غنائم بدر) اى لانها اول غنيمة في الاسلام (قوله وقال الشيوخ) اى وكانوا محدقين برسول الله خوفا عليه من العدو (قوله كنا ردأ) اى عونا لكم (قوله ولو انكشفتم) اى انهزمتم (قوله لفئتم) اى رجعتم (قوله يسئلونك) السؤال ان كان عن تعيين الشيء وتبيينه تعدى للمفعول الثاني بعن كما هنا وان كان بمعنى طلب الاعطاء تعدى المفعولين بنفسه كسالت زيدا مالا خلافا لمن فهم ان ما هنا من الثاني وادعى زيادة عن (قوله عن الانفال) جمع نفل مثل سبب واسباب ويقال نفل بسكون الفاء أيضا وهي الزيادة لزيادة هذه الامة بها عن الامم السابقة فانها لم تكن حلالا لهم بل كانوا اذا غنموا غنيمة وضعوها في مكان فان قبلها الله منهم انزل عليها نارا احرقتها والا بقيت (قوله لله والرسول) قيل ان معنى ذلك أنها مملوكة لله واعطاها ملكا لرسوله يتصرف فيها كيف يشاء وعلى هذا فقوله واعلموا انما غنمتم الآية ناسخة لها وقيل ان ما ياتي توضيح لما هنا وتفصيل له والآية محكمة فيكون المعنى لله والرسول من حيث قسمتها على المجاهدين (قوله يجعلانها حيث شاآ) اى فامتثلوا ما يامركم به (قوله فاتقوا الله) اى امتثلوا امره وامر نبيه (قوله وأصلحوا ذات بينكم) اى الحالة التي بينكم وهي الوصلة الاسلامية فالمعنى اتركوا النزاع والشحناء والتزموا المودة والمحبة بينكم ليحصل النصر والخير لكم (قوله واطيعوا الله ورسوله) اى فيما يامركم به (قوله ان كنتم مؤمنين) شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه (قوله حقا) اى كاملين في الايمان فعلامة كمال الايمان طاعة الله والرسول وعدم وجود الحرج في النفس قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما (قوله انما المؤمنون) استئناف مسوق لبيان صفات المؤمنين فهو كالدليل لما قبله (قوله الكاملون الايمان) بالنصب على نزع الخافض اى فيه وفي بعض النسخ بحذف النون فيكون مضافا للايمان (قوله الذين اذا ذكر الله) وصل الذين بثلاث صلات كلها متعلقة بالقلب (قوله وجلت قلوبهم) اى فزعت لاستيلاء هيبته على قلوبهم (قوله تصديقا) اشار بذلك الى ان التصديق يقبل الزيادة اذ لا يصح ان يكون ايمان الانبياء كايمان الفساق وما قبل الزيادة قبل النقص وبذلك اخذ مالك والشافعي وجمهور اهل السنة (قوله به يثقون) اشار بذلك الى ان على بمعنى الباء ويتوكلون بمعنى يثقون وقوله لا بغيره حصر اخذ من تقديم المعمول والمعنى أن ثقتهم بالله لا بغيره فلا يعتمدون على عمل ولا على مال ولا يخافون من غيره (قوله الذين يقيمون الصلاة) اى يلازمونها في اوقاتها مستوفية الشروط والاركان والآداب (قوله ينفقون) اى النفقة الواجبة كالزكاة أو المندوبة كالصدقة (قوله حقا) صفة لمصدر محذوف اى ايمانا حقا (قوله بلاشك) اى لظهور علامة الايمان الكامل فيهم (قوله عند ربهم) العندية عندية مكانة لا مكان (قوله ومغفرة) اى غفران لذنوبهم (قوله ورزق كريم) اى دائم مستمر لا نكد فيه ولا تعب مقرون بالتعظيم والتكريم (قوله كما اخرجك) الكاف بمعنى مثل وما مصدرية خبر لمحذوف والتقدير قسم الغنائم عموما والحال ان بعض الصحابة كارهون لذلك مثل اخراجك من بيتك والحال انهم كارهون لذلك فهو تشبيه حكم بحكم او قصة بقصة وهذا احسن الاعاريب ولذا درج عليه المفسر فالمشبه قسم الغنائم عموما والمشبه به الخروج لقتال ذي الشوكة بجامع ان كلا كان فيه كراهة لبعض المؤمنين بحسب الصورة الظاهرية وفي الواقع ونفس الامر خير ومصلحة للعموم في كل لان الاول ترتب عليه

﴿سورة الانفال مدنية أو الا واذ يمكر بك الآيات السبع فمكية خمس او ست اوسبع وسبعون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

لما اختلف المسلمون في غنائم بدر فقال الشبان هي لنا لانا باشرنا القتال وقال الشيوخ كنا ردأ لكم تحت الرايات ولو انكشفتم لفئتم الينا فلا تستاثروا بها نزل (يسالونك) يا محمد (عن الانفال) الغنائم لمن هي (قل) لهم (الانفال لله والرسول) يجعلانها حيث شاآ فقسمها صلى الله عليه وسلم بينهم على السواء رواه الحاكم في المستدرك (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم) اى حقيقة ما بينكم بالمودة وترك النزاع (واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين) حقا (انما المؤمنون) الكاملون الايمان (الذين اذا ذكر الله) اى وعيده (وجلت) خافت (قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا) تصديقا (وعلى ربهم يتوكلون) به يثقون لا بغيره (الذين يقيمون الصلوة) ياتون بها بحقوقها (ومما رزقناهم) اعطيناهم (ينفقون) في طاعة الله (اولئك) الموصوفون بما ذكر (هم المؤمنون حقا) صدقا بلاشك (لهم درجات) منازل في الجنة (عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) في الجنة (كما اخرجك ربك

من بينك بالحق) متعلق باخرج (وان فريقا من المؤمنين لكارهون) الخروج والجملة حال من كاف اخرجك وكما خبر مبتدا
محذوف اى هذه الحال فى كراهتهم لها مثل اخراجك فى حال كراهتهم وقد كان خيرا لهم فكذلك ايضا وذلك ان ابا سفيان قدم بعير من الشام فخرج النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ليغنموها فعلمت قريش فخرج ابو جهل ومقاتلو مكة ليذبوا عنها وهم النفير واخذ ابو سفيان بالعير طريق الساحل فنجت فقيل لابى جهل ارجع فابى وسار الى بدر فشاور صلى الله عليه وسلم اصحابه وقال ان الله وعدنى احدى الطائفتين فوافقوه على قتال النفير وكره بعضهم ذلك وقالوا لم نستعد له كما قال تعالى (يجادلونك فى الحق) القتال (بعدما تبين) ظهر لهم (كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون) اليه عيانا فى كراهتهم له (و) اذكر (اذ يعدكم الله احدى الطائفتين) العير والنفير (انها لكم وتودون) تريدون (ان غير ذات الشوكة) اى البأس والسلاح وهى العير (تكون لكم) لقلة عددها وعددها بخلاف النفير (ويريد الله ان يحق الحق) يظهره (بكلماته) السابقة بظهور الاسلام (ويقطع دابر الكافرين) آخرهم بالاستئصال فامركم بقتال
النفير (ليحق الحق ويبطل) يمحق (الباطل) الكفر (ولو كره المجرمون) المشركون ذلك اذكر (اذ تستغيثون ربكم)

اصلاح ذات البين والثانى ترتب عليه عز الاسلام ونصره (قوله من بيتك) اى الكائن بالمدينة او المراد بالبيت نفس المدينة (قوله متعلق باخرج) أى والباء سببية والمعنى اخرجك من بيتك بسبب الحق اى اظهار الدين ورفع شانه ويصح ان الباء للملابسة والجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من الكاف فى أخرجك اى اخرجك متلبسا بالحق اى الوحى لا عن هوى نفسك (قوله والجملة حال) اى مقدرة لانهم وقت الخروج لم يكونوا كارهين وانما طرأت الكراهة عند الامر بقتال ذى الشوكة (قوله اى هذه الحال) اى وهى قسم الغنائم على العموم (قوله فى كراهتهم لها) هذا هو وجه المماثلة والمشابهة بينهما (قوله فكذلك أيضا) اى قسم الغنائم كان خيرا انتهاء لما فيه من اصلاح ذات البين (قوله قدم بعير) اى ابل حاملة تجارة وكان فيها أموال كثيرة ورجال قليلة نحو الاربعين (قوله فعلمت قريش) أى باخبار ضمضمة بن عمرو الغفارى الذى اكتراه ابو سفيان ليعلم قريشا بذلك (قوله ومقاتلو مكة) اى وكانوا الفا الا خمسين (قوله واخذ ابو سفيان) أى عدل عن الطريق المعتاد للمدينة وسار بساحل البحر (قوله فشاور صلى الله عليه وسلم اصحابه) اى فى المضى الى بدر لقتال النفير (قوله فوافقوه) اى آخرا بعد أن توقف بعضهم محتجا بعدم التهيؤ وكان اذ ذاك صلى الله عليه وسلم بوادى دقران بدال وقاف وراء بوزن سلمان واد قريب من الصفراء وعند المشاورة قام ابو بكر وعمر فاحسنا فى القول ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فيه فوالله لو سرت الى عدن ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد بن عمرو امض كما أمرك الله فانا معك حيثما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ايها الناس اشيروا على وهو يريد الانصار فقام سعد بن معاذ فقال كانك تريدنا يارسول الله قال أجل قال انا قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق فامض يارسول الله لما اردت فانا لا نكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ثم قال رسول الله سيروا على بركة الله وابشروا فان الله وعدنى احدى الطائفتين والله لكانى انظر الى مصارع القوم (قوله يجادلونك فى الحق) اى يقيمون حججه قبالة حجة فليس المراد بالجدال الجدال فى الباطل (قوله ظهر لهم) اى تحتم القتال (قوله كأنما يساقون الى الموت) اى كانهم مثل من يساق الى القتل وهو ينظر بعينه اسبابه (قوله فى كراهتهم له) هذا هو وجه المشابهة وسبب تلك الكراهة قلة عددهم وعددهم فقد ورد انهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر والكل رجال وليس فيهم الا فرسان (قوله بخلاف النفير) اى فانه كثير العدد والعدد (قوله يظهره) جواب عما يقال ان فيه تحصيل الحاصل وكذا يقال فى قوله ويبطل الباطل (قوله ليحق الحق) ليس مكررا مع ما قبله لان المراد بالاول تثبيت ما وعده به فى هذه الواقعة من النصرة والظفر بالاعداء والمراد بالثانى تقوية الدين واظهار الشريعة مدى الايام (قوله اذ تستغيثون) اما خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فقط فيكون الجمع للتعظيم او خطاب للنبي واصحابه روى عن ابن عباس قال حدثنى عمر بن الخطاب قال لما كان يوم بدر نظر صلى الله عليه وسلم الى المشركين وهم الف واصحابه ثلثمائة وبضعة عشر رجلا فاستقبل نبى الله القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه يقول اللهم انجز لى ما وعدتنى اللهم آتنى ما وعدتنى اللهم ان تهلك هذه العصابة من اهل الاسلام لا تعبد فى الارض فما زال يهتف بربه مادا يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فاتاه ابو بكر فاخذ رداءه فالقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يا نبى الله كفاك مناشدتك ربك

تطلبون منه الغوث بالنصر عليهم (فاستجاب لكم أني) أي بأني (ممدكم) معينكم (بألف من الملائكة مردفين) متتابعين يردف بعضهم بعضا وعدهم بها اولا ثم صارت ثلاثة آلاف ثم خمسة كما في آل عمران وقرئ بآلف كأفلس جمع (وما جعله الله) أي الامداد (الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم) اذكر (اذ يغشاكم النعاس أمنة) أمنا مما حصل لكم من الخوف (منه) تعالى (وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به) من الاحداث والجنابات (ويذهب عنكم رجز الشيطان) وسوسته اليكم بانكم لو كنتم على الحق ما كنتم ظماء محدثين والمشركون على الماء (وليربط) يحبس (على قلوبكم) باليقين والصبر (ويثبت به الاقدام) ان تسوخ في الرمل (اذ يوحي ربك الى الملائكة) الذين أمد بهم المسلمين (اني) اي بأني (معكم) بالعون والنصر (فثبتوا الذين آمنوا) بالاعانة والتبشير (سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب) الخوف (فاضربوا فوق الاعناق) اي الرؤس (واضربوا منهم كل بنان) اي اطراف اليدين والرجلين فكان الرجل يقصد ضرب رقبة الكافر فتسقط قبل ان يصل اليه سيفه ورماهم صلى الله عليه وسلم بقبضة من الحصى فلم يبق مشرك الا دخل في عينيه منها شيء فهزموا (ذلك) العـذاب الواقع بهم (بانهم شاقوا) خالفوا (الله ورسوله ومن يشاق الله ورسوله فان الله شديد العقـاب) له

فانه سينجز لك ما وعدك فنزلت هذه الآية (قوله تطلبون منه الغوث) أشار بذلك الى ان السين والتاء للطلب (قوله ممدكم بألف) ورد ان جبريل نزل بخمسمائة وقاتل بها في يمين العسكر وفيه ابو بكر ونزل ميكائيل بخمسمائة وقاتل بها في يسار الجيش وفيه علي ولم يثبت ان الملائكة قاتلت في وقعة الا في بدر وأما في غيرها فكانت تنزل الملائكة لتكثير عدد المسلمين ولا تقاتل (قوله يردف بعضهم بعضا) اي يعقبه في المجيء (قوله وعدهم بها اولا) اشار بذلك الى الجمع بين ما هنا و بين ما في آل عمران (قوله وقرئ) أي شذوذا (قوله كأفلس) اي فابدلت الهمزة الثانية ألفا (قوله الا من عند الله) أي فلا يتوقف على تهيئ بعدد ولا عــدد (قوله اذ يغشاكم النعاس) أي دفعة واحدة فناموا كلهم وهذا على خلاف العادة فهي معجزة لرسول الله حيث غشي الجميع النوم في وقت الخوف وفيه ثلاث قراآت سبعية يغشاكم كيلقاكم والنعاس مرفوع على الفاعلية و يغشـيكم بتشديد الشين وضم ياء المضارعة و يغشيكم بتخفيف الشين وضم ياء المضارعة والنعاس منصوب على المفعولية في هاتين القراءتين (قوله أمنة) منصوب على الحال على القراءة الاولى او المفعول لاجله على القراءتين الاخيرتين قال عبد الله بن مسعود النعاس في القتال أمنة من الله وفي الصلاة من الشيطان قيل انهم لما خافوا على أنفسهم لكثرة عدد العدو وعددهم وقلة المسلمين وعطشوا عطشا شديدا ألقى الله عليهم النوم حتى حصلت لهم الراحة وزال عنهم العطش وتمكنوا من قتال عدوهم فكان ذلك النوم نعمة في حقهم لانه كان خفيفا بحيث لو قصدهم العدو لتنبهوا له وقدروا على دفعـه (قوله من الخوف) بيان لما (قوله ليطهركم الخ) اي وذلك انهم وقفوا في كثيب رمل فشق المشي عليهم فيه من لينه و نعومته واشتد عليهم الخوف من ان يأتيهم العدو في تلك الحالة فالقى الله عليهم النعاس فاحتلم معظمهم فاشتد احتياجهم الى الماء فوسوس لهم الشيطان بما ذكره المفسر فرد الله كيده بانزال المطر الكثير عليهم فشربوا وتطهروا وملؤا القرب وتلبد الرمل حتى سهل المشي عليه (قوله اذ يوحي ربك) معمول لمحذوف اي اذكر ولم يقدره المفسر اتكالا على تقديره فيما سبق (قوله الى الملائكة) أل للعهد الذكري اي المذكورين فيما سبق في قوله اني ممدكم بألف من الملائكة كما اشار اليه المفسر (قوله اني معكم) الجملة في محل نصب مفعول ليوحي (قوله فثبتوا الذين آمنوا) اي قووا قلوبهم واختلف في كيفية هذه التقوية فقيل ان الشيطان كما ان له قوة في القاء الوسوسة في قلب ابن آدم بالسوء كذلك الملك له قوة في القاء الالهام في قلب ابن آدم بالخير و يسـمى ما يلقيـه الملك إلهاما وقيل ان ذلك التثبيت حضورهم القتال معهم ومعونتهم لهم بالقتال بالفعل وقيل معناه بشروهم بالنصر والظفر فكان الملك يمشي في صفة رجل أمام الصف و يقول ابشروا فان الله ناصركم عليهم (قوله سألقي في قلوب الذين كفروا) كالتفسير لقوله اني معكم وقوله فاضربوا الخ كالتفسير لقوله فثبتوا فهو لف ونشر مرتب (قوله الرؤس) تفسير للفظ فوق وقد توسع فيه حيث استعملوه مفعولا به وان كان اصله ظرف مكان ملازم للظرفية وقيل ان لفظة فوق زائدة وقد اشار له المفسر بقوله يقصد ضرب رقبة الكافر الخ فقد اشار المفسر الى قولين وقيل ان فوق باقية على ظرفيتها والمفعول محذوف اي فاضربوهم فوق الاعناق وقيل ان فوق بمعنى على والمفعول محذوف ايضا اي فاضربوهم على الاعناق (قوله اي اطراف اليدين والرجلين) في المصباح البنان الاصابع وقيل اطرافها والواحدة بنانة (قوله الا دخل في عينيه) اي وفي فمه وانفه (قوله ذلك العذاب) اي من القاء الرعب والقتل والاسر وقوله بانهم الباء سـببية (قوله خالفوا الله ورسوله) اصل معناها المجانبة لانهم صاروا في شق وجانب عن النبي والمؤمنين (قوله فان الله شديد العقاب)

(ذلكم) العذاب (فذوقوه) ايها الكفار في الدنيا (وأن للكافرين) في الآخرة (عذاب النار يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا) اى مجتمعين كانهم لكثرتهم يزحفون (فلا تولوهم الادبار) منهزمين (ومن يولهم يومئذ) اى يوم لقائهم (دبره الا متحرفا) منعطفا (لقتال) بان يريهم الفرة مكيدة وهو يريد الكرة (او متحيزا) منضما (الى فئة) جماعة من المسلمين يستنجد بها (فقد باء) رجع (بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) المرجع هى وهذا مخصوص بما اذا لم يزد الكفار على الضعف (فلم تقتلوهم) ببدر بقوتكم (ولكن الله قتلهم) بنصره اياكم (وما رميت) يا محمد اعين القوم (اذ رميت) بالحصى لان كفا من الحصى لايملأ عيون الجيش الكثير برمية بشر (ولكن الله رمى) بايصال ذلك اليهم فعل ذلك ليقهر الكافرين (وليبلى المؤمنين منه بلاء) عطاء (حسنا) هو الغنيمة (ان الله سميع) لاقوالهم (عليم) باحوالهم (ذلكم) الابلاء حق (وان الله موهن) مضعف (كيد الكافرين ان تستفتحوا)

أي وما نزل بهم في هذا اليوم قليل بالنسبة لما ادخر لهم عند الله (قوله ذلكم العذاب) اسم الاشارة مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر وقوله فذوقوه لا تعلق له بما قبله من جهة الاعراب (قوله وان للكافرين) عطف على ذلكم او نصب على المفعول معه (قوله يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم) خطاب لكل من يحضر القتال (قوله زحفا) حال من المفعول به وهو الذين فهو مؤول بالمشتق اى حال كونهم زاحفين (قوله أى مجتمعين الخ) اى فالمعنى على التشبيه بالزاحفين على ادبارهم في بطء السير وذلك لان الجيش اذا كثر والتحم بعضه ببعض يتراءى انه سيره بطيء وان كان في نفس الامر سريعا وفي المصباح زحف القوم زحفا من باب نفع (قوله فلا تولوهم الادبار) ويطلق الدبر على مقابل القبل ويطلق على الظهر وهو المراد هنا والمقصود ملزوم تولية الظهر وهو الانهزام فهذا اللفظ استعمل في ملزوم معناه كما اشار له المفسر بقوله منهزمين والادبار مفعول ثان لتولوهم وكذا دبره مفعول ثان ليولهم وفي الآية تعريض حيث ذكر لهم حالة تستهجن من فاعلها في تعبيره بلفظ الدبر دون الظهر (قوله اى يوم لقائهم) حل معنى والا فمقتضى التنوين فيه أن يقول يوم لقيتموهم لانه عوض عن جملة (قوله الا متحرفا) في نصبه مع ما عطف عليه وجهان احدهما انه حال والثاني انه مستثنى من ضمير المؤمنين (قوله الفرة) بفتح الفاء وهي المرة من الفر بمعنى الفرار اى الهرب وقوله مكيدة أى خديعة ومكرا وقوله وهو يريد الكرة اى الرجعة لان الكرة المرة من الرجوع والكر الرجوع وهذا أحد ابواب الحرب ومكايدها (قوله او متحيزا) التحيز والتحوز الانضمام واصل تحيز تحيوز اجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون قلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء (قوله يستنجد) اى يستنصر ويستعين (قوله فقد باء بغضب) جواب الشرط وهو من والباء للملابسة اى ملتبسا ومصحوبا بغضب (قوله ومأواه) اى مسكنه وفي الآية وعيد عظيم ولذلك قيل ان الفرار أكبر الكبائر بعد الكفر (قوله مخصوص) اى مقصور اى فان زادت عن الضعف كما اذا كان المسلمون ربع الكفار فلا يحرم الفرار (قوله فلم تقتلوهم) نزلت هذه الآية لما افتخر المسلمون بعد رجوعهم من بدر فكان الواحد منهم يقول انا قتلت كذا اسرت كذا فعلمهم الله الادب بقوله فلم تقتلوهم الخ والفاء واقعة في جواب شرط مقدر اى افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم (قوله ولكن الله قتلهم) قرئ بتشديد لكن وتخفيفها فعلى التخفيف تكون مهملة ولفظ الجلالة مرفوع على الابتداء وعلى التشديد تكون عاملة عمل ان ولفظ الجلالة منصوب على انه اسمها وهما قراءتان سبعيتان (قوله وما رميت اذ رميت) ظاهره التناقض حيث جمع بين النفي والاثبات والجواب ان المنفي الرمي بمعنى ايصال الحصى لاعينهم والمثبت فعل الرمي كما اشار لهذا الجواب المفسر بقوله بايصال ذلك اليهم (قوله ولكن الله رمى) فيه القراءتان المتقدمتان وقد علمت ان حكمة قوله تعالى فلم تقتلوهم التاديب لبعض المؤمنين واما حكمة قوله تعالى وما رميت اثبات انها معجزة من الله لنبيه لتذكر من جملة معجزاته التي امر بالتحدث بها قال تعالى واما بنعمة ربك فحدث وقال البوصيري

ورمى بالحصى فاقصد جيشا * ما الحصا عنده وما الالقاء

(قوله فعل) اى الله ذلك اى القتل والرمي وقوله ليقهر الخ قدره ليعطف عليه وليبلي (قوله عطاء) اى فالمراد من الابلاء الاعطاء فهو ابلاء بخير لا بشر فان البلاء يقع على النعمة وعلى المحنة لان اصله الاختبار وذلك كما يكون بالمحنة لاظهار الصبر يكون بالنعمة لاظهار الشكر (قوله ذلكم) مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله حق وقوله وان الله يجوز ان يكون معطوفا على ذلكم فيكون في محل رفع بالابتداء وخبره محذوف ايضا والمعنى ذلكم الابلاء للمؤمنين حق وتوهين كيد الكافرين حق وموهن بفتح الواو

وتشديد

أيها الكفار أى تطلبوا الفتح أى القضاء حيث قال ابو جهل منكم اللهم أينا كان اقطع للرحم وأتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة

اى اهلكه (فقد جاءكم
الفتح) القضاء بهلاك من
هو كذلك وهو ابو جهل
ومن قتل معه دون النبي
صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين (وان تنتهوا) عن
الكفر والحرب (فهو خير
لكم وان تعودوا) لقتال
النبي صلى الله عليه وسلم
(نعد) لنصره عليكم (ولن
تغني) تدفع عنكم فئتكم
جماعاتكم (شيأ ولو كثرت
وان الله مع المؤمنين) بكسر
ان استئنافا وفتحها على تقدير
اللام (يا أيها الذين آمنوا
اطيعوا الله ورسوله ولا
تولوا) تعرضوا (عنه)
بمخالفة امره (وانتم
تسمعون) القرآن والمواعظ
(ولا تكونوا كالذين قالوا
سمعنا وهم لا يسمعون)
سماع تدبر واتعاظ وهم
المنافقون او المشركون (ان
شر الدواب عند الله الصم)
عن سماع الحق (البكم) عن
النطق به (الذين لا يعقلون
ولو علم الله فيهم خيرا)
صلاحا بسماع الحق
(لاسمعهم) سماع تفهم
(ولو أسمعهم) فرضا وقد
علم ان لا خير فيهم (لتولوا)
عنه (وهم معرضون) عن
قبوله عنادا وجحودا (يا ايها
الذين آمنوا استجيبوا لله
وللرسول) بالطاعة (اذا
دعاكم لما يحييكم) من امر الدين
لانه سبب الحياة الابدية
(واعلموا ان الله يحول

 بين المرء وقلبه) فلا يستطيع ان يؤمن او يكفر الا بارادته (وانه اليه تحشرون) فيجازيكم باعمالكم

وتشديد الهاء والتنوين فكيد منصوب على المفعولية به ويقرأ بسكون الواو وتخفيف الهاء من أوهن
كاكرم منونا او مضافا الى كيد فالقراآت ثلاث وكلها سبعية (قوله أيها الكفار) اى فهو خطاب لاهل
مكة على سبيل التهكم لانهم الذين وقع بهم الهلاك والفتح وقع لغيرهم (قوله اى القضاء) أى الحكم بينكم
وبين محمد بنصر المحق وخذلان المبطل (قوله حيث قال ابو جهل) اى وغيره من قريش حين أرادوا
الخروج الى بدر تعلقوا باستار الكعبة ودعوا بما ذكره المفسر (قوله أينا) اى الفريقين يعني نفسه ومن معه
ومحمدا ومن معه وهو يزعم ان محمدا هو القاطع للرحم حيث خرج من بلده وترك أقاربه (قوله فاحنه
الغداة) الحين بالفتح الهلاك يقال حان الرجل هلك وأحانه الله أهلكه والغداة ظرف للحين اى اهلكه
فيما يستقبل (قوله وفتحها على تقدير اللام) اى فهما قراءتان سبعيتان اى واللام المقدرة للتعليل (قوله
يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله) اى دوموا على طاعته وعلى عدم التولي يدم لكم العز الذى حصل ببدر (قوله
ان شر الدواب الخ) نزلت فى جماعة من بني عبد الدار بن قصي كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به
محمد وتوجهوا مع أبي جهل حاملين اللواء لقتال النبي واصحابه ببدر فقتلوا جميعا ولم يسلم منهم الا اثنان
مصعب بن عمير وسبيط بن حرملة والدواب فى اللغة ما دب على وجه الارض عاقلا او غيره وفى العرف
مخصوص بالخيل والبغال والحمير وفى الآية غاية الذم لهم بانهم اشر من الكلاب والخنزير والحمير (قوله ولو علم
الله فيهم خيرا) هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم على عدم ايمانهم ولو حرف امتناع لامتناع والمعنى امتنع
سماعهم الخير سماع تفهم لامتناع علم الخير فيهم (قوله ولو اسمعهم) هذا ترق فى التسلية والمعنى لو فرض ان
الله أسمعهم سماع تفهم لتولوا وهم معرضون عنه عنادا فلا تحزن على كفرهم فان كفرهم ثابت مطلقا فهموا
الحق اولا هذا حاصل معنى الآية * واستشكل ظاهرها بان الآية دلت على قياس حاصله لو علم الله فيهم
خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا ينتج لو علم الله فيهم خيرا لتولوا وهو فاسد اذ لو علم الله الخير فيهم لآمنوا
ولم يكفروا وأجيب بجوابين الاول ان الحد المكرر لم يتحد معنى وشرط الانتاج اتحاده معنى لان المراد
بالاسماع الاول الموجب للفهم والاذعان والاسماع الثانى للفهم من غير اذعان * الثانى ان الكلام تم عند
قوله لاسمعهم وقوله ولو اسمعهم ترق فى التشنيع عليهم فالمعنى هم لم يؤمنوا ولم ينقادوا عند التفهم على
فرض حصوله فعدم ايمانهم عند عدمه اولى نظير لو لم يخف الله لم يعصه ولكن توليهم عند ظهور الحق
عناد وجحود وعند عدمه جهل (قوله استجيبوا) السين والتاء زائدتان للتوكيد (قوله اذا دعاكم) افرد
لان دعوة الرسول فى الحقيقة هي لله وذكر الرسول اولا لانه المبلغ عن الله فعدم طاعته مخالفة لله (قوله لما
يحييكم) ما اما نكرة وجملة يحييكم صفة او اسم موصول وما بعدها صلة والمعنى لما فيه حياتكم الابدية (قوله
من امر الدين) اى وهو الايمان والاسلام وقيل هو القرآن لانه حياة القلوب وبه النجاة من اهوال الدنيا
والآخرة وقيل هو الحق مطلقا وقيل الجهاد فى سبيل الله واتمها ما قاله المفسر (قوله واعلموا ان الله يحول بين
المرء وقلبه) اى يفصل بينهما بتصاريفه واحكامه وذلك كناية عن كونه اقرب للشخص من قلبه ومن
قلبه لذاته بل هو اقرب من السمع للاذن ومن البصر للعين ومن اللمس للجسد ومن الشم للانف ومن
الذوق للسان فشبه القرب بالحيلولة واستعير اسم المشبه به وهو الحيلولة للمشبه وهو القرب واشتق من
الحيلولة يحول بمعنى يقرب على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية (قوله فلا يستطيع
ان يؤمن او يكفر الا بارادته) تقدم انه لا مفهوم للكفر والايمان بل السمع والبصر والشم
والذوق واللمس فى قبضة الله سبحانه ان شاء أبقاه وان شاء أذهبه وانما خص الايمان
والكفر لان مناط السعادة والشقاوة بهما (قوله فيجازيكم باعمالكم) أى ان خيرا فخير

(واتقوا فتنة) ان اصابتكم (لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) بل تعمهم وغيرهم واتقاؤها بانكار موجبها من المنكر (واعلموا ان الله شديد العقاب) لمن خالفه (واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون فى الارض) ارض مكة (تخافون ان يتخطفكم الناس) يأخذكم الكفار بسرعة (فآواكم) الى المدينة (وايدكم) قواكم (بنصره) يوم بدر بالملائكة (ورزقكم من الطيبات) الغنائم (لعلكم تشكرون) نعمه * ونزل فى ابى لبابة مروان بن عبد المنذر وقد بعثه صلى الله عليه وسلم الى بنى قريظة لينزلوا على حكمه فاستشاروه فاشار اليهم انه الذبح لان عياله وماله فيهم (يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول و) لا (تخونوا اماناتكم) ما ائتمنتم عليه من الدين وغيره (وانتم تعلمون واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة) لكم صادة عن امور الآخرة (وان الله عنده اجر عظيم) فلا تفوتوه بمراعاة الاموال والاولاد والخيانة لاجلهم * ونزل فى توبته

وان شرا فشر (قوله واتقوا فتنة) أى سبب فتنة وهى المعاصى فانها سبب لنزول المصائب الدنيوية (قوله لا تصيبن) الجملة صفة لفتنة ولا نافية وتصيبن فعل مضارع مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة وهو واقع فى جواب شرط مقدر قدره المفسر بقوله ان اصابتكم وليس جوابا للامر لان المرتب على تقواها عدم اصابتها احدا لا خصوصا ولا عموما وانما اكد الفعل المضارع المنفى بالنون اجراء له مجرى النهى (قوله بل تعمهم وغيرهم) أى فالظالم لظلمه وغير الظالم لاقراره وسكوته وعدم نهيه عن المنكر وفى الحديث ما معناه مثل الظالم كمثل جماعة فى أسفل مركب ومثل غير الظالم كمثل جماعة فى أعلى المركب فاراد أهل الاسفل أن يخرقوا خرقا يستقون منه فان سلم لهم أهل الاعلى هلكوا جميعا وان قاموا عليهم نجوا جميعا قال ابن عباس أمر الله المؤمنين أن لا يقروا المنكر بين اظهرهم فيعمهم الله بالعذاب فيصيب الظالم وغير الظالم وفى الحديث ان الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه فاذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة وورد اذا عملت الخطيئة فى الارض كان من شهدها فانكرها كمن غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها الى غير ذلك من الاحاديث الواردة فى ذلك فاذا علمت ذلك فلا تشكل هذه بقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى بما علمت أن الساكت على المنكر مؤاخذ بوزر نفسه لا بوزر المباشر (قوله واذكروا) خطاب للنبى وأصحابه نزلت بعد غزوة بدر (قوله مستضعفون) أى مظهرون الضعف لعدم أمركم بالقتال (قوله الغنائم) أى فلما هاجروا وأمروا بالقتال تركوا التجارة وصار رزقهم من الغنائم وفى الحديث جعل رزقى تحت ظل رمحى (قوله لعلكم تشكرون) اى فتزدادوا من النعم لان بالشكر تزداد النعم قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم (قوله ونزل فى ابى لبابة) اسمه مروان كما فى بعض النسخ وقيل رفاعة (قوله وقد بعثه الخ) حاصل قصته ان رسول الله حاصر قريظة خمسا وعشرين ليلة وقيل خمسة عشر وقيل بضعة عشر يوما فلما اشتد عليهم الامر قام عليهم رئيسهم كعب بن اسد وعرض عليهم الايمان فقال يا معشر اليهود قد نزل بكم من الامر ما ترون وانى اعرض عليكم خصالا ثلاثا فخذوا ايها شئتم قالوا وما هى قال نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين انه نبى مرسل وانه الذى تجدونه فى كتابكم فتأمنون على دمائكم واموالكم وابنائكم ونسائكم فابوا فقال هلم فلنقتل ابناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد واصحابه رجالا مجردين السيوف من اغمادها لم نترك وراءنا ثقلا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فقالوا اى عيش لنا بعد ابنائنا ونسائنا فقال ان هذه الليلة ليلة السبت وعسى ان يكون محمد واصحابه قد امنونا فيها فانزلوا لعلنا نصيب منهم غزوة فقالوا نفسد سبتنا وقد علمت مسخ من خالف السبت فارسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابعث لنا ابا لبابة نستشيره فى امرنا فارسله اليهم فلما راوه قام اليه الرجال وفزع النساء والصبيان يبكون فى وجهه فرق لهم وقالوا يا ابا لبابة اترى ان ننزل على حكم محمد قال نعم واشار بيده الى حلقه انه الذبح فقال ابو لبابة فوالله ما زالت قدماى من مكانهما حتى عرفت انى خنت الله ورسوله ثم انطلق وسلك طريقا اخرى فلم يات رسول الله حتى ارتبط فى المسجد الى عمود من عمده وقال لا ابرح من مكانى هذا حتى يتوب الله على مما صنعت فلما بلغ خبره رسول الله وقد استبطأه قال اما لو جاءنى لاستغفرت له واما اذ فعل ما فعل فما انا بالذى اطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه فاقام ابو لبابة مرتبطا بالجذع ست ليال وقيل بضعة عشر ليلة حتى ذهب سمعه وكاد يذهب بصره وكانت امراته تاتيه فى وقت كل صلاة فتحله للصلاة ثم تربطه ثم نزلت توبته فى بيت ام سلمة على رسول الله صلى الله عليه وسلم سحرا فقام يضحك فقالت ام سلمة مم تضحك اضحك الله سنك قال تيب على ابى لبابة قالت افلا ابشره يا رسول الله

قال بلى ان شئت فقامت على باب حجرتها وذلك قبل ان تنزل آية الحجاب فقالت يا أبا لبابة ابشر فقد تاب الله عليك فتسارع اليه الناس ليطلقوه فقال لا والله حتى يكون رسول الله هو الذى يطلقنى بيده فلما اصبح الصبح اطلقه فلما اشتد الحصار على بنى قريظة اطاعوا وانقادوا أن ينزلوا على حكم رسول الله فحكم فيهم سعد بن معاذ وكان فى خيمة فى المسجد الشريف لامرأة من اسلم يقال لها رفيدة وكانت تداوى الجرحى حسبة فاتى به فلما حضر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا الى سيدكم فقاموا اليه فقالوا ان رسول الله ولاك امر مواليك لتحكم فيهم فقال سعد انى احكم فيهم ان تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبى الذرارى والنساء فقال عليه الصلاة والسلام لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة ارقعة والرقيع السماء ففعل بهم كما قال سعد (قوله يا ايها الذين آمنوا) انما عمم الخطاب اشارة الى الستر عليه وان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله وتخونوا) معطوف على الفعل قبله فهو فى حيز النهى ولذا قدر المفسر لا فهو نهى عن الخيانتين (قوله وانتم تعلمون) الجملة حالية من فاعل تخونوا (قوله صادة) اى مانعة (قوله فلا تفوتوه بمراعاة الاموال الخ) أى لانها امور زائلة فانية وسعادة الآخرة لا نهاية لها فهى اولى بتقديمها على ما يفنى (قوله فرقانا) اى نجاة مما تخافون وقد اشار لهذا المفسر بقوله فتنجون وقيل المراد بالفرقان النور الكائن فى القلب الذى يفرق به بين الحق والباطل وهو اولى (قوله ويكفر عنكم سيآتكم) اى يمحها فقوله ويغفر لكم عطف مرادف عليه (قوله واذ يمكر بك) اذ ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر وهذا تذكير لنعمة الله على نبيه اثر تذكير نعمة الله على المؤمنين بقوله واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون فى الارض والمكر الاحتيال على ايصال الضرر للغير * وحاصل ذلك ان قريشا عرفوا لما اسلم الانصار ان امر رسول الله يتفاخم ويظهر فاجتمع نفر من كبار قريش فى دار الندوة ليتشاوروا فى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رؤساءهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل وابو سفيان وطعمة ابن عدى والنضر بن الحرث وابو البحترى بن هشام وزمعة بن الاسود فجاءهم ابليس فى صورة شيخ نجدى فلما رأوه قالوا له من انت قال انا شيخ من نجد سمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا منى رأيا ونصحا فقالوا له ادخل فدخل فقال ابو البحترى اما انا فارى ان تاخذوا محمدا وتحبسوه فى بيت مقيدا وتسدوا باب البيت غير كوة تلقون منها طعامه وشرابه حتى يهلك فصرخ ذلك الشيخ النجدى وقال بئس الراى ان اصحابه يقاتلونكم ويخرجونه قهرا عليكم فقالوا صدق الشيخ النجدى فقال هشام بن عمرو انى ارى ان تحملوه على بعير فتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع فقال ذلك الشيخ النجدى ما هذا براى تعمدون الى رجل قد اتبعه سفهاؤكم فتخرجوه الى غيركم فيفسدهم الم تروا الى حلاوة منطقه وطلاقة لسانه لئن فعلتم ذلك يذهب ويستميل قلوب قوم آخرين فيسير بهم اليكم فيخرجكم من بلادكم فقال ابو جهل انى ارى ان تاخذوا من كل بطن من قريش شابا نسيبا ويعطى كل شاب سيفا صارما ثم يضربونه ضربة واحدة فاذا قتل تفرق دمه فى القبائل ولا اظن ان هذا الحى من بنى هاشم يقوون على حرب قريش كلها غايته يطلبون ديته وهو امر سهل فقال ابليس انه اجودكم رايا فتفرقوا على ذلك فاتى جبريل واخبر رسول الله بذلك وبان الله اذن له فى الخروج الى المدينة فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فامر رسول الله عليا ان يبيت بمضجعه وقال له تسج ببردتى فانه لن يخلص اليك منهم امر تكرهه ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم وقد اخذ الله ابصارهم فلم يره منهم احد ونثر على رؤسهم التراب وهو يتلو قوله تعالى يس الى قوله فاغشيناهم فهم لا يبصرون ثم اتاهم آت فقال لهم ان محمدا اخرج عليكم ووضع التراب على رؤسكم فما من رجل منهم اصابه ذلك التراب الا قتل يوم بدر كافرا (قوله بدار الندوة) اى بالدار التى يقع فيها الحديث

(يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله) بالانابة وغيرها (يجعل لكم فرقانا) بينكم وبين ما تخافون فتنجون (ويكفر عنكم سيآتكم ويغفر لكم) ذنوبكم (والله ذو الفضل العظيم و) اذكر يا محمد (اذ يمكر بك الذين كفروا) وقد اجتمعوا للمشاورة فى شانك بدار الندوة

(ليثبتوك) يوثقوك ويحبسوك (او يقتلوك) كلهم قتلة رجل واحد (او يخرجوك) من مكة (ويمكرون) بك (ويمكر

الله) بهم بتدبير امرك بان اوحى اليك مادبروه وأمرك بالخروج (والله خير الماكرين) أعلمهم به (واذا تتلى عليهم آياتنا) القرآن (قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا) قاله النضر بن الحرث لانه كان ياتي الحيرة يتجر فيشتري كتب اخبار الاعاجم ويحدث بها اهل مكة (ان) ما (هذا) القرآن (الا أساطير) أكاذيب (الاولين واذ قالوا اللهم ان كان هذا) الذي يقرؤه محمد (هو الحق) المنزل (من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم) مؤلم على انكاره قاله النضر أو غيره استهزاء وايهاما انه على بصيرة وجزم ببطلانه قال تعالى (وما كان الله ليعذبهم) بما سالوه (وأنت فيهم) لان العذاب اذا نزل عم ولم تعذب أمة الا بعد خروج نبيها والمؤمنين منها (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) حيث يقولون في طوافهم غفرانك غفرانك وقيل هم المؤمنون المستضعفون فيهم كما قال لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما (وما لهم ان لا يعذبهم الله) بالسيف بعد خروجك والمستضعفين وعلى القول الاول هي ناسخة لما قبلها وقد عذبهم الله ببدر وغيره (وهم يصدون) يمنعون النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين (عن المسجد الحرام) ان يطوفوا به (وما كانوا اولياءه) كما زعموا

رد

والاجتماع وهي اول دار بنيت بمكة فلما حج معاوية اشتراها من الزبير العبدري بمائة الف درهم ثم صارت كلها بالمسجد الحرام وهي في جانبه الشمالي (قوله ليثبتوك) هذا اشارة لرأي ابي البحتري (قوله أو يقتلوك) اي شبان القبائل كلهم قتلة رجل واحد وهو اشارة لرأي ابي جهل (قوله او يخرجوك) هو اشارة لرأي هشام بن عمرو (قوله ويمكرون بك) اي يحتالون ويدبرون في امرك (قوله بتدبير امرك) جواب عما يقال ان حقيقة المكر محالة على الله تعالى لانه الاحتيال على الشيء من اجل حصول العجز عنه واجيب ايضا بان المراد بمكر الله معاملته لهم معاملة الماكر حيث خيب سعيهم وضيع املهم او المراد جازاهم على مكرهم فسمي الجزاء مكرا لانه في مقابلته (قوله اعلمهم به) دفع بذلك ما يقال ان المكر لا خير فيه واجيب ايضا بان اسم التفضيل ليس على بابه (قوله واذا تتلى عليهم) هذا من جملة قبائح اهل مكة (قوله مثل هذا) تنازعه كل من سمعنا وقلنا (قوله الحيرة) بلدة بقرب الكوفة (قوله اخبار الاعاجم) اي كالفرس والروم (قوله الاساطير) جمع اسطورة كأكاذيب جمع اكذوبة وزنا ومعنى وقد رد الله عليهم تلك المقالة بقوله تعالى قل فأتوا بعشر سور مثله وقال ايضا قل فأتوا بسورة مثله فعجزوا عن ذلك وقال البوصيري

سور منه اشبهت صورا منا ... ومثل النظائر النظراء

(قوله واذ قالوا) هذا من جملة قبائحهم الشنيعة (قوله هو الحق) القراء السبعة على نصب الحق خبر لكان وهو ضمير فصل لا محل له من الاعراب وقرئ شذوذا برفعه على انه خبر للضمير والجملة خبر لكان (قوله من عندك) حال من الحق (قوله حجارة من السماء) اي من سجيل مسومة كما ارسلها على اصحاب الفيل (قوله بعذاب اليم) اي كالصيحة والخسف (قوله قاله النضر) اي ابن الحرث وقوله او غيره اي وهو ابو جهل ولا مانع من ان كلا قال ذلك (قوله استهزاء) اي سخرية به صلى الله عليه وسلم (قوله وايهاما أنه على بصيرة) اي لان اصعب الايمان الدعاء على النفس (قوله بما سالوه) اي وهو الحجارة او العذاب الاليم ولا بالعذاب العام لرفعه ببركته صلى الله عليه وسلم (قوله وانت فيهم) اي في بلدهم فان خرجت منها أنت والمؤمنون عذبهم الله على ايديكم عذابا خاصا بهم (قوله وما كان الله معذبهم) اي عذابا عاما ولا خاصا (قوله وهم يستغفرون) الجملة حالية من الضمير في معذبهم والمعنى ان الله لا يعذبهم والحال انهم يستغفرون فاستغفارهم نافع لهم بعدم نزول العذاب عليهم ان قلت يشكل على هذا قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقوله تعالى وما دعاء الكافرين الا في تباب اجيب بأن استغفارهم نافع لهم في الدنيا فقط واما هاتان الآيتان فالمراد منهما ما يحصل في الآخرة فاعمال الكفار الصالحة التي لا تفتقر الى نية كالصدقات وفعل المعروف والاستغفار تنفعهم في الدنيا وتمنع عنهم العذاب فيها ولا تنفعهم في الآخرة (قوله وقيل هم المؤمنون) اي فضمير معذبهم يعود الى اهل مكة وقوله وهم الضمير عائد على اهل مكة باعتبار مجموعهم وهم المؤمنون (قوله تزيلوا) اي تميز المؤمنون عن الكفار (قوله وما لهم ان لا يعذبهم الله) اي اي شيء ثبت لهم في عدم تعذيب الله لهم اي لا مانع لهم منه (قوله والمستضعفين) اي وخروج المستضعفين ايضا (قوله وعلى القول الاول) اي وهو كون الضمير عائدا على الكفار (قوله هي ناسخة لما قبلها) اي وهي قوله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون لانه اخبر اولا انه لا يعذبهم مع استغفارهم واخبر ثانيا انه يعذبهم ولا يبالي باستغفارهم والوجه انها ليست منسوخة لانها خبر والاخبار لا تنسخ وايضا استغفارهم قد انقطع بخروجهم للمقاتلة لارتباط استغفارهم بالبيت (قوله وهم يصدون) الجملة حالية من ضمير يعذبهم (قوله ان يطوفوا به) اي النبي والمؤمنون (قوله وما كانوا اولياءه)

رد لقولهم نحن ولاة البيت فنصد من نشاء وندخل من نشاء (قوله ان أولياؤه الا المتقون) اى المجتنبون
الشرك (قوله أن لا ولاية لهم عليه) أشار بذلك الى ان مفعول يعلمون محذوف (قوله الا مكاء) استثناء
من الصلاة على حسب زعمهم حيث ادعوا ان المكاء والتصدية من جنس الصلاة فالاستثناء
زيادة فى التشنيع عليهم (قوله صفيرا) اى فكان الواحد منهم يشبك أصابع احدى كفيه باصابع
الاخرى و يضعهما و ينفخ فيهما فيظهر من ذلك صوت (قوله تصفيقا) اى ضرب الاحدى اليدين على
الاخرى (قوله اى جعلوا ذلك الخ) جواب عما يقال ان المكاء والتصدية ليسا من جنس الصلاة
فكيف يصح استثناؤهما منها فاجاب بانهم كانوا يعتقدون أنهما من جنسها فجرى الاستثناء على معتقدهم
وكانوا يفعلون ذلك حين يشتغل النبي والمؤمنون بالصلاة وقراءة القرآن كما حكى الله عنهم بقوله وقال
الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه (قوله ان الذين كفروا) نزلت فى كفار مكة ولكن العبرة
بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فان المشاهد فى الكفار ذلك الى يوم القيامة (قوله فسينفقونها) اى
يعلمون عاقبة انفاقها (قوله ثم تكون فى عاقبة الامر) اى وهى عدم وصولهم لمقصودهم (قوله ثم يغلبون)
التعبير بثم اشارة الى انهم يمهلون استدراجا لهم و زيادة حسرة لهم فى العاقبة (قوله بالتخفيف والتشديد)
اى فيهما قراءتان سبعيتان (قوله جميعا) اما حال من الهاء فى فيركمه أو توكيد لها (قوله يجمعه متراكما
بعضه على بعض) ظاهر الآية ان هذا الجمع قبل دخولهم النار وحينئذ فيكون بيانا لحالهم فى الموقف لما
تقدم انه يكون سبعون ألف قدم على قدم (قوله أولئك هم الخاسرون) اى الخائبون فى الدنيا والآخرة
(قوله قل للذين كفروا) أمر للنبي صلى الله عليه وسلم أن يبلغ الكفار ماذكر (قوله كابى سفيان وغيره)
انما خصهم لانهم هم الباقون من كفار مكة لان الآية نزلت بعد بدر وفيها قتل من قتل من صناديدهم و بقى
من بقى فالخطاب لمن بقى (قوله ان ينتهوا عن الكفر) اى بان ينطقوا بالشهادتين صادقين مصدقين
فكلمة التوحيد سبب للانتقال من ديوان الاشقياء لديوان السعداء اذا علمت ان هذا الفضل لمن
سبق له الكفر فما بالك بمن لم يسبق له الكفر وعاش مؤمنا ومات كذلك قال السنوسي فعلى العاقل ان
يكثر من ذكرها مستحضرا لما احتوت عليه من المعانى حتى تمتزج مع معناها بلحمه ودمه فانه يرى لها
من الاسرار والعجائب مالا يدخل تحت حصر (قوله من أعمالهم) اى السيئة وأعظمها الكفر (قوله
وان يعودوا) وأصل العود الرجوع عن الشئ بعد التلبس به وحينئذ فيكون المعنى وان يرتدوا عن
الاسلام بعد تلبسهم به و يصح ان يفسر العود بالاستمرار على الكفر (قوله فقد مضت سنة الاولين)
اى كعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ممن هلك ان قلت ان هؤلاء قد أصابهم الهلاك العام وأما أمة محمد صلى
الله عليه وسلم فمحفوظة منه وأجيب بان التشبيه فى مطلق هلاك وان كان ما سبق عاما وهذا خاص
والاقرب ان يراد بالاولين من سبق قبلهم من أولاد عمهم وأقاربهم ممن قتل ببدر وجملة فقد مضت سنة
الاولين تعليل لمحذوف ولا يصلح للجواب وتقدير الجواب وان يعودوا نهلكهم كما أهلكنا الاولين
(قوله وقاتلوهم) اى الكفار مطلقا مشركين اوغيرهم (قوله حتى لا تكون فتنة) اى شوكة لاهل الشرك
اى بان ينقرضوا رأسا او بدخولهم فى الاسلام او بان يؤدوا الجزية بدليل قوله تعالى قاتلوا الذين
لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الى ان قال حتى يعطوا الجزية فالمكلف به ماخوذ من مجموع
الآيتين (قوله توجد) اشار بذلك الى ان كان تامة وفتنة بالرفع فاعلها (قوله و يكون الدين
كله لله) يكون ناقصة والدين اسمها ولله متعلق بمحذوف خبرها (قوله بما يعملون) القراء السبعة
على الياء التحتية وقرأ يعقوب من العشرة بالتاء الفوقية (قوله فيجازيكم به) اى بالذى تعملون من

(ان) ما (أولياؤه الا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون) ان لا ولاية لهم عليه (وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء) صفيرا (وتصدية) تصفيقا اى جعلوا ذلك موضع صلاتهم التى أمروا بها (فذوقوا العذاب) ببدر (بما كنتم تكفرون ان الذين كفروا ينفقون أموالهم) فى حرب النبي صلى الله عليه وسلم (ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون) فى عاقبة الامر (عليهم حسرة) ندامة لفواتها وفوات ماقصدوه (ثم يغلبون) فى الدنيا (والذين كفروا) منهم (الى جهنم) فى الآخرة (يحشرون) يساقون (ليميز) متعلق بتكون بالتخفيف والتشديد اى يفصل (الله الخبيث) الكافر (من الطيب) المؤمن (ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا) يجمعه متراكما بعضه على بعض (فيجعله فى جهنم أولئك هم الخاسرون قل للذين كفروا) كابى سفيان وأصحابه (ان ينتهوا) عن الكفر وقتال النبي صلى الله عليه وسلم (يغفر لهم ماقد سلف) من أعمالهم (وان يعودوا) الى قتاله (فقد مضت سنت الاولين) اى سنتنا فيهم بالاهلاك فكذا نفعل بهم (وقاتلوهم حتى لا تكون) توجد (فتنة) شرك (ويكون الدين كله لله) وحده ولا يعبد غيره (فان انتهوا) عن الكفر (فان الله بما يعملون بصير) فيجازيهم به

(وان تولوا) عن الايمان (فاعلموا ان الله مولاكم) ناصركم ومتولى اموركم (نعم المولى) هو (ونعم النصير) اى الناصر لكم (واعلموا انما غنمتم) اخذتم من الكفار قهرا (من شئ) (١٠٩) (فان لله خمسه) يامر فيه بما يشاء (وللرسول ولذى القربى) قرابة النبي صلى الله عليه وسلم من بنى هاشم

وبنى المطلب (واليتامى) اطفال المسلمين الذين هلك آباؤهم وهم فقراء (والمساكين) ذوى الحاجة من المسلمين (وابن السبيل) المنقطع فى سفره من المسلمين اى يستحقه النبي صلى الله عليه وسلم والاصناف الاربعة على ماكان يقسمه من ان لكل خمس الخمس والاخماس الاربعة الباقية للغانمين (ان كنتم آمنتم بالله) فاعلموا ذلك (وما) عطف على بالله (انزلنا على عبدنا) محمد صلى الله عليه وسلم من الملائكة والآيات (يوم الفرقان) اى يوم بدر الفارق بين الحق والباطل (يوم التقى الجمعان) المسلمون والكفار (والله على كل شئ قدير) ومنه نصركم مع قلتكم وكثرتهم (اذ) بدل من يوم (انتم) كائنون (بالعدوة الدنيا) القربى من المدينة وهى بضم العين وكسرها جانب الوادى (وهم بالعدوة القصوى) البعدى منها (والركب) العير كائنون بمكان (اسفل منكم) مما يلى البحر (ولو تواعدتم) انتم والنفير للقتال (لاختلفتم فى الميعاد ولكن) جمعكم بغير ميعاد (ليقضى الله امرا كان مفعولا) فى علمه وهو نصر الاسلام ومحق الكفر فعل ذلك (ليهلك) يكفر (من هلك عن بينة) اى بعد حجة ظاهرة قامت عليه وهى نصر المؤمنين مع قلتهم على الجيش الكثير (ويحيا) يؤمن (من حى عن بينة وان الله لسميع عليم) اذكر (اذ يريكهم الله فى منامك) اى نومك (قليلا) فاخبرت به اصحابك فسروا

تشجيعا

خير وشر (قوله وان تولوا) اى اعرضوا ولم يمتثلوا (قوله نعم المولى) هذا ثناء من الله على نفسه فهو حمد قديم لقديم والمعنى ان الله ينصر العبد ويشكره ولا يضيعه بخلاف الناصر من الخلق ينصر ويمن بذلك النصر (قوله هو) اشار بذلك الى ان المخصوص بالمدح محذوف (قوله واعلموا انما غنمتم) تقدم ان الحق ان هذه الآية مفصلة لآية يسئلونك عن الانفال (قوله من شئ) بيان لما ونكره ليشمل الجليل والحقير والشريف والوضيع (قوله فان لله خمسه) بفتح الهمزة خبر لمحذوف والتقدير فحكمه ان خمسه لله (قوله يأمر فيه بما يشاء) اى فالخمس يقسم ستة اقسام قسم لله يصرف فى الكعبة والخمسة اقسام للنبي ولآله واليتامى والمساكين وابن السبيل وبذلك قال بعض الائمة غير الاربعة وقال الائمة الاربعة انه يقسم خمسة اقسام فقط للخمسة المذكورين وذكر الله للتعظيم وهذا ماكان فى زمنه واما بعد وفاته فالخمس الذى كان ياخذه النبي يوضع فى بيت المال يصرف فى مصالح المسلمين وهو كواحد منهم وبهذا قال الشافعى وقال مالك النظر فيه للامام وقال ابو حنيفة سقط سهمه وسهم القربى بوفاته وصار الكل للثلاثة فقط (قوله من بنى هاشم والمطلب) هذا مذهب الشافعى وعند مالك الآل بنو هاشم فقط وعند ابى حنيفة فرق خمسة آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس وآل الحرث (قوله والمساكين) المراد بهم مايشمل الفقراء (قوله المنقطع فى سفره) اى المحتاج ولو غنيا ببلده (قوله اى يستحقه النبي) انما لم يقل الله والنبي اشارة الى ان ذكر اسم الله للتعظيم والتبرك كما هو التحقيق (قوله من ان لكل) اى من الاصناف الخمسة (قوله والاخماس الاربعة) بيان لمفهوم قوله خمسة (قوله فاعلموا ذلك) اشار بذلك الى ان جواب الشرط محذوف لدلالة ماقبله عليه والمراد علم ذلك مع العمل بمقتضاه لان العلم المجرد لاثمرة له (قوله عطف على بالله) اى على مدخول الباء وهو لفظ الجلالة (قوله من الملائكة الخ) بيان لما (قوله الفارق بين الحق) اى بظهوره واتضاحه وقوله والباطل اى بخموده وذهابه (قوله يوم التقى الجمعان) بدل من يوم الاول (قوله والله على كل شئ قدير) كالتذييل والدليل لما قبله (قوله بدل من يوم) اى الثانى بدل اشتمال (قوله بضم العين وكسرها) اى فهما قراءتان سبعيتان والعدوة الشاطئ والشفير والجانب سميت بذلك لان السيل يعدوها ويتجاوزها لعلوها عن الوادى والمعنى انتم بالجانب القريب من المدينة وهم بالجانب الآخر وبينهما مقدار الرمى (قوله كائنون بمكان اسفل منكم) اشار المفسر الى ان الركب مبتدأ خبره محذوف وقوله اسفل ظرف صفة لمحذوف والمعنى ان الركب فى مكان اسفل منكم بحيث لو استغاثوا بقومهم لاغاثوهم (قوله ولو تواعدتم) اى اعلم كل منكم الآخر بالخروج للقتال (قوله لاختلفتم فى الميعاد) اى لامكن اختلافكم فى التواعد بمعنى انكم لم توفوا بذلك بل قد تتخلفون عن الخروج (قوله ليهلك) علة لمحذوف قدره المفسر بقوله فعل ذلك وهو جمعهم بغير ميعاد واخراجهم بغير تاهل (قوله يكفر) اى يستمر على كفره (قوله اى بعد حجة) اشار بذلك الى ان عن بمعنى بعد على حد قوله تعالى لتركبن طبقا عن طبق والمعنى انه لم يبق لهم عذر فى عدم ايمانهم بل صار كفرهم عنادا (قوله ويحيا) اى يستمر على الحياة وهى الايمان (قوله من حى) بالفك والادغام قراءتان سبعيتان (قوله وان الله لسميع) اى باقوالكم عليم باحوالكم فيجازيكم عليها (قوله قليلا) مفعول ثالث لان رأى الحلمية تنصب مفعولين بلا همز فاذا دخلت عليها الهمزة نصبت ثلاثة والمعنى اذكر يا محمد هذه النعمة العظيمة وهى رؤيتك اياهم فى المنام قليلا

(ولو اراكهم كثيرا لفشلتم) جبنتم (ولتنازعتم) اختلفتم (فى الامر) امر القتال (ولكن الله سلم) كم من الفشل والتنازع

تشجيعا لاصحابك وتثبيتا لهم واشارة الى ضعف الكفار وانهم يهزمون وبهذا اندفع ما يقال ان رؤيا الانبياء حق فكيف يراهم قليلا مع كثرتهم (قوله ولو اراكهم كثيرا) أى وأخبرت اصحابك بذلك (قوله لتنازعتم) عطف على فشلتم عطف سبب على مسبب (قوله ولكن الله سلم) مفعوله محذوف قدره المفسر وقوله من الفشل الخ متعلق بسلم (قوله بما فى القلوب) اى الخطرات والسرائر التى احتوت عليها القلوب فالمراد بصاحبات الصدور السرائر والصدور القلوب من باب تسمية الحال باسم محله (قوله واذ يريكموهم) هذه الرؤية بصرية فتنصب مفعولا واحدا ان لم تدخل عليها الهمزة والا نصبت مفعولين فالكاف مفعول أول والهاء مفعول ثان وقليلا حال (قوله ايها المؤمنون) تفسير للكاف (قوله وهم الف) اى فى الواقع ونفس الامر (قوله لتقدموا عليهم) علة لقوله يريكموهم الخ (قوله ليقدموا) علة لقوله ويقللكم (قوله وهذا) أى تقليلكم فى اعينهم (قوله أراهم) أى الكفار اياهم أى المسلمين مثليهم اى مثلى الكفار وكانوا لما رأوا المسلمين قدر ألفين لتضعف قلوبهم ويتمكن المسلمون منهم فلا تنافى بين ماهنا وبين ما تقدم (قوله ليقضى الله أمرا) علة لمحذوف تقديره فعل ذلك ليقضى الخ (قوله ترجع) بالبناء للفاعل أو للمفعول قراءتان سبعيتان والامور فاعل على الاول ونائب فاعل على الثانى (قوله تصير) هذا على قراءة البناء للفاعل وأما على قراءة البناء للمفعول فمعناه ترد (قوله اذا لقيتم فئة) اى حاربتم جماعة والفئة اسم جمع لا واحد له من لفظه (قوله فاثبتوا) أمر للمؤمنين فى أى زمان (قوله ادعوه بالنصر) أى فالمراد بالذكر ما يشمل الدعاء ويصح ان يبقى الذكر على اطلاقه فيشمل ملاحظته تعالى بالقلوب وانه معهم بالعون والنصر (قوله لعلكم تفلحون) الترجى بمنزلة التحقيق لانه وعد ووعد الله لا يخلف (قوله واطيعوا الله ورسوله) اى فيما يأمركم به (قوله فتفشلوا) عطف مسبب على سبب (قوله تجبنوا) أى عن الحرب (قوله وتذهب ريحكم) عطف مسبب على سبب أيضا وهذا على الترتيب فالاختلاف ينشأ عنه الجبن والجبن ينشأ عنه ذهاب الريح (قوله قوتكم) اى ويطلق على الغلبة والرحمة والنصرة (قوله ودولتكم) الدولة فى الحرب بفتح الدال وجمعها دول بكسر الدال وأما دولة المال فبضم الدال وجمعها دول بضم الدال (قوله واصبروا) اى على قتالهم (قوله كالذين خرجوا من ديارهم) أى وهم ابو جهل ومن معه وذلك انهم لما بلغوا الجحفة وافاهم رسول ابى سفيان وقال لهم ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال ابو جهل لا والله حتى نقدم بدرا ونشرب الخمور وننحر الجزور وتضرب علينا القيان فيتسامع بذلك الناس ويهابوننا (قوله ليمنعوا عيرهم) اى ليمنعوا المسلمين عن قافلتهم التى كانت مع ابى سفيان (قوله ولم يرجعوا بعد نجاتها) قدره المفسر اشارة الى ان بطرا وما عطف عليه علة لمحذوف لا لقوله خرجوا لان خروجهم ليس للبطر بل لمنع الناس عن العير والبطر علة لعدم رجوعهم بعد نجاتها (قوله بطرا) هو وما بعده مفعول لاجله والبطر كفران النعمة وعدم شكرها (قوله القيان) جمع قينة وهى الجارية المغنية قال ابن مالك

فعل وفعلة فعال لهما * (قوله فيتسامع الناس) أى القبائل فيهابوننا وقد بدلهم الله شرب الخمور بشرب كاس الموت وضرب القيان بنوح النائحات ونحر الجزور بنحر رقابهم (قوله ويصدون) عطف على بطرا فهو فى قوة المصدر اى وصدا قال ابن مالك * واعطف على اسم شبه فعل فعلا (قوله بالياء والتاء) ظاهره انهما سبعيتان وليس كذلك بل التاء الفوقية لم يقرأ بها السبعة ولا العشرة فذكرها سبق قلم (قوله واذ زين) عطف على ولا تكونوا عطف قصة على قصة واذ ظرف معمول لمحذوف قدره بقوله اذكر (قوله لما خافوا الخروج) اى لما خافوا من اعدائهم حين الخروج من مكة لقتالهم (قوله بنى بكر) اى وهم قبيلة

(انه عليم بذات الصدور) بما فى القلوب (واذ يريكموهم) أيها المؤمنون (اذ التقيتم فى اعينكم قليلا) نحو سبعين او مائة وهم ألف لتقدموا عليهم (ويقللكم فى اعينهم) ليقدموا ولا يرجعوا عن قتالكم وهذا قبل التحام الحرب فلما التحم أراهم اياهم مثليهم كما فى آل عمران (ليقضى الله امرا كان مفعولا والى الله ترجع) تصير (الامور يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة) جماعة كافرة (فاثبتوا) لقتالهم ولا تنهزموا (واذكروا الله كثيرا) ادعوه بالنصر (لعلكم تفلحون) تفوزون (واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا) تختلفوا فيما بينكم (فتفشلوا) تجبنوا (وتذهب ريحكم) قوتكم ودولتكم (واصبروا ان الله مع الصابرين) بالنصر والعون (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم) ليمنعوا عيرهم ولم يرجعوا بعد نجاتها (بطرا ورئاء الناس) حيث قالوا لا نرجع حتى نشرب الخمور وننحر الجزور وتضرب علينا القيان ببدر فيتسامع بذلك الناس (ويصدون) الناس (عن سبيل الله والله بما يعملون) بالياء والتاء (محيط) علما فيجازيهم به (و) اذكر (اذ زين لهم الشيطان) ابليس (اعمالهم) بان شجعهم على لقاء المسلمين لما خافوا الخروج من اعدائهم بنى بكر (وقال) لهم (لا غالب لكم اليوم من الناس

وانى جار لكم) من كنانة وكان اتاهم فى صورة سراقة بن مالك سيد تلك الناحية (فلما تراءت) التقت (الفئتان) المسلمة
والكافرة ورأى الملائكة
وكان يده فى يد الحرث بن
هشام (نكص) رجع (على
عقبيه) هاربا (وقال) لما
قالوا له أتخذلنا على هذا
الحال (انى برىء منكم) من
جواركم (انى ارى مالا
ترون) من الملائكة (انى
اخاف الله) ان يهلكنى
(والله شديد العقاب اذ
يقول المنافقون والذين فى
قلوبهم مرض) ضعف
اعتقاد (غرّ هؤلاء) اى
المسلمين (دينهم) اذ
خرجوا مع قلتهم يقاتلون
الجمع الكثير توهما انهم
ينصرون بسببه قال تعالى
فى جوابهم (ومن يتوكل
على الله) يثق به يغلب
(فان الله عزيز) غالب على
امره (حكيم) فى صنعه
(ولو ترى) يا محمد (اذ يتوفى)
بالياء والتاء (الذين كفروا
الملائكة يضربون) حال
(وجوههم وادبارهم)
بمقامع من حديد (و)
يقولون لهم (ذوقوا عذاب
الحريق) اى النار وجواب
لو رأيت امرا عظيما (ذلك)
العذاب (بما قدمت
ايديكم) عبر بها دون غيرها
لان اكثر الافعال تزاول
بها (وان الله ليس بظلام)
اى بذى ظلم (للعبيد)
فيعذبهم بغير ذنب دأب
هؤلاء (كدأب) كعادة
(آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فاخذهم الله) بالعقاب (بذنوبهم) جملة كفروا وما بعدها مفسرة لما قبلها

كنانة وكانت قريبة من قريش وبينهم الحروب الكثيرة (قوله وانى جار لكم) اى مجير ومعين (قوله وكان
اتاهم الخ) قال ابن عباس جاء ابليس يوم بدر فى جند من الشياطين معه راية فى صورة رجل من رجال بنى
مدلج سراقة بن مالك فقال للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس (قوله ورأى الملائكة) اى نازلين من
السماء (قوله اتخذلنا) اى تترك نصرتنا فى هذه الحالة فعلى بمعنى فى (قوله ان يهلكنى) اى بتسليط
الملائكة على ان قلت انه من المنظرين فكيف يخاف الهلاك حينئذ اجيب بانه لشدة ما رأى من الهول
نسى الوعد بانه من المنظرين وما اشار له المفسر جواب عما يقال ان الشيطان لا خوف عنده والا لما كفر
واضل غيره واجيب ايضا بان قوله انى اخاف الله كذب ولا مانع من ذلك (قوله والله شديد العقاب)
يصح ان يكون من جملة قول الشيطان واعتذاره أو مستانف تهديد له من كلام الله تعالى (قوله اذ يقول
المنافقون) اى الكائنون بالمدينة وقوله والذين فى قلوبهم مرض اى الكائنون بمكة اذ لم يحضر وقعة بدر
منافق الا عبد الله بن ابى فقط ولم يكن فيها ضعيف ايمان (قوله توهما) مفعول لخرجوا والضمير فى بسببه
عائد على الدين (قوله يغلب) قدره اشارة الى ان جواب الشرط محذوف وقوله فان الله عزيز حكيم دليل
عليه (قوله ولو ترى) الرؤية بصرية ومفعولها محذوف تقديره حال الكفار وقت الموت ولو حرف شرط
تقلب المضارع ماضيا عكس ان (قوله بالياء والتاء) اى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الياء الامر ظاهر وعلى
التاء فلان الجمع يجوز تذكيره وتأنيثه (قوله الذين كفروا) قيل المراد جميع الكفار من وجد ومن سيوجد
وقيل المراد الكفار الذين قتلوا ببدر واختلف ايضا فى وقت الضرب فقيل عند الموت تعجيلا للمساءة
وقيل ذلك يوم القيامة ولا مانع من الجميع (قوله حال) اى من الملائكة (قوله وجوههم وادبارهم) المراد
أمامهم وخلفهم فيعممون جميع اجسادهم بالضرب (قوله بمقامع من حديد) جمع مقمعة بكسر الميم وهى
العصا من الحديد المحماة بالنار لو وضعت على جبال الدنيا لدكت (قوله وذوقوا) قدر المفسر يقولون اشارة
الى انه معطوف على يضربون فهو حال أيضا (قوله ذلك) اسم الاشارة مبتدأ وقوله بما قدمت ايديكم
متعلق بمحذوف خبر والباء سببية (قوله عبر بها الخ) دفع بذلك ما يقال ان اذاقة العذاب حاصلة بسبب
ما فعلوا بجميع اعضائهم فلم خصت الايدى فاجاب بما ذكر و بعضهم فسر الايدى بالقدر جمع قدرة
فيكون المعنى ذلك بسبب ما قدمته قدرتكم وكسبكم فان اليد تطلق ويراد بها القدرة قال تعالى يد الله فوق
أيديهم (قوله وان الله) معطوف على ما قدمت ايديكم والمعنى ذلك بسبب ما قدمت ايديكم وبسبب ان الله
ليس بظلام للعبيد ونفى الظلم عن الله كناية عن العدل فكأنه قال ذلك بسبب الذى قدمته ايديكم
وبسبب عدل الله فيكم (قوله اى بذى ظلم) دفع بذلك ما يتوهم من ظاهر الآية ان اصل الظلم ثابت لله
والمنفى كثرته فاجاب المفسر بان هذه الصيغة ليست للمبالغة بل للنسب قال ابن مالك

ومع فاعل وفعال فعل * فى نسب اغنى عن اليا فقبل

وحينئذ فقد انتفى اصل الظلم بل لا يريده اصلا قال تعالى وما الله يريد ظلما للعالمين لان الارادة لا تتعلق
الا بالجائز والظلم من الله مستحيل عقلا لان حقيقته التصرف فى ملك الغير من غير اذنه ولا يتصور العقل
ملكا لغير الله (قوله كدأب آل فرعون) الكاف متعلقة بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف قدره المفسر بقوله
دأب هؤلاء وهذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله كفروا بآيات الله) تفصيل للدأب وتفسير له كما
قال المفسر (قوله فاخذهم الله) اى اهلكهم لكن هلاك غير هذه الامة بالرجفة والزلزلة والخسف
والمسخ من كل عذاب عام وهلاك كفار هذه الامة بالسيف فالمماثلة فى مطلق الهلاك (قوله بذنوبهم)

(أن الله قوى) على ما يريده (شديد العقاب ذلك) اى تعذيب الكفرة (بان) اى بسبب ان (الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم) مبدلا لها بالنقمة (حتى يغيروا ما بأنفسهم) يبدلوا نعمتهم كفرا كتبديل كفار مكة اطعامهم (١١٤) من جوع وأمنهم من خوف وبعث النبي صلى الله عليه وسلم اليهم بالكفر والصد عن سبيل الله وقتال المؤمنين (وان الله سميع عليم كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون) قومه معه (وكل) من الامم المكذبة (كانوا ظالمين) * ونزل فى قريظة (ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم) ان لا يعينوا المشركين (ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة) عاهدوا فيها (وهم لا يتقون) الله فى غدرهم (فاما) فيه ادغام نون ان الشرطية فى ما المزيدة (تثقفنهم) تجدنهم (فى الحرب فشرد) فرق (بهم من خلفهم) من المحاربين بالتنكيل بهم والعقوبة (لعلهم) اى الذين خلفهم (يذكرون) يتعظون بهم (واما تخافن من قوم) عاهدوك (خيانة) فى عهد بامارة تلوح لك (فانبذ) اطرح عهدهم (اليهم على سواء) حال اى مستويا أنت وهم فى العلم بنقض العهد بان تعلمهم به لئلا يتهموك بالغدر (ان الله لا يحب الخائنين) ونزل فيمن افلت يوم بدر (ولا تحسبن) يا محمد (الذين كفروا سبقوا) الله اى فاتوه (انهم لا يعجزون) لا يفوتونه وفى قراءة بالتحتانية فالمفعول الاول محذوف اى أنفسهم وفى أخرى بفتح ان

الباء سببية (قوله ان الله قوى شديد العقاب) كالدليل لما قبله (قوله اى تعذيب الكفرة) اى بسبب ما قدمت أيديهم (قوله بان الله) الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر عن اسم الاشارة والجملة تعليل لمجموع المعلول وعلته السابقين (قوله لم يك) مجزوم بسكون النون المحذوفة تخفيفا قال ابن مالك

ومن مضارع لكان منجزم * تحذف نون وهو حذف ما التزم

وأصله يكون دخل الجازم فسكنت النون فالتقى ساكنان حذفت الواو لالتقائهما ثم حذفت النون تخفيفا (قوله يبدلوا نعمتهم كفرا) اى يتركوا ما يجب للنعم من شكرها والقيام بحقها و يرتكبوا عدم الشكر وعدم القيام بحقها والمعنى يبدلون ما بهم من الحال الى حال أسوأ منه فتغيرت نعمة امهالهم بمعاجلة العذاب لهم (قوله وان الله سميع) اى لاقوالكم عليم باحوالكم (قوله كدأب آل فرعون) الخ كرره تفصيلا لما قبله لانه مقام ذم وهو كالمدح البلاغة فيه الاطناب (قوله والذين من قبلهم) اى كقوم نوح وقوم هود وقوم صالح وغيرهم (قوله فاهلكناهم بذنوبهم) أى بسببها (قوله قومه معه) أشار بذلك الى أن المراد بآل فرعون هو وآله (قوله كانوا ظالمين) فيه مراعاة معنى كل ولو روعى لفظها لقيل وكل كان ظالما وكل صحيح وانما روعى معناها مراعاة للفواصل (قوله ونزل فى قريظة) اى حين قدم رسول الله المدينة وعاهدهم ان لا يحاربوه ولا يمالوا عليه فنقضوا عهده وأعانوا عليه مشركى مكة بالسلاح ثم قالوا نسينا وأخطأنا فعاهدهم الثانية فنقضوا أيضا وتمالؤا مع الكفار على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق (قوله ان شر الدواب) فى ذلك اشارة الى أنهم بمعزل من جنسهم وانما هم من جنس الدواب ومع ذلك هم شر من جميع أفرادها قال تعالى ان هم الا كالانعام بل هم أضل (قوله الذين عاهدت منهم) بدل من الموصول قبله او نعت او عطف بيان (قوله ان لا يعينوا المشركين) اى كفار مكة فنقضوا أولا وثانيا (قوله فاما تثقفنهم) اى تظفرن بهم (قوله فشرد بهم) الباء سببية والكلام على حذف مضاف اى بسبب عقوبتهم وتنكيلهم (قوله من خلفهم) مفعول لشرد والمراد بمن خلفهم كفار مكة والمعنى اذا ظفرت بقريظة فعاقبهم ليتفرق كفار مكة وغيرهم ممن نقض عهدك و يتعظوا بهم فصيرهم عبرة لغيرهم حتى لا يكون لهم قوة على محاربتك (قوله واما تخافن) خطاب عام للمسلمين وولاة الامور وان كان أصل نزولها فى قريظة (قوله فانبذ اليهم) أى أعلمهم بان لا عهد لهم بعد اليوم فشبه العهد بالشئ الذى يرمى وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشئ من لوازمه وهو النبذ فاثباته تخييل (قوله بان تعلمهم به) اى ان لم يكن غدرهم ظاهرا ظهورا بينا والا فلا يحتاج للاعلام والحاصل انه اذا ظهرت أمارات نقض العهد وجب على الامام ان ينبذ عهدهم و يعلمهم بالحرب قبل الركوب عليهم بحيث لا يعد الامام غادرا لهم وان ظهرت الخيانة ظهورا مقطوعا به فلا حاجة الى نبذ العهد ولا الاعلام بل يبادرهم بالقتال (قوله ان الله لا يحب الخائنين) تعليل للامر بنبذ العهد (قوله ونزل فيمن أفلت) اى فى الكفار الذين خلصوا وهربوا وهذا تسلية لرسول الله وأصحابه حيث حزنوا على نجاة من نجا من الكفار وكان غرضهم استئصالهم بالقتل والاسر (قوله ولا تحسبن) الخطاب لرسول الله والمعنى لا تظن يا محمد الذين كفروا فائتين الله وفارين من عقابه انهم لا يعجزونه وهذا وان كان فى أهل بدر الا ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وحسب تتعدى لمفعولين الاول الذين كفروا والثانى جملة سبقوا وهذا على قراءة التاء الفوقية واما على قراءة الياء التحتية فالذين كفروا فاعل والمفعول الاول محذوف تقديره أنفسهم كما قال المفسر والمفعول الثانى جملة سبقوا (قوله وفى قراءة بفتح ان) اى مع الياء التحتية لا غير

فالقراآت ثلاث خلافا لما يوهمه المفسر من انها اربع وحاصلها أن التاء فيها وجهان فتح ان وكسرها والياء فيها وجه واحد وهو فتح أن لاغير (قوله على تقدير اللام) اى التى للتعليل (قوله وأعدوا لهم) أى للكفار مطلقا اولناقضي العهد (قوله من قوة) بيان لما (قوله هى الرمى) هذا الحديث رواه عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة الا ان القوة الرمى ثلاثا أخرجه مسلم وقيل المراد بالقوة جميع مايتقوى به فى الحرب على العدو من سلاح ورمى وخيل ورجال ودروع وغير ذلك ولا منافاة بين هذا وبين قوله عليه الصلاة والسلام الا أن القوة الرمى لان المراد معظم القوة الرمى على حد الحج عرفة والندم توبة وهذا هو الاحسن (قوله مصدر) أى سماعى والا فالقياسي لما يقتضى الاشتراك كما تل وخاصم وضارب (قوله ترهبون به) أى بالرباط الذى هو بمعنى الربط (قوله أى كفار مكة) هذا باعتبار سبب نزول الآية والا فالعبرة بعموم اللفظ فالمراد جميع الكفار فى أى زمان (قوله وهم المنافقون) أورد عليه أن المنافقين لا يقاتلون أجيب بان المراد بارهابهم ادخال الرعب والحزن فى قلوبهم لانهم اذا شاهدوا قوة المسلمين وشهامتهم كان ذلك مرهبا ومخوفا لهم (قوله او اليهود) أو مانعة خلو فتجوز الجمع (قوله لا تعلمونهم) أى لا تعلمون بواطنهم وما انطووا عليه (قوله وما تنفقوا من شئ فى سبيل الله) أى فى جهاد الكفار (قوله يوف اليكم جزاؤه) أى فالحسنة بسبعمائة قال تعالى مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة الآية (قوله تنقصون منه شيا) اى وسماه ظلما لان وعده بالخير لا يتخلف فكانه واجب وضده مستحيل وليس المراد الظلم الحقيقى لانه التصرف فى ملك الغير ولا ملك لاحد معه (قوله وان جنحوا) اى الكفار مطلقا او بنو قريظة وعلى هذين القولين يتخرج القول بالنسخ والقول بالتخصيص الذى اشار له المفسر بقوله قال ابن عباس الخ وهذا مبنى على ان المراد بالصلح عقد الجزية واما ان اريد بالصلح غيره من الهدنة والامان فلا نسخ اذ يصح عقد ذلك لكل كافر وهذا التقرير مرور على مذهب الشافعى من ان الجزية لا تضرب الا على اهل الكتاب فقط وقال مالك ان الجزية تضرب على كل كافر صح سباؤه كان من اهل الكتاب اولا فعلى مذهبه ليس فى الآية نسخ اصلا (قوله بكسر السين وفتحها) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وتوكل على الله) اى فوض امورك له (قوله انه هو السميع العليم) تعليل لما قبله (قوله وان يريدوا ان يخدعوك) شرط حذف جوابه تقديره فصالحهم ولا تخف من غدرهم (قوله هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين) اى قواك باسباب باطنية وهى نصره لك من غير واسطة وباسباب ظاهرية وهم المؤمنون (قوله بعد الاحن) جمع احنة وهى العداوة والشحناء التى كانت بين الاوس والخزرج (قوله والف بين قلوبهم) اى بعد ان كان ما كان بينهم من البغضاء والعداوة والحروب العظيمة مائة وعشرين سنة حتى لو ان رجلا من قبيلة لطم لطمة واحدة لقاتل عنه اهل قبيلته حتى يدركوا ثارهم فلما آمنوا برسول الله زالت تلك الحالة وانقلبت العداوة محبة فى الله ورسوله فكان معجزة عظيمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله لو انفقت مافى الارض الخ) هذا امتنان من الله على نبيه بتلك النعمة العظيمة (قوله يا ايها النبى حسبك الله) قيل نزلت ببدر فالمراد بالمؤمنين الذين كانوا حاضرين وقتها فيكون فى ذلك مدح عظيم لهم ودليل على شرفهم ويؤخذ من ذلك ان المؤمنين اذا اجتمعت قلوبهم مع شخص لا يخذلون ابدا وليس فى ذلك اعتماد على غير الله لان المؤمنين ما التفت لهم الا لايمانهم وكونهم حزب الله فرجع الامر لله وقيل نزلت فى اسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد اسلام ثلاثة وثلاثين رجلا وست نسوة فيكون هو متمما للاربعين فعلى الاول الآية مدنية كبقيتها وعلى الثانى تكون الآية مكية اثناء سورة مدنية ولا مانع انها نزلت مرتين مرة بمكة يوم اسلام عمر ومرة بالمدينة فى اهل بدر

(قوله

على تقدير اللام (وأعدوا لهم) لقتالهم (ما استطعتم من قوة) قال صلى الله عليه وسلم هى الرمى رواه مسلم (ومن رباط الخيل) مصدر بمعنى حبسها فى سبيل الله (ترهبون) تخوفون (به عدو الله وعدوكم) اى كفار مكة (وآخرين من دونهم) اى غيرهم وهم المنافقون او اليهود (لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف اليكم) جزاؤه (وانتم لا تظلمون) تنقصون منه شيا (وان جنحوا) مالوا (للسلم) بكسر السين وفتحها الصلح (فاجنح لها) وعاهدهم قال ابن عباس هذا منسوخ بآية السيف ومجاهد مخصوص باهل الكتاب او نزلت فى بنى قريظة (وتوكل على الله) ثق به (انه هو السميع) للقول (العليم) بالفعل (وان يريدون ان يخدعوك) بالصلح ليستعدوا لك (فان حسبك) كافيك (الله هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين والف) جمع (بين قلوبهم) بعد الاحن (لو انفقت مافى الارض جميعا ماالفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم) بقدرته (انه عزيز) غالب على امره (حكيم) لا يخرج شئ عن حكمته (يا ايها النبي حسبك الله

(قوله ومن اتبعك) معطوف على لفظ الجلالة (قوله حرض المؤمنين على القتال) أي امرهم امرا أكيدا او رغبهم فيه (قوله ان يكن منكم) اما تامة وفاعلها عشرون ومنكم حال واما ناقصة فعشرون اسمها ومنكم خبرها وهكذا يقال فيما بعدها ويكن وقع هنا خمس مرات الاول والرابع بالياء لاغير والثانى والثالث والخامس بالياء والتاء كما سيأتى للمفسر فما سكت عنه فبالياء لاغير وما نبه عليه ففيه الوجهان (قوله صابرون) اى محتسبون اجرهم عند الله وهذا خبر بمعنى الامر لاملة المسلمين وكثرة الكافرين وحكمة ذلك التكليف ان المسلمين وليهم الله فهم معتمدون عليه ومتوكلون عليه فبذلك الوصف كان الواحد مكلفا بقتال عشرة واما الكفار فلا ناصر لهم وهم معتمدون على قوتهم وذلك داع للضعف والهزيمة وفى الآية من المحسنات البديعية الاحتباك وهو الحذف من كل نظير ما اثبت فى الآخرة فقد أثبت صابرون فى الاول وحذف الذين كفروا منه وأثبت الذين كفروا فى الثانى وحذف لفظ الصبر منه (قوله وهذا خبر بمعنى الامر) اى وقد كان هذا فى صدر الاسلام وكان فرار المائة من الالف حراما ثم نسخ (قوله بضم الضاد وفتحها) اى فيهما قراءتان سبعيتان والمراد الضعف فى الابدان لكثرة العبادة والتعب فرحمهم الله واكرمهم وايضا علم الله ضعف من يأتى بعد الصدر الاول عن القتال فخفف الله عن الجميع (قوله وهو خبر بمعنى الامر) اى وقد استمر ذلك الامر الى يوم القيامة (قوله ونزل لما اخذوا الفداء من اسرى بدر) اى وكانوا سبعين من صناديدهم روى انه لما جيء بالاسارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقولون فى هؤلاء فقال ابو بكر يارسول الله اهلك وقومك استبقهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فداء يكون لنا قوة على الكفار وقال عمر يارسول الله كذبوك واخرجوك قدمهم نضرب اعناقهم مكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ومكن حمزة من العباس يضرب عنقه فان هؤلاء أئمة الكفر وقال ابن رواحة انظر واديا كثيرا الحطب فادخلهم فيه ثم اضرمه عليهم نارا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجبهم ثم دخل فقال ناس يأخذ بقول ابى بكر وقال ناس يأخذ بقول عمر وقال ناس يأخذ بقول ابن رواحة ثم خرج رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن ويشد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ومثل عيسى قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ومثل موسى قال ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم الآية ثم قال رسول الله اليوم انتم عالة فلا يفلتن احد منهم الا بفداء او ضرب عنقه قال عمر ابن الخطاب فهوى رسول الله ما قال ابو بكر ولم يهو ما قلت واخذ منهم الفداء وهو عن كل واحد عشرون اوقية من الذهب وقيل اربعون اوقية الا العباس فاخذ منه ثمانون اوقية عن نفسه وعن ابنى اخيه عقيل ابن ابى طالب ونوفل بن الحرث ثمانون واخذ منه وقت الحرب عشرون فجملة ما اخذ منه مائة وثمانون اوقية قال عمر فلما كان من الغد جئت فاذا رسول الله وابو بكر يبكيان قلت يارسول الله اخبرنى من اى شيء تبكى انت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد تباكيت لبكائكما فقال رسول الله ابكى للذى عرض لاصحابى من اخذهم الفداء فقد عرض على عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية وهذا من باب حسنات الابرار سيئات المقربين فرسول الله لم يفعل الا ما يباح له وانما عتابه تعليما لمن يتولى الامور من امته حسن السياسة من انه لا يقبل الفداء من الكفار حتى يكون قادرا عليهم وظافرا بهم (قوله بالتاء والياء) اى فهما قراءتان سبعيتان لكن على الفوقية تتعين الامالة فى اسرى وعلى التحتية تجوز الامالة وعدمها (قوله حتى يثخن فى الارض) اى حتى تظهر شوكة الاسلام وقوته وذل الكافرين (قوله عرض الدنيا) اى متاعها سمى عرضا لزواله وعدم ثباته

و) حسبك (من اتبعك من المؤمنين يا ايها النبى حرض) حث (المؤمنين على القتال) للكفار (ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين) منهم (وان يكن) بالياء والتاء (منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم) اى بسبب انهم (قوم لا يفقهون) وهذا خبر بمعنى الامر اى ليقاتل العشرون منكم المائتين والمائة الالف ويثبتوا لهم ثم نسخ لما كثروا بقوله (الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا) بضم الضاد وفتحها عن قتال عشرة امثالكم (فان يكن) بالياء والتاء (منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين) منهم (وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله) بارادته وهو خبر بمعنى الامر اى لتقاتلوا مثليكم وتثبتوا لهم (والله مع الصابرين) بعونه * ونزل لما اخذوا الفداء من اسرى بدر (ما كان لنبى ان تكون) بالتاء والياء (له اسرى حتى يثخن فى الارض) يبالغ فى قتل الكفار (تريدون) ايها المؤمنون (عرض الدنيا) حطامها باخذ الفداء

(والله يريد) لكم (الآخرة) اى ثوابها بقتلهم (والله عزيز حكيم) وهذا منسوخ بقوله فاما منا بعد واما فداء (لولا كتاب من الله سبق) باحلال الغنائم والاسرى لكم (لمسكم فيما اخذتم) من الفداء (عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم يا أيها النبي قل لمن فى ايديكم من الاسارى) وفى قراءة الاسرى (ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا) ايمانا واخلاصا (يؤتكم خيرا مما اخذ منكم) من الفداء بان يضعفه لكم فى الدنيا ويثيبكم فى الآخرة (ويغفر لكم) ذنوبكم (والله غفور رحيم وان يريدوا) اى الاسرى (خيانتك) بما اظهروا من القول (فقد خانوا الله من قبل) قبل بدر بالكفر (فامكن منهم) ببدر قتلا واسرا فليتوقعوا مثل ذلك ان عادوا (والله عليم) بخلقه (حكيم) فى صنعه (ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله) وهم المهاجرون (والذين آووا) النبي صلى الله عليه وسلم (ونصروا) وهم الانصار (أولئك بعضهم أولياء بعض) فى النصرة والارث (والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم) بكسر الواو وفتحها (من شئ) فلا ارث بينكم وبينهم ولا نصيب لهم فى الغنيمة (حتى يهاجروا) وهذا (قوله

(قوله والله يريد الآخرة) اى رضاها لكم (قوله وهو منسوخ) اى قوله ما كان لنبى ان تكون له اسرى هكذا مشى المفسر على هذا القول وهو ضعيف بل ماهنا مقيد بالاثخان اى كثرة القتال المترتب عليها عز الاسلام وقوته وما ياتى فى سورة القتال من التخيير محله بعد ظهور شوكة الاسلام حيث قال فاذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاذا علمت ذلك فالآيتان متوافقتان فى ان كلا يدل على انه لابد من تقديم الاثخان ثم بعده الفداء (قوله لولا كتاب) لولا حرف امتناع لوجود وكتاب مبتدا وجملة من الله صفة له وكذا قوله سبق والخبر محذوف تقديره موجود والمعنى لولا وجود حكم من الله مكتوب باحلال الغنائم لمسكم الخ فهو عتاب على ترك الاولى لا على فعل منهى عنه تنزه الرسول الله عن مثل ذلك (قوله فيما أخذتم) اى بسبب ما أخذتم ففى للسببية (قوله حلالا) اى اكلا حلالا (قوله طيبا) اى خالصا لاشبهة فيه (قوله يا أيها النبي قل لمن فى ايديكم من الاسارى) نزلت فى العباس عم رسول الله وكان احد العشرة الذين ضمنوا ان يطعموا الناس الذين خرجوا من مكة لبدر وكان معه عشرون اوقية من ذهب فلما اخذ اسيرا اخذت منه فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحسبها من فدائه فابى وقال له شئ خرجت به لتستعين به علينا فلا نتركه لك فقال العباس يا محمد أتتركنى أتكفف قريشا ما بقيت فقال رسول الله فاين الذهب الذى وضعته عند ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها انى لا أدرى ما يصيبنى فى وجهى هذا فان حدث بى حادث فهذا المال لك ولعبد الله ولعبيد الله وللفضل فقال العباس وما يدريك يا ابن أخى فانى اعطيتها اياه فى سواد الليل ولم يطلع عليه احد الا الله فقال اخبرنى به ربى فقال اشهد ان لا اله الا الله وأشهد انك عبده ورسوله وانك صادق وامر ابنى اخيه عقيلا ونوفل بن الحرث فاسلما فنزل قوله تعالى يا أيها النبي الآية فكان العباس يقول ابدلنى الله خيرا مما اخذ منى عشرين عبدا تجارا يضربون بمال كثير ادناهم يضرب بعشرين الفا مكان العشرين اوقية واعطانى زمزم وما احب ان لى بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربى (قوله من الاسارى) بالامالة لاغير (قوله وفى قراءة الاسرى) اى بالامالة وتركها فالقراآت ثلاث وكلها سبعية (قوله من الفداء) بيان لما (قوله خيانتك) اى بنقض العهد الذى عاهدوك عليه وهو ان لا يحاربوك ولا يعاونوا عليك المشركين (قوله بما اظهروا من القول) اى قولهم رضينا بالاسلام (قوله فليتوقعوا) هذا فى الحقيقة جواب الشرط الذى هو قوله وان يريدوا خيانتك (قوله ان الذين آمنوا وهاجروا) اى سبق لهم الايمان والانتقال مع رسول الله من مكة الى المدينة وهم السابقون الاولون الذين حضروا الغزوات قبل الفتح الذين قال الله فيهم للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون (قوله باموالهم وأنفسهم) متعلق بجاهدوا اى بذلوا اموالهم وأنفسهم فى سبيل الله (قوله والذين آووا النبى) اى والمهاجرين ولم يذكرهم المفسر لانهم تبع لرسول الله (قوله وهم الانصار) اى الذين قال الله فيهم والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة (قوله فى النصرة والارث) اى فكان الانصار ينصرون المهاجرين وبالعكس وكان المهاجرى يرث الانصارى الذى آخاه معه رسول الله وبالعكس (قوله ولم يهاجروا) اى بان اقاموا بمكة (قوله بكسر الواو وفتحها) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله من شئ) من زائدة وشئ مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله (قوله فلا ارث بينكم وبينهم) اى لا ارث بين المهاجرين والانصار وبين الذين لم يهاجروا (قوله ولا نصيب لهم فى الغنيمة) اعترض بان الغنيمة لا ياخذها الا من قاتل وهؤلاء لم يقاتلوا فالاولى حذف هذه العبارة (قوله وهذا منسوخ) اسم الاشارة عائد على ما تقدم من ان الارث بين المهاجرين والانصار ثابت بالايمان والهجرة ومنفى بين من لم يهاجر وبين الانصار والمهاجرين

منسوخ بآخر السورة (وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر) لهم على الكفار (الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) عهد فلا

تنصروهم عليهم وتنقضوا عهدهم (والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض) في النصرة والارث فلا ارث بينكم وبينهم (الا تفعلوه) اى تولى المسلمين وقطع الكفار (تكن فتنة في الارض وفساد كبير) بقوة الكفر وضعف الاسلام (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم) في الجنة (والذين آمنوا من بعد) اى بعد السابقين الى الايمان والهجرة (وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم) ايها المهاجرون والانصار (وأولوا الارحام) ذووا القرابات (بعضهم اولى ببعض) في الارث من التوارث بالايمان والهجرة المذكورة في الآية السابقة (في كتاب الله) اللوح المحفوظ (ان الله بكل شئ عليم) ومنه حكمة الميراث

﴿سورة التوبة مدنية أو الا الآيتين آخرها مائة وثلاثون أو الا آية﴾

ولم تكتب فيها البسملة لانه صلى الله عليه وسلم لم يامر بذلك كما يؤخذ من حديث رواه الحاكم واخرج في معناه عن علي ان البسملة أمان وهي نزلت لرفع الامن بالسيف وعن حذيفة انكم تسمونها سورة التوبة وهي سورة العذاب وروى البخاري عن البراء

(قوله بآخر السورة) أي وهو قوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض (قوله وان استنصروكم في الدين) أي طلبوا منكم النصرة لاجل اعزاز الدين والضمير عائد على الذين آمنوا ولم يهاجروا (قوله الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) اى من الكفار وهم اهل مكة (قوله وتنقضوا عهدهم) أي الصلح الكائن بالحديبية سنة ست على ترك القتال عشر سنين (قوله في النصرة والارث) اى فهما ثابتان بين الكفار بعضهم لبعض (قوله فلا ارث بينكم وبينهم) اى ولا نصرة (قوله الا تفعلوه) ان شرطية مدغمة في لا النافية وتفعلوه فعل الشرط وتكن جواب الشرط والمعنى ان لم تفعلوا ما ذكر من تولي المؤمنين وقطع الكفار بل توليتم الكفار وقطعتم المؤمنين تكن فتنة في الارض وفساد كبير لانه يترتب على ذلك قوة الكفار وضعف المسلمين وهذا ما حل به المفسر و يحتمل ان لا زائدة والمعنى ان تفعلوا ما نهيتم عنه من موالاة الكفار وقطع المؤمنين (قوله والذين آمنوا وهاجروا الخ) ليس مكررا مع ما تقدم لان ما هنا بيان لفضلهم وما تقدم بيان لكونهم اولياء بعض وايضا ما تقدم في الهجرة قبل عام الحديبية وما هنا في الهجرة قبل الفتح كان قبل الحديبية أو بعدها (قوله اولئك هم المؤمنون حقا) أي الكاملون في الايمان بلا شك (قوله لهم مغفرة) أي لذنوبهم (قوله ورزق كريم) اى لا تعب فيه ولا مشقة ويؤخذ من هذه الآية أن جميع المهاجرين والانصار مبشرون بالجنة من غير سابقة عذاب وأما ما ورد من ان المبشرين عشرة فلانهم جمعوا في حديث واحد (قوله من بعد) اى بعد الحديبية قبل الفتح ولانه بعد الفتح لا هجرة (قوله فاولئك منكم) اى محسوبون منكم وفي الآية دليل على ان المهاجرين الاولين اعلى واجل من المتأخرين بالهجرة لان الله ألحقهم بهم ومن المعلوم ان المفضول يلحق بالفاضل (قوله واولوا الارحام) هذه الآية نزلت بعد الفتح وهي ناسخة للآية المتقدمة وهي ميراث المهاجرين للانصار (قوله من التوارث) متعلق باولى (قوله اى اللوح المحفوظ) وقيل المراد به القرآن لان قسمة المواريث مذكورة في سورة النساء من كتاب الله وهو القرآن (قوله ومنه حكمة الميراث) اى التوارث بمقتضى الايمان والهجرة بدون قرابة ونسخه والتوارث بالقرابة

﴿سورة التوبة﴾

مبتدأ أو مدنية خبر اول ومائة الخ خبر ثان (قوله او الا الآيتين) اشارة الى قول آخر (قوله آخرها) حال من آيتين واولهما لقد جاءكم رسول فعلى انهما مكيتان يكون معنى قوله فقل حسبي الله اكتف بالله واترك قتالهم و يكون منسوخا بآية السيف وعلى انهما مدنيتان يكون المعنى كن مستعينا بالله واثقا به في قتالهم ولا نسخ وهذه السورة من آخر القرآن نزولا لانها نزلت بعد عزة الاسلام وانتشاره (قوله ولم تكتب فيها البسملة الخ) جواب عما يقال ان كل سورة مبتدأة بالبسملة الا هذه السورة فما الحكمة في ذلك فاجاب بان رسول الله لم يامر بذلك اى لكونه لم ينزل عليه وحي بها وهذا أصح الاقوال ولذا صدر به المفسر وحاصل الخلاف في حكمة عدم الاتيان بالبسملة خمسة اقوال اولها ما قاله المفسر الثاني انه سئل عثمان عن ذلك فاجاب بانه ظن انها مع الانفال سورة لان قصتها تشبه قصتها فعلى هذا القول تكون مع الانفال تمام السبع الطوال الثالث انها نزلت لنقض عهد الكفار وفضيحة المنافقين فهي سورة عذاب والبسملة رحمة ولا تجتمع رحمة مع عذاب وتسمى ايضا الفاضحة لفضيحة المنافقين بها وسورة العذاب وسورة التوبة لاشتمالها على ذكرها وغير ذلك من اسمائها الرابع تركت البسملة لاختلاف الصحابة في ان الانفال و براءة سورة واحدة أو سورتان فتركت البسملة لقول من قال هما سورة واحدة وتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان الخامس ان ذلك على عادة العرب في الجاهلية اذا كان بينهم و بين قوم عهد فارادوا نقضه كتبوا اليهم كتابا ولم يكتبوا فيه البسملة وهذه

السورة نزلت لنقض عهود المشركين فلم تكتب فيها ثم اختلف العلماء فى ابتداء تلك السورة بها فقال ابن حجر من الشافعية بالحرمة وقال الرملى بالكراهة وفى الاثناء يكره عند الاول ويجوز عند الثانى ومذهب مالك كذلك وقد اشار لذلك صاحب الشاطبية بقوله

ومهما تصلها او بدأت براءة * لتنزيلها بالسيف لست مبسملا

ولا بد منها فى ابتدائك سورة * سواها وفى الاجزاء خير من تلا

(قوله انها آخر سورة نزلت) اى من الآخر والا فالمائدة متاخرة عنها وهذه السورة نزلت كاملة لما ورد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما نزل على القرآن الا آية آية وحرفا حرفا الا سورة براءة وسورة قل هو الله احد فانهما نزلتا ومعهما سبعون الف صف من الملائكة (قوله براءة) اشار المفسر الى ان براءة خبر لمحذوف قدره بقوله هذه (قوله الى الذين عاهدتم) متعلق بمحذوف صفة لبراءة قدره المفسر بقوله واصلة والمعنى هذه قطع وصلة صادرة من الله ورسوله واصلة الى الذين عاهدتم من المشركين (قوله ونقض العهد) اى فى الصور الثلاثة (قوله فسيحوا) امر اباحة للمشركين وهو مقول لقول محذوف والتقدير فقولوا لهم سيحوا وهذا بيان لعقد الامان لهم اربعة اشهر وانما اقتصر عليها لقوة الاسلام وكثرة المسلمين بخلاف صلح الحديبية فكان عشر سنين لضعف المسلمين اذ ذاك (قوله اولها شوال) اى وآخرها المحرم وقيل اولها عاشر ذى القعدة وآخرها العاشر من ربيع الاول لان الحج فى تلك السنة كان فى العاشر من ذى القعدة بسبب النسئ ثم صار فى السنة القابلة فى العاشر من ذى الحجة وفيها حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلقه الله الحديث وقيل اولها عاشر ذى الحجة وآخرها عاشر ربيع الثانى (قوله بدليل ماسياتى) اى فى قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم (قوله واعلموا انكم الخ) اى فلا تغتروا بعقد الامان لكم (قوله واذان) معطوف على قوله براءة من الله ورسوله عطف مفصل على مجمل (قوله اعلام) اى فالمراد الاذان اللغوى لا الشرعى الذى هو الاعلام بالفاظ مخصوصة (قوله يوم النحر) انما سمى يوم الحج الاكبر لان معظم افعال الحج يكون فيه كالطواف والرمى والنحر والحلق واحترز بالحج الاكبر عن العمرة فهى الحج الاصغر لان اعمالها اقل من اعمال الحج لانه يزيد عليها بامور كالرمى والمبيت والوقوف (قوله ان الله برئ الخ) هذه الجملة خبر عن قوله واذان وقوله يوم الحج الاكبر ظرف للاذان والمعنى واعلام من الله ورسوله الى الناس كائن فى يوم الحج الاكبر بان الله برئ الخ (قوله ورسوله) القراء السبعة بل العشرة على الرفع عطف على الضمير المستتر فى برئ ووجد الفاصل وهو قوله من المشركين ويصح ان يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره برئ منهم ايضا وقرئ شاذا بالنصب ووجهت بوجهين الاول ان الواو بمعنى مع ورسوله مفعول معه الثانى انه معطوف على اسم ان وهو لفظ الجلالة وقرئ شاذا ايضا بالجر ووجهت بان الواو للقسم واستبعدت تلك القراءة لايهام عطفه على المشركين حتى ان بعض الاعراب سمع رجلا يقرأ بها فقال الاعرابى ان كان الله بريأ من رسوله فانا برئ منه فلببه القارئ الى عمر فحكى الاعرابى الواقعة فامر عمر بتعليم العربية وتحكى هذه ايضا عن على وابى الاسود الدؤلى (قوله وقد بعث الخ) حاصل ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاهد قريشا يوم الحديبية على ان يضعوا الحرب عشر سنين يامن فيها الناس ودخلت خزاعة فى عهد رسول الله ودخلت بنو بكر فى عهد قريش ثم عدت بنو بكر على خزاعة واعانتهم قريش بالسلاح فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا عهدهم خرج عمرو بن سالم الخزاعى ووقف على رسول الله واخبره بالخبر فقال رسول الله لا نصرت ان لم انصرك وتجهز الى مكة ففتحها سنة ثمان من الهجرة فلما كان سنة تسع

انها آخر سورة نزلت * هذه (براءة من الله ورسوله) واصلة (الى الذين عاهدتم من المشركين) عهدا مطلقا او دون اربعة اشهر او فوقها ونقض العهد بما يذكر فى قوله (فسيحوا) سيروا آمنين ايها المشركون (فى الارض اربعة اشهر) اولها شوال بدليل ماسياتى ولا امان لكم بعدها (واعلموا انكم غير معجزى الله) اى فائتى عذابه (وان الله مخزى الكافرين) مذلهم فى الدنيا بالقتل والاخرى بالنار (واذان) اعلام (من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر) يوم النحر (ان) اى بان (الله برئ من المشركين) وعهودهم (ورسوله) برئ ايضا وقد بعث النبى صلى الله عليه وسلم عليا من السنة وهى سنة تسع فاذن يوم النحر بمنى

ارادرسول الله ان يحج فقيل ان المشركين يحضرون ويطوفون بالبيت عراة فقال لا احب ان احج حتى لا يكون ذلك فبعث ابا بكر تلك السنة اميرا على الموسم ليقيم للناس الحج و بعث معه اربعين آية من صدر براءة آخرها ولو كره المشركون ثم بعث بعده عليا على ناقته العضباء ليقرأ على الناس صدر براءة فلحق أبا بكر بالعرج بفتح العين وسكون الراء قرية جامعة بينها و بين المدينة ستة وسبعون ميلا فلما تلاقيا ظن ابو بكر انه معزول فرجع الى رسول الله فقال يارسول الله أأنزل فى شانى شيء فقال لا ولكن لا ينبغى لاحد ان يبلغ هذا الا رجل من اهلى اما ترضى يا أبا بكر انك كنت معى فى الغار وانك معى على الحوض فقال بلى يارسول الله فسار ابو بكر اميرا على الحاج وعلى بن أبى طالب يؤذن ببراءة فلما كان قبل يوم التروية بيوم قام ابو بكر فخطب الناس وحدثهم عن مناسكهم واقام للناس الحج حتى اذا كان يوم النحر قام على فاذن بما امر به وهو لا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه و بين النبى عهد فهو منقوض ومن لم يكن له عهد فاجله أربعة اشهر ولا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا فى الحج ثم حج رسول الله سنة عشر حجة الوداع اذا علمت ذلك تعلم ان هذه الآيات نزلت بعد فتح مكة فى نقض عهود ماعدا قريشا فان قريشا تم امرهم بفتح مكة وفى ذلك قال المفسرون لما خرج رسول الله الى تبوك فكان المنافقون يرجفون الاراجيف وجعل المشركون ينقضون عهودا كانت بينهم و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر الله عزوجل بنقض عهودهم وذلك قوله تعالى واما تخافن من قوم خيانة الآية ففعل رسول مالمر به ونبذلهم عهودهم (قوله بهذه الآيات) اى وهى ثلاثون اواربعون آية آخرها ولو كره المشركون (قوله وان لا يحج) أى و بان لا يحج فهو وما بعده من جملة ما اذن به (قوله فهو) اى التوبة المفهومة من قوله تبتم (قوله خير لكم) اى من بقائكم على الكفر الذى هو خير فى زعمكم او اسم التفضيل ليس على بابه (قوله اخبر) اشار بذلك الى ان المراد بالبشارة مطلق الاخبار وعبر عنه بالبشارة تهكما بهم (قوله الا الذين عاهدتم) استثناء من المشركين فى قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين وهو منقطع والتقدير لكن الذين عاهدتم فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم وهذا اولى من جعله متصلا لما يلزم عليه من الفصل بين المستثنى والمستثنى منه (قوله ثم لم ينقصوكم) قرأ الجمهور بالصاد المهملة من النقصان وهو يتعدى لواحد واثنين فالكاف مفعول اول وشيا اما مفعول ثان اومصدر اى لا قليلا ولا كثيرا من النقصان وقرئ شذوذا بالضاد والمعنى لم ينقضوا عهدكم وهى مناسبة لذكر العهد والقراءة الاولى مناسبة لذكر التمام فى مقابلتها (قوله ولم يظاهروا) اى هؤلاء المشركون وهم بنو ضمرة حى من كنانة (قوله الى مدتهم) اى وكان قد بقى من مدتهم تسعة اشهر (قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم) اى انقضت وفرغت و تقدم للمفسر ان هذا يدل على ان اول المدة شوال وهو احد اقوال ثلاثة تقدمت (قوله حيث وجدتموهم) اى فى اى مكان (قوله واقعدوا لهم كل مرصد) اى لئلا ينتشروا فى البلاد (قوله وأقاموا الصلاة الخ) المراد أتوا باركان الاسلام وانما اقتصر على الصلاة والزكاة لانهما رأس الاعمال البدنية والمالية (قوله ولا تتعرضوا لهم) اى لا لانفسهم ولا لاموالهم فلا تاخذوا منهم جزية ولا اعشارا ولا غير ذلك (قوله وان احد من المشركين) ان حرف شرط جازم واحد فاعل بفعل محذوف يفسره قوله استجارك وهو فعل الشرط وقوله فاجره جواب الشرط وانما اعرب احد فاعلا بفعل محذوف لان أدوات الشرط لا يليها الا الافعال لفظا او تقديرا سيان (قوله حتى يسمع كلام الله) اى فيتدبره و يعلم كيفية الدين وما انطوى عليه من المحاسن (قوله ثم ابلغه مامنه) اى ان اراد الانصراف ولم يسلم وصله الى قومه ليتدبر فى امره ثم بعد ذلك يجوز لك قتالهم لقيام

بهذه الآيات وان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان رواه البخارى (فان تبتم) من الكفر (فهو خير لكم وان توليتم) عن الايمان (فاعلموا انكم غير معجزى الله و بشر) اخبر (الذين كفروا بعذاب اليم) مؤلم وهو القتل والاسر فى الدنيا والنار فى الآخرة (الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيا) من شروط العهد (ولم يظاهروا) يعاونوا (عليكم احدا) من الكفار (فاتموا اليهم عهدهم الى) انقضاء (مدتهم) التى عاهدتم عليها (ان الله يحب المتقين) باتمام العهود (فاذا انسلخ) خرج (الاشهر الحرم) وهى آخر مدة التاجيل (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) فى حل اوحرم (وخذوهم) بالاسر (واحصروهم) فى القلاع والحصون حتى يضطروا الى القتل او الاسلام (واقعدوا لهم كل مرصد) طريق يسلكونه ونصب كل على نزع الخافض (فان تابوا) من الكفر (وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فخلوا سبيلهم) ولا تتعرضوا لهم (ان الله غفور رحيم) لمن تاب (وان احد من المشركين) مرفوع بفعل يفسره (استجارك) استامنك من القتل (فاجره) امنه (حتى يسمع كلام الله) القرآن (ثم ابلغه مامنه) اى موضع امنه وهو دار قومه ان لم يؤمن لينظر فى امره (ذلك)

المذكور (بانهم قوم لا يعلمون) دين الله فلا بد لهم من سماع القرآن ليعلموا (كيف) اى لا (يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله
وهم كافرون بهما غادرون (الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام) يوم الحديبية وهم قريش المستثنون من قبل (فما

استقاموا لكم) اقاموا على العهد ولم ينقضوه (فاستقيموا لهم) على الوفاء به وما شرطية (ان الله يحب المتقين) وقد استقام صلى الله عليه وسلم على عهدهم حتى نقضوا باعانة بنى بكر على خزاعة (كيف) يكون لهم عهد (وان يظهروا عليكم) يظفروا بكم (لا يرقبوا) يراعوا (فيكم إلا) قرابة (ولا ذمة) عهدا بل يؤذوكم ما استطاعوا وجملة الشرط حال (يرضونكم بافواههم) بكلامهم الحسن (وتابى قلوبهم) الوفاء به (واكثرهم فاسقون) ناقضون للعهد (اشتروا بآيات الله) القرآن (ثمنا قليلا) من الدنيا اى تركوا اتباعها للشهوات والهوى (فصدوا عن سبيله) دينه (انهم ساء) بئس (ما كانوا يعملونه) عملهم هذا (لا يرقبون فى مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم) اى فهم اخوانكم (فى الدين ونفصل) نبين (الآيات لقوم يعلمون) يتدبرون (وان نكثوا) نقضوا
(ايمانهم) مواثيقهم (من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم) عابوه (فقاتلوا ائمة الكفر)
رؤساءه فيه وضع الظاهر موضع المضمر (انهم لا ايمان) عهود (لهم) وفى قراءة بالكسر (لعلهم ينتهون) عن الكفر (الا) للتحضيض

الحجة عليهم (قوله المذكور) اى من الاجارة والابلاغ (قوله ليعلموا) اى ما لهم من الثواب ان آمنوا وما عليهم من العقاب ان لم يؤمنوا (قوله اى لا يكون) اشار بذلك الى ان الاستفهام للتعجب بمعنى النفى وهذا تاكيد لابطال عهدهم ونقضه فى الآية المتقدمة (قوله الا الذين عاهدتم) يصح ان يكون الاستثناء منقطعا او متصلا فعلى الانقطاع يكون الموصول مبتدا خبره جملة الشرط وهى قوله فما استقاموا لكم الخ وعلى الاتصال يكون الموصول منصوبا على الاستثناء (قوله يوم الحديبية) اسم مكان بينه وبين مكة ستة فراسخ (قوله وهم قريش المستثنون من قبل) اى فى قوله الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا وقد تبع المفسر فى ذلك ابن عباس وهو مشكل لان هذه الآيات نزلت فى شوال فى السنة التاسعة وقريش اذ ذاك مسلمون لانها كانت نقضت فى السنة السابعة وحصل الفتح فى الثامنة فالصواب كما قال الخازن ان ذلك محمول على بنى ضمرة الذين دخلوا فى عهد قريش يوم الحديبية مع جملة من القبائل فكلهم نقضوا الا بنى ضمرة فلم ينقضوا فلذا أمر رسول الله باتمام عهدهم الى مدتهم (قوله وما شرطية) أى بمعنى ان ويصح كونها مصدرية ظرفية اى فاستقيموا لهم مدة استقامتهم لكم (قوله حتى نقضوا باعانة بنى بكر على خزاعة) هذا مبنى على ما فهمه اولا ولو مشى على الصواب لقال حتى فرغت مدتهم (قوله كيف يكون لهم عهد) كرر الاستفهام زيادة فى التاكيد (قوله إلا) مفعول ليرقبوا وجمعه إلال كقداح (قوله قرابة) وقيل المراد به العهد وقيل المراد به الله تعالى وقيل الجؤار وهو رفع الصوت عند المحالفة لانهم كانوا يفعلون ذلك عند المحالفة والاقرب ما قاله المفسر (قوله عهدا) اى فالعطف للتفسير على تفسير الال بالعهد (قوله يرضونكم) هذا بيان لحالهم عند عدم الظفر بالمسلمين اثر بيان حالهم عند الظفر بهم (قوله وتابى قلوبهم) اى تمتنع من الاذعان والوفاء بما أظهروه (قوله اشتروا بآيات الله) اى استبدلوا آيات الله بالاعراض الفانية والشهوات الزائلة (قوله فصدوا عن سبيله) اى منعوا الناس من اتباع دين الاسلام والايمان (قوله انهم ساء ما كانوا يعملون) اى لضلالهم وكفرهم واضلالهم غيرهم (قوله لا يرقبون فى مؤمن) كرر ذلك لمزيد التشنيع والتقبيح عليهم لان مقام الذم كمقام المدح البلاغة فيه الاطناب (قوله فان تابوا الخ) ليس فيه تكرار مع ما تقدم لاختلاف جواب الشرط لان الاول افاد تخلية سبيلهم وهنا افاد انهم اخواننا فى الدين (قوله اى فهم اخوانكم) اشار بذلك الى ان اخوانكم خبر لمحذوف والجملة فى محل جزم جواب الشرط (قوله يتدبرون) اى يتعظون فيؤمنون وانما فسر العلم بالتدبر لان المراد به علم يحصل معه الاذعان لا مطلق علم (قوله وان نكثوا) النكث فى الاصل الرجوع الى خلف ثم استعمل فى النقض مجازا بجامع ان كلا متاخر عن مطلوبه وهو مقابل قوله فان تابوا الخ والمعنى فان اظهروا ما فى ضمائرهم من الشر فقاتلوا الخ (قوله وطعنوا فى دينكم) عطف تفسير او سبب على مسبب والاقرب الاول (قوله فقاتلوا) امر لسيدنا محمد وامته (قوله أئمة الكفر) بتحقيق الهمزتين وادخال الف بينهما وتركه وتسهيل الثانية مع ادخال الف بينهما وتركه وبابدال الثانية ياء فهذه خمس قراآت غير شاذة هنا وفى الانبياء وفى موضعى القصص وفى السجدة واصله أأممة بوزن أفعلة اريد ادغام احد الميمين فى الاخرى فنقلت حركة الميم الاولى للساكن قبلها وهو الهمزة الثانية (قوله فيه وضع الظاهر الخ) اى زيادة فى التقبيح عليهم حيث وصفهم بكونهم رؤساء فى الكفر وكان مقتضى الظاهر فقاتلوهم (قوله لا أيمان لهم) بفتح الهمزة جمع يمين بمعنى الحلف والمعنى لا عهود لهم متممة (قوله وفى قراءة بالكسر) اى فيكون مصدر آمن بمعنى اعطاه الامان او من الايمان وهو التصديق (قوله الا للتحضيض) اى وهو الطلب بحث وازعاج

(تقاتلون قوما نكثوا) نقضوا (أيمانهم) عهودهم (وهموا باخراج الرسول) من مكة لما تشاوروا فيه بدار الندوة (وهم بدؤكم) بالقتال (أول مرة)
حيث قاتلوا خزاعة حلفاءكم مع بنى بكر فما يمنعكم ان تقاتلوهم (أتخشونهم) أتخافونهم (فالله احق ان

تخشوه) فى ترك قتالهم (ان كنتم مؤمنين قاتلوهم يعذبهم الله) يقتلهم (بأيديكم ويخزهم) يذلهم بالاسر والقهر (وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين) بما فعل بهم هم بنو خزاعة (ويذهب غيظ قلوبهم) كربها (ويتوب الله على من يشاء) بالرجوع الى الاسلام كأبى سفيان (والله عليم حكيم أم) بمعنى همزة الانكار (حسبتم ان تتركوا ولما) لم (يعلم الله) علم ظهور (الذين جاهدوا منكم) بالاخلاص (ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) بطانة واولياء المعنى ولم يظهر المخلصون وهم الموصوفون بما ذكر من غيرهم (والله خبير بما تعملون ما كان المشركين ان يعمروا مسجد الله) بالافراد والجمع بدخوله والقعود فيه (شاهدين على انفسهم بالكفر اولئك حبطت) بطلت (اعمالهم) لعدم شرطها (وفى النار هم خالدون انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر

واقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش) احدا (الا الله فعسى
اولئك ان يكونوا من المهتدين اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام) اى اهل ذلك (كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله

وازعاج لاتصافهم بصفات ثلاثة كل واحد منها يقتضى القتال (قوله وهموا باخراج الرسول) انما
اقتصر على الاخراج مع انه وقع منهم الهم بالقتل والهم بالايثاق أيضا لان أثر الاخراج ظهر عقبه وهو
خروجه منها باذن ربه لا خوفا منهم ولذا ورد اللهم كما أخرجتنى من أحب البلاد الى فاسكنى فى أحب
البلاد اليك (قوله بدار الندوة) تقدم انها مكان اجتماع القوم للمشاورة والحديث والبانى لها قصى
وقد ادخلت الان فى المسجد فهى فى مقام الحنفى (قوله حيث قاتلوا خزاعة) أى أعانوهم بالسلاح ثم اعلم
أن صريح المفسر حمل ذلك على قريش وهو مناف لما تقدم من أن السورة نزلت سنة تسع وقريش اذ ذاك
مسلمون (قوله فما يمنعكم ان تقاتلوهم) اشار بذلك الى ان المراد من التحضيض الامر مع التوبيخ (قوله فى
ترك قتالهم) متعلق بقوله تخشونهم (قوله ان كنتم مؤمنين) شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه (قوله
قاتلوهم) هذا امر ذكر فى جوابه خمسة امور (قوله هم بنو خزاعة) يؤخذ من ذلك انهم مؤمنون اذ ذاك
(قوله ويتوب الله) بالرفع استئناف ولم يجزم لان التوبة على من يشاء ليست جزاء على قتال الكفار
(قوله بمعنى همزة الانكار) الحق بانها بمعنى بل والهمزة معا كما تقدم له (قوله ان تتركوا) اى يترككم الله
من غير قتال (قوله ولما يعلم الله) الجملة حالية (قوله علم ظهور) دفع بذلك ما يقال كيف ينفى علم الله مع انه
متعلق بكل شئ وجد أو لم يوجد (قوله بالاخلاص) اى مع اخلاص (قوله وليجة) من الولوج وهو
الدخول والمعنى بل ظننتم ان تتركوا من غير قتال بمجرد قولكم آمنا بل يظهر المجاهد منكم مع الاخلاص
من غيره ولم تتخذوا فى الله ولا رسوله ولا المؤمنين شيئا تدخلونه فى قلوبكم غير محبة الله ورسوله والمؤمنين
(قوله ما كان المشركين ان يعمروا مسجد الله الخ) سبب نزول هذه الآية وما بعدها ان جماعة من رؤساء
قريش اسروا يوم بدر منهم العباس عم رسول الله فاقبل عليهم نفر من اصحاب رسول الله يعيرونهم
بالشرك وجعل على بن ابى طالب يوبخ العباس بسبب قتال رسول الله وقطيعة الرحم فقال العباس ما لكم
تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقيل له وهل لكم محاسن قال نعم نحن افضل منكم نعمر المسجد
الحرام ونحجب الكعبة اى نخدمها ونسقى الحجيج ونفك العانى (قوله بالافراد والجمع) اى فهما
قراءتان سبعيتان فالافراد اما على ان المراد المسجد الحرام او على ان المسجد اسم جنس فيدخل فيه جميع
المساجد والجمع اما على ان كل بقعة من المسجد الحرام يقال لها مسجد او الجمع باعتبار انه قبلة لسائر
المساجد (قوله شاهدين على انفسهم بالكفر) قيل المراد به السجود للاصنام لان كفار قريش كانوا قد
نصبوا اصنامهم خارج البيت الحرام عند القواعد وكانوا يطوفون بالبيت عراة كلما طافوا طوفة
سجدوا للاصنام فلم يزدادوا بذلك الا بعدا من الله (قوله اولئك حبطت اعمالهم) اى
الحسنة التى افتخروا بها من خدمة المساجد وفك الاسير وسقاية الحاج وغير ذلك (قوله انما
يعمر مساجد الله) بالجمع باتفاق السبعة وعمارتها تكون ببنائها من المال الحلال والصلاة فيها وغير ذلك
(قوله ان يكونوا من المهتدين) اى ان يحشروا فى زمرتهم يوم القيامة (قوله اجعلتم سقاية الحاج)
رد على العباس وغيره كما يأتى للمفسر حيث افتخروا بذلك وقالوا ان هذا شرف لا يضاهى والسقاية فى
الاصل هى المحل الذى يجعل فيه الشراب فى الموسم كانوا ينبذون الزبيب فى ماء زمزم ويسقونه الناس ايام
الحج وكان الفاعل لذلك العباس فى الجاهلية واستمرت معه السقاية فى الاسلام فهى لآل العباس
ابدا (قوله اى اهل ذلك) اشار بذلك الى ان فى الكلام حذف مضاف والتقدير اجعلتم اهل سقاية

لا يستوون عند الله) في الفضل (والله لا يهدي القوم الظالمين) الكافرين نزلت ردا على من قال ذلك وهو العباس أو غيره

(الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة) رتبة (عند الله) من غيرهم (وأولئك هم الفائزون) الظافرون بالخير (يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم) دائم (خالدين) حال مقدرة (فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم) ونزل فيمن ترك الهجرة لأجل أهله وتجارته (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا) اختاروا (الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم) أقرباؤكم وفي قراءة عشيراتكم (وأموال اقترفتموها) اكتسبتموها (وتجارة تخشون كسادها) عدم نفاقها (ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله) فقعدتم لأجله عن الهجرة والجهاد (فتربصوا) انتظروا (حتى يأتي الله بأمره) تهديد لهم (والله لا يهدي القوم الفاسقين لقد نصركم الله في مواطن) للحرب (كثيرة) كبدر وقريظة والنضير (و) اذكر (يوم حنين) واد بين مكة والطائف أي يوم قتالكم فيه هوازن وذلك في شوال سنة ثمان (إذ) بدل من يوم (أعجبتكم كثرتكم) فقلتم لن نغلب اليوم من قلة

الحاج الخ وقد دفع بذلك ما يقال كيف يشبه المعنى وهو السقاية بالذات وهو من آمن (قوله لا يستوون عند الله في الفضل) أي الأخروي لأن فضل أهل السقاية والعمارة دنيوي (قوله أو غيره) أو بمعنى الواو ولأن أهل مكة كانوا يفتخرون بذلك ويزعمون أن هذا فخر لا يضاهى (قوله الذين آمنوا) أي اتصفوا بالإيمان وما عطف عليه وهو الهجرة والجهاد (قوله من غيرهم) يدخل فيه أهل السقاية والعمارة من الكفار فمقتضاه أن لهم درجة لكنها ليست أعظم والجواب أن ذلك إما باعتبار ما يعتقدونه من أن لهم درجة ورتبة أو اسم التفضيل باعتبار المؤمنين الذين لم يستكملوا الأوصاف الثلاثة (قوله وأولئك هم الفائزون) أي الكاملون في الفوز بالنسبة للمؤمن الذي لم يستكمل الأوصاف الثلاثة أو المراد الذين لهم أصل الفوز بالنسبة لأهل السقاية والعمارة (قوله يبشرهم ربهم برحمة الخ) ذكر الله سبحانه وتعالى ثلاثة أشياء جزاء على الصفات الثلاثة فالرحمة في مقابلة الإيمان لتوقف الرحمة عليه والرضوان في مقابلة الجهاد لأنه بذل الأموال والأنفس في مرضات الله والرضوان نهاية الإحسان فكان في مقابلته والجنة في مقابلة الهجرة لأن في الهجرة ترك الأوطان فبدلوا أوطانا في الآخرة أعلى وأجل مما تركوه وإنما قدمت الرحمة والرضوان إشارة إلى أنهما يكونان في الدنيا والآخرة وأخرت الجنة إشارة إلى أنها مختصة بالآخرة ولأنها آخر العطايا (قوله حال مقدرة) أي لأنهم حين الدخول ليسوا خالدين وإنما هم منتظرون (قوله ونزل فيمن ترك الهجرة) قال ابن عباس لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم الناس بالهجرة إلى المدينة فمنهم من تعلق به أهله وأولاده يقولون ننشدك بالله أن لا تضيعنا فيرق لهم فيقيم عليهم ويدع الهجرة فأنزل الله تعالى هذه الآية (قوله قل إن كان آباؤكم) نزلت لما قال الذين أسلموا ولم يهاجروا ونحن إن هاجرنا ضاعت أموالنا وذهبت تجاراتنا وخربت ديارنا وتقطعت أرحامنا ويؤخذ من ذلك أنه إذا تعارض أمر من أمور الدين مع مصالح الدنيا يقدم أمر الدين ولو لزم عليه تعطيل أمر الدنيا (قوله وإخوانكم) أي حواشيكم والمراد بهم هنا إخوان النسب وإن شاع جمع أخ النسب على إخوة وأخ الدين على إخوان (قوله أقرباؤكم) وقيل هم من بينك وبينهم معاشرة مطلقا ولو غير قريب فهو عطف عام على ما قبله على كل حال (قوله وفي قراءة عشيراتكم) أي وهي سبعية وقرأ الحسن عشائركم (قوله ترضونها) أي ترضون الإقامة فيها (قوله أحب إليكم) خبر كان واسمها آباؤكم وما عطف عليه (قوله فقعدتم لأجله) قدره ليرتب عليه قوله فتربصوا وجملة فتربصوا جواب الشرط (قوله حتى يأتي الله بأمره) قال ابن عباس هو فتح مكة اهـ إذا علمت ذلك تعلم أن هذا مشكل مع ما تقدم ومع ما يأتي من أن السورة نزلت بعد الفتح إلا أن يقال إن بعض السورة نزل قبل الفتح بحسب الوقائع والسورة بتمامها نزلت بعد الفتح ولا غرابة في ذلك فتدبر (قوله تهديد لهم) أي تخويف (قوله الفاسقين) عبر عنهم أولا بالظالمين إشارة إلى أن الكفار موصوفون بكل وصف قبيح (قوله لقد نصركم الله) الخطاب للنبي وأصحابه بتعداد النعم عليهم (قوله في مواطن) جمع موطن كمواعد وموعد يرادفه الوطن وهو محل السكنى (قوله وقريظة والنضير) الكلام على حذف مضاف أي وموطن قريظة وموطن النضير (قوله ويوم حنين) ظرف لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر وقيل معطوف على مواطن من عطف ظرف الزمان على ظرف المكان ورد بأنه يقتضي أن قوله إذ أعجبتكم كثرتكم يرجع لقوله مواطن أيضا لأنه بدل من يوم حنين ولا يصح ذلك لأن كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن بل في خصوص حنين فتعين ما قدره المفسر (قوله واد بين مكة والطائف) أي وبينهما ثمانية عشر ميلا وفي بعض العبارات ثلاث ليال (قوله هوازن) أي وهم قبيلة حليمة السعدية (قوله سنة ثمان) أي من الهجرة وهي سنة فتح مكة لأن مكة فتحت في رمضان وغزوة هوازن في شوال عقبه (قوله من قلة) أي من عدد قليل

(قوله

(قوله وكانوا اثنى عشر ألفا) عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وألفان من الذين اسلموا فى مكة بعد فتحها (قوله والكفار اربعة آلاف) الذى فى شرح المواهب انهم أكثر من عشرين ألفا (قوله فلم تغن عنكم شيا) أى لم تنفعكم ولم تدفع عنكم شيا (قوله اى مع رحبها) اشار بذلك الى ان الباء بمعنى مع والجملة حال أى ملتبسة برحبها والرحب بالضم السعة وبالفتح الواسع (قوله وليس معه غير العباس) أى وقد كان آخذا بلجام بغلته (قوله وابو سفيان) اى ابن الحرث بن عبد المطلب وقد اسلم هو والعباس يوم الفتح وفى بعض السير ان الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حنين مائة وثلاثة وثلاثون من المهاجرين وستة وستون من الانصار ويجمع بين ما قاله المفسر وغيره بانهم لم يبق متصلا بالبغلة الا اثنان والباقون مشتغلون بالحرب لم يفروا (قوله فردوا) اى رجعوا جميعا كالفصيل الضال عن أمه اذا وجدها (قوله لما ناداهم العباس) اى وكان صيتا يسمع صوته من نحو ثمانية أميال (قوله لم تروها) قيل كانوا خمسة آلاف وقيل ستة عشر ألفا ولم يقاتلوا بل نزلوا لتقوية قلوب المسلمين وروى عن رجل كان فى المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين لم يقوموا لنا حلب شاة فلما لقيناهم جعلنا نسوقهم فى آثارهم حتى انتهينا الى صاحب البغلة البيضاء فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا قال فانهزمنا وركبوا أكتافنا وروى ان الملائكة الذين نزلوا يوم حنين عليهم عمائم حمر راكبين خيلا بلقا (قوله بالقتل) اى لبعضهم وهم أكثر من سبعين (قوله والاسر) أى للنساء والذرارى وكانوا ستة آلاف ولم تقع غنيمة أعظم منها فقد كان فيها من الابل اثنا عشر ألفا وقيل اربعة وعشرون ألفا ومن الغنم ما لا يحصى وكان فيها غير ذلك ولما هزمهم قصد الى الطائف وأمر بجعل الغنائم فى الجعرانة حتى يأتى اليهم فلما رجع صلى الله عليه وسلم من الطائف انتظر هوازن بضعة عشر يوما ليقدموا عليه مسلمين ثم أخذ فى قسمة الغنائم وكان فى السبي اخت رسول الله من الرضاع وهى بنت حليمة السعدية فاطلقها رسول الله وأكرمها وردها لقومها فاخبرتهم بما وقع لها من رسول الله من الاكرام فكان ذلك باعثا على اسلامهم فاتى منهم جماعة وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابرهم فاردد علينا أموالنا واهلينا فقال لهم ان خير القول اصدقه اختاروا اما أموالكم واما ذراريكم ونساءكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيا فقال لهم اما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم وأما ما كان لغيرهم فسأطلب فيه معروفهم ثم قال لهم اذا انا صليت فتقدموا الى واخبرونى بذلك ففعلوا كما امروا فقال صلى الله عليه وسلم من طابت نفسه بشيء ان يرده فليفعل فقالوا رضينا بذلك وسلموه الاموال والاسارى (قوله انما المشركون نجس) القراءة السبعية بفتحتين وفيه لغات أخرى ككتف وعضد والمعنى انهم نجس نجاسة معنوية لا حسية وقال ابن عباس أعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وقال الحسن من صافح مشركا توضأ واهل المذاهب على خلاف ذلك فانهم طاهرون لانهم داخلون فى آية ولقد كرمنا بنى آدم (قوله فلا يقربوا المسجد الحرام الخ) قال العلماء جملة بلاد الاسلام فى حق الكفار ثلاثة اقسام احدها الحرم فلا يجوز للكافر ان يدخله بحال وجوزا بو حنيفة دخول المعاهد الثانى الحجاز فلا يجوز للكافر دخوله الا باذن ولا يقيم فيه اكثر من ثلاثة ايام لما فى الحديث لا يبقين دينان فى جزيرة العرب وحدها طولا من اقصى عدن الى ريف العراق وعرضا من جدة وما والاها من ساحل البحر الى اطراف الشام الثالث سائر بلاد الاسلام يجوز للكافر ان يقيم فيها بذمة او أمان لكن لا يدخل المساجد الا لغرض شرعى (قوله عام تسع) اى وهو عام نزول جملة السورة على الصحيح وما يوهم خلاف ذلك يجب تأويله (قوله وان خفتم عيلة الخ) سبب نزولها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما امر عليا ان يقرأ على المشركين أول براءة خاف اهل مكة الفقر وضيق العيش لامتناع المشركين من دخول

وكانوا اثنى عشر الفا والكفار اربعة آلاف (فلم تغن عنكم شيا وضاقت عليكم الارض بما رحبت) ما مصدرية أى مع رحبها اى سعتها فلم تجدوا مكانا تطمئنون اليه لشدة ما لحقكم من الخوف (ثم وليتم مدبرين) منهزمين وثبت النبي صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وليس معه غير العباس وابو سفيان آخذ بركابه (ثم انزل الله سكينته) طمأنينته (على رسوله وعلى المؤمنين) فردوا الى النبي صلى الله عليه وسلم لما ناداهم العباس باذنه وقاتلوا (وانزل جنودا لم تروها) ملائكة (وعذب الذين كفروا) بالقتل والاسر (وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء) منهم بالاسلام (والله غفور رحيم يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس) قذر لخبث باطنهم (فلا يقربوا المسجد الحرام) أى لا يدخلوا الحرم (بعد عامهم هذا) عام تسع من الهجرة (وان خفتم عيلة)

الحرم واتجارهم فيه فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (قوله فقرا) في المصباح العيلة
بالفتح الفقر وهي مصدر عال يعيل من باب سار فهو عائل والجمع عالة وفي المختار وعيال الرجل من يعولهم
وواحد العيال عيل كجيد والجمع عيائل كجيائد وأعال الرجل كثرت عياله (قوله وقد أغناهم بالفتوح) اي
فاسلم اهل صنعاء وجدة وتبالة بفتح التاء وجرش بضم الجيم وفتح الراء بعدها شين معجمة قريتان من
قرى اليمن وجلبوا اليهم الميرة وصاروا في أرغد عيش (قوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الخ) شروع في ذكر
قتال اهل الكتاب بين اثر بيان قتال مشركي العرب وهذه الآية نزلت حين أمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بقتال الروم فلما نزلت توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لغزوة تبوك (قوله والا لآمنوا بالنبي)
جواب عما يقال ان ظاهر الآية يقتضي نفي ايمانهم بالله واليوم الآخر مع انهم يزعمون الايمان بالله واليوم
الآخر وفي كلام المفسر اشارة لقياس استثنائي وتقريره ان يقال لو آمن اليهود والنصارى بالله واليوم
الآخر لآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم لكنهم لم يؤمنوا بالنبي فلم يؤمنوا بالله ولا باليوم الآخر وأيضا
دعواهم الايمان بالله باطلة لانهم يعتقدون التجسيم والتشبيه ولا شك في كونه كفرا وكذلك دعواهم الايمان
باليوم الآخر باطلة لانهم يعتقدون بعثة الارواح دون الاجساد وان أهل الجنة لا يأكلون فيها ولا
يشربون ولا ينكحون فتحصل ان كفرهم بهذه الامور وبتكذيبهم النبي ومن كذب نبيا فقد كفر بالله
واليوم الآخر قال تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون
نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا (قوله كالخمر)
أي والخنزير والربا وكل محرم في شرعنا فانهم مخاطبون بفروع الشريعة ويعذبون عليها زيادة على عذاب
الكفر (قوله دين الحق) من اضافة الموصوف لصفته (قوله الناسخ لغيره) اي الماحي له فمن اتبع غير
الاسلام فهو كافر قال تعالى ان الدين عند الله الاسلام وقال تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل
منه وهو في الآخرة من الخاسرين ويصح ان يراد بالحق الله سبحانه وتعالى لان من اسمائه الحق والمراد
بدين الله الاسلام (قوله حتى يعطوا الجزية) غاية لقتالهم وسميت جزية لانها جزاء لكف القتال عنهم
وتامينهم (قوله الخراج المضروب عليهم) اي الذي يجعله الامام على ذكورهم الاحرار البالغين الموسرين
(قوله اي منقادين) تفسير باللازم اي فاليد كناية عن الانقياد (قوله لا يوكلون بها) اي فاليد على حقيقتها
وهذا التفسير يناسب مذهب مالك لان عنده لا يجوز التوكيل في دفعها بل كل واحد يدفع جزيته بيده
وحين دفعها يبسط الكافر يده بها ويأخذها المسلم من يده لتكون يد المسلم هي العليا ثم بعد أخذها يصفعه
المسلم على قفاه وعند الشافعي يجوز التوكيل في دفعها (قوله وقالت اليهود الخ) هذا من تفصيل عدم ايمانهم
بالله واليوم الآخر وعزير بالصرف وعدمه قراءتان سبعيتان فالصرف على انه عربي فلم توجد فيه الا
علة واحدة وعدمه على انه أعجمي ففيه العلتان وابن خبر عزير فيرسم بالالف لانه ليس بصفة للعلم وسبب
تلك المقالة على ما قاله ابن عباس ان عزيرا كان فيهم وكانت التوراة عندهم والتابوت فيهم فاضاعوا التوراة
وعملوا بغير الحق فرفع الله عنهم التابوت وأنساهم التوراة ومسحها من صدورهم فدعا الله عزير
وابتهل اليه ان يرد اليه التوراة فبينما هو يصلي مبتهلا الى الله نزل نور من السماء فدخل جوفه فعادت
اليه فاذن في قومه وقال يا قوم قد آتاني الله التوراة وردها علي فعلقوا به يعلمهم ثم مكثوا ما شاء الله ثم ان
التابوت نزل بعد ذهابه منهم فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان يعلمهم عزير على ما في التابوت فوجدوه
مثله فقالوا ما أوتي عزير هذا الا لانه ابن الله (قوله وقالت النصارى المسيح ابن الله) المسيح لقب
له اما لانه ما مسح على ذي عاهة الا برئ او لانه ممسوح بالبركة وسبب مقالتهم انهم كانوا على الدين الحق

فقرا بانقطاع تجارتهم عنكم (فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء) وقد أغناهم بالفتوح والجزية (ان الله عليم حكيم قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) والا لآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم (ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله) كالخمر (ولا يدينون دين الحق) الثابت الناسخ لغيره من الاديان وهو دين الاسلام (من) بيان للذين (الذين أوتوا الكتاب) اي اليهود والنصارى (حتى يعطوا الجزية) الخراج المضروب عليهم كل عام (عن يد) حال اي منقادين او بايديهم لا يوكلون بها (وهم صاغرون) أذلاء منقادون لحكم الاسلام (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح) عيسى (ابن الله ذلك قولهم

بعد رفع عيسى عليه السلام احدى وثمانين سنة يصلون الى القبلة و يصومون حتى وقع بينهم و بين اليهود
حرب وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولص فقتل جماعة من اصحاب عيسى عليه السلام ثم قال بولص
لليهود ان كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والدار مصيرنا فنحن مغبونون ان دخلنا النار ودخلوا الجنة فاني
ساحتال واضلهم حتى يدخلوا النار معنا ثم انه عمد الى فرس كان يقاتل عليه فعرقبه واظهر الندامة والتوبة
ووضع التراب على رأسه ثم انه اتى الى النصارى فقالوا له من انت قال انا عدوكم بولص قد نوديت من السماء
انه ليست لك توبة حتى تتنصر وقد تبت وأتيتكم فادخلوه الكنيسة ونصروه ودخل بيتا فيها فلم يخرج منه
سنة حتى تعلم الانجيل ثم خرج وقال قد نوديت ان الله قد قبل توبتك فصدقوه واحبوه وعلا شانه فيهم ثم
انه عمد الى ثلاثة رجال اسم واحد نسطورا والآخر يعقوب والآخر ملكان فعلم نسطورا ان عيسى
ومريم آلهة ثلاثة وعلم يعقوب ان عيسى ليس بانسان وانه ابن الله وعلم ملكان ان عيسى هو الله لم يزل ولا
يزال فلما تمكن ذلك فيهم دعا كل واحد منهم في الخلوة وقال له انت خالصتي وادع الناس لما علمتك وأمره
ان يذهب الى ناحية من البلاد ثم قال لهم اني رأيت عيسى في المنام وقد رضي عني وقال لكل واحد منهم
اني سأذبح نفسي تقربا الى عيسى ثم ذهب الى المذبح فذبح نفسه وتفرق أولئك الثلاثة فذهب واحد الى
الروم وواحد الى بيت المقدس والآخر الى ناحية اخرى واظهر كل واحد منهم مقالته ودعا الناس اليها
فتبعه على ذلك طوائف من الناس فتفرقوا واختلفوا (قوله بافواههم) من المعلوم ان القول لا يكون الا
بالافواه فذكرها مبالغة في الرد عليهم (قوله يضاهون) بضم الهاء بعدها واو وبكسر الهاء بعدها همزة
مضمومة ثم واو وقراءتان سبعيتان (قوله قاتلهم الله) اى أبعدهم عن رحمته فهو دعاء عليهم (قوله انى
يؤفكون) استفهام تعجب والاستفهام راجع الى الخلق لان الله يستحيل عليه التعجب (قوله اتخذوا)
اى اليهود والنصارى (قوله احبارهم) جمع حبر بالفتح والكسر والثانى افصح العالم الماهر (قوله حيث
اتبعوهم) اشار بذلك الى انهم لم يتخذوهم اربابا حقيقة بل المعنى كالارباب في شدة امتثالهم امرهم (قوله
والمسيح ابن مريم) بالنصب عطف على احبارهم والمفعول الثانى محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره اربابا
(قوله وما امروا الخ) الجملة حالية (قوله لا اله الا هو) صفة ثانية لالها (قوله شرعه وبراهينه) اى الدالة
على صدقه صلى الله عليه وسلم وهى ثلاثة امور احدها المعجزات الظاهرات ثانيها القرآن العظيم ثالثها
كون دينه الذى امر باتباعه وهو دين الاسلام ليس فيه شيء سوى تعظيم الله والانقياد لامره ونهيه والتبرى
من كل معبود سواه فهذه امور نيرة واضحة في صحة نبوته صلى الله عليه وسلم فمن أراد ابطال ذلك فقد خاب
سعيه (قوله الا ان يتم نوره) أى يعليه ويرفع شانه (قوله ولو كره الكافرون) شرط حذف جوابه لدلالة ما
قبله عليه والتقدير ولو كره الكافرون اتمامه لاتمه ولم يبال بهم (قوله بالهدى) أى القرآن (قوله ودين الحق)
اى دين الاسلام (قوله جميع الاديان المخالفة له) اى بنسخه لها (قوله ولو كره المشركون) كرر لمزيد التهكم
بهم والرد عليهم ووصفهم اولا بالكفر وثانيا بالاشراك اشارة الى انهم اتصفوا بكل منهما (قوله
يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار الخ) لما بين عقائد الاتباع وصفاتهم شرع في بيان
صفات الرؤساء والاحبار علماء اليهود والرهبان عباد النصارى وفي قوله كثيرا اشارة الى ان الاقل من
الاحبار والرهبان لم يكونوا كذلك كعبد الله بن سلام واضرابه من الاحبار والنجاشي واضرابه من
الرهبان (قوله يأخذون) اشار بذلك الى ان المراد بالاكل الاخذ فاطلق الخاص واريد العام من باب
تسمية الشيء باسم جزئه الاعظم لان معظم المقصود من اخذ الاموال اكلها (قوله بالباطل) قيل هو
تخفيف الشرائع والتساهل فيها لسفلتهم وقيل هو تغيير صفات المصطفى صلى الله عليه وسلم الكائنة
في التوراة والانجيل وقيل ماهواعم وهو الاحسن والباعث لهم على ذلك حب الرياسة واخذ

بافواههم) لا مستند لهم
عليه بل (يضاهون)
يشابهون به (قول الذين
كفروا من قبل) من آبائهم
تقليدا لهم (قاتلهم) لعنهم
(الله انى) كيف (يؤفكون)
يصرفون عن الحق مع قيام
الدليل (اتخذوا أحبارهم)
علماء اليهود (ورهبانهم)
عباد النصارى (اربابا
من دون الله) حيث
تبعوهم في تحليل ما حرم
وتحريم ما احل (والمسيح
ابن مريم وما امروا) في
التوراة والانجيل (الا
ليعبدوا) اى بان يعبدوا
(الها واحدا لا اله الا هو
سبحانه) تنزيها له (عما
يشركون يريدون ان
يطفئوا نور الله) شرعه
وبراهينه (بافواههم)
باقوالهم فيه (ويأبى الله الا
ان يتم) يظهر (نوره ولو
كره الكافرون) ذلك
(هو الذى ارسل رسوله)
محمدا صلى الله عليه وسلم
(بالهدى ودين الحق
ليظهره) يعليه (على الدين
كله) جميع الاديان المخالفة
له (ولو كره المشركون) ذلك
(يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا
من الاحبار والرهبان
ليأكلون) يأخذون
(اموال الناس بالباطل)

كالرشا في الحكم (ويصدون) الناس (عن سبيل الله) دينه (والذين) مبتدأ (يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها) اى الكنوز (في سبيل الله) اى لا يؤدون منها حقه من الزكاة والخير (فبشرهم) اخبرهم (بعذاب اليم) مؤلم (يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى) تحرق (بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) وتوسع جلودهم حتى توضع عليها كلها ويقال لهم (هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) اى جزاءه (ان عدة الشهور) المعتد بها للسنة (عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله) اللوح المحفوظ (يوم خلق السموات والارض منها) اى الشهور (اربعة حرم) محرمة ذو القعدة وذوا الحجة والمحرم ورجب (ذلك) اى تحريمها (الدين القيم) المستقيم (فلا تظلموا فيهن) اى الاشهر الحرم (انفسكم) بالمعاصي فانها فيها اعظم وزرا وقيل في الاشهر كلها (وقاتلوا المشركين كافة) جميعا في كل الشهور (كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين)

الاموال (قوله كالرشا) بضم الراء وكسرها جمع رشوة بالضم على الاول والكسر على الثاني وفي القاموس الرشوة مثلثة وهي الجعل على الحكم وهي حرام ولو على الحكم بالحق فما بالك باخذها على الحكم بالباطل اماحبل الاستقاء فيقال فيه رشاء بالكسر والمد (قوله ويصدون عن سبيل الله) اى يمنعون الناس عن الدخول في دين الاسلام (قوله والذين يكنزون) الكنز في الاصل جمع المال ودفنه وعدم الانفاق منه واختلف في المراد بالذين يكنزون الذهب والفضة فقيل المراد بهم اهل الكتاب لان شانهم الحرص وكنز المال وقال ابن عباس نزلت في مانعي الزكاة من المسلمين والحقوق الواجبة وقال ابوذر نزلت في اهل الكتاب والمسلمين الذين يمنعون الزكاة والحقوق الواجبة روى ان اباذر اختلف مع معاوية في هذه الآية فقال معاوية نزلت في اهل الكتاب وقال ابوذر نزلت فينا وفيهم فكتب معاوية وكان اميرا على الشام الى عثمان يشكوه فكتب عثمان الى ابي ذر ان اقدم المدينة فقدم فازدحم عليه الناس حتى كانهم لم يروه قبل ذلك فاخبر عثمان بذلك فقال له ان شئت تنحيت فكنت قريبا منا فنزل بالربذة وقال ولو امر واعلى عبدا حبشيا لسمعت واطعت (قوله اى الكنوز) اى المدلول عليها بقوله يكنزون ودفع بذلك ما يقال ان المتقدم شيئان الذهب والفضة فكان مقتضاه تثنية الضمير فلم افرد فاجاب بانه عائد على الكنوز المفهومة من السياق (قوله فبشرهم) انما سمي بشارة تهكما بهم واشارة الى انه بمنزلة الوعد في عدم تخلفه (قوله يوم يحمى عليها) ظرف لقوله بعذاب اليم ويحمى يجوز ان يكون من حميته وأحميته ثلاثيا ورباعيا يقال حميت الحديدة واحميتها اوقدت عليها لتحمى والفاعل محذوف تقديره يوم تحمى النار عليها اى تتقد على تلك الكنوز فتكوى بها جباههم الخ فلما حذف الفاعل ذهبت علامة التانيث ولذلك قرىء بالتاء من فوق وانيب الجار والمجرور منابه ولتضمنه معنى الانقياد عدى بعلى (قوله جباههم) المراد بها جهة الامام بدليل المقابلة (قوله وتوسع جلودهم) اى حتى لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم وذلك بعد جعلها صفائح من نار (قوله اى جزاءه) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف لان الكنوز لا تذاق وهذا عذابه في الآخرة وورد انه يصور ماله في قبره بصورة شجاع اقرع له زبيبتان ياخذ بلهزمتيه اى شدقيه ويقول انا كنزك انا مالك فلا مانع من حصول الجميع له اجارنا الله من اسباب ذلك (قوله ان عدة الشهور الخ) المقصود من ذلك الرد على الجاهلية حيث يزيدون في الاشهر بحسب اهوائهم الفاسدة فرارا من القتال في الاشهر الحرم فانهم كانوا يعظمون الاشهر الحرم فلا يقاتلون فيها فكانوا اذا اضطروا للقتال فيها ادعوا انها لم تات وقاتلوا فيها فربما جعلوا السنة اربعة عشر شهرا او ازيد بحسب ما تسوله عقولهم الفاسدة (قوله عند الله) ظرف متعلق بمحذوف صفة للشهور (قوله اثنا عشر شهرا) وهذا شهور السنة القمرية العربية التي يعتد بها المسلمون في عباداتهم كالصيام والحج وسائر امورهم وايام هذه الشهور ثلثمائة وخمسة وخمسون يوما والسنة الشمسية وتسمى القبطية وهي عبارة عن دور الشمس في الفلك دورة تامة وهي ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع فتنقص السنة الهلالية عن السنة الشمسية اما عشرة ايام او احد عشر يوما خمسة ايام نقص الشهور العربية وخمسة ايام النسيء ان كانت السنة بسيطة وستة ايام ان كانت كبيسة فكل اربع سنين تاتي فيها سنة كبيسة فبسبب هذا النقصان تدور السنة الهلالية فيقع الصوم والحج تارة في الشتاء وتارة في الصيف (قوله في كتاب الله) صفة لاثنا عشر (قوله محرمة) اى معظمة محترمة تتضاعف فيها الطاعات (قوله ذو القعدة) بفتح القاف وكسرها والفتح افصح عكس الحجة (قوله بالمعاصي) اى فظلم النفس يكون بمخالفة الله لانه بسبب ذلك تعرض لغضب الله الموجب لدخول النار (قوله فانها فيها اعظم وزرا) اى اشد اثما منه في غيرها (قوله وقاتلوا المشركين كافة) هذه الآية

ناسخة لآية البقرة المفيدة حرمة القتال فى الاشهر الحرم قال تعالى يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير الآية وقوله كافة مصدر فى موضع الحال من فاعل قاتلوا أو من المشركين ولا يثنى ولا يجمع ولا تدخل عليه أل ولا يتصرف فيه بغير الحال (قوله بالعون والنصر) اى فمعيته مع المتقين زائدة على معيته مع الخلق أجمعين المشار لها بقوله تعالى ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم اينما كانوا لانها معية تصريف وتدبير وذلك لا يختص بالانسان بل مع كل مخلوق حيوانا وجمادا (قوله انما النسئ) فعيل بمعنى مفعول والمراد به تاخيرهم حرمة المحرم الى صفر كما فى المختار وهذه قراءة الجمهور بهمزة بعد الياء وفى قراءة سبعية بابدال الهمزة ياء وادغام الياء فيها وقرئ شذوذا بسكون السين و بفتح النون و بضم السين بوزن فعول (قوله كما كانت الجاهلية تفعله) اى لان الجاهلية كانت تعتقد حرمة الاشهر الحرم وتعظيمها وكانت معايشهم من الغزو وكان يشق عليهم الكف عن ذلك ثلاثة أشهر متوالية فاخروا تحريم شهر الى شهر آخر فكانوا يؤخرون تحريم المحرم الى صفر فاذا احتاجوا الى القتال أخروا التحريم الى ربيع الاول وهكذا حتى استدار التحريم على السنة كلها وكانوا يحجون فى كل شهر عامين فحجوا فى ذى الحجة عامين والمحرم كذلك وهكذا باقى الشهور فوافقت حجة أبى بكر فى السنة التاسعة ذا القعدة ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فوافقت شهر الحج المشروع وهو ذو الحجة فوقف بعرفة فى اليوم التاسع وخطب الناس فى اليوم العاشر بمنى حيث قال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان اى شهر هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال أليس ذا الحجة قلنا بلى قال اى بلد هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال أليس البلدة قلنا بلى قال فاى يوم هذا قلنا الله ورسوله اعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال أليس يوم النحر قلنا بلى قال فان دماءكم وأموالكم قال محمد واحسبه قال وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم فلا ترجعوا بعدى ضلالا يضرب بعضكم بعضا ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب فلعل بعض من يبلغه ان يكون أوعى له من بعض من سمعه ثم قال ألا هل بلغت ألا هل بلغت مرتين (قوله اذا هل) بالبناء للفاعل والمفعول و يقال استهل وهل اذا رفع الصوت عند ذكره و بذلك سمى الهلال (قوله بضم الياء) اى مع فتح الضاد مبنيا للمفعول فى السبعة ومع كسر الضاد مبنيا للفاعل فى العشرة (قوله وفتحها) اى مع كسر الضاد لا غير وهى سبعية أيضا فتكون القرا آت ثلاثا واحدة عشرية واثنتان سبعيتان (قوله اى النسئ) المراد به هنا اسم المفعول اى المنسوء اى المؤخر وهو تحريم بعض الشهور (قوله يحلونه عاما) فيه وجهان أحدهما ان الجملة تفسيرية للضلال الثانى انها حالية (قوله ليواطئوا) تنازعه كل من يحلونه ويحرمونه فيجوز الثانى او الاول (قوله الى أعيانها) اى الاربعة التى اشتهر تحريمها لانهم لو التزموا أعيانها لم يضلوا (قوله زين لهم سوء أعمالهم) بالبناء للمفعول والمزين لهم الشيطان (قوله لا يهدى القوم الكافرين) اى لا يوصلهم للسعادة (قوله ونزل لما دعا الخ) اى من هنا الى قوله انما الصدقات فهذه الآيات متعلقة بغزوة تبوك والمتخلفين عنها من منافقين وغيرهم (قوله الى غزوة تبوك) بالصرف على ارادة البقعة ومنعه للعلمية والتانيث وكانت فى السنة التاسعة من الهجرة بعد رجوعه من الطائف وسبب توجهه لها انه بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هرقل جمع أهل الروم وأهل الشام وانهم قدموا مقدماتهم الى البلقاء وكان صلى الله عليه وسلم قليلا ما يخرج فى غزوة الا ورى عنها بغيرها الا ما كان من غزوة تبوك وذلك لبعد المسافة لانها على طرف الشام بينها و بين المدينة اربع عشرة

بالعون والنصر (انما النسىء) اى التاخير لحرمة شهر الى آخر كما كانت الجاهلية تفعله من تاخير حرمة المحرم اذا اهل وهم فى القتال الى صفر (زيادة فى الكفر) لكفرهم بحكم الله فيه (يضل) بضم الياء وفتحها (به الذين كفروا يحلونه) اى النسيء (عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا) يوافقوا بتحليل شهر وتحريم آخر بدله (عدة) عدد (ما حرم الله) من الاشهر فلا يزيدون على تحريم اربعة ولا ينقصون ولا ينظرون الى أعيانها (فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم) فظنوه حسنا (والله لا يهدى القوم الكافرين) ونزل لما دعا صلى الله عليه وسلم الناس الى غزوة تبوك

وكانوا في عسرة وشدة حر فشق عليهم (يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم) بادغام التاء في

الاصل في المثلثة واجتلاب همزة الوصل اى تباطأتم وملتم عن الجهاد (الى الارض) والقعود فيها والاستفهام للتوبيخ (أرضيتم بالحيوة الدنيا ولذاتها (من الآخرة) اى بدل نعيمها (فما متاع الحيوة الدنيا في) جنب متاع (الآخرة الا قليل) حقير (الا) بادغام لا في نون ان الشرطية في الموضعين (تنفروا) تخرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم للجهاد (يعذبكم عذابا اليما) مؤلما (ويستبدل قوما غيركم) اى يات بهم بدلكم (ولا تضروه) اى الله أو النبي صلى الله عليه وسلم (شيا) بترك نصره فان الله ناصر دينه (والله على كل شيء قدير) ومنه نصر دينه ونبيه (الا تنصروه) اى النبي صلى الله عليه وسلم (فقد نصره الله اذ) حين (أخرجه الذين كفروا) من مكة أي ألجؤه الى الخروج لما أرادوا قتله اوحبسه او نفيه بدار الندوة (ثاني اثنين) حال اى احد اثنين والآخر أبو بكر المعنى نصره الله في مثل تلك الحالة فلا يخذله في غيرها (اذ) بدل من اذ قبله (هما في الغار) نقب في جبل ثور (اذ) بدل ثان (يقول لصاحبه) ابي بكر وقد قال له لما راى اقدام المشركين لو نظر احدهم تحت قدميه لابصرنا (لا تحزن

مرحلة فامرهم بالجهاد وبعث الى مكة وقبائل العرب وهى آخر غزواته صلى الله عليه وسلم وانفق عثمان نفقة عظيمة فجهز عشرة آلاف وأنفق عليها عشرة آلاف دينار غير تسعمائة بعير ومائة فرس وما يتعلق بذلك وجاء ابو بكر بجميع ماله اربعة آلاف درهم وجاء عمر بنصف ماله وجاء ابن عوف بمائة أوقية وجاء العباس بمال كثير وكذا طلحة وبعثت النساء بكل ما يقدرن عليه من حليهن فلما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وهم ثلاثون الفا وقيل اربعون الفا وقيل سبعون الفا وكانت الخيل عشرة آلاف فرس وخلف على المدينة محمد بن مسلمة الانصاري وقيل علي بن ابي طالب وتخلف عبد الله بن ابي ومن كان معه من المنافقين فبعد ان خرج بهم الى ثنية الوداع متوجها الى تبوك عقد الالوية والرايات فدفع لواءه الاعظم الى ابي بكر ورايته العظمى للزبير وراية الاوس لاسيد بن حضير وراية الخزرج للحباب بن المنذر ودفع لكل بطن من الانصار ومن قبائل العرب لواء وراية ولما نزلوا تبوك وجدوا عينها قليلة الماء فاغترف رسول الله صلى الله عليه وسلم غرفة من مائها فمضمض بها فاه ثم بصقه فيها ففارت عينها حتى امتلأت وارتووا هم وخيلهم وركابهم واقام بتبوك بضع عشرة ليلة وقيل عشرين ليلة فاتاه يحنة بضم التحتية وفتح الحاء المهملة والنون المشددة ثم تاء تانيث ابن رؤبة بضم الراء فهمزة ساكنة فموحدة صاحب ايلة واهدى له بغلة بيضاء فكساه النبي رداه وصالحه على اعطاء الجزية بعد ان عرض عليه الاسلام فلم يسلم وكتب له ولاهل أيلة كتابا تركه عندهم ليعملوا به وقد استشار صلى الله عليه وسلم اصحابه في مجاوزة تبوك فاشاروا عليه بعدم مجاوزتها فانصرف هو والمسلمون راجعين الى المدينة ولما دنا من المدينة تلقاه المتخلفون فقال لاصحابه لا تكلموا رجلا منهم ولا تجالسوهم حتى آذن لكم فصار الرجل يعرض عن ابيه واخيه (قوله وكانوا في عسرة) اى قحط وضيق عيش حتى ان الرجلين ليجتمعان على التمرة الواحدة (قوله وشدة حر) اى حتى كانوا يشربون الفرث (قوله فشق عليهم) اى فتخلف عنهم عشر قبائل ويقال لها غزوة العسرة والفاضحة لانها اظهرت حال المنافقين (قوله ما لكم) ما مبتدأ ولكم خبره واثاقلتم حال واذا ظرف لتلك الحال مقدم عليها والتقدير اى شيء ثبت لكم من الضرر حال كونكم متثاقلين وقت قول الرسول لكم انفروا الخ (قوله بادغام التاء الخ) اى فالاصل تثاقلتم أبدلت التاء ثاء وادغمت فيها وأتى بهمزة الوصل توصلا للنطق بالساكن (قوله وملتم) قدره اشارة الى انه ضمن اثاقلتم معنى ملتم فعداه بالى (قوله أرضيتم) الاستفهام للتوبيخ والتعجب (قوله حقير) اى لان لذات الدنيا خسيسة مشوبة بالكدرات والآفات سريعة الزوال بخلاف لذات الآخرة فهى شريفة منزهة عن الاقذار والاكدار باقية لا منتهى لها (قوله بادغام لا في ان) العبارة فيها قلب والاصل بادغام أن في لام لا (قوله في الموضعين) اى هذا وقوله الا تنصروه (قوله يعذبكم عذابا اليما) قيل المراد في الآخرة وقيل المراد في الدنيا باحتباس المطر لما روى أنه سئل ابن عباس عن هذه الآية فقال استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا من أحياء العرب فتثاقلوا فامسك الله عنهم المطر فكان ذلك عذابهم (قوله ويستبدل قوما غيركم) قيل المراد بهم أبناء فارس وقيل أهل اليمن (قوله ومنه نصر دينه) اى ولو من غير واسطة (قوله الا تنصروه) شرط حذف جوابه تقديره فسينصره الله واما قوله فقد نصره الله فتعليل للجواب ولا يصلح ان يكون جوابا لانه ماض وقوله اذ اخرجه ظرف لقوله نصره الله وهذا خطاب لمن تثاقل عن تلك الغزوة (قوله بدار الندوة) تقدم ايضاح ذلك في سورة الانفال في قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الخ (قوله حال) اى من الهاء في أخرجه والتقدير اذ أخرجه الذين كفروا حال كونه منفردا عن جميع الناس الا ابا بكر (قوله بدل من اذ قبله) اى بدل بعض من كل لان الاخراج زمنه ممتد فيصدق على زمن استقرارهما في الغار والا فزمن الاخراج مباين لزمن حصولهما في الغار لان بين الغار ومكة مسيرة ساعة (قوله لا تحزن) اى لا تهتم وكان حزن الصديق على

رسول

ان الله معنا) بنصره (فانزل الله سكينته) طمأنينته (عليه) قيل على النبي صلى الله عليه وسلم وقيل على ابى بكر (وأيده) أى النبي صلى الله عليه وسلم (بجنود لم تروها) ملائكة فى الغار ومواطن قتاله (وجعل كلمة الذين كفروا) اى دعوة الشرك (السفلى) المغلوبة (وكلمة الله) اى كلمة الشهادة (هى العليا) الظاهرة الغالبة (والله عزيز) فى ملكه (حكيم) فى صنعه (انفروا خفافا وثقالا) نشاطا وغير نشاط وقيل اقوياء وضعفاء او اغنياء وفقراء وهى منسوخة بآية ليس على الضعفاء (وجاهدوا باموالكم وانفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) انه خير لكم فلا تثاقلوا * ونزل فى المنافقين الذين تخلفوا (لو كان) ما دعوتهم اليه (عرضا) متاعا من الدنيا (قريبا) سهل المأخذ (وسفرا قاصدا) وسطا (لاتبعوك) طلبا للغنيمة (ولكن بعدت عليهم الشقة) المسافة فتخلفوا (وسيحلفون بالله) اذا رجعتم اليهم (لو استطعنا) الخروج (لخرجنا معكم يهلكون انفسهم) بالحلف الكاذب (والله يعلم انهم لكاذبون) فى قولهم ذلك وكان صلى الله عليه وسلم أذن لجماعة فى التخلف باجتهاد منه فنزل عتابا له وقدم العفو تطمينا لقلبه (عفا الله عنك لم اذنت لهم) فى التخلف وهلا تركتهم (حتى

يتبين لك الذين صدقوا) فى العذر (وتعلم الكاذبين) فيه (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر) فى التخلف عن (ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين انما يستأذنك) فى التخلف (الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت) شكت (قلوبهم) فى الدين (فهم فى ريبهم يترددون) يتحيرون (ولو ارادوا الخروج) معك (لاعدوا له عدة) أهبة من الآلة والزاد

رسول الله لاعلى نفسه وورد انه قال له اذا مت انا فانا رجل واحد واذا مت انت هلكت الامة والدين (قوله ان الله معنا) أى معية معنوية خاصة (قوله قيل على النبي) اى فيكون المراد زاده سكينة وطمأنينة حتى عمت أبا بكر والا فرسول الله لم يسبق له انزعاج لمزيد ثقته بربه (قوله وقيل على ابى بكر) اى لانه هو المنزعج (قوله ملائكة فى الغار) اى يحرسونه من اعدائه (قوله ومواطن قتاله) الواو بمعنى أو لانه تفسير ثان (قوله اى دعوة الشرك) اى دعوة اهل الشرك الناس اليه او المراد عقيدة اهل الشرك (قوله وكلمة الله هى العليا) القراء السبعة على الرفع مبتدأ وهى اما ضمير فصل او مبتدأ ثان والعليا اما خبر عن كلمة أو عن الضمير والجملة خبر كلمة وقرئ شذوذا بالنصب معطوفا على مفعول جعل (قوله انفروا خفافا وثقالا) ذكر المفسر فى معنى ذلك ثلاثة أقوال وهى من جملة أقوال كثيرة ذكرها المفسرون فقيل الخفيف الذى لاضيعة له والثقيل الذى له الضيعة وقيل الخفيف الشاب والثقيل الشيخ وقيل غير ذلك فالمقصود تعميم الاحوال اى انفروا على أى حال كنتم عليه وهذا الحكم باق اذا تعين الجهاد بان فجأ العدو وأما فى حال كونه فرض كفاية فليس حكم العموم باقيا بل منسوخ اما بآية وما كان المؤمنون لينفروا كافة او بآية ليس على الضعفاء ولا على المرضى الخ (قوله نشاطا) بكسر النون جمع نشيط ككرام وكريم (قوله وهى منسوخة) اى على القولين الاخيرين لا على الاول فهى محكمة (قوله انه خير) مفعول تعلمون (قوله فلا تثاقلوا) جواب الشرط (قوله فى المنافقين) اى كعبد الله بن ابى واضرابه (قوله متاع الدنيا) سمى عرضا لسرعة زواله كالعرض (قوله المسافة) اى التى تقطع بالمشقة فهى مشتقة من المشقة (قوله وسيحلفون) هذا اخبار من الله بالغيب فان هذه الآية نزلت قبل رجوعه من تبوك (قوله لخرجنا معكم) هذه الجملة سدت مسد جواب القسم والشرط (قوله يهلكون انفسهم) هذا مرتب على قوله وسيحلفون والمعنى يزدادون بها هلاكا لانهم هالكون بالكفر ويزيدون هلاكا باليمين الكاذبة لما فى الحديث اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع (قوله لجماعة) اى من المنافقين (قوله باجتهاد منه) هذا احد قولين والآخر انه لا يجتهد والحاصل انه اختلف هل يجوز على النبي الاجتهاد فى غير الاحكام التكليفية الصادرة من الله تعالى اولا يجوز والصحيح الاول ولكنه فى اجتهاده دائما مصيب وعتاب الله انما هو على فعل امر مباح له فهو من باب حسنات الابرار سيآت المقربين لا على وزر فعله فاعتقاد ذلك كفر (قوله عفا الله عنك) اى عن هذا الامر الذى فعلته (قوله لم اذنت لهم) اللام الاولى للتعليل والثانية للتبليغ وكلاهما متعلق باذنت فلم يلزم عليه تعلق حرفى جر متحدى اللفظ والمعنى بعامل واحد والمعنى لاى شئ أذنت لهم فى التخلف عن الجهاد (قوله وهلا تركتهم) قدره اشارة الى ان قوله حتى يتبين الخ غاية فى ذلك المحذوف (قوله لا يستأذنك الذين يؤمنون) اى لا يليق منهم وليس من عادتهم الاستئذان فى الواجب عليهم بل الخالص فى الايمان يبادر اليه من غير توقف فحيث وقع من هؤلاء الاستئذان كان دليلا على نفاقهم (قوله فى التخلف) اى من غير عذر (قوله وارتابت قلوبهم) انما اسند الريب للقلب لانه محله كما انه محل الايمان والمعرفة (قوله ولو ارادوا الخروج الخ) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم على عدم خروج المنافقين معه اذ لا فائدة فيه ولا مصلحة وعتاب الله على الاذن لهم فى التخلف انما هو لاجل اظهار حالهم وفضيحتهم كأن الله يقول لنبيه كان الاولى لك عدم الاذن لهم فى

(ولكن كره الله انبعاثهم) اى لم يرد خروجهم (فثبطهم) كسلهم (وقيل) لهم (اقعدوا مع القاعدين) المرضى والنساء والصبيان اى قدر الله تعالى ذلك (لوخرجوا (١٣٠) فيكم مازادوكم الا خبالا) فسادا بتخذيل المؤمنين (ولا وضعوا خلالكم) اى اسرعوا بينكم بالمشي بالنميمة (يبغونكم) يطلبون لكم (الفتنة) بالقاء العداوة (وفيكم سماعون لهم) مايقولون سماع قبول (والله عليم بالظالمين لقد ابتغوا) لك (الفتنة من قبل) اول ما قدمت المدينة (وقلبوا لك الامور) أى أجالوا الفكر فى كيدك وابطال دينك (حتى جاء الحق) النصر (وظهر) عز (أمر الله) دينه (وهم كارهون) له فدخلوا فيه ظاهرا (ومنهم من يقول ائذن لى) فى التخلف (ولا تفتنى) وهو الجد بن قيس قال له النبي صلى الله عليه وسلم هل لك فى جلاد بنى الاصفر فقال انى مغرم بالنساء واخشى ان رأيت نساء بنى الاصفر ان لا اصبر عنهن فافتتن قال تعالى (الا فى الفتنة سقطوا) بالتخلف وقرئ سقط (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) لامحيص لهم عنها (ان تصبك حسنة) كنصر وغنيمة (تسؤهم وان تصبك مصيبة) شدة (يقولوا قد اخذنا امرنا) بالحزم حين تخلفنا (من قبل) قبل هذه المصيبة (ويتولوا وهم فرحون) بما اصابك (قل) لهم (لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) اصابته (هو مولانا) ناصرنا ومتولى امورنا (وعلى الله فليتوكل المؤمنون قل هل تربصون) فيه حذف احدى التاءين من الاصل اى تنتظرون ان يقع (بنا الا احدى) العاقبتين (الحسنيين) تثنية حسنى تانيث احسن النصر او الشهادة (ونحن نتربص) ننتظر (بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده) بقارعة من السماء (او بايدينا) بان يؤذن لنا فى قتالكم

التحلف ليظهر حالهم فان القرائن دالة على انهم لا يريدون الخروج لعدم التاهب له (قوله ولكن كره الله انبعاثهم) استدراك على قوله ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة لانه فى معنى النفى فهو استدراك على ما يتوهم ثبوته وهو محبة الله منهم الخروج والمعنى لو ارادوا الخروج لاعدوا ولكن لم يريدوه لكراهة الله انبعاثهم لما فيه من المفاسد فلم يعدوا له عدة وهذا احسن ما يقال (قوله اى قدر الله تعالى ذلك) جواب عما يقال حيث امرهم الله بالقعود كان قعودهم محمودا لا مذموما فاجاب بانه ليس المراد بالقول حقيقته بل المراد به الارادة والتقدير * واجيب ايضا بان القائل الشيطان وهو يامر بالفحشاء والمنكر واجيب ايضا بان القائل الله حقيقة والقول على حقيقته وهو أمر تهديد على حد اعملوا ماشئتم (قوله لو خرجوا فيكم مازادوكم الا خبالا) هذا بيان للمفاسد التى تترتب على خروجهم * ان قلت ان مقتضى العتاب المتقدم ان خروجهم فيه مصلحة ومقتضى ماهنا ان خروجهم مفسدة فكيف الجمع بينهما اجيب بان خروجهم مفسدة عظيمة وعتاب الله لنبيه انما هو على عدم التانى حتى يظهر نفاقهم وفضيحتهم وليس فى خروجهم مصلحة أصلا كما علمت (قوله مازادوكم الا خبالا) اى ما احدثوا فيكم الا خبالا وليس المراد ان الخبال كان حاصلا من قبل وانما حصل منهم زيادته (قوله الا خبالا) يصح ان يكون استثناء منقطعا والمعنى مازادوكم قوة ولكن خبالا او متصلا من عموم الاحوال والمعنى مازادوكم شيا اصلا الا خبالا (قوله ولا وضعوا خلالكم) الايضاع فى الاصل سرعة سير البعير ثم استعير الايضاع لسرعة الافساد ففى الكلام استعارة تبعية حيث شبه سرعة الافساد بسرعة سير الركائب ثم اشتق منه اوضعوا بمعنى اسرعوا وفى الخلال استعارة مكنية حيث شبه الخلال بركائب تسرع فى السير وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشئ من لوازمه وهو اوضعوا بمعنى اسرعوا فاثباته تخييل (قوله يبغونكم الفتنة) حال من فاعل اوضعوا والتقدير طالبين لكم الفتنة (قوله وفيكم سماعون لهم) يحتمل ان يكون المراد جواسيس منهم يسمعون لهم الاخبار منكم ويحتمل ان يكون الضمير فى فيكم عائدا على المؤمنين والمعنى ان فى المؤمنين ضعفاء قلوب يصغون الى قول المنافقين بالتخذيل والافساد لظنهم صحة ايمانهم (قوله من قبل) اى قبل هذه الغزوة كالواقع من المنافقين فى احد وفى الاحزاب (قوله حتى جاء الحق) اى استمروا على تقليب الامور حتى الخ (قوله وهو الجد بن قيس) وهو منافق عنيد حتى انه من قباحته امتنع من مبايعة رسول الله تحت الشجرة فى بيعة الرضوان واختفى تحت بطن ناقته (قوله فى جلاد بنى الاصفر) أى ضربهم بالسيوف وفى نسخة جهاد وهى ظاهرة و بنو الاصفر هم ملوك الروم اولاد الاصفر بن روم بن عيص بن اسحق (قوله وقرئ سقط) اى بالافراد مراعاة للفظ من والضمير عائد على الجد ابن قيس وهى شاذة كما هى قاعدته (قوله ان تصبك حسنة) اى فى بعض الغزوات (قوله وان تصبك مصيبة) أى فى بعضها وقابل الحسنة بالمصيبة اشارة الى ان الثواب مترتب على كل منهما وانما قابلها بالسيئة فى آل عمران لانها خطاب للمؤمنين وفيهم من يراها سيئة (قوله يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل) أى ادركنا ما اهمنا من الامور وهو موالاة الكفار واعتزال المسلمين وغير ذلك من انواع النفاق (قوله وهم فرحون) الجملة حالية من فاعل يتولوا (قوله قل لن يصيبنا) أى ردا لقولهم قد اخذنا امرنا من قبل (قوله الحسنيين) صفة لموصوف محذوف قدره المفسر بقوله العاقبتين (قوله ونحن نتربص بكم) أى احدى العاقبتين السيئتين (قوله بقارعة) أى صاعقة

(فتربصوا) بنا ذلك (انا معكم متربصون) عاقبتكم (قل انفقوا) فى طاعة الله (طوعا او كرها لن يتقبل منكم) ما انفقتموه (انكم كنتم قوما فاسقين) والامر هنا بمعنى الخبر (وما منعهم ان تقبل) بالتاء والياء (منهم نفقاتهم الا انهم) فاعل وان تقبل مفعول (كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى) متثاقلون (ولا ينفقون الا وهم كارهون) النفقة لانهم يعدونها مغرما (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم) اى لا تستحسن نعمنا عليهم فهى استدراج (انما يريد الله ليعذبهم) اى ان يعذبهم (بها فى الحيوة الدنيا) بما يلقون فى جمعها من المشقة وفيها من المصائب (وتزهق) تخرج (أنفسهم وهم كافرون) فيعذبهم فى الآخرة أشد العذاب (ويحلفون بالله انهم لمنكم) اى مؤمنون (وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون) يخافون ان تفعلوا بهم كالمشركين فيحلفون تقية (لو يجدون ملجا) يلجؤن اليه (او مغارات) سراديب (او مدخلا) موضعا يدخلونه (لولوا اليه وهم يجمحون) يسرعون فى دخوله والانصراف عنكم اسراعا لا يرده شئ كالفرس الجموح (ومنهم من يلمزك) يعيبك (فى) قسم (الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله) من الغنائم ونحوها (وقالوا حسبنا) كافينا (الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله) من غنيمة اخرى ما يكفينا (انا الى الله راغبون) ان يغنينا وجواب لو لكان خيرا لهم (انما الصدقات) الزكوات مصروفة (للفقراء) الذين لا يجدون ما يقع موقعا من كفايتهم

(قوله فتربصوا الخ) أى فانا منتظرون ما يسرنا وانتم منتظرون ما يسوؤكم (قوله قل أنفقوا طوعا أو كرها الخ) نزلت فى الجد بن قيس حيث قال للنبي صلى الله عليه وسلم ائذن لى فى القعود وأنا أعطيك مالى والمعنى قل لهم اتصافكم بصفات المؤمنين فى الانفاق والصلاة لا يفيدكم شيا (قوله طوعا) اى من غير الزام وقوله اوكرها اى بالزام (قوله انكم كنتم قوما فاسقين) اى ولم تزالوا كذلك فالمراد فاسقون فيما مضى وفى المستقبل (قوله والامر هنا بمعنى الخبر) اى فالمعنى نفقتكم طوعا اوكرها غير مقبولة (قوله بالتاء والياء) اى فيهما قراءتان سبعيتان (قوله الا انهم كفروا) استثناء من عموم الاشياء كانه قيل ما منعهم قبول نفقاتهم لشئ من الاشياء الا لثلاثة أمور كفرهم بالله ورسوله واتيانهم الصلاة فى حال كسلهم وانفاقهم مع الكراهة (قوله لانهم يعدونها مغرما) اى لانهم لا يرجون عليها ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا (قوله فهى استدراج) اى ظاهرها نعمة وباطنها نقمة (قوله بما يلقون فى جمعها من المشقة) جواب عما يقال ان المال والولد سرور فى الدنيا فاجاب بان المراد بكونهما عذابا باعتبار ما يترتب عليهما من المشقة ان قلت ان هذا ليس مختصا بالمنافق بل المؤمن كذلك بهذا الاعتبار أجيب بان المؤمن يرجو الآخرة والراحة فيها والتنعم بسبب المشقات فكانها ليست مشقة والمنافق ليس كذلك فهى حينئذ مشقة فى الدنيا والآخرة (قوله أنفسهم) اى أرواحهم (قوله يفرقون) الفرق بالتحريك الخوف (قوله لو يجدون ملجا الخ) اى لو قدروا على الهروب منكم ولو فى شر الامكنة وأخسها لفعلوا لشدة بغضهم لكم والمعنى انهم وان كانوا يحلفون لكم انهم منكم فهم كاذبون فى ذلك لانهم لو وجدوا مكانا يلجؤن اليه من رأس جبل أو قلعة او جزيرة او مغارات وهى الاماكن المنخفضة فى الارض او فى الجبل أو سراديب اى أماكن ضيقة لفروا اليها (قوله وهم يجمحون) فى المصباح جمح الفرس براكبه يجمح استعصى حتى غلبه اه ففيه اشارة الى انهم كالدابة الجموح التى لا تقبل الانقياد بوجه من الوجوه (قوله ومنهم من يلمزك) هذا بيان لحال بعض المنافقين وقوله يلمزك من باب ضرب واللمز الاشارة بعين ونحوها على سبيل التنقيص فهو أخص من الغمز اذ هو الاشارة بعين ونحوها مطلقا والمراد هنا الاعابة بالقول قيل نزلت فى أبى الجواظ المنافق بفتح الجيم وتشديد الواو وبالظاء ومعناه الضخم المتكبر الكثير الكلام حيث قال ألا ترون الى صاحبكم يقسم صدقاتكم على رعاء الغنم ويزعم انه يعدل وقيل نزلت فى ذى الخويصرة التميمى وقيل اسمه حرقوص بن زهير وهو أصل الخوارج (قوله فى الصدقات) المراد بها قيل الزكاة وقيل الغنائم وقيل ما هو أعم وهو الاولى بدليل ما يأتى للمفسر (قوله فان أعطوا منها) اى ما يريدون (قوله اذا هم يسخطون) اذا فجائية قامت مقام الفاء والاصل فهم (قوله ما آتاهم الله ورسوله) نسبة الاعطاء لله حقيقية وللرسول مجازية وفيه اشارة الى ان ما فعله الرسول انما هو على طبق ما أمر الله به (قوله وقالوا حسبنا الله) اى كافينا (قوله ان يغنينا) اى فى ان يغنينا وان وما دخلت عليه فى تأويل مصدر مجرور بفى متعلقة بيغنينا ويؤخذ من الآية تعليم العباد التعفف والاعتماد على الله تعالى وتفويض الامور اليه فان الارزاق بيده تعالى متكفل بها لا يقطعها عن عباده ولو خالفوه (قوله انما الصدقات للفقراء) رد على المنافقين الذين يزعمون ان رسول الله يأخذ الصدقات لنفسه ولاهل بيته فبين فى هذه الآية ان المستحق لها الاصناف الثمانية ورسول الله واهل بيته محرمة عليهم تشريفا لهم وتطهيرا والآية من قصر الموصوف على الصفة اى الصدقات مقصورة على الاتصاف بصرفها لهؤلاء الثمانية (قوله مصروفة) قدره ليتعلق به الجار والمجرور (قوله الذين لا يجدون ما يقع موقعا من كفايتهم) صادق بان لا يجدوا شيا اصلا ولا يجدوا شيا لا يقع

(والمساكين) الذين لا يجدون ما يكفيهم (والعاملين عليها) اى الصدقات من جاب وقاسم وكاتب وحاشر (والمؤلفة قلوبهم) ليسلموا اويثبت اسلامهم اويسلم نظراؤهم او يذبوا عن المسلمين اقسام والاول والاخير لا يعطيان اليوم عند الشافعى رضى الله تعالى عنه لعز الاسلام بخلاف الآخرين فيعطيان على الاصح (وفى) فك (الرقاب) اى المكاتبين (والغارمين) اهل الدين ان استدانوا لغير معصية او تابوا وليس لهم وفاء او لاصلاح ذات البين ولو اغنياء (وفى سبيل الله) اى القائمين بالجهاد ممن لا فىء لهم ولو اغنياء (وابن السبيل) المنقطع فى سفره (فريضة) نصب بفعله المقدر (من الله والله عليم) بخلقه (حكيم) فى صنعه فلا يجوز صرفها لغير هؤلاء ولا منع صنف منهم اذا وجد فيقسمها الامام عليهم على السواء وله تفضيل بعض آحاد الصنف على بعض وافادت اللام وجوب استغراق افراده لكن لا يجب على صاحب المال اذا قسم لعسره بل يكفى اعطاء ثلاثة من كل صنف ولا يكفى دونها كما افادته صيغة الجمع وبينت السنة ان شرط المعطى منها الاسلام وان لا يكون هاشميا ولا مطلبيا (ومنهم) اى المنافقين (الذين يؤذون النبى) بعيبه وبنقل حديثه (ويقولون) اذا نهوا عن ذلك لئلا يبلغه (هو اذن) اى يسمع كل قيل ويقبله فاذا حلفنا له انا لم نقل صدقنا

الموقع من كفايتهم (قوله والمساكين الذين لا يجدون ما يكفيهم) صادق بان لا يجدوا شيأ أصلا أو يجدوا شيأ لا يقع الموقع أو يقع ولكن لا يكفيهم فالفقير على هذا أسوأ حالا من المسكين وهذا مذهب الامام الشافعى وعند مالك بالعكس فالمسكين من لا يملك شيأ اصلا والفقير من عنده شىء لا يكفيه والمراد بالكفاية عند مالك كفاية سنة وعند الشافعى كفاية العمر الغالب وهو ستون سنة (قوله من جاب الخ) أى وهو الذى يجمع الزكوات من أربابها والقاسم الذى يقسمها على المستحقين والكاتب الذى يكتب ما أعطاه أرباب الاموال والعاشر الذى يجمع ارباب الاموال لياخذ منهم الجابى الزكاة (قوله ليسلموا) أى يرجى باعطائهم اسلامهم (قوله أو يثبت اسلامهم) أى فهم حديثو عهد بالاسلام فنعطيهم ليتمكن الاسلام من قلوبهم (قوله أو يسلم نظراؤهم) أى فهم كبار قبيلة اسلموا فيعطون ليسلم نظراؤهم من الكفار (قوله أو يذبوا عن المسلمين) أى يدفعوا الكفار ويردوهم عن المسلمين والحال انهم مسلمون (قوله والاول والاخير) أى الكافر ليسلم والذاب عن المسلمين (قوله لا يعطيان) هذا ضعيف عندهم والمعتمد عندهم اعطاء الاول (قوله بخلاف الاخيرين) أى الثانى والثالث وهذا مذهب الشافعى وعند مالك المؤلفة قلوبهم اما كفار يعطون ليسلموا او مسلمون يعطوا ليثبت اسلامهم (قوله وفى الرقاب) انما أضيفت الصدقات الى الاصناف الاربعة الاول باللام والى الاربعة الاخيرة بفى اشارة الى ان الاربعة الاول يملكونها ويتصرفون فيها كيف شاؤا بخلاف الاربعة الاخيرة فيقيد بما اذا صرفت فى مصارفها فاذا لم يحصل نزعت منهم (قوله اى المكاتبين) أى ليستعينوا بها على فك رقابهم وهذا التفسير على مذهب الامام الشافعى وعند مالك واحمد ان معناه يشترى بها رقيق كامل الرق ويعتق وولاؤه للمسلمين وعند ابى حنيفة يشترى بها بعض رقبة ويعان بها مكاتب لان قوله وفى الرقاب يقتضي التبعيض (قوله لغير معصية) اى بان استدانوا لمباح ولو صرفوه فى معصية وهذا مذهب الشافعى وعند مالك اذا صرفوه فى معصية لا يعطون منها الا اذا تابوا (قوله وتابوا) أى ظهرت توبتهم لا بمجرد قولهم تبنا مثلا (قوله اولاصلاح ذات البين) اى كان خيفت فتنة بين قبلتين تنازعتا فى قتيل لم يظهر قاتله فتحملوا الدية تسكينا للفتنة (قوله اى القائمين بالجهاد الخ) اى ويشترى منها آلته من سلاح ودرع وفرس ومذهب مالك ان طلبة العلم المنهمكين فيه لهم الاخذ من الزكاة ولو اغنياء اذا انقطع حقهم من بيت المال لانهم مجاهدون (قوله وابن السبيل) الاضافة لادنى ملابسة اى الملازم للطريق (قوله المنقطع فى سفره) اى ان كان سفره فى غير معصية والا فلا يعطى ولو خيف عليه الموت ما لم يتب ويعطى بشرط ان لا يجد مسلفا وهو ملىء ببلده (قوله فلا يجوز صرفها لغير هؤلاء) اخذ ذلك من الحصر وهو محل وفاق (قوله ولا منع صنف منهم) هذا مذهب الشافعى وعند مالك لا يلزم تعميم الاصناف فاللام فى للفقراء الخ لبيان المصرف لا للاستحقاق (قوله فيقسمها الامام عليهم على السواء) هذا مذهب الشافعى وعند مالك لا يلزم ذلك بل يندب ايثار المضطر (قوله لعسره) علة لعدم وجوب الاستغراق (قوله الاسلام) هذا فى غير المؤلفة قلوبهم (قوله وان لا يكون هاشميا ولا مطلبيا) هذا مذهب الشافعى وعند مالك الذين تحرم عليهم الزكاة بنو هاشم فقط وهذا ان كان حقهم من بيت المال جاريا والا فهم اولى من غيرهم فاعطاؤهم اسهل من تعاطيهم خدمة الذمى والفاجر (قوله ومنهم الذين يؤذون النبى) سبب نزولها ان جماعة من المنافقين تكلموا فى حقه صلى الله عليه وسلم بما لا يليق فقال بعضهم لبعض كفوا عن ذلك الكلام لئلا يبلغه ذلك فيقع لنا منه الضرر فقال الجلاس بضم الجيم وفتح اللام المخففة ابن سويد نقول ما شئنا ثم ناتيه فننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا فيما نقول فانما محمد اذن (قوله اى يسمع كل قيل) اى من غير ان يتامل فيه ويميز باطنه من

ظاهره فقصدوا بذلك وصفه صلى الله عليه وسلم بالغفلة لانه كان لا يقابلهم بسوء أبدا ويتحمل اذاهم
ويصفح عنهم فحملوه على عدم التنبه والغفلة وهو انما كان يفعل ذلك رفقا بهم وتغافلا عن عيوبهم وفى
تسميته اذنا مجاز مرسل من اطلاق الجزء على الكل للمبالغة فى أسماعه حتى صار كانه هو آلة السماع كما
يسمى الجاسوس عينا (قوله قل أذن خير لكم) اى يسمع الخير ولا يسمع الشر (قوله يؤمن بالله الخ) هذا
ايضاح لكونه اذن خير (قوله واللام زائدة) جواب عما يقال لم زيدت اللام مع ان الايمان يتعدى بالباء
فاجاب بانها زيدت للفرق بين ايمان التسليم وهو قوله ويؤمن للمؤمنين اى يسلم لهم قولهم ويصدقهم فيما
يقولونه وبين ايمان التصديق المقابل للكفر وهو قوله يؤمن بالله اى يصدق بالله ويوحده (قوله ورحمة
للذين آمنوا) اى اظهروا الايمان منكم وهذه الرحمة بمعنى الرفق بهم وعدم كشف اسرارهم لا بمعنى
التصديق فان رحمته فى الدنيا عامة للبر والفاجر وفى الآخرة مختصة بالبر دون الفاجر اذ هى تابعة لرحمة
الله تعالى واحسانه (قوله يحلفون بالله لكم) اى يحلف المنافقون للمؤمنين انه ماوقع منهم الايذاء للنبي
وقصدهم بذلك ارضاء المؤمنين ليذبوا عنهم اذا أراد رسول الله ان يفتك بهم وسبب نزولها انه اجتمع
ناس من المنافقين منهم الجلاس بن سويد ووديعة بن ثابت فوقعوا فى رسول الله قالوا ان كان ما يقول محمد
حقا فنحن شر من الحمير وكان عندهم غلام يقال له عامر بن قيس ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره
فدعاهم وسألهم فانكروا وحلفوا ان عامرا كذاب وحلف عامر انهم كذبوا فصدقهم النبي صلى الله عليه
وسلم فجعل عامر يدعو ويقول اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب (قوله ما أتوه) اى مافعلوه وفى نسخة
آذوه (قوله ليرضوكم) علة لقوله يحلفون (قوله والله ورسوله احق ان يرضوه) الجملة حالية من ضمير يحلفون
والمعنى يحلفون لكم لارضائكم والحال ان الله ورسوله احق بالارضاء (قوله ان كانوا مؤمنين) شرط
حذف جوابه لدلالة ماقبله عليه أى فليرضوا الله ورسوله (قوله وتوحيد الضمير الخ) اشار المفسر لثلاثة
اجوبة عن سؤال وارد على الآية حاصله ان لفظ الجلالة مبتدأ ورسوله مبتدأ ثان معطوف عليه وجملة
احق ان يرضوه خبر والضمير مفرد وماقبله مثنى فلم افرد الضمير فاجاب المفسر بانه افرده لان الرضاءين
واحد لان رضا رسول الله تابع لرضا الله ولازم له فالكلام جملة واحدة او الجملة خبر عن رسوله وحذف
خبر لفظ الجلالة لدلالة ما بعده عليه او خبر عن لفظ الجلالة وخبر رسوله محذوف لدلالة ماقبله عليه ففيه اما
الحذف من الثاني لدلالة الاول عليه او بالعكس (قوله الم يعلموا) الاستفهام للتوبيخ (قوله من يحادد الله)
من شرطية مبتدأ وقوله فان الخ خبر لمحذوف اى فحق ان له الخ والجملة جواب الشرط وجملة
فعل الشرط وجوابه خبر من ومجموع اسم الشرط وفعله وجزائه خبر ان الاولى وجملة ان الاولى
من اسمها وخبرها سدت مسد مفعولى يعلم (قوله جزاء) تمييز (قوله خالدا فيها) حال
مقدرة (قوله ان تنزل عليهم) اى المؤمنين وقوله تنبئهم اى تخبر المؤمنين وقوله بما فى قلوبهم
اى المنافقين من الحقد والحسد للمؤمنين (قوله قل استهزؤا الخ) نزلت هذه الآية فى اثنى عشر رجلا
من المنافقين وقفوا للرسول الله على العقبة لما رجع من غزوة تبوك ليفتكوا به اذا علاها وتنكروا
عليه فى ليلة مظلمة فاخبر جبريل رسول الله بما قد اضمروا وامره ان يرسل اليهم من يضرب وجوه
رواحلهم وكان معه عمار بن ياسر يقود ناقة رسول الله وسراقة يسوقها فقال لحذيفة اضرب وجوه
رواحلهم فضربها حذيفة حتى نحاها عن الطريق فلما نزل قال لحذيفة هل عرفت من القوم احدا
فقال لم أعرف منهم احدا يارسول الله فقال رسول الله انهم فلان وفلان حتى عدهم كلهم فقال

(قل) هو (اذن) مستمع
(خير لكم) لا مستمع شر
(يؤمن بالله ويؤمن)
يصدق (للمؤمنين) فيما
اخبروه به لا لغيرهم واللام
زائدة للفرق بين ايمان
التسليم وغيره (ورحمة)
بالرفع عطفا على اذن والجر
عطفا على خير (للذين آمنوا
منكم والذين يؤذون
رسول الله لهم عذاب اليم
يحلفون بالله لكم) ايها
المؤمنون فيما بلغكم عنهم من
اذى الرسول انهم ما اتوه
(ليرضوكم والله ورسوله
احق ان يرضوه) بالطاعة
(ان كانوا مؤمنين) حقا
وتوحيد الضمير لتلازم
الرضاءين وخبر الله
ورسوله محذوف (الم يعلموا
انه) اى الشان (من يحادد)
يشاقق (الله ورسوله فان له
نار جهنم) جزاء (خالدا فيها
ذلك الخزى العظيم يحذر)
يخاف (المنافقون ان تنزل
عليهم) أى المؤمنين (سورة
تنبئهم بما فى قلوبهم) من
النفاق وهم مع ذلك
يستهزؤن (قل استهزؤا)
امر تهديد (ان الله مخرج)
مظهر (ما تحذرون)
اخراجه من نفاقكم (ولئن)
لام قسم (سألتهم) عن
استهزائهم بك والقرآن

وهم سائرون معك الى تبوك (ليقولن) معتذرين (انما كنا نخوض ونلعب) فى الحديث لنقطع به الطريق ولم نقصد ذلك (قل) لهم (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا) عنه (قد كفرتم بعد ايمانكم) اى ظهر كفركم بعد اظهار الايمان (ان يعف) بالياء مبنيا للمفعول والنون مبنيا للفاعل (عن طائفة منكم) (باخلاصها وتوبتها كمخشى بن حمير (تعذب) بالتاء والنون (طائفة بانهم كانوا

مجرمين) مصرين على النفاق والاستهزاء (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) اى متشابهون فى الدين كابعاض الشئ الواحد (يأمرون بالمنكر) الكفر والمعاصى (وينهون عن المعروف) الايمان والطاعة (ويقبضون أيديهم) عن الانفاق فى الطاعة (نسوا الله) تركوا طاعته (فنسيهم) تركهم من لطفه (ان المنافقين هم الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هى حسبهم) جزاء وعقابا (ولعنهم الله) أبعدهم عن رحمته (ولهم عذاب مقيم) دائم أنتم ايها المنافقون (كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة وأكثر اموالا واولادا فاستمتعوا) تمتعوا (بخلاقهم) نصيبهم من الدنيا (فاستمتعتم) ايها المنافقون (بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم) فى الباطل والطعن فى النبى صلى الله عليه وسلم (كالذى خاضوا) اى كخوضهم (أولئك حبطت

حذيفة هلا بعثت اليهم من يقتلهم فقال اكره ان تقول العرب لما ظفر باصحابه اقبل يقتلهم بل يكفيناالله بالدبيلة وهى خراج من نار يظهر فى أكتافهم حتى ينجم من صدورهم (قوله وهم سائرون معك) اى وكانوا يقولون هيهات هيهات يريد هذا الرجل ان يفتح حصون الشام وقصورها فاطلع الله نبيه على ماقالوه فقال لهم هل قلتم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا فى شئ من امرك ولا من أمر أصحابك ولكن كنا فى شئ مما يخوض فيه الركب ليقصر بنا السفر (قوله ابالله) اى بفرائضه وحدوده (قوله وآياته) اى كلماته القرآنية (قوله ورسوله) اى محمد صلى الله عليه وسلم (قوله عنه) اى الاستهزاء (قوله مبنيا للمفعول الخ) اى ونائب الفاعل عن طائفة وهما قراءتان سبعيتان (قوله كمخشى بن حمير) وفى بعض النسخ كجحش بن حمير اسلم وحسن اسلامه كان يضحك ولا يخوض وكان ينكر بعض مايسمع فلما نزلت هذه الآية تاب من نفاقه وقال اللهم انى لا أزال اسمع آية تقرأ تقشعر منها الجلود وتخفق منها القلوب اللهم اجعل وفاتى قتلا فى سبيلك لا يقول احد انا غسلت انا كفنت انا دفنت فاصيب يوم اليمامة فلم يعرف احد من المسلمين مصرعه (قوله المنافقون) اى وكانوا ثلثمائة (قوله والمنافقات) اى وكن مائة وسبعين (قوله اى متشابهون فى الدين) اى الذى هو النفاق فهم على امر واحد يجتمعون عليه (قوله ويقبضون ايديهم) كناية عن عدم الانفاق لان شان المعطى بسط اليد وشان الممسك قبضها (قوله تركوا الله) جواب عما يقال ان النسيان لا يؤاخذ به الانسان فاجاب بان المراد به الترك (قوله تركهم) جواب عما يقال ان النسيان مستحيل على الله تعالى فاجاب بان المراد به الترك (قوله هم الفاسقون) اى الكاملون فى التمرد والفسق والاظهار فى موضع الاضمار لزيادة التقريع (قوله وعد الله المنافقين) يستعمل وعد فى الخير والشر وانما يفترقان فى المصدر فمصدر الاول وعد والثانى وعيد (قوله والكفار) اى المتجاهرون بالكفر فهو عطف مغاير (قوله خالدين فيها) حال مقدرة (قوله ولهم عذاب مقيم) اى غير النار كالزمهرير والمراد عذاب فى الدنيا (قوله كالذين من قبلكم) الجار والمجرور خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله أنتم وهذا خطاب للمنافقين ففيه التفات من الغيبة للخطاب والمثلية فى الاوصاف المتقدمة وهى الامر بالمنكر والنهى عن المعروف وقبض اليد ونسيان حقوق الله الآتية بقوله فاستمتعوا الخ (قوله فاستمتعوا بخلاقهم) اى بحظوظهم الفانية والتشاغل بها عما يرضى الله تعالى (قوله اى كخوضهم) مشى المفسر على ان الذى حرف مصدرى وهى طريقة ضعيفة لبعض النحاة وعليه فيقدر فى الكلام مفعول مطلق ليكون مشبها بالمصدر المأخوذ من الذى والتقدير وخضتم خوضا كخوضهم والصحيح ان الذى اسم موصول صفة لموصوف محذوف والعائد محذوف تقديره كالخوض الذى خاضوه (قوله الم يأتهم) أى المنافقين والاستفهام للتقرير (قوله قوم نوح الخ) اى وقد اهلكوا بالطوفان وعاد أهلكوا بالريح العقيم وثمود اهلكوا بالرجفة وقوم ابراهيم أهلكوا بسلب النعمة عنهم وبالبعوض وأصحاب مدين اهلكوا بالظلة (قوله والمؤتفكات) اى المنقلبات التى جعل الله عاليها سافلها (قوله فما كان الله ليظلمهم) معطوف على مقدر قدره المفسر بقوله فكذبوهم فاهلكوا (قوله بان يعذبهم بغير ذنب) تفسير للظلم المنفى اى الواقع ان الله لم يعذبهم بغير ذنب بل لو فرض انه عذبهم بغير ذنب لم يكن ظلما لان الظلم هو التصرف فى ملك الغير من غير اذنه ولا ملك لاحد معه سبحانه

أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون الم يأتهم نبأ) خبر (الذين من قبلهم قوم نوح وعاد) قوم هود (وثمود) قوم صالح (وقوم ابراهيم وأصحاب مدين) قوم شعيب (والمؤتفكات) قرى قوم لوط اى اهلها (أتتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات فكذبوهم فاهلكوا (فما كان الله ليظلمهم) بان يعذبهم بغير ذنب (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) بارتكاب الذنب

سبحانه وتعالى لكن تفضل الله بانه لا يعذب بغير ذنب، ولا يجوز عليه شرعا ان يعذب فى الآخرة عبدا بغير ذنب وان جاز عقلا (قوله والمؤمنون والمؤمنات الخ) لما بين حال المنافقين والمنافقات عاجلا وآجلا ذكر حال المؤمنين والمؤمنات عاجلا وآجلا (قوله اولياء بعض) اى فى الدين وعبر عنهم بذلك دون المنافقين فعبر فى شأنهم بمن اشارة الى ان نسبة المؤمنين فى الدين كنسبة القرابة واما المنافقون فنسبتهم طبيعية نفسانية فهم جنس واحد (قوله يامرون بالمعروف) اى يحبونه لانفسهم ولاخوانهم والمعروف كل ماعرف فى الشرع وهو كل خير (قوله وينهون عن المنكر) اى ينفرون منه ولا يرضون به والمراد بالمنكر كل ماخالف الشرع (قوله ويطيعون الله ورسوله) اى باللسان والجنان وسائر الاعضاء (قوله سيرحمهم الله) اى فى الدنيا بالايمان والمعرفة وفى الآخرة بالخلود فى الجنة ونعيمها ورضا الله عنهم وهذه الاوصاف مقابلة لاوصاف المنافقين المتقدمة (قوله عن انجاز وعده) اى للمؤمنين والمؤمنات (قوله ووعيده) اى للمنافقين والمنافقات فهو لف ونشر مشوش (قوله وعد الله المؤمنين والمؤمنات) هذا تفصيل لما اجمل فى قوله اولئك سيرحمهم الله (قوله جنات) اى بساتين لكل مؤمن ومؤمنة ليس فيها شركة لاحد (قوله تجرى من تحتها) اى بارضها (قوله خالدين فيها) حال من المؤمنين والمؤمنات (قوله ومساكن طيبة) اى تستطيبها النفوس وتالفها فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (قوله فى جنات عدن) اى فى بساتين اقامة لا تحول ولا تزول روى انه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى ومساكن طيبة فى جنات عدن قال قصر من لؤلؤة فى ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء فى كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء فى كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين وفى رواية فى كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من طعام (قوله ورضوان من الله اكبر) التنوين للتقليل اى اقل رضوان يانيهم من الله اكبر من ذلك كله فضلا عن اكثره ورد ان الله تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون مالنالا نرضى وقد اعطيتنا مالم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واى شىء افضل من ذلك قال احل عليكم رضوانى فلا اسخط عليكم بعده ابدا (قوله ذلك) اى الرضوان (قوله هو الفوز العظيم) اى الظفر بالمقصود الذى لا يضاهى (قوله بالسيف) المراد به جميع آلات الحرب (قوله باللسان والحجة) اى لا بالسيف لنطقهم بالشهادتين فالمراد بجهادهم بذل الجهد فى نصيحتهم وتخويفهم (قوله بالانتهار والمقت) المراد به القتل بالنسبة للكفار والاهانة والزجر بالنسبة للمنافقين (قوله وماواهم جهنم) جملة مستانفة بيان لعاقبة امرهم (قوله يحلفون بالله ماقالوا) هذا بيان لقبيحهم وخبانة باطنهم (قوله كلمة الكفر) قيل هى كلمة الجلاس بن سويد حيث قال ان كان محمد صادقا فيما يقول فنحن شر من الحمير وقيل هى كلمة ابن ابى ابن سلول حيث قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل (قوله اظهروا الكفر الخ) دفع بذلك ما يقال ان ظاهر الآية يقتضى انهم مسلمون ثم كفروا بعد ذلك مع انهم لم يسلموا اصلا فاجاب بان المراد اظهروا الكفر بعد ان اظهروا الاسلام (قوله من الفتك) مثلث الفاء الاخذ على حين غفلة (قوله ليلة العقبة) اى التى بين تبوك والمدينة (قوله وهم بضعة عشر رجلا) قيل اثنا عشر وقيل اكثر من ذلك لكن لم يبلغوا العشرين وقد اجمع رأيهم على ان يفتكوا بالنبى فى العقبة ليقع فى الوادى فيموت فاخبره الله بما دبروه فلما وصل الى العقبة نادى منادى رسول الله بامره ان رسول الله يريد ان يسلك العقبة فلا يسلكها احد غيره واسلكوا يامعشر الجيش بطن الوادى فانه اسهل لكم واوسع فسلك الناس بطن الوادى وسلك النبى العقبة وكان ذلك فى ليلة مظلمة فجاء المنافقون وتلثموا وسلكوا العقبة فلما ازدحموا على رسول الله نفرت ناقته حتى

(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز) لا يعجزه شىء عن انجاز وعده ووعيده (حكيم) لا يضع شيئا الا فى محله (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن) اقامة (ورضوان من الله اكبر) اعظم من ذلك كله (ذلك هو الفوز العظيم يا أيها النبى جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) باللسان والحجة (واغلظ عليهم) بالانتهار والمقت (وماواهم جهنم وبئس المصير) المرجع هى (يحلفون) اى المنافقون (بالله ماقالوا) ما بلغك عنهم من السب (ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم) اظهروا الكفر بعد اظهار الاسلام (وهموا بما لم ينالوا) من الفتك بالنبى ليلة العقبة عند عوده من تبوك وهم بضعة عشر رجلا

سقط بعض متاعه فصرخ بهم فولوا مدبرين وامر عمار بن ياسر وقيل حذيفة يضرب وجوه رواحلهم فانحطوا من العقبة مسرعين الى بطن الوادى واختلطوا بالناس فقال له النبي هل عرفت احدا منهم قال لا كانوا متلثمين والليلة مظلمة قال هم فلان وفلان حتى عدهم قال هل عرفت مرادهم قال لا قال انهم مكروا وارادوا الفتك بى وان الله اخبرنى بمكرهم فلما اصبح جمعهم واخبرهم بما مكروا فحلفوا بالله ماقالوا ولا ارادوا فنزلت الآية ويؤخذ من ذلك انهم سافروا مع رسول الله الى تبوك وتقدم انهم تخلفوا ويمكن الجمع بان البعض سافروا والبعض تخلف (قوله فضرب عمار بن ياسر) وقيل حذيفة (قوله وما نقموا أنكروا) اى ما كرهوا وما عابوا وفى الآية تاكيد المدح بما يشبه الذم كانه قيل ليس له صفة تكره وتعاب الا اغناء هم من فضله بعد ان كانوا فقراء وهذه ليست صفة ذم فحينئذ ليس له صفة تذم اصلا (قوله وليس مما ينقم) اى يعاب ويكره (قوله وان تولوا) اى داموا عليه (قوله ومنهم) اى المنافقين وظاهر الآية انه حين المعاهدة كان منافقا وليس كذلك بل كان مسلما صحيحا وكان يلزم المسجد والجماعة حتى لقب بحمامة المسجد فجعله منهم باعتبار ما آل اليه امره ففيه مجاز الاول (قوله لئن آتانا) تفسير لقوله عاهدوا واللام موطئة لقسم محذوف وان شرطية وآتانا فعل الشرط وجملة لنصدقن جواب القسم وحذف جواب الشرط لدلالته عليه ولتاخره على حد قول ابن مالك

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم * جواب ما أخرت فهو ملتزم

(قوله فيه ادغام التاء الخ) اى والاصل لنتصدقن قلبت التاء صادا ثم ادغمت فى الصاد (قوله ولنكونن من الصالحين) اى فى صرف المال بان نصل به الارحام وننفقه فى وجوه البر والخير (قوله وهو ثعلبة ابن حاطب) كان أولا صحابيا جليلا ملازما للجمعة والجماعة والمسجد ثم رآه النبي يسرع بالخروج اثر الصلاة فقال له رسول الله لم تفعل فعل المنافقين فقال انى افتقرت ولى ولامرأتى ثوب أجىء به للصلاة ثم اذهب فانزعه لتلبسه وتصلى به فادع الله ان يوسع فى رزقى * وحاصل قصته انه جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ادع الله ان يرزقنى مالا فقال رسول الله ويحك يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه ثم اتاه بعد ذلك فقال له مثل ذلك فقال له رسول الله امالك فى اسوة حسنة والذى نفسى بيده لو أردت ان تسير الجبال معى ذهبا وفضة لسارت ثم اتاه بعد ذلك فقال له والذى بعثك بالحق لئن رزقنى الله مالا لاعطين كل ذى حق حقه فقال رسول الله اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من اوديتها وهى تنمو كما ينمو الدود فكان يصلى مع رسول الله الظهر والعصر ويصلى فى غنمه سائر الصلوات ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة فصار لا يشهد الا الجمعة ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة فصار لا يشهد جمعة ولا جماعة فكان اذا كان يوم الجمعة يتلقى الناس يسالهم عن الاخبار فذكره رسول الله ذات يوم فقال مافعل ثعلبة فقالوا له يارسول الله اتخذ ثعلبة غنما مايسعها واد فقال رسول الله ياويح ثعلبة ياويح ثعلبة فلما نزلت آية الصدقة بعث رسول الله رجلا من بنى سليم ورجلا من بنى جهينة وكتب لهما اسنان الصدقة وكيف ياخذانها وقال لهما مرا على ثعلبة بن حاطب وعلى رجل من بنى سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى اتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وقرآ عليه كتاب رسول الله فقال ماهذه الا جزية ماهذه الا اخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الى فانطلقا وسمع بهما السليمى فنظر الى خيار اسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأياه قالا ماهذا عليك قال خذاه فان نفسى بذلك طيبة فمرا على الناس وأخذا الصدقات ثم رجعا الى ثعلبة فقال أرونى كتابكما فقرأه فقال ماهذه الا جزية ماهذه الا اخت الجزية اذهبا حتى أرى رأيى فانطلقا فلما رآهما رسول الله قال قبل ان

فضرب عمار بن ياسر وجوه الرواحل لما غشوه فردوا (وما نقموا) انكروا (الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله) بالغنائم بعد شدة حاجتهم المعنى لم ينلهم منه الا هذا وليس مما ينقم (فان يتوبوا) عن النفاق ويؤمنوا بك (يك خيرا لهم وان يتولوا) عن الايمان (يعذبهم الله عذابا أليما فى الدنيا) بالقتل (والآخرة) بالنار (وما لهم فى الارض من ولى) يحفظهم منه (ولا نصير) يمنعهم (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن) فيه ادغام التاء فى الاصل فى الصاد (ولنكونن من الصالحين) وهو ثعلبة بن حاطب سال النبي صلى الله عليه وسلم ان يدعو له أن يرزقه الله مالا

يتكلما

و يؤدى منه كل ذى حق حقه فدعا له فوسع عليه فانقطع عن الجمعة والجماعة ومنع الزكاة كما قال تعالى (فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا) عن طاعة الله (وهم معرضون فاعقبهم) اى فصير عاقبتهم (نفاقا) ثابتا (فى قلوبهم الى يوم يلقونه) اى الله وهو يوم القيامة (بما اخلفوا الله ماوعدوه و بما كانوا يكذبون) فيه فجاء بعد ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم بزكاته فقال ان الله منعني ان اقبل منك فجعل يحثو التراب على رأسه ثم جاء بها الى ابى بكر فلم يقبلها ثم الى عمر فلم يقبلها ثم الى عثمان فلم يقبلها ومات فى زمانه (ألم يعلموا) أى المنافقون (ان الله يعلم سرهم) ماأسروه فى انفسهم (ونجواهم) ماتناجوا به بينهم (وان الله علام الغيوب) ماغاب عن العيان * ولما نزلت آية الصدقة جاء رجل فتصدق بشيء كثير فقال المنافقون مراء وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا ان الله غنى عن صدقة هذا فنزل (الذين) مبتدأ (يلمزون) يعيبون (المطوّعين) المتنفلين (من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم) طاقتهم فيأتون به (فيسخرون منهم) والخبر (سخر الله منهم) جازاهم على سخريتهم (ولهم عذاب أليم استغفر) يامحمد (لهم اولا تستغفر لهم) تخيير لهم فى الاستغفار وتركه قال صلى الله عليه وسلم انى خيرت فاخترت يعنى الاستغفار رواه البخارى

(ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) قيل المراد بالسبعين المبالغة فى كثرة الاستغفار وفى البخارى حديث لو اعلم انى لو زدت على السبعين غفر لزدت عليها وقيل المراد العدد المخصوص لحديثه ايضا وسأزيد على السبعين فبين له حسم المغفرة بآية سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم (ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدى القوم الفاسقين

يتكلما ياويح ثعلبة ياويح ثعلبه ثم دعا للسليمى بخير فاخبراه بالذى صنع ثعلبة فنزلت الآية (قوله و يؤدى منه الخ) الجملة حالية من فاعل سال (قوله فدعا له) اى فى المرة الثالثة (قوله فوسع عليه) أى بان رزق غنما فصارت تنمو كالدود (قوله بخلوا به) اى حيث منع الزكاة لما جاءه السعاة لاخذها وقال ماهذه الاجزية ماهذه الا اخت الجزية (قوله فاعقبهم نفاقا) أى فاورثهم البخل نفاقا متمكنا فى قلوبهم (قوله الى يوم يلقونه) غاية لتمكن النفاق فى قلوبهم وحكمة الجمع فى هذه الضمائر مع ان سبب نزولها فى شخص واحد الاشارة الى ان حكم هذه الآية باق لكل من اتصف بهذا الوصف من اول الزمان لآخره وليس مخصوصا بثعلبة (قوله بما اخلفوا الله) الباء سببية وما مصدرية والمعنى ذلك بسبب اخلافهم الله الوعد وردآية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان (قوله فجاء بعد ذلك) أى غير تائب فى الباطن وانما ذلك خوفا من ان يحكم بردته فيقتل و يؤخذ ماله كله ففعله ذلك لاجل حفظ دمه وماله لا توبة من ذنبه والا لقبله الله (قوله يحثو التراب) اى يهيله على رأسه (قوله ثم جاء الى ابى بكر) أى فى خلافته وكذا فى خلافة عمر وعثمان (قوله اى المنافقون) اى لا بقيد كونهم الذين عاهدوا الله لان آيتهم قد انقضت بقوله يكذبون (قوله ماأسروه) أى اخفوه (قوله ماغاب عن العيان) اى بالنسبة للعباد لا بالنسبة لله فان الكل عنده عيان وليس شيء غائبا عن علمه سبحانه وتعالى (قوله جاء رجل) هو عبد الرحمن بن عوف جاء باربعة آلاف درهم وقال كان لى ثمانية آلاف فاقرضت ربى اربعة فاجعلها يارسول فى سبيل الله وأمسكت لعيالى اربعة فقال له النبي بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبورك له حتى صولحت احدى زوجاته الاربع بعد وفاته عن ربع الثمن بثمانين ألفا واعتق من الرقاب ثلاثين ألفا وأوصى بخمسين ألف دينار و بالف فرس فى سبيل الله وأوصى لمن بقى من البدريين اذذاك وكان الباقى مائة اوصى لكل منهم باربعمائة دينار واوصى لامهات المؤمنين بحديقة بيعت باربعمائة ألف (قوله وجاء رجل فتصدق بصاع) اى وهو ابو عقيل الانصارى جاء بصاع تمر وقال بت ليلتى اجر بالجرير اى الحبل الذى يستقى به الماء وكان اجيرا يسقى الزرع بالماء من البئر قال وكانت اجرتى صاعين من تمر فتركت صاعا لعيالى وجئت بصاع فامره النبي ان ينثره على الصدقات (قوله فقالوا ان الله غنى الخ) اى وانما أتى به تعريضا بفقره ليعطى من الصدقات (قوله الذين يلمزون) مبتدأ خبره سخر الله منهم والذين لا يجدون عطف على الذين الاول وقوله فيسخرون عطف على قوله يلمزون (قوله المطوعين) أصله المتطوعين ابدلت التاء طاء ثم ادغمت فى الطاء (قوله الا جهدهم) الجهد الشيء اليسير الذى يعيش به المقل (قوله استغفر لهم الخ) خبر جيء به فى صورة الامر والمعنى استغفارك لهم وعدمه سواء (قوله قال صلى الله عليه وسلم) دليل على التخيير (قوله قيل المراد بالسبعين الخ) هذا بناء على ان العدد لا مفهوم له (قوله غفر) جواب لو الثانية وقوله لزدت جواب لو الاولى (قوله وقيل المراد الخ) بناء على ان العدد له مفهوم (قوله لحديثه) اى البخارى (قوله حسم المغفرة) اى قطعها (قوله ذلك) اى عدم المغفرة لهم (قوله بانهم كفروا) الباء سببية وان مصدرية والتقدير بسبب كفرهم (قوله والله لا يهدى القوم الفاسقين) أى

فرح المخلفون) عن تبوك
(بمقعدهم) اى بقعودهم
(خلاف) اى بعد (رسول
الله وكرهوا ان يجاهدوا
باموالهم وانفسهم فى سبيل
الله وقالوا) اى قال بعضهم
لبعض (لا تنفروا) تخرجوا
الى الجهاد (فى الحر قل نار
جهنم اشد حرا) من تبوك
فالاولى ان يتقوها بترك
التخلف (لو كانوا يفقهون)
يعلمون ذلك ما تخلفوا
(فليضحكوا قليلا) فى
الدنيا (وليبكوا) فى الآخرة
(كثيرا جزاء بما كانوا
يكسبون) خبر عن حالهم
بصيغة الامر (فان رجعك)
ردك (الله) من تبوك (الى
طائفة منهم) ممن تخلف
بالمدينة من المنافقين
(فاستاذنوك للخروج) معك
الى غزوة اخرى (فقل
لهم (لن تخرجوا معى ابدا
ولن تقاتلوا معى عدوا انكم
رضيتم بالقعود اول مرة
فاقعدوا مع الخالفين)
المتخلفين عن الغزو من
النساء والصبيان وغيرهم *
ولما صلى النبى صلى الله عليه
وسلم على ابن ابى نزل (ولا
تصل على احد منهم مات
ابدا ولا تقم على قبره) لدفن
او زيارة (انهم كفروا بالله
ورسوله وماتوا وهم فاسقون)
كافرون (ولا تعجبك اموالهم وأولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها فى الدنيا وتزهق) تخرج (انفسهم

لا يوصلهم لما فيه رضاه (قوله فرح المخلفون) جمع مخلف اسم مفعول والفاعل الكسل اى الذين خلفهم
الكسل وكانوا اثنى عشر (قوله أى بعد) اشار بذلك الى ان خلاف ظرف زمان او مكان ويصح ان يكون
مصدرا بمعنى مخالفة والمعنى على الاول فرحوا بقعودهم فى خلاف رسول الله أى بعد سفره او بمكانه الذى
سافر منه وعلى الثانى فرحوا بمخالفة رسول الله حيث اتصفوا بالقعود واتصف هو بالسفر (قوله وكرهوا
ان يجاهدوا) ان وما دخلت عليه فى تاويل مصدر مفعول كرهوا والمعنى كرهوا الجهاد لان الانسان بطبعه
ينفر من اتلاف النفس والمال سيما من ينكر الآخرة (قوله وقالوا) اى قال بعضهم لبعض (قوله لا تنفروا)
اى الى تبوك لانها كانت فى شدة الحر والقحط (قوله اشد حرا) اى لان حر الدنيا يزول ولا يبقى وحر
جهنم دائم لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون فمن آثر الشهوات على ما يرضى مولاه كان ماواه جهنم ومن آثر رضا
ربه على شهوته كان ماواه الجنة ولذا ورد حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات (قوله ما تخلفوا)
جواب لو (قوله فليضحكوا قليلا) أى بالنسبة لبكاء الآخرة وان كان فى نفسه كثيرا (قوله وليبكوا كثيرا)
اى على ما فاتهم من النعيم الدائم ورد عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
يا أيها الناس ابكوا فان لم تستطيعوا ان تبكوا فتباكوا فان اهل النار يبكون فى النار حتى تسيل دموعهم فى
وجوههم كانها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون فلو ان سفنا اجريت فيها لجرت
(قوله جزاء) اما مفعول لاجله او مصدر منصوب بفعل مقدر تقديره يجزون جزاء (قوله خبر عن حالهم)
اى العاجل والآجل وانما جئ به على صورة الامر اشارة الى انه لا يتخلف لان الامر المطاع مما لا يكاد
يتخلف عنه المامور (قوله فان رجعك الله) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم بعدم جمعهم معه فى مشاهد الخير
بعد ذلك ويؤخذ من ذلك ان اهل الفسوق والعصيان لا يرافقون ولا يشاورون (قوله ممن تخلف) بيان
للضمير فى منهم (قوله من المنافقين) بيان للطائفة (قوله اول مرة) اى وهو الخروج لغزوة تبوك (قوله
وغيرهم) اى كالمرضى (قوله على ابن أبى) اسمه عبد الله وابى اسم أبيه وسلول اسم امه وكان رئيس الخزرج
وكان له ولد مسلم صالح فدعا النبى ليصلى عليه وساله ان يكفنه فى قميصه ففعل ويروى ان النبى صلى الله عليه
وسلم كلم فيما فعل بعبد الله بن ابى فقال صلى الله عليه وسلم وما يغنى عنه قميصى وصلاتى من الله والله انى
كنت أرجو ان يسلم به الف من قومه ويروى انه اسلم الف من قومه لما رأوه يتبرك بقميص النبى صلى الله
عليه وسلم (قوله منهم) صفة لاحد وكذا قوله مات ابدا (قوله ولا تقم على قبره) اى لا تتول دفنه (قوله
انهم كفروا) علة لما قبله ولما نزلت هذه الآية ما صلى على منافق ولا قام على قبره بعدها (قوله كافرون) اى
وانما عبر عنهم بالفسق اشارة الى ان الكافر قد يكون عدلا فى دينه بخلاف الفاسق فافعاله خبيثة لا ترضى
احدا وليس له دين يقر عليه فعبر عنهم بالفسق بعد التعبير عنهم بالكفر اشارة الى انهم جمعوا بين الوصفين
الكفر وخسة الطبع (قوله ولا تعجبك اموالهم واولادهم الخ) الحكمة فى تكرارها المبالغة فى التحذير من
هذا الشئ الذى وقع الاهتمام به وعبر فى الآية الاولى بالفاء وهنا بالواو لان ما سبق له تعلق بما قبله فحسن
العطف بخلاف ما هنا فلا تعلق له بما قبله واتى بلا فيما تقدم واسقط من هنا اعتناء بنفى الاولاد هناك
وبين هنا انهم سواء واتى باللام فى ليعذبهم هناك وبان هنا اشارة الى ان اللام بمعنى ان وليست
للتعليل واتى فيما تقدم بالحياة وهنا باسقاطها اشارة الى خسة حياة الدنيا حيث لا تستحق ان
تذكر وقال هناك كارهون وهنا كافرون اشارة الى انهم يعلمون كفرهم قبل موتهم ويشاهدون
الاماكن التى اعدت لهم فى نظيره فمن حيث تلك المشاهدة تزهق ارواحهم وهم كافرون
كارهون بخلاف المؤمن فانه يشهد مقعده فى الجنة ولا تخرج روحه الا وهو كاره للدنيا محب

ذوو الغنى (منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين رضوا بان يكونوا مع الخوالف) جمع خالفة اي النساء اللاتي تخلفن في البيوت (وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) الخير (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات) في الدنيا والآخرة (وأولئك هم المفلحون) اي الفائزون (أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم وجاء المعذرون) بادغام التاء في الاصل في الذال اي المعتذرون بمعنى المعذورين وقرئ به (من الاعراب) الى النبي صلى الله عليه وسلم (ليؤذن لهم) في القعود لعذرهم فاذن لهم (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) في ادعاء الايمان من منافقي الاعراب عن المجيء للاعتذار (سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم ليس على الضعفاء) كالشيوخ (ولا على المرضى) كالعمي والزمنى (ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون) في الجهاد (حرج) اثم في التخلف عنه (اذا نصحوا لله ورسوله) في حال قعودهم بعدم الارجاف والتثبيط والطاعة (ما على المحسنين) بذلك (من سبيل) طريق بالمؤاخذة (والله غفور

لهم (رحيم) بهم في التوسعة في ذلك (ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم) معك الى الغزو وهم سبعة من الانصار وقيل بنو مقرن

للآخرة (قوله وهم كافرون) الجملة حالية (قوله اي طائفة من القرآن) اي سواء كانت تلك الطائفة سورة كاملة أو بعضها (قوله ذوو الغنى) اي السعة من المال وقيل الرؤساء وخصوا بالذكر لانهم قادرون على السفر وتركوه نفاقا اذ العاجز لا يحتاج لاستئذان (قوله وقالوا) عطف على استأذنك (قوله اي النساء) و يصح ان يراد بهم الرجال الذين لا خير فيهم من قولهم رجل خالفة أي لا خير فيه (قوله لكن الرسول) استدراك على ما قد يتوهم ان كسل هؤلاء جر غيرهم (قوله الخيرات في الدنيا والآخرة) اي بالنصر والغنيمة والجنة والكرامة (قوله اعد الله لهم) اي هيأ واحضر و يؤخذ من ذلك ان الجنة موجودة الآن (قوله ذلك) اي الجنة المستفادة من قوله اعد الله لهم جنات (قوله وجاء المعذرون) اي الطالبون قبول العذر وهذا شروع في ذكر احوال منافقي الاعراب بعد بيان أحوال منافقي المدينة (قوله بادغام التاء في الاصل) اي واصله المعتذرون ابدلت التاء ذالا وادغمت في الذال وقيل أنه لا أصل له بل هو جمع معذر بالتشديد بمعنى متكلف العذر كذبا وليس بمعذور (قوله من الاعراب) اي سكان البوادي الناطقون بالعربية والعربي من نطق بالعربية مطلقا سكن البوادي ام لا فهو أعم من الاعراب (قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) اي فهم فريقان فريق جاء واعتذر لرسول الله كذبا وهم اسد وغطفان اعتذروا بالجهد وكثرة العيال وفريق لم يات اصلا وكذبوا بالتخفيف باتفاق السبعة وقرئ شذوذا بالتشديد (قوله الذين كفروا) اي استمروا عليه وأتى بمن اشارة الى ان بعضهم اسلم وهو كذلك (قوله عذاب اليم) اي في الدنيا بالقتل والاسر والآخرة بالخلود في النار (قوله ليس على الضعفاء) هذا تخصيص لقوله فيما تقدم انفروا خفافا وثقالا والضعفاء جمع ضعيف وهو ضعيف البنية النحيف (قوله كالشيوخ) اي والنساء والصبيان (قوله والزمنى) من الزمانة وهي العجز والابتلاء (قوله ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون) اي لفقرهم وعجزهم كجهينة ومزينة وبني عذرة (قوله حرج) اسم ليس حذف من الاولين لدلالة الثالث عليه (قوله اذا نصحوا) شرط في قوله حرج والمعنى ليس على هؤلاء حرج وقت نصحهم لله ورسوله (قوله بعدم الارجاف) اي اثارة الفتن (قوله والتثبيط) اي تكسيل من أراد الخروج (قوله والطاعة) معطوف على عدم الارجاف والمعنى ان نصحهم كائن بالطاعة لله ورسوله بان يخلصوا الايمان و يسعوا في ايصال الخير الى المجاهدين ويقوموا بمصالح بيوتهم و بعدم اثارة الفتن و بعدم تكسيل غيرهم بل لينشطوا و يرغبوا في الجهاد و ينهوا من أراد التخلف (قوله ما على المحسنين من سبيل) انما أظهر في مقام الاضمار اشارة الى انتظامهم بنصحهم في سلك المحسنين ومن زائدة للتأكيد والجار والمجرور خبر مقدم ومن سبيل مبتدأ مؤخر و يصح ان يكون فاعلا بالجار والمجرور لاعتماده على النفي (قوله ولا على الذين) اي ليس عليهم سبيل (قوله اذا ما أتوك) ما اذا وقعت بعد اذا تكون صلة (قوله الى الغزو) اي وهي غزوة تبوك (قوله وهم سبعة من الانصار) اي و يقال لهم البكاؤن فحمل العباس منهم اثنين وعثمان ثلاثة زيادة على الجيش الذي جهزه وحمل يامين بن عمر والنضري اثنين (قوله وقيل بنو مقرن) اي وكانوا ثلاثة اخوة معقل وسويد والنعمان وقيل هم أصحاب أبي موسى الاشعري وقد كان حلف ان لا يحملهم ثم أتى له صلى الله عليه وسلم بابل من السبي فارسلها لهم ليحملوا عليها فقالوا لا نركب حتى نسال رسول الله فانه قد حلف ان لا يحملنا فلعله نسي اليمين فجاؤه فقال ما معناه لا أرى خيرا مما حلفت عليه الا فعلته ومثل هذه اليمين لا تكفر عند مالك لوجود بساط اليمين حين الحلف فكان يمينه مقيدة بعدم وجود ما يحملهم عليه وتكفر عند الشافعي

(قلت لا أجد ما احملكم عليه) حال (تولوا) جواب اذا اى انصرفوا (واعينهم تفيض) تسيل (من) للبيان (الدمع حزنا) لاجل (ان لا يجدوا ماينفقون) فى الجهاد (انما السبيل على الذين يستاذنونك) فى التخلف (وهم اغنياء رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون) تقدم مثله (يعتذرون اليكم) فى التخلف (اذا رجعتم اليهم) من الغزو (قل) لهم (لا تعتذروا لن نؤمن لكم) نصدقكم (قد نبأنا الله من اخباركم) اى اخبرنا باحوالكم (وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون) بالبعث (الى عالم الغيب والشهادة) اى الله (فينبئكم بما كنتم تعملون) فيجازيكم عليه (سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم) رجعتم (اليهم) من تبوك انهم معذورون فى التخلف (لتعرضوا عنهم) بترك المعاتبة (فاعرضوا عنهم انهم رجس) قذر لخبث باطنهم (وماواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) اى عنهم ولا ينفع رضاكم مع سخط الله (الاعراب) اهل البدو (اشد كفرا ونفاقا) من اهل المدن لجفائهم وغلظ طباعهم وبعدهم عن سماع القرآن (واجدر) اولى (ان) اى بان (لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله) من الاحكام والشرائع (والله عليم) بخلقه (حكيم) فى صنعه بهم (ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق) فى سبيل الله (مغرما) غرامة وخسرانا لانه لا يرجو ثوابه بل ينفقه خوفا وهم بنو اسد وغطفان (ويتربص) ينتظر (بكم الدوائر) دوائر الزمان ان تنقلب عليكم فيتخلصوا (عليهم دائرة السوء) بالضم والفتح اى يدور العذاب والهلاك عليهم لا عليكم (والله سميع) لاقوال عباده (عليم) بافعالهم (ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر) كجهينة ومزينة (ويتخذ ما ينفق) فى سبيله (قربات) تقربه (عند الله

(قوله قلت لا أجد) أى ليس عندى ما تحملون عليه وفى هذا التعبير مزيد لطف بهم (قوله حال) أى من الكاف فى أتوك ويصح أن تكون هى الجواب وجملة تولوا مستانفة واقعة فى جواب سؤال مقدر تقديره فماذا حصل لهم (قوله واعينهم) الجملة حالية من فاعل تولوا (قوله للبيان) أى لجنس الفائض (قوله أن لا يجدوا ما ينفقون) أشار المفسر الى أنه مفعول لاجله والعامل فيه حزنا الواقع مفعولا له أو حالا (قوله انما السبيل) أى طريق العقاب (قوله وهم اغنياء) الجملة حالية من فاعل يستاذنونك (قوله رضوا بان يكونوا مع الخوالف) اما مستانف او حال وقد مقدرة (قوله تقدم مثله) أى فذكره هنا للتاكيد وعبر هنا بالعلم وهناك بالفقه اشارة الى أن معناهما واحد اذ الفقه هو العلم والعلم هو الفقه (قوله يعتذرون) أى المتخلفون بالباطل والاكاذيب استئناف لبيان اعتذارهم عند العود اليهم روى انهم كانوا بضعة وثمانين رجلا فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم جاؤا يعتذرون اليه والى أصحابه بالباطل (قوله قل لا تعتذروا) أى جوابا لهم (قوله لن نؤمن لكم) تعليل للنهى وقوله قد نبأنا الله علة للعلة (قوله وسيرى الله عملكم) أى السيء ومفعول يرى الثانى محذوف تقديره مستمرا والمعنى سيظهر تعلق علمه باعمالكم لعباده (قوله اى الله) اشار بذلك الى انه اظهار فى موضع الاضمار زيادة فى التشديد عليهم (قوله بما كنتم تعملون) اى بعملكم او بالذى كنتم تعملونه (قوله سيحلفون بالله) تاكيد لعذرهم بالكذب (قوله انهم معذورون فى التخلف) هذا هو المحلوف عليه (قوله فاعرضوا عنهم) اى غير راضين بفعلهم (قوله انهم رجس) علة لقوله فاعرضوا عنهم (قوله فان ترضوا عنهم) شرط حذف جوابه لدلالة قوله فان الله لا يرضى الخ اشار له المفسر بقوله ولا ينفع رضاكم الخ (قوله اى عنهم) اشار بذلك الى ان المقام للاضمار وانما اظهر زيادة فى التشنيع والتقبيح عليهم بحيث وصفهم بالخروج عن الطاعة (قوله الاعراب) اى جنسهم وهو اسم جمع لا جمع عرب لئلا يلزم عليه كون الجمع اخص من مفرده فان الاعراب سكان البوادى والعرب المتكلمون باللغة العربية سكنوا البوادى ام لا (قوله لجفائهم) علة لقوله اشد كفرا ونفاقا (قوله من الاحكام والشرائع) بيان للحدود (قوله لانه لا يرجو ثوابه) اى لعدم ايمانه بالآخرة وهو تعليل للاتخاذ المذكور (قوله ويتربص) عطف على يتخذ (قوله الدوائر) جمع دائرة وهى ما يحيط بالانسان من المصائب (قوله فيتخلصوا) اى من الانفاق (قوله بالضم والفتح) اى فهما قراءتان سبعيتان وهذا دعاء عليهم بنظير ما ارادوه للمسلمين (قوله ومن الاعراب الخ) اعلم ان الاعراب اقسام منهم المنافقون وقد تقدم ذكرهم فى قوله ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ومنهم مؤمنون وقد ذكروا هنا (قوله كجهينة ومزينة) اى وكغفار واسلم قبائل عظام (قوله ويتخذ) فعل مضارع ينصب مفعولين الاول الاسم الموصول والثانى قربات على حذف مضاف اى سبب قربات وقوله عند الله ظرف متعلق بمحذوف صفة لقربات وقوله وصلوات الرسول معطوف على قربات اى وسبب صلوات الرسول (قوله قربات) بضم الراء باتفاق السبعة جمع قربة بضم الراء وسكونها فعلى الضم الامر ظاهر وعلى السكون فضم راء الجمع للاتباع لضم قافه او جمعا للمضموم الراء وقد قرئ بهما فى السبع ومعنى كونها قربات انها تقرب العبد لرضا الله عليه وليس معناه ان الله فى مكان

و تلك النفقة تقربه من ذلك المكان فانه مستحيل تعالى الله عنه (قوله وصلوات الرسول) اى دعواته لانه الواسطة العظمى فى كل نعمة فتجب ملاحظته فى كل عمل لله لان الله تعبدنا بالتوسل به قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله فمن زعم انه يصل الى رضا الله بدون اتخاذه صلى الله عليه وسلم واسطة ووسيلة بينه و بين الله تعالى ضل سعيه وخاب رأيه قال العارف بن مشيش ولا شيء الا وهو به منوط اذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط وقال بعضهم

وأنت باب الله اى امرئ * أتاه من غيرك لا يدخل

فهو باب الله الاعظم وسره الافخم والوصول اليه وصول الى الله لان الحضرتين واحدة ومن فرق لم يذق للمعرفة طعما (قوله الا انها) الا اداة استفتاح يؤتى بها لاجل الاعتناء بما بعدها (قوله قربة) اى تقربهم لرضا ربهم حيث انفقوها مخلصين فيها متوسلين بذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله جنته) اشار بذلك الى ان المراد بالرحمة الجنة من اطلاق الحال وارادة المحل لان الجنة محل للرحمة (قوله والسابقون) مبتدأ والاولون صفته وقوله من المهاجرين والانصار حال والذين اتبعوهم معطوف على السابقون والخبر قوله رضى الله عنهم الخ (قوله والانصار) اى وهم الاوس والخزرج (قوله وهم من شهد بدرا) اى لانهم افضل الناس بعد الانبياء والمرسلين وعليه تكون من للتبعيض (قوله او جميع الصحابة) اى فتكون من بيانية وقيل المراد بهم اهل بيعة الرضوان وكانوا الفا وخمسمائة وقيل المراد بهم اهل أحد وقيل كل من دخل الاسلام قبل الفتح لقوله تعالى لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى (قوله الى يوم القيامة) اى فيشمل صلحاء كل زمان (قوله رضي الله عنهم) اى قبل اعمالهم وأثابهم عليها واعطاهم مالم يعط احدا من خلقه (قوله ورضوا عنه) اى قبلوا ما أعطاهم الله لما فى الحديث ما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا مالم تعط أحدا من خلقك فيقول انا أعطيكم افضل من ذلك فيقولون وأى شيء افضل من هذا فيقول احل عليكم رضوانى فلا اسخط بعده ابدا (قوله وفى قراءة بزيادة من) اى وهى سبعية لابن كثير ومعلوم انه يقرأ بالصلة فمن قرأ بقراءته وصل اتبعوهم وعنهم ولهم بان يشبع ضمة الميم فى الجميع (قوله ذلك) اى ما تقدم من الرضا والجنان (قوله الفوز العظيم) اى الظفر بالمقصود الذى لا يضاهى (قوله وممن حولكم) خبر مقدم ومنافقون مبتدأ مؤخر ومن الاعراب بيان لمن ومن اهل المدينة خبر مقدم والمبتدأ محذوف تقديره منافقون ايضا وجملة مردوا على النفاق صفة لذلك المحذوف فيكون من عطف الجمل او خبر بعد خبر توسط بينهما المبتدأ او يكون من عطف المفردات (قوله كاسلم الخ) اى بعض هذه القبائل فلا ينافى ما تقدم من مدحهم فى قوله ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق قربات (قوله مردوا على النفاق) اى تمرنوا عليه ولم يتوبوا منه (قوله لا تعلمهم) ان قلت كيف نفى علمه بحال المنافقين هنا واثبته فى قوله ولتعرفنهم فى لحن القول فالجواب ان آية النفى نزلت قبل آية الاثبات (قوله بالفضيحة او القتل) اشار بذلك الى انه اختلف فى المرة الاولى ولكن القول الاول هو الصحيح لان احكام الاسلام فى الظاهر جارية على المنافقين فلم يقتلوا ولم يأسروا والفضيحة باخراجهم من المسجد لما فى الحديث عن ابن مسعود خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان منكم منافقين فمن سميته فليقم ثم قال قم يا فلان فانك منافق حتى سمى ستة وثلاثين (قوله وعذاب القبر) هذه هى المرة الثانية وستأتى الثالثة فى قوله ثم يردون الى عذاب عظيم فقد صار عذاب المنافقين ثلاث مرات (قوله وآخرون) حاصله ان من تخلف عن تبوك ثلاثة اقسام قسم منافقون استمروا على النفاق وقد تقدم ذكرهم فى قوله وممن حولكم من الاعراب الى قوله عظيم وقسم تائبون اعترفوا بذنوبهم وبادروا بالعذر لرسول الله وقد ذكرهم فى قوله وآخرون اعترفوا الى قوله فينبئكم بما كنتم تعملون وقسم لم يبادروا بالعذر وقد

و) وسيلة الى (صلوات) دعوات (الرسول) له (الا انها) اى نفقتهم (قربة) بضم الراء وسكونها (لهم) عنده (سيدخلهم الله فى رحمته) جنته (ان الله غفور) لاهل طاعته (رحيم) بهم (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار) وهم من شهد بدرا او جميع الصحابة (والذين اتبعوهم) الى يوم القيامة (باحسان) فى العمل (رضى الله عنهم) بطاعته (ورضوا عنه) بثوابه (واعد لهم جنات تجرى تحتها الانهار) وفى قراءة بزيادة من (خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم) يا أهل المدينة (من الاعراب منافقون) كاسلم واشجع وغفار (ومن اهل المدينة) منافقون ايضا (مردوا على النفاق) لجوا فيه واستمروا (لا تعلمهم) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين) بالفضيحة او القتل فى الدنيا وعذاب القبر (ثم يردون) فى الآخرة (الى عذاب عظيم) هو النار (و) قوم (آخرون) مبتدأ

ذكرهم الله بقوله وآخرون مرجون الى قوله حكيم (قوله اعترفوا بذنوبهم) أى اقروا بذنوبهم لربهم وتابوا منها وليس المراد اعترفوا للناس وهتكوا أنفسهم فان ذلك امر لا يجوز (قوله وهو جهادهم قبل ذلك) اى قبل هذا التخلف (قوله وآخر سيأ) الواو بمعنى الباء والمعنى انهم جمعوا بين العمل الصالح والعمل السيء (قوله وهو تخلفهم) اى من غير عذر واضح (قوله عسى الله ان يتوب عليهم) اى يقبل توبتهم والترجي فى القرآن بمنزلة التحقيق لان عسى ونحوها تفيد الاطماع ومن اطمع انسانا فى شيء ثم حرمه منه كان عارا عليه والله اكرم من ان يطمع احدا فى شيء ثم لا يعطيه اياه لانه وعد وهو لا يتخلف وهذه الجملة مستأنفة ويصح ان تكون خبرا وجملة خلطوا حالية وقد مقدرة (قوله نزلت فى ابى لبابة) وهو رفاعة بن عبد المنذر كان من اهل الصفة ربط نفسه ثنتى عشر ليلة فى سلسلة ثقيلة وكانت له ابنة تحله للصلاة وقضاء الحاجة وتقدم فى سورة الانفال انه اوثق نفسه مرة اخرى بسبب قريظة حتى نزلت توبته (قوله وجماعة) قيل عشرة وقيل ثمانية وقيل خمسة وقيل ثلاثة وقد كانوا تخلفوا عن تبوك ثم ندموا بعد ذلك فلما قدم رسول الله من المدينة حلفوا ليربطن انفسهم بالسوارى ولا يطلقونها حتى يكون رسول الله هو الذى يطلقها ففعلوا فلما رجع رسول الله رآهم فقيل من هؤلاء فقيل له هؤلاء تخلفوا عنك فعاهدوا الله ان لا يطلقوا انفسهم حتى تطلقهم انت وترضى عنهم فقال وانا اقسم بالله لا اطلقهم ولا اعذرهم حتى اومر باطلاقهم فنزلت هذه الآية فعذرهم واطلقهم (قوله ما نزل فى المتخلفين) اى من الوعيد الشديد حيث قال الله فيهم فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله الآية (قوله فحلهم لما نزلت) اى آية وآخرون اعترفوا بذنوبهم (قوله خذ من اموالهم) من للتبعيض والجار والمجرور حال من صدقة ووجد المسوغ وهو وصفها بقوله تطهرهم وتزكيهم بها والمعنى خذ بعض الاموال التى خرجوا عنها الله ورسوله وذلك انه لما نزلت فيهم الآية وحلهم رسول الله اتوا وقالوا هذه اموالنا التى خلفتنا عنك خذها فتصدق بها وطهرنا واستغفر لنا فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت خذ من اموالهم الآية (قوله تطهرهم وتزكيهم) الاقرب ان التاء للخطاب وحذف قوله بها من الاول لدلالة الثانى عليه والمعنى خذ يا محمد بعض اموالهم صدقة حال كونك مطهرا لهم بها ومزكيهم بها ومعنى تزكيهم تنميهم وتزيدهم بسبب اخذها خيرا (قوله فاخذ ثلث اموالهم) اى كفارة لذنوبهم ويؤخذ من ذلك ان من قال مالى صدقة فى سبيل الله او للفقراء يكفيه ثلثه وهو مذهب مالك وعموم الآية يشمل الصدقة الواجبة والمندوبة (قوله ان صلواتك) بالجمع والافراد هنا وفى هود فى قوله أصلواتك تامرك قراءتان سبعيتان والمعنى دعواتك رحمة لهم وطمأنينة وهذا فى حياة رسول الله واما بعد وفاته فدعاء الخليفة يقوم مقام دعاء النبى وايضا الاعمال تعرض عليه صباحا ومساء فان رأى خيرا احمد الله وان رأى غير ذلك استغفر لنا كما ورد فى الحديث حياتى خير لكم ومماتى خير لكم تعرض على اعمالكم فى الصباح وفى المساء فان وجدت خيرا حمدت الله وان وجدت سوأ استغفرت لكم فدعاء رسول الله حاصل فى حياته وبعد موته ولا عبرة بمن ضل وزاغ عن الحق وخالف فى ذلك (قوله والله سميع عليم) اى بالاقوال والافعال (قوله الم يعلموا) اى التائبون (قوله ان الله هو يقبل التوبة) هو مبتدأ وجملة يقبل خبره والجملة خبر ان وجملة ان واسمها وخبرها سدت مسد مفعولى يعلم او مفعولها (قوله عن عباده) متعلق بيقبل وعن بمعنى من ويجوز ان تكون باقية على معناها للمجاوزة والمعنى يتجاوز عن عباده بقبول توبتهم (قوله ويأخذ الصدقات) اى يثيب صاحبها عليها وعبر عن القبول بالاخذ ترغيبا لهم فى بذل الاموال (قوله والاستفهام للتقرير) اى وهو حمل المخاطب على الاقرار بالحكم (قوله تهييجهم) اى حثهم وترغيبهم (قوله لهم او للناس) تفسيران فى الآية

(اعترفوا بذنوبهم) من التخلف نعته والخبر (خلطوا عملا صالحا) وهو جهادهم قبل ذلك او اعترافهم بذنوبهم اوغير ذلك (وآخر سيأ) وهو تخلفهم (عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم) نزلت فى ابى لبابة وجماعة اوثقوا انفسهم فى سوارى المسجد لما بلغهم ما نزل فى المتخلفين وحلفوا لا يحلهم الا النبى صلى الله عليه وسلم فحلهم لما نزلت (خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) من ذنوبهم فاخذ ثلث اموالهم وتصدق بها (وصل عليهم) اى ادع لهم (ان صلواتك سكن) رحمة (لهم) وقيل طمانينة بقبول توبتهم (والله سميع عليم الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ) يقبل (الصدقات وان الله هو التواب) على عباده بقبول توبتهم (الرحيم) بهم والاستفهام للتقرير والقصد به تهييجهم الى التوبة والصدقة (قل) لهم او للناس

(قوله اعملوا ماشئتم) فى ذلك وعد عظيم للطائعين ووعيد للعاصين والمعنى اعملوا ايها التائبون اوايها الناس عموما ماشئتم من خير فيجازيكم عليه بالثواب اوشر فيجازيكم عليه بالعقاب او يعفو الله عنكم (قوله فسيرى الله عملكم) اى يحصيه ويجازيكم عليه فالاستقبال بالنظر للجزاء (قوله ورسوله) اى لان الاعمال تعرض عليه (قوله والمؤمنون) اى فيكون ذلك الجزاء اما فرحا وسرورا بين اهل الموقف أوحزنا وسوأ بينهم (قوله فينبئكم بما كنتم تعملون) اى فيحاسبكم على جميع ماقدمتموه (قوله بالهمز) اى المضموم وتركه اى مع سكون الواو قراءتان سبعيتان (قوله عن التوبة) اى عن قبولها والا فقد وقعت منهم التوبة غير انهم لم يعتذروا للنبي صريحا وانما ندموا وحزنوا وصمموا على التوبة سرا (قوله اما يعذبهم) اما للابهام بالنسبة للمخاطبين والمعنى ان الله أبهم على المخاطبين امرهم (قوله واما يتوب عليهم) اى يقبل توبتهم (قوله حكيم فى صنعه) اى لا يسال عما يفعل فلا يعترض على احكامه سبحانه وتعالى (قوله وهم الثلاثة) اى وكانوا من اهل المدينة (قوله مرارة) بضم الميم (قوله الى الدعة) اى الراحة والكسل (قوله ولم يعتذروا) اى لشدة ما نزل بهم من الحزن والاسف على مافرطوا (قوله فوقف امرهم خمسين ليلة) اى فى نظير مدة التخلف لانها كانت خمسين ليلة فلما تمتعوا بالراحة فيها مع تعب غيرهم فى السفر عوقبوا بهجرهم تلك المدة (قوله والذين اتخذوا) بالواو ودونها قراءتان سبعيتان والاحسن اعراب الاسم الموصول مبتدأ وعلى كل خبره محذوف قدره المفسر بقوله منهم والواو اما للعطف على الجمل المتقدمة كقوله تعالى ومنهم من يلمزك فى الصدقات ومنهم الذين يؤذون النبي ومنهم من عاهد الله عطف قصة على قصة او للاستئناف (قوله ضرارا) امامفعول لاجله أومفعول ثان لاتخذوا (قوله لاهل مسجد قباء) اشار بذلك الى ان متعلق الضرار محذوف (قوله بامر أبى عامر الراهب) اى وهو والد حنظلة غسيل الملائكة (قوله معقلا له) اى ملجأ (قوله وكان ذهب الخ) حاصل ذلك ان ابا عامر قد ترهب فى الجاهلية ولبس المسوح وتنصر فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال له ابو عامر ماهذا الدين الذى جئت به قال النبي صلى الله عليه وسلم جئت بالحنيفية دين ابراهيم قال ابو عامر فانا عليها قال له النبي انك لست عليها قال ابو عامر بلى ولكنك ادخلت فى الحنيفية ماليس منها فقال النبي صلى الله عليه وسلم مافعلت ولكن جئت بها بيضاء نقية قال ابو عامر امات الله الكاذب منا طريدا غريبا وحيدا فقال النبي صلى الله عليه وسلم آمين وسماه اباعامر الفاسق فلما كان يوم احد قال ابو عامر الفاسق للنبي لا أجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل كذلك الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن يئس ابو عامر فخرج هاربا الى الشام فارسل الى المنافقين ان أعدوا مااستطعتم من قوة ومن سلاح وابنوا لى مسجدا فانى ذاهب الى قيصر ملك الروم فآتى بجند من الروم فاخرج محمدا واصحابه فبنوا مسجدا الضرار الى جنب مسجد قباء فلما فرغوا من بنائه اتوا رسول الله وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يارسول الله انا قد بنينا مسجدا لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة وانا نحب ان تاتينا وتصلى لنا فيه وتدعو بالبركة فقال رسول الله انى على جناح سفر ولو قدمنا ان شاء الله اتيناكم فصلينا فيه فلما انصرف صلى الله عليه وسلم من تبوك راجعا نزل بذى اوان وهو موضع قريب من المدينة فاتاه المنافقون وسألوه ان ياتى مسجدهم فدعا بقميصه ليلبسه وياتيهم فنزلت هذه الآية واخبره جبريل خبر مسجد الضرار وماهموا به فدعا رسول الله مالك بن الدخشم ومعن بن عدى وعامر بن السكن ووحشيا فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه وحرقوه فخرجوا مسرعين حتى اتوا بنى سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم فقال مالك انظرونى حتى اخرج اليكم بنار فدخل على اهله فاخذ من سعف النخل فاوقده ثم خرجوا يشتدون حتى دخلوا المسجد وفيه اهله فاحرقوه وهدموه وتفرق اهله وامر رسول الله ان يتخذ ذلك الموضع كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة ومات ابو عامر بالشام طريدا وحيدا

(اعملوا) ماشئتم (فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون) بالبعث (الى عالم الغيب والشهادة) اى الله (فينبئكم بما كنتم تعملون) فيجازيكم به (وآخرون) من المتخلفين (مرجون) بالهمز وتركه مؤخرون عن التوبة (لامر الله) فيهم بما يشاء (اما يعذبهم) بان يميتهم بلا توبة (واما يتوب عليهم والله عليم) بخلقه (حكيم) فى صنعه بهم وهم الثلاثة الآتون بعد مرارة ابن الربيع وكعب بن مالك وهلال بن امية تخلفوا كسلا وميلا الى الدعة لا نفاقا ولم يعتذروا الى النبي صلى الله عليه وسلم كغيرهم فوقف امرهم خمسين ليلة وهجرهم الناس حتى نزلت توبتهم بعد (و) منهم (الذين اتخذوا مسجدا) وهم اثنا عشر من المنافقين (ضرارا) مضارة لاهل مسجد قباء (وكفرا) لانهم بنوه بامر ابى عامر الراهب ليكون معقلا له يقدم فيه من ياتى من عنده وكان ذهب ليأتى بجنود من قيصر لقتال النبي صلى الله عليه وسلم (وتفريقا بين المؤمنين) الذين يصلون بقباء بصلاة بعضهم فى مسجدهم (وارصادا) ترقبا (لمن حارب الله ورسوله من قبل) اى قبل بنائه وهو ابو عامر المذكور (وليحلفن ان) ما (اردنا) ببنائه

(الا) الفعلة (الحسنى) من الرفق بالمسكين فى المطر والحر والتوسعة على المسلمين (والله يشهد أنهم لكاذبون) فى ذلك وكانوا سألوا النبي صلى الله عليه وسلم ان يصلى فيه فنزل (لا تقم) تصل (فيه ابدا) فارسل جماعة هدموه وحرقوه وجعلوا مكانه كناسة

تلقى فيها الجيف (لمسجد أسس) بنيت قواعده (على التقوى من اول يوم) وضع يوم حللت بدار الهجرة وهو مسجد قباء كما فى البخارى (احق) منه (ان) اى بان (تقوم) تصلى (فيه فيه رجال) هم الانصار (يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين) اى يثيبهم وفيه ادغام التاء فى الاصل فى الطاء روى ابن خزيمة فى صحيحه عن عويمر بن ساعدة انه صلى الله عليه وسلم اتاهم فى مسجد قباء فقال ان الله تعالى قد احسن عليكم الثناء فى الطهور فى قصة مسجدكم فما هذا الطهور الذى تطهرون به قالوا والله يارسول الله ما نعلم شيأ الا انه كان لنا جيران من اليهود وكانوا يغسلون ادبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا وفى حديث رواه البزار فقالوا نتبع الحجارة بالماء فقال هو ذاك فعليكموه (افمن اسس بنيانه على تقوى) مخافة (من الله و) رجاء (رضوان) منه (خير أم من اسس بنيانه على شفا) طرف (جرف) بضم الراء وسكونها جانب

غريبا (قوله الا الحسنى) صفة لموصوف محذوف قدره المفسر بقوله الفعلة (قوله يشهد) اى يعلم (قوله فى ذلك) اى الحلف (قوله وكانوا سألوا النبي الخ) اى بعد فراغهم من بنائه وكان متجهزا لغزوة تبوك فوعدهم بذلك حين يقدم (قوله لمسجد) اللام للابتداء ومسجد مبتدأ وأسس نعته واحق خبره (قوله يوم حللت بدار الهجرة) اى وهو يوم الاثنين فاقام فيه الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وخرج صبيحة الجمعة فدخل المدينة وقيل صلى به الجمعة وهى اول جمعة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا على القول بانه اقام بقباء اربعة ايام وقيل اقام اربعة عشر وقيل اثنين وعشرين يوما (قوله احق ان تقوم فيه) اسم التفضيل ليس على بابه او باعتبار زعم المنافقين او باعتبار ذات المسجد فان الخبث فى نيتهم لا فى ذات المسجد (قوله فيه رجال) هم بنو عامر بن عوف (قوله يحبون ان يتطهروا) يحتمل ان المراد الطهارة المعنوية من الذنوب والقبائح وذلك موجب للثناء والمدح والقرب من الله وقيل المراد الطهارة الحسية من النجاسات والاحداث وهو الاقرب لان مزيتهم التى مدحوا عليها مبالغتهم فى طهارة الظاهر واما طهارة الباطن فامر مشترك بين المؤمنين وقيل المراد ما هو أعم فقد حازوا طهارة الظاهر والباطن (قوله وفيه ادغام التاء الخ) اى فاصله المتطهرين ابدلت التاء طاء وادغمت فى الطاء (قوله فى الطهور) بضم الطاء فى هذا وفيما يأتى لان المراد به الفعل (قوله فغسلنا كما غسلوا) اى بعد المسح بالاحجار بدليل الرواية الثانية (قوله نتبع الحجارة بالماء) اى وهذا هو الاكمل فى الاستنجاء فان لم يوجد حجر فالمدر يقوم مقامه والا فالماء فقط او الحجر فقط او المدر فقط (قوله فعليكموه) اى الزموه (قوله أفمن أسس بنيانه على تقوى الخ) فى الكلام استعارة مكنية حيث شبهت التقوى والرضوان بارض صلبة يعتمد عليها البنيان وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشئ من لوازمه وهو التاسيس فاثباته تخييل والتاسيس كناية عن احكام امور الدين والاعمال الصالحة (قوله أم من أسس بنيانه) أى احكم أمور دينه على ضلال وكفر ونفاق (قوله بضم الراء وسكونها) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله جانب) الاحسن ما قاله غيره ان المراد به البئر التى لم تطو (قوله هار) اما اصله هاور او هاير فقدمت اللام على العين فصار كقاض فاعرابه بحركات مقدرة او حذفت عينه تخفيفا بعد قلبها همزة فاعرابه بحركات ظاهرة واما اصله هور او هير تحركت الواو او الياء وانفتح ما قبلها قلبت الفا مثل باب واعرابه بحركات ظاهرة كالذى قبله (قوله فى نار جهنم) وردانهم رأوا الدخان حين حفروا أساسه (قوله خير) قدره اشارة الى ان خبر من الثانية محذوف (قوله ريبة) اى سبب ريبة او بولغ فيه حتى جعل نفس الريبة (قوله الا ان تقطع قلوبهم) مستثنى من محذوف والتقدير لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم فى كل وقت او كل حال الا وقت او حال تقطيع قلوبهم وفيها قراءتان سبعيتان الاولى بفتح التاء وتشديد الطاء بحذف احدى التاءين وقلوبهم فاعل الثانية بضم التاء وقلوبهم نائب فاعل وقرئ شذوذا تقطع بالتخفيف وقرئ ايضا الا ان تقطع بضم التاء وكسر الطاء المشددة وقلوبهم مفعول به والفاعل ضمير يعود على النبي (قوله حكيم فى صنعه) اى يضع الاشياء فى محلها ومنه جريان عادة الله فى كل حسود لاهل الدين والصلاح انه لا يزال الكمد به حتى يموت على أسوإ الاحوال (قوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم الخ) لما ذكر قبائح المتخلفين لغير عذر وما فاتهم من الخير العظيم ذكر فضل المجاهدين وما اعد لهم من الفوز الاكبر حيث عظم انفسهم وأموالهم بان جعل الجنة ثمنا لهما ومن المعلوم ان الثمن

(هار) مشرف على السقوط (فانهار به) سقط مع بانيه (فى نار جهنم) خير تمثيل للبناء على ضد التقوى بما يؤول اليه والاستفهام للتقرير اى الاول خير وهو مثال مسجد قباء والثانى مثال مسجد الضرار (والله لا يهدى القوم الظالمين لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة) شكا (فى قلوبهم الا ان تقطع) تنفصل (قلوبهم) بان يموتوا (والله عليم) بخلقه (حكيم) فى صنعه بهم (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم

أغلى من الثمن واشارة الى ان الجنة خلقت لهم ولم يخلقوا لاجلها (قوله يبذلونها فى طاعته) اى يصرفوها فى مرضاته (قوله بان لهم الجنة) لم يقل بالجنة اشارة الى ان الجنة مختصة بهم وواصلة اليهم كانه قيل بالجنة الثابتة لهم ثم ان قوله اشترى من المؤمنين الخ كناية عن التعويض عن بذل النفوس والاموال بالجنة والا فحقيقة الشراء أخذ مالا يملك بعوض وهذا مستحيل فى حق الله تعالى بل معناه اثابهم وقبلهم فى نظير خدمتهم فشبهت الاثابة والقبول بالشراء واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من الشراء اشترى بمعنى اثابهم وقبلهم وانما عبر عنه بالشراء تلطفا ورفقا بهم (قوله بيان للشراء) الاوضح ان يقول بيان للبيع الذى يستلزمه الشراء (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية ايضا (قوله اى فيقتل بعضهم ويقاتل الباقى) اشار بذلك الى انه لا يتوقف الفضل على الجمع بين الامرين معا بل المدار على نية اعلاء كلمة الله حصلا أو أحدهما اولا (قوله بفعلهما المحذوف) اى والتقدير وعدوعدا وحقه حقا (قوله فى التوراة الخ) الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لوعدا والمعنى وعدا مذكورا فى التوراة والانجيل والقرآن وخص التوراة والانجيل بالذكر لاقامة الحجة على من عارض من اليهود والنصارى وحينئذ فلا ينافى ان هذا الوعد مذكور فى الكتب السماوية قال محمد بن كعب القرظى لما بايعت الانصار رسول الله ليلة العقبة وكانوا سبعين رجلا قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال اشترط لربى ان تعبدوه ولا تشركوا به شيأ واشترط لنفسى ان تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم قال اذا فعلنا ذلك ما لنا قال الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت هذه الآية بشارة لهم (قوله اى لا أحد) اشار بذلك الى ان الاستفهام انكارى بمعنى النفى (قوله فاستبشروا) خطاب للمؤمنين لمزيد الاعتناء بهم والسين والتاء للتصيير اى صرتم لكم البشرى بذلك فى الدنيا والآخرة (قوله التائبون الخ) هذه اوصاف تسعة للمؤمنين الستة الاولى متعلقة بحقوق الله وحده والاثنان بعدها متعلقان بحقوق الخلق والاخير عام (قوله بتقدير مبتدا) اى هم التائبون (قوله من الشرك والنفاق) متعلق بالتائبون والتوبة شرطها الندم على ما وقع والعزم على عدم العود والاقلاع ورد المظالم الى اهلها (قوله المخلصون العبادة لله) اى المنهمكون فى طاعة الله سرا وجهرا (قوله الحامدون له على كل حال) اى فى السراء والضراء قال عليه الصلاة والسلام اول من يدعى الى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله على كل حال فى السراء والضراء اى بان يكون عن الله راضيا فى جميع الاحوال كالفقر والغنى والصحة والمرض وغير ذلك (قوله السائحون) من السياحة وهى فى الاصل الذهاب فى الارض للعبادة سمى الصائمون بذلك لان من شان السائح ترك اللذات كلها من المطعم والمشرب والملبس والمنكح ولا شك ان الصائم كذلك والصيام عند العامة ترك شهوتى البطن والفرج وعند الخاصة ترك ما سوى الله تعالى قال العارف الجيلى

صيامى هو الامساك عن رؤية السوى * وفطرى أنى نحو وجهك راجع

(قوله اى المصلون) اشار بذلك الى انه اطلق الجزء وأراد الكل وخص الركوع والسجود بالذكر من دون اركانها لان بهما التقرب الى الله تعالى لما فى الحديث اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد والركوع يلى السجود فى التواضع والذل (قوله والناهون عن المنكر) انما عطف هذا بالواو على ما قبله لوجود المضادة بينهما لان الامر طلب الفعل والنهى طلب الترك (قوله والحافظون لحدود الله) هذا أعم الاوصاف المتقدمة ولذا عطف بالواو وهذا معنى التقوى اذ هى امتثال المأمورات واجتناب المنهيات ولذا حكى ان السرى السقطى سال ابن أخته الجنيد عن التقوى وهو صغير فقال له ان لا يراك حيث نهاك وان لا يفقدك حيث أمرك فقال له أخاف ان يكون حظك من الله لسانك

بان يبذلوها فى طاعته كالجهاد (بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون) جملة استئناف بيان للشراء وفى قراءة بتقديم المبنى للمفعول اى فيقتل بعضهم ويقاتل الباقى (وعدا عليه حقا) مصدران منصوبان بفعلهما المحذوف (فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله) اى لا احدا وفى منه (فاستبشروا) فيه التفات عن الغيبة (ببيعكم الذى بايعتم به وذلك) البيع (هو الفوز العظيم) المنيل غاية المطلوب (التائبون) رفع على المدح بتقدير مبتدا من الشرك والنفاق (العابدون) المخلصون العبادة لله (الحامدون) له على كل حال (السائحون) الصائمون (الراكعون الساجدون) اى المصلون (الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله) لاحكامه بالعمل بها

(و بشر المؤمنين) بالجنة * ونزل فى استغفاره صلى الله عليه وسلم لعمه ابى طالب واستغفار بعض الصحابة لابويه المشركين

(ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولوكانوا اولى قربى) ذوى قرابة (من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم) النار بان ماتوا على الكفر (وما كان استغفار ابراهيم لابيه الاعن موعدة وعدها اياه) بقوله ساستغفرلك ربى رجاء ان يسلم (فلما تبين له انه عدولله) بموته على الكفر (تبرأمنه) وترك الاستغفار له (ان ابراهيم لاوّاه) كثير التضرع والدعاء (حليم) صبور على الاذى (وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم) للاسلام (حتى يبين لهم ما يتقون) من العمل فلا يتقوه فيستحقوا الاضلال (ان الله بكل شيء عليم) ومنه مستحق الاضلال والهداية (ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم) أيها الناس (من دون الله) أى غيره (من ولى) يحفظكم منه (ولا نصير) يمنعكم عن ضرره (لقد تاب الله) اى أدام توبته (على النبى والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة) اى وقتها وهى حالهم فى غزوة تبوك كان الرجلان يقتسمان تمرة والعشرة يعتقبون البعير الواحد واشتد الحر حتى شربوا الفرث

(قوله وبشر المؤمنين) اظهار فى مقام الاضمار اعتناء بهم وتشريفا لقدرهم وحذف المبشر به اشارة الى انه لا يدخل تحت حصر بل لهم مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (قوله لعمه أبى طالب) اى لانه صلى الله عليه وسلم قال لابى طالب حين حضرته الوفاة ياعم قل كلمة احاج لك بها عند الله فابى فقال النبي لاأزال استغفرلك مالم انه عن الاستغفار فنزلت وقصد النبي بهذا الاستغفار تاليفه للاسلام لعله يهتدى والا فرسول الله يعلم ان الله لا يغفران يشرك به (قوله ما كان للنبي) اى لا ينبغى ولا يصح (قوله بان ماتوا على الكفر) اى فلا يجوز لهم الاستغفار حينئذ واما الاستغفار للكافر الحى ففيه تفصيل فان كان قصده بذلك الاستغفار هدايته للاسلام جاز وان كان قصده ان تغفر ذنوبه مع بقائه على الكفر فلا يجوز (قوله وما كان استغفار ابراهيم الخ) هذه الجملة مستانفة استئنافا بيانيا واقعا فى جواب سؤال مقدر تقديره ان شرعنا هو بعينه شرع ابراهيم وقد استغفر ابراهيم لابيه فاجاب الله عن ابراهيم بما ذكر (قوله لابيه) تقدم الخلاف فى كونه أباه او عمه وانما سمى أبا لان عادة العرب تسمى العم أبا والقرآن نزل بلغة العرب (قوله وعدها اياه) اى ان ابراهيم وعد أباه بالاستغفار قبل تبين انه لا ينفع فيه الاستغفار لاصراره على الكفر (قوله انه عدولله) اى انه مصر ومستمر على الكفر والعداوة لان الذى تبين بالموت انما هو اصراره على الكفر والا فاصله كان حاصلا ومتبينا من قبل (قوله ان ابراهيم) هذا بيان للحامل له على الاستغفار قبل التبين (قوله لاوّاه) من التاوه وهو التوجع والاكثار من قول آه واختلف فى معناه فقيل هو الخاشع المتضرع وقيل كثير الدعاء وقيل المؤمن التواب وقيل الرحيم بعباد الله وقيل الموقن وقيل المسبح وقيل المعلم للخير وقيل الراجع عما يكرهه الله الخائف من النار (قوله حليم) معناه صفوح عن المسيء له مقابل له باللطف والرفق وذلك كما فعل ابراهيم مع أبيه حين قال له لئن لم تنته لارجمنك الخ فاجابه ابراهيم بقوله سلام عليك ساستغفر لك ربى وكعدم دعائه على النمرود حيث القاه فى النار (قوله وما كان الله ليضل قوما) سبب نزولها ان بعض الصحابة كانوا يستغفرون لآبائهم الكفار وماتوا قبل نزول آية النهى فظن بعض الصحابة ان الله يؤاخذهم فبين الله انه لا يؤاخذ احدا بذنب الا بعد ان يبين حكمه فيه (قوله بعد اذ هداهم) اى بعد وقت هدايتهم وتوفيقهم للايمان (قوله ومنه) اى من الشيء (قوله ان الله له ملك السموات والارض) اى ففوضوا أموركم اليه لانه الموجد لكل شيء الذى منه العون والنصر (قوله لقد تاب الله) اللام موطئة لقسم محذوف (قوله اى ادام توبته) جواب عما يقال ان النبي معصوم من الذنوب والمهاجرون والانصار لم يفعلوا ذنبا بل سافروا معه واتبعوه من غير امتناع واجيب أيضا بان معنى توبته على النبى عدم مؤاخذته فى اذنه للمتخلفين حتى يظهر المؤمن من المنافق ومعنى توبته على المهاجرين والانصار من اجل ما وقع فى قلوبهم من الخواطر والوساوس فى تلك الغزوة فانها كانت فى شدة الحر والعسر وقيل ان ذكر النبي تشريف لهم وانما المقصود ذكر قبول توبتهم لانه لم يقع منه صلى الله عليه وسلم ذنب أصلا حتى يحتاج للتوبة منه (قوله الذين اتبعوه) اى وكانوا سبعين ألفا ما بين راكب وماش من المهاجرين والانصار وغيرهم من سائر القبائل (قوله اى وقتها) اشار بذلك الى ان المراد بالساعة الزمانية لا الفلكية والعسرة الشدة والضيق وكانت غزوة تبوك تسمى غزوة العسرة وجيشها يسمى جيش العسرة لانه كان عليهم عسرة فى المركب والزاد والماء فكان العشرة منهم يخرجون على بعير واحد يعتقبونه وكان زادهم التمر المسوّس والشعير المتغير وكان تمرهم يسيرا جدا حتى ان احدهم اذا جهده الجوع ياخذ التمرة فيلوكها حتى يجد طعمها ثم يعطيها لصاحبه حتى تاتى على آخرهم ولا يبقى الا النواة وكانوا من شدة الحر والعطش يشربون الفرث ويجعلون ما بقى على كبدهم قال ابو بكر يارسول الله ان الله قد عودك خيرا فادع

الله قال أتحب ذلك قال نعم فرفع رسول الله يديه فلم يرجعا حتى قالت السماء فاظلت ثم سكبت فملؤا امامعهم من الاوعية ثم ذهبنا ننظرها فلم نجدها جاوزت العسكر (قوله من بعدما كاد) هذا بيان لبلوغ الشدة حدها حتى ان بعضهم أشرف على الميل الى التخلف واسم كاد ضمير الشان وجملة تزغ فى محل نصب خبرها (قوله بالتاء والياء) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ثم تاب عليهم) ذكر التوبة اولا قبل الذنب تفضلا منه وتطييبا لقلوبهم ثم ذكرها بعده تعظيما لشانهم وتاكيدا لقبول توبتهم (قوله انه بهم رؤف رحيم) هذا تاكيد لما تقدم والرؤف الرفيق بعباده اللطيف بهم والرحيم المحسن المتفضل (قوله وعلى الثلاثة) قدر المفسر تاب اشارة الى انه معطوف على قوله على النبي و يصح عطفه على الضمير فى قوله ثم تاب عليهم وهو الاقرب لاعادة الجار قال ابن مالك

وعود خافض لدى عطف على * ضمير خفض لازما قد جعلا

وان كان يمكن ان يقال انما اعاده تاكيدا (قوله على الثلاثة) انما لم يسمهم الله لكونهم معلومين بين الصحابة والتوبة هنا على حقيقتها بمعنى انه قبل عذرهم وسامحهم وغفر لهم ما سلف منهم واما التوبة فيما تقدم فمستعملة فى مجازها بمعنى دوام العصمة للنبي والحفظ للمهاجرين والانصار ففى الآية استعمال التوبة فى حقيقتها ومجازها (قوله عن التوبة عليهم) اى عن قبولها من الله وسبب تاخير القبول من الله عدم اظهار توبتهم كما فعل ابو لبابة وقيل المراد خلفوا عن الغزو ولم يخرجوا مع رسول الله وفى صحيح البخارى ما نصه

﴿ باب حديث كعب بن مالك وقول الله عز وجل وعلى الثلاثة الذين خلفوا ﴾

حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ان عبد الله بن كعب بن مالك وكان يقود كعبا حين عمى قال سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن قصة تبوك قال كعب لم اتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة غزاها الا فى غزوة تبوك وكان من خبرى انى لم اكن قط اقوى ولا ايسر منى حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك الغزوة وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال وهممت ان ارتحل فادركهم وليتنى فعلت فلم يقدر لى ذلك ولم يذكرنى رسول الله حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس فى القوم بتبوك ما فعل كعب بن مالك فقال رجل من بنى سلمة يا رسول الله حبسه برداه ونظره فى عطفيه فقال معاذ بن جبل بئس ما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه الا خيرا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كعب بن مالك فلما بلغنى انه توجه قافلا حضرنى همى فطفقت اتذكر الكذب واقول بماذا اخرج من سخطه غدا واستعنت على ذلك بكل ذى راى من اهلى فلما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اظل قادما أى قرب قدومه انزاح عنى الباطل وعرفت انى لن اخرج منه ابدا بشئ فيه كذب فاجمعت الصدق وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما وكان اذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون اليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل رسول الله منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله فجئته فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ثم قال تعال فجئت أمشى حتى جلست بين يديه فقال لى ما خلفك الم تكن قد ابتعت مركوبك فقلت بلى انى والله يا رسول الله لو جلست عند غيرك من اهل الدنيا لرايت انى ساخرج من سخطه بعذر ولقد اعطيت جدلا اى فصاحة ولكنى والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عنى ليوشكن الله ان يسخطك على ولئن حدثتك حديث صدق تجد أى تغضب على فيه انى لارجو فيه عفو الله لا والله ما كان لى من عذر ما كنت قط اقوى ولا ايسر منى حين تخلفت عنك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هذا فقد صدق فقم حتى يقضى الله فيك فقمت وبادر رجال من بنى سلمة فاتبعونى فقالوا لى

(من بعد ما كاد تزيغ) بالتاء والياء تميل (قلوب فريق منهم) عن اتباعه الى التخلف لما هم فيه من الشدة (ثم تاب عليهم) بالثبات (انه بهم رؤف رحيم و) تاب (على الثلاثة الذين خلفوا) عن التوبة عليهم بقرينة

والله ماعلمناك كنت اذنبت ذنبا قبل هذا ولقد عجزت ان تكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر اليه المخلفون قد كان كافيك من ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك فوالله مازالوا يلومونني لوماعنيفا حتى اردت ان ارجع فاكذب نفسي ثم قلت لهم هل لقي هذا معي احد قالوا نعم رجلان قالا مثل ماقلت فقيل لهما مثل ماقيل لك فقلت من هما قالوا مرارة بن الربيع العمري وهلال بن أمية الواقفي فذكروا الى رجلين صالحين قد شهدا بدرا لى فيهما اسوة فمضيت حين ذكروهما لى ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس عن كلامنا ايها الثلاثة من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس فتغيروا لنا حتى تنكرت فى نفسى الارض فما هى التى اعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فاما صاحباى فاستكانا وقعدا فى بيوتهما يبكيان واماأنا فكنت اشب القوم واجلدهم وكنت اخرج فاشهد الصلاة مع المسلمين واطوف فى الاسواق ولا يكلمنى احد وآتى رسول الله فاسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة فاقول فى نفسى هل حرك شفتيه برد السلام على ام لا ثم اصلى قريبا منه فاسارقه النظر فاذا اقبلت على صلاتى أقبل الى فاذا التفت نحوه اعرض عنى حتى اذا طال على ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط ابى قتادة وهو ابن عمى واحب الناس الى فسلمت عليه فوالله مارد على السلام فقلت يا اباقتادة انشدك بالله هل تعلمنى احب الله ورسوله فسكت فعدت له فنشدته فسكت فعدت له فنشدته فسكت فقال الله ورسوله اعلم ففاضت عيناى وتوليت حتى تسورت الجدار حتى اذا مضت اربعون ليلة من الخمسين اذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتينى فقال ان رسول الله يامرك ان تعتزل امرأتك فقلت اطلقها أم ماذا أفعل قال بل اعتزلها ولا تقربها وارسل الى صاحبى مثل ذلك فقلت لامرأتى الحقى باهلك فكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الامر فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت بفتح الميم لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله عن كلامنا فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة وانا على ظهر بيت من بيوتنا فبينا انا جالس على الحال التى ذكر الله قد ضاقت على نفسي وضاقت على الارض بما رحبت سمعت صوت صارخ اوفى على جبل سلع باعلى صوته يا كعب بن مالك ابشر قال فخررت ساجدا وعرفت ان قد جاء فرج واذن رسول الله اى اعلم الناس بتوبة الله علينا حين صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا وذهب قبل صاحبى مبشرون وركب رجل الى فرسا وركضها وسعى ساع من اسلم فاوفى على الجبل وكان الصوت اسرع من الفرس فلما جاءنى الذى سمعت صوته يبشرنى نزعت له ثوبى فكسوته اياهما ببشراه والله ماامالك من الثياب غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت الى رسول الله فتلقانى الناس فوجافوجا يهنونى بالتوبة يقولون لتهنك بفتح التاء توبة الله عليك قال كعب حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس فقام الى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحنى وهنانى والله ماقام الى رجل من المهاجرين غيره ولا انساها لطلحة قال كعب فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك قال قلت أمن عندك يارسول الله ام من عند الله قال لا بل من عند الله وكان رسول الله اذا سر استنار وجهه كانه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه فلما جلست بين يديه قلت يارسول الله ان من توبتى ان انخلع من مالى صدقة الى الله والى رسول الله قال رسول الله امسك عليك بعض مالك فهو خير لك قلت فانى امسك سهمى الذى بخيبر وانزل الله على رسوله لقد تاب الله على النبي الى قوله وكونوا مع الصادقين فوالله ما انعم الله على من نعمة قط بعد ان هدانى للاسلام اعظم فى نفسي من صدقى لرسول الله اه (قوله حتى اذا ضاقت عليهم الخ) اى لم يطمئنوا ولم يسكنوا الى شئ منها واذا اصلية اوثم ليستقيم المعنى (قوله اى مع رحبها) بضم الراء وأما بفتحها فمعناه المكان المتسع

(حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت) اى مع رحبها اى سعتها فلايجدون مكانا يطمئنون اليه (وضاقت عليهم انفسهم) قلوبهم للغم والوحشة بتاخير توبتهم

(قوله

فلا يسعها سرور ولا أنس (وظنوا) أيقنوا (ان) مخففة (لا ملجا من الله الا اليه ثم تاب عليهم) وفقهم للتوبة (ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) بترك معاصيه (وكونوا مع الصادقين) فى الايمان والعهود بان تلزموا الصدق (ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله) اذا غزا (ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه) بان يصونوها عما رضيه لنفسه من الشدائد وهو نهى بلفظ الخبر (ذلك) اى النهى عن التخلف (بانهم) بسبب انهم (لا يصيبهم ظمأ) عطش (ولا نصب) تعب (ولا مخمصة) جوع (فى سبيل الله ولا يطؤن موطئا) مصدر بمعنى وطأ (يغيظ) يغضب (الكفار ولا ينالون من عدو) لله (نيلا) قتلا او أسرا اونهبا (الا كتب لهم به عمل صالح) ليجازوا عليه (ان الله لا يضيع اجر المحسنين) اى اجرهم بل يثيبهم (ولا ينفقون) فيه (نفقة صغيرة) ولو تمرة (ولا كبيرة ولا يقطعون واديا) بالسير (الا كتب لهم) ذلك (ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون) اى جزاءه * ولما وبخوا على التخلف وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم سرية نفروا جميعا فنزل (وما كان المؤمنون لينفروا) الى الغزو (كافة فلولا) فهلا (نفر من كل فرقة) قبيلة (منهم طائفة) جماعة ومكث الباقون (ليتفقهوا) اى الماكثون (فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم) من الغزو بتعليمهم ما تعلموه من الاحكام (لعلهم يحذرون) عقاب الله بامتثال أمره ونهيه قال ابن عباس فهذه مخصوصة بالسرايا والتى قبلها بالنهى عن تخلف واحد فيما اذا خرج النبي صلى الله عليه وسلم (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين

(قوله فلا يسعها سرور) العبارة فيها قلب اى فلا تسع سرورا (قوله ان مخففة) اى واسمها ضمير الشان (قوله لا ملجا الخ) لا نافية للجنس وملجا اسمها ومن الله خبرها والجملة سدت مسد مفعولى ظنوا (قوله من الله الا اليه) اى من سخطه الا بالتضرع اليه (قوله ثم تاب عليهم) اى قبل توبتهم (قوله ليتوبوا) اى ليحصلوا التوبة و ينشئوها (قوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) خطاب عام لكل مؤمن (قوله مع الصادقين) مع بمعنى من بدليل القراءة الشاذة المروية عن ابن مسعود (قوله ما كان لاهل المدينة) اى لا يصح ولا ينبغى ولا يجوز لهم التخلف عن رسول الله الخ والمعنى اذا خرج رسول الله بنفسه للغزو فلا يجوز لاحد من المؤمنين التخلف بل ينفرون كافة (قوله ولا يرغبوا بانفسهم) يجوز فيه النصب عطفا على يتخلفوا والجزم على ان لا ناهية (قوله بان يصونوها الخ) هذا بيان لحاصل المعنى وايضاحه أمروا بان يصحبوه على البأساء والضراء وان يكابدوا معه الاهوال برغبة ونشاط وان يتلقوا الشدائد معه صلى الله عليه وسلم علما بانه أعز نفس وأكرمها عند الله فاذا تعرضت مع عزتها وكرامتها للخوض فى شدة وهول وجب على سائر الانفس ان تتعرض مثلها (قوله وهو نهى بلفظ الخبر) اى ما ذكر من قوله ما كان لاهل المدينة الخ اى فكانه قيل لا يتخلف واحد منهم (قوله ظمأ) اى ولو يسيرا وكذا يقال فيما بعده (قوله ولا يطؤن موطئا) اى لا يدوسون بارجلهم وحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم دوسا (قوله يغيظ) بفتح الياء باتفاق السبعة وان كان يجوز فى اللغة ضمها (قوله ولا ينالون) اى يصيبون (قوله قتلا أو أسرا أو نهبا) أمثلة للنيل بسبب جعله مصدرا و يصح ان يكون بمعنى الشئ المنال اى المأخوذ (قوله الا كتب لهم) اى بكل واحد من الامور الخمسة (قوله اى أجرهم) غرضه بهذا ان المقام للاضمار والعدول عنه لاجل مدحهم وليفيد العموم وعدم الخصوصية للمخاطبين بل هذا الفضل العظيم باق ومستمر الى يوم القيامة (قوله واديا) المراد به هنا مطلق الارض وان كان فى الاصل المكان المنفرج بين الجبال (قوله ذلك) اى ما ذكر من كل من النفقة وقطع الوادى (قوله اى جزاءه) يشير بهذا الى تقدير مضاف اى جزاء أحسن ما كانوا الخ (قوله ولما وبخوا على التخلف الخ) اى سبب نزولها انه لما وبخهم الله على التخلف وظهرت فضيحة المنافقين وتاب الله على من تاب أجمع رأيهم وحلفوا انهم لا يتخلفون عن رسول الله ولا عن سرية بعثها فلما رجعوا من تبوك و بعث السرايا تهيا المسلمون جميعا الى الغزو (قوله سرية) قيل هى اسم لما زاد على المائة الى الخمسمائة وما زاد الى ثمانمائة يقال له منسر وما زاد عليها الى اربعة آلاف يقال له جيش وما زاد عليها يقال له جحفل وجملة سراياه التى أرسلها رسول الله ولم يخرج معها سبعة وأربعون وغزواته التى خرج فيها بنفسه سبعة وعشرون قاتل فى ثمانية منها فقط (قوله وما كان المؤمنون) اى لا ينبغى ولا يجوز لهم ان ينفروا جميعا بل يجب عليهم ان ينقسموا قسمين طائفة تكون مع رسول الله لتلقى الوحى وطائفة تخرج للجهاد (قوله فهلا) اشار بذلك الى ان لولا للتحضيض (قوله ومكث الباقون) قدره اشارة الى ان قوله ليتفقهوا الخ علة لمحذوف ولا يصح ان يكون علة لقوله نفر من كل فرقة منهم طائفة (قوله ولينذروا قومهم) عطف على قوله ليتفقهوا وفيه اشارة الى انه ينبغى لطالب العلم تحسين مقصده بان يقصد بطلبه العلم تعليم غيره واتعاظه هو فى نفسه لا التكبر على العباد والتشدق بالكلام (قوله اذا رجعوا) اى من كان فى الغزو وقوله اليهم اى الى من مكث ليتفقه فى الدين (قوله قال ابن عباس الخ) المقصود من ذلك دفع التعارض بين هذه الآية وما قبلها (قوله مخصوصة بالسرايا) اى وهى التى ارسلها ولم يخرج معها (قوله فيما اذا خرج النبي) اى لانه لا عذر حينئذ فى التخلف لان صاحب الشريعة الذى يتعلمونها منه مصاحب لهم (قوله قاتلوا الذين يلونكم)

يلونكم من الكفار) اى الاقرب فالاقرب منهم (وليجدوا فيكم غلظة) شدة اى اغلظوا عليهم (واعلموا ان الله مع المتقين)

بالعون والنصر (واذا ما انزلت سورة) من القرآن (فمنهم) اى المنافقين (من يقول) لاصحابه استهزاء (ايكم زادته هذه ايمانا) تصديقا قال تعالى (فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا) لتصديقهم بها (وهم يستبشرون) يفرحون بها (وأما الذين فى قلوبهم مرض) ضعف اعتقاد (فزادتهم رجسا الى رجسهم) كفرا الى كفرهم لكفرهم بها (وماتوا وهم كافرون أولا يرون) بالياء أى المنافقون والتاء ايها المؤمنون (انهم يفتنون) يبتلون (فى كل عام مرة او مرتين) بالقحط والامراض (ثم لا يتوبون) من نفاقهم (ولاهم يذكرون) يتعظون (واذا ما انزلت سورة) فيها ذكرهم وقرأها النبي صلى الله عليه وسلم (نظر بعضهم الى بعض) يريدون الهرب يقولون (هل يراكم من احد) اذا قمتم فان لم يرهم احد قاموا والا ثبتوا (ثم انصرفوا) على كفرهم (صرف الله قلوبهم) عن الهدى (بانهم قوم لا يفقهون) الحق لعدم تدبرهم (لقد جاءكم رسول من انفسكم) أى منكم محمد صلى الله عليه وسلم (عزيز) شديد (عليه ما عنتم) أى عنتكم اى مشقتكم ولقاؤكم المكروه (حريص عليكم) ان تهتدوا هذا (بالمؤمنين رؤف) شديد الرحمة (رحيم) يريد لهم الخير (فان تولوا) عن الايمان بك (فقل حسبي) كافى (الله لا اله الا هو عليه توكلت) به وثقت

ليست هذه الآية ناسخة لآية وقاتلوا المشركين كافة على التحقيق بل هذه الآية تعليم لآداب الحرب وهو ان يبدؤا بقتال الاقرب فالاقرب حتى يصلوا الى الابعد فبهذا يتمكنون من قتالهم كافة لان قتالهم دفعة واحدة لا يتصور ولذا قاتل رسول الله اولا قومه ثم انتقل الى سائر العرب ثم الى قتال اهل الكتاب ثم الى قتال الروم والشام ثم بعد وفاته صلى الله عليه وسلم انتقل اصحابه الى قتال العراق ثم بعد ذلك الى سائر الامصار (قوله يلونكم) من الولى وهو القرب وفى فعله لغتان وليه يليه وهو الاكثر والثانية من باب وعد والآية منها وهى قليلة الاستعمال فاصله يوليون حذفت الواو لوقوعها بين عدوتيها ثم نقلت ضمة الياء الى اللام بعد سلب حركتها فالتقى ساكنان حذفت الياء لالتقائهما (قوله شدة) اى صبرا وتحملا (قوله اى اغلظوا عليهم) أشار بذلك الى ان فى الآية استعمال السبب فى المسبب لان وجدان الكفار الغلظة مسبب عن اغلاظ المسلمين عليهم (قوله واذا ما انزلت) المعنى اذا انزلت سورة من القرآن والحال ان المنافقين ليسوا حاضرين وقت النزول وليس فيها فضيحة لهم وأما ما يأتى فيحمل على ما اذا كانوا حاضرين ذلك والحال ان فيها بيان أحوالهم فلا تنافى بين المحلين كما يأتى (قوله لاصحابه) اى او لضعفاء المؤمنين (قوله يفرحون بها) اى لانه كلما نزل شئ من القرآن ازدادوا ايمانا وهذا الحكم باق الى الآن فمن يفرح بكلام الله و بحامليه فهو من المؤمنين الصادقين ومن ينفر من سماعه ومن حامليه فهو اما كافر او قريب من الكفر (قوله كفرا الى كفرهم) اشار بذلك الى انه ضمن الزيادة معنى الضم والمعنى زادتهم كفرا مضموما الى كفرهم لان كفرهم يزيد بزيادة جحدهم المنزل وسمى الكفر رجسا لكونه اقبح الاشياء والرجس هو الشئ المستقذر (قوله بالياء) اى فالاستفهام حينئذ للتوبيخ وقوله والتاء أى فالاستفهام للتعجب لان الخطاب حينئذ للصحابة (قوله ثم لا يتوبون) اى لا يرجعون عما هم عليه (قوله فيها ذكرهم) اى بيان احوالهم (قوله نظر بعضهم الى بعض) اى يتغامزون بالعيون (قوله يريدون الهروب) اى خوفا من الفضيحة التى تحصل لهم (قوله و يقولون) اشار بذلك الى ان قوله هل يراكم من احد مقول لقول محذوف (قوله ثم انصرفوا على كفرهم) عبارته تفيد ان قوله ثم انصرفوا ليس مرتبا على كونهم لم يرهم احد وليس كذلك فكان المناسب ان يقول قاموا وهو بمعنى ثم انصرفوا (قوله صرف الله قلوبهم) اخبار او دعاء (قوله لا يفقهون الحق) اى لا يفهمونه (قوله لقد جاءكم) اللام موطئة لقسم محذوف اى وعزتى وجلالى لقد جاءكم الخ (قوله من انفسكم) خطاب للعرب قال ابن عباس ليس قبيلة من العرب الا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم وله فيها نسب وانفسكم بضم الفاء باتفاق السبعة وقرئ من انفسكم بفتح الفاء من النفاسة والمعنى جاءكم رسول من اشرفكم وارفعكم قدرا لما فى الحديث ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى بنى هاشم من قريش واصطفانى من بنى هاشم فانا خيار من خيار من خيار (قوله عزيز عليه ما عنتم) يصح ان يكون عزيز صفة لرسول وما مصدرية او بمعنى الذى والمعنى يعز عليه عنتكم او الذى عنتموه ويصح ان يكون عزيز خبرا مقدما وما عنتم مبتدا مؤخرا (قوله حريص عليكم) اى يحافظ على هداكم لتكون لكم السعادة الكاملة (قوله ان تهتدوا) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف اى حريص على هدايتكم (قوله رؤوف) بالمد والقصر قراءتان سبعيتان والرؤوف أخص من الرحيم قال الحسن بن الفضل لم يجمع الله لاحد من انبيائه اسمين من اسمائه تعالى الا للنبي صلى الله عليه وسلم فسماه رؤفا رحيما وقال ان الله بالناس لرؤف رحيم (قوله فان تولوا) اى جميع الخلق مؤمنهم ومنافقهم وكافرهم (قوله لا اله الا هو)

لا بغيره (وهو رب العرش) الكرسي (العظيم) خصه بالذكر لانه اعظم (١٥١) المخلوقات وروى الحاكم في المستدرك عن ابى بن كعب قال آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول الى آخر السورة

﴿سورة يونس مكية الا فان كنت فى شك الآيتين او الثلاث او ومنهم من يؤمن به الآية مائة وتسع او عشر آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (الر) الله اعلم بمراده بذلك (تلك) هذه الآيات (آيات الكتاب) القرآن والاضافة بمعنى من (الحكيم) المحكم (أكان للناس) اى اهل مكة استفهام انكار والجار والمجرور حال من قوله (عجبا) بالنصب خبر كان وبالرفع اسمها والخبر وهو اسمها على الاولى (ان اوحينا) اى ايحاؤنا (الى رجل منهم) محمد صلى الله عليه وسلم (ان) مفسرة (انذر) خوف (الناس) الكافرين بالعذاب (وبشر الذين آمنوا ان) اى بان (لهم قدم) سلف (صدق عند ربهم) اى اجرا حسنا بما قدموه من الاعمال (قال الكافرون ان هذا) القرآن المشتمل على ذلك (لسحر مبين) بين وفى قراءة لساحر والمشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام) من ايام الدنيا اى فى قدرها لانه لم يكن ثم شمس ولا قمر ولو شاء لخلقهن فى لمحة والعدول عنه

هذا كالدليل لما قبله (قوله لا بغيره) اخذ هذا الحصر من تقديم المعمول (قوله الكرسي) مرور على القول باتحاد العرش مع الكرسي وهو خلاف الصحيح والصحيح ان العرش غير الكرسي فالعرش جسم عظيم محيط بجميع المخلوقات والكرسي اقل منه (قوله العظيم) بالجر باتفاق السبعة صفة للعرش وقرئ شذوذا بالرفع صفة للرب (قوله خصه بالذكر) جواب عما يقال ان الله رب كل شئ فلم خص العرش بالذكر (قوله آخر آية) مراده الجنس والا فهما آيتان وهذا القول ضعيف لما تقدم ان آخر آية نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وعلى ماقاله المفسر يكونان مدنيتين وهو احد قولين حكاهما المفسر اول السورة وهاتان الآيتان بهما الامان من كل مكروه وقد ورد من قرأهما او يكرر الآية الثانية سبعا صباحا وسبعا مساء أمن من كل مكروه حتى الموت فمن اراد الله موته انساه قراءتهما

﴿سورة يونس﴾

سميت السورة بذلك لذكر اسمه فيها وقصته وقد جرت عادة الله بتسمية السورة ببعض اجزائها (قوله مكية) اى لنزولها قبل الهجرة (قوله او الثلاث) او لتنويع الخلاف وسببه الخلاف ان فى آخر الآية الثانية من الخاسرين او الايم (قوله او ومنهم الخ) اى فيكون المدنى اما ثلاثا او اربعا بزيادة ومنهم الخ وقال القرطبي نقلا عن فرقة ان من اولها نحوا من اربعين آية مكى وباقيها مدنى (قوله الله اعلم بمراده بذلك) هذا احد اقوال تقدمت فى البقرة وهو اتمها واسلمها (قوله اى هذه الآيات) يحتمل ان اسم الاشارة عائد على ماتقدم من اول القرآن الى هنا ويحتمل انه عائد الى الآيات التى ستذكر فى هذه السورة واتى باسم الاشارة البعيد اشارة الى بعد رتبته عن كلام البشر ورفعة قدره (قوله آيات الكتاب) خبر اسم الاشارة (قوله والاضافة) اى فى قوله آيات الكتاب والمعنى تلك آيات من الكتاب لان المشار اليه بعض القرآن (قوله المحكم) اشار بذلك الى ان فعيلا بمعنى مفعول ومعناه الذى لا يتطرق اليه الفساد ولا تغيره الدهور ولا يعتريه الكذب ولا التناقض ويصح ان يكون بمعنى فاعل اى الحاكم اى ذو الحكم لاشتماله على الاحكام الدينية المتعبد بها (قوله استفهام انكارى) اى والمعنى لا يليق ولا ينبغى لاهل مكة ان يتعجبوا من ارساله صلى الله عليه وسلم حيث قالوا العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابى طالب (قوله عجبا) العجب استعظام امر خفى سببه (قوله خبر كان) اى المقدم عليها (قوله بالرفع اسمها) هذه القراءة شاذة فكان المناسب للمفسر ان ينبه عليها (قوله والخبر) مبتدأ وجملة ان اوحينا خبره وقوله وهو اسمها على الاولى اعتراض بين المبتدا والخبر (قوله مفسرة) اى بمعنى اى وضابطها ان يتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه (قوله انذر الناس) اى ان ستمروا على الكفر (قوله قدم صدق) من اضافة الموصوف للصفة وسمى الاجر الحسن قدم صدق لان الخير قد سبق لهم عند الله والشان ان السعى يكون بالقدم فسمى المسبب باسم السبب كما سميت النعمة يدا لانها تعطى بها (قوله اجرا حسنا) هذا احد اقوال فى تفسير قوله قدم صدق وهو لابن عباس وقيل هو الاعمال الصالحة وقيل شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل السعادة المكتوبة لهم ازلا فى اللوح المحفوظ وقيل منزلة رفيعة فى الجنة وكل هذه التفاسير ترجع الى ماقاله المفسر (قوله قال الكافرون) اى حيث رد عليهم فى تعجبهم بما الخ رد (قوله المشتمل على ذلك) اى الانذار والتبشير (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية ايضا (قوله المشار اليه) اى على القراءة الثانية (قوله ان ربكم الله) هذا رد عليهم فى تعجبهم والمعنى لا ينبغى لكم التعجب من ارسال الرسول لان ربكم الله الذى خلق السموات والارض الخ فمن كان قادرا على ذلك فلا يستغرب عليه ارسال رسول (قوله اى فى قدرها) جواب عن قوله لانه لم يكن ثم شمس الخ

لاحد (الا من بعد اذنه) رد لقولهم ان الاصنام تشفع لهم (ذلكم) الخالق المدبر (الله ربكم فاعبدوه) وحدوه (افلا تذكرون) بادغام التاء فى الاصل فى الذال (اليه) تعالى (مرجعكم جميعا وعد الله حقا) مصدران منصوبان بفعلهما المقدر (انه) بالكسر استئنافا والفتح على تقدير اللام (يبدأ الخلق) اى بدأه بالانشاء (ثم يعيده) بالبعث (ليجزى) يثيب (الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم) ماء بالغ نهاية الحرارة (وعذاب اليم) مؤلم (بما كانوا يكفرون) أى بسبب كفرهم (هو الذى جعل الشمس ضياء) ذات ضياء أى نور (والقمر نورا وقدره) من حيث سيره (منازل) ثمانية وعشرين منزلا فى ثمان وعشرين ليلة من كل شهر ويستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين يوما وليلة ان كان تسعة وعشرين يوما (لتعلموا) بذلك (عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك) المذكور (الا بالحق) لا عبثا تعالى عن ذلك (يفصل) بالياء والنون يبين (الآيات لقوم يعلمون) يتدبرون

(قوله لتعليم خلقه التثبت) اى التانى والتمهل فى الامور وتخصيص الستة بذلك ولم تكن أقل ولا أكثر مما استأثر الله بعلمه (قوله استواء يليق به) هذه طريقة السلف فى تفويض علم المتشابه الى الله تعالى وطريقة الخلف يؤولونه بالاستيلاء والقهر والتصرف والى هذين الطريقتين اشار صاحب الجوهرة بقوله وكل نص اوهم التشبيها * أوله أوفوّض ورم تنزيها

فالاستواء كما يطلق على الركوب يطلق على الاستيلاء وهو المراد هنا ومنه قول الشاعر

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق

(قوله يدبر الامر) اى يتصرف فى الخلائق باسرها ولا يشغله شان عن شان (قوله ما من شفيع الا من بعد اذنه) اى لا يشفع احد عنده الا ان يأذن له فى الشفاعة (قوله ربكم) اى خالقكم ومربيكم (قوله بادغام التاء فى الاصل) اى فاصله تتذكرون قلبت التاء ذالا وادغمت فى الذال (قوله اليه مرجعكم جميعا) رد على منكرى البعث حيث قالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر (قوله بفعلهما المقدر) اى وعدكم وعدا وحقه حقا (قوله بالكسر) اى وهى القراءة السبعية (قوله والفتح) اى وهى شاذة فكان عليه ان ينبه عليها (قوله بالقسط) اى العدل المصحوب بالفضل او المراد بالقسط عدل العبيد بامتثالهم المامورات واجتنابهم المنهيات فتكون الباء سببية (قوله والذين كفروا) غاير الاسلوب اشارة الى انهم مستحقون العذاب بسبب أعمالهم واما المؤمنون فثوابهم بفضل الله والى ان المقصود من البدء والاعادة انما هو الثواب واما العقاب فكانه عرض للكفار من سوء اعتقادهم وافعالهم (قوله وعذاب اليم) اى غير الشراب (قوله اى بسبب كفرهم) اشار بذلك الى ان الباء سببية وما مصدرية (قوله هو الذى جعل الشمس ضياء) هذا من جملة ادلة توحيده (قوله ذات ضياء) أشار بذلك الى ان ضياء مصدر ويحتمل انه جمع ضوء والمعنى ذات اضواء كثيرة والضوء النور القوى العظيم فهو أخص من مطلق نور وقيل الضياء ما كان ذاتيا والنور ما كان مكتسبا من غيره فما قام بالشمس يقال له ضياء وما قام بالقمر يقال له نور واعلم ان الشعاع الفائض من الشمس قيل جوهر وقيل عرض والحق انه عرض لقيامه بالاجرام (قوله والقمر) معطوف على الشمس ونورا معطوف على ضياء ففيه العطف على معمولى عامل واحد وهو جائز بلا خلاف (قوله وقدره) الضمير عائد على القمر فقط وخص بالذكر وان كانت الشمس لها منازل ايضا لان سير القمر فى المنازل اسرع وبه يعرف انقضاء الشهور والسنين لان المعتبر فى مثل الصيام والحج السنة القمرية ويحتمل ان الضمير عائد على كل من الشمس والقمر وافرد باعتبار ما ذكر والاقرب الاول (قوله ثمانية وعشرين منزلا) اى وهى منقسمة على اثنى عشر برجا وهى الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت لكل برج منزلان وثلث فيكون اقامته فى كل برج ستة وخمسين ساعة وانتقالات الشمس فى هذه الابراج مرتبة على الشهور القبطية لكن الشهر نصفه الاول من آخر برج ونصفه الآخر من اول برج آخر فيكون نصفه الاول من نصف السنبلة الاخير ونصفه الاخير من نصف الميزان الاول وهكذا (قوله ويستتر ليلتين) اى لا يرى وان كان سائرا (قوله لتعلموا) هذا هو حكمة التقدير (قوله والحساب) معطوف على عدد مسلط عليه تعلموا ولا يجوز جره عطفا على السنين لان الحساب لا يعلم عدده ولذا سئل ابو عمرو عن الحساب اتنصبه ام تجره فقال ومن يدرى ما عدد الحساب كناية عن كونه لا يجوز جره (قوله المذكور) اى من كونه جعل الشمس ضياء والقمر نورا (قوله بالياء والنون) أى فهما قراءتان سبعيتان وعلى النون فيه التفات من الغيبة الى التكلم (قوله لقوم يعلمون) خصوا

بالذكر لانهم هم المنتفعون بذلك (قوله ان فى اختلاف الليل والنهار) أى فى كون احدهما يخلف الآخر ويعقبه (قوله بالذهاب والمجئ) تصوير للاختلاف (قوله والزيادة والنقصان) أى فكل واحد يزيد بقدر ما نقص من الآخر (قوله ان الذين لا يرجون لقاءنا) أى لا يخافونه ولا يؤمنون به (قوله واطمأنوا بها) أى فعلوا فعل المخلدين فيها (قوله أولئك) مبتدأ وماواهم مبتدأ ثان والنار خبر الثانى والثانى وخبره خبر الاول والجملة خبر ان (قوله بما كانوا يكسبون) أى بسبب كسبهم (قوله من الشرك والمعاصى) بيان لقوله يكسبون (قوله ان الذين آمنوا) هذا مقابل قوله ان الذين لا يرجون لقاءنا الخ وان حرف توكيد ونصب الذين اسمها آمنوا صلته وجملة يهديهم ربهم خبر ان (قوله آمنوا) أى صدقوا بالله ورسوله واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه ومره (قوله وعملوا الصالحات) أى الاعمال المرضية لله ورسوله (قوله يهديهم ربهم) أى يوصلهم لدار السعادة وحذف المعمول للعلم به (قوله بايمانهم) أى بسبب تصديقهم بالله ورسله أى وبسبب أعمالهم الصالحة ايضا فالايمان والاعمال الصالحة سببان موصلان لدار السعادة أو المراد بالايمان الكامل ليشمل الاعمال (قوله بان يجعل لهم نورا يهتدون به) أى وتصور لهم الاعمال الصالحة بصورة حسنة عند خروجهم من القبور وتقول لصاحبها كنت اسهرك فى الدنيا واتعبك فيها فاركب على ظهرى وذلك قوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا بخلاف الكافر فيحشر يوم القيامة أعمى لا يهتدى الى مقصوده ويأتيه عمله السيء فيقول له كنت متلذذا بى فى الدنيا فانا أركبك اليوم وذلك قوله تعالى وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم (قوله فى جنات النعيم) اى بساتين التنعم وهذا الاسم يطلق على جميع الجنات والمعنى ان المؤمنين العاملين للصالحات يوصلهم ربهم لدار كرامته ومحل سعادته تجرى الانهار بجانب قصورهم ينظرون اليها من اعلى اماكنهم (قوله طلبهم لما يشتهونه فى الجنة ان يقولوا الخ) اى فهذه الكلمة علامة بين اهل الجنة والخدم فى جميع ما يطلبونه فاذا ارادوا الاكل مثلا قالوا سبحانك اللهم فياتونهم بالطعام على الموائد كل مائدة ميل فى ميل فى كل مائدة سبعون الف صحفة فى كل صحفة لون من الطعام لا يشبه بعضها بعضا فاذا فرغوا من الطعام حمدوا الله على ما اعطاهم وذلك قوله وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين والمراد بما يشتهونه فى الجنة ما كان محمودا فى الدنيا فلا يقال ان نفوس الفساق قد تشتهى اللواط مثلا فيفيد انه يحصل فى الجنة لانه يقال المراد بما يشتهونه ما ليس بشهوات شيطانية لانهم عصموا منها بالموت فلا تخطر ببالهم فى الجنة ولا يميل اليها طبعهم وكذلك يقال فى شهوة المحارم كالام والبنت وايضا اهل الجنة لا ادبار لهم ولا يتغوطون فيها لما فى الحديث اهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون قالوا فما بال الطعام قال جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس (قوله وتحيتهم فيها سلام) التحية ما يحيا به الانسان من الكلام الطيب (قوله فيما بينهم) اى او تحية الملائكة لهم قال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم او تحية الله لهم قال تعالى سلام قولا من رب رحيم (قوله وآخر دعواهم) اى خاتمة تسبيحهم فى كل مجلس ان يقولوا الحمد لله رب العالمين وليس معناه انقطاع الحمد فان اقوال اهل الجنة واحوالها لا آخر لها (قوله مفسرة) اعترض بان ضابط المفسرة مفقود هنا اذ ضابطها ان يتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه وهنا تقدمها مفرد فكان المناسب ان يقول مخففة من الثقيلة ويكون اسمها ضمير الشان وجملة الحمد لله رب العالمين خبرها (قوله ان الحمد لله رب العالمين) اى فاهل الجنة يبتدؤن مطالبهم بالتسبيح ويختمونها بالتحميد فتلذذهم بالاكل والشرب وسائر النعيم لا يشغلهم عن ذكر الله وشكره (قوله ونزل لما استعجل المشركون العذاب) اى لما بين الله سبحانه وتعالى انه يجيب الداعى بالخير ادب عباده بانهم لا يطلبون الشر بل يطلبون الخير فيعطون وقوله لما استعجل المشركون قيل هم النضر بن الحرث

(ان فى اختلاف الليل والنهار) بالذهاب والمجئ والزيادة والنقصان (وما خلق الله فى السموات) من ملائكة وشمس وقمر ونجوم وغير ذلك (و) فى (الارض) من حيوان وجبال وبحار وانهار واشجار وغيرها (لآيات) دلالات على قدرته تعالى (لقوم يتقون)ه فيؤمنون خصهم بالذكر لانهم المنتفعون بها (ان الذين لا يرجون لقاءنا) بالبعث (ورضوا بالحياة الدنيا) بدل الآخرة لانكارهم لها (واطمأنوا بها) سكنوا اليها (والذين هم عن آياتنا) دلائل وحدانيتنا (غافلون) تاركون للنظر فيها (اولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون) من الشرك والمعاصى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم) يرشدهم (ربهم بايمانهم) به بان يجعل لهم نورا يهتدون به يوم القيامة (تجرى من تحتهم الانهار فى جنات النعيم دعواهم فيها) طلبهم لما يشتهونه فى الجنة ان يقولوا (سبحانك اللهم) اى يا الله فاذا ما طلبوه بين ايديهم (وتحيتهم) فيما بينهم (فيها سلام وآخر دعواهم ان) مفسرة (الحمد لله رب العالمين) *ونزل لما استعجل المشركون العذاب

(ولو يعجل الله للناس
الشر استعجالهم) اى
كاستعجالهم (بالخير لقضى)
بالبناء للمفعول وللفاعل
(اليهم اجلهم) بالرفع
والنصب بان يهلكهم ولكن
يمهلهم (فنذر) نترك (الذين
لا يرجون لقاءنا فى
طغيانهم يعمهون) يترددون
متحيرين (واذا مس
الانسان) الكافر (الضر)
المرض والفقر (دعانا لجنبه)
اى مضطجعا (او قاعدا أو
قائما) اى فى كل حال
(فلما كشفنا عنه ضره
مر) على كفره (كأن) مخففة
واسمها محذوف اى كانه
(لم يدعنا الى ضر مسه
كذلك) كما زين له الدعاء
عند الضر والاعراض
عند الرخاء (زين
للمسرفين) المشركين (ما
كانوا يعملون ولقد اهلكنا
القرون) الامم (من قبلكم)
يا اهل مكة (لما ظلموا)
بالشرك (و) قد (جاءتهم
رسلهم بالبينات) الدالات
على صدقهم (وما كانوا
ليؤمنوا) عطف على ظلموا
(كذلك) كما اهلكنا أولئك
(نجزى القوم المجرمين)
الكافرين (ثم جعلناكم)
يا اهل مكة (خلائف) جمع
خليفة (فى الارض من
بعدهم لننظر كيف تعملون)
فيها وهل تعتبرون بهم
فتصدقوا رسلنا (واذا
تتلى عليهم آياتنا) القرآن
(بينات) ظاهرات حال
(قال الذين لا يرجون لقاءنا) لا يخافون البعث (ائت بقرآن غير هذا) ليس فيه عيب آلهتنا (او بدله) من تلقاء نفسك

وغيره حيث قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء (قوله ولو يعجل الله للناس الشر) اى الذى طلبوه لانفسهم (قوله اى كاستعجالهم) اشار بذلك الى ان استعجالهم مصدر والاصل استعجالا مثل استعجالهم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه (قوله لقضى اليهم اجلهم) اى لهلكوا جميعا والمعنى ان الناس عند الغضب والضجر قد يدعون على انفسهم واهليهم واولادهم بالموت وتعجيل البلاء كما يدعونه بالرزق والرحمة فلو اجابهم الله اذا دعوه بالشر الذى يستعجلونه به مثل ما يجيبهم اذا دعوه بالخير لاهلكهم ولكنه من فضله وكرمه يستجيب للداعى بالخير ولا يستجيب له بالشر فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله بالبناء للمفعول وللفاعل) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بالرفع والنصب) لف ونشر مرتب فالرفع نائب فاعل والنصب مفعول به (قوله بان يهلكهم) اى قبل وقتهم (قوله ولكن يمهلهم) اى فضلا منه وكرما الى ان ياتى اجلهم فاذا جاء لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون فالمؤمن يلقى النعيم الدائم والكافر يلقى العذاب الدائم (قوله الذين لا يرجون لقاءنا) اى الذين لا يخافون عقابنا ولا يؤمنون بالبعث بعد الموت (قوله فى طغيانهم) اى الذى هو انكار البعث والمقالات الشنيعة (قوله يعمهون) حال من فاعل يرجون (قوله يترددون متحيرين) اى فى الفرار من العذاب فلا يجدون لهم مفرا (قوله واذا مس الانسان الضر) وجه مناسبة هذه الآية لما قبلها انه لما وبخهم على الدعاء بالشر لانفسهم بين هنا غاية عجزهم وضعفهم وانهم لا يقدرون على ايجاد شىء ولا اعدامه (قوله الكافر) مثله ناقص الايمان المنهمك فى المعاصى (قوله لجنبه) حال من فاعل دعانا واللام بمعنى على (قوله او قاعدا او قائما) يحتمل ان او على بابها لان المضار اما ثقيلة تمنعه القيام والقعود او خفيفة لا تمنع ذلك او متوسطة تمنعه القيام دون القعود ويحتمل ان او بمعنى الواو فهو اشارة لتنويع الاحوال والى هذا أشار المفسر بقوله اى فى جميع الاحوال (قوله مر على كفره) اى استمر عليه (قوله كأن لم يدعنا) الجملة فى محل نصب حال من فاعل مر والمعنى استمر هو على كفره مشبها بمن لم يدعنا اصلا اى ارجع الى حالته الاولى وترك الالتجاء الى ربه (قوله المسرفين) اى المتجاوزين الحد (قوله ما كانوا يعملون) اى عملهم فالواجب على الانسان دوام الدعاء والتضرع والالتجاء لجانب الله فى كل حال سيما فى حال الصحة والغنى لانه يشدد عليه فيهما ما لا يشدد عليه فى غيرهما (قوله ولقد اهلكنا القرون من قبلكم) اى كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم (قوله لما ظلموا) اى حين ظلمهم (قوله وجاءتهم) قدر المفسر قد اشارة الى ان الجملة حالية من فاعل ظلموا (قوله عطف على ظلموا) أى كانه قيل حين ظلموا وحين لم يكونوا مؤمنين والمعنى ان سبب اهلاكهم شيآن ظلمهم وعدم ايمانهم (قوله ثم جعلناكم) عطف على اهلكنا (قوله خلائف فى الارض) اى متخلفين من بعد القرون بسبب ان الله اورثكم ارضهم وديارهم فمن يوم بعث الله محمدا فجميع الخلق الموجودين من يومئذ الى يوم القيامة من امته مسلمهم وكافرهم وهم خلفاء الارض (قوله لننظر) اى ليظهر متعلق علمنا ونعاملهم معاملة من ينظر وفى الكلام استعارة تمثيلية حيث شبه حال العباد مع ربهم بحال رعية مع سلطانها فى امهالهم لينظر ماذا تفعل واستعير الاسم الدال على المشبه به للمشبه على سبيل التمثيل والتقريب ولله المثل الاعلى (قوله كيف تعملون) اى فهل تصدقون رسلنا او تكذبونهم (قوله واذا تتلى عليهم) فيه التفات من الخطاب للغيبة (قوله ائت بقرآن غير هذا) اى من عند ربك ان كنت صادقا فى انه من عند الله (قوله او بدله) اى بان تجعل مكان سب آلهتنا مدحهم ومكان الحرام حلالا وهذا الكلام من الكفار يحتمل ان يكون على سبيل الاستهزاء والسخرية ويحتمل انه على سبيل الامتحان ليعلموا كونه من عند الله فلا يقدر على تغييره ولا تبديله او من تلقاء نفسه فيقدر على ذلك والاول هو

(قل) لهم (ما يكون) ينبغى (لى ان ابدله من تلقاء) قبل (نفسى ان) ما (اتبع الا ما يوحى الى انى اخاف ان عصيت ربى) بتبديله (عذاب يوم عظيم) هو يوم القيامة (قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم) اعلمكم (به) ولا نافية عطف على ما قبله وفى قراءة بلام جواب لو اى لاعلمكم به على لسان غيرى (فقد لبثت) مكثت (فيكم عمرا) سنينا اربعين (من قبله) لا احدثكم بشيء (افلا تعقلون) انه ليس من قبلى (فمن) اى لا احد (اظلم ممن افترى على الله كذبا) بنسبة الشريك اليه (او كذب بآياته) القرآن (انه) اى الشان (لا يفلح) يسعد (المجرمون) المشركون (ويعبدون من دون الله) اى غيره (ما لا يضرهم) ان لم يعبدوه (ولا ينفعهم) ان عبدوه وهو الاصنام (ويقولون) عنها (هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل) لهم (اتنبئون الله) تخبرونه (بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض) استفهام انكار اذ لو كان له شريك لعلمه اذ لا يخفى عليه شيء (سبحانه) تنزيها له (وتعالى عما يشركون) ه معه (وما كان الناس الا امة واحدة) على دين واحد وهو الاسلام من لدن آدم الى نوح وقيل من عهد ابراهيم الى عمرو ابن لحى (فاختلفوا) بان ثبت بعض وكفر بعض (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتاخير الجزاء الى يوم القيامة (لقضي بينهم) اى الناس فى الدنيا (فيما فيه يختلفون) من الدين بتعذيب الكافرين (ويقولون) اى اهل مكة (لولا)

المتبادر من حالهم (قوله قل ما يكون لى ان ابدله الخ) اى لا يليق منى ولا يصح (قوله انى اخاف) تعليل لما قبله (قوله قل لو شاء الله) مفعول شاء محذوف اى عدم انزاله (قوله ولا ادراكم) ادرى فعل ماض وفاعله مستتر يعود على الله والكاف مفعول به (قوله ولا نافية) اى وجملة لا ادراكم مؤكدة لما قبلها عطف عام على خاص والمعنى لو شاء الله عدم انزاله ما تلوته عليكم ولا اعلمكم به منى ولا من غيرى (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية ايضا (قوله بلام) اى وهى للتاكيد والمعنى لو شاء الله عدم تلاوتى ما تلوته عليكم ولا اعلمكم به غيرى بان ينزله على لسان نبي غيرى ونتيجة هذا القياس محذوفة تقديره لكن شاء الله انزاله على فانا اتلوه عليكم وانا اعلمكم به (قوله فقد لبثت فيكم عمرا) هذا هو وجه الاحتجاج عليهم والمعنى ان كفار مكة شاهدوا رسول الله قبل مبعثه وعلموا احواله وانه كان اميا لم يقرأ كتابا ولا تعلم من احد وذلك مدة اربعين سنة ثم بعدها جاءهم بكتاب عظيم الشان مشتمل على نفائس العلوم والاحكام والآداب ومكارم الاخلاق فكل من له عقل سليم وفهم ثابت يعلم ان هذا القرآن من عند الله لا من عند نفسه (قوله سنينا) منصوب بفتحة ظاهرة وقد مر المفسر على طريقة من يجعله مثل حين ومنه حديث اللهم اجعلها عليهم سنينا كسنين يوسف فى احدى الروايتين (قوله افلا تعقلون) اى اعميتم عن الحق فلا تعقلونه (قوله اى لا احد) اشار بذلك الى ان الاستفهام انكارى بمعنى النفى (قوله بنسبة الشريك اليه) اشار المفسر الى ان الخطاب متوجه لهم والمعنى على ذلك انكم افتريتم على الله الكذب فزعمتم ان له شريكا والله منزه عنه وثبت عندكم صدقى بالقرآن فكذبتم بآياته (قوله ويعبدون) عطف على ما تقدم عطف قصة على قصة بيان لقبائحهم وفى الحقيقة عبادتهم غير الله تسبب عنه ما تقدم من افترائهم وتكذيبهم بالآيات (قوله ما لا يضرهم ولا ينفعهم) ما اسم موصول او نكرة موصوفة ونفى الضر والنفع هنا باعتبار ذواتهم واثباتهما فى قوله تعالى يدعو لمن ضره اقرب من نفعه باعتبار السبب (قوله وهو الاصنام) بيان لما (قوله ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) قال اهل المعانى توهموا ان عبادتها اشد فى تعظيم الله من عبادتهم اياه وقالوا لسنا باهل ان نعبد الله ولكن نشتغل بعبادة هذه الاصنام فانها تكون شافعة لنا عند الله قال تعالى اخبارا عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان قلت انهم ينكرون البعث ففى اى وقت يشفعون لهم على زعمهم اجيب بانهم يرجون شفاعتهم فى الدنيا فى اصلاح معايشهم (قوله بما لا يعلم) المقصود نفى وجود الشريك بنفى لازمه لان علمه تعالى محيط بكل شيء فلو كان موجودا لعلمه الله وحيث كان غير معلوم لله وجب ان لا يكون موجودا وهذا مثل مشهور فان الانسان اذا اراد نفى شيء وقع منه يقول ما علم الله ذلك منى اى لم يحصل ذلك منى قط (قوله فى السموات ولا فى الارض) حال من العائد المحذوف فى يعلم (قوله استفهام انكار) اى بمعنى النفى (قوله الا امة واحدة) اى متفقين على الحق والتوحيد من غير اختلاف (قوله من لدن آدم الى نوح الخ) ويجمع بينهما بان عبادة الله وحده استمرت من آدم الى نوح فظهر فى امة نوح من يعبد غير الله قال تعالى فى شانهم وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا الآية فاخذوا بالطوفان واستمر من يعبد الله وحده الى زمن ابراهيم فظهر فى امته من يعبد غير الله فاهلكوا بالبعوض واستمر من يعبد الله وحده الى ان ظهر عمرو بن لحى وهو اول من بحر البحائر وسيب السوائب فى الجاهلية الى ان ظهر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (قوله ولولا كلمة) المراد بها حكمه الازلى بتاخير العذاب عنهم الى يوم القيامة (قوله فيما فيه يختلفون) اى فى الدين الذى يختلفون بسببه (قوله بتعذيب الكافرين) متعلق

هلا (أنزل عليه) على محمد صلى الله عليه وسلم (آية من ربه) كما كان للانبياء من الناقة والعصا واليد (فقل) لهم (انما الغيب) ماغاب عن العباد اى امره (لله) ومنه الآيات فلا ياتى بها الا هو وانما على التبليغ (فانتظروا) العذاب ان لم تؤمنوا (انى معكم من المنتظرين واذا أذقنا الناس) اى كفار مكة (رحمة) مطرا وخصبا (من بعد ضراء) بؤس وجدب (مستهم اذا لهم مكر فى آياتنا) بالاستهزاء والتكذيب (قل) لهم (الله أسرع مكرا) مجازاة (ان رسلنا) الحفظة (يكتبون ما تمكرون) بالتاء والياء (هو الذى يسيركم) وفى قراءة (ينشركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك) السفن (وجرين بهم) فيه التفات عن الخطاب (بريح طيبة) لينة (وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف) شديدة الهبوب تكسر كل شيء (وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم احيط بهم) اى اهلكوا (دعوا الله مخلصين له الدين) الدعاء (لئن) لام قسم (أنجيتنا من هذه) الاهوال (لنكونن من الشاكرين) الموحدين (فلما انجاهم اذا هم يبغون فى الارض بغير الحق) بالشرك (يا أيها الناس انما بغيكم) ظلمكم (على انفسكم) لان اثمه عليها هو (متاع الحياة الدنيا) تمتعون فيها قليلا

بقضي (قوله هلا) أشار بذلك الى ان لولا تحضيضية (قوله آية من ربه) اى معجزة كما كان للانبياء قال تعالى حكاية عنهم وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الآية (قوله فقل انما الغيب لله) اى مختص به لا يقدر على الاتيان بشيء منه الا الله وانما لم يجابوا بعين مطلوبهم لعلمه بقاء هذه الامة وهذا الدين الى يوم القيامة وقد جرت عادته سبحانه وتعالى ان القوم الذين يطلبون الآيات اذا جاءت ولم يؤمنوا بها يعجل لهم الهلاك فعدم اجابتهم على طبق ما طلبوا رحمة بهم (قوله انى معكم من المنتظرين) أى لما يفعله بكم (قوله واذا اذقنا الناس رحمة) هذا جواب آخر عن قول اهل مكة لولا انزل عليه آية من ربه وذلك انه لما اشتد من اهل مكة العناد وعدم الاذعان ابتلاهم الله بالقحط سبع سنين ثم رحمهم بعد ذلك بانزال المطر والخصب فجعلوا ذلك هزوا وسخرية وأضافوا المنافع الى الاصنام وقالوا لو كان القحط بسبب ذنوبنا كما يقول محمد ما حصل لنا بعد ذلك الخصب لانا لم نتب فاذا كان كذلك فعلى تقدير ان يعطوا ما سألوا من انزال ما طلبوه لا يؤمنون (قوله بالاستهزاء الخ) تفسير للمكر (قوله أسرع مكرا) اى اعجل عقوبة من سرعة مكرهم وتسمية عقوبة الله مكرا مشاكلة (قوله ان رسلنا) تعليل لاسرعية مكره وتنبيه على ان ما دبروه غير خاف على الحفظة فضلا عن العليم الخبير (قوله بالتاء والياء) اى لكن الاولى سبعية والثانية عشرية (قوله هو الذى يسيركم) الجملة المعرفة الطرفين تفيد الحصر اى لا مسير لكم فى البر والبحر الا هو وهذا من جملة ادلة توحيده (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية ايضا من النشر وهو البث والتفريق والمعنى يفرقكم ويبثكم فى البر والبحر والرسم متقارب لكن طولت السنة الثانية وهى النون فى القراءة الثانية وطولت السنة التى قبل الراء وهى الياء على القراءة الاولى (قوله فى البر) اى مشاة وركبانا (قوله حتى اذا كنتم فى الفلك) غاية للسير فى البحر والفلك يستعمل مفردا وجمعا فحركته فى المفرد كحركة قفل وحركته فى الجمع كحركة بدن وهنا مستعمل فى الجمع بدليل وجرين وفى آية فى الفلك المشحون مستعمل مفردا (قوله فيه التفات عن الخطاب) اى الى الغيبة وحكمته زيادة التقبيح على الكفار لان شأنهم عدم شكر النعمة واما الخطاب اولا فهو لكل شخص مسلم او كافر بتعداد النعم عليهم (قوله بريح طيبة) اى توصل للمقصود بلطف (قوله وفرحوا بها) الجملة حالية من ضمير بهم وقد مقدرة (قوله وظنوا) اى أيقنوا (قوله اى أهلكوا) اى ظنوا الهلاك لقيام الاسباب بهم (قوله مخلصين) اى غير مشركين معه شيأ من آلهتهم (قوله لئن أنجيتنا) هذا مقول لقول محذوف بيان لمحصل الدعاء والتقدير قائلين وعزتك وجلالك لئن أنجيتنا (قوله من الشاكرين) اى على نعمائك الموحدين لك (قوله اذا هم يبغون) اذا للمفاجاة والمعنى فحين أنجاهم فاجؤا الفساد وبادروا اليه (قوله بغير الحق) اما وصف كاشف او احترز به عن البغى بحق كاستيلاء المسلمين على الكفار وتخريب دورهم واتلاف أموالهم كما فعل رسول الله بقريظة (قوله انما بغيكم على انفسكم) الكلام على حذف مضاف اى اثم بغيكم كما يشير له المفسر بقوله لان اثمه عليها والمعنى ان وبال بغيكم راجع لانفسكم لا يضر الله منه شيء كما لا تنفعه طاعة المطيع قال تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها وقال العارف ماذا يضرك وهو عاص او يفيدك وهو طائع فاشراك المشرك لا يثبت لله شريكا بل هو محض افتراء وكذب ووباله على صاحبه وتوحيد الموحد لا يثبت لله وحدة بل هى ثابتة ازلا وابدا بل معنى وحدت ربى قامت وحدته بقلبي وامتزجت بلبي وليس المعنى انه اثبت له وحدة لم تكن فان هذا هو الكفر بعينه وفى ذلك قال العارف

ماوحد الواحد من واحد * اذ كل من وحده جاحد

(قوله متاع الحياة الدنيا) قدر المفسر هو اشارة الى انه بالرفع خبر لمحذوف (قوله تمتعون فيها قليلا) اى زمنا

قليلا

(ثم الينا مرجعكم) بعد الموت (فننبئكم بما كنتم تعملون) فنجازيكم عليه وفى قراءة بنصب متاع أى تتمتعون (انما مثل) صفة (الحياة الدنيا كماء) مطر (انزلناه من السماء فاختلط به) بسببه (نبات الارض) واشتبك بعضه ببعض (مما يأكل الناس) من البر والشعير وغيرهما (والانعام) من الكلا (حتى اذا اخذت الارض زخرفها) بهجتها من النبات (وازينت) بالزهر واصله تزينت ابدلت التاء زايا وادغمت فى الزاى (وظن اهلها انهم قادرون عليها) متمكنون من تحصيل ثمارها (اتاها أمرنا) قضاؤنا أو عذابنا (ليلا اونهارا فجعلناها) اى زرعها (حصيدا) كالمحصود بالمناجل (كأن) مخففة اى كأنها (لم تغن) تكن (بالامس كذلك نفصل) نبين (الآيات لقوم يتفكرون والله يدعو الى دار السلام) اى السلامة وهى الجنة بالدعاء الى الايمان (ويهدى من يشاء) هدايته (الى صراط مستقيم) دين الاسلام (للذين أحسنوا) بالايمان (الحسنى) الجنة (وزيادة) هى النظر اليه تعالى كما فى حديث مسلم

قليلا (قوله ثم الينا مرجعكم) اى لا مفر لهم من ذلك وانما امهالهم وتأخيرهم من حلمه سبحانه وتعالى (قوله فنجازيكم عليه) اى على ما عملتم من خير وشر (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية ايضا (قوله بنصب متاع) اى مفعول لفعل محذوف قدره المفسر بقوله اى تتمتعون (قوله انما مثل الحياة الدنيا) بيان لشأن الدنيا وان مدتها قصيرة والمعنى صفتها فى سرعة انقضائها وكونكم متمززين بها كماء الخ (قوله كماء انزلناه من السماء) حكمة تشبيهها بماء السماء دون ماء الارض اشارة الى ان الدنيا تأتى بلا كسب من صاحبها ولا تعان منه كماء السماء بخلاف ماء الارض فينال بالآلات (قوله وغيرهما) اى كالذرة والحمص واللوبياء والفول ونحو ذلك (قوله من الكلا) هو العشب رطبا او يابسا (قوله حتى اذا أخذت الارض زخرفها) غاية لمحذوف اى مازال ينمو ويزهو حتى الخ والمعنى حتى استوفت واستكملت الارض زخرفها من النبات وتم سرور أهلها بها أتاها امرنا الخ (قوله بالزهر) أى انواعه من احمر وأصفر وابيض واخضر وغير ذلك (قوله وادغمت فى الزاى) اى بعد تسكينها وأتى بهمزة الوصل لاجل النطق بالساكن فلما دخلت الواو حذفت للاستغناء عنها (قوله متمكنون من تحصيل ثمارها) اى من اخذ ما انبتته من ثمار وزروع وبقول (قوله اتاها امرنا) جواب اذا (قوله كالمحصود) اى المقطوع (قوله كأن لم تغن بالامس) اى كأن لم تكن تلك الاشجار والنباتات والزروع ثابتة قائمة على ظهر الارض وهذا مثل للراغب فى زهرة الدنيا وبهجتها الراكن لها المعرض عن الآخرة فكما ان النبات الذى عظم الرجاء فيه والانتفاع به اتته المتلفات بغتة ويئس منه كذلك المتمسك بالدنيا اذا افتخر بها وتعزز يأتيه الموت بغتة فيسلب ما كان فيه من نعيم الدنيا ولذتها (قوله بالامس) المراد به الزمن الماضى لا خصوص اليوم الذى قبل يومك (قوله كذلك) أى كما فصلنا فى ضرب المثل (قوله نفصل الآيات لقوم يتفكرون) اى فليس هذا المثل قاصرا على شخص دون شخص بل هو عبرة لمن كان له بصيرة وتدبر فينبغى للانسان ان ينزل القرآن فى خطابه على نفسه ويتأمل فيها ويتدبر ليأتمر بأوامره وينتهى بنواهيه (قوله والله يدعو الى دار السلام) لما ذكر سبحانه وتعالى صفة الدنيا ورغب فى الزهد فيها والتجنب لزخارفها رغب فى الآخرة ونعيمها حيث اخبر انه بعظمته وجلاله وكبريائه يدعو الى دار السلام والسلام اسم من اسمائه تعالى ومعناه المنزه عن كل نقص المتصف بكل كمال واضيفت الدار للسلام لانها سالمة من الآفات والكدرات كما ان معنى السلام السالم من كل نقص وقيل المراد بالسلام السلامة من الآفات والنقائص وعليه درج المفسر (قوله وهى الجنة) اشار بذلك الى ان المراد بهذا الاسم ما يشمل جميع الجنات لا خصوص المسماة بهذا الاسم من باب تسمية الكل باسم البعض وكذا يقال فى باقى دورها كدار الجلال وجنة النعيم وجنة الخلد وجنة المأوى والفردوس وجنة عدن فهذه الاسماء كما تطلق على مسمياتها يطلق كل اسم منها على جميع دورها لصدق الاسم على المسمى فى كل (قوله بالدعاء للايمان) اى فهو سبب لدخول الجنة وان كان صاحبه عاصيا فالمدار فى استحقاق الجنة على مجرد الايمان (قوله ويهدى من يشاء) اى يوصله الى السعادة الكاملة (قوله هدايته) هذا هو مفعول يشاء (قوله الى صراط مستقيم) اى طريق قويم لا اعوجاج فيه وحذف مقابل ويهدى من يشاء الخ تقديره ويضل من يشاء عنه فالضلال والهدى بيد الله يعطى ايهما شاء لمن شاء (قوله للذين احسنوا) خبر مقدم والحسنى مبتدأ مؤخر (قوله بالايمان) اى ولو صحبه ذنوب فعصاة المؤمنين لهم الحسنى وزيادة وان كانت مراتب اهل الجنة متفاوتة فليس المنهمكون فى طاعة الله كغيرهم (قوله هى النظر اليه تعالى) هذا قول جمهور الصحابة والتابعين وقيل المراد بالزيادة رضوان الله الاكبر وقيل مضاعفة الحسنات وقيل الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة ابواب ولكن القول الاول هو الذى عليه

(ولا يرهق) يغشى (وجوههم قتر) سواد (ولا ذلة) كآبة (أولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون والذين) عطف على للذين احسنوا اى وللذين (كسبوا السيآت) عملوا الشرك (جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من) زائدة (عاصم) مانع (كأنما أغشيت) ألبست (وجوههم قطعا) بفتح الطاء جمع قطعة واسكانها اى جزأ (من الليل مظلما اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون و) اذكر (يوم نحشرهم) اى الخلق (جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم) نصب بالزموا مقدرا (أنتم) تاكيد للضمير المستتر فى الفعل المقدر ليعطف عليه (وشركاؤكم) اى الاصنام (فزيلنا) ميزنا (بينهم) وبين المؤمنين كما فى آية وامتازوا اليوم أيها المجرمون

المأمول لان النظر اليه تعالى يستلزم جميع ذلك ويدل له ما ورد اذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى تريدون شيأ أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما يعطون شيأ احب اليهم من النظر الى ربهم تبارك وتعالى زاد فى رواية ثم تلا للذين أحسنوا الحسنى وزيادة واعلم ان الناس جميعا فى الجنة ينظرون اليه سبحانه وتعالى فى مثل يوم الجمعة من الاسبوع وفى مثل يوم العيد من السنة وهذه هى الرؤية العامة لجميع اهل الجنة وللخواص مراتب متفاوتة فمنهم من يراه فى كل صباح ومساء ومنهم من يراه فى مثل أوقات الصلوات الخمس ومنهم من لا يحجب عن الرؤية أبدا ما قيل ان لله رجالا لو حجبوا عن الرؤية طرفة عين لتمنوا الخروج من الجنة (قوله ولا يرهق) الجملة مستأنفة (قوله سواد) اى وغبار فاهل الجنة بيض الوجوه فى غاية من البسط والجمال فلا يعتريهم نكد ولا كدر قال تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة (قوله أولئك) اى المحدث عنهم بان لهم الحسنى وزيادة (قوله هم فيها خالدون) أى لا يخرجون منها ابدا (قوله والذين كسبوا السيآت) شروع فى ذكر صفات أهل النار اثر ذكر صفات أهل الجنة (قوله عطف على الذين أحسنوا) اى ويكون فيه العطف على معمولى عاملين مختلفين لان الذين معطوف على الذين الاول والعامل فيه المبتدأ الذى هو الحسنى وقوله جزاء سيئة معطوف على الحسنى والعامل فيه الابتداء وهذا الوجه فيه خلاف بين النحويين ولذا حاول بعضهم اعراب الآية حتى ذكر فيه سبعة اوجه أحسنها ان قوله الذين مبتدأ اول وجزاء سيئة مبتدأ ثان وبمثلها خبر الثانى والثانى وخبره خبر الاول والباء زائدة ويدل لزيادتها قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها (قوله بمثلها) أشار بذلك الى الفرق بين الحسنات والسيآت فالحسنات مضاعفة بفضل الله والسيآت جزاؤها مثلها عدلا منه سبحانه وتعالى قال صاحب الجوهرة

فالسيآت عنده بالمثل * والحسنات ضوعفت بالفضل

(قوله وترهقهم ذلة) اى يغشاهم الذل والكآبة (قوله ما لهم من الله) اى من عذابه وسخطه (قوله كأنما أغشيت) اى غطيت (قوله واسكانها) اى فهما قراءتان سبعيتان والمعنى على الاولى كأن أجزاء الليل غطتهم والبستهم وعلى الثانية كأن جزأ من الليل غشيهم وغطى وجوههم وهذه الآية بمعنى الآية الاخرى وهى قوله تعالى ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة وما مشى عليه المفسر من ان القطع بالسكون الجزء هو أحد أقوال فى تفسيره وقيل هو سواد الليل وقيل هو ظلمة آخر الليل (قوله مظلما) حال من الليل (قوله أولئك) اى الموصوفون بما ذكر (قوله أصحاب النار) اى المستحقون لها (قوله هم فيها خالدون) اى ماكثون على سبيل الخلود والتأبيد (قوله ويوم نحشرهم) شروع فى ذكر حاجة أهل الشرك مع معبوداتهم اثر بيان أصحاب النار ويوم ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر (قوله نصب بالزموا) اى على انه مفعول به والمعنى الزموا هذا المكان ولا تبرحوا عنه اوظرف بجعل الزموا بمعنى قفوا (قوله تاكيد للضمير المستتر) اى الذى هو الواو وتسميته مستترا فيه مسامحة اذ الواو من الضمائر البارزة وقد يجاب بان المراد بالاستتار عدم الذكر بالفعل (قوله المقدر) اى الذى هو الزموا والاخبار بهذا الامر للتهديد يصدر من الله على لسان ملك لا مباشرة لقوله تعالى ولا يكلمهم الله يوم القيامة (قوله فزيلنا) من التزييل وهو التفريق والتمييز يقال زل ضانك من معزك أى فرق بينها وميز هذا من هذا ووزنه فعل بالتضعيف فهو من باب ذوات الياء او فيعل وأصله زيول اجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون قلبت الواو ياء وادغمت فى الياء فهو من باب ذوات الواو (قوله بينهم وبين المؤمنين) هكذا فهم المفسر وهو بعيد من سابق الكلام ولاحقه وقيل ميزنا بينهم وبين معبوداتهم وقطعنا ما كان بينهم من التواصل فى الدنيا وهو الاقرب

لان الكلام فيه (قوله وقال شركاؤهم) انما اضيفت الشركاء لهم لانهم اتخذوها شركاء لله فى العبادة (قوله ما كنتم ايانا تعبدون) قال مجاهد تكون فى القيامة ساعة فيها شدة تنصب لهم الآلهة التى كانوا يعبدونها من دون الله فتقول الآلهة والله ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل ولا نعلم انكم كنتم تعبدوننا فيقولون والله اياكم كنا نعبد فتقول الآلهة لهم فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين (قوله للفاصلة) أى تناسب رؤس الآى (قوله لغافلين) اى لاعلم لنا بذلك (قوله هنالك) اشارة للمكان البعيد وهو الموقف الذى يدهش العقول (قوله تبلو) اى تختبر وتعلم (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية ايضا من التلاوة اى تقرأ ما اسلفته وقدمته فتجده مسطرا فى صحف الملائكة قال تعالى ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك اومن التلو أى تتبع وتطلب ما أسلفته من اعمالها وفى قراءة ايضا نبلو بالنون بعدها باء موحدة اى نختبر نحن وكل بالنصب مفعول به عليها وهى شاذة (قوله وردوا) أى المشركون (قوله الثابت الدائم) اى الذى لا يقبل الزوال ازلا ولا ابدا (قوله وضل عنهم ما كانوا يفترون) اى غاب عنهم افتراؤهم بظهور الحق فلا ينافى انهم معهم فى النار وهكذا كل من اعتمد على غير الله يقال له هنالك تبلو كل نفس ما اسلفت الآية فينبغى للانسان ان يسعى فى خلاص قلبه من الوهم الذى يلجئه الى الاعتماد على غير الله من جاه او مال او علم او عمل او غير ذلك ليرى الحق حقا والباطل باطلا فيتبع الحق ويجتنب الباطل وبهذا الامر يتبين الولى من العامى فالولى يرى الاشياء كلها ظاهرا وباطنا من الله فهو دائما مطمئن ساكن مسلم لله فى كل ما يفعله والعامى يعتقد ذلك بقلبه غير ان الوهم يخيل له ان لغير الله ضرا أو نفعا فيكون دائما فى تعب ونصب وقد اشار العارف لذلك بقوله

وما الخلق فى التمثال الا كثلجة * لها صورة لكن تبدت عن الماء
فذو الكشف لم يشهد سوى الماء وحده * تبدى بوصف الثلج من غير اخفاء
ومن حجبته صورة الثلج جاهل * تغطى عليه الامر من لمع أضواء

(قوله قل لهم من يرزقكم الخ) امر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقيم الحجة على المشركين ويبطل ما هم عليه من الاشراك باسئلة ثمانية اجاب المشركون عن الخمسة الاولى واجاب رسول الله عن الاثنين بعدها بتعليم الله له وجواب الاخير لم يذكر للعلم به وقد صرح به المفسر (قوله من السماء والارض) اى رزقا مبتدأ من السماء والارض (قوله بالمطر) اى فهو سبب لاخراج نبات الارض فصح كون الرزق من السماء (قوله أمن يملك السمع) اى يخلقه ويحفظه من الآفات فى كل لحظة اذ هو معرض للزوال لولا حفظ الله له ما ثبت (قوله بمعنى الاسماع) انما قال ذلك ليوافق الابصار (قوله والابصار) جمع بصر والمعنى ان الله تعالى هو الخالق للابصار الواضع للنور فيها الذى به الابصار وهو الحافظ له (قوله ومن يخرج الحى من الميت الخ) تقدم ان المراد بالحى الانسان والطير وبالميت النطفة والبيضة (قوله ومن يدبر الامر) عطف عام على خاص لان تدبير الامر عام فى كل شئ (قوله فسيقولون الله) اى جوابا لمن تقدم (قوله أفلا تتقون) اى ادمتم على الشرك فلا تتقونه ويؤخذ من هذا ان المعرفة ليست هى الايمان اذ لو كانت هى الايمان لكان اقرارهم بان الله هو الفعال لهذه الاشياء توحيدا وايمانا بل الايمان هو حديث النفس التابع للمعرفة اى قول النفس آمنت وصدقت على التحقيق (قوله الثابت) اى الذى لا يقبل الزوال أزلا ولا أبدا (قوله استفهام تقرير) المناسب انكار بدليل قوله اى قوله ليس بعده غيره (قوله وقع فى الضلال) أى الباطل وهو الشرك لانه لا واسطة بين الحق والباطل (قوله فانى تصرفون) أى تمنعون وهو

(وقال) لهم (شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون) ما نافية وقدم المفعول للفاصلة (فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان) مخففة أى انا (كنا عن عبادتكم لغافلين هنالك) اى ذلك اليوم (تبلو) من البلوى وفى قراءة بتاءين من التلاوة (كل نفس ما أسلفت) قدمت من العمل (وردوا الى الله مولاهم الحق) الثابت الدائم (وضل) غاب (عنهم ما كانوا يفترون) عليه من الشركاء (قل) لهم (من يرزقكم من السماء) بالمطر (والارض) بالنبات (أمن يملك السمع) بمعنى الاسماع اى خلقها (والابصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الامر) بين الخلائق (فسيقولون) هو (الله فقل) لهم (أفلا تتقون) ه فتؤمنون (فذلكم) الفعال لهذه الاشياء (الله ربكم الحق) الثابت (فماذا بعد الحق الا الضلال) استفهام تقرير اى ليس بعده غيره فمن أخطأ الحق وهو عبادة الله وقع فى الضلال (فانى) كيف (تصرفون) عن الايمان مع قيام البرهان

استفهام تعجبي (قوله كذلك) الكاف في محل نصب نعت لمصدر محذوف والتقدير مثل صرفهم عن الحق بعد الاقرار به حقت الخ (قوله وهي لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين) اي فالمراد نفذ القضاء والقدر بان جهنم تمتلئ من الجن والانس حتى تقول قط قط (قوله وهي انهم لا يؤمنون) او لتنويع الخلاف اى فالمراد بكلمة الله على هذا القول نفوذ قضاء الله وقدره بعدم ايمانهم (قوله قل هل من شركائكم الخ) هذا هو السؤال السادس (قوله من يبدأ) اى ينشئ الخلق من العدم (قوله ثم يعيده) اى الخلق فى القيامة للحساب والجزاء وانما لم يجيبوا عن هذا السؤال وتولى الله الجواب عنه لانهم منكرون للبعث فلو اجابوا لكان ذلك اقرارا منهم بالبعث وصح ان يكون حجة عليهم لقيام الادلة والبراهين عليه فلا يستطيعون ان ينازعوا فى ذلك (قوله قل هل من شركائكم) هذا هو السؤال السابع والمعنى هل من شركائكم من يقيم الحجج ويرسل الرسل ويوفق العبيد لرشادهم ولما لم يكونوا مسلمين ذلك تولى الله جوابه ايضا (قوله قل الله يهدى للحق) اى فهو احق بالاتباع لا هذه الاصنام التى لا تهتدى بنفسها (قوله أفمن يهدى الى الحق) هذا هو السؤال الثامن وقد ذكر المفسر جوابه بقوله الاول احق (قوله أحق ان يتبع) خبر قوله أفمن يهدى والمعنى أفمن يهدى الى الحق حقيق بالاتباع ام من لا يهدى اليه (قوله امن لا يهدى) اصله يهتدى نقلت فتحة التاء الى الهاء وابدلت التاء دالا وادغمت فى الدال ويهدى بفتح الهاء وكسرها وبكسر الياء والهاء معا فالقراآت ثلاث وكلها سبعية فكسر الهاء للتخلص من التقاء الساكنين وكسر الياء اتباعا لكسر الهاء (قوله الا أن يهدى) استثناء من اعم الاحوال والمعنى لا يهتدى فى حال من الاحوال الا فى حال اهداء الغير اياه ومعنى هداية الاصنام كونها تنقل من مكان لآخر فالمعنى لا تنتقل من مكان لآخر الا ان تحمل وتنقل وهذا ظاهر فى الاصنام واما مثل عيسى والعزير فمعنى لا يهدى لا يخلق الهدى لا فى نفسه ولا فى غيره فالخلق كلهم عاجزون اذ لا يملكون لانفسهم شيا فضلا عن غيرهم (قوله فما لكم) أى أى شئ ثبت لكم فى هذه الحالة (قوله كيف تحكمون) اى بالباطل وتجعلون لله شركاء (قوله وما يتبع أكثرهم) يفيد ان الاقل يعرفون ان الله منزه عن كل نقص متصف بكل كمال غير أنهم يكفرون عنادا (قوله حيث قلدوا فيه آباءهم) اى فقالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون (قوله ان الظن لا يغنى من الحق شيا) المراد بالظن خلاف التحقيق فيشمل الشك والوهم وهذا الكلام فى حق الكفار الذين اتبعوا غيرهم فى الكفر وقلدوهم فيه فلا عذر لهم فى التقليد دنيا ولا أخرى واما المؤمن الخالص الذى امتلأ قلبه بالايمان حيث عجز عن قيام الادلة على التوحيد وقلد العارف فيه فليس من هذا القبيل بل هو مؤمن جزما لانه ليس عنده ظن بل جزم مطابق للواقع وربما ان دام على الصدق ومتابعة من يقلده يرتقى فى التوحيد الى مقام أعلى وأجل من مقام من قلده وأما القول بانه كافر فانما يعرف لابى هاشم الجبائى من المعتزلة فلا يعول عليه (قوله ان الله عليم بما يفعلون) هذا تهديد لهم على ما وقع منهم من الافعال الشنيعة والاحوال القبيحة (قوله وما كان هذا القرآن) المقصود من هذا الكلام الرد على من كذب بالقرآن وزعم انه ليس من عند الله والمعنى لا ينبغى لهذا القرآن ان يختلق ويفتعل لان تراكيبه الحسنة أعجزت العالمين وذلك لان حسن الكلام على حسب سعة علم المتكلم واطلاعه ولا أحد أعلم من رب العالمين فلذلك أعجز الخلائق جميعا لكونه فى أعلى طبقات البلاغة ولذلك قال صاحب الهمزية

أعجز الانس آية منه والجن فهلا تاتى به البلغاء

الى ان قال سور منه أشبهت صورا منا ومثل النظائر النظراء

(كذلك) كما صرف هؤلاء عن الايمان (حقت كلمت ربك على الذين فسقوا) كفروا وهى لاملأن جهنم الآية اوهى (انهم لا يؤمنون قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فانى تؤفكون) تصرفون عن عبادته مع قيام الدليل (قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق) بنصب الحجج وخلق الاهتداء (قل الله يهدى للحق أفمن يهدى الى الحق) وهو الله (أحق ان يتبع ام من لا يهدى) يهدى (الا ان يهدى) أحق ان يتبع استفهام تقرير وتوبيخ اى الاول أحق (فما لكم كيف تحكمون) هذا الحكم الفاسد من اتباع مالا يحق اتباعه (وما يتبع أكثرهم) فى عبادة الاصنام (الا ظنا) حيث قلدوا فيه آباءهم (ان الظن لا يغنى من الحق شيا) فيما المطلوب منه العلم (ان الله عليم بما يفعلون) فيجازيهم عليه (وما كان هذا القرآن ان يفترى

اى افتراء (من دون الله) اى غيره (ولكن) انزل (تصديق الذى بين يديه) من الكتب (وتفصيل الكتاب) تبيين ما كتبه الله من الاحكام وغيرها (لا ريب) شك (فيه من رب العالمين) متعلق بتصديق او بانزل المحذوف وقرئ برفع تصديق وتفصيل بتقدير هو (أم) بل أ (يقولون افتراه) اختلقه محمد (قل فاتوا بسورة مثله) فى الفصاحة والبلاغة على وجه الافتراء فانكم عربيون فصحاء مثلى (وادعوا) للاعانة عليه (من استطعتم من دون الله) اى غيره (ان كنتم صادقين) فى أنه افتراه فلم تقدروا على ذلك قال تعالى (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) اى القرآن ولم يتدبروه (ولما) لم (يأتهم تاويله) عاقبة ما فيه من الوعيد (كذلك) التكذيب (كذلك الذين من قبلهم) رسلهم (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) بتكذيب الرسل اى آخر أمرهم من الهلاك فكذلك نهلك هؤلاء (ومنهم) اى اهل مكة (من يؤمن به) لعلم الله ذلك منه (ومنهم من لا يؤمن به) ابدا (وربك أعلم بالمفسدين) تهديد لهم (وان كذبوك فقل) لهم (لى عملى ولكم عملكم) اى لكل جزاء عمله (أنتم بريئون مما أعمل وانا برئ مما تعملون) وهذا منسوخ بآية السيف (ومنهم من يستمعون اليك) اذا قرأت القرآن (أفانت تسمع الصم)

(قوله اى افتراء) اشار بذلك الى ان خبر كان ان وما دخلت عليه فى تاويل مصدر (قوله ولكن تصديق الذى بين يديه) هذا الاستدراك وقع احسن موقع لانه وقع بين نقيضين الكذب والصدق وتصديق بالنصب خبر لكان مقدرة والتقدير ولكن كان تصديق الخ او مفعول لاجله بفعل محذوف قدره المفسر بقوله انزل وتصديق بمعنى مصدق او بولغ فيه حتى جعل نفس التصديق على حذو زيد عدل وكذا يقال فى قوله وتفصيل الكتاب (قوله من الكتب) اى السماوية المنزلة على الانبياء (قوله وتفصيل الكتاب) أى مفصل لما فى الكتاب وهو اللوح المحفوظ فالقرآن مفصل لما كتب فى اللوح المحفوظ من علم ما كان وما يكون وما هو كائن فى الدنيا والآخرة فمن اعطى شيأ من اسرار القرآن فلا يحتاج للاطلاع على اللوح المحفوظ بل يأخذ منه ما اراده (قوله وغيرها) أى من المغيبات (قوله لا ريب فيه) حال من التصديق والتفصيل وهذا هو الاظهر (قوله متعلق بتصديق او بانزل) اى ويكون قوله لا ريب فيه معترضا بين المتعلق والمتعلق (قوله وقرئ) اى شاذا (قوله ام يقولون افتراه) ام منقطعة تفسر ببل والهمزة والمعنى انهم اصروا على تلك المقالة ولم يذعنوا للحق (قوله اختلقه محمد) اى افتعله وليس من عند الله (قوله قل فاتوا بسورة) هذا تبكيت لمقالتهم الفاسدة وهو جواب شرط مقدر والتقدير ان كان الامر كما تزعمون فاتوا بسورة مثله واعلم ان مراتب تحدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرآن اربعة اولها انه تحداهم بجميع القرآن قال تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن ثانيها أنه تحداهم بعشر سور قال تعالى قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات ثالثها انه تحداهم بسورة واحدة قال تعالى قل فاتوا بسورة مثله رابعها انه تحداهم بحديث مثله كما قال تعالى فليأتوا بحديث مثله (قوله من استطعتم من دون الله) اى من آلهتكم وغيرها من جميع المخلوقات (قوله ان كنتم صادقين) شرط حذف جوابه لدلالة ماقبله عليه أى فاتوا بسورة وادعوا الخ (قوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) أى بفهم ألفاظه ومعانيه العظيمة فتكذيبهم لعدم فهمهم معناه وجهلهم بفضله ففى المثل من جهل شيأ عاداه وقال البوصيرى

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد * وينكر الفم طعم الماء من سقم

(قوله ولما يأتهم تاويله) أى لم ينزل بهم الوعيد فيحملهم على التصديق قهرا فتكذيبهم لامرين جهلهم بفضله وعدم اتيان الوعيد لهم (قوله من الوعيد) اى وهو العذاب الموعود به (قوله كذلك التكذيب) اشار بذلك الى ان الكاف بمعنى مثل نعت لمصدر محذوف اى مثل ذلك التكذيب كذبوا رسلهم قوله فكذلك نهلك هؤلاء) اى بان نسلطكم عليهم لتقتلوهم وليس المراد الهلاك العام بالخسف والمسخ مثلا فان ذلك مرفوع ببركته صلى الله عليه وسلم (قوله ومنهم) اى من اهل مكة المكذبين (قوله من يؤمن به) اى فى المستقبل والمعنى ان اهل مكة المكذبين للقرآن انقسموا قسمين قسم آمن بعد وقسم لم يؤمن (قوله وان كذبوك) اى داموا على تكذيبك (قوله اى لكل جزاء عمله) اى جزاء ما عمله من خير أو شر (قوله وهذا منسوخ بآية السيف) اى فبعد نزولها لم يقل ذلك وفيه ان شرط الناسخ ان يكون رافعا لحكم المنسوخ ومدلول الآية ثابت لم ترفعه آية السيف اذ مدلول هذه الآية اختصاص كل بعمله وبراءة كل من عمل الآخر وهذا حاصل مطلقا فالوجه انه لا نسخ فى هذه الآية (قوله ومنهم من يستمعون اليك) اى من كفار مكة المكذبين للقرآن فريق يصغون الى قراءتك بآذانهم ولم يذعنوا بقلوبهم فلا تطمع فى ايمانهم لوجود الختم على قلوبهم فلا يفقهوا الحق ولا يتبعوه وفى هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم كان الله يقول له لا تحزن على عدم ايمانهم فانك لا تقدر ان تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون (قوله افانت تسمع الصم) الاستفهام انكارى بمعنى النفى والمعنى انت لا تقدر أن

افانت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون) شبههم بهم فى عدم الاهتداء بل اعظم فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور (ان الله لا يظلم الناس شيا ولكن الناس انفسهم يظلمون ويوم نحشرهم كان) اى كانهم (لم يلبثوا) فى الدنيا او القبور (الا ساعة من النهار) لهول ما رأوا وجملة التشبيه حال من الضمير (يتعارفون بينهم) يعرف بعضهم بعضا اذا بعثوا ثم ينقطع التعارف لشدة الاهوال والجملة حال مقدرة او متعلق الظرف (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) بالبعث (وما كانوا مهتدين واما) فيه ادغام نون ان الشرطية فى ما المزيدة (نرينك بعض الذى نعدهم) به من العذاب فى حياتك وجواب الشرط محذوف اى فذاك (او نتوفينك) قبل تعذيبهم (فالينا مرجعهم ثم الله شهيد) مطلع (على ما يفعلون) من تكذيبهم وكفرهم فيعذبهم اشد العذاب (ولكل امة) من الامم (رسول فاذا جاء رسولهم) اليهم فكذبوه (قضي بينهم بالقسط) بالعدل فيعذبون و ينجي الرسول ومن صدقه (وهم لا يظلمون) بتعذيبهم بغير جرم فكذلك نفعل بهؤلاء (ولا يقولون متى هذا الوعد) بالعذاب

تسمع من سلبه الله السمع (قوله شبههم) اى الكفار وقوله بهم أى بالصم وقوله فى عدم الانتفاع هذا هو وجه الشبه أى فكما ان معدوم السمع لا ينتفع بالاصوات فكذلك الكفار لا ينتفعون بسماع القرآن لوجود الحجاب على قلوبهم (قوله ولو كان لا يعقلون) اى ولو كان مع الصمم عدم العقل وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله وجملة الشرط معطوفة على محذوف تقديره أأنت تسمع الصم ان عقلوا بل ولو كانوا لا يعقلون فانت لا تسمعهم فيكون المعنى أنت لا تسمع الصم عقلوا اولم يعقلوا فهم كالانعام بل هم اضل (قوله ومنهم من ينظر اليك) اى يبصرك بعينه (قوله افانت تهدى العمى) يقال فيه ما قيل فيما قبله (قوله ولو كانوا لا يبصرون) اى لا يتاملون ولا يتفكرون بقلوبهم فيما جئت به من الدلائل العظيمة والشمائل الفخيمة والمعنى انت لا تهدى عمى القلوب أبصروا اولم يبصروا (قوله بل اعظم) اى لانهم عدموا البصيرة والمشبه بهم عدموا البصر وفقد البصيرة اعظم فى الضرر من فقد البصر (قوله ان الله لا يظلم الناس شيا) هذا الآية سيقت لدفع توهم ان الله حيث سلبهم العقل والسمع والبصر فتعذيبهم على عدم الهدى ظلم فدفع ذلك بان الظلم هو التصرف فى ملك الغير ولا مالك لاحد معه سبحانه وتعالى فتقديره الشقاوة على أهلها ليس بظلم منه لانه هو المالك الحقيقى وهو يتصرف فى ملكه كيف يشاء (قوله ولكن الناس أنفسهم يظلمون) انما قال ذلك لان الفعل منسوب اليهم بسبب الكسب الاختيارى فالله سبحانه وتعالى يعذب الشقى على ما اقترفه بالنظر للكسب الاختيارى فان قيل هو الخالق لذلك الكسب يقال لا يسئل عما يفعل (قوله ويوم نحشرهم) اى نجمعهم للحساب والضمير عائد على المشركين المنكرين للبعث والمعنى ويوم نجمع المشركين فى القيامة و يعرف بعضهم بعضا حال كونهم فى وقت حشرهم مشبهين بمن لم يلبثوا الا زمنا قليلا من النهار (قوله لهول ما رأوا) اى فبسبب ذلك يعد الزمن السابق عليه يسيرا وان كان فى نفسه طويلا (قوله حال من الضمير) أى فى نحشرهم (قوله اذا بعثوا) دفع بذلك ما يقال ان هذا معارض لقوله فلا انساب بينهم وحاصل الجواب انهم يتعارفون اولا فاذا اشتد الهول نسى بعضهم بعضا (قوله والجملة حال) اى من الواو فى يلبثوا او من الضمير فى نحشرهم وعلى هذا فالظرف متعلق بمحذوف تقديره اذكر (قوله او متعلق الظرف) اى فهو معمول له والتقدير يتعارفون وقت حشرهم (قوله قد خسر الذين كذبوا) هذا اخبار من الله بحالهم الشنيع (قوله وما كانوا مهتدين) معطوف على جملة قد خسروا والمعنى وما كانوا واصلين للجنة ابدا (قوله واما نرينك) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم كان الله يقول له لا تحزن فاما نرينك عقوبتهم فى حياتك او نؤخرهم الى يوم القيامة فهم لا يفلتون من عذابنا على كل حال فاصبر ولا تضق فان الامر لنا فيهم (قوله فذاك) اى هو المراد وقد حصل ذلك بان بلغ الله نبيه الآمال فيمن عاداه بسبب تسليمه الامر فيهم لمالكهم وهكذا يفعل الله بالظالم اذا سلم المظلوم امره لسيده ولم يعترض على افعاله وصبر على احكامه فبهذا ينال رضا الله و يظفر بمطلوبه ممن ظلمه وفى هذا المعنى قلت

ارح قلبك العانى وسلم له القضا * تفز بالرضا فالاصل لا يتحول

علامة اهل الله فينا ثلاثة * ايمان وتسليم وصبر مجمل

(قوله فالينا مرجعهم) هذا هو جواب الشرط (قوله ثم الله شهيد) ثم لترتيب الاخبار لا للترتيب الزمانى (قوله رسول) اى ارسله الله لهم (قوله فكذبوه) قدره اشارة الى ان قوله وقضى بينهم بالقسط مرتب على محذوف لا على قوله فاذا جاء رسولهم (قوله وهم لا يظلمون) اى لان تعذيبهم بسبب كسبهم لما تقدم ان الرحمة تاتى من غير سابقة مقتضيها واما العذاب فلا بد وان يكون بسبب فعل يقتضيه (قوله و يقولون) اى كفار مكة (قوله متى هذا الوعد) اى الذى تعدنا به وهذا القول منهم على سبيل الاستهزاء والسخرية

(ان كنتم صادقين) فيه (قل لا املك لنفسى ضرا) ادفعه (ولا نفعا) اجلبه (الا ماشاء الله) ان يقدرنى عليه فكيف املك لكم حلول العذاب (لكل امة اجل) مدة معلومة لهلاكهم (اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون) يتاخرون عنه (ساعة ولا يستقدمون) يتقدمون عليه (قل ارايتم) اخبرونى (ان اتاكم عذابه) اى الله (بياتا) ليلا (او نهارا ماذا) اى شئ (يستعجل منه) اى العذاب (المجرمون) المشركون فيه وضع الظاهر موضع المضمر وجملة الاستفهام جواب الشرط كقولك اذا اتيتك ماذا تعطينى والمراد به التهويل اى ما اعظم ما استعجلوه (اثم اذا ماوقع) حل بكم (آمنتم به) اى الله او العذاب عند نزوله والهمزة لانكار التاخير فلا يقبل منكم ويقال لكم (آلآن) تؤمنون (وقد كنتم به تستعجلون) استهزاء (ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد) اى الذى تخلدون فيه (هل) ما (تجزون الا) جزاء (بما كنتم تكسبون ويستنبؤنك) يستخبرونك (احق هو) اى ما وعدتنا به من العذاب والبعث (قل إى) نعم (وربى انه لحق وما انتم بمعجزين) بفائتين العذاب (ولو ان لكل نفس ظلمت) كفرت (ما فى الارض) جميعا من الاموال (لافتدت به) من العذاب يوم القيامة (واسروا الندامة) على ترك الايمان

(قوله ان كنتم صادقين) خطاب للنبى والمؤمنين (قوله قل لا أملك لنفسى ضرا الخ) أى لا أستطيع ان أدفع الضر عن نفسي ان أراد الله نزوله بى ولا أستطيع جلب نفع أراد الله منعه عنى (قوله الا ماشاء الله) يحتمل أن يكون متصلا والتقدير الا ماشاء أن املكه وأقدر عليه أو منقطعا والتقدير لكن ماشاء الله من ذلك فانى أملك لكم الضر وأجلب العذاب (قوله لكل أمة أجل) هذا من جملة ما أجابهم به والمعنى حيث كان لكل أمة أجل محدود لا تتعداه فلا معنى لاستعجالكم العذاب (قوله يتاخرون الخ) اشار بذلك الى ان السين فى يستاخرون ويستقدمون زائدة والمعنى انه اذا جاء الاجل الذى قدره الله لكل امة فلا يتاخرون عنه ولا يتقدمون عليه ان لم يجئ ان قلت ورد ان الصدقة تزيد فى العمر فالجواب ان المراد بالزيادة البركة لان الاجل الذى سبق فى علم الله لا يتغير (قوله قل ارايتم) اى قل للذين يستعجلون العذاب (قوله موضع المضمر) اى وهو الواو التى مع تاء المخاطب والتقدير ماذا تستعجلون وعدل عنه لاجل الوصف بالاجرام تبكيتا عليهم (قوله وجملة الاستفهام جواب الشرط) اى على تقدير الفاء لان الجملة اسمية (قوله والمراد به) اى بالاستفهام (قوله لانكار التاخير) اى المستفاد من ثم والتقدير الخرتم ثم آمنتم به اذا وقع والمعنى لا ينبغى هذا التاخير لان الايمان فى هذه الحالة غير نافع (قوله آلآن) منصوب على الظرفية والعامل فيه محذوف قدره المفسر بقوله تؤمنون والفعل المقدر ومعموله على اضمار القول وهو يقال لكم وآلآن بهمزتين الاولى همزة الاستفهام والثانية همزة ال المعرفة فاذا اجتمعها تان الهمزتان وجب فى الثانية اما تسهيلها اومدها بقدر ثلاث الفات وهما قراءتان سبعيتان وقد وقع ذلك فى القرآن فى ستة مواضع اثنان فى الانعام آلذكرين مرتين وثلاثة فى هذه السورة آلآن مرتين وآلله اذن لكم وواحد فى النمل آلله خير واما تحقيق الهمزتين فلا يجوز (قوله وقد كنتم به تستعجلون) الجملة حالية من فاعل آمنتم (قوله استهزاء) اى تستعجلون على سبيل الاستهزاء (قوله ثم قيل للذين ظلموا) اخبار عما يقع لهم فى القيامة (قوله هل تجزون) الواو نائب الفاعل مفعول اول وقوله بما كنتم تكسبون مفعول ثان وقوله الاجزاء مفعول مطلق لتجزون والمعنى لا تجزون الاجزاء الذى كنتم تكسبونه من الكفر والتكذيب (قوله ويستنبؤنك) السين والتاء للطلب والمعنى يسئلونك ان تخبرهم عما وعدتهم به من العذاب احق هو الخ ويستنبؤنك فعل مضارع والواو فاعل والكاف مفعول اول وجملة احق هو فى محل المفعول الثانى وحق مبتدا وهو خبر او بالعكس او هو فاعل بحق اغنى عن الخبر والشرط موجود وهو اعتماد المبتدا على الاستفهام (قوله قل اى وربى الخ) هذا امر من الله لرسوله بان يجيبهم بثلاثة اشياء اى وربى انه لحق وما انتم بمعجزين (قوله نعم) اشار المفسر بذلك الى ان اى من احرف الجواب ولكنها مختصة بالقسم لا تستعمل فى غيره ومنه قول الناس اى والله وقولهم ايوه فالواو للقسم والهاء ماخوذة من الله ويحتمل ان الهاء للسكت والمقسم به محذوف للعلم به تقديره اى والله وهذا هو الاقرب لان تقطيع اسم الجلالة غير لائق (قوله انه لحق) جواب القسم (قوله وما انتم بمعجزين) يصح ان يكون معطوفا على اى فيكون من جملة مقول القول ويصح ان يكون جملة مستانفة خطابا من الله لهم وليس من جملة مقول القول ومايحتمل انها حجازية فاسمها الضمير وبمعجزين خبرها او تميمية وما بعدها مبتدا وخبر (قوله بفائتين العذاب) اى فارين منه بل هو مدرككم لامحالة (قوله ولو ان لكل نفس ظلمت الخ) المعنى امتنع افتداء كل نفس من العذاب لامتناع ملكها لما تفتدى به وهو جميع ما فى الارض (قوله كفرت) اى وماتت على كفرها (قوله لافتدت به) اى لجعلته فداء لها من العذاب لكنه لا يحصل ذلك (قوله واسروا الندامة) الضمير عائد على الرؤساء والاسرار على حقيقته والمعنى ان الرؤساء حين يروا

العذاب يخفون الندامة خوف التعيير وهذا امامشى عليه المفسر وقيل ان اسروا بمعنى اظهروا من تسمية الاضداد ولعل هذا هو الاقرب قال تعالى ان تقول نفس ياحسرتى على مافرطت فى جنب الله الآية (قوله لما رأوا العذاب) ظرف لاسروا بمعنى حين او شرط حذف جوابه لدلالة ماقبله عليه (قوله مخافة التعيير) اى التوبيخ الواقع من الاتباع لهم (قوله بين الخلائق) اى فيقضي للمسلمين بالجنة وللكفار بالنار ويصح ان يكون المعنى بين الظالمين والمظلومين (قوله العدل) اى وهو عدم الجور والظلم (قوله الا) أداة تنبيه يؤتى بها للاعتناء بما بعدها ومناسبة هذه الآية لما قبلها انه لما ذكر ان كل نفس كافرة تتمنى انها لو تملك مافى الارض لافتدت به بين هنا انه لا يمكن ذلك لعدم ملكها فان لله مافى السموات والارض (قوله الا ان وعد الله حق) اى لامحيص عنه بل هو واقع ولا بد (قوله ولكن اكثرهم لا يعلمون) اى لقصور عقولهم بسبب استيلاء الغفلة عليهم فينكرون ذلك والتعبير باكثر اشارة الى ان الاقل يعلم ذلك وهو واحد من الف لما تقدم فى الحديث يا آدم أخرج بعث النار من ذريتك فيخرج من كل الف واحدا للجنة والباقى للنار (قوله فيجازيكم باعمالكم) اى خيرها وشرها (قوله أى اهل مكة) اشار بذلك الى ان الخطاب لهم ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله موعظة) مصدر وعظ بمعنى ذكر وارشد لما ينفع من محاسن الاعمال وزجر عما يضر من قبائحها (قوله من ربكم) صفة لموعظة وفى هذا تنزل من الله لعباده كان الله يقول الفداء فى الآخرة لا ينفع واما فى الدنيا فذلك نافع (قوله وشفاء لما فى الصدور) المراد بها القلوب من باب تسمية الحال باسم المحل والمعنى ان القرآن مذكر وواعظ و به الشفاء لما فى القلوب من الحقد والحسد والبغض والعقائد الفاسدة (قوله وهدى) اى نور يقذف فى قلوب الكاملين يميزون به بين الحق والباطل وفى هذه الآية اشارة الى الشريعة والطريقة والحقيقة فاشار للشريعة بقوله موعظة من ربكم لان الشريعة بها تطهير الظواهر واشار للطريقة بقوله وشفاء لما فى الصدور لان الطريقة بها تطهير البواطن عن كل مالا ينبغى واشار للحقيقة بقوله وهدى ورحمة للمؤمنين لان بالحقيقة التحلى بالانوار الساطعة فى القلوب التى يرى بها الاشياء على ماهى عليه عيانا فعند ذلك يرى الله فى كل شيء واقرب اليه من كل شيء علما ذوقيا لا علما يقينيا فالحقيقة ثمرة الطريقة لا تحصل الا بعد التخلق بالطريقة والشريعة ولذا قيل حقيقة بلا شريعة باطلة وشريعة بلا حقيقة عاطلة (قوله قل بفضل الله الخ) متعلق بمحذوف دل عليه ما بعده والاصل ليفرحوا بفضل الله و برحمته فبذلك فليفرحوا ثم قدم الجار والمجرور على الفعل لافادة الحصر ثم دخلت الفاء لافادة السببية والمعنى ان من اتصف بهذه الصفات المتقدمة فينبغى له ان يفرح ويشكر ما انعم الله به عليه ويجود بروحه وجسمه فى خدمة ربه ولا يتوانى فمن قذف الله فى قلبه نور محبته فالواجب عليه افناء جسمه فى خدمته كى يتم له ذلك النور و يزداد السرور وهذه المحبة هى التى يعبر عنها العارفون بالخمرة والشراب والحميا لان بها السكر والفناء عما سوى الله تعالى قال العارف رضي الله عنه

شربنا على ذكر الحبيب مدامة * سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

وقال العارف

ولا تنظر لجسمي ياعذرلى * فان الجسم مطلوبى سلاه

ولا تنكر شراب حمى قلبى * فان القلب محبوبى سقاه

وقال العارف موضحا لهذه الخمرة

فتلك خمر الشهود تدعى * لا خمرة الكرم والدنان

ومن ذلك المعنى قوله تعالى وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه فنسال الله

(لما رأوا العذاب) اى أخفاها رؤساؤهم عن الضعفاء الذين أضلوهم مخافة التعيير (وقضي بينهم) بين الخلائق (بالقسط) بالعدل (وهم لا يظلمون) شيأ (الا ان لله مافى السموات والارض الا ان وعد الله) بالبعث والجزاء (حق) ثابت (ولكن اكثرهم) اى الناس (لا يعلمون) ذلك (هو يحيي ويميت واليه ترجعون) فى الآخرة فيجازيكم باعمالكم (يا ايها الناس) أى أهل مكة (قد جاءتكم موعظة من ربكم) كتاب فيه مالكم وعليكم وهو القرآن (وشفاء) دواء لما فى الصدور) من العقائد الفاسدة والشكوك (وهدى) من) الضلال (ورحمة للمؤمنين) به (قل بفضل الله) الاسلام (وبرحمته) القرآن (فبذلك) الفضل والرحمة (فليفرحوا

تعالى

تعالى ان يجعلنا من اهل محبته وان يحشرنا فى زمرة أهل قربه ومودته (قوله هو خير مما يجمعون) اى من الدنيا وزخارفها وابهمها اشارة الى انها خسيسة لا تساوى بجناح بعوضة (قوله بالياء والتاء) راجع لقوله يجمعون واما فليفرحوا فالتاء عشرية والياء سبعية (قوله قل ارأيتم) اشار المفسر الى ان ارأيتم بمعنى اخبرونى وحينئذ فتنصب مفعولين الاول الموصول وصلته والثانى جملة آلله اذن لكم وقل تاكيد للاولى وليست من جملة المفعول الثانى (قوله كالبحيرة والسائبة) مثالان للحرام وتقدم ان البحائر والسوائب نعم يوقفونها على الاصنام يحرمون ظهورها ونتاجها والبانها ولحومها وقوله والميتة مثال للحلال (قوله لا) اشار بذلك الى ان الاستفهام انكارى بمعنى النفى (قوله أم بل) اشار المفسر الى انها منقطعة بمعنى بل ويصح ان يكون متصلة معادلة للهمزة والمعنى اخبرونى احصل اذن من الله لكم ام ذلك افتراء منكم وكذب فهو استفهام لطلب التعيين وهو الاولى (قوله وما ظن الذين) ما اسم استفهام مبتدا وظن خبره ويوم ظرف متعلق بظن والمعنى اى شئ ظنهم بالله يوم القيامة (قوله ايحسبون الخ) قدر المفسر هذه الجملة اشارة الى ان مفعولى الظن محذوفان فهذه الجملة سدت مسدهما (قوله لا) اشار بذلك الى ان الاستفهام انكارى اى لا ينبغى هذا الظن ولا يليق ولا ينفع واما قوله فى الحديث أنا عند ظن عبدى بى فذلك فى حق المؤمن فظن الخير بالله ينفع المؤمن واما الكافر فلا ينفعه ذلك مادام على كفره (قوله لذو فضل على الناس) اى الطائع منهم والعاصي وذلك فى الدنيا فنعم الدنيا ليست تابعة للتقوى بل هى ثابتة بالقسمة الازلية للمؤمن والكافر (قوله بامهالهم) اى تاخير عذابهم (قوله والانعام عليهم) اى بانواع النعم كالعقل والسمع والبصر وغير ذلك (قوله لا يشكرون) اى لا يصرفون النعم فى مصارفها وحينئذ فلا تنفعهم تلك النعم الا اذا صحبها الايمان والشكر فان عدموا الايمان صارت النعم نقما وقوله ولكن اكثرهم يفيد ان القليل هو الشاكر وهو كذلك قال تعالى وقليل من عبادى الشكور (قوله وما تتلوا منه) الضمير اما عائد على الشان او على الله كما قال المفسر فعلى الاول تكون من للتعليل وعلى الثانى تكون ابتدائية وقوله من قرآن من صلة والمعنى وما تتلو من اجل هذا الشان قرآنا او وما تتلوا قرآنا مبتدأ وصادرا من الله (قوله الا كنا عليكم شهودا) استثناء من اعم الاحوال والمعنى ما تتلبسون بشئ من هذه الثلاثة فى حال من الاحوال الا فى حال كوننا رقباء مطلعين عليه حافظين له اذا علمت ذلك فكان المناسب للمفسر ان يعيد الضمير فى فيه لكل من الثلاثة وقد يجاب بانه اعاده على العمل لعمومه وشموله لباقى الثلاثة (قوله اذ تفيضون) ظرف لقوله شهودا (قوله وما يعزب) بضم الزاى وكسرها قراءتان سبعيتان (قوله عن ربك) اى عن علمه (قوله اصغر نملة) وقيل هو الهباء وقيل اصغر بعوضة (قوله فى الارض ولا فى السماء) اى فى سائر الموجودات وعبر عنه بالسماء والارض لمشاهدة الخلق لهما واعلم ان عالم الملك ما يشاهده الخلق كالارض وما حوته وما ظهر من السماء وعالم الملكوت ما لا يشاهد كما فوق السماء من العرش والكرسى والملائكة وغير ذلك وعالم الجبروت هو عالم الاسرار وعالم العزة هو ما استاثر الله بعلمه كعلم ذاته وصفاته ومراداته (قوله ولا اصغر من ذلك ولا اكبر) بالرفع والنصب قراءتان سبعيتان فالرفع اما على الابتداء والخبر او على ان لا عاملة عمل ليس والخبر على كلا الاعرابين قوله الا فى كتاب مبين فتكون الجملة مستانفة منقطعة عما قبلها والنصب على انها عاملة عمل ان لان اصغر واكبر شبيهان بالمضاف تعلق بهما شئ من تمام معناهما وهو العمل فى الجار والمجرور وها تان القراءتان هنا فقط واما فى سبا فبالرفع باتفاق السبعة (قوله الا فى كتاب مبين) الاستثناء منقطع والمعنى لكن جميع الاشياء فى كتاب مبين فهو استدراك على ما يتوهم نفيه لان قوله لا يعزب عن ربك الخ ربما يتوهم منه انه لم يحط بها غير علم الله فدفع ذلك بقوله الا فى كتاب مبين

هو خير مما يجمعون) من الدنيا بالياء والتاء (قل أرأيتم) اخبرونى (ما انزل الله) خلق (لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا) كالبحيرة والسائبة والميتة (قل آلله اذن لكم) فى ذلك التحريم والتحليل لا (ام) بل (على الله تفترون) تكذبون بنسبة ذلك اليه (وما ظن الذين يفترون على الله الكذب) اى اى شئ ظنهم به (يوم القيامة) ايحسبون انه لا يعاقبهم لا (ان الله لذو فضل على الناس) بامهالهم والانعام عليهم (ولكن اكثرهم لا يشكرون وما تكون) يا محمد (فى شان) امر (وما تتلوا منه) اى من الشان او الله (من قرآن) انزله عليك (ولا تعملون) خاطبه وامته (من عمل الا كنا عليكم شهودا) رقباء (اذ تفيضون) تاخذون (فيه) اى العمل (وما يعزب) يغيب (عن ربك من مثقال) وزن (ذرة) اصغر نملة (فى الارض ولا فى السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين) بين هو اللوح المحفوظ

اى لكن جميع الاشياء مثبتة فى كتاب مبين ايضا ولا يصح ان يكون متصلا لانه يصير المعنى لا يغيب عن علمه شيء فى حال من الاحوال الا فى حال كونه مثبتا فى كتاب مبين فيغيب فيفيد ان ما فى الكتاب غائب عن علم الله وذلك باطل وهذا الاشكال لا يرد الا على جعل قوله ولا اصغر ولا اكبر معطوفا على مثقال واما ان جعل مستأنفا كما تقرر فلا يرد الاشكال فتامل (قوله الا) اداة تنبيه يؤتى بها ليتنبه السامع لما بعدها ويعتنى به لعظمه (قوله اولياء الله) جمع ولى من الولاء وهو العز والنصر سموا بذلك لانهم هم المنصورون بالله المعززون به لا يطمعون فى شيء سوى القرب منه وولى فعيل اما بمعنى فاعل او متولى خدمة ربه بكل ما امكنه بروحه وجسمه ودنياه او بمعنى مفعول اى تولى الله اكرامه وعطاياه ونفحاته فلم يكله لشيء سواه فحيث تولى الخدمة تولاه الله بالنعمة والنفحة وهو سر قوله فى الحديث يا دنيا من خدمنى فاخدميه فحينئذ صار معنى الولى المنهمك فى طاعة ربه الذى افيضت عليه الانوار والاسرار لما ورد من تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا ومن اتانى يمشى اتيته هرولة وعلامة الولى كما فى الحديث سئل رسول الله عن علامة الاولياء فقال هم الذين اذا رؤا ذكر الله تعالى وسبب ذلك ظهور انوار المعرفة الكائنة فى قلوبهم على ظواهرهم وذلك سر قوله تعالى سيماهم فى وجوههم من اثر السجود وقال ابو بكر الاصم اولياء الله هم الذين تولى الله هدايتهم وتولوا القيام بحق العبودية لله تعالى والدعوة اليه والولى من الولاء وهو القرب والنصرة فولى الله هو الذى يتقرب الى الله بكل ما افترض الله عليه ويكون مشتغلا بالله مستغرق القلب فى نور معرفة جلال الله تعالى فان راى راى دلائل قدرة الله وان سمع سمع آيات الله وان نطق نطق بالثناء على الله وان تحرك تحرك فى طاعة الله وان اجتهد اجتهد فيما يقرب به الى الله لا يفتر عن ذكر الله ولا يرى بقلبه غير الله فهذه صفات اولياء الله واذا كان العبد كذلك كان الله وليه وناصره ومعينه قال تعالى الله ولى الذين آمنوا وروى عن ابن مالك الاشعرى قال كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان لله عبادا ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء بقربهم ومقعدهم من الله يوم القيامة قال وفى ناحية القوم اعرابى فجثى على ركبتيه ورمى بيديه ثم قال حدثنا يا رسول الله عنهم من هم قال فرأيت فى وجه رسول الله البشرى فقال هم عباد من عباد الله ومن بلدان شتى لم يكن بينهم ارحام يتواصلون بها ولا دنيا يتباذلون بها يتحابون بروح الله يجعل الله وجوههم نورا ويجعل لهم منابر من لؤلؤ قدام الرحمن يفزع الناس ولا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون وروى عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله اناسا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله قالوا يا رسول الله تخبرنا بامرهم قال هم قوم تحابوا بروح الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى نور لا يخافون اذا خاف النـاس ولا يحزنون اذا حزن الناس وقرأ هذه الآية الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحـزنون وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعـالى ان اوليـائى من عبادى الذين يذكرون بذكرى واذكر بذكرهم (قوله لا خوف عليـهم ولا هم يحزنون) لحفـظ الله لهم فى الدنيا من الاسباب التى توجب الخوف والحزن فى الآخرة (قوله فى الآخرة) اى لما فى الحديث لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس (قوله الذين آمنوا) قدر المفسر هم اشارة الى ان الاسم الموصول خبر لمبتدا محذوف وهذه الجملة مستأنفة واقعة فى جواب سؤال مقـدر تقديره ما صفات اولـياء الله فاجاب بانهم الذين اتصـفوا بالايمان والتقوى والمعنى ان اولياء الله هم الذين اتصفوا بالايمان وهو الاعتقاد الصحيح المبنى على الدلائل القطعية والتقوى وهى امتثال المامورات واجتناب المنهيات على طبق الشرع ولذا قال القشيرى شرط الولى ان يكون محفوظا كما ان من شرط النبى ان يكون معصـوما

(الا ان اوليـاء الله لا خوف عليـهم ولا هم يحزنون) فى الآخرة هم (الذين آمنوا وكانوا يتقون) الله بامتثال امره ونهيه (لهـم البشرى فى الحياة الدنيا)

فكل من كان للشرع عليه اعتراض فهو مغرور مخادع وقال الامام الشافعي وأبو حنيفة اذا لم تكن العلماء أولياء الله فليس لله ولى وذلك فى العالم العامل بعلمه (قوله فسرت فى حديث صححه الحاكم بالرؤ يا الصالحة الخ) اى لانه لم يبق من النبوة الا المبشرات وهى الرؤ يا الصالحة وفى الحديث الرؤ يا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة وقيل المراد بالبشرى فى الحياة الدنيا نزول الملائكة بالبشارة من عند الله عند الموت ويدل عليه قوله تعالى تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون وقيل البشرى فى الحياة الدنيا الثناء الحسن ومحبة الخلق لهم لما ورد عن أبى ذر قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه قال عاجل بشرى المؤمن وورد أيضا اذا أحب الله عبدا نادى جبريل فيقول له انى أحب فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادى فى السماء ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول فى الارض قال بعض المحققين اذا اشتغل العبد بالله عزوجل استنار قلبه وامتلأ نورا فيفيض من ذلك النور الذى فى قلبه على وجهه فيظهر عليه آثار الخشوع والخضوع فيحبه الناس ويثنون عليه فتلك عاجل بشراه بمحبة الله ورضوانه عليه وقيل البشرى فى الحياة الدنيا ظهور الكرامات وقضاء الحوائج بسهولة فكلما توجه العبد المحبوب لشئ من أموره قضي عاجلا والاحسن ان يراد بالبشرى فى الدنيا جميع ما تقدم وأعظمها التوفيق لخدمة الله وراحة الجسد فى طاعة الله وانشراح الصدر لذلك واما البشرى فى الآخرة فالجنة وما فيها من النعيم الدائم قال تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبايمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم (قوله لا خلف لمواعيده) اى التى وعد الله بها أولياءه وأهل طاعته فى كتابه وعلى ألسنة رسله والمعنى لا تغيير لذلك الوعد (قوله ذلك) اى الوعد المتقدم من كونهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ولهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة وكون هذا الوعد لا يتغير ولا يتبدل (قوله هو الفوز العظيم) اى الظفر بالمقصود الكامل الذى لا يضاهى (قوله ولا يحزنك) اما بفتح الياء وضم الزاى من باب نصر او بضم الياء وكسر الزاى من باب أكرم قراءتان سبعيتان والمعنى لا تهتم باقوالهم ولا تحزن لها فان الله معزك وناصرك وهذا تسلية له صلى الله عليه وسلم عما يلقاه من اذاهم وتبشير له بالنصر والظفر بالمقصود (قوله استئناف) اشار بذلك الى ان الوقف تم عند قوله قولهم وقوله ان العزة الخ كلام مستانف من كلام الله تعالى فى قوة التعليل لقوله ولا يحزنك قولهم اوواقع فى جواب سؤال مقدر تقديره ان الله أمره بعدم الحزن من أجل قولهم مع ان اقوالهم توجب الحزن فاجاب الله تعالى بان العزة لله يعطيها لمن يشاء فاقوالهم لا تفيد شيا فحينئذ لا يبالى بهم ولا بقولهم (قوله ان العزة لله) اى الغلبة والسلطنة الكاملة ثابتة لله يخلعها على من يشاء ولذا قال فى سورة المنافقون ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين (قوله جميعا) حال من العزة (قوله فيجازيهم) اى على ما قدموا من خير وشر (قوله وينصرك) اى على من عاداك وهذا يقال لكل من سلك طريقة سيد المرسلين وعمل بمقتضاها وتعرض له الحساد بالايذاء فيقال له لا يحزنك قولهم وعيبهم وحسدهم لان العزة مملوكة وثابتة لله يعطيها لمن اراد فلا تنزعج منهم ولا تلتفت لهم (قوله ألا) أداة تنبيه (قوله من فى السموات ومن فى الارض) من واقعة على العاقل فالمراد بمن فى السموات الملائكة وبمن فى الارض الانس والجن وخصهم بالذكر لشرفهم ولعلم ان غيرهم من باقى المخلوقات مملوكون لله بالطريق الاولى وهذا هو الحكمة فى تعبيره فى الآية الاولى بما وفى هذه الآية بمن او يقال فى الحكمة ان التغاير اشارة الى ان الخلق جميعا فى قبضته ومملوكون له سبحانه وتعالى فان ما مستعملة فى غير العاقل كثيرا ومن بالعكس فافاد ان جميع ما فى السموات وما فى الارض مملوكون له حقيقة (قوله وما يتبع الذين) ما نافية ويتبع فعل مضارع والذين فاعل ويدعون صلته ومن دون

فسرت فى حديث صححه الحاكم بالرؤ يا الصالحة يراها الرجل اوترى له (وفى الآخرة) بالجنة والثواب (لا تبديل لكلمات الله) لا خلف لمواعيده (ذلك) المذكور (هو الفوز العظيم ولا يحزنك قولهم) لك لست مرسلا وغيره (ان) استئناف (العزة) القوة (لله جميعا هو السميع) للقول (العليم) بالفعل فيجازيهم وينصرك (ألا ان لله من فى السموات ومن فى الارض) عبيدا وملكا وخلقا (وما يتبع الذين يدعون) يعبدون (من دون الله) اى غيره أصناما (شركاء) له على الحقيقة تعالى عن ذلك

الله متعلق بيدعون وشركاء مفعول يتبع ومفعول يدعون محذوف قدره المفسر بقوله أصناما والمعنى لا يتبع الذين يعبدون غير الله أصناما شركاء حقيقة فالمنفى كونها شركاء حقيقة واما ادعاؤهم الشركة لله فثابت وهذا نتيجة قوله الا ان لله من فى السموات ومن فى الارض فيصير المعنى حيث ثبت ان له جميع مافى السموات ومافى الارض عقلاء وغيرهم تحقق وثبت انه ليس له شريك أصلا اذ ليس شيء مما جعلوه الها خارجا عن السموات والارض فكيف يكون المملوك شريكا تعالى الله عن ذلك (قوله ان يتبعون الا الظن) أى لانهم مقلدون لآبائهم حيث قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون (قوله وان هم الا يخرصون) هذا من حصر الموصوف فى الصفة اى ليس لهم صفة الا الكذب والخرص فى الاصل الحزر والتخمين والمراد منه هنا الكذب كما افاده المفسر (قوله يكذبون فى ذلك) اى اتباعهم الظن (قوله هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) هذا من جملة الادلة القطعية على انه واحد لا شريك له وفى هذه الآية احتباك حيث حذف من كل نظير ما أثبته فى الآخر فحذف من الاول وصف الليل وهو مظلما وذكر حكمته وحذف من الثانى الحكمة وذكر وصفه والاصل هو الذى جعل لكم الليل مظلما لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتبتغوا وتتحركوا فيه (قوله لتسكنوا فيه) أى لتستريحوا من تعب النهار (قوله مجاز) اى عقلى من الاسناد للظرف (قوله ان فى ذلك) اى الجعل المذكور (قوله لقوم يسمعون) خصهم بالذكر لانهم المنتفعون بذلك (قوله أى اليهود) اى حيث قالوا عزير ابن الله وقوله والنصارى أى حيث قالوا المسيح ابن الله وقوله ومن زعم اى وهم مشركو العرب (قوله سبحانه) أى تقدس وتنزه عن ذلك قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا الآية (قوله هو الغنى) اى المستغنى عن كل ما سواه المفتقر اليه كل ما عداه وهو دليل لما قبله (قوله له ما فى السموات الخ) دليل لقوله هو الغنى (قوله استفهام توبيخ) اى تقريع وتهديد لهم (قوله قل) امر من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ان ينبههم على سوء عاقبتهم لعلهم ينزجرون عما هم عليه (قوله لا يسعدون) أى لا يفوزون بمطلوبهم بل هم خائبون خاسرون وان تكاثرت عليهم النعم فمآلها للزوال (قوله متاع) مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله لهم وحينئذ فالوقف على قوله لا يفلحون وهذا جواب عما يقال انا نراهم فى حظوظ كثيرة وسعة عيش وسلامة بدن وغير ذلك من أنواع النعم الدنيوية فدفع ذلك بقوله متاع قليل اى فلا يستمر وليس بنافع فى الآخرة (قوله بما كانوا يكفرون) اى بسبب كفرهم (قوله واتل عليهم) لما ذكر سبحانه وتعالى احوال كفار قريش وما كانوا عليه من القبائح وما وعظهم الله به على لسانه صلى الله عليه وسلم شرع فى ذكر ما وقع للانبياء مع أممهم ليكون ذلك تسلية له صلى الله عليه وسلم وعبرة للكفار لعلهم يؤمنون (قوله نبأ نوح) اى بعض نبئه اذ لم يذكر جميع خبره وتقدم ان اسمه عبد الغفار بن لمك بن متوشلخ بن ادريس ونوح لقبه وبينه وبين ادريس الف سنة وقدم قصة قوم نوح لانهم اول الامم هلاكا واشدهم كفرا (قوله كبر) بضم الباء فى المعانى وأما فى الاجسام فهو بكسر الباء (قوله مقامى) بفتح الميم باتفاق السبعة وقرئ شذوذا بضمها فالاول ثلاثى والثانى رباعى وهو من باب الاسناد المجازى وحق الاسناد ان يكون للذات نظير ثقل على ظله (قوله لبثى فيكم) اى مكثى بينكم وقوله وتذكيرى الخ الواو بمعنى مع والمعنى ان كان عظم عليكم مكثى بينكم مع تذكيرى بآيات الله فاجمعوا امركم الخ وذلك لانه مكث فيهم الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى توحيد الله ففى الحقيقة الذى شق عليهم انما هو دعاؤه الى التوحيد ونصيحته لهم لان النصيحة لا يقبلها الا الطبع السليم (قوله فعلى الله توكلت) اى وثقت به لا بغيره وفوضت امورى اليه (قوله فاجمعوا) هذا هو جواب الشرط وجملة فعلى الله توكلت اعتراض بين الشرط وجوابه ولا يصح ان تكون جوابا لانه لا يحسن ترتبها على الشرط

(ان) ما (يتبعون) فى ذلك (الا الظن) اى ظنهم انها آلهة تشفع لهم (وان) ما (هم الا يخرصون) يكذبون فى ذلك (هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) اسناد الابصار اليه مجاز لانه يبصر فيه (ان فى ذلك لآيات) دلالات على وحدانيته تعالى (لقوم يسمعون) سماع تدبر واتعاظ (قالوا) أى اليهود والنصارى ومن زعم ان الملائكة بنات الله (اتخذ الله ولدا) قال تعالى لهم (سبحانه) تنزيها له عن الولد (هو الغنى) عن كل أحد وانما يطلب الولد من يحتاج اليه (له ما فى السموات وما فى الارض) ملكا وخلقا وعبيدا (ان) ما (عندكم من سلطان) حجة (بهذا) الذى تقولونه (أتقولون على الله ما لا تعلمون) استفهام توبيخ (قل ان الذين يفترون على الله الكذب) بنسبة الولد اليه (لا يفلحون) لا يسعدون لهم (متاع) قليل (فى الدنيا) يتمتعون به مدة حياتهم (ثم الينا مرجعهم) بالموت (ثم نذيقهم العذاب الشديد) بعد الموت (بما كانوا يكفرون واتل) يا محمد (عليهم) اى كفار مكة (نبأ) خبر (نوح) ويبدل منه (اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر) شق (عليكم مقامى) لبثى (فيكم) (وتذكيرى) وعظى اياكم (بآيات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم) اذ

اعزموا على امر تفعلونه بي (وشركاءكم) الواو بمعنى مع (ثم لا يكن امركم عليكم غمة) مستورا بل اظهروه وجاهروني به (ثم اقضوا الي) امضوا في ما اردتموه (ولا تنظرون) تمهلون فاني لست مباليا بكم (فان توليتم) عن تذكيري (فما سألتكم من اجر) ثواب عليه فتولوا (ان) ما (اجري) ثوابي (الا على الله وامرت ان أكون من المسلمين فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك) السفينة (وجعلناهم) اي من معه (خلائف) في الارض (واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) بالطوفان (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) من اهلاكهم فكذلك نفعل بمن كذبك (ثم بعثنا من بعده) أي نوح (رسلا الى قومهم) كابراهيم وهود وصالح (فجاؤهم بالبينات) المعجزات (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل) أي قبل بعث الرسل اليهم (كذلك نطبع) نختم (على قلوب المعتدين) فلا تقبل الايمان كما طبعنا على قلوب اولئك (ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون الى فرعون وملئه) قومه (بآياتنا) التسع (فاستكبروا) عن الايمان بها (وكانوا قوما مجرمين فلما جاءهم الحق من عندنا

اذ هو متوكل على الله دائما واجمعوا بهمزة القطع هنا باتفاق السبعة وهو يتعدى بنفسه وبحرف الجر وأما ما يأتي في طه في قوله فاجمعوا كيدكم فبهمزة الوصل والقطع قراءتان سبعيتان فاجمع بهمزة القطع مستعمل في المعاني كثيرا وبهمزة الوصل في الاجسام كثيرا يقال اجمعت أمري وجمعت جيشي (قوله اعزموا) اي صمموا ولا ترددوا (قوله على امر تفعلونه) أي كهلاكي (الواو بمعنى مع) أي فشركاءكم منصوب على المعية لا معطوف على امركم لان الشركاء ذوات لا يتسلط عليه اجمعوا الا بقلة ويصح النصب باضمار فعل لائق والتقدير فاجمعوا امركم واجمعوا شركاءكم بهمزة الوصل على حد علفتها تبنا وماء باردا او يقدر مضاف في المعطوف والتقدير أمر شركائكم (قوله ثم لا يكن أمركم عليكم غمة) اي لا يكن أمركم مخفيا بل اظهروا ما في ضمائركم فاني لست مباليا بكم لان توكلي على ربي فالغمة ماخوذة من قولهم غم الهلال اذا خفي على الناس (قوله ثم اقضوا الي) اي ادوا الي ما اردتموه وأوصلوه لي وقرئ شذوذا ثم افضوا الي بقطع الهمزة وبالفاء من افضى بالشيء اذا انتهى اليه واسرع والمعنى ثم اسرعوا الي بما عزمتم عليه (قوله فان توليتم) اي دمتم على التولي والكفر وجواب الشرط محذوف تقديره فلا ضرر علي وقوله فما سألتكم الخ تعليل لذلك المحذوف (قوله ثواب عليه) اي على التذكير (قوله فتولوا) منصوب بان مضمرة بعد فاء السببية وفيه حذف احدى التاءين والاصل فتتولوا (قوله ان اجري الا على الله) اي ثوابي عليه لا على غيره فاطلبه منه (قوله وأمرت ان أكون من المسلمين) اي المنقادين لامتثال اوامره واجتناب نواهيه في نفسي وتبليغ غيري (قوله فكذبوه) اي داموا واستمروا على تكذيبه (قوله فنجيناه) أي أعقبنا تكذيبه النجاة له ولمن آمن معه (قوله ومن معه) اي من الانس وكانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة (قوله في الفلك) تقدم انه يستعمل مفردا وجمعا (قوله وجعلناهم) أي صيرناهم (قوله وأغرقنا) انما أخر ذكره عن الانجاء اشارة الى ان الرحمة سابقة عن الغضب ولتعجيل المسرة لمن يمتثل الامر (قوله فكذلك نفعل بمن كذبك) هذا هو المقصود من ذكر هذه القصص (قوله رسلا الى قومهم) اي فكل رسول بعث الى قومه (قوله كابراهيم) اي فكذبوه وآذوه حتى رموه في النار (قوله وهود) اي فكذبوه وآذوه فاهلكهم الله (قوله فجاؤهم) اي جاء الانبياء لاقوامهم ملتبسين بالآيات (قوله فما كانوا ليؤمنوا) اي لا يصح ولا يستقيم لهؤلاء الايمان فالمراد بعدم الايمان الاصرار على الكفر والتكذيب (قوله كذلك) اي مثل هذا الطبع (قوله فلا تقبل الايمان) اي لوجود الحجاب المانع منه فنفي الحقيقة لا يمكنهم الايمان وان كانوا في الظاهر مختارين (قوله ثم بعثنا من بعدهم) هذا عطف قصة على قصة وخاص على عام لمزيد الغرابة في وقائع موسى مع فرعون وكل هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله موسى وهرون) أي فكل منهما رسول الى فرعون وقومه لكن هرون وزير لموسى ومعين له قال تعالى حكاية عن موسى واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردأ يصدقني الآية وهذا لا ينافي ان كلا منهما رسول من عند الله فمن انكر رسالة واحد منهما كفر (قوله وملئه) تقدم ان الملأ بالقصر والهمز الاشراف الذين يملؤن العيون بهابتهم والمجالس باجسامهم والقلوب بجلالتهم ولكن المفسر فسرهم هنا بالقوم فحينئذ يكون المراد بهم ما يشمل الاتباع وقيل المراد بالملأ خصوص الاشراف وخصوا بالذكر لان غيرهم تبع لهم فاذا آمن الرؤساء آمن الاتباع واذا كفروا كفر الاتباع (قوله التسع) تقدم منها في الاعراف ثمانية العصا واليد والسنين والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وستأتي التاسعة هنا في قوله ربنا اطمس على اموالهم الآية (قوله فاستكبروا) الاستكبار ادعاء الكبر من غير استحقاق له (قوله عن الايمان بها) اي بتلك الآيات التسع وفي نسخة بهما اي موسى وهرون (قوله فلما جاءهم الحق)

افلح من اتى به وابطل
سحر السحرة (ولا يفلح
الساحرون) والاستفهام
في الموضعين للانكار (قالوا
اجئتنا لتلفتنا) لتردنا (عما
وجدنا عليه آباءنا وتكون
لكما الكبرياء) الملك (في
الارض) ارض مصر (وما
نحن لكما بمؤمنين) مصدقين
(وقال فرعون ائتوني بكل
ساحر عليم) فائق في علم
السحر (فلما جاء السحرة
قال لهم موسى) بعدما قالوا
له اما ان تلقي واما ان نكون
نحن الملقين (ألقوا ما انتم
ملقون فلما ألقوا) حبالهم
وعصيهم (قال موسى ما)
استفهامية مبتدأ خبره
(جئتم به السحر) بدل وفي
قراءة بهمزة واحدة اخبار
فما موصول مبتدا (ان الله
سيبطله) اى سيمحقه (ان
الله لا يصلح عمل المفسدين
ويحق) يثبت ويظهر (الله
الحق بكلماته) بمواعيده
(ولو كره المجرمون فما آمن
لموسى الا ذرية) طائفة
(من) اولاد (قومه) اى
فرعون (على خوف من
فرعون وملئهم ان يفتنهم)
يصرفهم عن دينه بتعذيبه
(وان فرعون لعال) متكبر
(في الارض) ارض مصر
(وانه لمن المسرفين)
المتجاوزين الحد بادعاء الربوبية (وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا

اى الآيات التسع ففيه اظهار في مقام الاضمار وفي الحقيقة أصل نزاعهم ودعواهم ان ماجاء به سحرا انما
هو في اليد والعصا (قوله ان هذا لسحر مبين) هذه المقابلة وقعت منهم بعد مجيء السحرة وابتلاع العصا
حبال السحرة وعصيهم (قوله قال موسى) أى ردا عليهم بثلاث جمل الاولى أتقولون للحق لما جاءكم
انه لسحر الثانية اسحر هذا الثالثة ولا يفلح الساحرون (قوله انه لسحر) مقول لقوله اتقولون حذف
لدلالة ماقبله عليه ولانه لا ينبغي ان يذكر (قوله وقد أفلح من أتى به) الجملة حالية (قوله ولا يفلح
الساحرون) اى لا يفوزون بمطلوبهم والجملة حالية من فاعل اتقولون (قوله للانكار) اى فالمعنى لا يليق
ولا ينبغي ان يقال هذا الكلام (قوله قالوا أجئتنا) لما لم يجدوا حجة يعارضونه بها رجعوا للتقليد المحض
فقالوا ماذكر (قوله عما وجدنا عليه آباءنا) اى من عبادة الاصنام (قوله وتكون) معطوف على تلفتنا اى
ولتكون (قوله الملك) اى وسمي بالكبرياء لانه اكبر مايطلب من امور الدنيا ولانه يورث الكبرياء والعز
(قوله وقال فرعون) ليس هذا مرتبا على ماتقدم فان هذا القول وقع في ابتداء القصة فالمقصود هنا بيان
ذكر القصة لا بقيد ترتبها فان الواو لا تقتضي ترتيبا ولا تعقيبا (قوله فلما جاء السحرة) عطف على محذوف
تقديره فاتوا بالسحرة (قوله بعد ماقالوا له الخ) اشار بذلك الى انه معطوف على محذوف واصل الكلام
فلما جاء السحرة وجمعوا حبالهم وعصيهم وقالوا لموسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين قال موسى الخ
(قوله ما انتم ملقون) ابهمه اشارة الى تحقيره (قوله فلما ألقوا) اى السحرة وتقدم انهم كانوا ثمانين الفا
(قوله حبالهم وعصيهم) اى وتقدم انها كانت حمل ثلثمائة بعير (قوله استفهامية) اى أى شيء جئتم به وهو
للتوبيخ والتحقير (قوله بدل) أى من ما الاستفهامية واعيدت همزة الاستفهام لتكشف استفهام
المبدل منه على حد قول ابن مالك

وبدل المضمن الهمز يلي * همزا كمن ذا أسعيد ام علي

(قوله بهمزة واحدة اخبار) اى باسقاط همزة الاستفهام ووجهت هذه القراءة بان ما اسم موصول مبتدأ
وصلتها جئتم به والخبر السحر والحاصل ان في همزة السحر الثانية وجهين التسهيل والمد اللازم بقدر
ثلاث الفات وهاتان القراءتان على جعل ما استفهامية وخبرها جئتم به والسحر بدل من ما واما على
اسقاطها فالجملة خبرية وما اسم موصول مبتدأ وجئتم به صلته والسحر خبر وتحذف همزة أل عند الدرج
(قوله سيمحقه) اى فلا يبقى له اثرا اصلا (قوله ان الله الخ) تعليل لقوله سيبطله (قوله ويحق الله الحق)
عطف على قوله سيبطله (قوله ولو كره المجرمون) اى الكافرون (قوله فما آمن لموسى الا ذرية) الذرية
اسم يقع على القليل من القوم (قوله اى فرعون) اشار بذلك الى ان الضمير في قومه عائد على فرعون
والمراد بذرية قومه ناس يسير منهم امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون وخازنه واولاد خازنه
وماشطته وقيل ان الضمير عائد على موسى وهم ناس من بني اسرائيل نجوا من قتل فرعون وذلك
ان فرعون لما امر بقتل بني اسرائيل كانت المرأة من بني اسرائيل اذا ولدت ابنا وهبته لقبطية
خوفا عليه من القتل فنشؤا بين القبط فلما كان اليوم الذي غلب موسى فيه السحرة آمنوا به وقيل
هم بنو اسرائيل وهو الاقرب (قوله على خوف) اى مع خوف (قوله وملئهم) اى ملا الذرية الذين
نشؤا بينهم على التفسير الثاني واقاربهم حقيقة على التفسير الاول الذي ذكره المفسر (قوله ان
يفتنهم) اى فرعون وافرد لانه هو المباشر للفتنة والخوف من الملا كان بواسطته هو (قوله وقال
موسى) اى تطمينا لقلوبهم وهذا يؤيد ان الضمير في قومه عائد على موسى وقد يجاب عن المفسر بانه سماهم
قومه من حيث انه مرسل لهم (قوله ان كنتم آمنتم) جوابه فعليه توكلوا وقوله ان كنتم مسلمين شرط حذف

جوابه لدلالة ماقبله عليه والتقدير توكلتم عليه أوهو شرط فى الشرط لان الشرطين متى لم يترتبا فى الوجود فالشرط الثانى شرط فى الاول (قوله ان كنتم مسلمين) أى منقادين لاحكام الله (قوله فقالوا) أى جوابا لموسي (قوله ربنا لا تجعلنا الخ) دعاء منهم لله سبحانه وتعالى (قوله أى لا تظهرهم علينا) أى لا تجعلهم ظاهرين علينا وغالبين لنا (قوله ونجنا) أى خلصنا (قوله برحمتك) أى احسانك وانعامك (قوله من القوم الكافرين) أى الجاحدين لآياتك (قوله ان تبوآ) يحتمل أن أن تفسيرية لوجود ضابطها وهو أن يتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه ويحتمل انها مصدرية أى أوحينا التبوأ والمعنى ان الله سبحانه وتعالى أوحى الى موسى وأخيه أن يتخذا لقومهما مساكن بارض مصر يتوطنون بها ويعبدون الله فيها رغما على أنف عدوهم فرعون وهذا طمانينة للقوم فانهم كانوا خائفين من فرعون (قوله لقومكما) الاقرب ان اللام زائدة فى المفعول الاول وبيوتا مفعول ثان (قوله بمصر) متعلق بتبوآ والمراد بمصر مصر القديمة (قوله واجعلوا بيوتكم قبلة) أى اجعلوا مساكنكم مصلى والمراد بالقبلة مكان التوجه لله لا خصوص الجهة المعلومة واختلف فى قبلتهم قبل هى الكعبة وقيل بيت المقدس (قوله وكان فرعون منعهم من الصلاة) أى فى أول أمرهم فامر الله موسي ومن معه ان يصلوا فى بيوتهم خفية لئلا يظهروا عليهم ويؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم وذلك كما كان عليه المسلمون فى اول الاسلام بمكة (قوله اتموها) اى بشروطها واركانها المعلومة عندهم (قوله وبشر المؤمنين) اى قومك الذين آمنوا بك وهذا خطاب لموسى وحده لان البشارة على لسانه وماقبله من قوله واجعلوا واقيموا خطاب لموسى وقومه لاشتراكهم فى ذلك (قوله وقال موسي) اى لما راى فرعون وقومه طغوا وبغوا ولم ينقادوا للاسلام واستمروا على الكفر والعناد جاءه الاذن من الله بالدعاء عليهم وقدم سبب الدعاء وهو بطر النعم اذ هو من اعظم المعاصي الموجبة لغضب الله وسلب النعم (قوله زينة) هى عبارة عما يتزين به من اللباس والمال والامور الجميلة قال ابن عباس كان من فسطاط مصر الى ارض الحبشة جبال فيها ذهب وفضة وزبرجد وياقوت (قوله ربنا) كرره تاكيدا للاول وتلذذا بخطاب الله (قوله ليضلوا) متعلق بآتيت فى كلام الله واما قول المفسر آتيتهم ذلك انما هو تتميم للجملة المؤكدة واللام للعاقبة والصيرورة والى هذا اشار المفسر بقوله فى عاقبته (قوله عن سبيلك) اى طاعتك وتوحيدك (قوله ربنا اطمس على اموالهم) اى ازل صورها وهيآتها قال قتادة بلغنا ان اموالهم وحروثهم وزروعهم وجواهرهم صارت حجارة ودنانيرهم ودراهمهم صارت حجارة منقوشة كهيئتها صحاحا اوانصافا اواثلاثا وهذا الطمس آخر الآيات التسع (قوله واشدد على قلوبهم) اى اربط عليها حتى لا تلين ولا تنشرح للايمان وانما دعا بذلك لما علم ان سابق قضاء الله وقدره فيهم انهم لا يؤمنون فوافق دعاء موسي ماقدر وقضي عليهم فكان ترجمانا عن مراد الله واما الدعاء على الكافر المجهول العاقبة بموته على الكفر فلا يحل (قوله فلا يؤمنوا) عطف على ليضلوا فيكون منصوبا اوهو مجزوم بجعل لا دعائية (قوله دعاء عليهم) الاقرب انه خبر مبتدا محذوف تقديره هذا دعاء عليهم اى قوله فلا يؤمنوا الخ ودفع بذلك ماقيل انه خبر وليس من جملة الدعاء فتامل (قوله وامن هرون على دعائه) اى والمؤمن احد الداعيين فصحت التثنية فى قوله دعوتكما وهو جواب عما يقال ان الداعى موسى فلم ثنى الضمير فى دعوتكما (قوله فمسخت اموالهم) اى الدنانير والدراهم والنخيل والزروع والثمار والخبز والبيض وغير ذلك وقيل مسخت صورهم ايضا فكان الرجل مع اهله فصارا حجرين والمراة قائمة تخبز صارت حجرا وهذا قول ضعيف لان موسى دعا على اموالهم ولم يدع على انفسهم بالمسخ (قوله فاستقيما) اى دوما على الاستقامة (قوله ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) خطاب لموسي وهرون والمراد غيرهما على حد لئن اشركت ليحبطن عملك والمعنى لا تسلكا طريق الجاهلين الذين يظنون انه متى دعا

ان كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين) اى لا تظهرهم علينا فيظنوا انهم على الحق فيفتتنوا بنا (ونجنا برحمتك من القوم الكافرين واوحينا الى موسي واخيه ان تبوآ) اتخذا (لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة) مصلى تصلون فيه لتامنوا من الخوف وكان فرعون منعهم من الصلاة (واقيموا الصلوة) اتموها (وبشر المؤمنين) بالنصر والجنة (وقال موسي ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة واموالا فى الحياة الدنيا ربنا) آتيتهم ذلك (ليضلوا) فى عاقبته (عن سبيلك) دينك (ربنا اطمس على اموالهم) امسخها (واشدد على قلوبهم) اطبع عليها واستوثق (فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) المؤلم دعاء عليهم وامن هرون على دعائه (قال) تعالى (قد اجيبت دعوتكما) فمسخت اموالهم حجارة ولم يؤمن فرعون حتى ادركه الغرق (فاستقيما) على الرسالة والدعوة الى ان ياتيهم العذاب (ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) فى استعجال قضائي

الانسان اجيب بعين مطلوبه في الحال لان الاجابة على مراد الله فربما يجاب الشخص بغير مطلوبه
او تتاخر اجابته لحكم يعلمها الله وفي تتبعان ثلاث قراآت سبعيات تشديد النون مع تشديد التاء فقط
وتخفيفها مع تشديد التاء وتخفيفها فعلى الاولى تكون النون للتوكيد الثقيلة وكسرت تشبيها بنون المثنى
والفعل مجزوم بحذف النون وعلى الثانية والثالثة تكون الجملة اسمية والنون نون الرفع والتقدير وانتما لا
تتبعان (قوله روى انه) اى نزول العذاب بهم مكث اربعين سنة من حين الدعوة وهذا التاخير لحكمة
يعلمها الله (قوله وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر الخ) لما استجاب الله دعاء موسى وهارون بالطمس على
اموالهم والربط على قلوبهم اوحى الله الى موسى وهارون ان اسر بعبادى واخرج بهم من ارض مصر
وردان يعقوب لما دخل مصر مع ذريته لاجتماعهم بيوسف كانوا اثنين وسبعين فلما خرج موسى بهم
كانوا ستمائة الف وكان فرعون غافلا عن ذلك فلما سمع انهم خرجوا وعزموا على مفارقة مملكته خرج فى
عقبهم فلما ادركهم قالوا لموسى اين المخلص والبحر امامنا والعدو وراءنا فلما قربوا اوحى الله اليه ان
اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فقطعه موسى وبنو اسرائيل فلحقهم فرعون وكان على حصان
أدهم وكان معه ثمانمائة الف حصان على لون حصانه سوى سائر الالوان وكان يقدمهم جبريل على فرس
انثى وميكائيل يسوقهم حتى لا يبقى منهم احد فدنا جبريل بفرسه فلما وجد الحصان ريح الانثى لم تمالك
فرعون نفسه فنزل البحر وتبعه جنوده حتى اذا اكتملوا جميعا فى البحر وهم اولهم بالخروج انطبق عليهم
وحصان بوزن كتاب وجمعه حصن ككتب كذا فى القاموس وجاوزنا من المجاوزة وهى التخطية
والتعدية والمعنى جعلناهم مجاوزين البحر بان جعلناه يبسا وحفظناهم حتى بلغوا الشط (قوله البحر) اى
بحر السويس (قوله لحقهم) اى مشى خلفهم (قوله بغيا) اى فى الاقوال وعدوا اى فى الافعال فقرعون
متعد على بنى اسرائيل بالاقوال الكاذبة والافعال الجائرة (قوله مفعول له) اى لاجله ويصح نصبهما
على الحال اى باغين ومعتدين (قوله حتى اذا ادركه الغرق) غاية لاتباعه (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية
ايضا (قوله استئنافا) اى واقعا فى جواب سؤال مقدر او على اضمار القول والتقدير قائلا انه الخ (قوله
كرره ليقبل منه) اى كرر الاقرار بالايمان ثلاث مرات وقوله آمنت وقوله انه الخ وقوله وانا من المسلمين
(قوله فلم يقبل) اى فمات على كفره وهذا ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وما قيل من انه مات
مؤمنا فلا يلتفت له (قوله ودس جبريل) اى بامر من الله وهو لا يسأل عما يفعل وذلك نظير امرنا بقتل
الكفار وبهذا تعلم جواب اشكال الفخر الرازى فى هذا المقام (قوله من حماة البحر) بسكون الميم
وتحريكها وهى الطين الاسود (قوله مخافة ان تناله الرحمة) اى وليس من اهلها لسابق علم الله بعدم
ايمانه ان قلت ما الحكمة فى عدم قبوله مع كون الايمان وقع منه ثلاث مرات اجيب باجوبة منها انه
انما آمن عند نزول العذاب وهو حينئذ غير نافع قال تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا ومنها ان
الايمان بالله من غير اقرار للرسول بالرسالة غير نافع وفرعون لم يقر برسالة موسى عليه السلام فلم يصح
ايمانه ومنها ان قوله آمنت ليس قاصدا به الايمان حقيقة بل قصد به النجاة من البحر على حكم
عادته اذا أصابته مصيبة رجع واستجار وحكى ان جبريل عليه السلام اتى لفرعون بفتوى
ما قول الامير فى عبد نشأ فى مال مولاه ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب
فرعون فيه يقول ابو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعمته ان يغرق فى
البحر فلما غرق رفع جبريل اليه خطه (قوله وقال له) معطوف على قوله ودس وقدره اشارة
الى ان قوله آلآن ظرف لمحذوف والجملة مقول لذلك القول المقدر (قوله آلآن) استفهام
توبيخ وتقريع (قوله وقد عصيت قبل) الجملة حالية والمعنى آلآن تتوب وقد ضيعت الايمان
فى وقته الذى يقبل فيه وهو غير وقت العذاب (قوله فاليوم ننجيك) بالتشديد والتخفيف قراءتان سبعيتان

روى انه مكث بعدها اربعين سنة (وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فاتبعهم) لحقهم (فرعون وجنوده بغيا وعدوا) مفعول له (حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت انه) اى بانه وفى قراءة بالكسر استئنافا (لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين) كرره ليقبل منه فلم يقبل ودس جبريل فى فيه من حماة البحر مخافة ان تناله الرحمة وقال له (آلآن) تؤمن (وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) بضلالك واضلالك عن الايمان (فاليوم ننجيك) نخرجك من البحر.

(قوله

(يبد نك) جسدك الذى لا روح فيه (لتكون لمن خلفك) بعدك (آية) عبرة فيعرفوا عبوديتك ولا يقدموا على مثل فعالك

وعن ابن عباس ان بعض بني اسرائيل شكوا في موته فاخرج لهم ليروه (وان كثيرا من الناس) اى اهل مكة (عن آياتنا لغافلون) لا يعتبرون بها (ولقد بوأنا) انزلنا (بنى اسرائيل مبوأ صدق) منزل كرامة وهو الشام ومصر (ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا) بان آمن بعض وكفر بعض (حتى جاءهم العلم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) من امر الدين بانجاء المؤمنين وتعذيب الكافرين (فان كنت) يا محمد (في شك مما انزلنا اليك) من القصص فرضا (فاسال الذين يقرؤن الكتاب) التوراة (من قبلك) فانه ثابت عندهم يخبروك بصدقه قال صلى الله عليه وسلم لا اشك ولا اسال (لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) الشاكين فيه (ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ان الذين حقت) وجبت (عليهم كلمت ربك) بالعذاب (لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم) فلا ينفعهم حينئذ (فلولا) فهلا (كانت قرية) اريد اهلها (آمنت) قبل نزول العذاب بها (فنفعها ايمانها الا) لكن (قوم يونس لما آمنوا) عند رؤية امارة العذاب ولم يؤخروا الى حلوله (كشفنا عنهم عذاب الخزى في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين)

(قوله بيدنك) حال من الضمير في ننجيك والمعنى فاليوم نخرجك من البحر ملتبسا ببدنك فقط لا مع روحك كما هو مطلوب وقيل المراد بالبدن الدرع لانه له درعا كان يعرف بها فلما التى على وجه الارض وعليه درعه عرفوه (قوله فيعرفوا عبوديتك) اى و يبطلوا دعوى الوهيتك لان الاله لا يموت ولا يتغير (قوله شكوا فى موته) انما وقع منهم الشك لشدة ما حصل فى قلوبهم من الرعب منه فامر الله البحر فالقاه على الساحل احمر قصيرا كانه ثور فرآه بنو اسرائيل فعرفوه فمن ذلك الوقت لا يقبل الماء ميتا ابدا (قوله ولقد بوأنا بنى اسرائيل) هذا امتنان من الله تعالى على بنى اسرائيل بنعم عظيمة (قوله مبوأ صدق) اى أنزلناهم منزلا حميدا صالحا وانما وصف المكان بالصدق لان عادة العرب اذا مدحت شيا اضافته الى الصدق يقولون هذا قدم صدق ورجل صدق (قوله وهو الشام ومصر) اى وقيل مصر فقط لانها التى كانت تحت أيدى فرعون وقومه (قوله فما اختلفوا) اى من فعلنا بهم هذا الفعل من بنى اسرائيل وذلك انهم كانوا قبل مبعث النبي مؤمنين به غير مختلفين فى نبوته لما يجدونه مكتوبا عندهم فلما بعث اختلفوا فيه فآمن به بعضهم كعبد الله بن سلام واضرابه وكفر بعض (قوله حتى جاءهم العلم) اى القرآن وذلك ان اليهود كانوا يخبرون ببعثه وصفته و يفتخرون بذلك على المشركين فلما بعث اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر (قوله فرضا) جواب عما يقال ان الشك محال على رسول الله فاجاب بانه على فرض المحال واجيب ايضا بان الخطاب له والمراد غيره وهذا هو الاتم فى تلك الآيات (قوله فاسال الذين يقرؤن الخ) اى فان ذلك محقق عندهم ثابت فى كتبهم (قوله يخبروك) مجزوم فى جواب الامر وهو اسال (قوله لقد جاءك الحق) اى اليقين من الخبر بانك رسول الله حقا وهذا كلام منقطع عما قبله وفيه معنى القسم تقديره والله لقد جاءك الحق الخ (قوله فلا تكونن من الممترين) اى دم على ما انت عليه من عدم الشك والامتراء (قوله ان الذين حقت عليهم كلمة ربك) اى ثبت حكمه وقضاؤه بموتهم على الكفر فلا يتاتى منهم الايمان اصلا اذ لا معقب لحكمه سبحانه وتعالى (قوله حتى يروا) غاية فى النفى (قوله فلا ينفعهم حينئذ) اى كفرعون واضرابه (قوله فلولا) اشار المفسر بقوله هلا الى انها تحضيضية وهو للتوبيخ مع النفى وكان فعل ماض تام وقرية فاعلها وآمنت صفة قرية وقوله فنفعها معطوف على آمنت عطف مسبب على سبب والمعنى لم تكن قرية من تلك القرى التى تقدمت قوم يونس كقوم نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وموسى آمنت فيتسبب على ايمانها كونه نافعا لها والحاصل ان الآية تضمنت تحضيضا وتوبيخا ونفيا فالنفى راجع لمن مضى والتوبيخ والتحضيض راجعان لمن يسمع (قوله اريد اهلها) اشار بذلك الى ان فى الكلمة مجازا مرسلا من باب تسمية الحال باسم المحل لا مجازا بالحذف (قوله الا قوم يونس) اشار المفسر الى ان الاستثناء منقطع حيث عبر بلكن وضابط الاستدراك موجود وهو رفع ما يتوهم ثبوته او نفيه فاتى به هنا لدفع توهم انهم كغيرهم لم يؤمنوا حتى نزل بهم العذاب فرفع ذلك التوهم بان قوم يونس آمنوا قبل نزول العذاب بل عند حضور اماراته ولذلك نفعهم ايمانهم واما غيرهم فلم يؤمن قبل نزوله اعم من ان يكون آمن وقت نزوله اولم يؤمن اصلا (قوله ولم يؤخروا الى حلوله) اى بل عجلوا الايمان عند ظهور اماراته وحاصل قصتهم على ما ذكره عبد الله بن مسعود وسعيد بن جبير ووهب وغيرهم قالوا ان قوم يونس كانوا بقرية تسمى نينوى من ارض الموصل وكانوا اهل كفر وشرك فارسل الله عز وجل اليهم يونس عليه السلام يدعوهم الى الايمان بالله وترك عبادة الاصنام فدعاهم فابوا عليه فقيل له اخبرهم ان العذاب يصبحهم الى ثلاث فاخبرهم بذلك فقالوا انا لم نجرب عليه كذبا قط فانظروا فان بات فيكم فليس بشيء وان لم يبت فاعلموا ان العذاب مصبحكم فلما كان جوف الليل خرج يونس من بين اظهرهم فلما اصبحوا تغشاهم العذاب فكان فوق رؤسهم قال ابن عباس ان العذاب كان اهبط على قوم يونس

حتى لم يكن بينهم و بينه الا قدر ثلثي ميل فلما دعوا كشفه الله عنهم وقال قتادة قدر ميل وقال سعيد بن جبير غشي قوم يونس العذاب كما يغشى الثوب القبر وقال وهب غامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا فهبط حتى غشي مدينتهم واسودت اسطحتهم فلما رأوا العذاب ايقنوا بالهلاك فطلبوا نبيهم يونس فلم يجدوه فقذف الله فى قلوبهم التوبة فخرجوا الى الصحراء بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح واظهروا الايمان والتوبة وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والدواب فحن البعض للبعض فحنت الاولاد الى الامهات والامهات الى الاولاد وعلت الاصوات ولجؤا جميعا الى الله تعالى وتضرعوا اليه وقالوا آمنا بما جاء به يونس وتابوا الى الله واخلصوا النية فرحمهم ربهم واستجاب دعاءهم وكشف ما نزل بهم من العذاب بعد ما اظلهم وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء وكان يوم الجمعة قال ابن مسعود بلغ من توبتهم انهم ردوا المظالم فيما بينهم حتى انه كان الرجل يأتى الى الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيقلعه فيرده وروى الطبرانى بسنده قال لما غشي قوم يونس العذاب مشوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا له انه قد نزل بنا العذاب فما ترى قال قولوا ياحى حين لا حى وياحى يحيي الموتى وياحى لا اله الا انت فقالوها فكشف الله عنهم العذاب ومتعوا الى حين وقال الفضيل بن عياض انهم قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم واجل فافعل بنا ما انت أهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله فلما اخرج يونس جعل ينتظر العذاب فلم ير شيا فقيل له ارجع الى قومك قال وكيف ارجع اليهم فيجدونى كذابا وكان كل من كذب ولا بينة له قتل فانصرف عنهم مغاضبا فنزل فى سفينة فلما بلغت وسط البحر وقفت وكان من عادتهم ان السفينة لا تقف الا اذا كان فيها عبد آبق فضربوا القرعة فخرجت على يونس فالقوه فى البحر فالتقمه الحوت فنادى فى الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين فاستجاب الله نداءه واخرجه من بطن الحوت ضعيفا فانبت الله عليه شجرة القرع ورجع الى قومه وكانوا يزيدون عن مائة الف ففرحوا به واحبوه وآمنوا به فهنيئا لمن رجع الى مولاه وندم على ما جناه فان الله يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيآت (قوله انقضاء آجالهم) تفسير للحين ودفع بذلك ماقيل ان قوم يونس من المنظرين لا يموتون الا عند النفخة الاولى فاجاب المفسر بان معنى الحين انقضاء آجالهم (قوله ولو شاء ربك) مفعول شاء محذوف اى ايمان جميع الناس (قوله كلهم) توكيد لمن وجميعا حال منها والمعنى لو اراد الله ايمان من فى الارض لآمنوا كلهم حال كونهم مجتمعين (قوله افانت تكره الناس) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير اتحزن على عدم ايمانهم وتتاسف عليه فانت تكره الخ (قوله لا) اى لست بمكره للناس على الايمان والمعنى ليس عليك الا البلاغ لا خلق الايمان فى قلوبهم واكراههم عليه فان الامر لله لا خالق سواه (قوله وما كان لنفس ان تؤمن الخ) بيان وتعليل لما قبله والمعنى ما ثبت لنفس من الانفس ان تؤمن فى حال من الاحوال الا فى حال ارادة الله الايمان لها (قوله ويجعل الرجس) معطوف على محذوف والتقدير فيريد الله الايمان للبعض ويجعل الرجس الخ (قوله قل انظروا) بضم اللام وكسرها قراءتان سبعيتان فالضم على نقل ضمة الهمزة الى اللام والكسر على اصل التخلص والمعنى تفكروا وتاملوا واتعظوا (قوله من الآيات) بيان لما (قوله وما تغنى الآيات) اى المذكورة فى قوله ماذا فى السموات والارض ففى الكلام اظهار فى مقام الاضمار والمعنى لا تنفع الآيات والنذر قوما لا يؤمنون (قوله اى مثل وقائعهم من العذاب) اى وهو القتل بالسيف (قوله فانتظروا ذلك) اى مثل وقائع الامم السابقة (قوله ثم ننجى) بالتشديد باتفاق العشرة وبثبوت الياء لفظا وخطا (قوله رسلنا) اى من سبق على محمد (قوله كذلك) صفة لمصدر محذوف اى انجاء مثل ذلك الانجاء والعامل فيه ننج المؤمنين وحقا علينا جملة معترضة بين العامل والمعمول

انقضاء آجالهم (ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس) بما لم يشاء الله منهم (حتى يكونوا مؤمنين) لا (وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله) بارادته (ويجعل الرجس) العذاب (على الذين لا يعقلون) يتدبرون آيات الله (قل) لكفار مكة (انظروا ماذا) اى الذى (فى السموات والارض) من الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى (وما تغنى الآيات والنذر) جمع نذير اى الرسل (عن قوم لا تؤمنون) فى علم الله اى ما تنفعهم (فهل) فما (ينتظرون) بتكذيبك (الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم) من الامم اى مثل وقائعهم من العذاب (قل فانتظروا) ذلك (انى معكم من المنتظرين ثم ننجى) المضارع لحكاية الحال الماضية (رسلنا والذين آمنوا) من العذاب (كذلك) الانجاء (حقا علينا

نتج المؤمنين) النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه حين تعذيب المشركين (قل يا أيها الناس) اى (١٧٥) اهل مكة (ان كنتم فى شك من

دينى) انه حق (فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله) اى غيره وهو الاصنام لشككم فيه (ولكن اعبد الله الذى يتوفاكم) يقبض ارواحكم (وأمرت ان) اى بان (أكون من المؤمنين و) قيل لى (ان اقم وجهك للدين حنيفا) مائلا اليه (ولا تكونن من المشركين ولا تدع) تعبد (من دون الله مالا ينفعك) ان عبدته (ولا يضرك) ان لم تعبده (فان فعلت) ذلك فرضا (فانك اذا من الظالمين وان يمسسك) يصبك (الله بضر) كفقر ومرض (فلا كاشف) رافع له الاهو وان يردك بخير) يرد (فلا راد) دافع (لفضله) الذى ارادك به (يصيب به) اى بالخير (من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم قل يا ايها الناس) اى اهل مكة (قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه) لان ثواب اهتدائه له (ومن ضل فانما يضل عليها) لان وبال ضلاله عليها (وما انا عليكم بوكيل) فاجبركم على الهدى (واتبع ما يوحى اليك واصبر) على الدعوة واذاهم (حتى يحكم الله) فيهم بامره (وهو خير الحاكمين) اعدلهم وقد صبر حتى حكم على المشركين بالقتال واهل الكتاب بالجزية

﴿سورة هود مكية الا اقم الصلوة الآية او الا فلعلك تارك الاية واولئك يؤمنون به الآية مائة واثنتان او ثلاث وعشرون آية﴾

(قوله نتج المؤمنين) بالتخفيف والتشديد وتحذف منه الياء لفظا وخطا (قوله حين تعذيب المشركين) اى فى الدنيا والآخرة (قوله اى اهل مكة) اى الكفار المعارضون (قوله من دينى) اى الذى جئت به عن ربى (قوله انه حق) بدل من دينى والمعنى ان كنتم فى شك من حقية دينى وصحته فلا أعبد الخ (قوله لشككم فيه) اى فى دينى الحق اى فالحامل لكم على عبادة غير الله شككم فى حقية دينى وأما أنا فليس عندى شك فى حقيته فلذلك لا أعبد غير الله فكفرهم بالشك لانه لا يتاتى منهم انكار كون الله حقا ودين الاسلام حقا على سبيل الجزم بذلك لقيام الادلة العقلية القطعية على ذلك (قوله الذى يتوفاكم) خص هذا الوصف بالذكر تهديدا وتخويفا لهم (قوله ان أكون) ان مصدرية مجرورة بالباء المقدرة كما قال المفسر اى بكونى من المؤمنين المصدقين بما جاء من عند الله لانه مرسل لنفسه فهو واجب عليه الايمان بما أرسل به (قوله وان اقم) قدر المفسر القول اشارة الى ان أن وما دخلت عليه فى محل نصب مقول لذلك القول (قوله مائلا اليه) اى مخلصا له العمل ظاهرا او باطنا فعلى المكلف ان يتخلق بخلق رسول الله بان لا يميل لغير الله ظاهرا او باطنا بل يكون كله لله فلا يشرك معه غيره اصلا لا فى الظاهر ولا فى الباطن فكما ان الخالق لا شريك له فيما خلقه كذلك ينبغى للمخلوق ان لا يشرك فى عبادته غيره (قوله ولا تدع من دون الله) اى غيره (قوله فرضا) جواب عما يقال ان عبادة النبي غير الله مستحيلة فكيف يخاطب بذلك أجاب المفسر بان ذلك على سبيل الفرض والتقدير وأجيب ايضا بان الخطاب له والمراد غيره (قوله فلا كاشف له الاهو) اى لا دافع ولا مانع له الا الله حقيقة فنسبة النفع او الضر لغير الله باعتبار ان الله اجرى على أيديهم ذلك لا باعتبار انهم الخالقون له فان نسبة ذلك لهم من هذه الحيثية كفر (قوله وان يردك بخير) عبر فى جانب الخير بالارادة دون المس اشارة الى ان الخير لا يتوقف اتيانه على سبب وتهيؤ من العبد بخلاف الضر فلا بد من تقدم سببه قال تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم (قوله وهو الغفور) اى الستار للذنوب الماحى لها (قوله الرحيم) اى المنعم المحسن فالغفور المنجى من النار بسبب محو الذنوب والرحيم المدخل للجنة بسبب الانعام والاحسان (قوله الحق) اى القرآن ومن جاء به وهو النبي صلى الله عليه وسلم (قوله لان ثواب اهتدائه له) اى فلا يصل لله ممن كفر ضرر ولا ممن آمن نفع تنزه سبحانه وتعالى عن ان يتكمل بمخلوق (قوله لان وبال ضلاله عليها) اى عذاب ضلاله على نفسه فلا يشاركه احد لا فى هداية نفسه ولا فى ضلاله بل كل امرئ بما كسب رهين (قوله بوكيل) اى بحفيظ موكول الى امركم وانما انا بشير ونذير (قوله فاجبركم على الهدى) اى أكرهكم عليه (قوله ما يوحى اليك) اى من القرآن (قوله على الدعوة) اى دعائك اياهم للايمان (قوله واذاهم) اى لك فكان رسول الله يسمع سبه باذنه ولا يتكلم (قوله اعدلهم) اى فلا يخطئ فى حكمه اصلا واما غيره فتارة يخطئ فى حكمه وتارة يعدل فافعاله سبحانه وتعالى دائرة بين الفضل والعدل فاثابته المؤمن بالفضل وتعذيبه العاصي بالعدل (قوله بالقتال) اى الجهاد واشار المفسر بذلك الى قول ابن عباس ان هذه الآية منسوخة بآية القتال والله أعلم

﴿سورة هود﴾

بالصرف وتركه فان لوحظ انه اسم للسورة منع الصرف وان لوحظ ان المراد السورة المذكورة فيها هود صرف ومثل ذلك يقال فى سورة نوح لان هذه الاسماء مصروفة وسورة مبتدأ أخبر عنه بخبرين قوله مكية وقوله مائة الخ (قوله الا اقم الصلوة) التلاوة بالواو فالصواب ان يقول الا واقم الصلوة الخ وهذا قول ابن عباس وقوله او الا فلعلك الخ هو قول مقاتل فالحاصل ان المدنى عند ابن عباس آية واحدة وهى واقم الصلوة

(بسم الله الرحمن الرحيم
الر) الله اعلم بمراده بذلك هذا
(كتاب احكمت آياته)
بعجيب منظم و بديع
المعانى (ثم فصلت) بينت
بالاحكام والقصص
والمواعظ (من لدن حكيم
خبير) اى الله (ان) اى
بان (لا تعبدوا الا الله اننى
لكم منه نذير) بالعذاب
ان كفرتم (و بشير)
بالثواب ان آمنتم (وان
استغفروا ربكم) من
الشرك (ثم توبوا) ارجعوا
(اليه) بالطاعة (يمتعكم)
فى الدنيا (متاعا حسنا)
بطيب عيش وسعة رزق
(الى اجل مسمى) هو
الموت (و يؤت) فى الآخرة
(كل ذى فضل) فى العمل
(فضله) جزاءه (وان
تولوا) فيه حذف احدى
التاءين اى تعرضوا (فانى
اخاف عليكم عذاب يوم
كبير) هو يوم القيامة (الى
الله مرجعكم وهو على كل
شئ قدير) ومنه الثواب
والعذاب * ونزل كما رواه
البخارى عن ابن عباس
فيمن كان يستحى ان
يتخلى او يجامع فيفضى الى
السماء وقيل فى المنافقين (الا
انهم يثنون صدورهم
ليستخفوا منه) اى الله

الآية وعند مقاتل آيتان قوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك الآية وقوله أولئك يؤمنون به الآية (قوله الله أعلم بمراده بذلك) تقدم ان هذا هو الاسلم فى تفسير الحروف المقطعة (قوله كتاب) خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هذا يدل عليه قوله فى آية أخرى ذلك الكتاب واسم الاشارة يصح عوده على ما ذكر فى هذه السورة فقط أو على جميع القرآن وتقدم ذلك (قوله أحكمت) صفة لكتاب إما من الاحكام اى الاتقان ففعله متعد والمعنى اتقنت آياته لفظا ومعنى فلا يحيط بمعنى آيات القرآن غيره تعالى ولم يوجد تركيب بديع الصنع عديم النظير نظير القرآن أو الهمزة للنقل من حكم بضم الكاف بمعنى جعلت حكيمة (قوله ثم فصلت) يحتمل ان ثم لمجرد الاخبار والمعنى أخبرنا الله بان القرآن محكم أحسن الاحكام مفصل احسن التفصيل كما تقول فلان كريم الاصل ثم كريم الفعل ويحتمل أنها للترتيب الزمانى بحسب النزول لانها أحكمت اولا حين نزلت جملة واحدة ثم فصلت ثانيا بحسب الوقائع (قوله من لدن حكيم خبير) صفة ثانية لكتاب وفيه طباق حسن لان حكيم يناسب احكمت وخبير يناسب فصلت و يصح ان يكون من باب التنازع اعمل الاول وهو احكمت واضمر فى الثانى وحذف والاحسن الاول (قوله ان لا تعبدوا) الاحسن أن ان تفسيرية لوجود ضابطها وهو تقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه وهى قوله ثم فصلت (قوله منه) يصح عود الضمير على الله أو على الكتاب (قوله ان كفرتم) اى دمتم على الكفر (قوله وان استغفروا) عطف على قوله ان لا تعبدوا والسين والتاء للطلب والمعنى اسألوه الغفران لذنوبكم فيما مضى وقوله ثم توبوا اليه أى فى المستقبل لان شرط التوبة الندم على ما فات والاقلاع فى الحال والعزم على عدم العود فى المستقبل فلا يقال ان الاستغفار هو التوبة بل بينهما التغاير (قوله يمتعكم) جواب الامر (قوله بطيب عيش) أى فى امن وراحة ورضا فمن تاب من ذنوبه واخلص عبادة ربه عاش فى أمن وراحة ورضا وان ضيقت عليه الدنيا فهى رفع درجات له بوجود رضا الله عليه ومن لم يتب واصر على المعاصى والكفر عاش فى خوف ونصب وسخط وان وسعت عليه ملاذ الدنيا اذ لا خير فى عيش بعده النار وحينئذ فلا ينافى هذا كون الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر (قوله فيه حذف احدى التاءين) اى والاصل تتولوا (قوله اى تعرضوا) أى عن الاوامر والنواهى وتدوموا على الكفر وجواب الشرط محذوف والتقدير فلا تلوموا الا انفسكم وقوله فانى اخاف الخ تعليل للجواب المحذوف (قوله الى الله مرجعكم) اى فلا مفر لكم منه (قوله ومنه الثواب) اى من الشئ المقدور عليه (قوله فيمن كان يستحى) اى من المسلمين (قوله ان يتخلى) اى يقضى حاجته من البول والغائط (قوله فيفضى) معطوف على يتخلى وتنزيل الآية على حكم هذا القول باعتبار تعليم التوحيد والمراقبة كأن الله يقول لهم لا تظنوا ان تغطيتكم تحجبكم عن الله بل الله يعلم ما تسرون وما تعلنون فلا ينافى ان التغطية عند التخلى والجماع مندوبة وليس المراد ذمهم على هذا الفعل اذ هو مطلوب حياء من الله والجن والملائكة (قوله وقيل فى المنافقين) قال ابن عباس نزلت فى الاخنس بن شريق من منافقى مكة وكان رجلا طلق الكلام حلو المنظر وكان يلقى رسول الله بما يحب وينطوى بقلبه على ما يكره وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخى ستره ويحنى ظهره ويستغشى ثوبه ويقول الكفر ويظن ان الله لا يعلمه فى تلك الحالة (قوله الا انهم يثنون صدورهم) من الثنى وهو طى الشئ ليكون مستورا فالمراد يعطفون صدورهم على ما فيها من الكفر ليكون مخفيا مستورا واصله يثنيون نقلت ضمة الياء الى ما قبلها ثم حذفت الياء لالتقائها ساكنة مع الواو وهذا المعنى على ان سبب النزول فى المنافقين واما على انه فيمن يستحى حال قضاء الحاجة والجماع فالمراد بثنى الصدر انحناؤه بظهره حال قضاء الحاجة وتغطيته بثوبه حين قضاء الحاجة والجماع فتامل (قوله ليستخفوا منه) هذا هو علة ثنى الصدر على ما فيه

(قوله ألاحين يستغشون ثيابهم) أى يأوين الى فراشهم ويرتدون بثيابهم (قوله مايسرون) أى فى قلوبهم وقوله ومايعلنون أى بافواههم (قوله أى بمافى القلوب) أى فالمراد بالصدور القلوب ومافيها هو الخواطر فاطلق المحل وأريد الحال فيه (قوله ومامن دابة) النكرة فى سياق النفى تعم فدخلت جميع الدواب عاقلة وغيرعاقلة (قوله هى مادب عليها) أى مشى وسار (قوله الاعلى الله رزقها) ليس المراد ان ذلك واجب عليه تنزه سبحانه وتعالى بل المراد أنه التزم به وتكفل به التزاما لا يتخلف ففى الحقيقة على بمعنى من وانما التعبير بعلى ليزداد العبد ثقة بربه وتوكلا عليه وان أخذ فى الاسباب فلا يعتمد عليها بل يثق بالله ويعتمد عليه وليكن أخذه فى الاسباب امتثالا لامره تعالى لان الله يكره العبد البطال وخص دواب الارض بالذكر لانهم المحتاجون للارزاق وأما دواب السماء كالملائكة والحور العين فليسوا محتاجين لذلك بل قوتهم التسبيح والتهليل (قوله ويعلم مستقرها ومستودعها) أتى بذلك دفعا لما يتوهم من كونه متكفلا لكل دابة فى الارض برزقها أنه ربما يخفى عليه بعض أماكن تلك الدواب فدفع ذلك التوهم بانه يعلم مكان كل دابة فلا تخفى عليه خافية والمعنى انه أحاط علمه بمكان كل دابة وزمانها (قوله بعد الموت) أى وهو القبر (قوله كل مما ذكر) أى من الدابة ورزقها ومستقرها ومستودعها فاللوح المحفوظ احاط بجميع أرزاق الدواب وامكنتها وازمنتها واحوالها وهذا من باهر قدرته تعالى لزيادة طمانينة العبيد ومراجعة الملائكة الموكلين بالارزاق لا خوفا من نسيانه اذ هو مستحيل عليه (قوله وهو الذى خلق السموات) هذا بيان لكونه قادرا على جميع الممكنات وما تقدم بيان لكونه عالما بالمعلومات كلها (قوله والارض) اى وما فيهما من الاقوات والحيوانات وغير ذلك والكلام على التوزيع اذ خلق السموات فى يومين والارض فى يومين والاقوات فى يومين كما يأتى فى سورة فصلت (قوله اولها الاحد) تقدم ان هذا مشكل لانه لم يكن ثم زمان فضلا عن تفصيله اياما فضلا عن تخصيص كل يوم باسم وتقدم الجواب عنه بان ذلك باعتبار ما تعلق به علمه سبحانه وتعالى لان كل شئ كان او يكون فهو فى علمه على ما هو عليه فالمعنى اولها الاحد الذى علم الله انه يكون (قوله على الماء) اى لم يكن بينهما حائل بل هو فى مكانه الذى هو فيه الآن وهو ما فوق السموات السبع والماء فى المكان الذى هو فيه الآن وهو ما تحت الارضين السبع وذلك ان اول ما خلق الله النور المحمدى ثم خلق منه العرش ونشا الماء من عرق العرش فخلق الله منه الارضين والسموات فالارضون من زبده والسموات من دخانه (قوله ليختبركم) اى ليتميز المحسن من المسئ بتلك النعم فمن شكر فهو المحسن ومن كفر فهو المسئ والمعنى ليظهر بين الناس المطيع فيثيبه فى الآخرة على طاعته والعاصي فيعاقبه فى الآخرة على عصيانه (قوله ايكم احسن عملا) مبتدا وخبر والجملة فى محل نصب معمولة ليبلوكم عاق عنها بالاستفهام (قوله ولئن قلت) اللام موطئة لقسم محذوف وان حرف شرط وقوله ليقولن جواب القسم وحذف جواب الشرط لتاخره قال ابن مالك

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم * جواب ما اخرت فهو ملتزم

وكذا يقال فيما بعده (قوله الا سحر) اى كالسحر فالكلام على التشبيه البليغ من حيث انه كلام مزين الظاهر فاسد الباطن (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية ايضا (قوله ولئن اخرنا عنهم العذاب) اى الذى استعجلوه (قوله الى امة) اى طائفة من الازمنة (قوله معدودة) اى قليلة (قوله ليقولن) الفعل مرفوع بالنون المحذوفة لتوالى الامثال والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين فاعله واعرب مع وجود نون التوكيد ولم يبن لان نون التوكيد لم تباشره اذ الاصل ليقولونن حذفت نون الرفع لتوالى الامثال فالتقى ساكنان حذفت الواو لالتقائهما والمحذوف لعلة كالثابت وهذا بخلاف ليقولن المتقدم فانه مبنى لمباشرة النون فى اللفظ والتقدير

يتغطون بها (يعلم) تعالى (مايسرون وما يعلنون) فلا يغنى استخفاؤهم (انه عليم بذات الصدور) اى بما فى القلوب (وما من) زائدة (دابة فى الارض) هى مادب عليها (الا على الله رزقها) تكفل به فضلا منه تعالى (ويعلم مستقرها) مسكنها فى الدنيا او الصلب (ومستودعها) بعد الموت او فى الرحم (كل) مما ذكر (فى كتاب مبين) بين هو اللوح المحفوظ (وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام) اولها الاحد وآخرها الجمعة (وكان عرشه) قبل خلقهما (على الماء) وهو على متن الريح (ليبلوكم) متعلق بخلق اى خلقهما وما فيهما منافع لكم ومصالح ليختبركم (ايكم احسن عملا) اى اطوع لله (ولئن قلت) يا محمد لهم (انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان) ما (هذا) القرآن الناطق بالبعث او الذى تقوله (الا سحر مبين) بين وفى قراءة ساحر والمشار اليه النبى صلى الله عليه وسلم (ولئن اخرنا عنهم العذاب الى) مجئ (امة) اوقات (معدودة ليقولن) استهزاء

(مايحبسه) ما يمنعه من النزول قال تعالى (الا يوم يأتيهم ليس مصروفا) مدفوعا (عنهم وحاق) نزل (بهم ما كانوا به يستهزؤن) من العذاب
(ولئن اذقنا الانسان) الكافر (منا رحمة) غنى وصحة (ثم نزعناها منه انه ليؤس) قنوط من رحمة الله (كفور) شديد

الكفر به (ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء) فقر وشدة (مسته ليقولن ذهب السيئات) المصائب (عني) ولم يتوقع زوالها ولا شكر عليها (انه لفرح) بطر (فخور) على الناس بما اوتي (الا) لكن (الذين صبروا) على الضراء (وعملوا الصالحات) في النعماء (اولئك لهم مغفرة واجر كبير) هو الجنة (فلعلك) يا محمد (تارك بعض ما يوحى اليك) فلا تبلغهم اياه لتهاونهم به (وضائق به صدرك) بتلاوته عليهم لاجل (ان يقولوا لولا) هلا (انزل عليه كنز او جاء معه ملك) يصدقه كما اقترحنا (انما انت نذير) فلا عليك الا البلاغ لا الاتيان بما اقترحوه (والله على كل شيء وكيل) حفيظ فيجازيهم (ام) بل أ (يقولون افتراه) اي القرآن (قل فأتوا بعشر سور مثله) في الفصاحة والبلاغة (مفتريات) فانكم عربيون فصحاء مثلي تحداهم بها اولا ثم بسورة (وادعوا) للمعاونة على ذلك (من استطعتم من دون الله) اي غيره (ان كنتم صادقين) في انه افتراء

(قوله مايحبسه) اي اي شيء يمنعه من النزول وهذا الاستفهام على سبيل السخرية (قوله الا يوم يأتيهم) الاداة افتتاح داخلة على ليس في المعنى ويوم معمول لخبر ليس واسمها ضمير فيها يعود على العذاب وكذلك فاعل يأتيهم ضمير يعود على العذاب والتقدير الا ليس هو اي العذاب مصروفا عنهم يوم يأتيهم العذاب ففي هذه الآية تقدم معمول خبر ليس عليها (قوله من العذاب) بيان لما (قوله ثم نزعناها منه) اي اخذناها قهرا (قوله قنوط) اي لقلة صبره وعدم رجائه في ربه (قوله ليقولن ذهب السيآت عني) اي على حسب عادة الدهر ولا ينظر لفضل الله في ذلك فهو مغضوب عليه على كل حال (قوله الا الذين صبروا) مستثنى من قوله ولئن اذقنا الانسان الخ وقد اشار المفسر الى ان هذا الاستثناء منقطع حيث عبر بلكن ويصح ان يكون متصلا باعتبار ان المراد بالانسان الجنس لا واحد بعينه (قوله لهم مغفرة) اي لذنوبهم (قوله واجر كبير) اي عظيم مدخر لهم في الآخرة (قوله فلعلك تارك) اصل تاتي للترجي في الامر المحبوب كما تقول لعل الحبيب قادم وتاتي للتوقع في الامر المكروه كما تقول لعل العدو قادم والآية من هذا الثاني غير ان التوقع ليس على بابه اذ مستحيل على رسول الله كتم بعض ما امر بتبليغه والعزم على ذلك بل المقصود منه الاستفهام الانكاري والتحضيض على التبليغ مع عدم المبالاة بمن عاداه كان الله يقول لنبيه بلغ ما امرت به ولو كره المشركون ذلك ولا تترك التبليغ محافظة على عدم استهزائهم وذلك ان رسول الله كان اذا قرأ آية فيها سب المشركين وآلهتهم نفروا وقالوا ائت بقرآن غير هذا او بدله ونحن نتبعك فرد الله عليهم ذلك حيث حضه على التبليغ ونهاه عن الكتم (قوله بعض ما يوحى اليك) اي وهو ما فيه سب آلهتهم (قوله وضائق به صدرك) اي لا يكن منك ضيق صدر بسبب استهزاء الكفار بك فان الله حافظك وناصرك عليهم ومخذلهم (قوله ان يقولوا) اي فقد قالوا ان كنت صادقا في الرسالة من عند الله الذي تصفه بالقدرة التامة وانك حبيبه وعزيز عنده مع انك فقير فهلا نزل عليك ما تستغني به انت واصحابك وهلا نزل عليك ملك يشهد لك بالرسالة (قوله كنز) اي مال كثير وسمي بذلك لان شانه ان يكنز (قوله فلا عليك الا البلاغ) اي فلا تبال بقولهم ولا تغتم منهم (قوله حفيظ) اي فيحفظك ويجازيهم (قوله ام يقولون) ام منقطعة بمعنى بل والهمزة والاضراب انتقالي والهمزة للتوبيخ والانكار والتعجب (قوله افتراه) اي اختلقه من عند نفسه (قوله قل فأتوا الخ) ردلما قالوه والمعنى انكم عربيون مثلي فأتوا بكلام مثل هذا الكلام الذي جئت به فانكم تقدرون على ذلك بل انتم اقدر مني لممارستكم الاشعار والوقائع (قوله مثله) نعت لسور وان كان بلفظ الافراد فانه يوصف به المثنى والجمع والمذكر والمؤنث (قوله تحداهم بها اولا) اي بعد ان تحداهم بجميع القرآن كما في سورة الاسراء قال تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله الآية ثم تحداهم بعشر سور كما هنا ثم بسورة كما في البقرة ويونس فالاسراء قبل هود نزولا ثم هود ثم يونس ثم البقرة (قوله على ذلك) اي الاتيان (قوله اي غيره) اي من الاصنام او من جميع المخلوقات (قوله فان لم يستجيبوا لكم) اي ايها المشركون وقوله اي من دعوتموهم تفسير للواو في يستجيبوا (قوله بعلم الله) اي فكما ان علمه لا يشابهه علم كذلك كلامه لا يشابهه كلام لان الكلام على حسب علم المتكلم وكلما كان المتكلم متسع العلم كان كلامه فصيحا بليغا ولا اوسع من علم الله لانه احاط بكل شيء علما (قوله مخففة) اي واسمها ضمير الشان (قوله اي اسلموا) اي فهو استفهام فيه معنى الطلب لزوال العذر المانع من ذلك (قوله من كان يريد الحياة الدنيا) اختلف في سبب نزولها فقيل في

(فان لم يستجيبوا لكم) اي من دعوتموهم للمعاونة (فاعلموا) خطاب للمشركين (انما انزل) ملتبسا (بعلم الله) وليس افتراء عليه (وان) مخففة اي انه (لا اله الا هو فهل انتم مسلمون) بعد هذه الحجة القاطعة اي اسلموا (من كان يريد الحيوة الدنيا

اليهود والنصارى وقيل فى المنافقين الذين كانوا يطلبون بغزوهم مع رسول الله الغنائم لانهم كانوا لا يرجون
ثواب الآخرة وقيل فى المرائين والحمل على العموم أولى فيندرج فيه الكافر والمنافق والمؤمن الذى يأتى
بالطاعات على وجه الرياء والسمعة (قوله وزينتها) اى مايتزين به فيها من الصحة والامن والسعة والرياسة
وغير ذلك (قوله بان اصروا على الشرك) هذا شامل للقولين المتقدمين (قوله وقيل هى فى المرائين) أى
ومعنى قوله أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار أى ابتداء ثم بعد استيفاء ماعليه يخرج منها ويدل على
أن له هذا الوعيد الشديد مارواه يقول الله انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه معى غيرى
تركته وشركه وهذا القول اختاره البيضاوى لحديث يقال لاهل الرياء حججتم وصليتم وتصدقتم وجاهدتم
وقرأتم ليقال ذلك فقد قيل ذلك ثم قال ان هؤلاء اول من تسعر بهم النار رواه ابوهريرة ثم بكى بكاء شديدا
ثم قال صدق رسول الله من كان يريد الحياة الدنيا الخ (قوله نوف) بالنون مبنيا للفاعل وفيه ضمير يعود
على الله وبالياء مبنيا للمفعول واعمالهم بالرفع نائب فاعل والفاء مشددة على كل حال قراءتان الاولى سبعية
والثانية شاذة (قوله اى جزاء ماعملوه) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف (قوله بان توسع
عليهم رزقهم) اى فهذا جزاء أعمالهم الحسنة فى الدنيا واما فى الآخرة فليس لهم فى نظير ذلك شئ قال
تعالى وقدمنا الى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا فجزاء الآخرة بالجنة ونعيمها مخصوص بالمؤمن
(قوله فلا ثواب له) اى لانهم قد استوفوا فى الدنيا جزاء اعمالهم الحسنة فليس لهم فى الآخرة الا العذاب
قال تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب (قوله وباطل ماكانوا يعملون)
اى فى الدنيا من الخيرات (قوله افمن كان على بينة من ربه) لما تقدم ذكر اوصاف أهل الدنيا الغافلين عن
الآخرة وعاقبة أمرهم ذكر اوصاف اهل الآخرة الذين يريدون باعمالهم وجه ربهم واسم الموصول
مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر فيما يأتى بقوله كمن ليس كذلك وجواب الاستفهام محذوف قدره بقوله
لا وقد صرح بهذين المحذوفين فى قوله تعالى افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون (قوله بيان) اى نور
واضح ودليل ظاهر وذلك نظير قوله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه (قوله وهو
النبى) اى وعليه فالجمع للتعظيم فى قوله أولئك يؤمنون به وقوله او المؤمنون والجمع فيه ظاهر وفى نسخة
والمؤمنون وهى ظاهرة (قوله وهو القرآن) تفسير للبينة وقد اخذ هذا التفسير مما يأتى فى سورة البينة فى قوله
تعالى حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة (قوله ويتلوه) الضمير عائد على من
(قوله وهو جبريل) تفسير للشاهد والمعنى من كان متمسكا بالحق والحال انه يتبعه شاهد من الله يصدقه
على ذلك وهو جبريل لانه مقو ومصدق للرسول ويصح ان يكون المراد بالشاهد معجزات القرآن
والضمير فى منه اما عائد على الله او على القرآن والمعنى على هذا ويتبعه شاهد يشهد بكونه من عند الله وهو
الاعجاز فى نظمه واشتماله على عجائب المغيبات فى معناه فلا يستطيع احد ان يأتى بمثله كلا او بعضا ويصح ان
يراد بالشاهد المعجزات الظاهرة على يد رسول الله مطلقا (قوله ومن قبله) الجار والمجرور حال من كتاب
موسى الواقع معطوفا على شاهد (قوله شاهد له ايضا) الاوضح ان يقول يتلوه ايضا اذ هو المسلط عليه (قوله
اماما) اى مقتدى به (قوله ورحمة) اى احسانا ولطفا لمن أنزل اليهم (قوله اى من كان على بينة من ربه)
اشار بذلك الى ان اسم الاشارة عائد على قوله أفمن كان على بينة (قوله ومن يكفر به) اسم الموصول راجع
لقوله كمن ليس كذلك فهو لف ونشر مرتب (قوله فلا تك) اصله تكون دخل الجازم فسكنت النون فالتقى
ساكنان حذفت الواو لالتقائهما وحذفت النون تخفيفا (قوله فى مرية) بكسر الميم باتفاق السبعة وقرئ

وزينتها) بان اصر على
الشرك وقيل هى فى المرائين
(نوف اليهم اعمالهم) اى
جزاء ماعملوه من خير
كصدقة وصلة رحم (فيها)
بان نوسع عليهم رزقهم (وهم
فيها) اى الدنيا (لا يبخسون)
ينقصون شيئا (أولئك
الذين ليس لهم فى الآخرة
الا النار وحبط) بطل
(ماصنعوا) (فيها) اى
الآخرة فلا ثواب له
(وباطل ماكانوا يعملون
افمن كان على بينة) بيان
(من ربه) وهو النبى صلى
الله عليه وسلم او المؤمنون
وهى القرآن (ويتلوه)
يتبعه (شاهد) له بصدقه
(منه) اى من الله وهو
جبريل (ومن قبله) اى
القرآن (كتاب موسى)
التوراة شاهد له أيضا
(اماما ورحمة) حال كمن
ليس كذلك لا (أولئك)
اى من كان على بينة من ربه
(يؤمنون به) اى بالقرآن
فلهم الجنة (ومن يكفر
به من الاحزاب) جميع
الكفار (فالنار موعده
فلا تك فى مرية) شك
(منه) من القرآن

(انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس) اى أهل مكة (لا يؤمنون ومن) اى لا احد (اظلم ممن افترى على الله كذبا) بنسبة الشريك والولد اليه (اولئك يعرضون على ربهم) يوم القيامة فى جملة الخلق (ويقول الاشهاد) جمع شاهد وهم الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ وعلى الكفار بالتكذيب (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين) المشركين (الذين يصدون عن سبيل الله) دين الاسلام (ويبغونها) يطلبون السبيل (عوجا) معوجة (وهم بالآخرة هم) تاكيد (كافرون اولئك لم يكونوا معجزين) الله (فى الارض وما كان لهم من دون الله) أى غيره (من اولياء) انصارا يمنعونهم من عذابه (يضاعف لهم العذاب) باضلالهم غيرهم (ما كانوا يستطيعون السمع) للحق (وما كانوا يبصرون) ه اى لفرط كراهتهم له كانهم لم يستطيعوا ذلك (اولئك الذين خسروا انفسهم) لمصيرهم الى النار المؤبدة عليهم (وضل) غاب (عنهم ما كانوا يفترون) على الله من دعوى الشريك (لا جرم) حقا (انهم فى الآخرة هم الاخسرون ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا) سكنوا واطمانوا اوانابوا (الى ربهم اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون مثل) صفة (الفريقين) الكفار والمؤمنين (كالاعمى والاصم) هذا مثل الكافر (والبصير والسميع) هذا مثل المؤمن (هل يستويان مثلا) لا

شذوذا بضمها وهى لغة قليلة وهو خطاب للنبى والمراد غيره (قوله انه الحق) اى الثابت الذى لا محيص عنه (قوله ولكن اكثر الناس) يفيد ان الاقل مؤمن وهو كذلك فى كل زمن الى يوم القيامة وانما خص المفسر أهل مكة لكون أصل الخطاب لهم (قوله أى لا احد) أشار بذلك الى أن الاستفهام انكارى بمعنى النفى وهذا شروع فى ذكر أوصافهم وقد ذكر منها هنا أربعة عشر وصفا أولها قوله ومن أظلم وآخرها قوله لا جرم انهم فى الآخرة هم الاخسرون (قوله أولئك يعرضون على ربهم) اى عرض فضيحة وهتك ستر (قوله وهم الملائكة) اى والنبيون والاصفياء (قوله الا لعنة الله) هذا من كلام الله تعالى يقوله لهم يوم القيامة فيطردون بذلك عن الرحمة الحاصلة فى الآخرة وليس المراد أنهم يطردون عن رحمة الدنيا (قوله الذين يصدون عن سبيل الله) اى يمنعون الناس عن الدخول فى دين الاسلام والمعنى انهم كما ضلوا فى انفسهم يضلون غيرهم (قوله ويبغونها عوجا) اى ينسبونها للاعوجاج والحال انه قائم بقلوبهم (قوله اولئك لم يكونوا معجزين) اى فارين من عذاب الله لان الله وان أمهلهم لا يهملهم (قوله من اولياء) من زائدة فى اسم كان والمعنى ليس لهم انصار من غير الله يمنعون عذاب الله عنهم (قوله باضلالهم غيرهم) أشار بذلك الى جواب سؤال وارد على الآية وحاصله ان المضاعفة مخصوصة بالحسنات واما السيآت فلا تضاعف قال تعالى ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها فاجاب المفسر بان معنى المضاعفة الشدة لانهم يعذبون عذابين عذابا على ضلالهم فى انفسهم وعذابا على اضلالهم غيرهم (قوله وما كانوا يستطيعون السمع) اى لم يقبلوه لوجود الحجاب على قلوبهم (قوله بما كانوا يبصرون) أى لم يقدروا على ذلك (قوله أولئك) أى الذين لا يستطيعون السمع ولا الابصار (قوله من دعوى الشريك) بيان لما (قوله لا جرم) اختلف العلماء فى معنى لا جرم على ثلاثة اوجه اولها ان لا نافية لما فى الكفار وجرم فعل ماض بمعنى حق وثبت وقوله انهم فى الآخرة هم الاخسرون الجملة فى محل رفع فاعل بجرم ويصير المعنى لا عبرة بامانيهم بل حق وثبت خسرانهم فى الآخرة وهذا الوجه احسنها ثانيا ان لا كذلك وجرم بمعنى كسب وأن وما دخلت عليه فى تاويل مصدر مفعوله والفاعل ما دل عليه السياق والمعنى ما كسب لهم كفرهم وامنياتهم الا خسرانهم فى الآخرة ثالثها ان لا جرم بمعنى لا بد اى لا بد انهم فى الآخرة هم الاخسرون فلا نافية للجنس وجرم اسمها مبنى معها على الفتح وجملة انهم فى محل رفع خبرها اذا علمت ذلك فقول المفسر حقا لم يوافق واحدا من هذه الثلاثة الا ان يقال انه مر على الاول ويكون حقا مفعولا مطلقا لفعل محذوف والتقدير حق حقا وقد وردت هذه اللفظة فى القرآن فى خمسة مواضع ويقال فى كل واحد منها ما قيل هنا (قوله ان الذين آمنوا) لما ذكر الله أحوال الكفار وما آل اليه امرهم اتبعهم بذكر المؤمنين وما آل اليه أمرهم (قوله وأخبتوا) من الاخبات وهو الخشوع والخضوع ويتعدى باللام والى فان عدى باللام فمعناه خشع وخضع وان عدى بالى فمعناه اطمان وسكن وقد اقتصر المفسر على هذا الثانى (قوله اولئك اصحاب الجنة) التعبير باصحاب اشارة الى ان أهل الجنة مالكون لمنازلها ملكا لا يحول ولا يزول (قوله مثل الفريقين) لما ذكر احوال الكفار وما هم عليه من الصمم والعمى عن اتباع الحق وذكر احوال المؤمنين وما هم عليه من التبصر وسماع الحق واتباعه أتبع ذلك بذكر مثل لكل فريق (قوله كالاعمى والاصم) هذا كناية عن كون الله سلبهم الانتفاع بالحق لسبق شقاوتهم فى علم الله والمراد من الاعمى والاصم ذات واحدة اتصفت بهذين الوصفين فانه هو الذى لا يقبل الهدى لمقصوده باى وجه كان ومثل ذلك يقال فى نظيره وهو البصير والسميع (قوله مثلا) تمييز محول عن الفاعل والاصل هل يستوى مثلهما (قوله لا) اشار بذلك الى ان الاستفهام انكارى

(قوله

(أفلا تذكرون) فيه ادغام التاء فى الاصل فى الذال تتعظون (ولقد أرسلنا نوحا الى (١٨١) قومه انى) أى بانى وفى قراءة بالكسر

على حذف القول (لكم نذير مبين) بين الانذار (ان) اى بان (لا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم) ان عبدتم غيره (عذاب يوم أليم) مؤلم فى الدنيا والآخرة (فقال الملأ الذين كفروا من قومه) وهم الاشراف (ما نراك الا بشرا مثلنا) ولا فضل لك علينا (وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا) أسافلنا كالحاكة والاساكفة (بادى الرأى) بالهمز وتركه اى ابتداء من غير تفكر فيك ونصبه على الظرف اى وقت حدوث اول رأيهم (وما نرى لكم علينا من فضل) فتستحقون به الاتباع منا (بل نظنكم كاذبين) فى دعوى الرسالة ادرجوا قومه معه فى الخطاب (قال يا قوم أرأيتم) أخبرونى (ان كنت على بينة) بيان (من ربى وآتانى رحمة) نبوة (من عنده فعميت) خفيت (عليكم) وفى قراءة بتشديد الميم والبناء للمفعول (أنلزمكموها) أنجبركم على قبولها (وأنتم لها كارهون) لا نقدر على ذلك (ويا قوم لا أسألكم عليه) على تبليغ الرسالة (مالا) تعطونيه (ان) ما (اجرى) ثوابى (الا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا) كما أمرتمونى (انهم ملاقو ربهم) بالبعث فيجازيهم ويأخذ لهم ممن ظلمهم وطردهم (ولكنى أراكم قوما تجهلون) عاقبة أمركم (ويا قوم من ينصرنى) يمنعنى (من الله) أى عذابه (ان طردتهم)

(قوله أفلا تذكرون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أعميتم وتركتم الهدى فلا تذكرون فهو خطاب للمشركين الذين كانوا فى زمنه صلى الله عليه وسلم (قوله فيه ادغام التاء الخ) أى والاصل تتذكرون أبدلت التاء الثانية ذالا وأدغمت فى الذال وفى قراءة سبعية بحذف احدى التاءين تخفيفا (قوله ولقد أرسلنا نوحا) جرت عادة الله فى كتابه العزيز انه اذا أقام الحجج على الكفار ووبخهم وضرب لهم الامثال يذكرهم بعض قصص الانبياء المتقدمين وأممهم لعلهم يهتدون وفى هذه السورة سبع قصص الاولى قصة نوح مع قومه الثانية قصة هود مع قومه الثالثة قصة صالح مع قومه الرابعة قصة ابراهيم مع الملائكة الخامسة قصة لوط مع قومه السادسة قصة شعيب مع قومه السابعة قصة موسى مع فرعون وذكر هذه القصص على حسب الترتيب الزمانى وتقدم ان نوحا اسمه عبد الغفار ونوح لقبه سمى بذلك لكثرة نوحه لما ورد انه رأى كلبا مجذوما فقال له اخسأ يا قبيح فأوحى الله اليه أعبتنى أم عبت الكلب فكان ذلك عتابا له فاستمر ينوح صلى الله عليه وسلم على نفسه فسمى بذلك (قوله اى بانى) أشار بذلك الى ان قراءة الفتح على اضمار حرف الجر (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية أيضا (قوله على حذف القول) اى ومتى وقعت ان بعد القول كسرت (قوله مبين) اى بين الانذار وواضحه (قوله انى أخاف عليكم) هذا فى قوة التعليل لقوله ان لا تعبدوا الا الله (قوله أليم) صفة لليوم وأسنده له مبالغة على سبيل المجاز العقلى وحق الاسناد للعذاب (قوله ما نراك الا بشرا مثلنا) اعلم انهم احتجوا عليه بثلاث حجج أولها قوله ما نراك الا بشرا مثلنا وآخرها قوله بل نظنكم كاذبين وقد أجابهم عنها اجمالا بقوله أرأيتم ان كنت على بينة من ربى الخ وتفصيلا بقوله ولا أقول لكم عندى خزائن الله الخ (قوله الا بشرا مثلنا) اى آدميا مثلنا (قوله ولا فضل لك علينا) اى لا مزية لك علينا وهذا من فرط جهلهم حيث استبعدوا فضل الله على البشر وظنوا ان الرسل لا يكونون الا من الملائكة (قوله أراذلنا) اما جمع الجمع فهو جمع أرذل بضم الذال جمع رذل بسكونها ككلب وأكلب وأكالب أو جمع المفرد وهو أرذل كأكبر وأكابر وأبطح وأباطح (قوله كالحاكة) جمع حائك وهو القزاز (قوله والاساكفة) جمع اسكاف وهو صانع النعال وهذه عادة الله فى الانبياء والاولياء ان اول من يتبعهم ضعفاء الناس لذلهم فلا يتكبرون عن الاتباع (قوله بالهمز وتركه) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله من غير تفكر فيك) اى ولو تفكروا لما اتبعوك (قوله من فضل) اى مزية من مال وغيره (قوله فى الخطاب) اى فى قوله وما نرى لكم بل نظنكم (قوله قال يا قوم) هذا خطاب فيه غاية التلطف بهم (قوله بيان) اى حجة وبرهان (قوله فعميت) اى النبوة اى خفيت عليكم (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية ايضا (قوله والبناء للمفعول) اى والاصل أعماها الله عليكم اى أخفاها فأطلق العمى وأريد لازمه وهو الخفاء لان الاعمى تخفى عليه الاشياء فلا يهتدى ولا يهدى غيره (قوله أنجبركم على قبولها) اى لا قدرة لنا على الزامكم اياها والحال انكم كارهون لها بل الايمان انما هو بالرضا والتسليم الباطنى والمعنى أخبرونى ان كنت على حجة ظاهرة من ربى وأعطانى نبوة من عنده فأخفاها عليكم أأجبركم على قبولها والايمان بها والحال انكم كارهون منكرون لها لا أستطيع ذلك بل لا قدرة لى الا على البلاغ (قوله الا على الله) اى فهو المتكفل لى بالثواب والعطايا (قوله كما أمرتمونى) اى فقد قالوا له امنع واطرد هؤلاء الاسافلة عنك ونحن نتبعك فانا نستحى ان نجلس معهم فى مجلسك وهذا كما قالت قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم كما فى سورة الانعام فنزل ردا عليهم ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية (قوله فيجازيهم) اى على ما قدموا من الاعمال الصالحة (قوله تجهلون) اى لا تحسنون خطابا

اى لا ناصرلى (افلا) فهلا (تذكرون) بادغام التاء الثانية فى الاصل فى الذال تتعظون (ولا اقول لكم عندى خزائن الله ولا
أنى (أعلم الغيب ولا اقول انى ملك) بل انا بشر مثلكم (ولا اقول للذين تزدرى) تحتقر (أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله اعلم بما فى انفسهم) قلوبهم (انى اذا) ان قلت ذلك (لمن الظالمين قالوا يانوح قد جادلتنا) خاصمتنا (فاكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا) به من العذاب (ان كنت من الصادقين) فيه (قال انما يأتيكم به الله ان شاء) تعجيله لكم فان امره اليه لا الى (وما انتم بمعجزين) بفائتين الله (ولا ينفعكم نصحى ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم) اى اغواءكم وجواب الشرط دل عليه ولا ينفعكم نصحى (هو ربكم واليه ترجعون) قال تعالى (ام) بل أ (يقولون) اى كفار مكة (افتراه) اختلق محمد القرآن (قل ان افتريته فعلى اجرامى) اثمى اى عقوبته (وانا برىء مما تجرمون) من اجرامكم فى نسبة الافتراء الى (وأوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس) تحزن (بما كانوا يفعلون) من الشرك فدعا عليهم بقوله رب لا تذر على الارض الخ فاجاب الله دعاءه وقال (واصنع الفلك) السفينة (باعيننا) بمرأى منا وحفظنا (ووحينا) امرنا

(قوله اى لا ناصرلى) اشار بذلك الى ان الاستفهام انكارى (قوله افلا تذكرون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أتأمرونى بطردهم فلا تذكرون (قوله ولا اقول لكم عندى خزائن الله) هذا رد لقولهم وما نرى لكم علينا من فضل والمراد بخزائن الله مغيباته التى لا يعلمها ولا يطلع عليها الا هو (قوله ولا أعلم الغيب) رد لقولهم وما نراك اتبعك الخ والمعنى ما قلت لكم انى اعلم الغيب فاطلع على بواطنكم (قوله ولا اقول انى ملك) رد لقولهم ما نراك الا بشرا مثلنا (قوله تزدرى) اصله تزترى فقلبت تاء الافتعال دالا (قوله لن يؤتيهم الله خيرا) اى توفيقا وهدى (قوله الله اعلم بما فى انفسهم) اى من ايمان وكفر (قوله قد جادلتنا) اى شرعت فى جدالنا (قوله به) فقدره اشارة الى ان عائد الموصول محذوف ويصح ان تكون ما مصدرية والمعنى بوعدك ايانا (قوله فيه) اى فى الوعد (قوله تعجيله) اشار بذلك الى ان مفعول شاء محذوف (قوله بفائتين الله) اى بفارين من عذابه (قوله وجواب الشرط) اى الاول وهذا مرور على مذهب البصريين القائلين ان جواب الشرط لا يتقدم عليه وجوزه الكوفيون وحينئذ يكون تقدير الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم فلا ينفعكم نصحى وذلك لان القاعدة اذا اجتمع فى الكلام شرطان وجواب يجعل الجواب للثانى والشرط الثانى وجوابه جوابا عن الاول (قوله اى كفار مكة) هذا احد قولين والثانى وعليه أكثر المفسرين ان هذه الآية من جملة قصة نوح ويكون الضمير فى افتراه عائدا على الوحى الذى جاءهم به نوح (قوله أى عقوبته) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف (قوله وأوحى) الجمهور على انه مبنى للمفعول وانه بالفتح فى تاويل مصدر نائب فاعل وقرىء شذوذا بالبناء للفاعل وانه بالكسر اما على اضمار القول اى اوحى الله الى نوح قائلا له انه الخ او بتضمين الايحاء معنى القول (قوله انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن) اى لن يستمر على الايمان الا من ثبت ايمانه وحصل فاندفع ما يقال ان فيه تحصيل الحاصل (قوله فدعا عليهم) اى بعد الياس من ايمانهم وحصول غاية المشقة له منهم فكانوا يضربونه حتى يسقط فيلفونه فى اللبد ويلقونه فى بيت يظنون موته فيخرج فى اليوم الثانى ويدعوهم الى الله وكانوا يخنقونه حتى يغشى عليه فاذا أفاق قال رب اغفر لقومى فانهم لا يعلمون وكان الوالد منهم يوصى أولاده بعدم اتباعه ويقول قد كان هذا الشيخ مع آبائنا واجدادنا هكذا مجنونا فلا يقبلون منه شيا فلما اوحى اليه بعدم ايمانهم دعا عليهم كما قال المفسر (قوله واصنع الفلك) يطلق مفردا وجمعا والمراد هنا المفرد وكان طولها ثمانين ذراعا وعرضها خمسين وطولها لجهة العلو ثلاثين ذراعا والذراع الى المنكب وهذه اشهر الروايات وقيل كان طولها ألفا ومائتى ذراع وعرضها ستمائة ذراع وقيل غير ذلك وجعلها ثلاث طبقات فالسفلى للوحوش والسباع والهوام وفى الوسطى الدواب والانعام وركب هو ومن معه فى العليا وقيل السفلى للدواب والوحوش والوسطى للانس والعليا للطير وأول ما حمله نوح الذرة وآخر ما حمل الحمار فلما اراد ان يدخل الحمار ادخل صدره فتعلق ابليس بذنبه فاستثقل رجلاه وجعل نوح يقول ويحك ادخل فينهض فلا يستطيع حتى قال له ادخل ولو كان الشيطان معك فدخل فقال له نوح ماذا ادخلك على يا عدو الله قال الم تقل ادخل وان كان الشيطان معك قال اخرج عنى يا عدو الله قال لا بد ان تحملنى معك هكذا قيل وقيل انه لم يحمله معه فى السفينة وهو الصحيح لانه لم يثبت فى حمله خبر صحيح ومكث فى صنع السفينة مائتى سنة مائة فى غرس الاشجار ومائة فى عملها وهى من خشب الساج (قوله بمرأى منا وحفظنا) دفع بذلك ما يقال ان ظاهره مستحيل لاستحالة الاعين بمعنى الجارحة المعلومة على الله * فاجيب بان اطلق الملزوم واراد اللازم لانه يلزم من كون الشىء بالاعين

(ولاتخاطبني في الذين ظلموا) كفروا بترك اهلاكهم (انهم مغرقون ويصنع الفلك) حكاية حال ماضية وكلما
مرعليه ملأ) جماعة (من قومه سخروا منه) استهزؤا به (قال ان تسخروا منافانا نسخر منكم كما تسخرون) اذا نجونا وغرقتم (فسوف تعلمون من) موصولة مفعول العلم (ياتيه عذاب يخزيه ويحل) ينزل (عليه عذاب مقيم) دائم (حتى) غاية للصنع (اذا جاء امرنا) باهلاكهم (وفار التنور) للخباز بالماء وكان ذلك علامة لنوح (قلنا احمل فيها) في السفينة (من كل زوجين) اى ذكر وانثى اى من كل انواعهما (اثنين) ذكروانثى وهو مفعول وفي القصة ان الله حشر لنوح السباع والطير وغيرهما فجعل يضرب بيديه في كل نوع فتقع يده اليمنى على الذكر واليسرى على الانثى فيحملها في السفينة (وأهلك) اى زوجته واولاده (الامن سبق عليه القول) اى منهم بالاهلاك وهو زوجته وولده كنعان بخلاف سام وحام ويافث فحملهم وزوجاتهم الثلاثة (ومن آمن وما آمن معه الاقليل) قيل كانوا ستة رجال ونساءهم وقيل جميع من كان في السفينة ثمانون نصفهم نساء (وقال) نوح (اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها) بفتح الميمين وضمهما
مصدران اى جريها ورسوها اى منتهى سيرها (ان ربي لغفور رحيم) حيث لم يهلكنا (وهي تجري بهم في موج كالجبال) في الارتفاع والعظم

انه مبالغ في حفظه (قوله ولاتخاطبني في الذين ظلموا) اى لاتراجعني في شانهم فان الهلاك لا بدلهم منه (قوله حكاية حال ماضية) اى فالمضارع بمعنى الماضي (قوله وكلما مرعليه ملأ) الجملة حالية والتقدير يصنع الفلك والحال انه كلما مرالخ استهزؤا به اى فقالوا واصرت نجارا بعدان كنت نبيا وكان يعمل السفينة في برية لاماء فيها واستهزاؤهم اما لكونهم لايعرفون السفينة ولا الانتفاع بها أو لكونهم يعرفونها غيرانهم تعجبوا من صنعه لها في ارض لاماء بها (قوله فانا نسخر منكم) أى انتم محل السخرية والاستهزاء لان من كان على امر باطل فهو احق بالاستهزاء والسخرية ولاحاجة لكون الكلام من باب المشاكلة (قوله موصولة) اى وعلم عرفانية تنصب مفعولا واحدا ويصح ان تكون استفهامية وعلم على بابها من كونها متعدية لاثنين ويكون الثاني محذوفا (قوله عذاب) اى وهو الغرق (قوله غاية للصنع) اى في قوله ويصنع الفلك (قوله وفار التنور) وكان من حجارة ورثه من امه حواء والاشهرانه كان بالكوفة على يمين الداخل مما يلي باب كندة والتنور مما اتفق فيه لغة العرب والعجم كالصابون (قوله للخباز) اى وهي امرأة نوح وكان فورانه وقت طلوع الفجر (قوله وكان ذلك) اى فوران التنور وغليانه (قوله علامة لنوح) اى على الطوفان وكان في ثالث عشرين من أبيب في شدة القيظ (قوله من كل زوجين) المراد بالزوجين كل اثنين لا يستغني أحدهما عن الآخر كالذكر والانثى ويقال لكل منهما زوج والمعنى من كل صنف زوجين ذكروأنثى قال الحسن لم يحمل نوح معه الا مايلد اويبيض واما ماسوى ذلك مما يتولد من الطين كالبق والبعوض فلم يحمل منه شيأ وروى بعضهم ان الحية والعقرب اتيا نوحا وقالا احملنا معك فقال انكما سبب البلاء فلا احملكما فقالا احملنا ونحن نضمن لك ان لانضر أحدا ذكرك فمن قرأحين يخاف مضرتهما سلام على نوح في العالمين لم يضر (قوله وهو مفعول) أى لفظ اثنين وقوله من كل زوجين حال منه مقدم عليه (قوله أى زوجته) اى التي اسلمت لانه كان له زوجتان احداهما آمنت فحملها والاخرى لم تؤمن فتركها (قوله واولاده) اى الثلاثة وزوجاتهم (قوله الامن سبق عليه القول) اى القضاء بالغرق (قوله اى منهم) اخذ هذا التقييد من سورة المؤمنون (قوله وهو زوجته) اى التي لم تؤمن واسمها واعلة وقيل واعكة وورد انه قبل مجيء الطوفان باربعين سنة اصيبوا بالعقم فلم يلدوا في تلك المدة كي لاتصيبهم الرحمة من اجل وجود الصغار بينهم (قوله بخلاف سام) وهو أبو العرب وحام ابو السودان ويافث وهو ابو الترك (قوله ثمانون) اى اثنان وسبعون من الامة وهو واولاده الثلاثة وزوجاتهم (قوله وقال اركبوا) خطاب لمن معه (قوله بسم الله مجراها ومرساها) حال من الواو في اركبوا والتقدير قائلين بسم الله الخ وبسم الله خبر مقدم وقوله مجراها ومرساها مبتدأ مؤخر روى انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا أراد أن ترسو قال بسم الله فرست (قوله بفتح الميمين) سبق قلم اذفتح مرساها شاذ فالصواب ان يقول بضم الميمين اوفتح الاولى مع ضم الثانية (قوله مصدران) راجع لكل من الفتح والضم (قوله اى جريها) هذا يناسب الفتح واما الضم فيقال في تفسيره اى اجراؤها وارساؤها (قوله كالجبال) روى ان الله ارسل المطر اربعين يوما وليلة وخرج الماء من الارض قال تعالى ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على امر قد قدر وارتفع الماء على اعلى جبل واطوله اربعين ذراعا حتى اغرق كل شيء وروى انه لما كثر الماء في السكك خافت ام صبي على ولدها من الغرق وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت به الى الجبل حتى بلغت ثلثه فلحقها الماء فارتفعت حتى بلغت ثلثيه فلما لحقها الماء ذهبت حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء الى رقبتها رفعت الصبي بيديها حتى ذهب بهما الماء فاغرقهما فلورحم الله منهم احدا لرحم أم الصبي ولا ينافي ماتقدم من أنهم اصابهم العقم اربعين سنة لجواز ان يكون هذ الولدابن

الى جبل يعصمنى) يمنعنى
(من الماء قال لا عاصم اليوم
من امر الله) عذابه (الا)
لكن (من رحم) الله فهو
المعصوم قال تعالى (وحال
بينهما الموج فكان من
المغرقين وقيل يا ارض ابلعى
ماءك) الذى نبع منك
فشربته دون ما نزل من
السماء فصار انهارا وبحارا
(ويا سماء اقلعى) امسكى
عن المطر فامسكت
(وغيض) نقص (الماء
وقضى الامر) تم امر
هلاك قوم نوح (واستوت)
وقفت السفينة (على
الجودى) جبل بالجزيرة
بقرب الموصل (وقيل بعدا)
هلاكا (للقوم الظالمين)
الكافرين (ونادى نوح
ربه فقال رب ان ابنى)
كنعان (من اهلى) وقد
وعدتنى بنجاتهم (وان
وعدك الحق) الذى لا
خلف فيه (وانت احكم
الحاكمين) اعلمهم
واعدلهم (قال) تعالى
(يا نوح انه ليس من اهلك)
الناجين او من اهل
دينك (انه) اى سؤالك
اياى بنجاته (عمل
غير صالح) فانه كافر
لا نجاة للكافرين

اكثر من اربعين (قوله ونادى نوح ابنه) اى قبل سير السفينة (قوله وكان فى معزل) الجملة حالية من ضمير ابنه وقوله يا بنى الخ هذا هو المنادى به وبنى بثلاث ياآت الاولى ياء التصغير والثانية لام الكلمة والثالثة ياء المتكلم تحركت ياء المتكلم وانفتح ماقبلها قلبت الفا فالتقى ساكنان حذفت لالتقائهما وادغمت احدى اليائين فى الاخرى فيقرأ بفتح الياء وكسرها قراءتان سبعيتان وقوله اركب معنا باظهار الباء وادغامها فى الميم سبعيتان (قوله ولا تكن مع الكافرين) اى فى البعد عن الركوب معنا ان قلت لا يخلو الحال اما ان يكون هذا الولد مسلما او كافرا فان كان مسلما فيبعده كونه فى معزل وان كان كافرا فلم عطف عليه وناداه مع علمه بكفره اجيب بانه ذكر العلماء انه كان منافقا يظهر الاسلام ويخفى الكفر فعند مجىء الطوفان اظهر ماكان يخفيه ولا مانع من كون الله يخرج الكافر من المؤمن وبالعكس وهذا الولد قيل كان من صلبه وهو الراجح وقيل ابن زوجته من نكاح غيره وقيل كان ولد خبث ولدته زوجته على فراشه ولم يعلم به وهذا القول غير وجيه لقول ابن عباس ما بغت امرأة نبى قط (قوله سآوى) اى التجىء (قوله الا من رحم) عبر المفسر بلكن اشارة الى ان الاستثناء منقطع لان ما بعد الا هو المعصوم وماقبلها هو العاصم ولا شك انه غيره (قوله وحال بينهما) اى بين نوح وابنه (قوله فكان من المغرقين) اى الهالكين بالماء وورد انه اوى الى جبل عال فدخل فى غار منه وسد على نفسه من كل جهة فغرق فى بوله وغائطه (قوله وقيل يا ارض الخ) اى امر الله الارض بذلك والمراد تعلقت قدرته بزوال الماء على حد قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وهذا القول وقع يوم عاشوراء ونزل نوح السفينة لعشر خلون من رجب فكان مكثهم فى السفينة ستة اشهر فلما نجوا صاموا جميعا حتى الطيور والوحوش يوم عاشوراء شكرا لله على النجاة ومرت السفينة بهم بالبيت الحرام فطافت به سبع مرات واودع الله الحجر الاسود فى جبل ابى قبيس وورد ان نوحا حمل اباه آدم معه فى السفينة (قوله فصار انهارا وبحارا) اى فماء السماء بقى فى اماكن من الارض انهارا وبحارا وماء الارض ابتلعته الارض فصار فى باطنها (قوله نقص) اى ولم يذهب بالكلية لما علمت من بقاء ماء السماء (قوله جبل بالجزيرة) هى مدينة بالعراق روى ان الله اوحى الى الجبال ان السفينة ترسى على واحد منها فتطاولت وبقى الجودى لم يتطاول تواضعا لله فاستوت السفينة عليه وبقيت على اعوادها وفى الحديث لقد بقى منها شىء ادركه اوائل هذه الامة وورد انهم لما خرجوا من السفينة بنوا قرية وسموها الثمانين لانهم كانوا ثمانين (قوله وقيل بعدا) منصوب على المصدر بفعل مقدر اى بعدوا بعدا فهو مصدر بمعنى الدعاء عليهم (قوله للقوم الظالمين) اى فهلكوا جميعا حتى البهائم والطيور والاطفال على القول بانهم لم يعقموا ولا يسئل عما يفعل وهذا الغرق عقوبة للمكلفين لا غيرهم قال بعضهم هذه الآية ابلغ آية فى القرآن لاحتوائها على احد وعشرين نوعا من انواع البديع والحال ان كلماتها تسعة عشر وخوطبت الارض اولا بالبلع لان الماء نبع منها اولا قبل ان تمطر السماء (قوله ونادى نوح ربه) اى قبل سير السفينة (قوله فقال) هذا تفصيل للنداء (قوله وقد وعدتنى بنجاتهم) اى المدلول عليها بقوله قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك (قوله الناجين او من اهل دينك) اشار المفسر الى ان الكلام اما على حذف الصفة او على حذف المضاف (قوله اى سؤالك) اشار بذلك الى ان الضمير فى انه عائد على نوح على حذف مضاف والمعنى قال الله يا نوح ان سؤالك عمل غير صالح اى غير مقبول لان الله لا يقبل الشفاعة الا فى المسلمين فسؤالك خطأ وذلك نظير استغفار ابراهيم لابيه وهذا غير قادح فى منصب النبوة لان نوحا كان يظن اسلام ولده لانه كان يظهره ومن المعلوم ان الرسل يحكمون بالظاهر وقيل ان الضمير

(قوله وانفتح ما قبلها) اى بحسب الآن وقوله فالتقى ساكنان اى بحسب الاصل اذ اصله بنيو بسكون الواو لان الكلمات قبل دخول العوامل موقوفة ومثل هذا كثير فى كلام الصرفيين اه

عائد

عائد على الولد ويقال فى الاخبار عنه بعمل ماقيل فى زيد عدل وهو الراجح (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية ايضا (قوله ونصب غير) اى على المفعولية لعمل (قوله بالتخفيف والتشديد) اى فعلى التخفيف تسكن اللام وعلى التشديد تفتح اللام وفى قراءة التخفيف وجهان حذف الياء واثباتها وفى قراءة التشديد ثلاث فتح النون مع حذف الياء لاغير وكسر النون مع حذف الياء واثباتها وكل هذا فى حال الوصل واما عند الوقف فلا تثبت أصلا (قوله ماليس لك به علم) اى مالا تعلم انه صواب ام لا (قوله انى اعظك ان تكون من الجاهلين) هذا العتاب فيه رفق وتلطف والمعنى كان الله يقول له ان مقامك عظيم فشانك ان لا تسال ولا تشفع الا فيمن يرجى فيه النجاة وأما فيمن تجهل قبول الشفاعة فيه فلا يليق منك ان تقدم على السؤال فيه (قوله انى اعوذ بك) اى اتحصن بك (قوله ان أسالك) اى بعد ذلك (قوله مافرط منى) اى تقدم وسلف وهو الاقدام على سؤال ماليس لى به علم وهذا لا يقتضى صدور ذنب من نوح اذ هو معصوم من الذنوب كبيرها وصغيرها لان الله وعد نوحا عليه السلام بان ينجيه واهله فاخذ نوح بظاهر اللفظ واتبع التاويل حيث ظن ان ولده من جملة اهله الناجين فلما عاتبه ربه رجع على نفسه باللوم والندم مما وقع منه وساله المغفرة والرحمة وذلك كما وقع لآدم فى الاكل من الشجرة وليست هذه ذنوبا بل هى من باب حسنات الابرار سيآت المقربين (قوله قيل يانوح اهبط بسلام) أى سلامة وامن ودخل فى هذا السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وكافرة الى يوم القيامة (قوله انزل من السفينة) ورد أنه لما نزل منها اراد ان يبعث من ياتيه بخبر الارض فقال له الدجاج انا فاخذه وختم على جناحه وقال لها انت مختومة بخاتمى لا تطيرى ابدا تنتفع بك امتى فبعث الغراب فاصاب جيفة فوقع عليها فاحتبس فلعنه ودعا عليه بالخوف فلذلك يقتل فى الحل والحرم ولا يالف البيوت وبعث الحمامة فلم تجد قرارا فوقفت على شجرة بارض سبا فحملت ورقة زيتون ورجعت الى نوح فعلم انها لم تتمكن من الارض ثم بعثها بعد ذلك فطارت حتى وقفت بوادى الحرم فاذا الماء قد ذهب من موضع الكعبة وكانت طينتها احمراء فاختضبت رجلاها ثم جاءت الى نوح فقالت بشراى منك ان تهب لى الطوق فى عنقى والخضاب فى رجلى وان اسكن الحرم فمسح يده على عنقها وطوقها ووهب لها الحمرة فى رجليها ودعا لها ولذريتها بالبركة (قوله اى من اولادهم الخ) اشار بذلك الى ان من تبعيضية والكلام على حذف مضاف والمعنى وعلى امم من ذرية من معك (قوله وامم سنمتعهم) يقال فيه ماقيل فيما قبله اى وامم من ذرية من معك سنمتعهم الخ والمعنى ان ذرية الامم الذين معه بعضها مؤمن فعليه السلام وبعضها كافر فيمتع فى الدنيا ثم يمسه العذاب الاليم فى الآخرة والذرية المذكورة لم تكن الا من اولاده الثلاثة كما تقدم فهو الاب الثانى للخلق بعد آدم (قوله تلك) مبتدأ أخبر عنه بثلاثة اخبار (قوله ما كنت تعلمها) اى تفصيلا (قوله فاصبر) هذا هو المقصود من ذكر تلك القصة اى فتسل ولا تحزن على عدم ايمان المشركين ولا تنزعج من اذاهم (قوله والى عاد) الجملة معطوفة على جملة ولقد ارسلنا نوحا الى قومه عطف قصة على قصة واخر هود لانه متاخر عن نوح فى الزمن اذ هو من اولاد سام بن نوح وبين هود ونوح ثمانمائة سنة وعاد اسم قبيلة تنسب الى ابيها عاد من ذرية سام بن نوح وهود ينسب له لانه من تلك القبيلة لان عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وهود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد وعاش هود اربعمائة سنة واربعا وستين سنة (قوله وحده) اى وسمى التوحيد عبادة لانه اساسها ورأسها (قوله مالكم من اله غيره) ما نافية ولكم خبر مقدم واله مبتدأ مؤخر وغيره صفته ومن زائدة كما قال المفسر

وفى قراءة بكسر ميم عمل فعل ونصب غير فالضمير لابنه (فلا تسالن) بالتشديد والتخفيف (ماليس لك به علم) من انجاء ابنك (انى اعظك ان تكون من الجاهلين) بسؤالك مالم تعلم (قال رب انى اعوذ بك) من (ان اسالك ماليس لى به علم والا تغفر لى) مافرط منى (وترحمنى اكن من الخاسرين قيل يانوح اهبط) انزل من السفينة (بسلام) بسلامة او بتحية (منا وبركات) خيرات (عليك وعلى امم ممن معك) فى السفينة اى من اولادهم وذرياتهم وهم المؤمنون (وامم) بالرفع ممن معك (سنمتعهم) فى الدنيا (ثم يمسهم منا عذاب اليم) فى الآخرة وهم الكفار (تلك) اى هذه الآيات المتضمنة قصة نوح (من انباء الغيب) اخبار ماغاب عنك (نوحيها اليك) يامحمد (ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا) القرآن (فاصبر) على التبليغ وأذى قومك كما صبر نوح (ان العاقبة) المحمودة (للمتقين و) ارسلنا (الى عاد اخاهم) من القبيلة (هودا قال ياقوم اعبدوا الله) وحدوه (مالكم من) زائدة (اله غيره ان) ما (أنتم) فى عبادتكم الاوثان (الا مفترون)

كاذبون على الله (ياقوم لا اسالكم عليه) على التوحيد (اجرا ان) ما (أجرى الا على الذى فطرنى) خلقنى (افلا تعقلون و ياقوم استغفروا ربكم) من الشرك (ثم توبوا) ارجعوا (اليه) بالطاعة (يرسل السماء) المطر وكانوا قد منعوه (عليكم مدرارا) كثير الدرور (و يزدكم قوة الى) مع (قوتكم) بالمال والولد (١٨٦) (ولا تتولوا مجرمين) مشركين (قالوا ياهود ماجئتنا ببينة) برهان على قولك (وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك) أى لقولك (وما نحن لك بمؤمنين ان) ما (نقول) فى شانك (الا اعتراك) أصابك (بعض آلهتنا بسوء) فخبلك لسبك اياها فانت تهذى (قال انى اشهد الله) على (واشهدوا انى برىء مما تشركون) به (من دونه فكيدونى) احتالوا فى هلاكى (جميعا) انتم وأوثانكم (ثم لا تنظرون) تمهلون (انى توكلت على الله ربى وربكم ما من) زائدة (دابة) نسمة تدب على الارض (الا هو آخذ بناصيتها) اى مالكها وقاهرها فلا نفع ولا ضرر الا باذنه وخص الناصية بالذكر لان من أخذ بناصيته يكون فى غاية الذل (ان ربى على صراط مستقيم) أى طريق الحق والعدل (فان تولوا) فيه حذف احدى التاءين اى تعرضوا (فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم و يستخلف ربى قوما غيركم ولا تضرونه شيا) باشراككم (ان ربى على كل شيء حفيظ) رقيب (ولما جاء امرنا) عذابنا (نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة) هداية (منا (ونجيناهم من عذاب غليظ) شديد (وتلك عاد) اشارة الى آثارهم أى فسيحوا فى الارض وانظروا اليها ثم وصف احوالهم فقال (جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله) جمع لان من عصى رسولا عصى جميع الرسل لاشتراكهم فى اصل ماجاؤا به وهو التوحيد (واتبعوا) اى السفلة (امر كل جبار عنيد) معاند للحق من رؤسائهم

(قوله كاذبون على الله) اى حيث ادعيتم ان لله شركاء وعبدتموهم (قوله لا اسالكم عليه أجرا) اى ليس مقصدى من تبليغ التوحيد والاحكام لكم انكم تعطونى أجرا على ذلك من مال أو غيره والمقصود من ذلك الخطاب ازاحة قلوبهم واللطف بهم عسى ان يقبلوا ماجاء به بقلب سليم وعبر هنا بأجر وفى قصة نوح بمال تفننا (قوله ان اجرى الا على الذى فطرنى) اى لانه هو المعطى المانع الضار النافع المقدم المؤخر فلا اطلب من غيره (قوله افلا تعقلون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أجهلتم وعميتم فلا تعقلون (قوله استغفروا ربكم) اى من كل ذنب مضى وقوله وتوبوا اليه أى اقلعوا واعزموا على عدم الرجوع فى المستقبل (قوله وكانوا قد منعوه) اى ثلاث سنين (قوله مدرارا) حال من السماء اى كثيرة النزول والتتابع (قوله كثير الدرور) اى فيقال در يدر درا ودرورا فهو مدرار (قوله بالمال والولد) اى وكانت قد عقمت نساؤهم ثلاثين سنة لم تلد (قوله قالوا ياهود) اى استهزاء وعنادا (قوله ببينة) اى معجزة وكانت معجزته التى قامت بها الحجة عليهم ماياتى فى قوله فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون فعصمته منهم هى معجزته وكذا معجزة نوح التى قامت بها الحجة عليهم هى قوله فاجمعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة الآية وأما الريح والطوفان وان كان كل معجزة فيهما اهلاكهم لا لاقامة الحجة عليهم (قوله برهان) اى دليل واضح على صحته (قوله اى لقولك) اشار بذلك الى ان عن بمعنى لام التعليل (قوله ان نقول) اى فى شانك (قوله فخبلك) أى أفسد عقلك (قوله لسبك) علة لقوله فخبلك (قوله فانت تهذى) اى تتكلم بالهذيان وهو الكلام الساقط الذى لا معنى له (قوله انى برىء مما تشركون) أى خالص ومتبرىء من جميع ماتشركونه مع الله (فكيدونى) باثبات الياء وصلا ووقفا هنا لجميع القراء والتى فى المرسلات بحذفها لجميعهم وأما التى فى الاعراف فمن يا آت الزوائد فتحذف وقفا و يجوز حذفها واثباتها فى الوصل (قوله ثم لا تنظرون) اى لا تؤخرون حتى آتى بشيء يحفظنى من قراءة اوسلاح أو غير ذلك وهذا من شدة وثوقه بربه واعتماده عليه (قوله انى توكلت) أى فوضت أمورى اليه واعتمدت عليه (قوله ربى وربكم) هذا تبكيت عليهم (قوله فلا نفع ولا ضرر الا باذنه) اى وانتم من جملة الدواب فليس لكم تاثير فى شيء اصلا (قوله فان تولوا) شرط حذف جوابه لدلالة قوله فقد ابلغتكم الخ عليه والتقدير فلا عذر لكم ولا مؤاخذة على فقد ابلغتكم الخ (قوله و يستخلف ربى الخ) هذا وعيد شديد مترتب على اعراضهم والمعنى فان تعرضوا عن الايمان فلا مؤاخذة على بل يقبلنى ربى ويهلككم و يستخلف غيركم ولا تضرونه شيا باعراضكم بل ماضر الا انفسكم (قوله ان ربى على كل شيء حفيظ) أى فلا تخفى عليه أحوالكم بل يجازى كل احد بعمله (قوله عذابنا) اى وهو الريح الصرصر المذكور فى قوله تعالى سخرها عليهم سبع ليال الآية فاصابهم صبيحة الاربعاء لثمان بقين من شوال وكان يدخل فى انف الواحد و يخرج من دبره فيرفعه فى الجو فيسقط على الارض فتتقطع اعضاؤه وقد تقدم بسطها فى الاعراف (قوله والذين آمنوا معه) اى وكانوا اربعة آلاف (قوله وتلك عاد) مبتدأ وخبر على حذف مضاف كما اشار له المفسر أى آثار عاد (قوله فى الارض) اى ارضهم (قوله وانظروا اليها) اى لتعتبروا وهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأمته ولكن المراد الامة (قوله لان من عصى رسولا الخ) جواب عما يقال لم جمع الرسل مع انهم عصوا رسولا واحدا وهو هود (قوله عنيد) اى

معاند

معاند متجاوز فى الظلم (قوله لعنة) اى طردا و بعدا (قوله و يوم القيامة لعنة) اى طردا عن رحمة الله وهى الجنة ومافيها لاتصافهم بالشقاوة الدائمة الموجبة للخلود فى النار (قوله ألا ان عادا كفروا ربهم) هذا بيان لسبب استحقاقهم للعنتين (قوله ألا بعدا لعاد) هذا هو معنى قوله واتبعوا فى هذه الدنيا لعنة و يوم القيامة وذكرتا تأكيدا واشارة الى انهم مستحقون لذلك (قوله قوم هود) بدل من عاد واحترز به عن عاد الثانية المسماة بثمود وهى قوم صالح الآتية قصتهم بعد (قوله والى ثمود) عطف على قوله ولقد ارسلنا نوحا عطف قصة على قصة وقدر المفسر ارسلنا اشارة الى ان قوله ارسلنا الاول مسلط عليه فهو من عطف الجمل وثمود هنا بمنع الصرف باتفاق القراء العشرة وقرئ شاذا بالصرف بخلاف ما يأتى فى قوله ألا ان ثمودا كفروا ربهم ألا بعدا لثمود فبالصرف وعدمه قراءتان سبعيتان وثمود اسم ابى القبيلة سميت باسمه لشهرته و بين صالح و بينه خمسة اجداد و بين صالح وهود مائة سنة وعاش صالح مائتى سنة وثمانين سنة (قوله هو انشأكم) هذا دليل على كونه هو المستحق للعبادة دون غيره (قوله من الارض) اى مباشرة او بواسطة فالاول كخلق ابينا آدم منها والثانى كخلق مواد النطف التى منها النوع الانسانى (قوله جعلكم عمارا تسكنون بها) اى خلفاء فى الارض و يصح ان يكون المعنى جعلكم معمرين لها بعد ان خربت (قوله فاستغفروه) اى من الذنوب التى مضت (قوله ثم توبوا اليه) اى اقلعوا عن الذنوب فى المستقبل (قوله بعلمه) اى فالمراد قرب مكانة ورفعة والمعنى ان الله قريب من خلقه قربا معنويا منزها عن الاحاطة والجهة فهو اقرب من نور العين لها ومن سمع الاذن لها ومن لمس الجسم له ومن شم الانف له سبحانه وتعالى (قوله مجيب) اى فلا يخيب سائلا (قوله نرجو ان تكون سيدا) اى لانه كان يعين ضعيفهم و يعطى فقيرهم وكانوا يرجعون اليه فى الامور قبل تلك المقالة فلما حصلت قالوا انقطع رجاؤنا فيك (قوله الذى صدر منك) اى وهو نهيهم عن عبادة الاوثان (قوله اتنهانا ان نعبد) اى اتنهانا عن عبادة الذى كان يعبده آباؤنا وقوله من الاوثان بيان لما (قوله وانا) هذا هو الاصل و يصح وانا بنون واحدة مشددة ولذا قرئ به فى سورة ابراهيم (قوله مريب) وصف لشك والاسناد مجازى وحق الاسناد لصاحبه (قوله موقع فى الريب) اى الدائم (قوله أرأيتم) اى أخبرونى (قوله ان كنت على بينة) أتى بان مشاكلة لاعتقادهم فيه ومسايرة لخطابهم (قوله بيان) اى برهان وحجة واضحة (قوله اى عذابه) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف (قوله ان عصيته) اى على فرض وقوع المعصية منى والا فهى مستحيلة عليه كبيرها وصغيرها قبل النبوة و بعدها (قوله بامركم لى بذلك) اى بعصيانه وموافقتكم (قوله تضليل) اى لى ان اتبعتكم والمعنى أخبرونى ان كنت على بينة ونبوة من ربى فلا احد يمنعنى من عذاب الله ان اتبعتكم وعصيته وحينئذ أكون خاسرا مضيعا لما اعطانى الله من الحق وهل رأيتم نبيا صار كافرا وكل هذا تنزل منه لهم (قوله هذه ناقة الله) اى وقد طلبوا منه ان يخرج لهم ناقة من صخرة عينوها حيث قالوا اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة و براء عشراء فدعا الله فتمخضت الصخرة كما تتمخض النساء عند الولادة فخرجت منها ناقة كما وصفوا فولدت الناقة فى الحال فصيلا قدرها فى الجثة يشبهها وأضيفت الناقة لله تشريفا أى لا اختصاص لاحد بها (قوله تأكل فى أرض الله) أى من العشب والنبات وفى الكلام اكتفاء اى وتشرب من ماء الله على حد سرابيل تقيكم الحر اى والبرد (قوله قريب) اى عاجل لا يتأخر عنهم الا ثلاثة ايام (قوله عقرها قدار) اى ابن سالف حيث ضربها فى رجليها فذبحوها واقتسموا لحمها وقدار هذا من اشقى الاشقياء (قوله فى داركم) اى ارضكم (قوله ثلاثة ايام) والحكمة فى ذلك بقاء الفصيل ينوح على امه ثلاثة ايام ثم

(واتبعوا فى هذه الدنيا لعنة) من الناس (و يوم القيامة) لعنة على رؤس الخلائق (ألا ان عادا كفروا) جحدوا (ربهم ألا بعدا) من رحمة الله (لعاد قوم هود و) أرسلنا (الى ثمود أخاهم) من القبيلة (صالحا قال ياقوم اعبدوا الله) وحدوه (مالكم من اله غيره هو أنشأكم) ابتدأ خلقكم (من الارض) بخلق أبيكم آدم منها (واستعمركم فيها) جعلكم عمارا تسكنون بها (فاستغفروه) من الشرك (ثم توبوا) ارجعوا (اليه) بالطاعة (ان ربى قريب) من خلقه بعلمه (مجيب) لمن سأله (قالوا ياصالح قد كنت فينا مرجوا) نرجو ان تكون سيدا (قبل هذا) الذى صدر منك (أتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا) من الاوثان (وانا لفى شك مما تدعونا اليه) من التوحيد (مريب) موقع فى الريب (قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة) بيان (من ربى وآتانى منه رحمة) نبوة (فمن ينصرنى) يمنعنى (من الله) اى عذابه (ان عصيته فما تزيدوننى) بامركم لى بذلك (غير تخسير) تضليل (وياقوم هذه ناقة الله لكم آية) حال عاملها الاشارة (فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء) عقر (فيأخذكم عذاب قريب) ان عقرتموها (فعقروها) عقرها قدار بامرهم (فقال) صالح (تمتعوا) عيشوا (فى داركم ثلاثة ايام) ثم تهلكون (ذلك وعد

غير مكذوب) فيه (فلما جاء امرنا) باهلاكهم (نجينا صالحا والذين آمنوا معه) وهم اربعة آلاف (برحمة منا و) نجيناهم (من خزي يومئذ) بكسر الميم اعرابا وفتحها بناء لاضافته الى مبني وهو الاكثر (ان ربك هو القوي العزيز) الغالب (واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين) باركين على الركب ميتين (كان) مخففة واسمها محذوف اي كانهم (لم يغنوا) يقيموا (فيها) في دارهم (الا ان ثمود كفروا ربهم الا بعدا لثمود) بالصرف وتركه على معنى الحي والقبيلة (ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) باسحق ويعقوب بعده (قالوا سلاما) مصدر (قال سلام) عليكم (فما لبث ان جاء بعجل حنيذ) مشوي (فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم) بمعنى انكرهم (واوجس) اضمر في نفسه (منهم خيفة) خوفا (قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط) لنهلكهم (وامراته) اي امراة ابراهيم

فتحت له الصخرة ودخل فيها قالوا وما العلامة قال تصبحون في اليوم الاول وجوهكم مصفرة وفي اليوم الثاني وجوهكم محمرة وفي اليوم الثالث وجوهكم مسودة (قوله غير مكذوب فيه) اشار المفسر بتقدير فيه الى انه من باب الحذف والايصال (قوله برحمة منا) اي وهي الايمان (قوله من خزي يومئذ) اي يوم اهلاكهم بالصيحة (قوله لاضافته الى مبني) اي فهي من اسباب البناء (قوله وهو الاكثر) اي عربية واما في القراءة فمستويان (قوله واخذ الذين ظلموا) حذفت تاء التانيث من الفعل اما لكون المؤنث مجازيا كما يقال طلع الشمس اوللفصل بالمفعول كاتى القاضي بنت الواقف (قوله الصيحة) اي مع الزلزلة فتقطعت قلوبهم والمراد صيحة جبريل عليهم من السماء فسمعوا فيها صوت كل شيء فما تواجبوا (قوله ألا بعدا) اي طردا وابعادا عن رحمة الله فقد نزعوا من دائرة الحلم والرحمة (قوله بالصرف وتركه) اي فهما قراءتان سبعيتان (قوله على معنى الحي) راجع للصرف وقوله والقبيلة راجع لتركه فهو لف ونشر مرتب وقد تقدم بسط تلك القصة في الاعراف (قوله ولقد جاءت رسلنا) اتى هنا بقصة ابراهيم توطئة لقصة لوط لا استقلالا لان الهلاك هنا لم يكن لقوم ابراهيم ولذا غاير الاسلوب فلم يقل وارسلنا ابراهيم الى قومه مثلا ورسلنا بضم السين واسكانها قراءتان سبعيتان في جميع القرآن متى اضيفت رسل للضمير فان اضيفت للظاهر قرئ بضم السين لا غير واختلف في عدة الرسل الذين جاؤه فمن ابن عباس ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل وقيل تسعة وقيل اثنا عشر وقيل غير ذلك وعاش ابراهيم من العمر مائة وخمسا وسبعين سنة وبينه وبين نوح الفا سنة وستمائة واربعون سنة وابنه اسحق عاش مائة وثمانين سنة ويعقوب بن اسحق عاش مائة وسبعا واربعين سنة (قوله بالبشرى) هي الخبر السار سميت بذلك لانبساط البشرة عند حصولها (قوله باسحاق ويعقوب بعده) افاد المفسر ان المراد بالبشرى هنا هي ما ياتي في قوله فبشرناها باسحاق الخ ويحتمل ان المراد بقوله هنا بالبشرى ما هو اعم من ذلك فيشمل بشراه بنجاة لوط وهلاك الكافرين وغير ذلك (قوله قالوا سلاما) هذه تحيتهم الواقعة منهم وهو منصوب بفعله المحذوف والتقدير سلمنا عليك سلاما (قوله مصدر) اي نائب عن لفظ الفعل (قوله قال سلام) انما اتى ابراهيم بالجملة الاسمية في الرد لتفيد الدوام والثبوت فيكون الرد احسن من الابتداء لان الجملة الاسمية اشرف من الفعلية وقوله عليكم قدره المفسر اشارة الى ان سلام مبتدأ والخبر محذوف والمسوغ للابتداء بالنكرة التعظيم على حد شر أهر ذا ناب اوالدعاء (قوله فما لبث ان جاء بعجل) ما نافية ولبث فعل ماض وان جاء في تاويل مصدر فاعل والمعنى لم يتاخر مجيئه بعجل حنيذ (قوله مشوي) اي على الحجارة المحماة في حفرة في الارض وهو من فعل اهل البادية وكان سمينا يسيل منه الودك كما في آية الذاريات وكان عامة مال ابراهيم البقر (قوله فلما رأى ايديهم) هذا مرتب على محذوف كما في الآية الاخرى فقربه اليهم فقال الا تاكلون فلما رأى الخ في بعض الروايات قالوا لا نأكل طعاما الا بثمن قال فان له ثمنا قالوا وما ثمنه قال تذكرون اسم الله على اوله وتحمدونه على آخره فنظر جبريل الى ميكائيل قال وحق لهذا ان يتخذه ربه خليلا (قوله خوفا) اي من اجل امتناعهم من طعامه فخاف منهم الخيانة على عادة الخائن انه لا ياكل طعام من اراد خيانته ان قلت كيف يخاف ابراهيم منهم مع كونه خليل الرحمن وهم محصورون في بيته اجيب بان خوفه لما راى فيهم من جلال الله وهيبته فخوفه من ربه لا من ذواتهم (قوله قالوا لا تخف) اي جوابا لقوله لهم كما في سورة الحجر انا منكم وجلون (قوله الى قوم لوط) اي وهو ابن اخي ابراهيم الخليل وهو اول من آمن به وابوه هاران اخو ابراهيم (قوله لنهلكهم) اخذ هذا المقدر

سارة (قائمة) تخدمهم (فضحكت) استبشارا بهلاكهم (فبشرناها باسحق ومن وراء) بعد (اسحق يعقوب) ولده تعيش الى ان تراه (قالت يا ويلتى) كلمة تقال عند امر عظيم والالف مبدلة من ياء الاضافة (أألد وانا عجوز) لى تسع وتسعون سنة (وهذا بعلى شيخا) له مائة او وعشرون سنة ونصبه على الحال والعامل فيه ما فى ذا من الاشارة (ان هذا لشيء عجيب) ان يولد ولد لهرمين (قالوا اتعجبين من امر الله) قدرته (رحمت الله وبركاته عليكم) يا (اهل البيت) بيت ابراهيم (انه حميد) محمود (مجيد) كريم (فلما ذهب عن ابراهيم الروع) الخوف (وجاءته البشرى) بالولد اخذ (يجادلنا) يجادل رسلنا (فى) شان (قوم لوط ان ابراهيم لحليم) كثير الاناة (اواه منيب) رجاع فقال لهم اتهلكون قرية فيها ثلثمائة مؤمن قالوا لا قال افتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن قالوا لا قال افتهلكون قرية فيها اربعون مؤمنا قالوا لا قال افتهلكون قرية فيها اربعة عشر مؤمنا قالوا لا قال افرايتم ان كان فيها مؤمن واحد قالوا لا قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها الخ فلما اطال مجادلتهم قالوا (يا ابراهيم اعرض عن هذا) الجدال (انه قد جاء امر ربك) بهلاكهم (وانهم آتيهم عذاب غير مردود ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم) حزن بسببهم (وضاق بهم ذرعا) صدرا لانهم حسان الوجوه فى صورة اضياف

من قوله فى سورة الذاريات لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة الخ (قوله سارة) بالتخفيف والتشديد وهى بنت عمه (قوله تخدمهم) اى على عادة نساء العرب لا يتحاشون خدمة الضيوف (قوله فضحكت) فى سبب ذلك الضحك أقوال قيل للبشرى بهلاك قوم لوط كما قال المفسر وقيل من خوف ابراهيم وهو فى خدمه وحشمه وقيل سرورا بالولد وقيل تعجبا من اتيان الولد على كبر وقيل لموافقة مجيء الملائكة بهلاك قوم لوط لما قالته لابراهيم فانها قالت له قبل مجيء الملائكة اضمم اليك ابن اخيك لوطا فان العذاب نازل بقومه وقيل غير ذلك (قوله فبشرناها) انما نسبت البشارة لها دونه لانها كانت اشوق منه الى الولد لانه لم يأتها ولد قط بخلافه هو فقد اتاه اسمعيل قبل اسحق بثلاثة عشر سنة (قوله باسحق) ولد بعد البشارة بسنة فاسمعيل اسن منه باربعة عشر سنة (قوله يعقوب) بالرفع والنصب قراءتان سبعيتان (قوله كلمة تقال) أى على سبيل التعجب من مخالفة العادة لا من قدرة الله فان ذلك كفر حاشاها منه (قوله عند أمر عظيم) أى خيرا كان أو شرا ولكن المراد هنا الخير (قوله والالف مبدلة من ياء الاضافة) أى فيقال فى اعرابها ويلتى منادى منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المنقلبة الفا منع من ظهورها اشتغال المحل بالفتحة النائبة عن الكسرة لمناسبة الالف وويلتى مضاف والالف مضاف اليه مبنى على السكون فى محل جر وترسم بالياء وتقرأ بالالف والامالة (قوله وهذا بعلى) سمى الزوج بذلك لان البعل هو المستعلى على غيره ولا شك أن الزوج مستعل على المرأة قائم بامورها (قوله رحمة الله وبركاته) هذا دعاء من الملائكة لهم (قوله اهل البيت) أشار المفسر بتقدير يا الى أن أهل البيت منصوب على النداء ويصح أن يكون منصوبا على الاختصاص (قوله حميد) أى كثير الحمد (قوله مجيد) أى عظيم شريف (قوله فلما ذهب) جوابها محذوف قدره المفسر بقوله أخذ (قوله وجاءته البشرى) أى بعد الروع (قوله يجادل رسلنا) أشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف (قوله ان ابراهيم لحليم) اى فالحامل له على المجادلة حلمه ورقة قلبه فغرضه تاخير العذاب عنهم لعلهم يؤمنون ويرجعون عما هم عليه من القبائح (قوله كثير الاناة) اى التانى فى الامور وعدم العجلة (قوله اواه) فى تفسيره اقوال كثيرة تقدم بعضها فى سورة براءة (قوله فقال لهم) هذه صورة المجادلة والحاصل انه سالهم خمسة اسئلة واجابوه عنها (قوله الى آخره) اى الى آخر ما فى سورة العنكبوت (قوله امر ربك) اى قضاؤه وحكمه (قوله غير مردود) اى غير مصروف عنهم فانه قضاء مبرم لا محيص عنه (قوله ولما جاءت رسلنا) اى الملائكة الذين كانوا عند ابراهيم والمعنى انهم ارتحلوا من عند ابراهيم حتى اتوا قرية لوط وتسمى سدوم بلد بحمص وبينها وبين الخليل اربعة فراسخ نصف النهار فوجدوا لوطا يعمل فى ارض له وقيل كان يحتطب وقد قال الله للملائكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فاستضافوه فانطلق بهم فلما مشى بهم ساعة قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرها قال اشهد بالله انها لشر قرية فى الارض عملا قال ذلك اربع مرات فمضوا معه حتى دخلوا منزله وقيل انه مر مع الملائكة على جماعة من قومه فتغامزوا فيما بينهم فقال لوط ان قومى شر خلق الله فقال جبريل هذه واحدة فمر على جماعة اخرى فتغامزوا فقال مثله ثم مر على جماعة اخرى ففعلوا ذلك فقال لوط مثل ما قال اولا حتى قال ذلك اربع مرات وكلما قال لوط هذا القول قال جبريل للملائكة اشهدوا وقيل ان الملائكة جاؤا الى بيت لوط فوجدوه فى داره فدخلوا عليه ولم يعلم احد بمجيئهم الا اهل بيت لوط فخرجت امرأته الخبيثة فاخبرت قومها وقالت ان فى بيت لوط رجالا ما رايت مثل وجوههم قط ولا احسن منهم (قوله وضاق بهم ذرعا) الاصل فيه ان البعير يذرع بيديه فى سيره ذرعا على قدر سعة خطوته فاذا حمل عليه ضعف

نخاف عليهم قومه (وقال هذا يوم عصيب) شديد (وجاءه قومه) لما علموا بهم (يهرعون) يسرعون (اليه ومن قبل) قبل مجيئهم (كانوا يعملون السيآت) وهي اتيان الرجال في الادبار (قال) لوط (ياقوم هؤلاء بناتي) فتزوجوهن (هن اطهر لكم فاتقوا الله ولاتخزون) تفضحوني (في ضيفي) اضيافي (اليس منكم رجل رشيد) يامر بالمعروف وينهى عن المنكر (قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق) حاجة (وانك لتعلم ما نريد) من اتيان الرجال (قال لو ان لي بكم قوة) طاقة (او آوي الى ركن شديد) عشيرة تنصرني لبطشت بكم فلما رات الملائكة ذلك (قالوا يالوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك) بسوء (فاسر باهلك بقطع) طائفة (من الليل ولا يلتفت منكم احد) لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم (الا امراتك) بالرفع بدل من احد وفي قراءة بالنصب استثناء من الاهل اي فلا تسر بها (انه مصيبها ما اصابهم) فقيل لم يخرج بها وقيل خرجت والتفتت فقالت واقوماه فجاءها حجر فقتلها وسالهم عن وقت هلاكهم فقالوا (ان موعدهم الصبح) فقال اريد اعجل من ذلك قالوا (اليس الصبح بقريب فلما جاء امرنا) باهلاكهم (جعلنا عاليها) اي قراهم (سافلها) اي بان رفعها جبريل الى السماء واسقطها مقلوبة الى الارض (وامطرنا عليها حجارة من سجيل) طين طبخ بالنار (منضود) متتابع (مسومة) معلمة عليها اسم من يرمى بها (عند ربك) ظرف لها (وماهي) الحجارة او بلادهم (من الظالمين) اي أهل مكة (ببعيد

ومد عنقه وضاق ذرعه فاطلق الذرع واريد منه الصدر فالمراد ضاق صدره لعدم الخلاص من ذلك المكروه (قوله فنخاف عليهم قومه) منصوب بنزع الخافض أي من قومه (قوله عصيب) ماخوذ من العصب وهو الشدة ومنه العصابة التي يشد بها الراس (قوله لما علموا بهم) اي اما لانهم رأوهم مع لوط في الطريق او أعلمتهم زوجته (قوله يهرعون) أي يسوق بعضهم بعضا (قوله كانوا يعملون السيئات) أي فلا حياء عندهم منها لاعتيادهم لها (قوله قال ياقوم) هذا الخطاب وقع من لوط وهم خارج الباب (قوله هؤلاء بناتي فتزوجوهن) أي وكان في شرعه يجوز تزوج الكافر بالمسلمة وقيل عرض بناته عليهم بشرط الاسلام وقيل قال ذلك لتخليص أضيافه لا لاباحة تزويجهم بهن لعلمهم اذا رأوه قد فدى أضيافه ببناته ينزجروا ويرتدعوا او يتركوا هذا الامر وقيل المراد ببناته نساء قومه وأضافهن اليه لان كل نبي لقومه كالاب لاولاده في الشفقة واللطف بهم (قوله هن اطهر لكم) ان قلت ان تلك الفعلة لا طهارة فيها أجيب بان افعل التفضيل ليس على بابه نظير قوله تعالى أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم (قوله تفضحون) اي تعيبوني (قوله في ضيفي) اي في شانه (قوله أليس منكم) استفهام توبيخ (قوله قال لو أن لي بكم قوة) اي لو ثبت أن لي بكم قوة أو أني آوي وجواب لو محذوف قدره المفسر بقوله لبطشت بكم وانما قال ذلك لانه لم يكن من قومه نسبا بل كان غريبا فيهم لانه كان اولا بالعراق مع ابراهيم بيابل فهاجر الى الشام بامر من الله فنزل ابراهيم بارض فلسطين ونزل لوط بالاردن فارسله الى أهل سدوم فمن ذلك الوقت لم يرسل الله رسولا الا من قومه (قوله قالوا يالوط انا رسل ربك) اي فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب ودخلوا فاستاذن جبريل ربه في عقوبتهم فاذن له فتحول الى صورته التي يكون فيها ونشر جناحيه فضرب بهما وجوههم فاعماهم وطمس اعينهم حتى ساوت وجوههم فصاروا لا يعرفون الطريق فانصرفوا وهم يقولون النجاة النجاة في بيت لوط سحرة قد سحرونا يالوط سترى منا غدا ماترى (قوله فاسر) بقطع الهمزة ووصلها وفعله أسرى وسرى وهما قراءتان سبعيتان (قوله باهلك) اي وهم بنتاه فخرجوا وطوى الله لهم الارض حتى وصلوا الى ابراهيم في وقته (قوله بقطع) الباء للمصاحبة والمعنى نصف الليل (قوله ولا يلتفت منكم) خطاب له ولبنتيه (قوله بالرفع) بدل من أحد اي والمعنى ولا يلتفت منكم احدا لا امرأتك فانها تلتفت (قوله وفي قراءة) اي وهي سبعية أيضا (قوله فقيل لم يخرج بها) راجع لقراءة الرفع (قوله وقيل خرجت والتفتت) راجع لقراءة النصب (قوله بان رفعها جبريل الى السماء) اي بان أدخل جناحيه تحتها وهي خمس مدائن اكبرها سدوم وهي المؤتفكات المذكورة في سورة براءة ويقال كان فيها اربعة آلاف الف فرفع جبريل المدن كلها حتى سمع اهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب ولم ينكب لهم آناء ولم ينتبه لهم نائم ثم قلبها (قوله وامطرنا عليها) اي على أهلها الخارجين عنها في الاسفار وغيرها وقيل على القرى بعد قلبها فمن جملة ماوقع ان رجلا منهم كان في الحرم فجاءه حجر ووقف في الهواء اربعين يوما ينتظر ذلك الرجل حتى خرج من الحرم فسقط عليه فقتله (قوله فتتابع) اي في النزول (قوله عليها اسم من يرمى بها) اي مكتوب على كل حجر اسم صاحبه الذي يرمى به (قوله الحجارة او بلادهم) هذان تفسيران في مرجع الضمير قيل يعود على الحجارة لانها اقرب مذكور وقيل يعود على القرى المهلكة وعلى الاول فهو وعيد عظيم لكل ظالم من هذه الامة ففي الحديث سال رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عن المراد بالظالمين فقال له جبريل يعني ظالمي امتك مامن ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة (قوله ببعيد) اي بمكان بعيد بل بمكان قريب يمرون عليها في اسفارهم

و) ارسلنا (الى مدين اخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله) وحدوه (مالكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان انى أراكم بخير) نعمة تغنيكم عن التطفيف (وانى اخاف عليكم) ان لم تؤمنوا (عذاب يوم محيط) بكم يهلككم ووصف اليوم به مجاز لوقوعه فيه (وياقوم أوفوا المكيال والميزان) أتموهما (بالقسط) بالعدل (ولا تبخسوا الناس اشياءهم) لاتنقصوهم من حقهم شيا (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) بالقتل وغيره من عثى بكسر المثلثة افسدو مفسدين حال مؤكدة لمعنى عاملها تعثوا (بقيت الله) رزقه الباقى لكم بعد ايفاء الكيل والوزن (خير لكم) من البخس (ان كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ) رقيب اجازيكم باعمالكم انما بعثت نذيرا (قالوا) له استهزاء (ياشعيب أصلواتك امرك) بتكليف (ان نترك ما يعبد آباؤنا) من الاصنام (أو) نترك (أن نفعل فى اموالنا ما نشاء) المعنى هذا أمر باطل لا يدعوا اليه داع بخير (انك لانت الحليم الرشيد) قالوا ذلك استهزاء (قال ياقوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربى ورزقنى منه رزقا حسنا) حلالا افاشوبه بالحرام من البخس والتطفيف (وما أريد ان اخالفكم) واذهب (الى ما أنهاكم عنه) فارتكبه (ان) ما (اريد الا الاصلاح) لكم بالعدل (ما استطعت وما توفيقى) قدرتى على ذلك وغيره من الطاعات (الا بالله عليه توكلت واليه انيب) ارجع (وياقوم لا يجرمنكم) يكسبنكم (شقاقى) خلافى فاعل يجرم والضمير مفعول اول والثانى (ان يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح اوقوم هودا وقوم صالح)من العذاب (وما قوم لوط) اى منازلهم اوزمن هلاكهم (منكم ببعيد) فاعتبروا (واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربى رحيم) بالمؤمنين (ودود) محب لهم (قالوا) ايذانا بقلة المبالاة (ياشعيب ما نفقه) نفهم (كثيرا مما تقول وانا لنراك فينا

(قوله والى مدين) معطوف على قوله ولقد ارسلنا نوحا عطف قصة على قصة ومدين اسم قبيلة سميت باسم جدهم مدين بن ابراهيم ويسمى شعيب خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه (قوله اخاهم شعيبا) أى فى النسب لا الدين لانه ابن ميكائيل بن يشجر بن مدين بن ابراهيم (قوله اعبدوا الله) امرهم بالتوحيد اولا لانه اهم الاشياء واصلها وغيره فرع فاذا صلح الاصل صلح الفرع (قوله ولا تنقصوا المكيال والميزان) نقص يتعدى لمفعولين فالمفعول الاول قوله المكيال والميزان والمفعول الثانى محذوف تقديره شيئا والمعنى لا تنقصوهما شيئا اصلا عند الاخذ ولا عند الدفع فنقصهما عند الدفع ظاهر ونقصهما عند الاخذ بان يزيد على حقه فى المبيع وهو فى الحقيقة نقص من الثمن قال تعالى ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم اووزنوهم يخسرون (قوله انى اراكم بخير) اى فاقنعوا بما اعطاكم الله ولا تطففوا الكيل والميزان (قوله ووصف اليوم به) اى بقوله محيط (قوله مجاز) اى عقلى فى الاسناد للزمان (قوله ولا تبخسوا) كرر ذلك ثلاث مرات اولها قوله ولا تنقصوا المكيال والميزان وثانيها قوله وياقوم اوفوا المكيال والميزان وثالثها قوله ولا تبخسوا الناس اشياءهم تاكيدا لكونهم مصرين على ذلك العمل القبيح منهمكين فيه (قوله اشياءهم) أى اموالهم ودخل فى ذلك من يسوم السلع وينقص قيمتها وهو مشهور تقتدى به الناس فالواجب اعطاء كل سلعة قيمتها واعطاء كل ذى حق حقه وحينئذ فهو عطف عام على خاص (قوله ولا تعثوا فى الارض مفسدين) هذا اعم مما قبله والمعنى لا تكونوا من المفسدين فى الارض بالمعاصي بل كونوا مصلحين لدينكم ودنياكم (قوله بقيت الله) ترسم بالتاء المجرورة وعند الوقف عليها للاضطرار يجوز بالتاء المجرورة أو المربوطة وليس فى القرآن غيرها (قوله خير لكم) اى لوجود البركة فيه (قوله ان كنتم مؤمنين) اى مصدقين بما امرتكم به ونهيتكم عنه وهو شرط حذف جوابه لدلالة ماقبله عليه اى فارضوا بما قسم الله لكم من الحلال (قوله وما انا عليكم بحفيظ) اى حافظ لكم من القبائح ولا حافظ عليكم النعم انما انا مبلغ لكم الاحكام (قوله ياشعيب) خاطبوه باسمه من غير اقتران بالتعظيم لقباحتهم وسوء فعلهم (قوله اصلواتك تامرك) اى وكان كثير الصلاة وقيل المراد بها الدين وخصت بالذكر لانها اعظم الشعائر (قوله بتكليف) قدره دفعا لما يقال ان الترك من وصفهم وفعلهم لا فعل شعيب والانسان يؤمر بفعل نفسه لا فعل غيره (قوله من الاصنام) بيان لما (قوله أو ان نفعل) قدر المفسر نترك اشارة الى انه معطوف على ما يعبد آباؤنا (قوله قالوا ذلك استهزاء الخ) اى او ارادوا السفيه الغاوى من باب تسمية الاضداد اضدادا والمراد الحليم الرشيد فى زعمك (قوله ارأيتم) اى اخبرونى (قوله على بينة) اى نبوة وصدق (قوله افاشوبه) اى اخلطه (قوله من البخس والتطفيف) بيان للحرام (قوله وما اريد ان اخالفكم) اى فانا آمركم بما آمر به نفسي وليس قصدى ان انهاكم عن شئ وافعله (قوله ما استطعت) اى مدة استطاعتى (قوله وما توفيقى) اى وما كونى موفقا (قوله عليه توكلت) اى فوضت امورى اليه (قوله يكسبنكم) اى فهو متعد لمفعولين الاول الضمير والثانى أن وما دخلت عليه والمعنى لا يكن شقاقى مكسبا لكم اصابة مثل ما ذكر فلا تستمروا على مخالفتى حتى يصيبكم بسبب تلك المخالفة مثل ما اصاب الخ (قوله اى منازلهم) اى لانهم كانوا مجاورين لقوم لوط و بلادهم قريبة من بلادهم وقوله اوزمن هلاكهم اى فقد كان زمن هلاك قوم لوط قريبا من قوم شعيب (قوله واستغفروا ربكم) اى اطلبوا منه المغفرة لذنوبكم (قوله ثم توبوا اليه) ى ارجعوا اليه بفعل الطاعات (قوله ودود)

ضعيفا) ذليلا (ولولا رهطك) عشيرتك (لرجمناك) بالحجارة (وما انت علينا بعزيز) كريم من الرجم وانما رهطك هم الأعزة (قال ياقوم ارهطى اعز عليكم من الله) فتتركوا قتلى لاجلهم ولا تحفظونى لله (واتخذتموه) اى الله (وراءكم ظهريا) منبوذا خلف ظهوركم لا تراقبونه (ان ربى بما تعملون محيط) علما فيجازيكم (١٩٢) (وياقوم اعملوا على مكانتكم) حالتكم (انى عامل) على حالتى (سوف تعلمون من) موصولة مفعول العلم (ياتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا) انتظروا عاقبة امركم (انى معكم رقيب) منتظر (ولما جاء أمرنا) باهلاكهم (نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة) صاح جبريل (فاصبحوا فى ديارهم جاثمين) باركين على الركب ميتين (كان) مخففة اى كانهم (لم يغنوا) يقيموا (فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود ولقد ارسلنا موسي بآياتنا وسلطان مبين) برهان بين ظاهر (الى فرعون وملائه فاتبعوا أمر فرعون وما امر فرعون برشيد) سديد (يقدم) يتقدم (قومه يوم القيامة) فيتبعونه كما اتبعوه فى الدنيا (فاوردهم) ادخلهم (النار وبئس الورد المورود) هى (واتبعوا فى هذه) اى الدنيا (لعنة ويوم القيامة) لعنة (بئس الرفد) العون (المرفود) رفدهم (ذلك) المذكور مبتدا خبره (من انباء القرى نقصه عليك) يا محمد (منها) اى القرى (قائم) هلك اهله دونه (و) منها (حصيد) هلك باهله فلا اثر له كالزرع المحصود بالمناجل (وماظلمناهم) باهلاكهم بغير ذنب (ولكن ظلموا انفسهم) بالشرك (فما اغنت) دفعت (عنهم آلهتهم التى يدعون) يعبدون (من دون الله) اى غيره (من) زائدة (شيء لما جاء امر ربك) عذابه (وما زادوهم) بعبادتهم لها (غير تتبيب) تخسير (وكذلك) مثل ذلك الاخذ (اخذ ربك اذا اخذ القرى) اريد اهلها (وهى ظالمة) بالذنوب اى فلا يغنى عنهم من اخذه شيء

قوله

صيغة مبالغة اما بمعنى فاعل اى محب لهم كما قال المفسر او بمعنى مفعول اى ان عباده يحبونه ويمتثلون اوامره ويجتنبون نواهيه (قوله ضعيفا) اى لا قوة لك (قوله لرجمناك) اى رميناك بالحجارة وقيل المعنى لشتمناك واغلظنا عليك بالقول (قوله هم الاعزة) اى لو وافقتهم لهم فى الدين (قوله ظهريا) منسوب للظهر والكسر من تغييرات النسب والقياس فتح الظاء والهاء مفعول اول وظهريا مفعول ثان لاتخذوا ووراءكم ظرف له (قوله منبوذا خلف ظهوركم) اى جعلتموه نسيا منسيا (قوله اعملوا على مكانتكم) هذا وعيد عظيم وتهديد لهم (قوله سوف تعلمون) استئناف بيانى كان قائلا قال فماذا يكون بعد ذلك (قوله موصولة) اى بمعنى الذى (قوله ومن هو كاذب) معطوف على قوله من ياتيه والمعنى سوف تعلمون الذى ياتيه عذاب يخزيه وتعلمون الكاذب (قوله صاح بهم جبريل) اى فخرجت ارواحهم جميعا وهذا فى اهل قريته واما اصحاب الايكة فاهلكوا بعذاب الظلة وهى سحابة فيها ريح طيبة باردة فاظلتهم حتى اجتمعوا جميعا فالهبها الله عليهم نارا ورجفت الارض من تحتهم فاحترقوا وصاروا رمادا (قوله الا بعدا) اى هلاكا (قوله كما بعدت ثمود) اى كما هلكت ثمود والتشبيه من حيث ان هلاك كل بالصيحة (قوله ولقد ارسلنا موسي) هذه هى القصة السابعة (قوله بآياتنا) اى التسع تقدم منها ثمانية فى الأعراف والتاسعة فى يونس وتقدم الكلام عليها (قوله وسلطان مبين) قيل المراد به العصا وخصت بالذكر لكونها اكبر الآيات واعظمها وقيل المراد به المعجزات الباهرة والحجج الظاهرة وسميت الحجة سلطانا لان بها قهر الخصم كما ان السلطان به قهر غيره فيكون عطف عام (قوله وملئه) اى جماعته واتباعه (قوله فاتبعوا أمر فرعون) اى ما هو عليه من الكفر بتلك الآيات العظيمة (قوله سديد) اى صائب محمود العاقبة بل لا يدعو الى خير (قوله يقدم) مضارع قدم كنصر ومصدره قدم كقفل وقدوم بمعنى يتقدم (قوله كما تبعوه فى الدنيا) اى فى دخول البحر والكفر والضلال (قوله فاوردهم النار) الورود فى الاصل يقال للمرور على الماء للاستقاء منه فشبه النار بما يورد وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو الورود فاثباته تخييل وشبه فرعون فى تقدمه على قومه الى النار بمن يتقدم على الواردين الى الماء ليكسر العطش على سبيل التهكم (قوله هى) قدره اشارة الى ان المخصوص بالذم محذوف (قوله لعنة) اى طردا او بعدا عن الرحمة (قوله يوم القيامة) هذا وقف تام وقدر المفسر لعنة اشارة الى ان فيه الحذف من الآخر لدلالة الاول عليه (قوله بئس الرفد المرفود) المراد بالرفد اللعنة الاولى وقوله المرفود اى المعان باللعنة الثانية والمعنى ان اللعنة الاولى ارفدت بلعنة اخرى تقويها وتعاونها وتسميتها رفدا تهكم (قوله ذلك) اى ما تقدم فى هذه السورة من القصص (قوله من انباء القرى) اى اخبار اهل القرى وهم الامم الماضية (قوله نقصه عليك) اى لتخبر به قومك ليعتبروا (قوله منها قائم) اى اثر قائم موجود (قوله حصيد هلك باهله) اى محى فلم يبق له اثر وفيه تشبيه القائم والحصيد بالزرع الذى بعضه قائم على ساقه وبعضه قد حصد وذهب اثره (قوله لما جاء) اى حين جاء (قوله وما زادوهم) الضمير المرفوع للاصنام والمنصوب لعابديها وعبر عنها بواو العقلاء لتنزيلهم منزلتهم (قوله غير تتبيب) التتبيب الخسران يقال تببته وتبت يده تتب بمعنى خسرت (قوله وهى ظالمة) الجملة حالية

(قوله اليم شديد) اى غير مرجو الخلاص منه (قوله ان الله ليملى للظالم) اى يمده بطول العمر وسعة الرزق ونفوذ الكلمة (قوله ثم قرأ الخ) اى فيؤخذ من ذلك ان من قدم على ظلم يجب عليه ان يتوب ويرجع عما هو عليه ويرد المظالم لاهلها لئلا يقع فى هذا الوعيد العظيم فان هذه الآية ليست مخصوصة بالامم الماضية بل هى عامة فى كل ظالم غير ان هذه الامة المحمدية لا ينزل بها عذاب على سبيل الاستئصال اكراما لنبيها صلى الله عليه وسلم (قوله من القصص) اى السبع (قوله لمن خاف عذاب الآخرة) اى لانه اذا تأمل ما حصل لهؤلاء فى الدنيا من العذاب كان ذلك باعثاله على الخوف من ذلك اليوم (قوله فيه) اشار بذلك الى ان اللام بمعنى فى والمعنى ان يوم القيامة تجمع فيه الخلائق من الانس والجن وغيرهما (قوله يشهده) اى يحضره (قوله وما نؤخره) اى ذلك اليوم وهو يوم القيامة (قوله لوقت معلوم) اى وهو مدة الدنيا (قوله يوم يأت ذلك اليوم) ان قلت ان اليوم لا يصلح ان يكون ظرفا لليوم والا لزم تعيين الشئ بنفسه واجيب بان الكلام على حذف مضاف اى هوله وعذابه او المعنى حين يأتى ذلك اليوم الخ (قوله لا تكلم نفس الا باذنه) اى فجميع الخلائق يسكتون فى ذلك اليوم فلا يتكلم احد الا باذنه ان قلت كيف يجمع بين ما هنا وبين قوله تعالى يوم يأتى كل نفس تجادل عن نفسها وقوله تعالى حكاية عن الكفار والله ربنا ما كنا مشركين اجيب بان القيامة مواطن مختلفة ففى بعضها لا يقدرون على الكلام لشدة الهول وفى بعضها يتحاجون ويتجادلون او المراد لا تكلم نفس بما ينفع وينجى بل قد يتكلم الكفار بكلام لا نفع له بل لاظهار بطلان حججهم (قوله كتب من الازل) اى وظهرت الخاتمة على طبق ما كتب (قوله فى علمه) اى وهم من ماتوا كفارا وان تقدم منهم ايمان (قوله لهم فيها زفير وشهيق) الزفير فى الاصل ترديد النفس فى الصدر حتى تنتفخ منه الاضلاع والشهيق رد النفس الى الصدر وهذا التفسير الذى ذكره المفسر لابن عباس وقيل الزفير أول صوت الحمار والشهيق آخره وقيل الزفير صوت الحمار والشهيق صوت البغل وقيل غير ذلك (قوله اى مدة دوامهما) اشار بذلك الى ان ما مصدرية ظرفية ودام تامة لانها بمعنى بقيت او مقدار دوامهما (قوله فى الدنيا) اى فالمراد سموات الدنيا وارضها (قوله غير ما شاء ربك) افاد ان الا بمعنى غير والمعنى انهم يخلدون فى النار مقدار مكث الدنيا غير الزيادة التى شاءها الله وما شاءه الله قد بين فى آيات أخر منها قوله خالدين فيها ابدا ومنها وما هم بخارجين من النار ومنها قوله لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون (قوله ان ربك فعال لما يريد) دفع بذلك ما يتوهم من التعبير بالمشيئة انها قد تتخلف فاجاب بقوله ان ربك فعال لما يريد فلا تخلف لمشيئة الله بخلود الكافر لانه متى اراد شيئا حصل ولا بد وما قيل ان وعيده قد يتخلف فالمراد وعيد العاصي لا وعيد الكافر (قوله واما الذين سعدوا) هذا مقابل قوله فاما الذين شقوا وفى هذه الآية من المحسنات البديعية الجمع والتفريق والتقسيم فالجمع فى قوله يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه والتفريق فى قوله فمنهم شقى وسعيد والتقسيم فى قوله فاما الذين شقوا الخ واما الذين سعدوا الخ (قوله بفتح السين وضمها) اى فهما قراءتان سبعيتان فالفتح من قولهم سعد الرجل بمعنى قامت به السعادة والضم من قولهم سعده الله اى اسعده فالاول قاصر والثانى متعد والمعنى ان الذين سبقت لهم السعادة من الله بموتهم على الايمان وان سبق منهم الكفر فى الدنيا فهم فى الجنة والمراد بالسعادة رضا الله على العبد وعلامة ذلك ان يكون العبد محبا لربه ساعيا فى مرضاته دائم الاقبال على طاعته راضيا باحكامه (قوله ففى الجنة) المراد بها دار النعيم بجميع دورها فتشمل جنة الفردوس وغيرها (قوله ما دامت السموات والارض) اى مدة دوامهما فى الدنيا والمعنى قدر مكث السموات والارض من اول الدنيا الى آخرها (قوله كما تقدم) اى فيقال غير ما شاء ربك من الزيادة التى لا منتهى لها فالمعنى خالدين فيها ابدا ويدل على ذلك قوله تعالى خالدين فيها ابدا فالزيادة

(ان اخذه أليم شديد) روى الشيخان عن ابى موسى الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليملى الظالم حتى اذا اخذه لم يفلته ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك اخذ ربك الآية (ان فى ذلك) المذكور من القصص (لآية) لعبرة (لمن خاف عذاب الآخرة ذلك) اى يوم القيامة (يوم مجموع له) فيه (الناس وذلك يوم مشهود) يشهده جميع الخلائق (وما نؤخره الا لاجل معدود) لوقت معلوم عند الله (يوم يأت) ذلك اليوم (لا تكلم) فيه حذف احدى التاءين (نفس الا باذنه) تعالى (فمنهم) اى الخلق (شقى و) منهم (سعيد) كتب كل فى الازل (فاما الذين شقوا) فى علمه تعالى (ففى النار لهم فيها زفير) صوت شديد (وشهيق) صوت ضعيف (خالدين فيها ما دامت السموات والارض) اى مدة دوامهما فى الدنيا (الا) غير (ما شاء ربك) من الزيادة على مدتهما مما لا منتهى له والمعنى خالدين فيها ابدا (ان ربك فعال لما يريد واما الذين سعدوا) بفتح السين وضمها (ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا) غير (ما شاء ربك) كما تقدم

التي شاءها الله فسرت في آيات أخر بالخلود المؤبد (قوله ودل عليه) اي على الخلود المؤبد وقوله فيهم اي
السعداء (قوله عطاء) مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره اعطاهم ذلك عطاء وعطاء اسم مصدر اعطى
والمصدر اعطاء (قوله مقطوع) اي ولا ممنوع بل هو عطاء دائم لا يزول ولا يحول (قوله هو الذي ظهر)
اي من نحو عشرين وجها في تفسير تلك الآية منها ان المراد بالسموات والارض سقف الجنة والنار
وارضهما ويحتمل الاستثناء في جانب اهل الشقاوة على عصاة الامة فيكون المعنى خالدين فيها ابدا الا
عصاة المؤمنين الذين نفذ فيهم الوعيد فلا يخلدون ابدا بل يخرجون بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم
والاستثناء حينئذ اما منقطع لعدم دخول هؤلاء في الاشقياء او متصل بجعل هؤلاء اشقياء باعتبار
وسعداء باعتبار آخر وفي جانب اهل السعادة على عصاة المؤمنين ايضا لكن باعتبار تعذيبهم اولا
فيتأخرون في الدخول مع السابقين فتحصل ان الاستثناء في كل محمول على العصاة لكن في جانب أهل
الشقاوة مستثنون من الخلود وفي جانب اهل السعادة مستثنون من المبدا كانه قال فاما الذين سعدوا ففي
الجنة من اول الامر الا ماشاء ربك من العصاة فليسوا في الجنة من اول الامر بل هم في النار يعذبون ثم
يخرجون ومنها ان المراد بالذين شقوا الكفار وبالذين سعدوا المؤمنون والاستثناء باعتبار ان بعض
الكفار قد ينقل من النار الى غيرها كالزمهرير وبعض المؤمنين قد ينقل من النعيم فيما تشتهيه الانفس وتلذ
الاعين الى اعلى منه وهو رؤية وجه الله الكريم ومخاطبته ومنها ان الاستثناء راجع لمدة تاخرهم عن
دخول الجنة والنار كمدة الدنيا والبرزخ لانهم لم يدخلوهما حين خلقوا اسعداء واشقياء ومنها غير ذلك وما
تقدم من ان نعيم الجنان وعذاب النار دائم هو مادلت عليه الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ووراء
ذلك اقوال يجب تاويلها والاخذ بظاهرها كفر فمنها ماقيل ان الجنة والنار ينقضيان بدليل ظاهر هذه
الآية ومنها ان اهل النار تنقلب عليهم النار نعيما حتى لو صب عليهم ماء الجنة يتاذون ومنها ان النار تخرب
حتى لا يصير فيها احد ومنها غير ذلك وهذه الاقوال باطلة ونسبتها لمحيي الدين بن العربي كذب وعلى فرض
صحة نقلها عنه يجب تاويلها (قوله فلا تك في مرية) هذا شروع في ذكر احوال المخالفين من هذه الامة اثر
بيان المخالفين من غيرهم وهذا الخطاب للنبي والمراد غيره (قوله من الاصنام) بيان لما (قوله ما يعبدون)
اي فليس لهم في ذلك الا محض تقليد آبائهم (قوله وقد عذبناهم) اي آباءهم وانما قدره لتتم المشابهة (قوله
وانا لموفوهم) أي هؤلاء (قوله اي تاما) اشار بذلك الى ان قوله غير منقوص حال من نصيب مبينة له
(قوله فاختلف فيه) هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم اي فلا تحزن على ما وقع لك فانه قد وقع لغيرك
(قوله لقضي بينهم) اي لجوزي المحسن على احسانه والمسيء على اساءته في الدنيا (قوله اي المكذبين به)
اي بالقرآن (قوله لفي شك منه) اي من القرآن (قوله موقع في الريبة) اي لانهم اذا نظروا لآبائهم وما كانوا
عليه قالوا لو كان ماهم عليه ضلالا ما اجتمعوا عليه واذا نظروا الى النبي ومعجزاته الظاهرة قالوا انه لحق
وماجاء به صدق فهم في شك ولا شك انه كفر وكل هذا ناشئ من الطبع على قلوبهم والا فالحق ظاهر لمن
تدبره (قوله وان كلا) اي من الطائعين والعاصين وأتى بالجملة الاسمية المؤكدة بان ولام القسم زيادة في
تاكيد بشرى المطيع ووعيد العاصي (قوله بالتشديد والتخفيف) اي ولما كذلك فتكون القراآت اربعا
وكلها سبعية (قوله اي كل الخلائق) اشار بذلك الى ان التنوين عوض عن المضاف اليه (قوله ما زائدة) اي
والاصل لليوفينهم فاستثقل اجتماع اللامين فوسطت بينهما ما لدفع ذلك الثقل (قوله واللام موطئة) اي
والاخرى للتاكيد (قوله او فارقة) اي اتى بها فرقا بين المهملة والنافية وفيه ان ان عاملة على كل حال

ودل عليه فيهم قوله (عطاء غير مجذوذ) مقطوع) وما تقدم من التاويل هو الذي ظهر وهو خال من التكلف والله اعلم بمراده (فلا تك) يا محمد (في مرية) شك (مما يعبد هؤلاء) من الاصنام أنا نعذبهم كما عذبنا من قبلهم وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم) اي كعبادتهم (من قبل) وقد عذبناهم (وانا لموفوهم) مثلهم (نصيبهم) حظهم من العذاب (غير منقوص) اي تاما (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (فاختلف فيه) بالتصديق والتكذيب كالقرآن (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتاخير الحساب والجزاء للخلائق الى يوم القيامة (لقضي بينهم) في الدنيا فيما اختلفوا فيه (وانهم) اي المكذبين به (لفي شك منه مريب) موقع في الريبة (وان) بالتخفيف والتشديد (كلا) اي كل الخلائق (لما) ما زائدة واللام موطئة لقسم مقدر او فارقة وفي قراءة بتشديد لما

فليست حينئذ فارقة فكان المناسب حذف قوله أو فارقة الا ان يقال انها مهملة وكلا منصوب بفعل مقدر تقديره وان يرى كلا وفيه ان هذا تكلف ومالا كلفة فيه خير مما فيه كلفة وماذكره المفسر من الاعراب مبنى على قراءة تشديد ان وتخفيفها مع تخفيف لما وتوضيحه أن يقال ان حرف توكيد ونصب وكلا اسمها واللام موطئة لقسم محذوف وما زائدة واللام الثانية للتاكيد و يوفينهم فعل مضارع مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والهاء مفعول وربك فاعل وجملة القسم فى محل رفع خبر ان (قوله بمعنى الا فان نافية) هذا ظاهر على قراءة تخفيف ان وحينئذ فيقال ان نافية وكلا منصوب بفعل مقدر والتقدير وان يرى كلا الا ليوفينهم الخ ولم يتكلم على تشديدهما هذا حاصل تقرير المفسر ولا يخفى عليك مافيه من المناقشة والكلفة والاعراب السالم من ذلك كله ان يقال ان القراآت السبعية اربع تخفيفهما وتشديدهما وتخفيف ان فقط وتخفيف لما فقط مع نصب كلا فى الجميع فعلى الاولى ان مخففة من الثقيلة وكلا اسمها واللام الاولى لام الابتداء وما اسم موصول واللام الثانية موطئة لقسم محذوف و يوفينهم جواب القسم وجملة القسم وجوابه صلة الموصول والموصول وصلته خبر ان وعلى الثانية ان عاملة ولما اصله لمن ما بدخول اللام على من الجارة قلبت النون ميما لتوالى الامثال حذفت احدى الميمات وادغمت احدى الميمين فى الاخرى فما اسم موصول وجملة ليوفينهم قسمية صلة الموصول وهو وصلته خبر ان وعلى الثالثة فان المخففة عاملة واصل لما لمن ما فعل بها ما تقدم وعلى الرابعة ان المشددة عاملة واللام لام الابتداء وما اسم موصول وليوفينهم جملة قسمية صلة الموصول وهو وصلته خبر ان فتحصل ان ان عاملة وما اسم موصول فى جميع الاوجه كلها واللام الثانية موطئة للقسم والاولى لام الابتداء فتامل وما قررناه زبدة كلام طويل فى هذا المقام فليحفظ (قوله اى جزاءها) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف (قوله فاستقم) اى دم على الاستقامة التى أمرت بها فى خاصة نفسك كقيام الليل وتبليغ ما امرت بتبليغه للخلق وعدم فرارك من قتال الكفار ولو اجتمعت اهل الدنيا وغير ذلك من التكاليف العامة له ولغيره والخاصة به (قوله ومن تاب معك) قدر المفسر قوله ليستقم جواب عما يقال ان قوله من تاب معطوف على الضمير المستتر فى استقم فيلزم عليه ان فعل الامر قد رفع الظاهر فاجاب المفسر بان ذلك من عطف الجمل والمحذور انما يلزم لو كان من عطف المفردات و يجاب ايضا بانه قد يغتفر فى التابع مالا يغتفر فى المتبوع (قوله ولا تطغوا) خطاب للنبي والامة ولكن المراد الامة فان الطغيان مستحيل على النبى صلى الله عليه وسلم وهذه الآية صعبة التكليف ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شيبتنى هود واخواتها (قوله الى الذين ظلموا) اى بالكفر او بالمعاصى (قوله بموادة) مصدر وادد كقاتل اى محبة (قوله اومداهنة) اى مصانعة فالمداهنة بذل الدين لاصلاح الدنيا (قوله اورضا باعمالهم) اى وتزيينها لهم ولا عذر فى الاحتجاج بضرورات الدنيا فان الله هو الرزاق ذو القوة المتين (قوله فتمسكم النار) اى لان المرء يحشر مع من احب (قوله يحفظونكم منه) اى من عذاب النار (قوله طرفى النهار) منصوب على الظرفية لاضافته الى الظرف (قوله الغداة والعشي) تفسير للطرفين (قوله اى الصبح) راجع للغداة وقوله والظهر والعصر راجع للعشى (قوله وزلفا) بضم ففتح كغرف وقوله جمع زلفة اى كغرفة (قوله ان الحسنات) اى الواجبة او المندوبة (قوله نزل فيمن قبل أجنبية) اى وهو أبو اليسر قال أتتنى امرأة تبتاع تمرا فقلت لها ان فى البيت تمرا اطيب من هذا فدخلت معى البيت فقبلتها فاتيت أبا بكر فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر احدا فاتيت عمر فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر احدا فلم اصبر حتى اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم

بمعنى الا فان نافية (ليوفينهم ربك أعمالهم) أى جزاءها (انه بما يعملون خبير) عالم ببواطنه كظواهره (فاستقم) على العمل بامر ربك والدعاء اليه (كما أمرت و) ليستقم (من تاب) آمن (معك ولا تطغوا) تجاوزوا حدود الله (انه بما تعملون بصير) فيجازيكم به (ولا تركنوا) تميلوا (الى الذين ظلموا) بموادة اومداهنة او رضا باعمالهم (فتمسكم) تصيبكم (النار وما لكم من دون الله) اى غيره (من) زائدة (اولياء) يحفظونكم منه (ثم لا تنصرون) تمنعون من عذابه (وأقم الصلاة طرفى النهار) الغداة والعشى اى الصبح والظهر والعصر (وزلفا) جمع زلفة أى طائفة (من الليل) اى المغرب والعشاء (ان الحسنات) كالصلوات الخمس (يذهبن السيآت) الذنوب الصغائر * نزلت فيمن قبل اجنبية فاخبره صلى الله عليه وسلم فقال ألى هذا فقال لجميع امتى كلهم رواه الشيخان

(ذلك ذكرى للذاكرين) عظة للمتعظين (واصبر) يا محمد على اذى قومك أو على الصلاة (فان الله لا يضيع اجر المحسنين) بالصبر على الطاعة (فلولا) فهلا (كان من القرون) الامم الماضية (من قبلكم أولو بقية) اصحاب دين وفضل (ينهون عن الفساد فى الارض) المراد به النفى اى ما كان فيهم ذلك (الا) لكن (قليلا ممن انجينا منهم) نهوا فنجوا ومن للبيان (واتبع الذين ظلموا) بالفساد وترك النهى (ما اترفوا) انعموا (فيه وكانوا مجرمين وما كان ربك ليهلك القرى بظلم) منه لها (واهلها مصلحون) مؤمنون (ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة) اهل دين واحد (ولا يزالون مختلفين) فى الدين (الا من رحم ربك) اراد لهم الخير فلا يختلفون فيه (ولذلك خلقهم) اى اهل الاختلاف له واهل الرحمة لها (وتمت كلمت ربك) وهى (لاملان جهنم من الجنة) الجن (والناس اجمعين وكلا) نصب بنقص وتنوينه عوض عن المضاف اليه اى كل ما يحتاج اليه (نقص عليك من انباء الرسل ما) بدل من كلا (نثبت) نطمئن (به فؤادك) قلبك (وجاءك فى هذه) فى مدة

فذكرت ذلك له فقال اخنت رجلا غازيا فى سبيل الله فى اهله بمثل هذا واطرق طويلا حتى اوحى اليه واقم الصلاة الى الذاكرين فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه فقلت ألى هذا خاصة ام للناس عامة فقال بل للناس عامة (قوله ذلك) اى المذكور من الامر بالاستقامة وما بعده (قوله واصبر) اى ولا تنزعج من قومك (قوله فان الله لا يضيع اجر المحسنين) اى بل يعطيهم فوق ما يطلبون (قوله فلولا كان من القرون الخ) لما بين سبحانه وتعالى ما حل بالامم الماضية من عذاب الاستئصال بين هنا ان السبب فى ذلك امران الاول عدم وجود من ينهى عن الفساد والثانى عدم رجوعهم عما هم فيه (قوله فهلا) افاد المفسر ان لولا تحضيضية والمراد بها النفى (قوله من قبلكم) الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة للقرون واولو فاعل كان وقوله من القرون حال من فاعل كان (قوله اصحاب دين وفضل) اى وسموا اولو بقية لان اهل البقاء بربهم لا يتحولون عما هم عليه من الدين والصلاح فلهم البقاء والنجاة من الهلاك (قوله والمراد به) اى بالتحضيض المستفاد من لولا (قوله الا قليلا) هذا استثناء منقطع ولذا عبر المفسر بلكن فالمستثنى منه القرون المهلكة بالعذاب لعدم نهيهم عن المنكر والمستثنى من انجاه الله من العذاب بسبب امرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر (قوله واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه) اى داموا على شهواتهم ولم يتذكروا عذاب الله (قوله انعموا) اى من النعيم الذى يغضب الله تعالى فالمعنى ان سبب هلاكهم اشتغالهم بالشهوات المغضبة لله تعالى وعدم رجوعهم عنها (قوله وكانوا مجرمين) الجملة حالية اى والحال انهم فاعلون الجرائم مصرون عليها (قوله وما كان ربك ليهلك القرى) هذا كالدليل لما قبله والمعنى ما صح ان يهلك القرى بظلم منه لها والحال ان اهلها مصلحون وسمى الاخذ من غير ذنب ظلما تكرما منه والا فحقيقة الظلم التصرف فى ملك الغير من غير اذنه ولا ملك لاحد معه وهو بهذا المعنى مستحيل عقلا على الله واما اخذه بغير ذنب فهو وان كان جائزا عقلا فمستحيل شرعا لانه سماه ظلما تفضلا منه ونزه نفسه سبحانه عنه كما الزم نفسه بالرحمة تفضلا منه (قوله منه لهم) ويصح ان يكون المعنى بظلم منهم ويراد بالظلم الشرك والمعنى انه لا يهلك اهل القرى بمجرد شركهم اذا كانوا مصلحين فيما بينهم لفرط مسامحته تعالى فى حقوقه ولذلك تقدم حقوق العباد على حقوق خالقهم (قوله ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة) اى لكنه لم يشأ ذلك فلم يجعلهم امة واحدة فلو امتناعية والمعنى امتنع ذلك لعدم مشيئة الله (قوله اهل دين واحد) اى وهو دين الاسلام (قوله ولا يزالون مختلفين) اى على اديان شتى واستفيد من هذا ان الاختلاف كما كان حاصلا فى الامم الماضية لا يزال مستمرا فى هذه الامة فمنهم الكافر والمؤمن والطائع والعاصى ولذلك ورد فى الحديث افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة وستفترقون ثلاثا وسبعين ثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة والمراد بالفرقة الواحدة اهل السنة والجماعة (قوله فلا يختلفون فيه) بل هم على دين واحد لا يتفرقون قال تعالى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه (قوله ولذلك خلقهم) اللام للعاقبة والصيرورة والمعنى خلق اهل الاختلاف لتكون عاقبة امرهم هو الاختلاف وخلق اهل الرحمة لتكون عاقبة امرهم الرحمة (قوله وتمت) اى حقت ووجبت (قوله لاملان جهنم) اى حتى تقول قط قط بمعنى يكفى يكفى كما فى الحديث وذلك بعد ان تمد اعناقها وتطلب الزيادة فيتجلى الله عليها بصفة الجلال فتخضع وتذل وتقول قط قط (قوله من الجنة والناس) اى الكفار منهم لان الامتلاء على سبيل الخلود لا يكون الا من الكفار (قوله نصب بنقص) اى على انه مفعول له (قوله من انباء الرسل) اى اخبارهم (قوله ما نثبت به فؤادك) اى القصص والاخبار التى بها يزداد فؤادك ثباتا على اداء الرسالة وتحمل اذى قومك وعلما بفضل امتك وشرفها حيث انقاد منها خلق كثير

فى مدة يسيرة بخلاف الامم الماضية (قوله الانباء) اى الاخبار وقوله أو الآيات تفسير ثان والمراد بالآيات آيات هذه السورة وخصت بالذكر وان كان جاءه الحق فى جميع السور تشريفا لها لكونها جمعت من قصص الامم الماضية مالم يكن فى غيرها (قوله وموعظة) اى اتعاظ وقوله وذكرى اى تذكر وتدبر (قوله حالتكم) اى وهى الكفر (قوله على حالتنا) اى وهى الايمان (قوله تهديدلهم) أى تخويف وليس المراد الامر بدوامهم على الكفر بل هو على حد اذا لم تستح فاصنع ماشئت (قوله انا منتظرون ذلك) أى عاقبة أمركم (قوله ولله غيب السموات والارض) قال كعب الاحبار خاتمة التوراة هى خاتمة سورة هود (قوله أى علم ماغاب فيهما) أى فلم يكلفنا بمعرفته (قوله للمفعول) اى فهما قراءتان سبعيتان والمعنى واحد (قوله الامر كله) أى امر الخلائق كلهم فى الدنيا والآخرة من خير وشر (قوله فينتقم ممن عصى) اى ويثيب من اطاع (قوله فاعبده) هذا مفرع على قوله ولله غيب السموات والارض الخ اى فحيث كان هو العالم بما غاب فى السموات والارض واليه مرجع الامور كلها فهو حقيق بعبادته هو لاغيره وحقيق بالتوكل عليه وتفويض الامور اليه (قوله ثق به) اى اعتمد عليه ولا تلتفت لغيره فانه لا يضر ولا ينفع بل الضار النافع المعطى المانع هو الله و بهذا تعلم ان التوكل أمر زائد على التوحيد فالتوحيد ينفى الشرك والتوكل ينفى الاوهام المعطلة عن مراتب الاخيار (قوله ومار بك بغافل عما يعملون) ماحجازية وربك اسمها وبغافل خبرها منصوب بفتحة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية ايضا (قوله بالفوقانية) أى خطابا للنبى والمؤمنين

﴿سورة يوسف عليه السلام﴾

مناسبة هذه السورة لما قبلها جمع قصص الانبياء فان ماقبلها ذكر فيها سبع قصص للانبياء وهذه من محاسن قصص الانبياء وأيضا ليتسلى النبي صلى الله عليه وسلم بما وقع للانبياء من أذى الاقارب والاباعد على ماوقع له من اذى قومه الاقارب والاباعد وحكمة قص القصص عليه ليتأسى بهم ويتخلق باخلاقهم فيكون جامعا لكمالات الانبياء * وسبب نزول هذه السورة أن اليهود سألت النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا حدثنا عن أمر يعقوب وولده وشان يوسف وهذه السورة فيها من الفوائد الشريفة والحكم المنيفة مالا يدخل تحت حصر ولذا قال خالد بن معدان سورة يوسف وسورة مريم تتفكه بهما اهل الجنة فى الجنة وقال عطاء لا يسمع سورة يوسف محزون الا استراح اليها (قوله مكية) خبر أول عن سورة وقوله مائة الخ خبر ثان (قوله تلك آيات الكتاب) مبتدأ وخبر وأشير اليها باشارة البعيد اشارة لبعد رتبتها عن كلام الحوادث وعلو شانها (قوله هذه الآيات) أى آيات هذه السورة (قوله المظهر للحق) اى فهو ماخوذ من أبان المتعدى ويصح أخذه من اللازم ويكون المعنى البين حلاله وحرامه (قوله انا انزلناه) اى نحن بعظمتنا وجلالنا (قوله عربيا) نعت للقرآن والعربى منسوب للعرب لكونه نزل بلغتهم والمعنى ان القرآن نزل بلغة العرب فليس فيه شئ غير عربى * فان قلت قد ورد فيه شئ غير عربى كسجيل ومشكاة وإستبرق وغير ذلك * اجيب بان هذا مما توافقت فيه اللغات او المراد ان تراكيبه واساليبه عربية وان ورد فيه غير عربى فهو على اسلوب العرب لا على اسلوب غيرهم وانما كان عربيا لان تلك اللغة افصح اللغات ولانها لغة أهل الجنة فى الجنة (قوله لعلكم تعقلون) علة لكونه عربيا والمعنى لكى تفهموا معانيه وتتأملوا فيها فتعلموا انه من عند الله (قوله احسن القصص) صفة لمصدر محذوف مفعول مطلق والتقدير قصصا احسن القصص والقصص فى اللغة من قص الاثر تتبعه سمى الكلام الذى يحكى عن الغير بذلك لان المتكلم يقص الخبر شيأ فشيأ والمعنى نحن نبين لك اخبار الامم السابقة احسن البيان وقيل المراد خصوص قصة يوسف وانما كانت احسن القصص لما فيها من الحكم

الانبياء او الآيات (الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين) خصوا بالذكر لانتفاعهم بها فى الايمان بخلاف الكفار (وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم) حالتكم (انا عاملون) على حالتنا تهديد لهم (وانتظروا) عاقبة امركم (انا منتظرون) ذلك (ولله غيب السموات والارض) اى علم ماغاب فيهما (واليه يرجع) بالبناء للفاعل يعود وللمفعول يرد (الامر كله) فينتقم ممن عصى (فاعبده) وحده (وتوكل عليه) ثق به فانه كافيك (ومار بك بغافل عما يعملون) وانما يؤخرهم لوقتهم وفى قراءة بالفوقانية

﴿سورة يوسف مكية وهى مائة واحدى عشرة آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم الر) الله أعلم بمراده بذلك (تلك) هذه الآيات (آيات الكتاب) القرآن والاضافة بمعنى من (المبين) المظهر للحق من الباطل (انا انزلناه قرآنا عربيا) بلغة العرب (لعلكم) يا اهل مكة (تعقلون) تفهمون معانيه (نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا)

والنكت وسير الملوك والمماليك والعلماء ومكر النساء والصبر على الاذى والتجاوز عنه أحسن التجاوز وغير ذلك من المحاسن (قوله بايحائنا) الباء سببية واشار بذلك الى ان ما مصدرية والجار والمجرور متعلق بنقص (قوله هذا القرآن) اسم الاشارة مفعول لاوحينا والقرآن بدل من اسم الاشارة اوعطف بيان أو نعت (قوله وان كنت من قبله) الجملة حالية (قوله من الغافلين) اى لم تخطر ببالك تلك القصة ولم تسمعها قط بل كنت خالى الذهن منها وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم حيث يخبر عن المتقدمين والمتاخرين باحسن تعبير وابلغ وجه ولذا قال البوصيرى

كفاك بالعلم فى الامى معجزة * فى الجاهلية والتاديب فى اليتم

فاكبر دليل على فضل الانسان غزارة علمه وسعة اطلاعه على ما اعطاه الله من العلوم اللدنية والمعارف الربانية (قوله اذكر) قدره اشارة الى ان اذ ظرف لمحذوف وقيل معمول لقوله تعالى يا بنى وهو الاولى لما فيه من عدم الحذف (قوله يوسف) اسم عبرانى ممنوع من الصرف وعاش من العمر مائة وعشرين سنة وعاش ابوه مائة وسبعا واربعين سنة وعاش جده اسحق مائة وثمانين سنة وعاش جده ابراهيم مائة وخمسا وسبعين سنة (قوله بالكسر) أى وأصلها يا ابى حذفت الياء وعوض عنها تاء التانيث ونقلت كسرة ماقبلها لها وفتحت الباء لمناسبة تاء التانيث وتقول فى اعرابها يا حرف نداء وأبت منادى منصوب بفتحة مقدرة على ماقبل ياء المتكلم المعوض عنها تاء التانيث (قوله والفتح) اى واصلها ابى بكسر الباء وفتح الياء ففتحت الباء ثم تحركت الياء وانفتح ماقبلها قلبت الفا حذفت الالف وعوض عنها تاء التانيث وفتحت للدلالة على الالف المحذوفة وتعويض تاء التانيث عن ياء المتكلم مختص بلفظين ابت وامت وهذان الوجهان زائدان على اوجه المنادى المضاف لياء المتكلم وهى خمس جمعها ابن مالك فى قوله

واجعل منادى صح ان يضف ليا * كعبد عبدى عبد عبدا عبديا

فيكون فى أبت وأمت سبعة اوجه يجوز منها وجهان قراءة لاغير (قوله انى رأيت) هذه الرؤية كانت ليلة الجمعة ليلة القدر وكان سنه اذذاك اثنتى عشرة سنة وقيل سبع سنين وقيل سبع عشرة سنة وبين هذه الرؤية واجتماعه بابيه واخوته فى مصر اربعون سنة وقيل ثمانون وقيل اثنان وعشرون وقيل ثمانية عشر وسياتى تحقيق ذلك والمراد بالسجود هنا قيل الخضوع والانحناء وقيل حقيقة السجود (قوله احد عشر كوكبا) اى وهو جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والصروخ والفرع ووثاب وذو الكتفين قدرأى الجميع نزلن من السماء وسجدن له وجريان بفتح الجيم وكسر الراء وتشديد الياء التحتية وقابس بقاف وموحدة وسين مهملة وعمودان تثنية عمود والفليق بفاء آخره قاف والمصبح اسم مفعول والفرع بفاء وراء مهملة ساكنة وعين مهملة ووثاب بتشديد المثلثة وذو الكتفين تثنية كتف (قوله تاكيد) اى هذه الجملة تاكيد للجملة الاولى ويصح ان يكون قوله رأيتهم لى جوابا لسؤال مقدر نشأ من قوله انى رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر كان قائلا قال وما كيفية رؤياك فيهم فقال رأيتهم لى ساجدين (قوله جمع بالياء والنون) اى قوله ساجدين (قوله لا تقصص رؤياك على اخوتك) انما نهاه ابوه عن ذلك لانه فهم من رؤياه ان الله تعالى يصطفيه لرسالته ويفوق اخوته فخاف عليه حسدهم ويؤخذ من ذلك ان الانسان اذا رأى خيرا فى منامه فلا يخبر به الا حبيبا او لبيبا غير حسود لما قيل ان الرؤيا على رجل طائر متى قصت وقعت بخلاف رؤيا المكروه فلا يقصها لما فى الحديث اذا راى احدكم ما يحب فلا يحدث بها الا من يحب واذا رأى ما يكره فليتفل عن يساره ثلاثا وليتعوذ بالله من الشيطان وشرها فانها لن تضره (قوله والشمس امك والقمر ابوك) حكمة تاويل امه بالشمس لانها يظهر منها الاقمار وهم الانبياء وابيه بالقمر لان القمر يهتدى به فى الظلم فكذلك الرسل يهتدى به فى ظلمات الجهل والشرك والاخوة بالكواكب

بايحائنا (اليك هذا القرآن وان) مخففة اى وانه (كنت من قبله لمن الغافلين) اذكر (اذ قال يوسف لابيه) يعقوب (يا أبت) بالكسر دلالة على ياء الاضافة المحذوفة والفتح دلالة على الف محذوفة قلبت عن الياء (انى رأيت) فى المنام (احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم) تاكيد (لى ساجدين) جمع بالياء والنون للوصف بالسجود الذى هو من صفات العقلاء (قال يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا) يحتالوا فى هلاكك حسدا لعلمهم بتاويلها من انهم الكواكب والشمس أمك والقمر ابوك

لان نورهم لا يبلغ نور أبيهم امالانهم أنبياء فقط وليسوا برسل اوأولياء فقط وليسوا بانبياء ومامشى
عليه المفسر من ان المراد بالشمس أمه أحد قولين وقيل ان أمه راحيل قدماتت والمراد بالشمس خالته
ليا (قوله ان الشيطان للانسان عدو مبين) اى فيوقع الانسان فى المعاصي لفرط عداوته له واعلم ان ماوقع
من اخوة يوسف معه مما يأتى فى القصة باق على ظاهره ولا تاويل فيه على القول بعدم نبوتهم لان الولى
تجوز عليه المعصية ولكن لا يصر عليها بل يتوب وهؤلاء آل أمرهم لحسن التوبة وأما على القول بنبوتهم
فهو مشكل غاية الاشكال اذ كيف يقع ذلك من الانبياء فاجاب العلماء عن ذلك بان هذا مبنى على
ان النبي معصوم بعد النبوة لا قبلها وكانوا لم يبلغوا الحلم وكل هذا ليس بسديد بل الحق ان النبي
معصوم ظاهرا وباطنا قبل النبوة وبعدها وانما الواجب الذى يشفي الغليل ويريح العليل ان يقال ان الله
أطلعهم على ان يوسف يعطى النبوة والملك بمصر ولا يتصور ذلك الا بهذا الفعل فهم مامورون به باطنا
مخالفون ظاهرا اذ ليسوا مشرعين فلا يكلفون الا بخلوص بواطنهم مع ربهم ونظير ذلك قصة الخضر مع
موسى حيث قال بعد ما فعل ما فعل وما فعلته عن أمرى فهم مامورون بحكم الباطن مخالفون بحكم الظاهر
وقصة آدم فى أكله من الشجرة وتقدم ما يفيد ذلك فى البقرة بابلغ وجه (قوله وكذلك يجتبيك ربك) اى
كما رفع منزلتك بهذه الرؤيا العظيمة يختارك ويصطفيك ربك (قوله تعبير الرؤيا) اى تفسيرها (قوله
ويتم نعمته عليك) اى يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة (قوله وعلى آل يعقوب) لم يقل بالنبوة
اشارة للخلاف فى نبوتهم (قوله ابراهيم واسحق) اما بدل من أبويك أو عطف بيان عليه (قوله عليم
بخلقه) اى فيصطفى من يشاء وقوله حكيم فى صنعه اى فيضع الاشياء فى محلها (قوله لقد كان) اللام
موطئة لقسم محذوف والتقدير والله لقد كان الخ (قوله وهم احد عشر) اى وهم يهودا وروبيل وشمعون
ولاوى وريالون ويشجر وهؤلاء الستة من بنت خال يعقوب ليا ثم بعد موتها تزوج أختها راحيل وقيل
جمع بينهما ولم يكن الجمع بين الاختين محرما فى شرعه فولدت له بنيامين ويوسف واما الاربعة الباقية دان
ونفتالى وجاد وآشر فمن سريتين زلفة وبلهة (قوله آيات للسائلين) اى وغيرهم ففيه اكتفاء وذلك ان
اليهود لما سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف وقيل سالوا عن انتقال اولاد يعقوب من
أرض كنعان الى أرض مصر فذكر لهم تلك القصة فوجدوها مطابقة لما فى التوراة وحينئذ فهى من
دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم حيث قص عليهم تلك القصة بابلغ وجه مع كونه لم يسبق له تعلم من أحد
ولا قرأ ولا كتب (قوله ليوسف) اللام موطئة لقسم محذوف (قوله بنيامين) بكسر الباء وفتحها وهو
أصغر من يوسف (قوله أحب خبر) اى عن يوسف واخوه ولم تحصل المطابقة لانه اسم تفضيل مجرد
وهو يلزم التذكير والتوحيد قال ابن مالك

وان لمنكور يضف اوجردا * ألزم تذكيرا وان يوحدا

وأحب مصوغ من حب المبني للمفعول وهو سماعي ولو جاء على القياس لتوصل اليه باشد قال ابن مالك

واشدد اوأشدا وشبههما * يخلف ما بعض الشروط عدما

واعلم ان
مادة الحب والبغض اذا بنى أفعل التفضيل منها تعدى للفاعل بالى وللمفعول باللام أو بفى والآية الكريمة
من الاول فان الاب هو فاعل المحبة واذا قلت زيد احب لى من عمرو وأحب فى منه كان معناه ان زيدا
يحبنى أكثر من عمرو (قوله ونحن عصبة) الجملة حالية والعصبة قيل من العشرة الى الاربعين وقيل من ثلاثة الى
عشرة وقيل من عشرة الى خمسة عشر وقيل غير ذلك (قوله خطأ) اى فى أمر الدنيا وما يصلحها لانا أشد قوة
واكبر سنا واكثر منفعة من يوسف فلم آثره علينا فى المحبة ان هذا الخطأ بين وليس المراد الخطأ فى الدين فان
اعتقاده كفر (قوله بايثارهما) اى تقديمهما (قوله اقتلوا يوسف الخ) انما قالوا ذلك لان خبر المنام بلغهم

(ان الشيطان للانسان
عدو مبين) ظاهر العداوة
(وكذلك) كما رايت
(يجتبيك) يختارك (ربك
ويعلمك من تاويل
الاحاديث) تعبير الرؤيا
(ويتم نعمته عليك) بالنبوة
(وعلى آل يعقوب) اولاده
(كما أتمها) بالنبوة (على
أبويك من قبل ابراهيم
واسحق ان ربك عليم)
بخلقه (حكيم) فى صنعه
بهم (لقد كان فى) خبر
(يوسف واخوته) وهم
احد عشر (آيات) عبر
(للسائلين) عن خبرهم
اذكر (اذ قالوا) اى بعض
اخوة يوسف لبعضهم
(ليوسف) مبتدأ (وأخوه)
شقيقه بنيامين (احب)
خبر (الى أبينا منا ونحن
عصبة) جماعة (ان أبانا لفى
ضلال) خطأ (مبين) بين
بايثارهما علينا (اقتلوا
يوسف اواطرحوه ارضا)

أي بارض بعيدة (يخل لكم وجه ابيكم) بان يقبل عليكم ولا يلتفت لغيركم (وتكونوا من بعده) اى بعد قتل يوسف أو طرحه (قوما صالحين) بان تتوبوا (قال قائل منهم) هو يهودا (لا تقتلوا يوسف والقوه) اطرحوه (فى غيابت الجب) مظلم البئر وفى قراءة بالجمع (يلتقطه بعض السيارة) المسافرين (ان كنتم فاعلين) ما اردتم من التفريق فاكتفوا بذلك (قالوا يا ابانا مالك لا تامنا على يوسف وانا له لناصحون) لقائمون بمصالحه (ارسله معنا غدا) الى الصحراء (نرتع ونلعب) بالنون والياء فيهما ننشط ونتسع (وانا له لحافظون قال انى ليحزننى ان تذهبوا) اى ذهابكم (به) لفراقه (واخاف ان ياكله الذئب) المراد به الجنس وكانت ارضهم كثيرة الذئاب (وانتم عنه غافلون) مشغولون (قالوا لئن) لام قسم (اكله الذئب ونحن عصبة) جماعة (انا اذا لخاسرون) عاجزون فارسله معهم (فلما ذهبوا به واجمعوا) عزموا (ان يجعلوه فى غيابت الجب) وجواب لما محذوف اى فعلوا ذلك بان نزعوا قميصه بعد ضربه واهانته وارادة قتله وأدلوه فلما وصل الى نصف البئر القوه ليموت فسقط فى الماء ثم أوى الى صخرة فنادوه فاجابهم يظن رحمتهم فارادوا رضخه بصخرة فمنعهم يهوذا (واوحينا اليه) فى الجب وحى حقيقة وله سبع عشرة سنة

فتشاوروا فى كيده بين احد أمرين اما قتله او تغريبه بارض بعيدة (قوله اى بارض) اشار بذلك الى ان قوله ارضا منصوب على نزع الخافض ويصح نصبه على الظرفية لان المقصود أى ارض بعيدة (قوله وجه ابيكم) اى قلبه والمعنى لا يكون لكم منازع فى محبته فيكم حينئذ (قوله بان تتوبوا) اى تصلحوا دينكم بعد هذه الفعلة (قوله قال قائل) هذا رأى ثالث ارفق بيوسف مما تقدم من الخصلتين (قوله هو يهودا) بدال مهملة واصله بالعبرانية بالمعجمة لكن لما استعملته العرب اهملته وكان اكبرهم سنا واحسنهم رأيا وقيل القائل روبيل (قوله فى غيابت الجب) الغيابة الشئ المظلم والجب البئر التى لم تطو والمعنى أطرحوه فى قعر البئر المظلم وكان بارض بيت المقدس وقيل بالاردن وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب (قوله يلتقطه بعض السيارة) اى لان هذا الجب كان يرد عليه كثير من المسافرين (قوله فاكتفوا بذلك) قدره اشارة الى ان جواب الشرط محذوف (قوله قالوا يا ابانا) هذا مرتب على محذوف وذلك انهم قالوا اولا ليوسف اخرج معنا الى الصحراء الى مواشينا فنستبق ونصيد وقالوا له سل اباك ان يرسلك معنا فساله فتوقف يعقوب فقالوا مالك الخ والمعنى اى شئ ثبت لك فى عدم امننا (قوله تامنا) اتفق القراء على اخفاء النون الساكنة عند النون المتحركة واتفقوا ايضا على ادغامها مع الاشمام كما فى الخطيب ومن الشواذ ترك الادغام كما فى ابى السعود (قوله لقائمون بمصالحه) اى لعاطفون عليه حافظون له (قوله غدا) منصوب على الظرفية والغد اليوم الذى بعد يومك (قوله بالنون والياء فيهما) اى فى نرتع ونلعب وهما قراءتان سبعيتان والرتع التمتع فى اكل الفواكه ونحوها واللعب بالاستباق والانتضال تمرينا لقتال الاعداء وهو غرض صحيح مباح لما فيه من تعلم المحاربة والاقدام على العدو (قوله ليحزننى) الحزن الم القلب بفراق المحبوب (قوله واخاف ان ياكله الذئب) بالهمز وتركه قراءتان سبعيتان وسبب خوفه انه كان رأى فى المنام ان ذئبا تعرض ليوسف فكان يخاف عليه الذئب (قوله قالوا لئن اكله الذئب) هذا جواب عن عذره الثانى وهو قوله واخاف ان ياكله الذئب واما الاول وهو قوله انى ليحزننى الخ فلا يجيبوا عنه لان غرضهم حصوله (قوله ونحن عصبة) الجملة حالية (قوله عاجزون) اى فالخسران مجاز عن الضعف والعجز لانه يشبهه (قوله فلما ذهبوا به) تقدم انه كان بين ذهابهم به واجتماعه بابيه اربعون سنة وقيل ثمانون سنة لم تجف فيها عين يعقوب (قوله بان نزعوا قميصه الخ) روى انهم لما برزوا به الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فصار يصيح ويستغيث فقال يهوذا اما عاهدتمونى على ان لا تقتلوه فاتوا به الى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم فقال يا اخوتاه ردوا على قميصى أتوارى به فقالوا له ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسونك ويؤنسونك وفى القصص ان ابراهيم عليه السلام حين القى فى النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق ودفعه اسحق الى يعقوب فجعله فى قصبة من فضة وجعلها فى عنق يوسف فالبسه الملك اياه حين القى فى الجب فاضاء له الجب وسياتى انه القميص الذى ارسله مع البشير بامر جبريل واخبره انه لا يلقى على مبتلى الا عوفى (قوله ثم آوى الى الصخرة) اى جاء له بها الملك فاجلسه عليها قال الحسن لما ألقى يوسف فى الجب عذب ماؤها فكان يغنيه عن الطعام والشراب ودخل عليه جبريل فانس به فلما امسى نهض ليذهب فقال انك اذا خرجت استوحشت فقال اذا رهبت من شئ فقل يا صريخ المستصرخين ويا غوث المستغيثين ويا مفرج كرب المكروبين قد ترى مكانى وتعلم حالى ولا يخفى عليك شئ من امرى فلما قالها يوسف حفته الملائكة واستانس فى الجب وفرج الله عنه بخروجه من ليلته وقيل انه مكث فى الجب ثلاثة ايام فكان اخوته يرعون

حوله

حوله وكان يهودا ياتيه بالطعام (قوله او دونها) قيل خمسة عشر وقيل اثنى عشر وقيل سبعة (قوله لتنبئنهم) اى كما سيأتى فى قوله وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه الآية (قوله عشاء) أى ليكونوا فى الظلمة ليقبل اعتذارهم فلما بلغوا منزل يعقوب جعلوا يبكون ويصرخون فسمع أصواتهم ففزع من ذلك وسالهم فاجابوه بما ذكر (قوله وما انت بمؤمن لنا الخ) فى هذا الكلام فتح باب اتهام لهم كما لا يخفى (قوله لاتهمتنا الخ) قدره المفسر اشارة الى ان لو شرطية وجوابها محذوف والاسهل من هذا جعل الواو حالية ولو زائدة والتقدير وما انت بمؤمن لنا والحال انا كنا صادقين فى نفس الامر (قوله محله نصب) اى فهو ظرف بمعنى فوق (قوله اى ذى كذب) اشار بذلك الى ان وصف الدم بالكذب على حذف مضاف ويصح ان يكون مبالغة على حد زيد عدل (قوله سخلة) هى الصغيرة من الغنم (قوله وذهلوا عن شقه) اى عن تمزيقه لان العادة ان الذئب اذا أكل الانسان يشق قميصه وقد ذهلوا عن هذه الحيلة كى لا تتم لهم (قوله لما رآه صحيحا) روى انه قال ما أحلم هذا الذئب يأكل ابنى ولا يقد قميصه وقيل انهم اتوه بذئب وقالوا هذا اكله فقال يعقوب أيها الذئب انت أكلت ولدى وثمرة فؤادى فانطقه الله وقال والله ما اكلت ولدك ولا رأيته قط ولا يحل لنا ان نأكل لحوم الانبياء فقال له يعقوب فكيف وقعت بارض كنعان فقال جئت لصلة الرحم فاخذونى وأتوا بى اليك فاطلقه يعقوب (قوله بل سولت) اى سهلت لكم انفسكم امرا عظيما ففعلتموه بيوسف وهونتموه فى اعينكم (قوله لا جزع فيه) فسر المفسر الصبر الجميل بانه الذى لا جزع فيه والاولى ان يفسره كما فى الحديث بانه الذى لا شكوى فيه لغير الله واما الهجر الجميل فهو الذى لا ايذاء معه واما الصفح الجميل فهو الذى لا عتاب بعده وقد تحقق بجميعها كل من يوسف ويعقوب (قوله المطلوب منه العون) اى فالسين والتاء للطلب (قوله على ما تصفون) اى على تحمل المكاره التى تذكرونها فى امر يوسف (قوله وجاءت سيارة) جمع سائر اى مسافر سموا بذلك لسيرهم فى الارض (قوله من مدين الى مصر) اى فاخطؤا الطريق ونزلوا بارض قفراء قريبا من الجب (قوله فارسلوا) ذكر باعتبار المعنى ولو راعى اللفظ لقال فارسلت واردها (قوله واردهم) وهو مالك بن ذعر الخزاعى وهو من اهل مدين (قوله فادلى دلوه) يقال ادلى بالهمز اذا أرسل الدلو فى البئر ودلاه بالتضعيف اذا نزعه والدلو مؤنث وقد يذكر (قوله فاخرجه) اى بعد ان مكث فيها ثلاثة أيام على ما قيل ولما اخرج صارت جدران البئر تبكى عليه (قوله قال يا بشراى) منادى مضاف لياء المتكلم (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية ايضا (قوله ونداؤها مجاز) اى لتنزيلها منزلة العاقل (قوله هذا غلام) التنكير للتعظيم لانه كان عليه السلام حسن الوجه جعد الشعر ضخم العينين مستوى الخلق أبيض اللون غليظ الساعدين والعضدين والساقين خميص البطن صغير السرة وكان اذا تبسم ظهر النور من ضواحكه واذا تكلم ظهر من ثناياه وبالجملة لم يكن احسن منه الا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فان يوسف اعطى شطر الحسن ورسول الله اعطى الحسن كله كما قال البوصيرى

منزه عن شريك فى محاسنه * فجوهر الحسن فيه غير منقسم

ان قلت اذا كان كذلك فلم لم تفتتن النساء بجمال محمد صلى الله عليه وسلم كما افتتن بجمال يوسف اجيب بان جمال محمد قد ستره الله بالجلال كالشمس لا يستطيع احد ان يتامل فيها اذا قرب منها ولذا لم ترو الشمائل الشريفة الا عن صغار الصحابة كالحسن والحسين وعبد الله بن عمر وغيرهم لا عن كبارهم لقيام الجلال بقلوبهم فيمنعهم من وصفه واما جمال يوسف فهو ظاهر لم يستتر بجلال كالبدر فحينئذ يتامل فيه المتامل ويصفه الواصف غير انه يعجز عن استيعاب محاسنه ومن هذا المعنى قول ابن الفارض

لو أسمعوا يعقوب بعض ملاحة * فى وجهه نسى الجمال اليوسفى

او دونها تطمينا لقلبه (لتنبئنهم) بعد اليوم (بامرهم) بصنيعهم (هذا وهم لا يشعرون) بك حال الانباء (وجاؤا أباهم عشاء) وقت المساء (قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق) نرمى (وتركنا يوسف عند متاعنا) ثيابنا (فاكله الذئب وما انت بمؤمن) بمصدق (لنا ولو كنا صادقين) عندك لاتهمتنا فى هذه القصة لمحبة يوسف فكيف وانت تسىء الظن بنا (وجاؤا على قميصه) محله نصب على الظرفية اى فوقه (بدم كذب) اى ذى كذب بان ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وذهلوا عن شقه وقالوا انه دمه (قال) يعقوب لما رآه صحيحا وعلم كذبهم (بل سولت) زينت (لكم انفسكم امرا) ففعلتموه به (فصبر جميل) لا جزع فيه وهو خبر مبتدا محذوف اى امرى (والله المستعان) المطلوب منه العون (على ما تصفون) تذكرون من امر يوسف (وجاءت سيارة) مسافرون من مدين الى مصر فنزلوا قريبا من جب يوسف (فارسلوا واردهم) الذى يرد الماء ليستقى منه (فادلى) ارسل (دلوه) فى البئر فتعلق بها يوسف فاخرجه فلما رآه (قال يا بشراى) وفى قراءة بشرى ونداؤها مجاز اى احضرى فهذا وقتك (هذا غلام)

فعلم به اخوته فاتوهم (واسروه) اى اخفوا أمره جاعليه (بضاعة) بان قالوا هذا عبدنا آبق وسكت يوسف خوفا ان يقتلوه (والله عليم بما يعملون وشروه) باعوه منهم (بثمن بخس) ناقص (دراهم معدودة) عشرين او اثنين وعشرين (وكانوا) أى اخوته (فيه من الزاهدين) فجاءت به السيارة الى مصر فباعه الذى اشتراه بعشرين دينارا وزوجى نعل وثوبين (وقال الذى اشتراه من مصر) وهو قطفير العزيز (لامرأته) زليخا (أكرمى مثواه) مقامه عندنا (عسى ان ينفعنا أو نتخذه ولدا) وكان حصورا (وكذلك) كما نجيناه من القتل والجب وعطفنا عليه قلب العزيز (مكنا ليوسف فى الارض) ارض مصر حتى بلغ ما بلغ (ولنعلمه من تاويل الاحاديث) تعبير الرؤيا عطف على مقدر متعلق بمكنا اى لنملكه او الواو زائدة (والله غالب على امره) تعالى لا يعجزه شيء (ولكن أكثر الناس) وهم الكفار (لا يعلمون) ذلك (ولما بلغ اشده) وهو ثلاثون سنة او وثلاث (آتيناه حكما) حكمة (وعلما) فقها فى الدين قبل ان يبعث نبيا (وكذلك) كما جزيناه (نجزى المحسنين) لانفسهم (وراودته التى هو فى بيتها)

(قوله فعلم به اخوته) اى حين نظروا الى القافلة واجتماعها على البئر فاتوهم وقد ظنوا موت يوسف فرأوه اخرج حيا فضربوه وشتموه وقالوا هذا عبد آبق منا فان اردتم بعناه لكم ثم قالوا له بالعبرانية لا تنكر العبودية نقتلك فاقر بها فاشتراه مالك بن ذعر الخزاعى (قوله وأسروه) الضمير عائد على السيارة بمعنى بعضهم وهو مالك بن ذعر والمعنى ان البائع والمشترى اخفوا امره وجعلوه بضاعة اى قالوا انه بضاعة استبضعناه لبعض أهل الماء لنبيعه لهم بمصر وانما قالوا ذلك خيفة ان يطلبوا منه الشركة فيه وقوله جاعليه حال من فاعل اسروه وقوله بضاعة معمول لذلك الحال وهذا فى الحقيقة واما بحسب الظاهر فهو حال من الواو فى اسروه ومعنى قوله بضاعة انه ملك للغير اعطوه له ليبيعه لهم ويصح أن يعود الضمير على الاخوة ويكون معنى البضاعة الشيء المتمول الذى يباع ويشرى وعليه درج المفسر (قوله بما يعملون) اى من العمل الذى ظاهره قبيح وباطنه حسن حيث ترتب عليه من الاسرار والفوائد العظيمة مالا يدخل تحت حصر وهذا تعليم من الله لعباده التفويض والتسليم له فى شأن اخوة يوسف والمعنى لا تخض ايها السامع فى شأنهم بسوء فان الله عليم بما يعملون (قوله باعوه) اى اخوته وقوله منهم اى السيارة والمعنى باعه اخوته للسيارة اى لبعضهم وهو مالك بن ذعر الخزاعى (قوله ناقص) اى عن قيمته لو كان رقيقا وقيل ان البخس معناه الحرام لانه ثمن حر وهو حرام (قوله معدودة) اشار بذلك الى انها قليلة لانهم كانوا لا يزنون ما قل عن اربعين درهما ويأخذونه عدا ويزنون ما بلغها وهو أوقية (قوله اى اخوته) ويصح ان يعود الضمير على السيارة وانما زهدوا فيه لخوفهم منه حيث وصف لهم بالاباق (قوله الذى اشتراه) اى وهو مالك بن ذعر الخزاعى (قوله بعشرين دينارا الخ) وقيل لما عرض للبيع ترافع الناس فى ثمنه حتى ابلغ وزنه ذهبا وقيل فضة وقيل مسكا وقيل حريرا وكان وزنه اربعمائة رطل (قوله وهو قطفير العزيز) اى وكان وزير الريان ملك مصر وقد آمن بيوسف ومات فى حياته وقد اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ومكث يوسف فى منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفى وهو ابن مائة وعشرين سنة (قوله زليخاء) بفتح الزاى وكسر اللام والمد او بضم الزاى وفتح اللام (قوله عسى ان ينفعنا) أى يكفينا بعض أمورنا اذا قوى وبلغ او يربح اذا اردنا بيعه (قوله او نتخذه ولدا) أى نتبناه واو مانعة خلو تجوز الجمع وهو المقصود لهما (قوله وكان حصورا) اى لا يأتى النساء او عقيما (قوله وكذلك) الى قوله نجزى المحسنين معترض بين وصية العزيز وما وقع من زوجته (قوله من القتل) اى الذى عزم عليه اخوته وقوله والجب اى الذى رموه فيه (قوله وعطفنا عليه قلب العزيز) اى خلقنا فيه الميل والمحبة حيث دفع فيه المال الكثير واوصى زوجته عليه (قوله مكنا ليوسف) اى اعطيناه مكانة ورتبة عالية فى الارض (قوله حتى بلغ ما بلغ) اى من السلطنة والعز (قوله نملكه) اما من الملك بكسر الميم اى نجعله مالكا لما فيها او من الملك بضمها اى نجعله سلطانا على اهلها (قوله او الواو زائدة) اى والمعنى مكنا ليوسف فى الارض لنعلمه الخ (قوله لا يعجزه شيء) اى لانه يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد فلا راد لما قضاه (قوله ولما بلغ أشده) جمع شدة كنعمة وانعم ولم يقل هنا واستوى كما قال فى حق موسى لان موسى بلغ الاربعين وهى سن النبوة فقد استوى وتهيأ لحمل اسرار النبوة وأما يوسف فلم يكن اذ ذاك بلغ هذا السن (قوله حكمة) هى العلم مع العمل (قوله وعلما) عطف عام (قوله كما جزيناه) أى بكل خير (قوله نجزى المحسنين) اى فاعلى الاحسان والمعنى لا خصوصية ليوسف بذلك بل سنة الله فى خلقه ان كل محسن له من الله الجزاء الحسن (قوله وراودته) هذه الآية مرتبطة بقوله وقال الذى اشتراه من مصر الخ وما بينهما اعتراض قصد به بيان عواقب صبر يوسف من السيادة والخير العظيم والمراودة

مفاعلة

مفاعلة وهى فى الاصل تكون من الجانبين ولكنها هنا من جانب واحد ولما كان الجانب الآخر سببا فى حصول الفعل نزل منزلته فقيل فيه مفاعلة وذلك أن جمال يوسف سبب لميلها وطلبها له فالمفاعلة ليست على بابها نظير مداواة المريض فان سبب المداواة المرض القائم بالمريض (قوله هى زليخاء) أى ولم يصرح باسمها استهجانا له وسترا وتعليما للادب كان الله يقول من الآداب أن لا يذكر أحد زوجته باسمها بل يكنى عنها ولم يذكر فى القرآن اسم امرأة الا مريم وتقدم الجواب عنه بان النصارى زعموا انها زوجة لله فذكرها باسمها ردا عليهم كانه يقول ان احدكم يستنكف عن ذكر اسم زوجته بين الناس فلو كانت زوجة له كما تزعمون لكنى عنها كما يكنى الرجل عن زوجته (قوله أى طلبت منه) أشار بذلك الى أن المراودة من جانبها فقط (قوله وغلقت الابواب) أى وكانت سبعة (قوله هيت لك) أى بفتح الهاء والتاء ككيف (قوله وفى قراءة بكسر الهاء) أى مع فتح التاء كقيل وقوله وأخرى بضم التاء اى مع فتح الهاء كحيث فهذه ثلاث قراآت وبقى قراءتان وهما هئت بكسر الهاء وبالهمزة الساكنة وفتح التاء اوضمها وكلها سبعية (قوله واللام للتبيين) اى تبيين المفعول الذى هو المخاطب كانها تقول الخطاب لك نظير سقيا لك ورعيا لك (قوله معاذ الله) منصوب على انه مصدر نائب عن الفعل والاصل اعوذ بالله معاذا كسبحان الله بمعنى اسبح الله (قوله انه ربى) الهاء اسم ان وربى خبرها واحسن جملة حالية اوخبر ثان ومادرج عليه المفسر من ان(٢) الضمير للحال والشان ومراده بربه الذى اشتراه احد تفسيرين والآخر ان الضمير يعود على الله تعالى وهو الاقرب والاظهر (قوله احسن مثواى) تعهدى حيث امرك باكرامى فلا يليق منى ان اخونه وفيه ارشادها الى رعاية حق العزيز بلطف (قوله قصدت منه الجماع) اى مع العزم والتصميم (قوله قصد ذلك) اى بمقتضى الطبع البشرى من غير رضا ولا تصميم كميل الصائم الماء البارد ولكن يمنعه دينه عنه وهذا لا يؤاخذ به الانسان بل فى مدافعته الثواب الجزيل والاجر الجميل فمخالفة النفس عن شهواتها مع وجود ميل الطبع اعلى واجل من تركها لعدم الميل لها ولذا يباهى الله بالشاب التارك لشهواته الملائكة الكرام قال تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى (قوله قال ابن عباس) اى وفى رواية انه انفرج سقف البيت فراى يعقوب عاضا على اصبعه وفى رواية انه نودى يا يوسف اتواقعها انما مثلك مالم تواقعها مثل الطير فى جو السماء لا يطاق عليه وانما مثلك ان واقعتها مثل الطير اذا وقع على الارض لا يستطيع ان يدفع عن نفسه شيا ومثلك مالم تواقعها مثل الثور الصعب الذى لا يطاق ومثلك اذا واقعتها كمثله اذا مات ودخل النمل فى قرنه لا يستطيع ان يدفع عن نفسه وبالجملة فقد كثرت عليه الواردات فى هذا الشان (قوله وجواب لولا لجامعها) اى فيكون المعنى امتنع جماعه لها لرؤيته برهان ربه وقيل ان قوله وهم بها هو الجواب والمعنى ولولا ان راى برهان ربه لهم بها اى امتنع همه بها لرؤية برهان ربه فلم يقع منه هم اصلا وحينئذ فالوقف على قوله ولقد همت به وهذا هو الاحسن فى هذا المقام لخلوه من الكلفة والشبهة (قوله كذلك اريناه الخ) اشار بذلك الى ان الكاف مع مجرورها فى محل نصب معمول لمحذوف وقوله لنصرف متعلق بذلك المحذوف (قوله المخلصين فى الطاعة) اى الذين لا يشركون فى طاعته غيره (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية ايضا (قوله بفتح اللام) اى اسم مفعول من اخلصه اى اجتباه واختاره (قوله واستبقا الباب) حكمة افراد الباب هنا وجمعه فيما تقدم انها لم تتمكن من المراودة الا بعد غلق تلك الابواب واما فراره وتسابقهما فلم يكن الا عند باب من تلك الابواب ان قلت مقتضى قوة الرجولية انه يسبقها ولم يعقه عائق اجيب بان الذى عاقه عن السبق انما هو الاشتغال بفتح الابواب (قوله للتشبث) اى التعلق (قوله فامسكت ثوبه) اى وقطعت منه قطعة بقيت فى يدها (قوله لدى الباب) اى البرانى الاقصى (قوله فنزهت نفسها) اى بادرت بذلك

هى زليخا (عن نفسه) اى طلبت منه أن يواقعها (وغلقت الابواب) للبيت (وقالت) له (هيت لك) اى هلم واللام للتبيين وفى قراءة بكسر الهاء واخرى بضم التاء (قال معاذ الله) اعوذ بالله من ذلك (انه) اى الذى اشترانى (ربى) سيدى (احسن مثواى) مقامى فلا اخونه فى اهله (انه) اى الشان (لا يفلح الظالمون) الزناة (ولقد همت به) قصدت منه الجماع (وهم بها) قصد ذلك (لولا ان راى برهان ربه) قال ابن عباس مثل له يعقوب فضرب صدره فخرجت شهوته من انامله وجواب لولا لجامعها (كذلك) أريناه البرهان (لنصرف عنه السوء) الخيانة (والفحشاء) الزنا (انه من عبادنا المخلصين) فى الطاعة وفى قراءة بفتح اللام اى المختارين (واستبقا الباب) بادر اليه يوسف للفرار وهى للتشبث به فامسكت ثوبه وجذبته اليها (وقدت) شقت (قميصه من دبر والفيا) وجدا (سيدها) زوجها (لدى الباب) فنزهت نفسها ثم (قالت

---

(٢) قوله الضمير للحال والشان لا يناسبه الاعراب الذى قبله وعبارة الجلال بعيدة من ذلك اهـ

سوء) زنا (الا ان يسجن)
يحبس اى سجن (اوعذاب
اليم) مؤلم بان يضرب (قال)
يوسف متبرئا (هى
راودتني عن نفسي وشهد
شاهد من اهلها) ابن عمها
روى أنه كان فى المهد فقال (ان
كان قميصه قد من قبل)
قدام (فصدقت وهو من
الكاذبين وان كان قميصه
قد من دبر) خلف
(فكذبت وهو من
الصادقين فلما رأى)
زوجها (قميصه قد من دبر
قال انه) اى قولك ماجزاء
من اراد الخ (من كيدكن ان
كيدكن) ايها النساء (عظيم)
ثم قال (يا يوسف اعرض
عن هذا) الامر ولا تذكره
لئلا يشيع (واستغفرى)
يا زليخا (لذنبك انك كنت
من الخاطئين) الآثمين
واشتهر الخبر وشاع (وقال
نسوة فى المدينة) مدينة مصر
امرات العزيز تراود فتاها)
عبدها (عن نفسه قد شغفها
حبا) تمييز اى دخل حبه
شغاف قلبها اى غلافه (انا
لنراها فى ضلال) خطأ
(مبين) بين بحبها اياه (فلما
سمعت بمكرهن) غيبتهن
لها (ارسلت اليهن واعتدت)
اعدت (لهن متكا) طعاما
يقطع بالسكين للاتكاء عنده
وهو الاترج (وآتت)
اعطت (كل واحدة منهن

(قوله ماجزاء من اراد الخ) ما يحتمل ان تكون نافية اواستفهامية ومن اما موصولة اونكرة موصوفة (قوله الا ان يسجن أوعذاب اليم) فى ذلك اشارة لطيفة الى ان زليخا لشدة حبها ليوسف بدأت بذكر السجن لخفته واخرت العذاب لشدته لان المحب لا يسعى فى ايلام المحبوب وايضا فان قولها الا ان يسجن فيه اسم اشارة الى انها ارادت تخفيف السجن والا فلو ارادت التطويل والتعذيب بالسجن لقالت الا جعله من المسجونين كما قال فرعون لموسى لاجعلنك من المسجونين (قوله قال هى راودتني الخ) انما قال ذلك لكونها اتهمته والا فلو سكتت لما كان يوسف متكلما بشيء من ذلك (قوله من اهلها) اى ليكون اقوى فى نفي التهمة عن يوسف وهى منفية عنه بامور منها انه خرج هاربا والطالب لا يهرب ومنها كونه امتزينة باكمل الوجوه ومنها شقها للقميص من خلف (قوله ابن عمها) وقيل ابن خالها (قوله روى انه كان فى المهد) اى فى الاحاديث الصحيحة وهو احد قولين وقيل كان كبيرا حكيما وكان فى ذلك الوقت جالسا مع الملك فلما رآهما خارج الباب وحصل منهما ما حصل قال ان كان الخ فكان ذلك على سبيل الفتيا (قوله ان كان قميصه الخ) ان قلت ان القميص امر ثان من قبل فلا معنى للتعليق عليه والجواب ان يقال ان المعنى ان ثبت ان قميصه قد من قبل الخ (قوله فصدقت) الكلام على تقدير قد لتصحيح دخول الفاء فى الجواب لان جواب الشرط لا يقرن بالفاء الا اذا كان لا يصلح لمباشرة الاداة وهذا ماض متصرف يصلح لمباشرتها (قوله ان كيدكن عظيم) اى فيما يتعلق بامر الجماع والشهوة والا فالرجال اعظم فى الحيل والمكايد وانما وصف كيد النساء بالعظم وكيد الشيطان بالضعف لان كيد النساء اقوى بسبب انهن حبائل الشيطان فكيدهن مقرون بكيد الشيطان فهما كيدان بخلاف كيد الشيطان دونهن فكيد واحد ولذا قال بعضهم انا اخاف من النساء اكثر مما اخاف من الشيطان لان الله تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال فى حق النساء ان كيدكن عظيم (قوله واستغفرى لذنبك) ان قلت انهم قوم مشركون فلا يعرفون ذنبا مع خالقهم فما الذنب الذى يطلب الاستغفار منه اجيب بان المراد بالذنب خيانتها زوجها وفى هذا اشارة الى ان العزيز قليل الغيرة ولذا قال بعضهم ان تربة مصر تقتضي ذلك ولذا لا ينشأ فيها الاسد ولو دخل فيها لا يبقى (قوله الآثمين) اى برمى يوسف وهو برىء (قوله واشتهر الخبر) قدره اشارة الى ان قوله وقال نسوة مرتب على محذوف وهذا الاشتهار منها وذلك انها اخبرت بعض النساء بذلك وامرتهن بالكتم فلم يكتمن (قوله وقال نسوة فى المدينة) اختلف فى عدتهن فقيل خمس وقيل اربعون وجمع بينهما بان اصل الاشاعة كان من خمس وهن امراة صاحب الملك وامراة صاحب دوابه وامراة خبازه وامراة ساقيه وامراة صاحب سجنه ونسوة اسم جمع لا واحد له من لفظه (قوله امرات العزيز) مبتدأ وقوله تراود فتاها خبر اول وقوله قد شغفها حبا خبر ثان وحبا تمييز محول عن الفاعل والاصل قد شغف حبه قلبها (قوله فتاها) الفتى هو الشاب القوى (قوله اى دخل حبه شغاف قلبها) الشغاف جلدة رقيقة على القلب تمنع اذى الطعام والشراب عن القلب وحينئذ يكون المعنى ان حبه خرق تلك الجلدة ووصل للقلب وسكنه وقيل ان معنى شغفها صار محيطا بقلبها كما يحيط الشغاف بالقلب حتى لا تكاد تنظر لغيره (قوله خطأ مبين) اى حيث تركت ما يليق بها من العفة والستر واحبت غير زوجها (قوله بمكرهن) اى حديثهن وسمى مكرا لانهن طلبن بذلك رؤية يوسف لانه قد وصف لهن حسنه وجماله فتعلقن به واحببن ان يرينه (قوله غيبتهن) انما سميت الغيبة مكرا لاخفائها عن المغتاب كما يخفى المكر (قوله ارسلت اليهن) اى وكن اربعين امراة من اشراف المدينة فصنعت لهن ضيافة عظيمة (قوله واعتدت) اى هيأت واحضرت (قوله متكا) سمى الطعام بذلك لانه يتكأ عنده على عادة المتكبرين من اكل الفواكه حال الاتكاء (قوله وهو الاترج) بضم الهمزة وسكون التاء وضم الراء وتشديد الجيم جمع اترجة ويقال فيه ترنج والاولى هى الفصحى

(قوله سكينا) اى خنجرا وكان من عادتهن اكل الفواكه واللحم بالسكين (قوله وقالت اخرج عليهن) اى وقد زينته باحسن الزينة وحبسته فى مكان آخر (قوله فلما رأينه) مرتب على محذوف تقديره فخرج فلما رأينه الخ (قوله اعظمنه) اى هبنه ودهشن عند رؤيته من شدة حسنه وجماله يقال انه ورث حسن آدم يوم خلقه الله عز وجل قبل ان يخرج من الجنة وقيل انهن اعظمنه لانهن رأين عليه آثار النبوة والمهابة وعدم الالتفات اليهن فوقع الرعب فى قلوبهن وتعجبن منه (قوله وقطعن ايديهن) اى جرحنها حتى سال الدم قال وهب مات منهن جماعة (قوله وقلن حاش) باثبات الف بعد الشين وحذفها قراءتان سبعيتان وهذا بالنظر للنطق واما فى الرسم فلا تكتب فيه الف بعد الشين (قوله ماهذا بشرا) اى معاذ الله ان يكون هذا بشرا انما هذا ملك كريم على ربه (قوله ان هذا الا ملك كريم) المقصود من هذا اثبات الحسن العظيم ليوسف لسماعهم انه لا شيء احسن من الملك ولانه لما كان الملك مطهرا من بواعث الشهوة مها بالا تحكم عليه الصورة شبه به (قوله شطر الحسن) اى نصفه والمعنى ان الله خلق حسنا فاعطى يوسف نصفه وقسم نصفه بين الخلائق (قوله فذلكن) ذا اسم اشارة القريب لحضوره بالمجلس وقرن باللام المفيدة للبعد اشارة لبعد رتبته عن غيره ولذا فسرها المفسر بهذا التى للقريب (قوله الذى لمتننى فيه) خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هو (قوله امتنع) اشار بذلك الى ان السين والتاء زائدتان (قوله ولئن لم يفعل) اللام موطئة لقسم محذوف وان شرطية وقوله ليسجنن جواب القسم وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه على القاعدة فى اجتماع الشرط والقسم انه يحذف جواب المتاخر منهما (قوله فقلن له اطع مولاتك) ورد انه مامن امرأة الا دعته لنفسها (قوله قال رب) لما اشتد به الكرب توجه لربه فى الفرج (قوله احب الى) اسم التفضيل ليس على بابه اذ ليس له فيما يدعونه اليه محبة ورغبة * ان قلت هو مجاب الدعوة فلم طلب النجاة بالسجن ولم يطلب النجاة العامة اجيب بانه اطلع على ان السجن محتم عليه فدعا به لان النبي لا ينطق عن الهوى (قوله مما يدعوننى) فعل مضارع مبنى على سكون الواو والنون الاولى للنسوة فاعل والثانية نون الوقاية وهو مثل النسوة يعفون فالواو ليست ضميرا بل هى لام الكلمة (قوله والقصد بذلك) اى بقوله والا تصرف عنى الخ كانه قال اللهم اصرف عنى كيدهن لاجل ان لا اصير من الجاهلين لانك ان لم تصرفه عنى صرت منهم اذ لا قدرة لى على الامتناع الا باعانتك لى (قوله ثم بدا لهم) أى للعزيز واصحابه وذلك ان زليخا قالت لزوجها ان هذا العبد العبرانى قد فضحنى عند الناس يخبرهم انى قد راودته عن نفسه فاما ان تاذن لى فاخرج واعتذر اليهم واما ان تسجنه فظهر لهم سجنه لما فيه من المصلحة بحسب رأيهم مع علمهم ببراءته ونزاهته (قوله ان يسجنوه) ان وما دخلت عليه فى تاويل مصدر فاعل بدا (قوله ليسجننه) اللام موطئة لقسم محذوف والجملة فى محل نصب مقول لقول محذوف والتقدير ثم ظهر لهم سجنه قائلين والله ليسجننه (قوله حتى حين) اى وهو سبع سنين او اثنتا عشرة سنة وسياتى ذلك (قوله ودخل معه) اى صحبته والمعنى كانا مقارنين له فى الدخول وهذا مرتب على قول المفسر فسجن (قوله غلامان) تثنية غلام وهو اسم للشخص من حين ولادته الى ان يشب وقوله للملك اى ملك مصر وهو الريان بن الوليد العمايقى (قوله احدهما ساقيه) اى واسمه سرهم وقوله والآخر صاحب طعامه اى واسمه برهم وسبب سجنهما ان جماعة من اهل مصر ارادوا قتل الملك فجعلوا لهما رشوة على ان يسما الملك فى طعامه وشرابه فاجاباثم ان الساقى ندم ورجع والخباز قبل الرشوة وسم الطعام فلما حضر الطعام بين يدى الملك قال الساقى لا تاكل ايها الملك فان الطعام مسموم فقال الخباز لا تشرب ايها الملك فان الشراب مسموم فقال الملك للساقى اشرب من الشراب فشرب وقال للخباز

سكينا وقالت) ليوسف (اخرج عليهن فلما راينه اكبرنه) اعظمنه (وقطعن ايديهن) بالسكاكين ولم يشعرن بالالم لشغل قلبهن بيوسف (وقلن حاش لله) تنزيها له (ماهذا) اى يوسف (بشرا ان) ما (هذا الا ملك كريم) لما حواه من الحسن الذى لا يكون عادة فى النسمة البشرية وفى الصحيح انه اعطى شطر الحسن (قالت) امراة العزيز لما رات ماحل بهن (فذلكن) فهذا هو (الذى لمتننى فيه) فى حبه بيان لعذرها (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) امتنع (ولئن لم يفعل ما آمره) به (ليسجنن وليكونا من الصاغرين) الذليلين فقلن له أطع مولاتك (قال رب السجن احب الى مما يدعوننى اليه والا تصرف عنى كيدهن أصب) أمل (اليهن واكن) أصر (من الجاهلين) المذنبين والقصد بذلك الدعاء فلذا قال تعالى (فاستجاب له ربه) دعاءه (فصرف عنه كيدهن انه هو السميع) للقول (العليم) بالفعل (ثم بدا) ظهر (لهم من بعد مارأوا الآيات) الدالات على براءة يوسف ان يسجنوه دل على هذا (ليسجننه حتى) الى حين ينقطع فيه كلام الناس فسجن (ودخل معه السجن فتيان) غلامان للملك احدهما ساقيه والآخر صاحب طعامه

احمل فوق راسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا) خبرنا (بتاويله) بتعبيره (انا نراك من المحسنين قال) لهما مخبرا انه عالم بتعبير الرؤيا (لا يأتيكما طعام ترزقانه) في منامكما (الا نبأتكما بتاويله) في اليقظة (قبل ان يأتيكما) تاويله (ذلكما مما علمني ربي) فيه حث على ايمانهما ثم قواه بقوله (اني تركت ملة) دين (قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم) تاكيد (كافرون واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب ما كان) ينبغي (لنا ان نشرك بالله من) زائدة (شيء) لعصمتنا (ذلك) التوحيد (من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس) وهم الكفار (لا يشكرون) الله فيشركون ثم صرح بدعائهما الى الايمان فقال (يا صاحبي) ساكني (السجن أأرباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار) خبر استفهام تقرير (ما تعبدون من دونه) اي غيره (الا اسماء سميتموها) سميتم بها اصناما (انتم وآباؤكم ما انزل الله بها) بعبادتها (من سلطان) حجة وبرهان (ان) ما (الحكم) القضاء (الا لله) وحده (امر ان لا تعبدوا الا

كل من الطعام فابى فاطعم من ذلك الطعام دابة فهلكت فامر بحبسهما فاتفق انهما دخلا مع يوسف (قوله فرأياه يعبر الرؤيا) اي ينشر علمه ويقول اني أعبر الاحلام (قوله لنختبرنه) اي لنمتحننه ليظهر لنا حاله (قوله قال احدهما) اي بعد مضي خمس سنين من دخولهم السجن (قوله اني اراني) اري تنصب مفعولين الياء مفعول اول وجملة اعصر خمرا مفعول ثان (قوله أي عنبا) اي فتسميته خمرا من باب مجاز الاول أي عنبا يؤل الى كونه خمرا وفي القصة انه قال رأيت في المنام كاني في بستان وفيه شجرة وعليها ثلاثة عناقيد من العنب وكان كأس الملك في يدي فعصرتها فيه وسقيت الملك (قوله اني أراني) اي رأيتني فالتعبير بالمضارع استحضار للحال الماضية (قوله احمل فوق رأسي خبزا) وذلك انه قال رأيت في المنام كان فوق رأسي ثلاث سلال وفيها الخبز وألوان الاطعمة وسباع الطير تنهش منها (قوله انا نراك من المحسنين) أي العالمين بتعبير الرؤيا وانما قالا ذلك لانهما رأياه في السجن يعود المرضى ويقوم الليل ويصوم النهار ويصبر أهل السجن ويبشرهم ويواسي فقيرهم فكان يقول اصبروا وأبشروا فيقولون بارك الله لنا فيك يا فتى ما احسن وجهك وخلقك وحديثك لقد بورك لنا في جوارك فمن اين انت قال انا يوسف ابن صفي الله يعقوب ابن ذبيح الله اسحق ابن خليل الله ابراهيم فقال له صاحب السجن يا فتى والله لو استطعت لخليت سبيلك ولكن سارفق بك واحسن جوارك واختر اي بيوت السجن شئت (قوله مخبرا انه عالم) اي لاجل ان يقبلوا عليه ويؤمنوا به وهكذا ينبغي للعالم الخامل ان يظهر نفسه ليقتدى به ويؤخذ عنه وانما اخبرهما بذلك توطئة لدعائهما الى الايمان (قوله في منامكما) اي فالمعنى اي طعام رايتماه في المنام واخبرتماني به الا فسرته لكما قبل ان يقع في الخارج وخص رؤية الطعام لانهما من اهل الطعام والشراب والشان ان رؤيا المنام تتعلق باشتغال الشخص في اليقظة وقيل المراد اتيان الطعام لهما في اليقظة والمعنى لا يأتيكما طعام ترزقانه من منازلكما الا اخبرتكما بقدره وكيفيته والوقت الذي يأتي فيه قبل ان يصلكما فهو اشارة الى ان من معجزاته الاخبار بالمغيبات وهذا مثل معجزة عيسى حيث قال وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم فقالا ليوسف هذا من علم العرافين والكهنة فمن اين لك هذا العلم فقال ذلكما مما علمني ربي الخ (قوله فيه حث) اي تعريض لطلب الايمان (قوله اني تركت) المراد بالترك عدم التلبس بالشيء من اول الامر (قوله واتبعت ملة آبائي) لما بين انه ادعى النبوة واظهر المعجزة بين هنا انه لا غرابة في ذلك لانه من بيت النبوة وذلك لان ابراهيم واسحق ويعقوب كانوا مشهورين بالرسالة وذكر الفخر الرازي انه نبيء في السجن ولا مانع انه نبيء قبل الاربعين كيحيي وعيسى وذلك لان اخوته رموه في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة ومكث تحت يد العزيز ثلاث عشرة سنة من جملتها مدة السجن فتكون الجملة ثلاثين سنة (قوله ما كان لنا) اي لا يصح ولا يليق منا معشر الانبياء ان نشرك بالله شيأ مع اصطفائه لنا وانعامه علينا بانواع النعم وفي هذا تعريض لهم بترك ما هم عليه من الشرك كانه قال لا يصح للعبد الضعيف العاجز المفتقر ان يعبد غير من هو مفتقر اليه ومنعم عليه (قوله لعصمتنا) اي فليس المراد انه حرم ذلك عليهم بل المراد انه طهرهم من الكفر (قوله من فضل الله علينا) اي بالوحي وقوله وعلى الناس اي بارشادهم (قوله يا صاحبي السجن) قدر المفسر ساكني اشارة الى ان الاضافة لادنى ملابسة ويصح ان يكون المعنى يا صاحبي في السجن فالاضافة للظرف (قوله متفرقون) اي من ذهب وفضة وحديد وخشب وحجارة وغير ذلك (قوله ما تعبدون) خطاب لاهل السجن جميعا (قوله سميتموها) اي فكانكم لا تعبدون الا الاسماء المجردة والمعنى انكم سميتم ما لم يدل على استحقاقه للالوهية عقل ولا نقل ثم اخذتم تعبدونها (قوله المستقيم) اي الذي لا اعوجاج فيه (قوله ما يصيرون)

اياه ذلك) التوحيد (الدين القيم) المستقيم (ولكن اكثر الناس) وهم الكفار (لا يعلمون) ما يصيرون اليه من العذاب فيشركون قدره

قدره اشارة الى ان مفعول يعلمون محذوف (قوله ياصاحبي السجن) هذا شروع فى تعبير رؤياهما (قوله فيخرج بعد ثلاث) اى من الايام وهى العناقيد الثلاثة التى عصرها (قوله سيده) اى وهو الملك (قوله واما الآخر فيخرج بعد ثلاث) اى من الايام وهى السلال الثلاث (قوله فقالا مارأينا شيا) هذا احد قولين وقيل انهما رايا ذلك حقيقة فرآهما مهمومين فسالهما عن شانهما فذكر كل واحد رؤياه (قوله قضي الامر) المراد به الجنس اى قضي امر كل واحد وما يؤل اليه شانه كذب او صدق (قوله سالتما) تفسير لتستفتيان فالمراد من المضارع الماضي (قوله وقال للذى ظن انه ناج) ان كان الظن واقعا من الساقى فالامر ظاهر وان كان من يوسف فهو بمعنى اليقين كما قال المفسر على حد الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم (قوله سيدك) اى وهو الملك (قوله محبوسا) اى طال حبسه ظلما خمس سنين (قوله اى الساقى) اى والمعنى انسي الشيطان الساقى ان يذكر يوسف عند الملك وذلك للحكم الباهرة التى ستظهر وهذا احد قولين وقيل ان الضمير عائد على يوسف والمعنى ان الشيطان انسى يوسف ذكر به عزوجل حين استغاث بمخلوق واسناد الانساء للشيطان لانه يفرح به ويحبه ظاهرا ان يوسف يطرد بذلك والا فالذى انساه ذلك ربه لا الشيطان فانه لا تسلط له على المرسلين قال تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان فلما وقع من يوسف ذلك عوتب ببقائه فى السجن تلك المدة من باب حسنات الابرار سيآت المقربين (قوله قيل سبعا) أى وهى مدة مكث ايوب فى البلاء وقوله وقيل اثنى عشرة هذا قول ثان فى مدة السجن وقيل خمسا ونصفا قبل قوله اذكرنى وسبعا بعده وقيل اربع عشرة سنة خمس قبل القول وتسع بعده وحكمة مكثه تلك المدة فى السجن ليؤمن اهل السجن وليصل امره للملك فيخرج والحال انه مطلوب لا طالب فيتحقق له العز الذى بشر به فسا بقا فترتب على طلبه السجن وابقائه فيه الزمن الطويل من الحكم العظيمة والاسرار الفخيمة والعز والسودد ما لا تحيط به العبارة ولا تحصيه الاشارة فامور يوسف صلوات الله وسلامه عليه ظاهرها ذل وباطنها غاية العز على حد قول البوصيرى

لو يمس النضار هون من النا ❊ رلما اختير للنضار الصلاء

فبلايا الانبياء والمقربين لا تزيدهم الا رفعة وعزا (قوله وقال الملك الخ) اى لما اراد الله الفرج عن يوسف واخراجه من السجن رأى ملك مصر رؤيا عجيبة اهالته فجمع سحرته وكهنته ومعبريه واخبرهم بما رأى فى منامه وسالهم عن تاويلها فاعجزهم الله جميعا ليكون ذلك سببا لخلاص يوسف من السجن (قوله اى رأيت) اشار بذلك الى ان المضارع بمعنى الماضي استحضارا للحال الماضية وحاصل رؤياه انه رأى فى منامه سبع بقرات سمان قد خرجن من البحر ثم خرج بعدهن سبع بقرات عجاف فى غاية الهزال والضعف فابتلعت العجاف السمان ودخلت فى بطونها ولم ير منهن شيء ولم يتبين على العجاف شيء منها ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا اخر يابسات قد استحصدن فالتوت اليابسات على الخضر حتى علون عليهن ولم يبق من خضرتهن شيء (قوله جمع عجفاء) اى جمع سماعى والقياس عجف قال ابن مالك ❊ فعل لنحو احمر وحمرا (قوله خضر) اى انعقد حبها وقوله أخر يابسات اى بلغت أوان الحصد وهو معطوف على سبع ويكون قد حذف اسم العدد منه لدلالة ما قبله عليه (قوله يا أيها الملأ) اى السحرة والمعبرون (قوله تعبرون) من عبر بالتخفيف يقال عبر البحر جاوزه وعبر الرؤيا فسرها كان المعبر لها فسر الرؤيا خلص من ورطتها كالذى يجاوز البحر وزيدت اللام فى للرؤيا تقوية للعامل لتاخره عن معموله (قوله فاعبروها لى) قدره اشارة الى ان جواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله (قوله اضغاث احلام) اى تخاليطها جمع ضغث واصله ما جمع وحزم من النبات كالحزمة من الحشيش استعير للرؤيا الكاذبة والمعنى انهم قالوا ان هذه الرؤيا اخلاط احلام من الشيطان فلا تعبر وهذا لفرط عجزهم وجهلهم بتعبيرها على العادة ان من جهل شيأ عاداه (قوله وقال الذى نجا

(ياصاحبي السجن أما احدكما) اى الساقى فيخرج بعد ثلاث (فيسقى ربه) سيده (خمرا) على عادته (واما الآخر) فيخرج بعد ثلاث (فيصلب فتاكل الطير من راسه) هذا تاويل رؤياكما فقالا مارأينا شيا فقال (قضي) تم (الامر الذى فيه تستفتيان) سالتما عنه صدقتما ام كذبتما (وقال للذى ظن) أيقن (انه ناج منهما) وهو الساقى (اذكرنى عند ربك) سيدك فقل له ان فى السجن غلاما محبوسا ظلما فخرج (فانساه) اى الساقى (الشيطان ذكر) يوسف عند (ربه فلبث) مكث يوسف (فى السجن بضع سنين) قيل سبعا وقيل اثنى عشرة (وقال الملك) ملك مصر الريان بن الوليد (انى ارى) اى رأيت (سبع بقرات سمان ياكلهن) يبتلعهن (سبع) من البقر (عجاف) جمع عجفاء (وسبع سنبلات خضر واخر) أى سبع سنبلات (يابسات) قد التوت على الخضر وعلت عليها (يا أيها الملأ افتونى فى رؤياى) بينوا تعبيرها (ان كنتم للرؤيا تعبرون) فاعبروها لى (قالوا) هذه (اضغاث) اخلاط (احلام وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين وقال الذى نجا منهما) اى من الفتيين وهو الساقى

(وادكر) فيه ابدال التاء فى الاصل دالا وادغامها فى الذال اى تذكر (بعد امة) حين حال يوسف (انا أنبئكم بتاويله فارسلون) فارسلوه فاتى يوسف فقال يا (يوسف ايها الصديق) الكثير الصدق (أفتنا فى سبع بقرات سمان يا كلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلى أرجع الى الناس) اى الملك وأصحابه (لعلهم يعلمون) تعبيرها (قال تزرعون) اى ازرعوا (سبع سنين دأبا) متتابعة وهى تاويل السبع السمان (فما حصدتم فذروه) اتركوه (فى سنبله) لئلا يفسد (الا قليلا مما تاكلون) فادرسوه (ثم ياتى من بعد ذلك) اى السبع المخصبات (سبع شداد) مجدبات صعاب وهى تاويل السبع العجاف (ياكلن ماقدمتم لهن) من الحب المزروع فى السنين المخصبات اى تاكلونه فيهن (الا قليلا مما تحصنون) تدخرون (ثم ياتى من بعد ذلك) اى السبع المجدبات (عام فيه يغاث الناس) بالمطر (وفيه يعصرون) الاعناب وغيرها لخصبه (وقال الملك) لما جاءه الرسول واخبره بتاويلها (ائتونى به) اى بالذى عبرها (فلما جاءه) اى يوسف (الرسول) للخروج (قال) قاصدا اظهار براءته (ارجع الى ربك فاساله) ان يسال (مابال) حال (النسوة اللاتى قطعن أيديهن ان ربى) سيدى (بكيدهن عليم) فرجع فاخبر الملك فجمعهن (قال ما خطبكن) شانكن (اذ راودتن يوسف عن نفسه) هل وجدتن منه ميلا اليكن (قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرات العزيز الآن حصحص) رحمها أوضح (الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) فى قوله هى راودتنى عن نفسى فاخبر يوسف بذلك فقال (ذلك) اى طلب البراءة

الخ) أى بعد ان جلس بين يدى الملك وقال له ان فى السجن رجلا عالما بتعبير الرؤيا (قوله وادكر) اما حال من الذى او عطف على نجا (قوله فيه ابدال التاء) اى تاء الافتعال والاصل اذتكر بتاء بعد الذال قلبت التاء دالا فاجتمع متقارب بان أبدل الاول من جنس الثانى وأدغم (قوله وادغامها فى الذال) المناسب قلب العبارة بان يقول وادغام الذال فى الدال اى بعد قلبها دالا (قوله بعد أمة) بضم الهمزة وتشديد الميم هى فى الاصل الجماعة من الناس ثم أطلق على الجماعة من الايام (قوله حين) اى وهو سنتان اوسبع او تسع (قوله حال يوسف) اى من كونه عالما بتعبير الرؤيا (قوله فارسلون) انما جمع وان كان الخطاب لواحد لاجل التعظيم (قوله فارسلوه) اشار بذلك الى ان فى الكلام حذف ثلاث جمل وجملة مجئ الرسل ليوسف فى السجن أربع مرات الاولى فى قوله فارسلون يوسف الخ والثانية فى قوله فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك والثالثة فى قوله ذلك ليعلم انى لم أخنه الخ والرابعة فى قوله وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسي الخ (قوله الكثير الصدق) وصفه بذلك لانه جرب به فى السجن فى تعبير الرؤيا وغيره (قوله اى الملك) اى ومن عنده (قوله اى ازرعوا) انما حمله على الامر مناسبة قوله فذروه والا فالمناسب ابقاؤه على حاله من الاخبار لانها تفسير للرؤيا وفيه اشارة الى ان الله أمر بذلك لتحتم حصوله فى علمه تعالى (قوله دأبا) بفتح الهمزة وسكونها قراءتان سبعيتان وهو مصدر وقع موقع الحال (قوله وهى تاويل السبع السمان) اى والسبع الخضر (قوله لئلا يفسد) اى ياكله السوس كما هو شان غلال مصر ونواحيها ومنعه من الفساد ببقائه فى سنبله من خصوصيات يوسف والا ففى زمننا بقاؤه فى سنبله لا يدفع عنه الفساد (قوله وهى تاويل السبع العجاف) اى والسبع اليابسات (قوله اى تاكلونه فيهن) اشار بذلك الى ان الاسناد مجازى من الاسناد للظرف كما فى نهاره صائم (قوله تدخرون) اى للبذر (قوله ثم ياتى من بعد ذلك عام الخ) هذه بشارة لهم زيادة على تعبير الرؤيا (قوله يغاث الناس) اما من الغوث وهو الفرج وزوال الكرب او من الغيث وهو المطر والمعنى فيه يزول كرب الناس ويفرج عنهم بنزول المطر وتتابع الخير عليهم (قوله الاعناب) اى يعصرونها خمرا وقوله وغيرها اى كالزيتون والسمسم والكتان والقصب وغير ذلك (قوله وقال الملك) مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله لما جاءه الرسول الخ وذلك ان الساقى لما رجع الى الملك وأخبره بما عبر به يوسف رؤياه واستحسنه الملك وعرف ان الذى قاله كائن لا محالة قال ائتونى به حتى أبصره فرجع الساقى وقال له أجب الملك فقال له ارجع الخ (قوله فلما جاءه الرسول) مرتب على محذوف اى فذهب الرسول الى طلبه فلما جاءه الخ (قوله اظهار براءته) اى لتظهر براءة ساحته ويعلم انه سجن ظلما (قوله الى ربك) اى وهو الملك (قوله ان ربى سيدى) اى فالمراد به العزيز وهو استشهاد بكونه يعلم مكرهن وكيدهن ويصح ان يكون المراد بالرب الله تعالى وحينئذ يكون فى كلامه التفويض لله تعالى وهو الاقرب (قوله فجمعهن) اى وكانت زليخا معهن وخاطبهن جميعا ولم يخص زليخا بالخطاب سترا عليها (قوله من سوء) اى خيانة (قوله قالت امرأت العزيز) هذا اقرار منها بالحق والحامل لها على ذلك كون يوسف راعى جانبها حيث قال مابال النسوة الخ ولم يذكرها مع ان الفتن كلها انما نشات من جهتها فكافاته بان اعترفت بان الذنب منها (قوله وضح) اى اتضح (قوله فاخبر يوسف بذلك) اى بجواب النسوة المذكور (قوله فقال) اى يوسف وهذا احد قولين وقيل ان قوله ذلك ليعلم من كلام زليخا ويكون المعنى ذلك الذى قلته ليعلم يوسف انى لم أخنه ولم أكذب عليه وجئت بما هو الحق الواقع وما أبرئ نفسي من الخيانة ان النفس لامارة بالسوء الا نفسا

رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف (قوله ليعلم العزيز) أي زوج زليخا (قوله حال) أي اما من الفاعل
أي وانا غائب عنه أو من المفعول أي وهو غائب عني (قوله لا يهدي كيد الخائنين) أي لا يسدده (قوله
ثم تواضع لله) أي فوقع منه هذا القول على سبيل التواضع والا فيستحيل في حقه أن تامره نفسه بالسوء
لعصمته (قوله وما أبرئ نفسي) هذه الجملة حالية من محذوف والتقدير طلبت البراءة ليعلم الخ والحال
اني لم اقصد بذلك تنزيه نفسي ولا براءتها الخ (قوله الجنس) أي جنس النفوس (قوله كثيرة الامر) أي
لصاحبها واعلم أن النفس واحدة ولها صفات فاول أمرها تكون أمارة بالسوء تدعو الى الشهوات
وتميل اليها ولا تبالي وهذه نفس الكفار والعصاة المصرين فاذا أراد الله لها بالهدى جعل لها واعظا يامرها
وينهاها فحينئذ تصير لوامة تلوم صاحبها على ارتكاب الرذائل فينشا عن ذلك مجاهدته وتوبته ورجوعه
لخالقه فاذا كثر عليها ذلك واستمر صارت مطمئنة ساكنة تحت قضاء الله وقدره راضية باحكامه
فتستحق من الله العطايا والتحف قال تعالى يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي
في عبادي وادخلي جنتي وهذا هو مقام الواصلين وقيل ذلك يسمى مقام السائرين (قوله وقال الملك)
أي وهو الريان بن الوليد وذلك أنه لما ظهر له في يوسف من المزايا التي لم توجد في غيره قال ما ذكر (قوله فجاءه
الرسول الخ) قدر المفسر هذه الجمل وهو ثمانية اشارة الى ان قوله تعالى فلما كلمه مرتب على محذوف (قوله
ودعا لهم) اي بقوله اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار (قوله ثم اغتسل) اي فلما
خرج من السجن كتب على بابه هذا بيت البلوى وقبر الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء (قوله
ولبس ثيابا حسانا) يؤخذ من هذا ان مما ينبغي عند الدخول على السلاطين الطهارة وتحسين الهيئة وهذه
الثياب يحتمل انها كانت عنده او ارسلها له الملك (قوله ودخل عليه) وورد انه لما دخل سلم عليه بالعربية
فقال الملك ما هذا اللسان قال لسان عمي اسمعيل ثم دعا له بالعبرانية فقال له ما هذا اللسان ايضا فقال
هذا لسان آبائي وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا ولم يعرف هذين اللسانين وكان كلما تكلم بلسان اجابه
يوسف به فتعجب الملك من امره مع صغر سنه لانه كان اذ ذاك ابن ثلاثين سنة ثلاث عشرة منها مدة
اقامته مع زليخا والسجن وسبع عشرة قبلها وعلى هذا فدعواه لعبادة الله في السجن اما نبوة قبل الاربعين
او نصيحة منه لدين آبائه على عادة العلماء وتاسيسا لنبوته (قوله مكين امين) اي قريب المنزلة رفيع الرتبة
مؤتمن على سرنا (قوله قال فماذا ترى ان نفعل الخ) روي ان الملك قال ليوسف عليه السلام احب ان اسمع
تاويل رؤياي منك شفاها قال نعم ايها الملك رايت سبع بقرات سمان شهب حسان غير عجاف كشف لك
عنهن النيل فطلعن من شاطئه تشخب اخلافهن لبنا فبينما انت تنظر اليهن وقد اعجبك حسنهن اذ نضب
النيل فغار ماؤه وبدا يبسه فخرج من حمئه سبع بقرات عجاف شعث غبر ملصقات البطون ليس
لهن ضرع ولا اخلاف ولهن انياب واضراس واكف كاكف الكلاب وخراطيم كخراطيم
السباع فاختلطن بالسمان فافترسن السمان افتراس السبع فاكلن لحومهن ومزقن جلودهن
وحطمن عظامهن ومشمشن مخهن فبينما انت تنظر وتتعجب كيف غلبنهن وهن مهازيل ثم
لم يظهر فيهن سمن ولا زيادة بعد اكلهن واذا سبع سنبلات خضر وسبع سنبلات اخر سود يابسات في
منبت واحد عروقهن في الثرى والماء فبينما انت تقول في نفسك اي شيء هذا هؤلاء خضر مثمرات
وهؤلاء سود يابسات والمنبت واحد واصولهن في الثرى والماء اذ هبت ريح فردت اوراق اليابسات
السود على الخضر المثمرات فاشتعلت فيهن النار فاحترقن فصرن سودا فهذا ما رايت ايها الملك ثم انتبهت
مذعورا فقال الملك والله ما اخطأت فيها شيئا فما شان هذه الرؤيا وان كانت عجبا فما هي باعجب مما سمعت
منك وما ترى من تاويل رؤياي ايها الصديق قال يوسف عليه السلام ارى ان تجمع الطعام

(ليعلم) العزيز (اني لم اخنه) في اهله (بالغيب) حال (وان الله لا يهدي كيد الخائنين) ثم تواضع لله فقال (وما ابرئ نفسي) من الزلل (ان النفس) الجنس (لامارة) كثيرة الامر (بالسوء الا ما) بمعنى من (رحم ربي) فعصمه (ان ربي غفور رحيم وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي) اجعله خالصا لي دون شريك فجاءه الرسول وقال أجب الملك فقام وودع اهل السجن ودعا لهم ثم اغتسل ولبس ثيابا حسانا ودخل عليه (فلما كلمه قال) له (انك اليوم لدينا مكين امين) ذو مكانة وامانة على امرنا فماذا ترى ان نفعل قال اجمع الطعام وازرع زرعا كثيرا في هذه السنين المخصبة وادخر الطعام في سنبله فياتي اليك الخلق ليمتاروا منك فقال ومن لي بهذا

وتزرع زرعا كثيرا فى هذه السنين المخصبة وتجعل ما يتحصل من ذلك الطعام فى الخزائن بقصبه وسنبله فانه ابقى له فيكون ذلك القصب والسنبل علفا للدواب وتامر الناس ان يدفعوا الخمس من زرعهم ايضا فيكفيك ذلك الطعام الذى جمعته لاهل مصر ومن حولها وتاتيك الخلق من سائر النواحى للميرة ويجتمع عندك من الكنوز والاموال مالم يجتمع لاحد من قبلك فقال الملك ومن لى بهذا ومن يجمعه لى ويبيعه لى ولو جمعت اهل مصر ما اطاقوا ذلك ولم يكونوا فيه أمناء فقال يوسف عند ذلك اجعلنى الخ (قوله قال اجعلنى على خزائن الارض) ان قلت ان فى ذلك القول طلب التقدم والامارة وهو لا يليق بالاخيار اجيب بان محل هذا مالم يتعين عليهم والا فحينئذ يجب طلبها وأيضا ذلك بوحى من الله وكان بين ذلك القول وتوليته على الخزائن سنة وانما أخره الملك سنة قبل التولية بالفعل مع مزيد رغبته فيه ليشتهر قبل التولية بين اهل المملكة فى اطراف القطر ويصير معروفا للخاص والعام وانه ذو المكانة والامانة عند الملك (قوله انى حفيظ عليم) تعليل لما قبله ومفعول اجعل الثانى محذوف والتقدير اجعلنى امينا على خزائن الارض فانى حفيظ عليم * ان قلت ان فى هذا تزكية للنفس وقد نهى الله عن ذلك بقوله فلا تزكوا انفسكم * اجيب بان محل النهى حيث قصد بها الفخر والكبر على خلق الله بخلاف ما اذا قصد بها ايصال النفع للغير والاخبار بالواقع فلا ضرر فى ذلك بل ذلك من باب التحدث بالنعم وهو مامور به شرعا (قوله مكنا ليوسف فى الارض) اى مكناه اياها (قوله بعد الضيق والحبس) أى بعد صبره على الضيق حين وضع فى الجب وحين حبس (قوله وفى القصة ان الملك الخ) قال ابن عباس وغيره لما انقضت السنة من يوم سؤال يوسف الامارة دعاه الملك فتوجه وقلده بسيفه وحلاه بخاتمه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرة اذرع ووضع له ثلاثين فراشا وستين مادبة وضرب له عليه حلة من استبرق وأمره ان يخرج فخرج متوّجا لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه فيه من صفاء لونه فانطلق حتى جلس على ذلك السرير ودانت ليوسف الملوك وفوض الملك الاكبر اليه ملكه وعزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه قال الزمخشرى ان يوسف قال للملك اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك وأما التاج فليس من لباسى ولا لباس آبائى فقال له الملك قد وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك وكان لملك مصر خزائن كثيرة فسلمها ليوسف وسلم له سلطانه كله وجعل امره وقضاءه نافذا حتى بمملكته ثم هلك قطفير عزيز مصر فى تلك الليالى فزوج الملك يوسف امرأة العزيز بعد هلاكه فلما دخل يوسف عليها قال أليس هذا خيرا مما كنت تريدين قالت له ايها الصديق لا تلمنى فانى كنت امرأة حسناء ناعمة كما ترى وكان صاحبي لا ياتى النساء وكنت كما جعلك الله فى حسنك فغلبتنى نفسي وعصمك الله قالوا فوجدها يوسف عذراء فاصابها فولدت له ولدين ذكرين افرائيم وميشا وبنتا واسمها رحمة زوجة ايوب عليه السلام وميشا هو جد يوشع بن نون واقام فى مصر العدل واحبه الرجال والنساء فلما اطمان يوسف فى ملكه دبر فى جمع الطعام احسن التدبير فبنى الحصون والبيوت الكثيرة وجمع فيها الطعام للسنين المجدبة وانفق المال بالمعروف حتى خلت السنون المخصبة ودخلت السنون المجدبة بهول وشدة لم ير الناس مثله وقيل انه دبر فى طعام الملك وحاشيته كل يوم أكلة واحدة نصف النهار فلما دخلت سنة القحط كان أول من اصابه الجوع الملك فجاع نصف الليل فنادى يا يوسف الجوع الجوع فقال يوسف هذا اوان القحط فهلك فى السنة الاولى من سنى القحط كلما اعدوه فى السنين المخصبة فجعل اهل مصر يبتاعون الطعام من يوسف فباعهم فى السنة الاولى بالنقود حتى لم يبق بمصر درهم ولا دينار الا اخذه منهم وباعهم فى السنة الثانية بالحلى والجواهر حتى لم يبق بمصر فى ايدى الناس منهما شيء وباعهم فى السنة الثالثة بالدواب والمواشى والانعام

(قال) يوسف (اجعلنى على خزائن الارض) ارض مصر (انى حفيظ عليم) ذو حفظ وعلم بامرها وقيل كاتب حاسب (وكذلك) كانعامنا عليه بالخلاص من السجن (مكنا ليوسف فى الارض) ارض مصر (يتبوأ) ينزل (منها حيث يشاء) بعد الضيق والحبس وفى القصة ان الملك توجه وختمه وولاه مكان العزيز وعزله

حتى لم تبق دابة ولا ماشية الا احتوى عليها وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والجواري حتى لم يبق بايدى
الناس عبد ولا امة وباعهم في السنة الخامسة بالضياع والعقار حتى أتى عليها كلها وباعهم في السنة السادسة
باولادهم حتى استرقهم وباعهم في السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة الا ملكه فصاروا
جميعا عبيدا ليوسف عليه السلام فقال اهل مصر ما رأينا كاليوم ملكا اجل ولا اعظم من يوسف فقال
يوسف للملك كيف رأيت صنع الله بي فيما خولني فما ترى في هؤلاء قال الملك الرأي رأيك ونحن لك تبع
قال فاني اشهد الله واشهدك اني قد اعتقتهم عن آخرهم ورددت عليهم اموالهم ولم يزل يوسف يدعو الملك
الى الاسلام ويتلطف به حتى اسلم هو وكثير من الناس ومات في حياة يوسف واما العزيز فلم يثبت اسلامه
(قوله ومات بعد) اى مات العزيز بعد عزله (قوله فزوجه امرأته) اى بعد ان ذهب مالها وعمى بصرها من
بكائها على يوسف فصارت تتكفف الناس وكان يوسف يركب في كل اسبوع في موكب زهاء مائة الف
من عظماء قومه فقيل لها لو تعرضت له لعله يسعفك بشيء فلما ركب في موكبه قامت فنادت باعلى صوتها
سبحان من جعل الملوك عبيدا بمعصيتهم وجعل العبيد ملوكا بطاعتهم فقال يوسف ما هذه فقدمت اليه
فعرفها فرق لها وبكى بكاء شديدا ثم دعاها للزواج وامر بها فهيئت ثم زفت اليه فقام يوسف يصلي ويدعو
الله وقامت وراءه فسأل الله تعالى ان يعيد لها شبابها وجمالها وبصرها فرد الله عليها ذلك حتى عادت احسن
ما كانت يوم راودته اكراما له عليه السلام لما عف عن محارم الله فاصابها فاذا هي عذراء فعاشا في أرغد
عيش روى ان الله القى في قلب يوسف محبتها اضعاف ما كان في قلبها فقال لها ما شانك لا تحبيني كما كنت
اول مرة فقالت لما ذقت محبة الله شغلني ذلك عن كل شيء (قوله ولدين) اى وبنتا (قوله ودانت له الرقاب)
اى خضعت له الناس (قوله نصيب برحمتنا من نشاء) اى نخص بنعمتنا من أردنا (قوله ولا نضيع اجر
المحسنين) اى بل نضاعفه لهم (قوله ولاجر الآخرة خير) اللام موطئة لقسم محذوف (قوله للذين آمنوا)
اى اتصفوا بالايمان وقوله وكانوا يتقون اى يمتثلون الاوامر ويجتنبون النواهي (قوله ودخلت سنو
القحط الخ) قدر ذلك اشارة الى ان قوله وجاء اخوة يوسف مرتب على محذوف اى سبب مجيئهم أنه لما
فرغت سنو الخصب وأتت سنو القحط والجدب واحتاجت الناس للطعام فبلغ يعقوب ان بمصر ملكا
يبيع الطعام للمحتاجين فبعثهم ليبتاعوا منه (قوله وجاء اخوة يوسف) اى وكانوا عشرة وكان مسكنهم
بالعربات من ارض فلسطين وهي ثغور الشام وكانوا اهل بادية وابل وشياه وحكمة ذهاب العشرة جميعا انه
بلغهم ان الملك لا يزيد الواحد عن حمل بعير قصدا للعدل بين الناس فغرضهم بذلك ان تكون الاحمال عشرة
(قوله ليمتاروا) أى ليحملوا الميرة وهي الطعام المجلوب من بلد آخر (قوله لبعد عهدهم به) قال ابو صالح عن
ابن عباس كان بين ان ألقوه في الجب وبين دخولهم عليه اثنتان وعشرون سنة فلذا أنكروه ولانه كان على
سرير الملك وكان على رأسه تاج الملك وزي الملوك (قوله فقالوا للميرة) اى لاخذها (قوله لعلكم عيون) اى
جواسيس تطلعون على عوراتنا وتخبرون بها اعداءنا (قوله ولما جهزهم بجهازهم) اى هيأ لهم الطعام واكرمهم
في النزول واحسن ضيافتهم واعطاهم ما يحتاجون اليه في سفرهم (قوله قال ائتوني باخ لكم) اى ان كنتم
صادقين في ذلك فانا اكتفي منكم بذلك قالوا ان ابانا يحزن لفراقه قال فاتركوا بعضكم عندي رهينة حتى
تاتوني به فاقترعوا فيما بينهم فاصابت القرعة شمعون فخلفوه عنده وقوله باخ لكم انما لم يقل باخيكم زيادة في
الابهام عليهم وذلك للفرق بين قولك رأيت غلامك وغلاما لك فان الاول يقتضي ان عندك به نوع معرفة دون
الثاني (قوله الا ترون الخ) غرضه بذلك الترغيب في العود مرة اخرى (قوله وانا خير المنزلين) اى خير من

ومات بعد فزوجه امرا
فوجدها عذراء وولد
له ولدين واقام العدل بمص
ودانت له الرقاب (نصيب
برحمتنا من نشاء ولا نضي
أجر المحسنين ولاجر الآ
خير) من اجر الدنيا (للذ
آمنوا وكانوا يتقون
ودخلت سنو القحط
واصاب ارض كنعان
والشام (وجاء اخوة يوسف
الا بنيامين ليمتاروا لما بلغ
ان عزيز مصر يعطي
الطعام بثمنه (فدخلوا عل
فعرفهم) انهم اخوته (و
له منكرون) لا يعرفو
لبعد عهدهم به وظنهم هلا
فكلموه بالعبرانية فقا
كالمنكر عليهم ما اقدم
بلادي فقالوا للميرة فقا
لعلكم عيون قال معاذ ا
قال فمن اين انتم قالوا م
بلاد كنعان وابونا يعقو
نبي الله قال وله اولاد غير
قالوا نعم كنا اثني عش
فذهب اصغرنا هلك
في البرية وكان احبنا اليه و
شقيقه فاحتبسه ليتسلى
عنه فامر بانزالهم واكرا
(ولما جهزهم بجهازهم) و
لهم كيلهم (قال ائتوني ب
لكم من ابيكم) اى بنيام
لاعلم صدقكم فيما قلتم (
ترون اني اوف الكيل
اتمه من غير بخس (وانا
المنزلين فان لم تاتوني

فلا كيل لكم عندى) اى ميرة (ولا تقربون) نهى او عطف على محل فلا كيل اى تحرموا ولا تقربوا (قالوا سنراود عنه اباه) سنجتهد فى طلبه منه (وانا لفاعلون) ذلك (وقال لفتيته) وفى قراءة لفتيانه غلمانه (اجعلوا بضاعتهم) التى بها ثمن الميرة وكانت دراهم (فى رحالهم) اوعيتهم (لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم) وفرغوا اوعيتهم (لعلهم يرجعون) الينا لانهم لا يستحلون امساكها (فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل) ان لم ترسل اخانا اليه (فارسل معنا اخانا نكتل) بالنون والياء (وانا له لحافظون قال هل) ما (آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه) يوسف (من قبل) وقد فعلتم به ما فعلتم (فالله خير حفظا) وفى قراءة حافظا تمييز كقولهم لله دره فارسا (وهو ارحم الراحمين) فارجو ان يمن بحفظه (ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا أبانا ما نبغى) ما استفهامية اى اى شيء نطلب من اكرام الملك اعظم من هذا وقرئ بالفوقانية خطابا ليعقوب وكانوا ذكروا له اكرامه لهم (هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير اهلنا) نأتى بالميرة لهم وهى الطعام (ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير) لاخينا (ذلك كيل يسير) سهل على الملك لسخائه (قال ان ارسله معكم حتى تؤتون موثقا) عهدا (من الله) بان تحلفوا (لتأتننى به الا ان يحاط بكم) بان تموتوا او تغلبوا فلا تطيقوا الاتيان به فاجابوه الى ذلك (فلما آتوه موثقهم) بذلك (قال الله على ما نقول) نحن وأنتم (وكيل) شهيد وارسله معهم (وقال يا بنى لا تدخلوا) مصر (من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة) لئلا تصيبكم العين (وما اغنى) ادفع (عنكم) بقولى ذلك (من الله من) زائدة (شيء) قدره عليكم وانما ذلك

القول

يكرم الضيفان (قوله فلا كيل لكم عندى) اى اذا عدتم مرة اخرى (قوله اى ميرة) اشار بذلك الى ان المراد بالكيل المكيل (قوله نهى) اى والفعل مجزوم بحذف النون وحذفت ياء المتكلم تخفيفا وهذه النون للوقاية (قوله او عطف على محل فلا كيل) اى وهو الجزم لانه جواب الشرط وحينئذ فلا نافية ونون الرفع محذوفة للجازم على كل حال وعليه فيكون المعنى فلا كيل ولا قرب (قوله وانا لفاعلون ذلك) اى المراودة والاجتهاد (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية ايضا وكل من فتيته وفتيانه جمع لفتى لكن الاول جمع قلة والثانى جمع كثرة (قوله اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم) اى فقد وكل بكل رحل واحدا من غلمانه يضع فيه ثمن الطعام الذى فى هذا الرحل (قوله وكانت دراهم) وقيل كانت نعالا وجلودا والاقرب الاول لان شان الدراهم ان تخفى ولا شك انهم لم يعلموا بها الا عند تفريغ اوعيتهم (قوله لانهم لا يستحلون امساكها) اى لان ديانتهم وأمانتهم تحملهم على رد البضاعة اليه اذا وجدوها لانهم مطهرون من اكل ما لا يحل لهم وقيل قصد يوسف بذلك مواساة ابيه واخوته خوفا ان لا يكون عندهم شيء من المال وقيل اراد ان يريهم بره وكرمه ليكون ذلك باعثا لهم على الرجوع وقيل رأى ان اخذ ثمن الطعام من أبيه واخوته لؤما وقيل اراد ان يحسن اليهم على وجه لا يلحقهم فيه منة ولا عيب (قوله فلما رجعوا) اى التسعة لما تقدم انه أخذ شمعون رهينة على ان يأتوه ببنيامين (قوله منع منا الكيل) اى بعد هذه المرة (قوله بالنون والياء) اى فهما قراءتان سبعيتان واصل نكتل نكتيل تحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت الفا ثم حذفت لالتقاء الساكنين (قوله هل آمنكم) الاستفهام انكارى ولذا فسر هل بما والمعنى كيف آمنكم على ولدى بنيامين وقد فعلتم باخيه يوسف ما فعلتم وانكم ذكرتم مثل هذا فى شان يوسف حيث قلتم وانا له لحافظون فلما لم يحصل الحفظ هناك فكيف امنكم هنا (قوله الا كما أمنتكم) الكاف بمعنى مثل صفة لمصدر محذوف والتقدير الا ائتمانا مثل ائتمانى لكم على اخيه الخ (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية ايضا (قوله تمييز) اى على كل من القراءتين (قوله فارجو ان يمن بحفظه) اى ولا يجمع على مصيبتين قال كعب الاحبار لما قال يعقوب ذلك قال الله له لاردن عليك كليهما حيث توكلت على واستحفظتنى عليه (قوله ولما فتحوا متاعهم) اى بحضرة أبيهم (قوله وجدوا بضاعتهم) اى وهى ثمن الميرة (قوله اعظم من هذا) وردانهم قد كانوا ذكروا ليعقوب احسان ملك مصر اليهم وحثوا يعقوب على ارساله بنيامين معهم فلما وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا اى شيء نطلب بعد هذا الاكرام اوفى لنا الكيل ورد لنا الثمن لو كان رجلا من اولاد يعقوب ما أكرمنا كرامته فقال لهم يعقوب اذا رجعتم الى مصر فاقرؤه منى السلام وقولوا له ان ابانا يصلى عليك ويدعو لك بما اوليتنا (قوله ونزداد كيل بعير) اى على احمالنا (قوله لتأتننى به) هذا هو جواب القسم (قوله الا ان يحاط بكم) استثناء من عموم الاحوال والتقدير لتأتننى به فى كل حال الا حال الاحاطة بكم (قوله فلما آتوه موثقهم) اى بقولهم بالله رب محمد لنأتينك به والموثق العهد المؤكد باليمين (قوله من ابواب متفرقة) اى وكانت ابواب مصر اذ ذاك اربعة (قوله لئلا تصيبكم العين) انما خاف عليهم العين لكمالهم وجمالهم وقوتهم واشتهارهم بين اهل مصر باكرام الملك لهم واحترامهم فامرهم بالتفرق ليسلموا من اصابة العين فانها كما قال اهل السنة سبب عادى للضرر كالسم والسيف يوجد الضرر عندها لا بها وقالت الفلاسفة ان العائن ينبعث من عينه قوة سمية تتصل بالمعيون فيهلك او يفسد فاثبتوا للعين تاثيرا بنفسها وهو كلام باطل واعتقاده كفر واعظم نافع فى الرقى من العين سورتا المعوذتين (قوله من الله) اى من قضائه (قوله وانما ذلك) اى

القول (قوله شفقة) اى رأفة بكم ان قلت لم امرهم بذلك فى هذه المرة ولم يامرهم فى المرة الاولى اجيب بجوابين
الاول لكون معهم بنيامين وهو عزيز عليه نخاف عليهم من أجل كونه معهم والثانى انهم اشتهروا فى مصر
بانهم اولاد رجل واحد وفيهم نور النبوة والشهامة والجمال سيما وقد كانوا عند الملك بمنزلة بخلاف
المرة الاولى (قوله عليه توكلت) اى فوضت امورى واعتمدت عليه لا على ما أمرتكم به لان الاخذ فى
الاسباب مع التوكل أفضل من ترك الاسباب (قوله ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم) اختلف فى جواب
لما فقيل هو قوله ما كان يغنى الخ والمعنى ان دخولهم من الابواب متفرقة لا يدفع عنهم مما قدره الله شيئا بل
الدخول متفرقا كالدخول مجتمعا بالنسبة لقضاء الله وقيل هو قوله آوى اليه اخاه وهو جواب لما الثانية
ايضا لان المقصود بدخول المدينة الدخول على يوسف والمقصود به ايواء الاخ فلما الثانية مرتبة على لما
الاولى فصلح ان يكون جوابهما واحدا (قوله من حيث امرهم ابوهم) اى من ابواب متفرقة (قوله ما كان
يغنى) اى يدفع عنهم التفرق ففاعل يغنى ضمير يعود على التفرق (قوله الا حاجة) استثناء منقطع ولذا فسره
بلكن والمعنى لم يكن تفرقهم دافعا عنهم من قدر الله شيا لكن حاجة فى نفس يعقوب قضاها وهى دفع العين
عنهم التى كانت تصيبهم عند دخولهم مجتمعين فان التفرق فى الدخول دفعها بارادة الله (قوله لتعليمنا اياه)
اشارة بذلك الى ان ما مصدرية (قوله ولما دخلوا على يوسف) أى منزله ومحل حكمه وهذا الدخول غير
الدخول السابق فان المراد به دخول المدينة قال المفسرون لما دخلوا عليه قالوا ايها الملك هذا اخونا الذى
امرتنا ان ناتيك به فقد جئناك به فقال احسنتم واصبتم ستجدون ذلك عندى ثم انزلهم واكرم نزلهم ثم
اضافهم واجلس كل اثنين على مائدة فبقى بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخى يوسف حيا لاجلسنى معه
فقال لهم يوسف لقد بقى هذا وحده فقالوا كان له اخ فهلك قال لهم فانا اجلسه معى فاخذه فاجلسه معه على
المائدة وجعل يواكله فلما دخل الليل امرهم بمثل ذلك من الفراش وقال كل اثنين ينامان على فراش
واحد فبقى بنيامين وحده فقال يوسف هذا ينام عندى على فراشى فقام بنيامين مع يوسف على فراشه
فجعل يوسف يضمه اليه ويشم ريح ابيه منه حتى اصبح فلما اصبح قال لهم انى ارى هذا الرجل وحيدا
ليس معه ثان فانا اضمه الى فيكون معى فى منزلى ثم انه انزلهم واجرى لهم الطعام فقال روبيل ما رأينا
مثل هذا فلما خلا به قال له يوسف ما اسمك قال بنيامين قال فهل لك من ولد قال عشرة بنين قال فهل لك
من اخ لام قال كان لى اخ فهلك قال يوسف اتحب ان اكون انا اخاك بدل من اخيك الهالك قال بنيامين
ومن يجد اخا مثلك ايها الملك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف عليه السلام وقام اليه وعانقه
وقال انى انا اخوك الخ وقال كعب لما قال له يوسف انى أنا اخوك قال بنيامين انا لا افارقك فقال يوسف قد
علمت اغتمام والدى بى فاذا حبستك عندى ازداد غمه ولا يمكننى هذا الا ان اشهرك بامر فظيع
وانسبك الى ما لا يحمد فقال لا ابالى افعل ما بدا لك فانى لا افارقك قال يوسف فانى ادس صاعى فى
رحلك ثم انادى عليك بالسرقة لاحتال فى ردك بعد اطلاقك قال فافعل ما شئت فذلك قوله تعالى
فلما جهزهم الخ (قوله فلما جهزهم) عبر هنا بالفاء اشارة الى طلب سرعة سيرهم وذهابهم لبلادهم بخلاف
المرة الاولى فان المطلوب طول اقامتهم ليتعرف حالهم (قوله هى صاع من ذهب) وكان يشرب
فيه الملك فسمى سقاية باعتبار اول حاله وصاعا باعتبار آخر امره لان الصاع آلة الكيل (قوله مرصع
بالجواهر) اى مزين ومحلى بها (قوله بعد انفصالهم عن مجلس يوسف) اى خروجهم وسيرهم بل قيل
انهم وصلوا الى بلبيس وردوا من عندها (قوله ايتها العير) هى فى الاصل كل ما يحمل عليه من ابل وحمير
ويقال اطلقت واريد اصحابها فهو مجاز علاقته المجاورة (قوله واقبلوا) قدر المفسر قد اشارة الى ان
الجملة حالية والمعنى انهم التفتوا اليهم وخاطبوهم بما ذكر (قوله ماذا تفقدون) اى اى شئ ضاع منكم

شفقة (ان) ما (الحكم الا لله) وحده (عليه توكلت) به وثقت (وعليه فليتوكل المتوكلون) قال تعالى (ولما دخلوا من حيث امرهم أبوهم) اى متفرقين (ما كان يغنى عنهم من الله) اى قضائه (من) زائدة (شئ الا) لكن (حاجة فى نفس يعقوب قضاها) وهى ارادة دفع العين شفقة (وانه لذو علم لما علمناه) لتعليمنا اياه (ولكن اكثر الناس) وهم الكفار (لا يعلمون) الهام الله لاصفيائه (ولما دخلوا على يوسف آوى) ضم (اليه اخاه قال انى انا اخوك فلا تبتئس) تحزن (بما كانوا يعملون) من الحسد لنا وامره ان لا يخبرهم وتواطأ معه على انه سيحتال على ان يبقيه عنده (فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية) هى صاع من ذهب مرصع بالجواهر (فى رحل اخيه) بنيامين (ثم اذن مؤذن) نادى مناد بعد انفصالهم عن مجلس يوسف (ايتها العير) القافلة (انكم لسارقون قالوا و) قد (اقبلوا عليهم ماذا) ما الذى (تفقدون) ه (قالوا نفقد

صواع) صاع (الملك ولمن جاء به حمل بعير) من الطعام (وانا به) بالحمل (زعيم) كفيل (قالوا تالله) قسم فيه معنى التعجب (لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين) ما سرقنا قط (قالوا) اى المؤذن واصحابه (فما جزاؤه) اى السارق (ان كنتم كاذبين) فى قولكم ما كنا سارقين ووجد فيكم (قالوا جزاؤه) مبتدا خبره (من وجد فى رحله) يسترق ثم اكد بقوله (فهو) اى السارق (جزاؤه) اى المسروق لا غير وكانت سنة آل يعقوب (كذلك) الجزاء (نجزى الظالمين) بالسرقة فصرفوا ليوسف لتفتيش اوعيتهم (فبدا باوعيتهم) ففتشها (قبل وعاء اخيه) لئلا يتهم (ثم استخرجها) اى السقاية (من وعاء اخيه) قال تعالى (كذلك) الكيد (كدنا ليوسف) علمناه الاحتيال فى اخذ اخيه (ما كان) يوسف (ليأخذ اخاه) رقيقا عن السرقة (فى دين الملك) حكم ملك مصر لان جزاءه عنده الضرب وتغريم مثلى المسروق لا الاسترقاق (الا ان يشاء الله) اخذه بحكم ابيه اى لم يتمكن من أخذه الا بمشيئة الله بالهامه سؤال اخوته وجوابهم بسنتهم (نرفع درجات من نشاء) بالاضافة والتنوين فى العلم كيوسف (وفوق كل ذى علم) من المخلوقين (عليم) اعلم منه حتى ينتهى الى الله تعالى (قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل) اى يوسف وكان سرق لابى امه صنما

(قوله صواع الملك) اى آلة كيله وانما اتخذ آلة كيل لعزة ما يكال به فى ذلك الوقت وفيه قراآت كثيرة السبعية منها واحدة وهى صواع وما عداها شاذ (قوله حمل بعير) اى جعلا له (قوله قالوا تالله الخ) انما قالوا ذلك لما ظهر من احوالهم ما يدل على صدقهم حيث كانوا مواظبين على الطاعات والخيرات حتى بلغ من امرهم انهم سدوا افواه دوابهم لئلا تأكل شيئا من اموال الناس (قوله لقد علمتم) اللام موطئة لقسم محذوف تاكيد لما قبله (قوله ووجد فيكم) الجملة حالية والمعنى فما جزاؤه ان كنتم صادقين فى قولكم والحال انه ظهر خلاف ما قلتم (قوله خبره من وجد) اى فمن اسم موصول ووجد صلتها والكلام على حذف مضاف اى استرقاق من وجد اشار له المفسر بقوله يسترق (قوله وكانت سنة آل يعقوب) اى طريقتهم وشريعتهم يسترق السارق سنة (قوله كذلك الجزاء) اى المذكور وهو استرقاق السارق (قوله فصرفوا) اى ردوا من المكان الذى لحقهم فيه جماعة الملك (قوله فبدأ باوعيتهم) اى فكان يفتح وعاء وعاء ويفتشه ثم بعد فراغه منه يستغفر الله مما قذفهم به الى ان وصل الى رحل بنيامين فقال ما أظن هذا اخذ شيئا فقالوا والله لا نتركك حتى تنظر فى رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا فلما فتحوا متاعه وجدوا الصواع فيه (قوله ثم استخرجها من وعاء اخيه) اى فلما اخرجها منه نكس الاخوة رؤسهم من الحياء واقبلوا على بنيامين يلومونه ويقولون له فضحتنا وسودت وجهنا يا بنى راحيل مازال لنا منكم بلاء فقال بنيامين بل بنو راحيل مازال لهم منكم بلاء ذهبتم باخى فاهلكتموه فى البرية ان الذى وضع هذا الصواع فى رحلى هو الذى وضع البضاعة فى رحالكم (قوله كذلك الكيد) اى الحيلة وهى استفتاء يوسف من اخوته (قوله كدنا ليوسف) اى الهمناه ان يضع الصاع فى رحل اخيه ليضمه اليه على ما حكم به اخوته (قوله علمناه الاحتيال الخ) اى فما وقع من يوسف فى تلك الواقعة بوحى من الله تعالى وحينئذ فلا يقال كيف نادى على اخوته بالسرقة واتهمهم بها مع انهم بريئون (قوله لان جزاءه عنده الضرب الخ) اى وهذه الطريقة لا توصله الى اخذ اخيه (قوله مثلى المسروق) اى مثلى قيمته (قوله الا ان يشاء الله) استثناء منقطع والمعنى ما كان ليأخذ اخاه فى دين الملك ولكن اخذه بشريعة يعقوب لمشيئة الله لا خذه اذ لو شاء عدم اخذه لما علمه تلك الحيلة (قوله بحكم ابيه) اى شريعته (قوله بالاضافة والتنوين) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وفوق) خبر مقدم وعليم مبتدأ مؤخر والمعنى ان اخوة يوسف وان كانوا علماء الا ان الله جعل يوسف فوقهم فى العلم بل فضله عليهم بمزايا عظيمة منها الرسالة والملك والانعام عليهم وغير ذلك (قوله قالوا ان يسرق الخ) سبب هذه المقالة انه لما اخرج الصاع من رحل بنيامين افتضح الاخوة ونكسوا رؤسهم فقالوا تبرئة لساحتهم ان يسرق الخ واتوا بان المفيدة للشك لانه ليس عندهم تحقق سرقته بمجرد اخراج الصاع من رحله وبالمضارع لحكاية الحال الماضية (قوله وكان سرق لابى امه صنما الخ) هذا احد اقوال فى السرقة التى نسبوها له وقيل جاءه سائل يوما فاخذ بيضة من البيت فناولها للسائل وقيل اخذ دجاجة من الطير التى كانت فى بيت يعقوب فاعطاها سائلا وقيل كان يخبأ الطعام من المائدة للفقراء وقيل لم يسرق اصلا لا ظاهرا ولا باطنا وانما كانت تهمة فقط وذلك ان عمته حضنته بعد موت امه فاحبته حبا شديدا فلما ترعرع وقعت محبة يعقوب عليه فاحبه فقال لاخته يا اختاه سلمى الى يوسف فوالله ما اقدر ان يغيب عنى ساعة واحدة فقالت لا اعطيكه فقال والله ما انا بتاركه عندك فقالت دعه عندى اياما انظر اليه لعل ذلك يسلينى عنه ففعل ذلك فعمدت الى منطقة كانت لاسحق وكانوا يتوارثونها بالكبر وكانت اكبر اولاد اسحق وكانت عندها فشدت المنطقة على وسط يوسف تحت ثيابه وهو صغير لا يشعر ثم قالت لقد فقدت منطقة اسحق ففتشوا اهل البيت فوجدوها مع يوسف فقال يعقوب ان كان فعل ذلك فهو سلم لك فامسكته عندها حتى ماتت

(قوله

من ذهب فكسره لئلا يعبده (فاسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها) يظهرها (لهم) والضمير للكلمة التى فى قوله (قال) فى نفسه (انتم شر مكانا) من يوسف واخيه لسرقتكم اخاكم من أبيكم وظلمكم له (والله اعلم) عالم (بما تصفون) تذكرون فى امره (قالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا) يحبه اكثر منا ويتسلى به عن ولده الهالك ويحزنه فراقه (فخذ احدنا) استعبده (مكانه) بدلا منه (انا نراك من المحسنين) فى افعالك (قال معاذ الله) نصب على المصدر حذف فعله واضيف الى المفعول أى نعوذ بالله من (ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده) لم يقل من سرق تحرزا من الكذب (انا اذا) ان أخذنا غيره (لظالمون فلما استيأسوا) يئسوا (منه خلصوا) اعتزلوا (نجيا) مصدر يصلح للواحد وغيره اى يناجى بعضهم بعضا (قال كبيرهم) سنا روبيل اورأيا يهودا (الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا) عهدا (من الله) فى اخيكم (ومن قبل ما) زائدة (فرطتم فى يوسف) وقيل ما مصدرية مبتدا خبره من قبل (فلن ابرح) افارق (الارض) ارض مصر (حتى ياذن لى ابى) بالعود اليه (او يحكم الله لى) بخلاص أخى (وهو خير الحاكمين) أعدلهم (ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق وما شهدنا) عليه (الا بما علمنا) تيقنا من مشاهدة الصاع فى رحله (وما كنا للغيب) لما غاب عنا حين اعطاه الموثق (حافظين) ولو علمنا انه يسرق لم ناخذه (واسئل القرية التى كنا فيها) هى مصر اى ارسل الى اهلها فاسالهم (والعير) اى اصحاب العير (التى اقبلنا فيها) وهم قوم من كنعان (وانا لصادقون) فى

(قوله لئلا يعبده) اى يدوم على عبادته (قوله والضمير للكلمة الخ) اى فهو عائد على متاخر لفظا ورتبة وحينئذ يكون فى الكلام تقديم وتاخير والتقدير قال انتم شر مكانا واسرها فى نفسه وهذ احد قولين وقيل انه عائد على قوله فقد سرق اخ له من قبل ومعنى قوله اسرها لم يرد لها جوابا (قوله انتم شر مكانا) أى منزلة والمعنى أن ماظهرتم به شر مما ظهر به يوسف واخوه فانهما اتهما بالسرقة ظاهرا وانتم سرقتم يوسف من ابيه وفعلتم به مافعلتم (قوله لسرقتكم اخاكم من ابيكم) اى وهو يوسف (قوله عالم) اشار بذلك الى ان اسم التفضيل ليس على بابه اذ لا مشاركة بين الحادث والقديم (قوله قالوا يا أيها العزيز الخ)سبب هذه المقالة انه لما استخرج الصاع من رحل بنيامين غضب روبيل لذلك وكان بنو يعقوب اذا غضبوا لم يطاقوا وكان روبيل اذا غضب لم يقم لغضبه شيء وكان اذا صاح القت كل حامل حملها اذا سمعت صوته وكان مع ذلك اذا مسه احد من ولد يعقوب يسكن غضبه وكان اقوى الاخوة واشدهم وقيل كان هذا صفة شمعون بن يعقوب فقال لاخوته كم عدد الاسواق بمصر قالوا عشرة قال اكفونى انتم الاسواق وانا أكفيكم الملك او اكفونى انتم الملك وانا اكفيكم الاسواق فدخلوا على يوسف فقال روبيل ايها الملك لتردن علينا اخانا او لاصيحن صيحة لا يبقى بمصر امرأة حامل الا وضعت حملها وقامت كل شعرة فى جسد روبيل حتى خرجت من ثيابه فقال يوسف لابن صغير له قم الى جنب هذا فمسه أو خذ بيده فاتى له فلما مسه سكن غضبه فقال لاخوته من مسنى منكم فقالوا لم يصبك منا احد فقال روبيل ان هذا بذر من بذر يعقوب فغضب ثانيا فقام يوسف اليه فوكزه برجله واخذ بيده من يده فوقع على الارض وقال لهم انتم يا معشر العبرانيين تزعمون ان لا أحد اشد منكم فلما رأوا ما نزل بهم ورأوا ان لا سبيل الى الخلاص خضعوا وذلوا وقالوا يا أيها العزيز الخ (قوله كبيرا) اى فى السن او القدر لانه نبي من اولاد الانبياء (قوله استعبده) اى استرقه (قوله مكانه) منصوب على الظرفية او ضمن خذ معنى اجعل فمكانه مفعول ثان (قوله من المحسنين) اى فى افعالك والينا فى توفية الكيل وحسن الضيافة وغير ذلك (قوله انا اذا لظالمون) اى فى اخذ احدكم مكانه (قوله يئسوا) اشار بذلك الى ان السين والتاء زائدتان (قوله اعتزلوا) اى مجلس الملك (قوله نجيا) هو حال والمعنى خلصوا حال كونهم متناجين ومتشاورين فى امر هذه القضية (قوله فى أخيكم) اى فى رده (قوله ما زائدة)أى والجار والمجرور متعلق بفرطتم (قوله وقيل ما مصدرية مبتدا) اى وهى ما دخلت عليه فى تاويل مصدر مبتدا فالمبتدأ فى الحقيقة المصدر المنسبك والمعنى وتفريطكم كائن من قبل تفريطكم فى بنيامين واعترض هذا الاعراب بان الظروف المنقطعة عن الاضافة لا تقع خبرا و يجاب بان محل ذلك ما لم يتعين المضاف اليه كما هنا (قوله فلن ابرح الارض) اشار بذلك الى ان ابرح ضمنت معنى افارق فالارض مفعول به وابرح تامة (قوله او يحكم الله) اما معطوف على ياذن او منصوب بان مضمرة فى جواب النفى كانه قال فلن ابرح الارض الا ان يحكم الله كقولهم لالزمنك او تقضينى حقى اى الا ان تقضينى حقى (قوله فقولوا يا أبانا الخ) انما امرهم بذلك لتزول التهمة عنهم عند ابيهم (قوله ان ابنك سرق) انما نسبوه للسرقة لانهم شاهدوا الصواع قد اخرج من متاعه فغلب على ظنهم انه سرق فلذلك نسبوه الى السرقة فى ظاهر الحال لا فى الحقيقة (قوله وما كنا للغيب حافظين) اى وما كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين اعطيناك الموثق انه سيسرق وتصاب به كما اصبت بيوسف (قوله اى ارسل الى اهلها) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف وكذا فى قوله والعير (قوله وهم قوم من كنعان) اى وكانوا جيرانا ليعقوب (قوله وانا لصادقون) اى سواء نسبتنا الى التهمة ام لا

قولنا فرجعوا اليه وقالوا له ذلك (قال بل سولت) زينت (لكم انفسكم امرا) ففعلتموه اتهمهم لما سبق منهم من امر يوسف (فصبر جميل) صبرى (عسي الله ان يا تيني بهم) بيوسف وأخويه (جميعا انه هو العليم) بحالى (الحكيم) فى صنعه (وتولى عنهم) تاركا خطابهم (وقال يا أسفى) الالف بدل من ياء الاضافة اى يا حزنى (على يوسف وا بيضت عيناه) انمحق سوادهما و بدل بياضا من بكائه (من الحزن) عليه (فهو كظيم) مغموم مكروب لا يظهر كربه (قالوا تالله) لا (تفتا) تزال (تذكر يوسف حتى تكون حرضا) مشرفا على الهلاك لطول مرضك وهو مصدر يستوى فيه الواحد وغيره (او تكون من الهالكين) الموتى (قال) لهم (انما أشكو بثى) هو عظيم الحزن الذى لا يصبر عليه حتى يبث الى الناس (وحزنى الى الله) لا الى غيره فهو الذى تنفع الشكوى اليه (واعلم من الله مالا تعلمون) من ان رؤيا يوسف صدق وهو حى ثم قال (يا بنى اذهبوا

وليس غرضهم ان يثبتوا صدق أنفسهم بهذه المقالة لان دعوى الخصم لا تثبت بنفسها (قوله فرجعوا) اى التسعة وقدره اشارة الى أن قوله قال بل سولت الخ مرتب على محذوف (قوله فصبر جميل) خبر لمبتدا محذوف قدره المفسر بقوله صبرى وتقدم ان الصبر الجميل هو الذى لا شكوى معه لمخلوق ولا جزع من فعل الخالق ولذلك فوض أمره لله ولم يسال العير ولم يرسل يستخبر من القرية التى كانوا فيها بل استسلم للقضاء ولم يقطع الرجاء (قوله عسى الله ان يا تينى بهم) انما قال ذلك لانه لما طال حزنه واشتد كربه علم ان الله سيجعل له فرجا ومخرجا لانه اذا اشتد الكرب كان الى الفرج أسرع وقيل ان يعقوب اطلعه الله على باطن الامر وان أولاده أحياء لم يصابوا بشئ وانه سيجتمع عليهم غيرانه أمر بكتم ذلك فلوح بتلك الاشارة الى علمه (قوله وأخويه) اى بنيامين وكبيرهم (قوله الحكيم فى صنعه) اى لانه يضع الاشياء فى محلها (قوله وتولى عنهم) مرتب على ماذكروه له (قوله الالف بدل من ياء الاضافة) اى والاصل يا أسفى بكسر الفاء وفتح الياء قلبت الكسرة فتحة ثم تحركت الياء وانفتح ماقبلها قلبت ألفا فيقال فى اعرابها أسفى منادى منصوب بفتحة مقدرة على ماقبل ياء المتكلم المنقلبة ألفا (قوله على يوسف) انما تجدد حزنه على يوسف عند اخباره بواقعة بنيامين لان الحزن القديم اذا صادفه حزن آخر كان اوجع للقلب وأعظم لهيجان الحزن وليس فى هذا اظهار جزع بل هو شكوى لله لا للخلق فمعنى يا أسفى اشكو الى الله شدة حزنى فلا ينافى قوله فصبر جميل (قوله وابيضت عيناه) قيل معناه عمى فلم يبصر شيا ست سنين وهذا بناء على جواز مثل هذا على الانبياء بعد التبليغ واشتهار الامر وقيل معناه ضعف بصره من كثرة البكاء واتصال الدمع بعضه ببعض ولم يكن عمى حقيقة بل من كثرة البكاء صار على انسان العين غشاوة مانعة له من النظر ولم يذهب أصلا وهذا هو الاقرب (قوله فهو كظيم) اى مكظوم ممتلئ من الحزن ممسك عليه لا يذكره لاحد قال قتادة الكظيم الذى يرد حزنه فى جوفه ولم يقل الا خيرا (قوله قالوا تالله) أى تسلية له على ما نزل به من الحزن العظيم ان قلت كيف حلفوا على شئ لا يعلمون حقيقته أجيب بانهم حلفوا على غلبة الظن وهى بمنزلة اليقين فهو من لغو اليمين الذى لا يؤاخذ به العبد (قوله تفتا تذكر يوسف الخ) انما قدر المفسر لا لان القسم المثبت جوابه مؤكد بالنون أو اللام عند الكوفيين أو بهما عند البصريين فلما رأينا الجواب هنا خاليا منهما علمنا ان القسم على النفى بمعنى ان جوابه منفى لا مثبت فلو قيل والله أحبك كان المراد لا أحبك وهو من قبيل التورية ومن ذلك اذا قال والله أجيئك غدا فيحنث بالمجئ بخلاف ما اذا قال لا اجيئك فيحنث بعدمه (قوله حتى تكون حرضا) هو من باب تعب يقال حرض حرضا أشرف على الهلاك (قوله وغيره) اى المثنى والمجموع والمذكر والمؤنث (قوله قال لهم) اى جوابا لقولهم (قوله أشكو بثى) البث تفريق الحزن واظهاره لان الانسان اذا ستر الحزن وكتمه كان هما واذا ذكره لغيره كان بثا فالبث أشد الحزن وهذه المقالة قالها لجبريل عليه السلام لما ورد انه كان ليعقوب شخص مواخ له فقال له ذات يوم يا يعقوب ما الذى أذهب بصرك وما الذى قوس ظهرك قال اما الذى أذهب بصرى فالبكاء على يوسف وأما الذى قوس ظهرى فالحزن على بنيامين فاتاه جبريل فقال له يا يعقوب ان الله يقرئك السلام و يقول لك أما تستحى ان تشكو الى غيرى فقال انما أشكو بثى وحزنى الى الله فقال جبريل الله أعلم بما تشكو وانما عوتب يعقوب بهذا لان حسنات الابرار سيآت المقربين لان العتاب على قدر المرتبة (قوله واعلم من الله مالا تعلمون) اى من رحمته واحسانه (قوله وهو حى) اى لما روى ان ملك الموت زار يعقوب فقال له يعقوب أيها الملك الطيب ريحه الحسن صورته الكريم على ربه هل قبضت روح ابنى يوسف قال لا فطابت نفس يعقوب وطمع فى رؤيته (قوله يا بنى اذهبوا الخ) سبب تلك المقالة ان أولاده لما أخبروه بسيرة ملك مصر وكمال حاله فى جميع أقواله وأفعاله احست نفس يعقوب وطمع

ان

فتحسسوا من يوسف واخيه) اطلبوا خبرهما (ولا تيأسوا) تقنطوا (من روح الله) رحمته (انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) فانطلقوا نحو مصر ليوسف (فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر) الجوع (وجئنا ببضاعة مزجاة) مدفوعة يدفعها كل من رآها لرداءتها وكانت دراهم زيوفا او غيرها (فأوف) اتم (لنا الكيل وتصدق علينا) بالمسامحة عن رداءة بضاعتنا (ان الله يجزى المتصدقين) يثيبهم فرق عليهم وادركته الرحمة ورفع الحجاب بينه وبينهم ثم (قال) لهم توبيخا (هل علمتم مافعلتم بيوسف) من الضرب والبيع وغير ذلك (واخيه) من هضمكم له بعد فراق اخيه (اذ انتم جاهلون) ما يؤول اليه امر يوسف (قالوا) بعد ان عرفوه لما ظهر من شمائله متثبتين (أئنك) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وادخال الف بينهما على الوجهين (لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخى قد من) انعم (الله علينا) بالاجتماع (انه من يتق) يخف الله (ويصبر) على ما يناله (فان الله لا يضيع اجر المحسنين) فيه وضع الظاهر موضع المضمر (قالوا تالله لقد آثرك) فضلك (الله علينا) بالملك وغيره (وان) مخففة اى انا (كنا لخاطئين) آثمين فى امرك فاذلنا لك (قال لا تثريب) عتب (عليكم اليوم) خصه بالذكر لانه مظنة التثريب فغيره اولى (يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين)

أن يكون هو يوسف فعند ذلك قال يا بنى الخ (قوله فتحسسوا) هو بالحاء المهملة طلب الخبر بالحاسة والتجسس بمعناه روى ان يعقوب حين أمر اولاده ان يذهبوا اليأتوا بخبر يوسف واخيه كتب لهم كتابا الى يوسف لما حبس عنده بنيامين من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله الى ملك مصر أما بعد فانا اهل بيت وكل بنا البلاء أما جدى ابراهيم فشدت يداه ورجلاه وألقى فى النار فصبر لامر الله واما عمى اسمعيل فابتلى بالغربة فى صغره فصبر لامر الله واما أبى اسحق فابتلى بالذبح ووضع السكين على قفاه ففداه الله واما انا فكان لى ابن وكان احب اولادى الى فذهب به اخوته الى البرية ثم أتونى بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناى ثم كان لى ابن آخر وكان اخاه من امه فكنت أتسلى به وانك حبسته وزعمت انه سرق وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته الى والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك فلما قرأ يوسف كتاب ابيه اشتد بكاؤه وقل صبره واظهر نفسه لاخوته (قوله وأخيه) لم يقل واخويه لانه كان يعلم ان الثالث مقيم بمصر فلم يخف عليه حاله (قوله اطلبوا خبرهما) اى بالحاسة كما ان التجسس طلب الخبر بالحاسة ايضا فهما بمعنى واحد ولذا قرئ هنا بالجيم شذوذا (قوله من روح الله) بالفتح مصدر بمعنى الرحمة وهو فى الاصل استراحة القلب من غمه والمعنى لا تقنطوا من راحة تأتيكم من الله (قوله فانطلقوا نحو مصر) قدره اشارة الى ان قوله فلما دخلوا عليه مرتب على محذوف (قوله مدفوعة) اى مردودة (قوله وكانت دراهم زيوفا) اى معيبة (قوله او غيرها) اولتنويع الخلاف فقيل كانت نعالا وقيل صوفا (قوله فأوف لنا الكيل) اى اعطنا ما كنت تعطينا من قبل بالثمن الجيد فانا نريد ان تقيم لنا الناقص مقام الزائد (قوله بالمسامحة) وقيل برد اخينا بنيامين * ان قلت ان ما فعلوه خلاف ما امرهم به ابوهم من التحسس من يوسف واخيه * اجيب بان ابواب التحسس كثيرة وهذا منها لان الاعتراف بالعجز وضيق اليد وشدة الحاجة مما يرقق القلب فان كان يوسف فسيظهر لهم حاله لحصول الرقة والعطف منه لهم وان كان غيره فلا يرق ولا يعطف (قوله ورفع الحجاب الخ) قيل هو اللثام الذى كان يتلثم به وقيل هو الستر الذى كان يكلمهم من خلفه وقيل هو تاج الملك الذى كان يضعه على رأسه وكان له فى قرنه علامة تشبه الشامة وكان ليعقوب مثلها ولاسحق مثلها ولسارة مثلها فعرفوه بها (قوله قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه) اى هل علمتم عاقبة ما فعلتم بهما من تسليم الله اياهما من كل مكروه وانعام الله عليهما بتلك النعم العظيمة (قوله من هضمكم له) اى ظلمكم واذايتكم له (قوله اذ انتم جاهلون) اى وقت جهلكم بعاقبة امرهما (قوله من شمائله) اى اخلاقه (قوله وادخال الف بينهما الخ) اى فالقراآت اربع التحقيق والتسهيل للثانية مع الالف بينهما وبدونها وبقى قراءة خامسة سبعية ايضا وهى انك بهمزة واحدة (قوله قال أنا يوسف) انما عرض باسمه تعظيما لما نزل به من ظلم اخوته ولما عوضه الله من النصر والملك (قوله انه من يتق) باثبات الياء وصلا ووقفا وبحذفها فيهما قراءتان سبعيتان فعلى الاثبات تكون من موصولة والفعل صلتها وعلى الحذف تكون شرطية والفعل مجزوم بحذفها (قوله فيه وضع الظاهر الخ) اى والاصل لا يضيع اجرهم (قوله وغيره) اى كالصبر والصفح والحلم (قوله لخاطئين) يقال خطئ اذا كان عن عمد واخطأ اذا لم يكن عن عمد ولذا عبر بخاطئين دون مخطئين (قوله قال لا تثريب) اى لا توبيخ ولا لوم عليكم (قوله اليوم) خبر ثان او متعلق بالخبر ولو وقف عليه وهو الاقرب ولذا مشى عليه المفسر وقوله يغفر الله لكم استئناف ويصح ان يكون ظرفا لقوله يغفر فالوقف على قوله عليكم (قوله يغفر الله لكم) الجملة دعائية (قوله وهو ارحم الراحمين) اى يقبل التوبة ويعفو عن المذنبين ومن كرم يوسف عليه السلام انهم لما عرفوه قالوا انك تدعونا بكرة وعشيا الى الطعام ونحن نستحى منك لما تقدم منا فقال ان اهل مصر كانوا ينظرون الى بعين العبودية ويقولون سبحان من

وسالهم عن ابيه فقالوا ذهبت عيناه فقال (اذهبوا بقميصى هذا) وهو قميص ابراهيم الذى لبسه حين القى فى النار كان فى عنقه فى الجب وهو من الجنة امره جبريل بارساله وقال ان فيه ريحها ولا يلقى على مبتلى الا عوفى (فالقوه على وجه ابى يات) يصر (بصيرا واتونى باهلكم اجمعين ولما فصلت العير) خرجت من عريش مصر (قال ابوهم) لمن حضر من بنيه واولادهم (انى لاجد ريح يوسف) اوصلته اليه الصبا باذنه تعالى من مسيرة ثلاثة ايام اوثمانية او اكثر (لولا ان تفندون) تسفهون لصدقتمونى (قالوا) له (تالله انك لفى ضلالك) خطئك (القديم) من افراطك فى محبته ورجاء لقائه على بعد العهد (فلما أن) زائدة (جاء البشير) يهودا بالقميص وكان قد حمل قميص الدم فاحب أن يفرحه كما احزنه (القاه) طرح القميص (على وجهه

بلغ عبدا يبيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت فى عيونهم حيث علموا انكم اخوتى وانى من حفدة ابراهيم عليه السلام (قوله وسالهم عن ابيه) اى حين وقع التعارف وهو تمهيد لقوله اذهبوا بقميصى (قوله وهو قميص ابراهيم الذى لبسه حين القى فى النار) اى لانه لما التى فيها عريانا اتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فكان ذلك القميص عند ابراهيم فلما مات ورثه اسحق فلما مات ورثه يعقوب وجعله فى قصبة من فضة وسد رأسها وعلقها فى عنق يوسف حفظا من العين فلما التى فى الجب عريانا أتاه جبريل واخرج له ذلك القميص من القصبة والبسه اياه (قوله وقال) اى جبريل (قوله يات بصيرا) يحتمل ان يات بمعنى يصير فبصيرا مفعول ثان وهو الذى درج عليه المفسر ويحتمل انها بمعنى يجئ فبصيرا حال (قوله باهلكم اجمعين) اى وكانوا اثنين وسبعين ما بين رجل وامرأة وقيل ثلاثا وسبعين فارسل لهم مائتى راحلة وكانوا حين خرجوا من مصر مع موسى ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرارى والضعفاء وكانت الذرية اذ ذاك ألف ألف ومائتى ألف فقد بورك فيهم حتى بلغوا هذا العدد فى تلك المدة اليسيرة لانه كان بين يعقوب وموسى أربعمائة سنة (قوله خرجت من عريش مصر) اى متوجهة الى أرض كنعان والعريش بلدة معروفة آخر بلاد مصر واول بلاد الشام وماذكره المفسر أحد قولين والآخر أن المراد خرجت من نفس مصر (قوله لمن حضر من بنيه وأولادهم الخ) مقتضى هذا ان الاولاد لم يذهبوا جميعا لمصر بل بقى بعضهم وقال غيره ان الاولاد ذهبوا جميعا وهذا الخطاب لاولادهم (قوله انى لاجد ريح يوسف) اى ريح الجنة من قميص يوسف فالاضافة لادنى ملابسة وفى هذا دليل على ان كل سهل فهو فى مدة المحنة صعب وكل صعب فهو فى زمان الاقبال سهل حيث وصل اليه ريح القميص من المكان البعيد عند انقضاء مدة الفراق ومنع من وصول خبره اليه مع قرب احدى البلدتين من الاخرى فى تلك المدة العظيمة ومن ذلك قول العارف ابن الفارض رضى الله عنه

أعوام اقباله كاليوم فى قصر ❊ ويوم اعراضه فى الطول بالحجج

(قوله اوصلته اليه الصبا) هى ريح تهب من مطلع الشمس ❊ ان قلت ان ريح الصبا تقابل الذاهب من مصر الى الشام فاذا كانت تقابله فكيف تحمل الريح من القميص الذى معه الى جهة الشام فمقتضى العادة ان التى حملت هى الدبور لانها هى التى تذهب من جهة مصر الى الشام ❊ اجيب بان هذا اخرق عادة او يقال ان هذا ظاهر اذا كانت حملته لمقابلتها فقط واما ما حصل فقد فاح شذاه على جميع الدنيا ولذا قال مجاهد هبت ريح فصفقت القميص ففاحت روائح الجنة فى الدنيا واتصلت بيعقوب فوجد ريح الجنة من ذلك القميص وحينئذ فحمل الصبا الريحه ظاهر لانها لم تحمل ريحه ليعقوب فقط بل حملته لاهل الدنيا وقد بالغ الناس فى مدح الصبا حتى قال بعض الحكماء لو توالت على الارض سبعة ايام لا نبتت الزعفران وقال بعضهم مادحا لها

ايا جبلى نعمان بالله خليا ❊ نسيم الصبا يخلص الىّ نسيمها

فان الصبا ريح اذا ما تنسمت ❊ على نفس مهموم تجلت همومها

اجد بردها اوتشف منى حرارة ❊ على كبد لم يبق الا رسومها

(قوله او اكثر) قيل عشرة وقيل شهر (قوله لولا ان تفندون) ان وما دخلت عليه فى تأويل مصدر مبتدأ خبره محذوف وجوبا وجواب لولا محذوف ايضا وتقدير الكلام لولا تفنيدكم لى موجود لصدقتمونى والتفنيد هو تضعيف الرأى (قوله قالوا) اى من حضر عنده من اولاد بنيه (قوله لفى ضلالك القديم) اى من ذكر يوسف وعدم نسيانك اياه لانه كان عندهم قدمات وهلك (قوله فاحب ان يفرحه) اى فقال لاخوته انى ذهبت بالقميص ملطخا بالدم فانا اذهب بهذا القميص فافرحه كما احزنته فحمله وخرج به حافيا

حاسرا

حاسرا ومعه سبعة أرغفة لم يستوف اكلها حتى أتى أباه وكانت المسافه ثمانين فرسخا فلما وصل اليه علمه فى نظير تلك البشارة كلمات كان ورثها عن ابيه اسحق وهو عن ابيه ابراهيم وهى يالطيفا فوق كل لطيف الطف بى فى امورى كلها كما احب ورضنى فى دنياى وآخرتى (قوله فارتد بصيرا) اى رجع بصره لحالته الاولى (قوله قال الم اقل لكم انى اعلم من الله مالا تعلمون) اى من امور باطنية لا تعلمونها فانتم تنظرون للظاهر وانا انظر للباطن (قوله قالوا ياابانا الخ) اى لما ظهر الحق وتبين اعتذروا الا بيهم عما وقع منهم (قوله استغفر لنا) اى اطلب لنا من ربنا غفران ذنوبنا (قوله انا كنا خاطئين) اى آثمين (قوله اخر ذلك الى السحر) اى فلما انتهى الى وقت السحر قام الى الصلاة متوجها الى الله فلما فرغ منها رفع يديه وقال اللهم اغفر لى جزعى على يوسف وقلة صبرى عنه واغفر لاولادى ما اتوا الى والى اخيهم يوسف فاوحى الله اليه انى قد غفرت لك ولهم اجمعين (قوله او الى ليلة الجمعة) اى وقيل الى الاجتماع بيوسف ليجتمع معه على الاستغفار والدعاء لهم ويؤيده ماروى انه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين حتى نزل جبريل عليه السلام وقال ان الله قد اجاب دعوتك فى ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وهذا ان صح فهو دليل على نبوتهم ويجاب عما وقع منهم عامر (قوله ثم توجهوا الى مصر) قال اصحاب الاخبار لما دنا يعقوب من مصر كلم يوسف الملك الاكبر وعرفه بمجىء ابيه واهله فخرج يوسف فى اربعة آلاف من الجند وركب اهل مصر معهم يتلقون يعقوب عليه السلام وكان يعقوب يمشي وهو يتوكا على يدابنه يهودا فلما نظر الى الخيل والناس قال يايهودا هذا فرعون مصر قال لا بل هذا ابنك يوسف فلما دنا كل واحد من صاحبه اراد يوسف ان يبدا يعقوب بالسلام فقال له جبريل خل يعقوب يبدا بالسلام فقال يعقوب السلام عليك يامذهب الاحزان وقيل انهما نزلا وتعانقا وفعلا كما يفعل الوالد بولده والولد بوالده وبكيا وقيل ان يوسف قال لابيه ياابت بكيت على حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة تجمعنا قال بلى ولكن خشيت ان يسلب دينك فيحال بينى وبينك وخرج يوسف للقاء ابيه فى اربعة آلاف من الجند لكل واحد منهم جبة من فضة وراية خز وقصب فتزينت الصحراء بهم واصطفوا صفوفا ولما صعد يعقوب ومعه اولاده وحفدته نظر الى الصحراء مملوءة بالفرسان مزينة بالالوان فنظر اليهم متعجبا فقال جبريل انظر الى الهواء فان الملائكة قد حضرت سرورا بحالك كانوا باكين محزونين مدة لاجلك وهاجت الفرسان بعضهم فى بعض وصهلت الخيول وسبحت الملائكة وضربت الطبول والبوقات فصار كانه يوم القيامة قيل وكان دخولهم يوم عاشوراء (قوله فلما دخلوا) اى يعقوب واولاده (قوله فى مضربه) اى خيمته وكان ذلك خارج المدينة على عادة الملوك (قوله آوى اليه ابويه) اى قربهما منه (قوله وامه) اى على القول بحياتها حينئذ وقوله اوخالته اى واسمها ليا وهذا على القول بموت امه راحيل وقيل المراد بخالته امراة اخرى غير ليا تزوجها يعقوب بعدهما وقيل احيا الله امه بعد موتها وسجدت له تحقيقا لرؤياه والله اعلم بحقيقة الحال (قوله ادخلوا مصر) هذا الدخول غير الدخول الاول لان المراد به هنا دخول نفس المدينة واما الاول فالمراد به دخول خيمته خارج البلد (قوله ان شاء الله آمنين) اى من كل مكروه لان الناس كانوا يخافون من ملوك مصر فلا يدخلها احد الا بجوارهم فقال لهم يوسف ادخلوا مصر آمنين على انفسكم واهليكم لانكم انتم ملوكها فلا تخافون من احد (قوله فدخلوا الخ) قدر ذلك اشارة الى ان قوله ورفع ابويه مرتب على محذوف (قوله وخروا له سجدا) يحتمل ان يكون ذلك السجود خارج البلد عند اول اللقاء ويحتمل انه بعد الدخول وجلوس يوسف وابويه على السرير (قوله سجود انحناء) اى على عادة تحية الملوك وهذا احد قولين وقيل المراد بالسجود حقيقته وهو وضع الجبهة على الارض ولا يشكل على هذا ان

فارتد) رجع (بصيرا قال الم اقل لكم انى اعلم من الله مالا تعلمون قالوا ياابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم) اخر ذلك الى السحر ليكون اقرب الى الاجابة او الى ليلة الجمعة ثم توجهوا الى مصر وخرج يوسف والاكابر لتلقيهم (فلما دخلوا على يوسف) فى مضربه (آوى) ضم (اليه ابويه) اباه وامه اوخالته (وقال) لهم (ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين) فدخلوا وجلس يوسف على سريره (ورفع ابويه) اجلسهما معه (على العرش) السرير (وخروا) اى ابواه واخوته (له سجدا) سجود انحناء لا وضع جبهة وكان تحيتهم فى ذلك الزمان (وقال ياابت

حقيقة السجود لا تكون الا لله لانه يقال ان يوسف جعل كالقبلة لذلك السجود وما قيل في سجود
الملائكة لآدم يقال هنا * ان قلت كيف رضي يوسف بسجود أبيه له مع كونه أكبر منه وكان الواجب
مراعاة الادب * اجيب بان هذا بامر من الله تحقيقا لرؤيا يوسف لان رؤيا الانبياء وحي (قوله هذا)
أي السجود (قوله حقا) أي صدقا حيث وجدت وتحققت في الخارج على طبق ما في النوم (قوله وقد
احسن بي) اي انعم علي (قوله لئلا تخجل اخوته) أي ولان نعمة الله عليه في الخروج من السجن
كانت سببا لوصوله الى الملك بخلاف اخراجه من الجب فانه اعقبها الرق والتهمة والسجن وليس في ذلك
ادخال سرور على ابويه (قوله وجاء بكم من البدو) عطف على اخرجني والمعنى وقد انعم على وقت
اخراجي من السجن ووقت مجيئكم من البدو (قوله ان ربي لطيف) ضمنه معنى مدبر فعداه باللام
واللطيف معناه الرفيق المحسن (قوله وكانت مدة فراقه ثماني عشرة الخ) حاصله انه اختلف في مدة
فراق يوسف لابيه فذكر المفسر ثلاثة اقوال وقيل اثنان وعشرون وقيل ست وثلاثون وقيل خمس
وثلاثون وقيل سبعون ولا يعلم الحقيقة الا الله واتفقوا على ان عمر يوسف مائة وعشرون سنة (قوله
فوصي يوسف ان يحمله الخ) اي وقد فعل فحمله في تابوت من ساج حتى قدم به الشام فوافق ذلك موت
عيصو أخي يعقوب وكانا قد ولدا في بطن واحد فدفنا في قبر واحد (قوله ولما تم أمره) اي في ملكه
(قوله وعلم انه) أي الملك (قوله الى الملك الدائم) أي وهو نعيم الآخرة (قوله فقال) اي طلب الملك الدائم
بوفاته على الاسلام وما قبل ذلك فهو ثناء على الله قدم على الدعاء لمراعاة الادب اشارة الى ان الانسان
ينبغي له اذا اراد ان يدعو يقدم الثناء على الله اعترافا بالنعم ثم بعد ذلك يسال مطلوبه (قوله من الملك) أي
بعضه وهو ملك مصر اذ لم يملك جميع الاقطار الا اربعة اثنان مسلمان اسكندر ذو القرنين وسليمان بن
داود واثنان كافران بختنصر وشداد بن عاد (قوله فاطر السموات والارض) يصح ان يكون نعتا لرب
او بدلا أو عطف بيان أو نداء ثانيا (قوله توفني مسلما) ان قلت كيف يطلب الموت مع ان تمنيه لا يجوز
* اجيب بانه علم بالوحي قرب اجله فطلب ما يكون عند الموت وهو اللحوق بالصالحين فمحط طلب
الموت على ما بعده * ان قلت إن كل نبي مقطوع بموته على الاسلام فلم طلب ذلك * اجيب بان الله تجلى
على يوسف بخوف الاجلال فطلب ذلك لان المعصوم عند ذلك ينسي العصمة (قوله من آبائي) اي ابراهيم
واسحق ويعقوب فالمراد لحوقا خاصا الذي هو اعلى المراتب (قوله ومات) اي وقد توارثت الفراعنة
من العمالقة بعد يوسف مصر ولم يزل بنو اسرائيل تحت ايديهم على بقايا من دين يوسف وآبائه الى ان
بعث الله موسي عليه السلام واغرق فرعون وقومه فقطع الله الفراعنة منها واورثها الله بني اسرائيل
(قوله وتشاح المصريون في قبره) اي حتى هموا ان يقتتلوا ثم اصطلحوا على ان يدفنوه في اعلى النيل من
جهة الصعيد لتعم بركته الجميع فجعلوه في صندوق من مرمر وهو نوع من اجود الرخام ودفنوه في الجانب
الايمن فاخصب واجدب الجانب الايسر فنقل له فاخصب واجدب الجانب الايمن فدفنوه في وسط
النيل وربطوه بسلسلة فاخصب الجانبان فبقي اربعمائة سنة فلما امر الله موسي بالخروج من مصر امره
باخذ يوسف معه ودفنه في الارض المقدسة بقرب آبائه فلم يهتد الى مكانه فدلته عليه عجوز قيل
انها من أولاد يعقوب وشرطت عليه ان تكون معه في الجنة فضمن لها ذلك وشرطت عليه ايضا
ان يدعو لها ان ترجع شابة كلما هرمت فدعا لها فكانت كلما وصلت في السن خمسين سنة
رجعت بنت ثلاثين فعاشت ألفا وستمائة سنة فحمله موسي ودفنه بالارض المقدسة فهو الآن هناك
* وأما اخوته فلم يثبت في محل دفنهم شئ وما قيل من انهم مدفونون في المحل المعروف
بالقرافة الكبرى فهو بالظن فقط (قوله المذكور) اى من أمر يوسف وقصته (قوله
من انباء الغيب) اى الاخبار المغيبة التي لم تكن تعلمها قبل الوحي (قوله وما كنت لديهم)

هذا تاويل رؤياى من
قبل قد جعلها ربي حقا
وقد احسن بي) الي (اذ
اخرجني من السجن) لم
يقل من الجب تكرما لئلا
تخجل اخوته (وجاء بكم
من البدو) البادية (من بعد
ان نزغ) افسد (الشيطان
بيني وبين اخوتي ان ربي
لطيف لما يشاء انه هو العليم)
بخلقه (الحكيم) في صنعه
واقام عنده ابوه اربعا
وعشرين سنة أو سبع
عشرة سنة وكانت مدة
فراقه ثماني عشرة او اربعين
أو ثمانين سنة وحضره الموت
فوصي يوسف ان يحمله
ويدفنه عند ابيه فمضي
بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد الى
مصر واقام بعده ثلاثا
وعشرين سنة ولما تم امره
وعلم انه لا يدوم تاقت
نفسه الى الملك الدائم
فقال (رب قد آتيتني من الملك
وعلمتني من تاويل
الاحاديث) تعبير الرؤيا
(فاطر) خالق (السموات
والارض انت وليي)
متولي مصالحي (في الدنيا
والآخرة توفني مسلما
وألحقني بالصالحين) من
آبائي فعاش بعد ذلك اسبوعا
او أكثر ومات وله مائة
وعشرون سنة وتشاح
المصريون في قبره فجعلوه
في صندوق من مرمر
ودفنوه في أعلى النيل لتعم
البركة جانبيه فسبحان من
لا انقضاء لملكه (ذلك) المذكور من امر يوسف (من انباء الغيب) اخبار ما غاب عنك يا محمد (نوحيه اليك وما كنت لديهم)

لدى اخوة يوسف (اذ أجمعوا أمرهم) فى كيده اى عزموا عليه (وهم يمكرون) به اى لم تحضرهم فتعرف قصتهم فتخبر بها وانما حصل
لك علمها من جهة الوحى (وما أكثر الناس) أى أهل مكة (ولو حرصت) على ايمانهم (بمؤمنين وما تسالهم عليه) اى القرآن (من أجر)
تاخذه (ان) ما (هو) اى القرآن (الا ذكر) عظة (للعالمين وكأين) وكم (من آية) دالة على وحدانية الله (فى السموات والارض

يمرون عليها) يشاهدونها (وهم عنها معرضون) لا يتفكرون فيها (وما يؤمن اكثرهم بالله) حيث يقرون بانه الخالق الرازق (الا وهم مشركون) به بعبادة الاصنام ولذا كانوا يقولون فى تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك يعنونها (أفأمنوا ان تاتيهم غاشية) نقمة تغشاهم (من عذاب الله او تاتيهم الساعة بغتة) فجأة (وهم لا يشعرون) بوقت اتيانها قبله (قل) لهم (هذه سبيلى) وفسرها بقوله (ادعوا الى) دين (الله على بصيرة) حجة واضحة (انا ومن اتبعنى) آمن بى عطف على أنا المبتدا المخبر عنه بما قبله (وسبحان الله) تنزيها له عن الشركاء (وما انا من المشركين) من جملة سبيله ايضا (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا يوحى) وفى قراءة بالنون وكسر الحاء (اليهم) لا ملائكة (من اهل القرى) الامصار لانهم اعلم وأحلم بخلاف اهل البوادى لجفائهم وجهلهم

(أفلم يسيروا) اى اهل مكة (فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) اى آخر امرهم من اهلاكهم بتكذيبهم
رسلهم (ولدار الآخرة) اى الجنة (خير للذين اتقوا) الله (أفلا يعقلون) بالياء والتاء اى يا اهل مكة هذا فتؤمنون (حتى) غاية لما
دل عليه وما ارسلنا من قبلك الا رجالا اى فتراخى نصرهم حتى (اذا استيأس) يئس (الرسل وظنوا) ايقن الرسل (انهم قد كذبوا)
بالتشديد تكذيبا لا ايمان بعده والتخفيف اى ظن الامم ان الرسل اخلفوا ما وعدوا به من النصر (جاءهم نصرنا فنجى

كالعلة لقوله من انباء الغيب ولقوله نوحيه اليك (قوله وهم يمكرون) اى يحتالون فيما دبروه (قوله وانما
حصل لك علمها من جهة الوحى) اى فيكون اخبارك بها معجزة لانه لم يطالع الكتب القديمة ولم يأخذ
عن احد من البشر فاتيانه بتلك القصة العظيمة على ابلغ وجه من غير غلط ولا تحريف غاية الاعجاز (قوله
وما أكثر الناس الخ) هذه تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله ولو حرصت) هذه الجملة معترضة بين
ما وخبرها (قوله وكأين) مبتدأ ومن آية تمييز وهو تسلية أخرى له صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تتعجب
من اعراضهم عنك فان اعراضهم عن هذه الآيات الدالة على وحدانية الله وقدرته اغرب واعجب
(قوله كم) أشار بذلك الى ان كاين بمعنى كم الخبرية التى للتكثير (قوله فى السموات والارض) صفة
لآية وقوله يمرون عليها خبر المبتدا (قوله وهم عنها معرضون) الجملة حالية (قوله وما يؤمن أكثرهم بالله)
أى وما يعترف أكثرهم بالتوحيد حيث يقولون الله هو الخالق الرازق المعطى المانع وغير ذلك (قوله
يعنونها) اى الاصنام بقولهم الا شريكا هو لك (قوله نقمة تغشاهم) اى عقوبة تشملهم وتحيط بهم
(قوله هذه سبيلى) اى طريقى وشريعتى (قوله أدعوا الى الله) اى ادل الناس على طاعته ودينه (قوله حجة
واضحة) اى بها يتميز الحق من الباطل (قوله عطف على انا المبتدا الخ) اى فانا مبتدأ ومن اتبعنى عطف
عليه وقوله على بصيرة جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم فالوقف على قوله ادعوا الى الله و يكون فى
المقام جملتان الاولى تنتهى لقوله أدعوا الى الله والثانية مبدؤها قوله على بصيرة الخ وهذا ما جرى عليه
المفسر فى الاعراب (قوله من جملة سبيله) راجع لقوله وسبحان الله وما أنا من المشركين فهما معطوفان
على قوله أدعوا الى الله كأنه قال شريعتى ادعوا الى الله وأسبح الله وكونى لست من المشركين على بصيرة
انا ومن اتبعنى (قوله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا) رد على اهل مكة حيث قالوا هلا بعث الله لنا ملكا
والمعنى كيف يتعجبون من ذلك مع ان جميع رسل الله الذين كانوا من قبلك بشر مثلك (قوله وفى قراءة)
اى وهى سبعية ايضا (قوله لجفائهم) اى غلظ طبعهم وهو مقابل لقوله احلم وقوله وجهلهم مقابل لقوله
واعلم فهو لف ونشر مشوش (قوله أفلم يسيروا) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك
المحذوف والتقدير اعموا فلم يسيروا الخ والاستفهام للتوبيخ (قوله فى الارض) اى فى اسفارهم (قوله
الذين من قبلهم) اى كقوم هود وصالح ولوط وغيرهم ممن هلكوا (قوله من اهلاكهم) بيان لآخر
امرهم (قوله ولدار الآخرة) اى الدار الآخرة (قوله خير للذين اتقوا) اى واما لغيرهم فليست خيرا لهم
لحرمانهم من نعيمها (قوله الله) قدره اشارة الى ان مفعول اتقوا محذوف (قوله بالياء والتاء) اى فهما
قراءتان سبعيتان (قوله يا اهل مكة) راجع لقراءة التاء فيكون خطابا لهم وعلى الياء يكون
اخبارا عنهم (قوله غاية لما دل عليه وما أرسلنا الخ) اى وحينئذ يكون المعنى وما ارسلنا من قبلك الا
رجالا نوحى اليهم فكذبهم اممهم فتراخى نصرهم حتى الخ (قوله ايقن الرسل) هذا راجع لقراءة
التشديد والمعنى ايقن الرسل بالوحى من الله بان قومهم يكذبونهم تكذيبا لا ايمان بعده واما قراءة
التخفيف فالظن على بابه (قوله والتخفيف) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله من النصر) بيان

لما (قوله بنونين مشددا الخ) حاصل ماذكره ثلاث قرا آت التشديد والتخفيف مع النونين والتشديد مع النون الواحدة وظاهر كلامه ان جميعها سبعي وليس كذلك بل التشديد مع النونين قراءة شاذة (قوله ماض) اى مبنى للمفعول ومن نشاء نائب فاعل (قوله فى قصصهم) القصص بالفتح مصدر قص اذا تتبع الاثر والخبر والمراد الاخبار (قوله الرسل) اى كهود وصالح ولوط وشعيب وغيرهم ويحتمل ان الضمير عائد على يوسف واخوته بدليل قوله تعالى فى اول السورة نحن نقص عليك احسن القصص والمعنى ان الذى قدر على اخراج يوسف من الجب والسجن ومنّ عليه بالعز والملك وجمع شمله بابيه واخوته بعد المدة الطويلة قادر على اعزاز محمد صلى الله عليه وسلم واعلاء كلمته واظهار دينه رغما على انف كل معارض (قوله عبرة) اى تفكر واتعاظ (قوله لاولى الالباب) تعريض بانهم ليسوا باولى الباب (قوله هذا القرآن) اى الذى تقدم ذكره فى قوله انا انزلناه قرآنا عربيا (قوله تصديق الذى بين يديه) هذه اخبار اربعة اخبر بها عن كان المحذوفة التى قدرها المفسر والمعنى ان هذا القرآن مصدق لما تقدم قبله من الرسل ومن الكتب التى جاؤا بها فقول المفسر من الكتب لا مفهوم له (قوله فى الدين) اى من الحلال والحرام والمواعظ وغير ذلك (قوله ورحمة) اى انعاما واحسانا

﴿سورة الرعد﴾

مبتدأ وقوله مكية خبر اول وقوله ثلاث الخ خبر ثان (قوله مكية الا ولا يزال الذين كفروا الآية) وقيل المدنى منها قوله تعالى هو الذى يريكم البرق الى قوله له دعوة الحق (قوله اومدنية الا ولو أن قرآنا الآيتين) وقيل مدنية كلها وقيل مكية كلها فتحصل ان فيها خمسة اقوال وسميت بالرعد لذكره فيها ومن فضائلها ان قراءتها عند المحتضر تسهل خروج الروح (قوله ثلاث او اربع الخ) حاصل ماذكره من الخلاف فى عدد آياتها اربعة اقوال (قوله الله اعلم بمراده بذلك) تقدم ان هذا القول هو الاسلم فى تفسير تلك بالاحرف المقطعة (قوله هذه الآيات) اى آيات السورة واشير لها باعتبار علم الله بها او باعتبار وجودها فى اللوح المحفوظ فلا يقال ان اسم الاشارة لا بد ان يكون لحاضر وهى لم توجد فى الخارج ويصح ان يعود اسم الاشارة على ما مضى من اول القرآن الى هنا (قوله والذى انزل اليك) اسم الموصول مبتدا وانزل صلته ومن ربك متعلق به او حال وقوله الحق خبر كما قال المفسر والمعنى ان القرآن الذى انزل عليك من ربك هو الحق الذى لا شك فيه (قوله اى اهل مكة) هذا تفسير للناس باعتبار النزول والا فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فاكثر الناس لا يؤمنون فى كل زمان (قوله لا يؤمنون) اى لا يصدقون بذلك والمعنى لا تعتبرهم فانهم لا يعول عليهم (قوله الله الذى رفع الخ) هذا شروع فى ذكر الادلة على وجوب وجوده تعالى واتصافه بالكمالات وبدأ بادلة من العالم العلوى واعقبها بادلة من العالم السفلى بقوله وهو الذى مد الارض الخ (قوله جمع عماد) اى على غير قياس وقياسه ان يجمع على عمد بضمتين وقد قرئ به شاذا وقيل جمع عمود (قوله وهو الاسطوانة) ويقال لها السارية (قوله وهو صادق بان لا عمد اصلا) اى وهو المراد فالنفى منصب على المقيد بقيده اى لم تروها لعدم وجودها وقيل ان لها عمدا على جبل قاف وهو جبل من زمرد محيط بالدنيا والسماء عليه مثل القبة فالنفى منصب على القيد دون المقيد وعلى ذلك فجملة ترونها صفة لعمد والضمير عائد عليها وقيل ان ترونها حال من السموات والتقدير رفع السموات حال كونها مرئية لكم بغير عمد وقيل انها جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب وعلى هذين القولين فالضمير عائد على السموات (قوله ثم استوى على العرش) ثم لمجرد العطف لا للترتيب اذ لا ترتيب بين رفع السموات والاستواء على العرش والاستواء فى الاصل الركوب والتمكن وذلك مستحيل عليه تعالى لاستلزامه الجسمية والجهة

بنونين مشددا او مخففا وبنون مشدد اماض (من نشاء ولا يرد بأسنا) عذابنا (عن القوم المجرمين) المشركين (لقد كان فى قصصهم) اى الرسل (عبرة لاولى الالباب) اصحاب العقول (ما كان) هذا القرآن (حديثا يفترى) يختلق (ولكن) كان (تصديق الذى بين يديه) قبله من الكتب (وتفصيل) تبيين (كل شئ) يحتاج اليه فى الدين (وهدى) من الضلالة (ورحمة لقوم يؤمنون) خصوا بالذكر لانتفاعهم به دون غيرهم

﴿سورة الرعد﴾

مكية الا ولا يزال الذين كفروا الآية ويقول الذين كفروا لست مرسلا الآية اومدنية الا ولو ان قرآنا الآيتين ثلاث او اربع او خمس او ست واربعون آية (بسم الله الرحمن الرحيم المر) الله اعلم بمراده بذلك (تلك) هذه الآيات (آيات الكتاب) القرآن والاضافة بمعنى من (والذى انزل اليك من ربك) اى القرآن مبتدأ خبره (الحق) لا شك فيه (ولكن أكثر الناس) أى أهل مكة (لا يؤمنون) بانه من عنده تعالى (الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها) اى العمد جمع عماد وهو الاسطوانة وهو صادق بان لا عمد اصلا (ثم استوى على العرش) استواء يليق به

(وسخر) ذلل (الشمس والقمر كل) منهما (يجرى) فى فلكه (لاجل مسمى) يوم القيامة (يدبر الامر) يقضي امر ملكه (يفصل) يبين (الآيات) دلالات قدرته (لعلكم) يااهل مكة (بلقاء ربكم) بالبعث (توقنون وهو الذى مد) بسط (الارض وجعل) خلق (فيها رواسي) جبالا ثوابت (وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) من كل نوع (يغشى) يغطى (الليل) بظلمته (النهار ان فى ذلك) المذكور (لآيات) دلالات على وحدانيته تعالى (لقوم يتفكرون) فى صنع الله (وفى الارض قطع) بقاع مختلفة (متجاورات) متلاصقات فمنها طيب وسبخ وقليل الريع وكثيره وهو من دلائل قدرته تعالى (وجنات) بساتين (من اعناب وزرع) بالرفع عطفا على جنات والجر على اعناب وكذا قوله (ونخيل صنوان) جمع صنو وهى النخلات يجمعها اصل واحد وتتشعب فروعها (وغير صنوان) منفرد (تسقى) بالتاء اى الجنات وما فيها والياء اى المذكور (بماء واحد ونفضل) بالنون والياء (بعضها على بعض فى الاكل) بضم الكاف وسكونها فمن حلو وحامض وهو من دلائل قدرته تعالى (ان فى ذلك) المذكور (لآيات لقوم يعقلون) يتدبرون (وان تعجب) يا محمد من تكذيب الكفار لك (فعجب) حقيق بالعجب (قولهم) منكرين للبعث (ائذا كنا ترابا

والمرادا به هنا القهر والغلبة والاستيلاء لان من شان من ركب على شئ ان يكون قاهرا غالبا له * ومن ذلك قول الشاعر

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق

وهذه طريقة الخلف وما مشي عليه المفسر طريقة السلف وكل من الطريقتين صحيح (قوله وسخر الشمس والقمر) اى لنفع العالم بهما (قوله يوم القيامة) اى وحينئذ فيلقيان فى النار بعد ذهاب نورهما ليعذب بهما عابدهما وما درج عليه المفسر من ان المراد بالاجل المسمى هو يوم القيامة احد تفسيرين والآخر أن المراد به الوقت المعين لقطع الفلك فان الشمس تقطعه فى سنة واحدة والقمر فى شهر لا يختلف جرى واحد منهما قال تعالى والشمس تجرى لمستقر لها الخ وكل صحيح (قوله يدبر الامر) اى امر العالم العلوى والسفلى وذلك بالاحياء والاماتة والاعزاز والاذلال وغير ذلك من انواع التصرفات (قوله لعلكم بلقاء ربكم توقنون) اى لان من قدر على ذلك كله فهو قادر على احياء الانسان بعد موته (قوله وهو الذى مد الارض) شروع فى ذكر ادلة من العالم السفلى (قوله بسط الارض) اى طولا وعرضا ليرتاح الحيوان عليها (قوله ثوابت) اى لتمسكها عن الاضطراب باهلها وفى الحديث اول بقعة وضعت من الارض موضع البيت ثم مدت منها الارض واول جبل وضعه الله على وجه الارض ابو قبيس ثم مدت منه الجبال (قوله ومن كل الثمرات) متعلق بجعل ومفعولها الثانى محذوف تقديره لكم (قوله زوجين اثنين) بيان لاقل مراتب العدد والا فقد يكون اكثر من نوعين كما هو بالمشاهدة والمراد بالثمر ما يشمل الحب وتعداد الاصناف المذكورة اما باعتبار الالوان كالبياض والسواد والطعوم كالحلاوة والملوحة والحموضة والمزوزة أو القدر كالكبر والصغر او الكيفية كالحرارة والبرودة والنعومة والخشونة وغير ذلك (قوله يغطى الليل بظلمته النهار) اى ويزيل ظلمة الليل بضياء النهار فيعدم كلا بوجود الآخر ففى الآية اكتفاء (قوله يتفكرون) اى يتاملون فيستدلون بتلك الصنعة على وجود صانعها ويعرفون ان لها صانعا حكيما قادرا متصفا بالكمالات وخص المتفكرون بالذكر لانهم هم الذين يحصل لهم الاعتبار والايمان (قوله طيب) اى ينبت وقوله وسبخ اى لا ينبت شيئا (قوله وهو) اى هذا الاختلاف (قوله بالرفع) اى له وللثلاثة بعده وقوله والجر أى كذلك فهما قراءتان سبعيتان (قوله وهى النخلات) اى الصنوان (قوله بالتاء) اى وحينئذ فيقرأ تفضل بالنون والياء وقوله والياء اى وحينئذ فيقرأ نفضل بالنون لا غير فالقرا آت ثلاث وكلها سبعية خلافا لما يوهمه المفسر من انها اربع (قوله فى الاكل) اى وغيره كاللون والرائحة والقدر والحلاوة والحموضة وغير ذلك وهذا كمثل بنى آدم منهم الصالح الهين اللين والخبيث الغليظ الطبع خلقوا من آدم وفضل الله من شاء على من شاء ولذا قال الحسن هذا مثل ضربه الله لقلوب بنى آدم كانت الارض طينة واحدة فى يد الرحمن فسطحها فصارت قطعا متجاورات وانزل على وجهها ماء السماء فتخرج هذه زهرتها او ثمرتها وتخرج هذه نباتها وتخرج هذه سبخها وملحها وخبيثها وكل يسقى بماء كذلك الناس خلقوا من آدم فينزل الله عليهم من السماء تذكرة فترق قلوب قوم وتخشع وتخضع وتقسو قلوب قوم فتلهو ولا تسمع (قوله بضم الكاف وسكونها) اى فهما قراءتان سبعيتان بمعنى ما كول (قوله لقوم يعقلون) خصوا بالذكر لانهم الذين ينتفعون بالتفكر والاعتبار (قوله وان تعجب) بادغام الباء فى الفاء وبتحقيقها قراءتان سبعيتان والعجب استعظام امر خفى سببه (قوله من تكذيب الكفار لك) اى مع كونك كنت مشهورا بينهم بالامانة والصدق فلما جئت بالرسالة كذبوك (قوله فعجب قولهم) لا بد هنا من صفة محذوفة لتتم الفائدة والتقدير فعجب عظيم أو اى عجب وعجب خبر مقدم وقولهم مبتدأ مؤخر (قوله منكرين للبعث) حال من الضمير فى قولهم (قوله أئذا كنا ترابا) هذه الجملة فى محل

نصب مقول القول وهو احسن ما يقال (قوله لان القادر الخ) تعليل لقوله فعجب قولهم (قوله وما تقدم) اى من رفع السموات بغير عمد وتسخير الشمس والقمر وغير ذلك من الامور المتقدمة (قوله قادر على اعادتهم) اى لانه اذا تعلقت قدرته بشئ كان فلا فرق بين الابتداء والاعادة وأما قوله تعالى وهو اهون عليه فذلك باعتبار عادة المخلوقات ان القادر على الابتداء تسهل عليه الاعادة بالاولى والا فالكل فى قدرته تعالى سواء (قوله وفى الهمزتين فى الموضعين الخ) من هنا الى قوله وتركها اربع قراآت (قوله وفى قراءة بالاستفهام فى الاول الخ) وفى ذلك ثلاث قراآت تحقيق الهمزتين من غير ادخال الف بينهما وتحقيق الاولى وتسهيل الثانية مع ادخال الف بينهما وبدونها وقوله واخرى عكسه قراءتان التحقيق مع الالف ودونها ولا يجوز تسهيل الثانية فتكون القراآت تسعا وكلها سبعية واختلف القراء فى هذا الاستفهام المكرر اختلافا منتشرا وهو فى احد عشر موضعا فى تسع سور من القرآن فاولها مافى هذه السورة والثانى والثالث فى الاسراء بلفظ واحد ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا والرابع فى المؤمنون ائذا كنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون والخامس فى النمل ائذا كنا ترابا ائنا لمخرجون والسادس فى العنكبوت ائنكم لتاتون الفاحشة ماسبقكم بهامن احد من العالمين ائنكم لتاتون الرجال والسابع فى الم السجدة ائذا ضللنا فى الارض ائنا لفى خلق جديد والثامن والتاسع فى الصافات ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون والعاشر فى الواقعة أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون والحادى عشر فى النازعات ائنا لمردودون فى الحافرة ائذا كنا عظاما نخرة والوجه فى الاستفهام فى الموضعين ان الاول للانكار والثانى تاكيد والوجه فى كونه فى موضع واحد حصول الانكار به واحدى الجملتين مرتبطة بالاخرى فاذا انكر فى احداهما حصل الانكار فى الاخرى (قوله الاغلال) جمع غل وهو طوق من حديد يجعل فى اعناقهم (قوله اصحاب النار) اى لا محيص لهم عنها فهم ملازمون لها كالصاحب الملازم لصاحبه (قوله ونزل فى استعجالهم العذاب) اى وذلك ان مشركى مكة كانوا يطلبون تعجيل العذاب استهزاء حيث يقولون اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء اوائتنا بعذاب اليم (قوله قبل الحسنة) اى وهى تاخير العذاب عنهم (قوله وقد خلت من قبلهم) الجملة حالية (قوله جمع المثلة) بفتح الميم وضم المثلثة اى وهى النقمة تنزل بالشخص فجعل مثالا يرتدع به غيره (قوله بوزن السمرة) اى وهو شجر الطلح اى الموز (قوله لذو مغفرة) المراد بها ستر الذنوب وعدم المؤاخذة بها حالا بل يؤخر الاخذ بها فان تاب الشخص ورجع دام ذلك الستر عليه والا أخذه اخذ عزيز مقتدر (قوله على ظلمهم) الجملة حالية أى والحال انهم ظالمون لانفسهم بالمعاصى (قوله لمن عصاه) اى ودام على ذلك فرحمة الله فى الدنيا غلبت غضبه لجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم واما فى الآخرة فقد انفردت رحمته للمؤمنين خاصة (قوله ويقول الذين كفروا) اى تعنتا (قوله هلا) اشار بذلك الى ان لولا للتحضيض (قوله كالعصا واليد) اى وغير ذلك مما افترحوا قال تعالى حكاية عنهم وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الآية (قوله انما انت منذر) اى ليس عليك الا الانذار بما أوحى اليك لانهم معاندون كفار ليس قصدهم بذلك الايمان بل التعنت فى الكفر (قوله ولكل قوم هاد) الجملة مستانفة وهاد باثبات الياء وحذفها فى الوقف و بحذفها فى الوصل لاغير ثلاث قراآت سبعية واما فى الرسم فهى محذوفة (قوله الله يعلم ماتحمل كل انثى) اى لانه الخالق المصور فلا تخفى عليه خافية ويعلم عرفانية متعدية لواحد وما اسم موصول مفعوله والعائد محذوف (قوله وغير ذلك) اى من اوصاف الحمل من كونه ابيض او اسود قصيرا او طويلا سعيدا او شقيا قويا او ضعيفا (قوله تنقص الارحام من مدة الحمل) اى المعتادة وهى تسعة اشهر فهو يعلم الحمل الناقص عن تلك المدة وقوله وماتزداد أى وما تزيد فهو يعلم الناقص عن تلك المدة

ائنا لفى خلق جديد) لان القادر على انشاء الخلق وما تقدم على غير مثال قادر على اعادتهم وفى الهمزتين فى الموضعين التحقيق وتحقيق الاولى وتسهيل الثانية وادخال الف بينهما على الوجهين وتركها وفى قراءة بالاستفهام فى الاول والخبر فى الثانى واخرى عكسه (اولئك الذين كفروا بربهم واولئك الاغلال فى اعناقهم واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) * ونزل فى استعجالهم العذاب استهزاء (و يستعجلونك بالسيئة) العذاب (قبل الحسنة) الرحمة (وقد خلت من قبلهم المثلات) جمع المثلة بوزن السمرة اى عقوبات أمثالهم من المكذبين افلا يعتبرون بها (وان ربك لذو مغفرة للناس على) مع (ظلمهم) والا لم يترك على ظهرها دابة (وان ربك لشديد العقاب) لمن عصاه (ويقول الذين كفروا لولا) هلا (انزل عليه) على محمد (آية من ربه) كالعصا واليد والناقة قال تعالى (انما أنت منذر) مخوف الكافرين وليس عليك اتيان الآيات (ولكل قوم هاد) نبي يدعوهم الى ربهم بما يعطيه من الآيات لا بما يقترحون (الله يعلم ماتحمل كل انثى) من ذكر وانثى وواحد ومتعدد وغير ذلك (وما تغيض) تنقص (الارحام) من مدة الحمل (وما تزداد) المدة

المدة والزائد عليها لا يخفى عليه شيء من اوقات الحمل ولا من احواله وقيل النقصان السقط والزيادة زيادتها على تسعة اشهر واقل مدة الحمل ستة اشهر وقد يولد لهذه المدة ويعيش (قوله وكل شيء عنده بمقدار) هذا اعم مما قبله فالشيء يشمل الحمل وغيره من افعال العباد واحوالهم وخواطرهم فقد دبر سبحانه وتعالى العالم باسره على طبق ما تعلقت به قدرته وارادته ولا يعجزه شيء ولا يشغله شان عن شان قال تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة فينبغي للانسان ان لا يدبر لنفسه شيا ولا يشتغل بشيء تكفل به غيره بل يعتمد على من يدبر الامور ويفوض له احواله ويترك الاوهام التي حجبت القلوب عن مطالعة الغيوب (قوله بقدر وحد لا يتجاوزه) اى لا يتخلف شيء عن الحد الذى قدره الله له من سعادة وشقاوة ورزق وغير ذلك (قوله ما غاب وما شوهد) اى ما غاب عنا وما شوهد لنا والا فكل شيء بالنسبة له مشاهد فلا فرق بين ما فى أعلى السموات وما فى تخوم الارضين (قوله الكبير) الذى يصغر كل شيء عند ذكره وليس المراد به كبر الجثة اذ هو مستحيل عليه تعالى فالمراد الكبير المتصف بكل كمال ازلا وابدا (قوله المتعال) اى المنزه عن كل نقص (قوله بياء ودونها) اى فهما قراءتان سبعيتان فى الوصل والوقف واما فى الرسم فالياء محذوفة لا غير (قوله سواء منكم الخ) سواء خبر مقدم ومن اسر القول ومن جهر به مبتدأ مؤخر ولم يثن الخبر لانه فى الاصل مصدر وهو لا يثنى ولا يجمع ومنكم حال من الضمير المستتر فى سواء لانه بمعنى مستو (قوله فى علمه تعالى) اى فهو يعلم الجميع على حد سواء لا يتفاوت من جهر على من أسر (قوله من اسر القول) اى فى نفسه فلم يسمعه غيره (قوله ومن جهر به) اى سمعه غيره والمعنى سواء ما اضمرته القلوب وما نطقت به الالسنة (قوله ومن هو مستخف بالليل) اى وسواء من استخفى فى ظلام الليل ومن هو ظاهر فى النهار لانه الخالق لليل وظلمته والنهار ونوره وما تفعله العبيد فيهما من خير وشر وهذه الآية من تدبرها وعمل بمقتضاها ورثته الاخلاص فى اعماله فيستوى عنده اسرار العبادة واظهارها ليلا ونهارا والمراقبة لانه اذا علم ان هذه الاشياء مستوية عنده ولا يخفى عليه شيء منها فلا يستطيع ان يقدم على ما نهى عنه لا ظاهرا ولا باطنا (قوله فى سربه) بفتح السين وسكون الراء يقال سرب فى الارض سروبا ذهب فيها ذهابا والسرب بفتحتين بيت فى الارض لا منفذ له وهو الوكر وليس مرادا هنا بل المراد الطريق الظاهرة وهى بفتح السين وسكون الراء (قوله للانسان) اى مؤمن او كافر وهذا من مزيد التكرمة للنوع الانسانى والا فهو الحافظ لكل شيء (قوله ملائكة) قيل خمسة بالليل وخمسة بالنهار واحد على اليمين يكتب الحسنات وواحد على الشمال يكتب السيآت وواحد موكل بناصيته فاذا تواضع رفعه واذا تكبر وضعه وواحد موكل بعينيه يحفظهما من الاذى وواحد موكل بفمه يمنع عنه الهوام والصحيح انهم عشرة بالليل وعشرة بالنهار كما فى شراح الجوهرة نقلا عن حديث البخارى ويجتمعون فى صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين كانوا من قبل فيسالهم الله ويقول كيف تركتم عبادى فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون ولا يفارقون الشخص ابدا الى الممات فاذا مات فقد فرغ حفظهم له وهم واحد على يمينه وآخر على شماله وآخر امامه وآخر خلفه واثنان على عينيه وواحد على شفتيه واثنان على فمه يحفظان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وواحد آخذ بناصيته فان تواضع رفعه وان تكبر خفضه وهؤلاء العشرة غير رقيب وعتيد كاتبى الحسنات والسيآت على المعتمد وحكمة هذا السؤال وان كان الله عالما بكل شيء تشريف بنى آدم بين اهل الملأ الاعلى وحكمة اجابة الملائكة بقولهم تركناهم وهم يصلون ولم يذكروا الكافر والتارك للصلاة ان العمل الصالح يرفع لاهل السماء فيتشرف بنو آدم على العموم وتنزل عليهم الرحمة وتكثر ارزاقهم لان الرحمة تعم الطائع والعاصى فاخبار الملائكة بطاعة بنى آدم على العموم لاستجلاب الرحمة لهم من عالم الغيب (قوله من امر الله)

منه (وكل شيء عنده بمقدار) بقدر وحد لا يتجاوزه (عالم الغيب والشهادة) ما غاب وما شوهد (الكبير) العظيم (المتعال) على خلقه بالقهر بياء ودونها (سواء منكم) فى علمه تعالى (من اسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف) مستتر (بالليل) بظلامه (وسارب) ظاهر بذهابه فى سربه اى طريقه (بالنهار له) للانسان (معقبات) ملائكة تعتقبه (من بين يديه) قدامه (ومن خلفه) ورائه (يحفظونه من امر الله) اى بامره من الجن وغيرهم (ان الله لا يغير ما بقوم) لا يسلبهم نعمته (حتى يغيروا ما بانفسهم)

اختلف المفسرون فى من فقيل بمعنى الباء والمحفوظ منه محذوف والتقدير يحفظونه بامر الله من الحوادث وقيل ان من على حقيقتها والمحفوظ منه مذكور بقوله من أمر الله أى يحفظونه من الجن والحوادث وغير ذلك اذا علمت ذلك فالمفسر قد أفاد القول الاول (قوله من الحالة الجميلة) أى وهى الطاعة والمعنى انه جرت عادة الله انه لا يقطع نعمة عن قوم الا اذا بدلوا أحوالهم الجميلة باحوال قبيحة وبمعنى هذه الآية قوله تعالى ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم وقوله عليه الصلاة والسلام اذا رأيت قسوة فى قلبك وحرما نا فى رزقك ووهنا فى بدنك فاعلم انك تكلمت بما لا يعنيك فالنعم تاتى من الله بلا سبب وسلبها يكون بسبب المعاصى (قوله واذا أراد الله بقوم سوأ) اذا شرطية وجوابها قوله فلا مرد له والعامل فيها محذوف لدلالة الجواب عليه تقديره لم يرد أو واقع والمعنى متى سبق فى علم الله نزول بلاء بقوم فلا يقدر على دفعه أحد من الملائكة ولا من غيرهم اذا علمت ذلك تعلم جهل من يقول لو كانت الاولياء موجودين لما نزل علينا بلاء (قوله وما لهم من دونه من وال) أى ناصر يدفعه قال تعالى وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى فلا دافع لما قضاه ولا راد لما قدره (قوله هو الذى يريكم البرق) لما أخبر سبحانه وتعالى بقوله واذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له رتب عليه قوله هو الذى يريكم البرق الخ اشارة الى انه سبحانه وتعالى منه الرحمة والعقاب (قوله البرق) هو لمعان يظهر من خلال السحاب وقيل لمعان المطراق الذى يزجر به السحاب (قوله خوفا وطمعا) منصوبان على الحال من الكاف فى يريكم وليس مفعولا لاجله لعدم اتحاد الفاعل فان فاعل الاراءة الله وفاعل الخوف والطمع العبيد وبعضهم جعله مفعولا لاجله بتاويل يريكم بيجعلكم رائين فتخافون وتطمعون (قوله للمسافرين) لا مفهوم له بل المقيمون الذين يضرهم المطر كمن يجفف الثمار والحبوب كذلك وقوله وطمعا للمقيم الخ لا مفهوم له ايضا بل المسافر المحتاج للمطر للشرب مثلا كذلك فالبرق تارة يكون خيرا وتارة يكون شرا للمسافرين والمقيمين فينبغى للانسان ان يكون دائما خائفا راجيا لان الله تعالى قد ياتى بالخير فيما ظاهره شر ويأتى بالشر فيما ظاهره خير (قوله وينشئ السحاب) هو ثمر شجرة فى الجنة يخلقه الله وينزل فيه الماء من السماء فالسحاب من الجنة وماؤه من الجنة تهب الريح من تحت ساق العرش فتخرج الحامل والمحمول من الجنة وهذا مذهب اهل السنة وقالت المعتزلة ان السحاب له خراطيم كالابل فينزل فيشرب من البحر المالح ويرتفع فى الجو فتنسفه الرياح فيحلو فينزله الله على من اراد من خلقه (قوله هو ملك موكل بالسحاب الخ) هذا هو المشهور بين المفسرين وعليه فما نسمعه هو صوت تسبيح الملك الموكل بالسحاب فاذا سمعته الملائكة ضجت معه بالتسبيح فعندها ينزل المطر وقيل هو صوت الآلة التى يضرب بها السحاب (قوله اى يقول سبحان الله وبحمده) اى تنزيها له عن النقائص واتصافا له بالكمالات (قوله ملتبسا) اشار بذلك الى ان الباء للملابسة (قوله والملائكة) قيل المراد بهم اعوان ملك السحاب وقيل المراد جميع الملائكة (قوله من خيفته) اى هيبته وجلاله (قوله وهى نار الخ) وقيل هى الصوت الشديد النازل من الجو ثم يكون فيه نار (قوله تخرج من السحاب) اى فاذا نزلت من السماء فربما تغوص فى البحر فتقتل الحيتان (قوله نزل فى رجل) اى من طواغيت العرب وقد اختصرها المفسر وحاصلها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث اليه نفرا من اصحابه يدعونه الى الله تعالى ورسوله فقال لهم اخبرونا من رب محمد الذى يدعونى اليه فهل هو من ذهب ام فضة ام حديد ام نحاس فاستعظم القوم كلامه فانصرفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا اكفر قلبا ولا اجرأ على الله تعالى من هذا الرجل فقال ارجعوا اليه فرجعوا فلم يزدهم على مقالته الاولى شيا بل قال اخبث منها فرجعوا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهم ارجعوا اليه فرجعوا فبينما هم عنده يدعونه وينازعونه ارتفعت سحابة فكانت فوق رؤسهم

من الحالة الجميلة بالمعصية (واذا اراد الله بقوم سوء) عذابا (فلا مرد له) من المعقبات ولا غيرها (وما لهم) لمن اراد الله بهم سوء (من دونه) اى غير الله (من) زائدة (وال) يمنعه عنهم (هو الذى يريكم البرق خوفا) للمسافرين من الصواعق (وطمعا) للمقيم فى المطر (وينشئ) يخلق (السحاب الثقال) بالمطر (ويسبح الرعد) هو ملك موكل بالسحاب يسوقه ملتبسا (بحمده) اى يقول سبحان الله وبحمده (و) يسبح (الملائكة من خيفته) اى الله (ويرسل الصواعق) وهى نار تخرج من السحاب (فيصيب بها من يشاء) فتحرقه نزل فى رجل بعث اليه النبى صلى الله عليه وسلم من يدعوه فقال من رسول الله وما الله أمن ذهب هو ام فضة ام نحاس فنزلت به صاعقة فذهبت

بقحف رأسه (وهم) اى الكفار (يجادلون) يخاصمون النبى صلى الله عليه وسلم (فى الله وهو شديد المحال) القوة او الاخذ (له) تعالى (دعوة الحق) اى كلمته وهى لا اله الا الله (والذين يدعون) بالياء والتاء يعبدون (من دونه) اى غيره وهم الاصنام (لا يستجيبون لهم بشىء) مما يطلبونه (الا) استجابة (كباسط) اى كاستجابة باسط (كفيه الى الماء) على شفير البئر يدعوه (ليبلغ فاه) بارتفاعه من البئر اليه (وماهو ببالغه) اى فاه ابدا فكذلك ماهم بمستجيبين لهم (ومادعاء الكافرين) عبادتهم الاصنام او حقيقة الدعاء (الا فى ضلال) ضياع (ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا) كالمؤمنين (وكرها) كالمنافقين ومن أكره بالسيف (و) يسجد (ظلالهم بالغدو) البكر (والآصال) العشايا (قل) يا محمد لقومك (من رب السموات والارض قل الله) ان لم يقولوه لا جواب غيره (قل) لهم (أفاتخذتم من دونه) اى غيره (أولياء) أصناما تعبدونها (لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا) وتركتم مالكهما استفهام توبيخ

فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة فاحرقت الكافر وهم جلوس عنده فرجعوا ليخبروا النبى صلى الله عليه وسلم فبادرهم وقال لهم احترق صاحبكم فقالوا من اين علمت قال قد اوحى الى ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء (قوله بقحف رأسه) بكسر القاف عظم الرأس الذى فوق الدماغ (قوله وهو شديد المحال) بكسر الميم من المماحلة وهى المكايدة وقيل من المحل وهو القوة والاخذ وهو الاولى ولذا مشى عليه المفسر (قوله له دعوة الحق) اى شرعها وامر بها (قوله وهى لا اله الا الله) اى مع عديلتها وهى محمد رسول الله فهى كلمة الحق جعلت مفتاحا للاسلام فلا يقبل من احد الا بالاقرار بها (قوله بالياء والتاء) أما الياء فمتواترة واما التاء فشاذة وكان المناسب للمفسر التنبيه عليها (قوله لا يستجيبون لهم) اى لا يجيبونهم (قوله الا استجابة) أشار بذلك الى ان الكلام على تقدير مصدر مضاف الى المفعول والمعنى ان الاصنام التى يعبدها الكفار لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر فلا تجيب عابديها بشىء أصلا وقد ضرب الله مثلا لعدم اجابتها لهم بقوله الا كباسط الخ والمعنى ان من بسط كفيه للماء ليدخل فى فيه لا يجيبه الماء لعدم اشعاره ببسط كفيه وعطشه وعدم قدرته على ذلك فكذلك من يدعو الاصنام لتدفع عنه كربا او توليه نعمة لا تجيبه بشىء لعدم قدرتها على ذلك لنفسها فضلا عن غيرها (قوله وماهو) اى الماء (قوله عبادتهم الاصنام او حقيقة الخ) هذان قولان فى تفسير الدعاء والاقرب الاول بدليل قوله اولا والذين يدعون يعبدون (قوله ضياع) انما كان دعاؤهم ضائعا لانه طلب من غير من لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا واما دعاؤهم لله فليس بضائع بل يستجيب لهم ان شاء فان كان بامور الدنيا فظاهر وان كان بالجنة فيهديهم للايمان هذا هو الذى يجب المصير اليه ويؤيده قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فانها فى مشركى مكة وجملة ومادعاء الكافرين الا فى ضلال نتيجة ماقبلها (قوله ولله يسجد من فى السموات) اى وهم الملائكة ولا يكون الا طوعا وقوله والارض اى من الانس والجن وقوله طوعا وكرها حالان من الفاعل اى طائعين ومكرهين والكره فى المنافقين كما قال المفسر وأما باقى الكفار فلم يكن منهم سجود وهذا ان حمل السجود على حقيقته وهو وضع الجبهة على الارض بالفعل وان اريد من السجود الامر به بقيت من على عمومها فيندرج تحتها الانس والجن والملك ويصح حمله على معناه المجازى وهو الخضوع والانقياد والمعنى ولله خضع وانقاد وذل من فى السموات والارض جميعا وهو بمعنى قوله تعالى ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا وعلى هذا فالمراد بمن فى السموات والارض السموات والارض ومن فيهن وغلب العاقل لشرفه ولانه المكلف بالسجود الحقيقى واللغوى فالعارف بربه المسلم لاحكامه ولو غير عاقل بدليل قالتا اتينا طائعين خضع طوعا اجلالا لهيبة الله وجلاله والجاهل خضع كرها بمعنى جرت المقادير عليه رغما على انفه (قوله وظلالهم) معطوف على من مسلط عليه يسجد كما قدره المفسر ومعنى سجود الظل سجوده حقيقة تبعا لصاحبه ان اريد بالسجود حقيقته وخضوعه وانقياده ان اريد به المعنى المجازى وسجود الظلال كلها طوعا لخلوها عن النفس التى تحمل الانسان على عدم الرضا ففى الحقيقة الكاره انما هو النفس التى حواها الجسم واما الجسم والظل فخضوعهما طوعا ولذا قيل ان الكافر اذا سجد للصنم سجد ظله لله (قوله البكر) جمع بكرة وهى من اول النهار (قوله والآصال) جمع اصيل وهو من بعد العصر الى الغروب فالمراد جميع الاوقات ان اريد بالسجود الخضوع والانقياد واوقات الصلوات ان اريد بالسجود حقيقته (قوله قل من رب السموات والارض) هذا مرتب على ماقبله (قوله لا جواب غيره) اى لتعينه عليهم لاعترافهم به وانما يتركون هذا الجواب عنادا (قوله قل أفاتخذتم الخ) المعنى ابعد اقراركم بانه رب السموات والارض واعترافكم به يليق بكم ان تتخذوا من دونه من لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا (قوله وتركتم مالكهما) اى وهو الله (قوله استفهام توبيخ)

(قل هل يستوى الاعمى والبصير) الكافر والمؤمن (ام هل تستوى الظلمات) الكفر (والنور) الايمان لا (ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق) اى خلق الشركاء بخلق الله (عليهم) فاعتقدوا استحقاق عبادتهم بخلقهم استفهام انكار اى ليس الامر كذلك ولا يستحق العبادة الا الخالق (قل الله خالق كل شئ) لا شريك له فى العبادة (وهو الواحد القهار) لعباده ثم ضرب مثلا للحق والباطل فقال (انزل) تعالى (من السماء ماء) مطرا (فسالت اودية بقدرها) بمقدار ملئها (فاحتمل السيل زبدا رابيا) عاليا عليه هو ما على وجهه من قذر ونحوه (ومما توقدون) بالتاء والياء (عليه فى النار) من جواهر الارض كالذهب والفضة والنحاس (ابتغاء) طلب (حلية) زينة (أو متاع) ينتفع به كالاوانى اذا اذيبت (زبد مثله) اى مثل زبد السيل وهو خبثه الذى ينفيه الكير (كذلك) المذكور (يضرب الله الحق والباطل) اى مثلهما (فاما الزبد) من السيل وما اوقد عليه من الجواهر (فيذهب جفاء) باطلا مرميا به (وأما ما ينفع الناس) من الماء والجواهر (فيمكث) يبقى (فى الارض) زمانا كذلك الباطل يضمحل وينمحق وان علا على الحق فى بعض الاوقات والحق ثابت باق (كذلك) المذكور (يضرب) يبين (الله الامثال للذين استجابوا لربهم) اجابوه بالطاعة (الحسنى) الجنة (والذين لم يستجيبوا له) وهم الكفار (لو ان لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به) من العذاب (اولئك لهم سوء الحساب) وهو المؤاخذة بكل ما عملوه

أى الثانى وأما الاول فهو للتقرير (قوله قل هل يستوى الاعمى والبصير) هذا ترق فى الرد عليهم (قوله الكافر والمؤمن) اى فالمراد بالاعمى اعمى القلب والبصير بصيره (قوله الكفر) اى وعبر عنه بالظلمات جمعا لتعدد انواعه بخلاف الايمان فهو متحد فلذا عبر عنه بالنور مفردا وسمى الكفر ظلمات لانه موصل لدار الظلمات وهى النار وسمى الايمان بالنور لانه موصل لدار النور وهى الجنة (قوله لا) اشار بذلك الى ان الاستفهام انكارى بمعنى النفى وبمعنى هذه الآية قوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح الآية وقوله تعالى او كظلمات فى بحر لجى الآية (قوله ام جعلوا) اى بل اجعلوا فام منقطعة تفسر ببل والهمزة (قوله شركاء) أى الاصنام (قوله خلقوا) اى الاصنام وقوله كخلقه اى الله والمعنى هل لهذه الاصنام خلق كخلق الله فاشتبه بخلقه فاستحقت العبادة لذلك وهو انكار عليهم اى لم يخلقوا اصلا بل ولا يستطيعون دفع ما ينزل بهم فكيف العاجز يعبد (قوله اى ليس الامر كذلك) اى لم يخلقوا كخلق الله حتى يشتبه بخلق الله بل الكفار يعلمون بالضرورة ان هذه الاصنام لم يصدر عنها فعل ولا خلق ولا اثر اصلا واذا كان كذلك فجعلهم اياها شركاء لله فى الالوهية محض جهل وعناد (قوله وهو الواحد القهار) اى المنفرد بالايجاد والاعدام القاهر لعباده المختار فى افعاله فلا يسئل عما يفعل (قوله ثم ضرب مثلا) اى بينه والمراد بالمثل الجنس لان المذكور للحق مثلان وللباطل كذلك (قوله فسالت اودية) اى انهار جمع واد وهو الموضع الذى يسيل فيه الماء بكثرة وحينئذ فهو مجاز عقلى من اسناد الشئ لمكانه والاصل فسال الماء فى الاودية (قوله بقدرها) بفتح الدال باتفاق السبعة وقرئ شذوذا بسكونها (قوله بمقدار ملئها) اى ما يملأ كل واحد بحسبه صغرا وكبرا (قوله زبدا) الزبد ما يظهر على وجه الماء من الرغوة او على وجه القدر عند غليانه وقد تم المثل الاول (قوله ومما توقدون) الجار والمجرور خبر مقدم وزبد مثله مبتدأ مؤخر (قوله بالتاء والياء) اى وهما قراءتان سبعيتان (قوله فى النار) متعلق بتوقدون وقوله ابتغاء حلية علة لتوقدون (قوله كالاوانى) اى والمسكوك الذى ينتفع به الناس فى معايشهم (قوله زبد مثله) اى فى كونه يصعد ويعلو على اصله (قوله الكير) هو منفاخ الحداد وأما الكور فهو الموضع الذى توقد فيه النار كالكانون (قوله المذكور) أى من الامور الاربعة التى للحق والباطل (قوله فاما الزبد) لف ونشر مشوش (قوله مرميا به) اى يرميه الماء الى الساحل ويرميه الكير فلا ينتفع به (قوله والحق ثابت) اى ما كث كما ان الماء والجوهر ثابتان وانما يرمى بزبدهما والمعنى ان مثل الباطل كمثل الرغوة التى تعلو على وجه الماء وخبث الجوهر الذى يصعد على وجهه عند نفخ النار عليه ومثل الحق كمثل الماء الصافى والجوهر الصافى كما ان الرغوة فى كل لا قرار لها ولا ينتفع بها بل ترمى كذلك الباطل يضمحل ولا يبقى والحق ثابت ينتفع به كالجوهر والماء الصافيين وفى هذه الآية بشرى للامة المحمدية بانها ثابتة على الحق لا يضرهم من خالفهم فى العقائد بل وان علا وارتفع لا بد من اضمحلاله وزواله (قوله يضرب الله الامثال) أى لارشاد عبيده باللطف والرفق فان من جملة ما جاء به القرآن الامثال (قوله للذين استجابوا) خبر مقدم وقوله الحسنى مبتدأ مؤخر (قوله الجنة) اى وزيادة بدليل الآية الاخرى للذين احسنوا الحسنى وزيادة (قوله والذين) مبتدأ أخبر عنه بثلاثة امور الاول قوله لو ان لهم الثانى قوله اولئك لهم الخ الثالث قوله ومأواهم الخ والمعنى ان الكفار يتمنون ان لو كان لهم قدر ما فى الارض جميعا مرتين ويفتدون به من العذاب النازل بهم يوم القيامة (قوله سوء الحساب) أى الحساب السئ فهو من اضافة الصفة للموصوف والمراد انهم يناقشون

الحساب

الحساب و يسئلون عن النقير والقطمير ولذا ورد في الحديث من نوقش الحساب هلك (قوله وماواهم جهنم) اى منزلهم المعد لهم (قوله وبئس المهاد) هو ما يمهد أى يفرش وقدر هى اشارة الى ان المخصوص بالذم محذوف (قوله ونزل فى حمزة وابى جهل) اى بسبب نزول هذه الآيات مدح حمزة بالصفات الجميلة والوعد عليها بالخير وذم ابى جهل بالصفات القبيحة والوعيد عليها بالشر ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فآيات الوعد لحمزة ومن كان على قدمه وخلقه الى يوم القيامة وآيات الوعيد لابى جهل ومن كان على قدمه وخلقه الى يوم القيامة (قوله أفمن يعلم) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أيستوى المؤمن والكافر فمن يعلم الخ (قوله لا) اشار بذلك الى ان الاستفهام انكارى بمعنى النفى (قوله اصحاب العقول) اى السليمة الكاملة (قوله الذين يوفون) بدل من من وحاصل ما ذكره من الصفات لهم ثمانية اولها قوله يوفون بعهد الله وآخرها قوله ويدرؤن بالحسنة السيئة (قوله الماخوذ عليهم وهم فى عالم الذر) اى بالتوحيد وهو قول الله لهم الست بربكم (قوله او كل عهد) اى كل ميثاق اخذ عليهم كان للخالق او للمخلوق ولو كافرا فيجب الوفاء بالعهد ولا تجوز الخيانة ولما كانت الاوصاف الآتية لازمة للموفى بالعهد قدم عليها وجعل ما بعده تفصيلا له وحينئذ فالمراد بالوفاء بالعهد امتثال المامورات على حسب الطاقة واجتناب المنهيات (قوله ولا ينقضون الميثاق) تاكيد لما قبله ولازم له لان الموفى بالعهد غير ناقض للميثاق فالعهد هو الميثاق وقيل الميثاق هو التزام المخلوق بالوفاء بامر الخالق والعهد هو امر الله (قوله بترك الايمان) راجع للاول وقوله او الفرائض راجع للثانى فى تفسير العهد (قوله من الايمان) بيان لما والمعنى انهم ياتون بالايمان بشروطه واركانه وآدابه (قوله والرحم) اى القرابة لما فى الحديث يقول الله تعالى انا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وقال عليه الصلاة والسلام الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله وصلة الرحم تكون ببذل المعروف والانفاق بحسب الاستطاعة (قوله وغير ذلك) اى كالتوادد للناس وعيادة المريض وغير ذلك لما فى الحديث التوادد مع الناس نصف العقل وفى الحديث وخالق الناس بخلق حسن والتوادد باعطاء من حرمك ووصل من قطعك والعفو عمن ظلمك (قوله ويخشون ربهم) اى يهابونه اجلالا وتعظيما فلا يخشون غيره ولا يلتفتون لما سواه (قوله ويخافون سوء الحساب) اى يخافون الحساب السيء المؤدى لدخول النار (قوله والذين صبروا على الطاعة الخ) اشار المفسر الى ان مراتب الصبر ثلاثة اعلاها الصبر عن المعصية وهو عدم فعلها رأسا ويليها الصبر على الطاعات اى دوام فعلها على حسب الطاقة ويليها الصبر على البلاء واعلى الجميع الصبر عن الشهوات لانه مرتبة الاولياء والصديقين (قوله ابتغاء وجه ربهم) اى طلبا لمرضاته (قوله لا غيره من اعراض الدنيا) اى كالصبر ليقال ما اكمل صبره واشد قوته او لئلا يعاب على الجزع او لئلا تشمت به الاعداء وغير ذلك من الامور التى تكون لغير وجه الله وفضل الصبر لوجه الله عظيم جدا قال تعالى وبشر الصابرين الآية وورد اذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم اهل الصبر فيقوم ناس من الناس فيقال لهم انطلقوا الى الجنة فتتلقاهم الملائكة فتقول الى اين فيقولون الى الجنة قالوا قبل الحساب قال نعم فيقولون من انتم فيقولون نحن اهل الصبر قالوا وما كان صبركم قالوا صبرنا على انفسنا على طاعة الله وصبرناها عن معاصى الله وصبرناها على البلايا والمحن فى الدنيا فتقول لهم الملائكة سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار (قوله واقاموا الصلاة) اى فرضا او نفلا بالاتيان بها بشروطها واركانها وآدابها (قوله وانفقوا فى الطاعة) اى انفاقا واجبا كالزكاة والنفقات الواجبة او مندوبا كالتطوعات (قوله سرا وعلانية) اى لم يعلم به أحدا وعلم فالمدار على الاخلاص فى النفقة اسربها أو اعلن (قوله كالجهل بالحلم) اى فيدفع السفه والتعدى بالحلم وعدم المؤاخذة (قوله والاذى بالصبر) اى فلا يكافؤن الشر بالشر بل يدفعون الشر بالخير والصبر (قوله أولئك) مبتدا وقوله لهم خبر مقدم وعقبى الدار مبتدا مؤخر

لا يغفر منه شيء (وماواهم جهنم وبئس المهاد) الفراش هى * ونزل فى حمزة وابى جهل (أفمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق) فآمن به (كمن هو اعمى) لا يعلمه ولا يؤمن به لا (انما يتذكر) يتعظ (اولو الالباب) اصحاب العقول (الذين يوفون بعهد الله) الماخوذ عليهم وهم فى عالم الذر أو كل عهد (ولا ينقضون الميثاق) بترك الايمان او الفرائض (والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل) من الايمان والرحم وغير ذلك (ويخشون ربهم) اى وعيده (ويخافون سوء الحساب) تقدم مثله (والذين صبروا) على الطاعة والبلاء وعن المعصية (ابتغاء) طلب (وجه ربهم) لا غيره من اعراض الدنيا (واقاموا الصلاة وانفقوا) فى الطاعة (مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرؤن) يدفعون (بالحسنة السيئة) كالجهل بالحلم والاذى بالصبر (أولئك لهم عقبى الدار)

اى العاقبة المحمودة فى الدار الآخرة هى (جنات عدن) اقامة (يدخلونها) هم (ومن صلح) آمن (من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) وان لم يعملوا بعملهم يكونون فى درجاتهم تكرمة لهم (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) من ابواب الجنة او القصور اول دخولهم للتهنئة يقولون (سلام عليكم) هذا الثواب (بما صبرتم) بصبركم فى الدنيا (فنعم عقبي الدار) عقباكم (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه و يقطعون ما أمر الله به ان يوصل و يفسدون فى الارض) بالكفر والمعاصي (أولئك لهم اللعنة) البعد من رحمة الله (ولهم سوء لدار) العاقبة السيئة فى الدار الآخرة وهى جهنم (الله يبسط الرزق) يوسعه (لمن يشاء و يقدر) يضيقه لمن يشاء (وفرحوا) اى اهل مكة فرح بطر (بالحياة الدنيا) اى بما نالوه فيها (وما الحياة الدنيا فى) جنب حياة (الآخره الامتاع) شيء قليل يتمتع به و يذهب (و يقول الذين كفروا) من اهل مكة (لولا) هلا (أنزل عليه) على محمد (آية من ربه) كالعصا واليد والناقة (قل) لهم (ان الله يضل من يشاء) اضلاله فلا تغنى عنه الآيات شيا (ويهدى) يرشد (اليه) الى دينه (من أناب) رجع اليه و يبدل من من (الذين آمنوا وتطمئن) تسكن (قلوبهم)

والجملة خبر المبتدا الاول وهى مستانفة لبيان جزاء من ذكر (قوله اى العاقبة المحمودة فى الدار الآخره) أشار بذلك الى ان النعت محذوف والاضافة على معنى فى فالعقبي المحمودة هى الجنة (قوله جنات عدن) قدر المفسر هى اشارة الى ان جنات عدن خبر مبتدا محذوف والمراد بجنات عدن الجنة بجميع دورها لا خصوص الدار المسماة بذلك (قوله هم ومن الخ) قدر الضمير للايضاح والا فالفصل حاصل بالضمير المنصوب (قوله من آبائهم) اى أصولهم وان علوا ذكورا وانا ثا (قوله وأزواجهم) اى اللاتى متن فى عصمتهم (قوله وذرياتهم) اى فروعهم وان سفلوا (قوله وان لم يعملوا) اى الآباء والازواج والذريات (قوله تكرمة لهم) اى لان الله جعل من ثواب المطيع سروره بما يراه فى أهله ولوكان دخولهم الجنة باعمالهم الصالحة لم تكن فى ذلك كرامة للمطيع اذ كل من كان صالحا فى عمله فله الدرجات العلية استقلالا (قوله او القصور) جمع قصر وهو كما ورد خيمة من درة مجوفة طولها فرسخ وعرضها فرسخ لها ألف باب مصارعها من ذهب يدخلون عليهم من كل باب بالتحف والهدايا يقولون سلام عليكم بما صبرتم (قوله اول دخولهم للتهنئة) هذا التفسير لم ير لغيره بل فى كلام غيره مايدل على خلاف ذلك قال مقاتل ان الملائكة يدخلون فى مقدار كل يوم من أيام الدنيا ثلاث مرات معهم الهدايا والتحف من الله تعالى يقولون سلام عليكم بما صبرتم (قوله يقولون) قدره اشارة الى ان قوله تعالى سلام عليكم فى محل نصب مقول لقول محذوف (قوله سلام عليكم) اى سلمكم الله من آفات الدنيا فهو دعاء لهم وتحية (قوله بما صبرتم) الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هذا الثواب الخ (قوله بصبركم) اشار بذلك الى ان ما مصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر (قوله فنعم عقبي الدار) المراد بالدار قيل الدنيا وقيل الآخرة (قوله عقباكم) قدره اشارة الى ان المخصوص بالمدح محذوف (قوله والذين ينقضون) جرت عادة الله فى كتابه انه اذا ذكر أوصاف اهل السعادة اتبعه بذكر أوصاف اهل الشقاوة وهذه أوصاف ابى جهل ومن حذا حذوه الى يوم القيامة (قوله من بعد ميثاقه) اى من بعد الاعتراف والقبول (قوله أولئك) اى من هذه صفاته (قوله وهى جهنم) تفسير للعاقبة السيئة (قوله الله يبسط الرزق الخ) هذا جواب عن شبهة الكفار حيث قالوا لوكان الله غضبان علينا كما زعمتم أيها المؤمنون لما بسط لنا الارزاق ونعمنا فى الدنيا فرد الله عليهم شبهتهم بذلك والمعنى ان بسط الرزق فى الدنيا ليس تابعا للايمان بل ذلك بتقدير الله فى الازل لمن يشاء فقد يبسط الرزق للكافر استدراجا و يضيقه على المؤمن امتحانا (قوله يوسعه لمن يشاء) اى مؤمن او كافر وقوله يضيقه لمن يشاء اى مؤمن او كافر (قوله وفرحوا بالحياة الدنيا) هذا بيان لقبيح احوالهم فهو مستانف (قوله فرح بطر) اى لا فرح سرور وشكر لنعم الله (قوله فى الآخرة) اى منسوبة للآخرة والمعنى وما الحياة الدنيا منسوبة فى جنب الحياة الآخرة الا متاع (قوله يتمتع به و يذهب) اى فلا بقاء لها قال تعالى لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل (قوله هلا) اشار بذلك الى ان لولا تحضيضية (قوله آية من ربه) اى غير ما جاء به من نبع الماء وتسبيح الحصي وغير ذلك (قوله فلا تغنى الآيات عنه شيا) اى فمجيئها لا يفيدهم شيا اذ ما جاز على احد المثلين يجوز على الآخر فما قالوه فى حق ما جاء به من كونه سحرا او كهانة يقولونه فى حق ما لم يات به على فرض اتيانه به قال تعالى وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون (قوله و يهدى اليه) اى يوصله لمرضاته ولما يحبه (قوله و يبدل من من) اى بدل كل و يصح جعله مبتدأ خبره الموصول الثانى وما بينهما اعتراض (قوله الذين آمنوا) اى اتصفوا بالتصديق الباطنى الناشيء عن اذعان وقبول (قوله وتطمئن قلوبهم) هذه علامة المؤمن الكامل والطمانينة بذكر الله هى ثقة القلب بالله والاشتغال به عمن سواه ثم اعلم ان هذه الآية تفيد ان ذكر الله تطمئن به القلوب وآية الانفال تفيد ان ذكر الله يحصل به الوجل والخوف فمقتضى ذلك انه بين الآيتين تناف وأجيب بان الطمانينة هنا معناها السكون الى الله والوثوق به فينشا عن ذلك عدم خوف غيره وعدم الرجاء فى

غيره

غيره فلا ينافى حصول الخوف من الله والوجل منه وهذا معنى آية الانفال وحينئذ فصار الغير عنده هباء منثورا ليس معدا لدفع ضر ولا لجلب نفع و بمعنى الآيتين قوله تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله فتحصل ان المؤمن الكامل هو المطمئن بالله الواثق به الخائف من هيبته وجلاله فلا يشاهد غيره لا فى جلب نفع ولا دفع ضر لان الله هو المالك المتصرف فى الامور خيرها وشرها فحيث شاهد المؤمن وحدانية الله فى الوجود اعرض عما سواه واكتفى به فلا يعرج على غيره اصلا وهذا اتم مما ذكره المفسر حيث دفع التنافى بان معنى الطمأنينة سكون القلب بذكر الوعد والبشارات والوجل بذكر الوعيد والنذارات (قوله تطمئن قلوبهم) اى الكاملة فى الايمان (قوله طوبى) اصله طيبى وقعت الياء ساكنة بعد ضمة قلبت واوا والمعنى عيشة طيبة لهم وقد فسرت فى آية اخرى بقوله تعالى فهو فى عيشة راضية فى جنة عالية قطوفها دانية (قوله او شجرة فى الجنة) اى واصلها فى دار النبى صلى الله عليه وسلم وفى كل دار وغرفة فى الجنة منها غصن لم يخلق الله لونا ولا زهرة الا وفيها منها الا السواد ولم يخلق الله فاكهة ولا ثمرة الا وفيها منها ينبع من اصلها عينان الكافور والسلسبيل كل ورقة منها تظل امة ثياب اهل الجنة تخرج من اكمامها فتنبت الحلل والحلى و يخرج منها الخيل المسرجة الملجمة والابل برحالها وازمتها وما ذكره المفسر فى تفسير طوبى قولان من اقوال كثيرة وقيل انه دعاء من الله لهم والتقدير طيب عيشكم وقيل غير ذلك (قوله وحسن مآب) اى ولهم حسن مرجع ومنقلب فى الآخرة وهى الجنة (قوله كذلك ارسلناك) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم اى فلا تحزن على عدم ايمان قومك فانا ارسلنا الانبياء الى قومهم فكفروا ولم يطيعوا فليس من كذبك باول مكذب (قوله فى امة) اى الى امة (قوله قد خلت من قبلها امم) اى سبقت ومضت (قوله وهم يكفرون بالرحمن) الجملة حالية (قوله لما امروا بالسجود له) اى كما ذكر فى سورة الفرقان بقوله تعالى واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن وهذا القول منهم على سبيل العناد و يسمى عند ارباب المعانى تجاهل العارف فان الرحمن هو المنعم على عباده وهم يشاهدون نعمه عليهم ومع ذلك قالوا وما الرحمن وهذا كقول فرعون وما رب العالمين (قوله هو ربى) اى الرحمن الذى انكرتموه هو خالقى (قوله عليه توكلت) اى فوضت امورى اليه (قوله متاب) اى توبتى ومرجعى (قوله ونزل لما قالوا) اى كفار مكة منهم ابو جهل وعبد الله بن امية جلسوا خلف الكعبة وارسلوا الى النبى صلى الله عليه وسلم فاتاهم وقيل انه مر بهم وهم جلوس فدعاهم الى الله فقال عبد الله بن امية ان سرك ان نتبعك فسير جبال مكة بالقرآن فادفعها عنا حتى تفسح فانها ارض ضيقة لمزارعنا واجعل لنا فيها انهارا وعيونا لنغرس الاشجار ونزرع ونتخذ البساتين فلست كما زعمت باهون على ربك من داود حيث سخر له الجبال تسير معه اوسخر لنا الريح لنركبها الى الشام لميرتنا وحوائجنا ونرجع فى يومنا كما سخرت لسليمان الريح كما زعمت فلست اهون على ربك من سليمان واحى لنا جدك قصيا فان عيسى كان يحيى الموتى ولست باهون على الله منه فنزلت هذه الآية (قوله او قطعت به الارض) اى من خشية الله عند قراءته فجعلت انهارا وعيونا (قوله لما آمنوا) جواب لو والمعنى لو فعل الله ما ذكروا اجابهم لم يحصل منهم ايمان لان الله علم عدم هداهم (قوله بل لله الامر جميعا) اى القدرة على كل شيء وهو اضراب عما تضمنته الجملة الشرطية من معنى النفى والمعنى بل الله قادر على الاتيان بما اقترحوه الا ان ارادته لم تتعلق بذلك لعلمه بانهم لا يؤمنون (قوله وان اوتوا ما اقترحوا) اى اعطوا ما طلبوه (قوله لما اراد الصحابة الخ) اى فقالوا يا رسول الله انك مجاب الدعوة فاطلب لهم ما اقترحوا عسى ان يؤمنوا (قوله يعلم) يطلق اليأس على العلم فى لغة هوازن ونخع لتضمنه معناه فان الآيس من الشيء عالم بانه لا يكون (قوله ان مخففة) اى واسمها ضمير الشان وجملة لو يشاء الخ خبر ان (قوله لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) اى ولكن لم يفعل ذلك لعدم تعلق مشيئته باهتدائهم ان قلت لم

بذكر الله) اى وعده (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) اى قلوب المؤمنين (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) مبتدأ خبره (طوبى) مصدر من الطيب اوشجرة فى الجنة يسير الراكب فى ظلها مائة عام ما يقطعها (لهم وحسن مآب) مرجع (كذلك) كما ارسلنا الانبياء قبلك (ارسلناك فى امة قد خلت من قبلها امم لتتلو) تقرأ (عليهم الذى اوحينا اليك) اى القرآن (وهم يكفرون بالرحمن) حيث قالوا لما امروا بالسجود له وما الرحمن (قل) لهم يا محمد (هو ربى لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب) * ونزل لما قالوا له ان كنت نبيا فسير عنا جبال مكة واجعل لنا فيها انهارا وعيونا لنغرس ونزرع وابعث لنا آباءنا الموتى يكلمونا انك نبى (ولو ان قرآنا سيرت به الجبال) نقلت عن اماكنها (او قطعت) شققت (به الارض اوكلم به الموتى) بان يحيوا لما آمنوا (بل لله الامر جميعا) لا لغيره فلا يؤمن الا من شاء ايمانه دون غيره وان اوتوا ما اقترحوا ونزل لما اراد الصحابة

اظهار ما اقترحوا طمعا فى ايمانهم (افلم ييأس) يعلم (الذين آمنوا) (ان) مخففة اى انه (لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) الى الايمان

من غير آية (ولا يزال الذين كفروا) من اهل مكة (تصيبهم بما صنعوا) بصنعهم اى كفرهم (قارعة) داهية تقرعهم بصنوف البلاء من القتل والاسر والحرب والجدب (او تحل) يا محمد بجيشك (قريبا من دارهم) مكة (حتى ياتى وعد الله) بالنصر عليهم (ان الله لا يخلف الميعاد) وقد حل بالحديبية حتى أتى فتح مكة (ولقد استهزئ برسل من قبلك) كما استهزئ بك وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (فامليت) امهلت (للذين كفروا ثم أخذتهم) بالعقوبة (فكيف كان عقاب) اى هو واقع موقعه فكيف افعل بمن استهزأ بك (أفمن هو قائم) رقيب (على كل نفس بما كسبت) عملت من خير وشر وهو الله كمن ليس كذلك من الاصنام لا دل على هذا (وجعلوا لله شركاء قل سموهم) له من هم (أم) بل أ(تنبؤنه) تخبرون الله (بما) اى بشريك (لا يعلم) ه (فى الارض) استفهام انكار اى لا شريك له اذ لو كان لعلمه تعالى عن ذلك (أم) بل تسمونهم شركاء (بظاهر من القول) بظن باطل لا حقيقة له فى الباطن (بل زين للذين كفروا مكرهم) كفرهم (وصدوا عن السبيل) طريق الهدى (ومن يضلل الله فماله من هاد لهم عذاب فى الحيوة الدنيا) بالقتل والاسر (ولعذاب الاخرة

لم يجب الله نبيه بعين ماطلبوا كما اجاب صالحا فى الناقة وعيسى فى المائدة مع علمه بانهم لا يؤمنون اجيب بانه جرت عادة الله فى عباده الكفار انهم متى طلبوا شيأ من المعجزات وعاهدوا نبيهم على الايمان عند مجيئها ولم يؤمنوا أنه يهلكهم ويقطع دابرهم عن آخرهم وقد اراد الله ابقاء هذه الامة المحمدية وعدم استئصالها بالهلاك اكراما لنبيها فلم تحصل الاجابة بعين ماطلبوا رحمة بهم واكراما لنبيهم (قوله ولا يزال الذين كفروا) اخبار من الله لنبيه بالنصر المرتب على صبره وقوله تصيبهم خبر يزال (قوله بصنعهم) اشار بذلك الى ان ما مصدرية تسبك ما بعدها بمصدر والباء سببية اى بسبب صنعهم (قوله قارعة) التنوين للتنكير اشارة الى انها ليست مخصوصة بشئ معين بل هى عامة فى كل ما يهلكهم (قوله تقرعهم) اى تهلكهم (قوله او تحل قريبا) معطوف على قارعة والمعنى تصيبهم بما صنعوا قارعة او حلولك قريبا من دارهم والعطف يقتضى المغايرة فالمراد بالقارعة غير حلوله وان كان من اعظم القوارع وهذا تسلية له صلى الله عليه وسلم والمعنى اصبر فانك منصور ومؤيد وهم مخذولون فان الدواهى مسلطة عليهم (قوله قريبا) اى مكانا قريبا وهو الحديبية (قوله بالنصر عليهم) اى بفتح مكة (قوله وقد حل بالحديبية) اى مرتين الاولى سنة ست حين أراد العمرة وبعث عثمان وقد صدوا النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عن البيت فصالح الكفار النبي على ان يمكنوه من الدخول فى السنة السابعة فدخلها واعتمروا الثانية سنة ثمان حين اراد فتح مكة فانه حل بها هو وجيشه وامرهم ان يتفرقوا ويوقد كل شخص نارا على حدة ارهابا للعدو ففى صبيحتها حصل الفتح العظيم ودخلوا مكة (قوله فامليت للذين كفروا) هذا تنزل من الله سبحانه وتعالى حيث عامل عباده معاملة ملك عدل فى رعيته حيث امرهم بطاعته المرة بعد المرة واغدق عليهم النعم وكلما عصوه سترهم وامدهم بالعطايا فلما تكرر منهم العصيان وعدم الخوف اخذهم بالعقاب فهل هذا ظلم منه او عدل وجواب الاستفهام انه عدل ولو كان صادرا من سلطان فى رعيته فكيف من الخالق الذى يستحيل عليه الظلم عقلا (قوله فكذلك افعل بمن استهزأ بك) اى لا على العموم اكراما لنبيه صلى الله عليه وسلم (قوله أفمن هو قائم) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أعميتم وسويتم بين الله وبين خلقه فمن هو قائم الخ والمعنى أفمن كان حافظا للنفوس ورازقها وعالما بها كمن ليس بقائم بل هو عاجز عن القيام بنفسه فضلا عن غيره (قوله لا) هذا هو جواب الاستفهام (قوله دل على هذا) اى على الجواب المحذوف وهذا نظير قوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام اى كمن قسا قلبه يدل عليه قوله فويل للقاسية قلوبهم ونظير قوله تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق ولكنه صرح فيها بالمقابل (قوله قل سموهم) اى صفوهم وانظروا هل بتلك الاوصاف تستحق العبادة (قوله من هم) اى بينوا حقيقتهم من اى جنس ومن اى نوع (قوله ام تنبؤنه الخ) ام منقطعة فلذا فسرها ببل والهمزة والمعنى اتخبرون الله بشريك لا يعلمه فى الارض لعدم وجوده اذ لو وجد لعلمه وخص الارض لكون آلهتهم التى جعلوها شركاء كائنين فيها (قوله ام بظاهر) ام هنا للاضراب الابطالى ولذا فسرها ببل فقط والمعنى ان تسميتهم شركاء ظن باطل فاسد لا يعتبر وانما هو اسم من غير مسمى (قوله بل زين للذين كفروا) اضراب عن محاججتهم كانه قال لا تلتفت لهم ولا تعتبر بهم فانهم لا فائدة فيهم لانهم زين لهم ما هم عليه من المكر والكفر (قوله وصدوا) بضم الصاد وفتحها قراءتان سبعيتان والمعنى منعوا عن طريق الهدى اومنعوا الناس عنه (فائدة) قال الطيبي فى هذه الآية احتجاج بليغ مبنى على فنون من علم البيان اولها أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت كمن ليس كذلك احتجاج عليهم وتوبيخ لهم على القياس الفاسد لفقد الجهة الجامعة لهما ثانيها وجعلوا لله شركاء من وضع الظاهر موضع الضمير للتنبيه على انهم جعلوا شركاء لمن هو فرد واحد لا يشاركه احد فى اسمه ثالثها قوله قل سموهم اى عينوا اسماءهم فقولوا فلان وفلان فهو انكار

لوجودها على وجه برهانى كما تقول ان كان الذى تدعيه موجودا فسمه لان المراد بالاسم العلم رابعها قوله ام تنبئونه بما لا يعلم احتجاج من باب نفى الشئ بنفى لازمه وهو المعلوم وهو كناية خامسها قوله أم بظاهر من القول احتجاج من باب الاستدراج والهمزة للتقرير لبعثهم على التفكر المعنى اتقولون بافواهكم من غير رؤية فتفكروا فيه لتقفوا على بطلانه وسادسها التدريج فى كل من الاضرابات على ألطف وجه وحيث كانت الآية مشتملة على هذه الاساليب البديعة مع اختصارها كان الاحتجاج المذكور مناديا على نفسه بالاعجاز وانه ليس من كلام البشر اهـ (قوله وما لهم) خبر مقدم وواق مبتدأ مؤخر ومن الله متعلق به أى ليس لهم مانع من عذاب الله اذا جاءهم (قوله مثل الجنة) مبتدأ والتى صفته ووعد المتقون صلة الموصول والخبر محذوف والتقدير كائن فيما نقص عليك كما قال المفسر (قوله تجرى من تحتها) اى من تحت قصورها وغرفها (قوله الانهار) فسرت فى آية أخرى فى قوله تعالى مثل الجنة التى وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن الخ (قوله اكلها دائم) اى كل شئ يؤكل بتجدد غيره فلا تنقطع انواع ماكولاتها فليست كثمار الدنيا تنقطع فى بعض الاحيان (قوله وظلها دائم) المراد بالظل فيها عدم الشمس فلا ينافى انها نور ونورها حاصل من نور العرش لانه سقفها ومع ذلك فانوار أهلها تغلب على ضوء العرش (قوله عقبى الذين اتقوا) اى مآلهم ومنتهاهم (قوله الذين اتقوا الشرك) تقدم ان هذا ادنى مراتب التقوى (قوله وعقبى الكافرين النار) اى مآلهم ومنتهاهم (قوله والذين آتيناهم الكتاب) اى التوراة والانجيل فال فى الكتاب للجنس (قوله من مؤمنى اليهود) اى ومؤمنى النصارى كاهل نجران والحبشة واليمن فانهم كانوا اذا سمعوا ما أنزل الى الرسول فاضت اعينهم دموعا كما تقدم فى المائدة (قوله لموافقته ماعندهم) أى فى التوراة والانجيل (قوله من ينكر بعضه) اى فكانوا اذا سمعوا شيأ يوافق هواهم سلموه واقروا به واذا خالف هواهم انكروه فمثل القصص لا ينكرونها ومثل الدعاء الى التوحيد ينكرونه (قوله كذكر الرحمن) أى بالنسبة الى مشركى العرب وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كتب لهم كتاب الصلح يوم الحديبية قال فيه بسم الله الرحمن قالوا وما نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب لقول بعضهم مادحا له

سميت بالمجد يا ابن الاكرمين أبا * وانت غيث الورى لا زلت رحمانا

وقد هجاه بعض الصحابة بقوله

سميت بالخبث يا ابن الاخبثين أبا * وانت شر الورى لا زلت شيطانا

(قوله اعبد الله) اى اوحده (قوله اليه ادعو) اى الى عبادته وشريعته (قوله مرجعى) أى فى الآخرة (قوله وكذلك) أى مثل انزال الكتب السابقة (قوله حكما عربيا) حالان من الضمير فى انزلناه والمعنى أنزلناه حاكما بين الناس بلغة العرب وأسند الحكم له لانه ترجمان عن الله فطاعته طاعة الله (قوله فيما يدعونك اليه من ملتهم) أى كقولهم له اعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة وكالصلاة الى بيت المقدس بعد ما حولت عنه (قوله فرضا) اى على سبيل الفرض والتقدير والمقصود تحذير من يجوز عليه اتباع الهوى لان المعصوم اذا خوطب بمثل ذلك كان المقصود غيره (قوله ولا واق) أصله واقى استثقلت الكسرة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان حذفت الياء لالتقائهما (قوله لما عيروه بكثرة النساء) أى حيث قالوا لو كان مرسلا حقا لكان مشتغلا بالزهد وترك الدنيا والنساء فرد الله تعالى عليهم مقالتهم بقوله ولقد ارسلنا الخ فقد كان لسليمان ثلثمائة امرأة حرة وسبعمائة سرية وكان لابيه داود مائة امرأة ومع ذلك لم يقدح فى نبوتهما فكيف يجعلون ذلك قادحا فى نبوتك واعلم ان القوم كانوا يذكرون انواعا من الشبهات فى ابطال النبوة فالشبهة الاولى قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق وسيأتى ذكرها فى الفرقان الثانية قولهم رسول الله الى الخلق

أشق) أشد منه (وما لهم من الله) اى من عذابه (من واق) مانع (مثل) صفة (الجنة التى وعد المتقون) مبتدأ خبره محذوف اى فيما نقص عليكم (تجرى من تحتها الانهار اكلها) ما يؤكل فيها (دائم) لا يفنى (وظلها) دائم لا تنسخه شمس لعدمها فيها (تلك) اى الجنة (عقبى) عاقبة (الذين اتقوا) الشرك (وعقبى الكافرين النار والذين آتيناهم الكتاب) كعبد الله ابن سلام وغيره من مؤمنى اليهود (يفرحون بما انزل اليك) لموافقته ماعندهم (ومن الاحزاب) الذين تحزبوا عليك بالمعاداة من المشركين واليهود (من ينكر بعضه) كذكر الرحمن وما عدا القصص (قل انما امرت) فيما انزل الى (ان) اى بان (اعبد الله ولا اشرك به اليه ادعو واليه مآب) مرجعى (وكذلك) الانزال (انزلناه) اى القرآن (حكما عربيا) بلغة العرب تحكم به بين الناس (ولئن اتبعت اهواءهم) اى الكفار فيما يدعونك اليه من ملتهم فرضا (بعد ما جاءك من العلم) بالتوحيد (مالك من الله من) زائدة (ولى) ناصر (ولا واق) مانع من عذابه * ونزل لما عيروه بكثرة النساء (ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا

وذرية) أولادا وأنت مثلهم
(وماكان لرسول) منهم (أن
يأتي بآية الا باذن الله) لانهم
عبيد مربوبون (لكل اجل)
مدة (كتاب) مكتوب
فيه تحديده (يمحو الله)
منه (ما يشاء ويثبت)
بالتخفيف والتشديد فيه
مايشاء من الاحكام
وغيرها (وعنده ام الكتاب)
اصله الذي لا يتغير منه شئ
وهو ما كتبه في الازل
(واما) فيه ادغام نون ان
الشرطية في ما المزيدة
(نرينك بعض الذي
نعدهم) به من العذاب في
حياتك وجواب الشرط
محذوف اي فذاك (او
نتوفينك) قبل تعذيبهم
(فانما عليك البلاغ) لا
عليك الا التبليغ (وعلينا
الحساب) اذا صاروا الينا
فنجازيهم (اولم يروا) اى
أهل مكة (انا نأتي الارض)
نقصد ارضهم (ننقصها
من اطرافها) بالفتح على
النبي صلى الله عليه وسلم
(والله يحكم) في خلقه بما
يشاء (لا معقب) لا راد
لحكمه (وهو سريع الحساب
وقد مكر الذين من قبلهم)
من الامم بانبيائهم كما
مكروا بك (فلله المكر
جميعا) وليس مكرهم
كمكره لانه تعالى
(يعلم ما تكسب كل نفس)

لا بد وأن يكون من جنس الملائكة كما قالوا لولا أنزل عليه ملك وقالوا لوما تأتينا بالملائكة وستأتي أيضا الثالثة قولهم لو كان رسولا من عند الله لما اشتغل بالنساء فاجاب الله بقوله ولقد أرسلنا رسلا من قبلك الآية الرابعة قولهم لو كان رسولا من عند الله لكان أى شئ طلبناه من المعجزات أتى به فاجاب تعالى بقوله وما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله الآية الخامسة قولهم لو كان رسولا لحصل ما أوعدنا به من نزول العذاب فاجاب الله تعالى بقوله لكل أجل كتاب أى لكل حادث وقت معين لا يتأخر عنه ولا يتقدم عليه السادسة قولهم لو كان صادقا ما نسخ الاحكام التي هي ثابتة في التوراة والانجيل وما نسخ بعض الاحكام التي جاء بها فاجاب الله تعالى عنه بقوله يمحو الله ما يشاء ويثبت (قوله وذرية) اى وقد كان لرسول الله سبعة اولاد ثلاثة ذكور واربع اناث وترتيبهم في الولادة هكذا القاسم فزينب فرقية ففاطمة فام كلثوم فعبد الله فابراهيم وكلهم من خديجة الا ابراهيم فمن مارية القبطية وكلهم ماتوا في حياته الا فاطمة فماتت بعده بستة أشهر (قوله وما كان لرسول الخ) أى لم يجعل الله للرسول الاتيان بآية مما اقترحه قومه الا بارادته تعالى (قوله مربوبون) أى مقهورون مغلوبون (قوله لكل أجل كتاب) رد لاستعجالهم العذاب فانه كان يخوفهم بذلك فاستعجلوه عنادا (قوله مكتوب فيه) أى في ذلك الكتاب وهو اللوح المحفوظ (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وهو ما كتبه في الازل) اى قدره بمعنى تعلق به علمه وارادته وما مشى عليه المفسر من ان الصحف واللوح المحفوظ يقع فيها التغيير والتبديل والمراد بام الكتاب علم الله المتعلق بالاشياء ازلا هو احد تفسيرين ان قلت يرد على هذا ما ورد ان الله لما خلق اللوح والقلم وامره بكتابة ما كان وما يكون وما هو كائن قال رفعت الاقلام وجفت الصحف اجيب بان المراد رفعت الاقلام عما هو مطابق لعلم الله والتفسير الآخر ان المحو والاثبات يقعان في صحف الملائكة فقط والمراد بقوله وعنده ام الكتاب اللوح المحفوظ وهو لا يقبل التغيير ولا التبديل والحاصل انما في علم الله لا يقبل التغيير جزما وما في الصحف يقبل التغيير جزما والخلاف في اللوح المحفوظ والآية محتملة والله اعلم بحقيقة الحال (قوله واما نرينك) ان شرطية مدغمة في ما الزائدة كما قال المفسر ونرينك فعل الشرط والفاعل مستتر تقديره نحن والكاف مفعول اول وبعض الذي مفعول ثان والمفعول الثالث محذوف قدره المفسر بقوله في حياتك (قوله أى فذاك) مبتدأ خبره محذوف تقديره شاف صدرك من أعدائك (قوله أو نتوفينك) معطوف على نرينك فهو شرط ايضا وجوابه محذوف والتقدير فلا لوم عليك وقوله فانما عليك البلاغ دليل للمحذوف (قوله فنجازيهم) أى على أعمالهم خيرها وشرها وقد جمع الله لنبيه بين تعذيبهم على يده في الدنيا ومجازاة الله لهم في الآخرة (قوله أولم يروا) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أينكرون ما وعدناهم به من العذاب ولم يروا الخ (قوله نقصد أرضهم) أى أرض أهل مكة فالمقصود نصر النبي بزوال نعمة الكفار وملكه اياهم قال تعالى واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم الآية فالمراد بنقص اطراف الارض هلاك كبرائها وخذلانهم وما ذكره المفسر هو احد قولين والآخر ان المراد بالارض جميعها لا خصوص ارض الكفار وبنقص اطرافها موت العلماء والاشراف والكبراء والصلحاء وحينئذ فوجه مناسبة هذا لما قبله كأن الله يقول الم ينظروا الى التغييرات الحاصلة في الدنيا من الخراب بعد العمارة والموت بعد الحياة والذل بعد العز فاذا كان هذا مشاهدا لهم فما المانع من ان الله يصير الكفار اذلاء بعد عزهم ومقهورين بعد قدرتهم (قوله لا معقب لحكمه) اى لا مغير ولا ناقض له (قوله وهو سريع الحساب) اى فيحاسبهم في زمن يسير (قوله وقد مكر الذين من قبلهم) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله فلله المكر جميعا) اى لانه الخالق لهم العالم باحوالهم فهو يوصل اليهم العذاب من

جهة

فيمدلها جزاءه وهذا هو المكر كله لانه يأتيهم به من حيث لا يشعرون (وسيعلم الكافر) المراد به الجنس وفى قراءة الكفار (لمن عقبى الدار) اى العاقبة المحمودة فى الدار الآخرة ألهم أم النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه (ويقول الذين كفروا) لك (لست مرسلا قل) لهم (كفى بالله شهيدا بينى وبينكم) على صدقى (ومن عنده علم الكتاب) من مؤمنى اليهود والنصارى

﴿سورة ابراهيم مكية الا ألم تر الى الذين بدلوا الآيتين احدى اثنتان او اربع اوخمس وخمسون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر) الله اعلم بمراده بذلك هذا القرآن (كتاب انزلنا اليك) يا محمد (لتخرج الناس من الظلمات) الكفر (الى النور) الايمان (باذن) امر (ربهم) ويبدل من الى النور (الى صراط) طريق (العزيز) الغالب (الحميد) المحمود (الله) بالجر بدل او عطف بيان وما بعده صفة والرفع مبتدأ خبره (الذى له ما فى السموات وما فى الارض) ملكا وخلقا وعبيدا (وويل للكافرين من عذاب شديد الذين) نعت (يستحبون) يختارون (الحيوة الدنيا على الآخرة ويصدون) الناس (عن سبيل الله) دين الاسلام (ويبغونها) اى السبيل (عوجا) معوجة (اولئك فى ضلال بعيد) عن الحق (وما ارسلنا من رسول الا بلسان) بلغة (قومه ليبين لهم) ليفهمهم ما أتى به (فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وهو العزيز) فى ملكه (الحكيم فى صنعه (ولقد ارسلنا موسى بآياتنا) التسع وقلنا له (ان اخرج قومك) بنى اسرائيل (من الظلمات) الكفر (الى النور) الايمان (وذكرهم بايام الله

جهة لا يعلمون بها (قوله فيمدلها) اى يهيئ ويحضر (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية ايضا (قوله قل كفى بالله شهيدا) اى لانه الخالق للمعجزات على يدى (قوله ومن عنده علم الكتاب) معطوف على لفظ الجلالة والمعنى ان الله ومن عنده علم الكتاب فيهم الكفاية فى الشهادة بينى وبينكم وأل فى الكتاب للجنس فيشمل التوراة والانجيل والفرقان فقوله من مؤمنى اليهود والنصارى اى اومطلقا فهو نظير قوله تعالى يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين

﴿سورة ابراهيم عليه السلام﴾

سميت بذلك لذكر قصته فيها ان قلت ان قصة ابراهيم قد ذكرت فى غير هذه السورة كالانبياء والبقرة أجيب بان علة التسمية لا تقتضي اطراد التسمية بل التسمية امر توقيفى (قوله الآيتين) اى الى قوله تعالى قل تمتعوا فان مصيركم الى النار (قوله احدى الخ) اى ففى آياتها أربعة اقوال (قوله هذا القرآن) قدره اشارة الى ان قوله كتاب خبر لمحذوف (قوله انزلناه) اى لفظا ومعنى (قوله لتخرج الناس) هذا هو حكمة الانزال (قوله الكفر) عبر عنه بالظلمات جمعا لتعدد طرقه بخلاف الايمان فهو متحد لا تعدد فيه وحكمة التعبير عن الكفر بالظلمات أنه يوصل لدار الظلمات وهى النار وعن الايمان بالنور لانه يوصل الى دار النور وهى الجنة (قوله باذن ربهم) فسره بالامر اشارة الى ان المعنى لتامرهم بالخروج من الظلمات الى النور (قوله ويبدل من الى النور) اى باعادة الجار وهو بدل كل من كل (قوله طريق العزيز) اى وهو الاسلام وسمى بذلك لانه الموصل لدار السعادة (قوله بدل اوعطف بيان) اى من العزيز وهذا على القاعدة من ان نعت المعرفة اذا تقدم عليها يعرب بحسب العوامل وتعرب هى منه بدلا اوعطف بيان وحينئذ فالاصل الى صراط الله العزيز الحميد (قوله والرفع مبتدأ) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ملكا وخلقا وعبيدا) اى فلا شريك له فى شيء من ذلك (قوله وويل) قيل معناه دمار وهلاك للكافرين وقيل وادى فى جهنم لو وضعت فيه جبال الدنيا لذابت من حره وهو مبتدأ وسوغ الابتداء به قصد الدعاء (قوله نعت) اى للكافرين وفيه الفصل بين النعت والمنعوت باجنبي وهو قوله من عذاب شديد فالاوضح ان يكون مبتدأ خبره أولئك فى ضلال بعيد (قوله يستحبون الحياة الدنيا) اى يحبونها ويألفونها زيادة على الآخرة والمعنى يقدمون الحياة الدنيا على الآخرة (قوله ويصدون عن سبيل الله) اى يمنعون الناس عن الدين الحق (قوله ويبغونها عوجا) اى يطلبون العدول والانحراف عنها والمعنى انهم يضلون غيرهم ويضلون فى انفسهم (قوله فى ضلال بعيد) اى كفر يبعدهم عن الرحمة والخير (قوله وما ارسلنا من رسول) اى محمدا اوغيره ان قلت ان كان المراد بقومه الذين نشأ فيهم فظاهر وان كان المراد الذين ارسل لهم فرسول الله ارسل لكافة الخلق مع انه لم يظهر منه الا اللسان العربى وهو لسان بعض قومه اجيب بان الله علمه جميع اللغات فكان يخاطب كل قوم بلغتهم وان لم يثبت انه تكلم باللغة التركية لانه لم يتفق انه خاطب احدا من اهلها ولو خاطبه لكلمه بها (قوله فيضل الله من يشاء) استئناف مفصل لقوله ليبين لهم (قوله وهو العزيز) اى الغالب على امره وهو كالعلة لقوله فيضل الله من يشاء الخ (قوله الحكيم) اى الذى يضع الشيء فى محله (قوله ولقد ارسلنا موسى) تفصيل لما اجمل فى قوله وما ارسلنا من رسول الآية (قوله التسع) تقدم منها ثمانية فى الاعراف والتاسعة فى يونس (قوله وقلنا له) لا حاجة لتقديره بل المناسب ان يفسر ان باى التفسيرية لان

بنعمة (ان فى ذلك) التذكير (لآيات لكل صبار) على الطاعة (شكور) للنعم (و) اذكر (اذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله

عليكم اذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم) المولودين (ويستحيون) يستبقون (نساءكم) لقول بعض الكهنة ان مولودا يولد فى بنى اسرائيل يكون سبب ذهاب ملك فرعون (وفى ذلكم) الانجاء او العذاب (بلاء) انعام او ابتلاء (من ربكم عظيم واذ تاذن) أعلم (ربكم لئن شكرتم) نعمتى بالتوحيد والطاعة (لأزيدنكم ولئن كفرتم) جحدتم النعمة بالكفر والمعصية لأعذبنكم دل عليه (ان عذابى لشديد وقال موسى) لقومه (ان تكفروا أنتم ومن فى الارض جميعا فان الله لغنى) عن خلقه (حميد) محمود فى صنعه بهم (ألم يأتكم) استفهام تقرير (نبأ) خبر (الذين من قبلكم قوم نوح وعاد) قوم هود (وثمود) قوم صالح (والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله) لكثرتهم (جاءتهم رسلهم بالبينات) بالحجج الواضحة على صدقهم (فردوا) اى الامم (أيديهم فى أفواههم) اى اليها ليعضوا عليها من شدة الغيظ (وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به) على زعمكم (وانا لفى شك مما تدعوننا

اليه مريب) موقع فى الريبة (قالت رسلهم أفى الله شك) استفهام انكار اى لا شك فى توحيده للدلائل الظاهرة عليه (فاطر) خالق (السموات والارض يدعوكم) الى طاعته (ليغفر لكم من ذنوبكم) من زائدة فان الاسلام يغفر به ما قبله او تبعيضية لاخراج حقوق العباد فى

ضابطها موجود وهو تقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه وهو ارسلنا ويصح جعلها مصدرية اى باخراج قومك وهذه الباء للتعدية وفى بآياتنا للحال (قوله بنعمه) أى فالمراد بالايام النعم وعبر عنها بالايام لحصولها فيها (قوله لكل صبار) اى كثير الصبر وقوله شكور اى كثير الشكر وخصوا بالذكر لانهم المنتفعون بها (قوله واذكر) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى اذكر لقومك ما وقع لموسى وقومه لعلهم يعتبرون (قوله يسومونكم) اى يذيقونكم (قوله سوء العذاب) اى العذاب السيء وهو الشديد (قوله ويذبحون أبناءكم) عطفه بالواو هنا اشارة الى انه غير العذاب السيء المذكور وما فى البقرة فهو تفسير لسوء العذاب فصح التغاير بهذا الاعتبار وان كانت القصة واحدة (قوله ويستحيون نساءكم) أى للخدمة فكانوا يستخدمونهن ويمنعونهن عن ازواجهن (قوله لقول بعض الكهنة) جمع كاهن وهو المخبر عن المغيبات المستقبلة واما العراف فهو المخبر عن الامور الماضية (قوله وفى ذلكم بلاء من ربكم) اى فالله سبحانه وتعالى يختبر عباده بالخير والشر قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة لان النعمة والبلية اذا أصابت الشخص فهو معرض امالرضا الله ان شكر وصبر أو لغضبه ان جزع وكفر (قوله واذ تاذن ربكم) من جملة كلام موسى لقومه كانه قيل واذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تاذن ربكم (قوله بالتوحيد والطاعة) اى بان وحدتمونى ودمتم على طاعتى (قوله لأزيدنكم) اى من خيرى الدنيا والآخرة فيحصل لكم النعم والرضا فتظفرون بالسعادتين (قوله ولئن كفرتم) لم يصرح بالجواب فى جانب الوعيد وصرح به فى جانب الوعد اشارة الى كرمه سبحانه وتعالى وان رحمته سبقت غضبه ونظير ذلك قوله تعالى بيدك الخير ولم يقل وبيدك الشر (قوله لأعذبنكم) هذا هو جواب القسم وحذف جواب الشرط للقاعدة انه عند اجتماعهما يحذف جواب المتاخر (قوله وقال موسى) أى بعد أن أيس من ايمانهم (قوله فان الله لغنى) اى عن شكركم وايمانكم (قوله حميد) أى مستحق للحمد والمعنى ان كفركم بالله نعم وأهل الارض جميعا لا ينقص من ملكه شيأ وايمانكم لا يزيد فى ملكه شيأ بل على حد سواء وانما ذلك راجع الى انفسكم وهو غنى عنكم (قوله ألم يأتكم) من كلام موسى أيضا أو من كلام الله (قوله والذين من بعدهم) اما مبتدأ خبره قوله لا يعلمهم الا الله أو معطوف على قوله قوم نوح وقوله لا يعلمهم الا الله اعتراض (قوله جاءتهم رسلهم) مستانف واقع فى جواب سؤال مقدر تقديره ما قصتهم وما شانهم (قوله فردوا أيديهم فى أفواههم) اى لكراهتهم ذلك فان شان الانسان اذا كره شيأ واغتاظ منه ولم يقدر على دفعه يعض على يديه (قوله ليعضوا عليها) بفتح العين وضمها (قوله على زعمكم) اى والا فلم يعترفوا برسالة رسلهم (قوله وانا لفى شك الخ) اى والشك كفر فلا ينافى قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به (قوله فى الريبة) اى وهى عدم اطمئنان النفس الى الشيء (قوله قالت رسلهم) اى جوابا لقول الامم انا كفرنا بما ارسلتم به (قوله أفى الله شك) الهمزة للاستفهام والجار والمجرور متعلق بمحذوف تقديره ثبت وشك فاعل بالجار والمجرور لاعتماده على الاستفهام او الجار والمجرور خبر مقدم وشك مبتدأ مؤخر والاولى الاول لسلامته من الفصل بين الصفة وهو فاطر والموصوف وهو لفظ الجلالة باجنبى وهو المبتدأ (قوله للدلائل الظاهرة) اى العقلية والنقلية (قوله فاطر السموات والارض) هذا من جملة ادلة توحيده (قوله يدعوكم) الجملة حالية (قوله ليغفر لكم) اى لا ليتكمل بطاعتكم بل ثمرة امتثالكم وطاعتكم عائدة عليكم (قوله من زائدة) هذا مبنى على مذهب الاخفش من انها تزاد فى الاثبات وهى طريقة ضعيفة فلا يناسب تخريج القرآن عليها وقوله او تبعيضية فيه انه ظاهر

(و يؤخركم) بلا عذاب (الى اجل مسمى) اجل الموت (قالوا ان) ما (انتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا) من الاصنام (فأتونا بسلطان مبين) حجة ظاهرة على صدقكم (قالت لهم رسلهم ان) ما (نحن الا بشر (٢٣٧) مثلكم) كما قلتم (ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) بالنبوة (وما كان) ما ينبغى (لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله) بامره لانا عبيد مربوبون (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) يثقوا به (وما لنا ان لا نتوكل على الله) اى لا مانع لنا من ذلك (وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا) على اذاكم (وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا أو لتعودن) لتصيرن (فى ملتنا) ديننا (فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين) الكافرين (ولنسكننكم الارض) ارضهم (من بعدهم) بعد هلاكهم (ذلك) النصر وايراث الارض (لمن خاف مقامى) اى مقامه بين يدى (وخاف وعيد) بالعذاب (واستفتحوا) استنصر الرسل بالله على قومهم (وخاب) خسر (كل جبار) متكبر عن طاعة الله (عنيد) معاند للحق (من ورائه) اى امامه (جهنم) يدخلها (ويسقى فيها (من ماء صديد) هو ما يسيل من جوف أهل النار مختلطا بالقيح والدم (يتجرعه) يبتلعه مرة بعد مرة لمرارته (ولا يكاد يسيغه) يزدرده لقبحه وكراهته (ويأتيه الموت) اى اسبابه المقتضية له من انواع العذاب (من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه) بعد ذلك العذاب (عذاب غليظ) قوى

فى المسلم الاصلى وأما الكافر اذا اسلم فلا يظهر لان الاسلام يجب ما قبله ولو حقوق العباد وحينئذ فالجواب الاتم ان تجعل من بمعنى بدل اى يغفر لكم بدل عقوبة ذنوبكم او ضمن يغفر معنى يخلص ومن على بابها للتعدية والتقدير ليخلصكم من ذنوبكم ولعل هذا الجواب هو الاقرب (قوله و يؤخركم) معطوف على يغفر والمعنى يدعوكم الى طاعته لامرين غفران ذنوبكم وتاخير العذاب الى اجل مسمى بان تعيشوا فى الدنيا سالمين من الخزى كالخسف والمسخ فاذا متم على الايمان دخلتم الجنة ففزتم بالسعادتين (قوله قالوا) اى الامم جوابا لمقالة الرسل (قوله الا بشر مثلنا) اى فلا مزية لكم علينا فلم اختصصتم بالنبوة دوننا (قوله ان تصدونا) ان مصدرية وتصدوا منصوب بان وعلامة نصبه حذف النون والواو فاعل ونا مفعوله (قوله من الاصنام) بيان لما (قوله حجة ظاهرة) اى غير ما جئتم به (قوله قالت لهم رسلهم) اى جوابا لمقالتهم (قوله ولكن الله يمن على من يشاء) اى فاننا وان كنا بشرا مثلكم الا ان الله فضلنا عليكم بالنبوة وأعطانا المعجزات على مراده فان آمنتم فهو خير لكم وان كفرتم فهو شر لكم فلا قدرة لنا على اتيان ما تطلبونه لانا عبيد مقهورون (قوله بامره) المناسب ان يقول بارادته (قوله فليتوكل المؤمنون) اى يفوضوا امورهم اليه و يصبروا على ما اصابهم (قوله وما لنا) اى أى شئ ثبت لنا (قوله اى لا مانع لنا من ذلك) أشار بذلك الى ان الاستفهام انكارى بمعنى النفى (قوله وقد هدانا سبلنا) اى ارشدنا الى طرقنا الموصلة للسعادة العظمى (قوله ولنصبرن على ما آذيتمونا) اى فلا نبالى بكم ولا باذايتكم (قوله على أذاكم) اشار بذلك الى ان ما مصدرية (قوله فليتوكل المتوكلون) أى يدوموا على التوكل (قوله وقال الذين كفروا) اى المتعنتون المتمردون (قوله لنخرجنكم من ارضنا) اى فلا تخالطونا بل ارحونا من هذا التعب (قوله لتصيرن) دفع بذلك ما يقال ان العود يقتضى انه سبق لهم التلبس بملتهم مع ان الرسل معصومون من ذلك فاجاب المفسر بان المراد بالعود الصيرورة اى لتصيرن داخلين فى ملتنا (قوله فاوحى اليهم) اى الى الرسل بعد هذه المقالات لليأس من ايمانهم (قوله لنهلكن الظالمين) اى نستاصلهم بالهلاك فلا يبقى منهم احد (قوله ذلك) مبتدأ خبره قوله لمن خاف الخ (قوله اى مقامه بين يدى) اى موقفه عندى يوم القيامة (قوله وخاف وعيد بالعذاب) فى هذه الآية اشارة الى ان الخوف من الله غير الخوف من وعيده لان العطف يقتضى المغايرة (قوله واستفتحوا) اى طلب الرسل الفتح من الله لما يئسوا من ايمان قومهم (قوله استنصر الرسل) اى طلبوا من الله النصر (قوله وخاب) معطوف على مقدر والتقدير فنصروا وخاب الخ (قوله خسر) اى فى الدنيا والآخرة (قوله متكبر عن طاعة الله) اى متعظم فى نفسه محتقر لما سواه (قوله اى امامه) اى فالوراء يستعمل فى الامام والخلف فهو من الاضداد وقيل هو اسم لما توارى عنك سواء كان من خلفك او من امامك (قوله صديد) بدل او عطف بيان (قوله هو ما يسيل الخ) وقيل هو ما يسيل من فروج الزناة يسقاه الكافر (قوله يتجرعه) اى يتكلف تجرعه و يقهر عليه (قوله ولا يكاد يسيغه) اى لا يقرب من اساغته قال عليه الصلاة والسلام فى قوله تعالى و يسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب الى فيه فيكرهه فاذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه أى جلدتها بشعرها فاذا شرب قطع امعاءه حتى يخرج من دبره كما قال وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم وقال وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا (قوله وما هو بميت) اى فيستريح قال ابن جريج تعلق نفسه عند حنجرته فلا تخرج من فيه فيموت ولا ترجع الى مكانها من جوفه فتنفعه الحياة (قوله بعد ذلك العذاب) اشار بذلك الى ان الضمير فى ورائه عائد على العذاب وقيل عائد على كل

اشتدت به الريح فى يوم عاصف) شديد هبوب الريح فجعلته هباء منثورا لا يقدر عليه والجرور خبر المبتدا (لا يقدرون) اى الكفار (مما كسبوا) عملوا فى الدنيا (على شىء) اى لا يجدون له ثوابا لعدم شرطه (ذلك هو الضلال) الهلاك (البعيد الم تر) تنظر يا مخاطب استفهام تقرير (ان الله خلق السموات والارض بالحق) متعلق بخلق (ان يشا يذهبكم) ايها الناس (ويات بخلق جديد) بدلكم (وماذلك على الله بعزيز) شديد (وبرزوا) خرجوا اى الخلائق والتعبير فيه وفيما بعده بالماضى لتحقق وقوعه (لله جميعا فقال الضعفاء) الاتباع (للذين استكبروا) المتبوعين (انا كنا لكم تبعا) جمع تابع (فهل انتم مغنون) دافعون (عنا من عذاب الله من شىء) من الاولى للتبيين والثانية للتبعيض (قالوا) اى المتبوعون (لو هدانا الله لهديناكم) لدعوناكم الى الهدى (سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من) زائدة (محيص) ملجا (وقال الشيطان) ابليس (لما قضى الامر) وادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار واجتمعوا عليه (ان الله وعدكم وعد الحق) بالبعث

جبار والمعنى ويستقبل فى كل وقت عذابا اشد مما هو فيه كالحيات والعقارب والزمهرير وغير ذلك اجارنا الله من ذلك (قوله متصل) اى لا ينقطع بل هو دائم مستمر (قوله ويبدل منه) اى من الموصول والاصل مثل اعمال الذين كفروا (قوله فى عدم الانتفاع بها) اى فهى وان كانت اعمال برالا انها لا تنفع صاحبها يوم القيامة بسبب كفره لان كفره احبطها وابطلها وانما جزاؤها ان كانت لا تتوقف على الاسلام يكون فى الدنيا بتوسيع الرزق والعافية فى البدن (قوله اشتدت به الريح) اى حملته وذهبت به (قوله لعدم شرطه) اى وهو الايمان (قوله البعيد) اى الذى لا يرجى زواله (قوله الم تر) الخطاب لكل من يتاتى منه التامل والنظر فليس خاصا بالنبى صلى الله عليه وسلم (قوله تنظر) اى تبصر وتتامل ببصيرتك فتستدل على ان الخالق متصف بالكمالات (قوله استفهام تقرير) اى والمعنى اقر يا مخاطب بذلك واعترف ولا تعاند فان القادر على خلق السموات لا يعجزه شىء فهو حقيق بالعبادة دون غيره (قوله بالحق) الباء اما للسببية او الملابسة والمعنى خلق السموات والارض بسبب الحق او ملتبسا بالحق اى الحكمة الباهرة لا عبثا (قوله متعلق بخلق) اى او بمحذوف حال من فاعل خلق (قوله ان يشا يذهبكم) اى يعدمكم فان القادر لا يصعب عليه شىء قال تعالى انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين (قوله وماذلك) أى الاذهاب والاتيان بشديد على الله قال تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة (قوله وبرزوا) هذا اخبار من الله تعالى عن محاجة الكفار مع بعضهم ومع ابليس يوم القيامة والبروز الظهور والمعنى يظهرون بين الخلائق فلا يغيب لهم شىء من اوصافهم ابدا (قوله خرجوا) اى من القبور للحساب والجزاء (قوله والتعبير الخ) جواب عما يقال ان هذه الاشياء لم تحصل فاجاب بان ذلك لتحقق الوقوع اى لان الله سبحانه وتعالى عالم بما كان وما يكون وما هو كائن فالماضى والمستقبل فى علمه على حد سواء (قوله قال الضعفاء) اى فى الراى (قوله انا كنا لكم تبعا) اى فى تكذيب الرسل والدخول فى دينكم (قوله من الاولى للتبيين الخ) اى والكلام فيه تقديم وتاخير والتقدير فهل انتم مغنون عنا بعض الشىء الذى هو عذاب الله (قوله قالوا) أى جوابا لهم واعتذارا عما فعلوا بهم (قوله لو هدانا الله) اى لو وصلنا الله لدار السعادة فى الدنيا بالايمان لهديناكم لكن حصل لنا الضلال فاضللناكم فاخترنا لكم ما لا نفسنا (قوله سواء علينا اجزعنا ام صبرنا) هذا من كلام جميع الكفار الاتباع والرؤساء ويؤيده ماروى انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك فلا ينفعهم ثم يقولون سواء علينا الخ والجزع القلق وعدم تحمل الشدائد (قوله ملجا) اى محل هروب نلتجىء له (قوله وقال الشيطان الخ) اى حين يوضع له منبر من نار فى النار فيجتمع عليه اهل النار يلومونه فيقول لهم ان الله وعدكم الخ (قوله لما قضى الامر) اى نفذ قضاؤه باستقرار اهل الجنة فى الجنة واهل النار فى النار (قوله وعد الحق) اى الوعد الثابت الناجز وليس المراد الوعد بالخير بل المراد به الجزاء والبعث (قوله فصدقكم) اشار بذلك الى ان فى الكلام حذفا بدليل قوله فاخلفتكم (قوله انه غير كائن) قدره اشارة الى ان معمول وعد الثانى محذوف (قوله فاخلفتكم) اى تبين خلافه (قوله لكن) اشار بذلك الى ان الاستثناء منقطع لان دعوته ليست من جنس السلطان (قوله فلا تلومونى) اى على وسوستى لكم (قوله ولوموا انفسكم) اى ونحوها على اتباعى فانى لم اكن مكرها لكم على اتباعى بل جاءتكم البينات والرسل وسمعتم الدلائل الظاهرة على توحيد الله فتركتموها واتبعتمونى (قوله على اجابتى) اى ومخالفة ربكم (قوله بمغيثكم) اى من العذاب

والجزاء فصدقكم (ووعدتكم) انه غير كائن (فاخلفتكم وما كان لى عليكم من) زائدة (سلطان) قوة وقدرة اقهركم على متابعتى (الا) قوله لكن (ان دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا انفسكم) على اجابتى (ما انا بمصرخكم) بمغيثكم (وما انتم بمصرخى)

بفتح الياء وكسرها (انى كفرت بما أشركتمون) باشراككم اياى مع الله (من قبل) فى (٢٣٩) الدنيا قال تعالى (ان الظالمين) الكافرين

(لهم عذاب أليم) مؤلم (وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين) حال مقدرة (فيها باذن ربهم تحيتهم فيها) من الله ومن الملائكة وفيما بينهم (سلام ألم تر) تنظر (كيف ضرب الله مثلا) و يبدل منه (كلمة طيبة) اى لا اله الا الله (كشجرة طيبة) هى النخلة (اصلها ثابت) فى الارض (وفرعها) غصنها (فى السماء تؤتى) تعطى (اكلها) ثمرها (كل حين باذن ربها) بارادته كذلك كلمة الايمان ثابتة فى قلب المؤمن وعمله يصعد الى السماء و يناله بركته وثوابه كل وقت (ويضرب) يبين (الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) يتعظون فيؤمنون (ومثل كلمة خبيثة) هى كلمة الكفر (كشجرة خبيثة) هى الحنظل (اجتثت) استؤصلت (من فوق الارض مالها من قرار) مستقر وثبات كذلك كلمة الكفر لا ثبات لها ولا فرع ولا بركة (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) هى كلمة التوحيد (فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) اى فى القبر لما يسالهم الملكان عن ربهم ودينهم ونبيهم فيجيبون بالصواب كما فى حديث الشيخين (ويضل الله الظالمين) الكفار فلا يهتدون للجواب بالصواب

(قوله بفتح الياء وكسرها) اى فهما قراءتان سبعيتان والاصل بمصرخيين لى حذفت اللام للتخفيف والنون للاضافة فاجتمع مثلان أدغم أحدهما فى الآخر فحركت ياء الاضافة بالفتح طلبا للخفة على احدى القراءتين وكسرت على أصل التخلص من التقاء الساكنين على الاخرى (قوله انى كفرت بما أشركتمون) اى تبرأت وأنكرت إشراككم اياى مع الله حيث اطعتمونى فى وسوستى لكم بالشرك فكانكم أشركتموه مع الله (قوله قال تعالى) أشار بذلك الى انه ليس من كلام ابليس وقيل من كلامه (قوله وادخل الذين آمنوا) لما ذكر أحوال الاشقياء شرع فى ذكر أحوال السعداء (قوله حال مقدرة) اى مقدرين الخلود فيها وتقدير الخلود عند الدخول من تمام النعيم (قوله باذن ربهم) متعلق بادخل (قوله من الله) قال تعالى سلام قولا من رب رحيم (قوله ومن الملائكة) قال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم (قوله ألم تر) الخطاب اما للنبي او لكل من يتاتى منه الخطاب (قوله مثلا) المثل تشبيه مجهول بمعلوم ليقاس عليه (قوله اى لا اله الا الله) خصها بالذكر لانها مفتاح الجنة ولم يقبل من احد الايمان الا بها وقيل كل كلمة حسنة كالتسبيح والتحميد والاستغفار وغير ذلك (قوله اصلها ثابت) اى عروقها ثابتة فى الارض ماكثة فيها حتى انها لا تحتاج لسقى بل تشرب من عروقها (قوله وفرعها فى السماء) اى لجهة العلو (قوله كل حين) اختلف فى مقداره فقيل الحين كل سنة لان النخلة تثمر فى كل سنة مرة وقيل ستة أشهر لانه من وقت طلعها الى طيبها كذلك وقيل ثمانية أشهر لان حملها ظاهرا او باطنا كذلك وقيل أربعة أشهر لانه من حين ظهورها الى ادراكها كذلك وقيل شهران لانه من وقت أكلها الى قطع ثمرها كذلك وقيل كل وقت لان ثمر النخل يؤكل دائما فيؤكل منها الطالع والبلح والبسر والرطب والتمر وهو الاولى (قوله وعمله يصعد الى السماء) قال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ووجه الشبه بين الايمان والشجرة ان الشجرة لها عرق راسخ وفرع عال وثمر يؤكل والايمان تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالابدان فاذا أكثر الانسان من ذكر هذه الكلمة ظهرت عليه انوارها ولمعت فى فؤاده اسرارها فدام نفعه بها فى العاجل والآجل ومن هنا اختص الصوفية بها بمعنى انهم تلقوها عن اشياخهم بالسند المتصل وتعلقوا بها فصارت شعارهم ودثارهم ولذا قال السنوسى فعلى العاقل ان يكثر من ذكرها مستحضرا لما احتوت عليه من المعانى حتى تمتزج مع معناها بلحمه ودمه فانه يرى لها من الاسرار والعجائب ما لا يدخل تحت حصر (قوله هى كلمة الكفر) اى كل ما يدل عليه (قوله هى الحنظل) حكمة التشبيه بها انها لا تغوص فى الارض بل عروقها فى وجه الارض ولا غصون لها تصعد الى جهة السماء بل ورقها يمتد على الارض كشجر البطيخ وثمرها ردئ وتسميتها شجرا مشاكلة لانها من النجم لا من الشجر لان الشجر ماله ساق والنجم ما لا ساق له (قوله اجتثت) اى قلعت جثتها والمعنى على التشبيه اى كانها لعدم ثبات اصلها وامتداده فى الارض كالشئ المقلوع جثته (قوله يثبت الله الذين آمنوا) هذا راجع للمثل الاول (قوله فى الحياة الدنيا) اى فلا يتزلزلون عن الدين اذا ابتلوا بالمصائب كالقتل وأخذ المال وفقد الاحباب والمعانات عند الممات وغير ذلك وهذه بشرى للمؤمنين بان ايمانهم ثابت فى قلوبهم لا يتزلزل ابدا بل يثبتهم الله دنيا واخرى (قوله اى فى القبر) خصه بالذكر لانه بعد سؤاله لا يفتنون فى التوحيد وانما يكون حسابهم فى الموقف على فروع الدين (قوله لما يسالهم الملكان) اى حين يحيى الله الميت حتى يسمع قرع نعال من كان ماشيا فى جنازته فيقعدانه و يقولان له ما ربك وما دينك وما نبيك فاما المؤمن فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبيى محمد صلى الله عليه وسلم فيقولان له نم نومة العروس قد علمنا ان كنت لموقنا واما الكافر والمنافق فيقول لا ادرى كنت أسمع الناس يقولون شيا فقلت مثل ما يقولون فيضربانه بمطراق من نار فيصيح صيحة يسمعه من فى الارض غير الثقلين و يقولان

بل يقولون لا ندرى كما فى الحديث (و يفعل الله مايشاء الم تر) تنظر (الى الذين بدلوا نعمت الله) أى شكرها (كفرا) هم كفار قريش (واحلوا) انزلوا (قومهم) باضلالهم اياهم (دار البوار) الهلاك (جهنم) عطف بيان (يصلونها) يدخلونها (و بئس القرار) المقرهى (وجعلوا لله اندادا) شركاء (ليضلوا) بفتح الياء وضمها (عن سبيله) دين الاسلام (قل) لهم (تمتعوا) بدنياكم قليلا (فان مصيركم) مرجعكم (الى النار قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة و ينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن ياتى يوم لا بيع) فداء (فيه ولا خلال) مخالة اى صداقة تنفع هو يوم القيامة (الله الذى خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك) السفن (لتجرى فى البحر) بالركوب والحمل (بامره) باذنه (وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين)

له لا دريت ولا تليت (قوله و يفعل الله مايشاء) اى يحكم لا معقب لحكمه وهو جواب عن سؤال مقدر تقديره لم هدى هؤلاء واضل هؤلاء فاجاب بانه يفعل مايشاء فلا يسئل عما يفعل (قوله الم تر) استفهام تعجيب وهو خطاب لرسول الله ولكل عاقل (قوله اى شكرها) اشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف (قوله هم كفار قريش) اى فنعم الله التى بدلوا شكرها كفرا كون نسبهم اشرف الانساب و بلدهم اشرف البلاد وكون الخلق تسعى اليهم ولا يسعون فبدلوا ذلك حيث كذبوا خير الخلق وعبدوا الاصنام (قوله قومهم) اى اتباعهم (قوله دار البوار) يقال بار يبور بوارا بالضم هلك و بار الشيء بوارا كسد فاطلق اللازم واريد الملزوم لانه يلزم من الكساد الهلاك (قوله يصلونها) حال من القوم (قوله وجعلوا) عطف على بدلوا (قوله اندادا) جمع ند بمعنى النظير (قوله ليضلوا) اللام للعاقبة والصيرورة لان اتخاذهم الانداد ليس لاجل الضلال بل لكونهم يقربونهم الى الله زلفى (قوله بفتح الياء وضمها) اى فيهما قراءتان سبعيتان والمعنى ليضلوا فى انفسهم وهذا على الفتح او ليضلوا غيرهم وهذا على الضم (قوله بدنياكم) اى او بعبادتكم الاصنام لانها من جملة الشهوات التى يتمتع بها والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فان هذا تهديد لكل ظالم (قوله فان مصيركم الى النار) اى مآلكم اليها (قوله قل لعبادى) بثبوت الياء مفتوحة و بحذفها لفظا لا خطا قراءتان سبعيتان هنا وفى اربعة مواضع من القرآن فى سورة الانبياء فى قوله ان الارض يرثها عبادى الصالحون وفى العنكبوت فى قوله ياعبادى الذين آمنوا ان ارضى واسعة وقوله فى سبأ وقليل من عبادى الشكور وقوله فى سورة الزمر قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم والاضافة فى عبادى للتشريف ولذا قال العارف

ومما زادنى شرفا وتيها * وكدت باخمصي أطأ الثريا

دخولى تحت قولك ياعبادى * وان صيرت احمد لى نبيا

(قوله الذين آمنوا) اى اتصفوا بالايمان وفى ذلك اشارة الى ان الصلاة والزكاة وغيرهما من وجوه البر لا تكون الا لمن اتصف بالايمان فلا تنفع الكافر فى حال كفره فلا ينافى انه مخاطب بفروع الشريعة لكن لا تصح منه الا بالاسلام وفائدة خطابه بها انه يعذب عليها زيادة على عذاب الكفر بدليل قوله تعالى ماسلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين الآية (قوله و ينفقوا مما رزقناهم) اى النفقة الواجبة كالزكاة والمندوبة كالتطوعات وقوله سرا وعلانية اى فالانسان مخير فى الانفاق اماسرا أوجهرا لكن الافضل فى الواجبة الجهر لئلا يتهم بقلة الدين وفى التطوعات السر لكونه اقرب الى الاخلاص (قوله فداء) مشى المفسر على ان المراد بالبيع الفداء ومشى غيره على ابقاء البيع على ظاهره اى لاشيء يباع فيه للفداء (قوله مخالة) اشار المفسر الى ان قوله خلال مصدر بمعنى المخالة وقال غيره ان خلال جمع خلة كقلال جمع قلة (قوله اى صداقة تنفع) هذا محمول على الكفار بدليل آية الزخرف الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين فالمتقون لهم الاخلاء يوم القيامة وفى القبور وفى كل موطن مخوف والكفار قد تقطعت بهم الاسباب فليس لهم اخلاء نافعون اصلا (قوله الله الذى خلق) شروع فى ذكر دلائل وحدانيته تعالى واتصافه بالكمالات وهذه الآية مشتملة على عشرة أدلة (قوله من السماء ماء) اى فنشاء المطر من السماء كما ذكره اهل السنة (قوله من الثمرات) المراد بها مايشمل المطعوم والملبوس (قوله رزقا لكم) حال من الثمرات (قوله السفن) اى الكبار والصغار وقوله بالركوب اى على ظهرها وقوله والحمل اى حمل الاثقال من محل الى آخر (قوله وسخر لكم الانهار) جمع نهر اى ذللها لكم فى جميع الارض على ماتشتهى انفسكم (قوله دائبين) الدأب العادة المستمرة دائما على حالة واحدة والمعنى ان الله سخر الشمس والقمر

يجريان من يوم خلقهما الله لا يختلفان ولا يفتران عن سيرهما الى آخر الدهر فالشمس نعمة النهار والقمر نعمـة الليل وهما نافع للعالم بهما يهتدون و يعرفون السنين والحساب وتطيب ثمارهم وزروعاتهم فهما سبب عادى لنفع العالم يوجد النفع عندهما لا بهما (قوله لا يفتران) أى لا يضعفان ولا ينكسران (قوله فى فلكهما) اى محلهما ومقرهما وهو السماء الرابعة للشمس وسماء الدنيا للقمر (قوله لتسكنوا فيه) اى تطمئنوا فيه من تعب النهار (قوله لتبتغوا من فضله) أى تسعوا فى معايشكم ومعادكم قال تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله (قوله وآتاكم من كل ماسألتموه) عطف عام على خاص ومن قيـل صـلة على مذهب الاخفش من زيادتها فى الاثبات أى آتاكم كل ماسألتموه وقيل تبعيضية أى آتاكم بعض كل ماسألتموه أى احتجتم اليه ولو لم يحصل سؤال بالفعل فالمراد شأنكم تسألون عنه لاحتياجكم اليه فان الله اعطانا النعم من غير سؤال منا والمعنى اعطى الله كل فرد فرد بعض كل ما يحتاج اليه العالم فاصول النعم اشترك فيها جميع العالم عقلاء وغيرهم مسلمين وكفارا وما يحتمل انها موصولة وهو الاتم والتقدير بعض كل الذى سألتموه أو مصدرية والتقـدير بعض كل مسؤلكم (قوله على حسب مصالحكم) جواب عما يقال ان الانسان لم يعط بعض كل ماسأل فانه قد يسأل السلطنة مثلا ولا يعطاها فاجاب بان هذه العطية ليست على حسب ما يصلح للعبد بل على حسب مراد الله تعالى فعطاياه سبحانه وتعالى على حسب مراده فى خلقه فمنهم من جعل رزقه واسعا ومنهم من جعل رزقه ضيقا وهكذا (قوله وان تعدوا نعمت الله) اى أفرادها فانها غير متناهية (قوله بمعنى انعامه) اشار بذلك الى ان المراد بالنعمة الانعام وهو صفة فعل ودفع بذلك ما يقال كيف يقول الله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها مع ان كل نعمة دخلت الوجود متناهية ويمكن عدها فاجاب بان المراد بالنعمة الانعام بمعنى تجددها شيأ فشيأ (قوله الكافر) المراد به ابو جهل لانها نزلت فيه والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله واذ قال ابراهيم) اذ ظرف معمول لمحـذوف قدره المفسر بقوله اذكر وهو خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم اى اذكر لهم قصة ابراهيم ودعواته لما كان بانى البيت الحرام ولبنيه لعلهم يعتبرون فينزجروا عما هم عليه فان لم يعتبروا فقد تعرضوا لما يحل بهم (قوله هذا البلد) قال الاشياخ حكمة تعريـف البلد هنا وتنكيرها فى البقرة ان ابراهيم تكرر منه الدعاء فما فى البقرة كان قبل بنائها فطلب من الله ان تجعل بلدا وان تكون آمنا وما هنا بعد بنائها فطلب من الله ان تكون آمنا (قوله لا يسفك فيه دم انسان) اى لا يتمكن منه جبار بقصد اهانة البيت واهله وما وقع من الحجاج فى مقاتلته لابن الزبير وهدمه للبيت انما كان بقصد التعظيم للبيت بسبب دعواه ان ابن الزبير كان مخطئا فى بنائه البيت على قواعـد ابراهيم وقوله لا يسفك فيه دم انسان اى ولو قصاصا وهو مذهب ابى حنيفة وانما يضيق عليه ليخرج فاذا خرج اقتص منه (قوله ولا يظلم فيه احد) اى ومن تجرأ وظلم فيه فقد تعرض لعذاب الله قال تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم (قوله ولا يصاد صيده) اى يحرم صيد البر فى الحرم على كل شخص محرما او غيره (قوله ولا يختلى خلاه) اى لا يقطع حشيشه النابت بنفسه واستثنى العلماء من ذلك الاذخر والسنا والسواك والعصا وقطع الشجر للبناء ومحله لانه ينبغى توسعته ان قلت ان قوله آمنا يعارضه ماروى ان ذا السويقتين يخرب البيت ويخيف اهله فى آخر الزمان اجيب بان معنى الامن العطايا بينة ظاهرا او باطنا من سطوات الخالق بالمخلوق للحيوان العاقل وغيره غالبا فلا ينافى حدوث النوادر من بعض الجبابرة واجيب ايضا بان المراد الامن من الخراب الى قرب الساعة فان ذا السويقتين يخرب الكعبة قرب الساعة بعد موت عيسى عليه السلام (فائدة)

جاريين فى فلكهما لا يفتران (وسخر لكم الليل) لتسكنوا فيه (والنهار) لتبتغوا فيه من فضله (وآتاكم من كل ماسألتموه) على حسب مصالحكم (وان تعدوا نعمت الله) بمعنى انعامه (لا تحصوها) لا تطيقوا عـدها (ان الانسان) الكافر (لظلوم كفار) كثير الظلم لنفسه بالمعصية والكفر لنعمة ربه (و) اذكر (اذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد) مكة (آمنا) ذا امن وقد اجاب الله دعاءه فجعله حرما لا يسفك فيه دم انسان ولا يظلم فيه احد ولا يصاد صيده ولا يختلى خـلاه

قول ابراهيم رب اجعل هذا البلد الخ يقتضي ان دأبه الدعاء وماورد من قوله حين القى فى النار حسبي من سؤالى علمه بحالى يقتضي انه لم يكن دأبه الدعاء فما السر فى ذلك اجيب بانه كان فى زمن القائه فى النار فى مقام الفناء والسكر وهو الغيبة عن شهود الخلق بشهود الحق فلا يشهد اثرا وفى زمن دعائه فى مقام البقاء وجمع الجمع وهو البقاء بالله بمعنى شهود الآثار بعد شهود مؤثرها فمقامه فى حال دعائه اعلى وأجل من مقامه فى حال تركه له ولا يقاس بمقامات الانبياء مقام بل بدايتهم أعلى واجل من نهاية غيرهم فالاولياء وان عظموا الا يصلون لادنى رتب الانبياء واما قول ابى الحسن الشاذلى واقرب منى بقدر تك قربا تمحق به عنى كل حجاب محقته عن ابراهيم خليلك الخ فمعناه قربا يليق بى لا كقرب الخليل فقد طلب من الله ان يذيقه قطرة من بحار تجلياته التى تجلى بها على الخليل حتى اسكره فلم يشهد شيا سواه (قوله واجنبني وبنىّ) المراد أولاده وأولاد أولاده كاسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط ان قلت ان الانبياء معصومون من الشرك ففى دعائه تحصيل الحاصل والجواب الاتم ان دعاءه تشريع وتعليم وتذلل وتواضع مع كونه يعلم عصمة نفسه ويقال مثل هذا فى دعوات باقى الانبياء بالنجاة مما هم معصومون منه كعذاب النار وغضب الجبار ونحو ذلك (قوله رب انهن) كرر النداء تاكيدا (قوله بعبادتهم لها) اشار بذلك الى ان نسبة الاضلال للاصنام مجاز لانها سبب فى الضلال بسبب عبادتها (قوله فانه منى) اى منسوب لى وملحق بى (قوله هذا قبل علمه الخ) جواب عما يقال ان الله لا يغفر الشرك فكيف يقول فانك غفور رحيم واجيب ايضا بان قوله ومن عصانى اى بغير الكفر وبان طلب الغفران لذريته الكفار ان ماتوا على الاسلام (قوله وهو اسمعيل مع امه هاجر) وسبب ذلك الاسكان ان هاجر كانت جارية لسارة فوهبتها لابراهيم فولدت منه اسمعيل فغارت سارة منها لانها لم تكن قد ولدت قط فانشدته بالله ان يخرجهما من عندها فامره الله تعالى بالوحى ان ينقلها الى ارض مكة واتى له بالبراق فركب عليه هو وهاجر والطفل فاتى من الشام ووضعهما فى مكة عند البيت مكان زمزم وليس بمكة احد ولا بناء ولا ماء ثم قام ابراهيم منطلقا فتبعته هاجر وقالت اين تذهب وتتركنى بهذا الوادى الذى ليس به انيس ولا شئ فلم يلتفت فقالت آلله أمرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنى ثم رجعت فانطلق ابراهيم ثم رفع يديه الى السماء وقال ربنا انى اسكنت الخ (قوله بواد) اى فى واد والوادى هو المنخفض بين الجبلين (قوله غير ذى زرع) اى لا يصلح للزرع به لكونه ارضا حجرية لا تنبت شيا (قوله الذى كان قبل الطوفان) اشار بذلك الى ان تسميته بيتا محرما فيه مجاز باعتبار ما كان ويصح ان يكون مجازا باعتبار ما يؤل اليه الامر لان الله اوحى اليه وأعلمه ان هنالك بيتا حراما وانه سيعمره (قوله ربنا) كرر النداء لان الدعاء ينبغى فيه الاطناب وكثرة الابتهال (قوله ليقيموا الصلاة) اللام لام كى متعلقة باسكنت والمعنى اسكنتهم بهذا الوادى الخالى من كل مرتفق ليشتغلوا باشرف العبادات فى اشرف الاماكن والمراد من الدعاء باقامة الصلاة توفيقهم لادائها على الوجه الاكمل (قوله تهوى) القراء السبعة على كسر الواو اى تسرع وتطير شوقا اليهم وقرئ شذوذا بفتح الواو وخرجت على زيادة الى اى تهواهم وخص الافئدة بالذكر لان القلوب سلاطين الاعضاء فاذا حنت اليهم القلوب سعت لهم الاجسام قهرا (قوله تميل وتحن) اشار بذلك الى انه ضمن تهوى معنى تميل فعداه بالى والا فهو يتعدى باللام وفى هذا دعاء للمؤمنين بان يرزقهم الله حج البيت ودعاء لسكان مكة من ذريته بميل الناس اليهم ليرتفقوا وينتفعوا بهم فقد جمع فى هذا الدعاء بين امر الدين والدنيا للناس ولذريته (قوله لو قال افئدة الناس الخ) اى ولكنه لم يقل ذلك فلم يحصل لسابقة علم الله تعالى انه لا يحن اليهم

(وأجنبنى) بعدنى (وبنىّ) عن (أن تعبد الاصنام رب انهن) اى الاصنام (اضللن كثيرا من الناس) بعبادتهم لها (فمن تبعنى) على التوحيد (فانه منى) من اهل دينى (ومن عصانى فانك غفور رحيم) هذا قبل علمه انه تعالى لا يغفر الشرك (ربنا انى اسكنت من ذريتى) اى بعضها وهو اسمعيل مع امه هاجر (بواد غير ذى زرع) هو مكة (عند بيتك المحرم) الذى كان قبل الطوفان (ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة) قلوبا (من الناس تهوى) تميل وتحن (اليهم) قال ابن عباس لو قال افئدة الناس لحنت اليه فارس والروم والناس كلهم (وارزقهم من الثمرات

جميع الناس لوجود الكفار منهم فابراهيم دعا بما سيحصل فى الخارج المطابق لما علمه الله (قوله لعلهم يشكرون) أى يصرفون النعم فى مصارفها (قوله وقد فعل بنقل الطائف اليه) اى وهو قطعة من ارض الشام من مكان يقال له حوران بدلت بقطعة من الحجاز فصارت العيون والاشجار بالطائف والحجارة والحصا والقفر بارض حوران يشاهد ذلك كل من رآه وهو اجابة قوله وارزقهم من الثمرات واما قوله فاجعل أفئدة من الناس الخ فقد حصل مبدأ اجابته بجرهم وذلك ان ابراهيم لما وضع اسمعيل وأمه تركهما ومعهما جراب من تمر وسقاء من ماء فلما نفد الماء عطشت هى وولدها فصعدت على الصفا لتنظر هل ترى احدا فلم ترا احدا فهبطت ثم اتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى احدا فلم ترا احدا ففعلت ذلك سبع مرات ولذلك شرع السعى بينهما سبعا فعند ذلك جاء جبريل وضرب زمزم بجناحه فخرج الماء فجعلت تحوط عليه وتقول زمى زمى وفى الحديث يرحم الله ام اسمعيل لو تركت زمزم لكانت عينا معينا فجعلت تشرب منه فمكثوا كذلك حتى مرت بهم قبيلة من جرهم كانوا ذاهبين الى الشام فعطشوا فرأوا الماء عندها فقالوا لها أتاذنين لنا ان ننزل عندك فقالت نعم ولكن لا حق لكم فى الماء فقالوا لها أشركينا فى مائك نشركك فى البانا ففعلت فنزلوا وارسلوا الى اهليهم فلما شب اسمعيل تعلم منهم العربية وكان أنفسهم فزوجوه بامرأة منهم وماتت امه بعدما تزوج (قوله ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن) اى تعلم ما نسره من جميع امورنا وما نظهره منها او المعنى تعلم ما نخفى من الوجد بفرقة اسمعيل وأمه حيث اسكنتهما بواد غير ذى زرع وما نعلن اى من قول هاجر آلله امرك بهذا وقولى لها نعم (قوله يحتمل ان يكون) اى قوله وما يخفى على الله من شئ الخ فعلى الاول هو اعتراض بين كلامى ابراهيم وعلى الثانى ففيه وضع الظاهر موضع المضمر (قوله الحمد لله الخ) هذا قاله ابراهيم فى وقت آخر بعد الدعاء فانه حين الدعاء لم يكن اسحق موجودا بل كان اسمعيل فقط طفلا وحين الحمد كان اسحق موجودا ومعلوم ان بينهما ثلاث عشرة سنة (قوله ان ربى لسميع الدعاء) اى مجيبه (قوله مقيم الصلاة) اى مواظبا عليها بشروطها واركانها وآدابها (قوله واجعل من ذريتى) اشار المفسر الى ان قوله ومن ذريتى معطوف على الياء فى اجعلنى فيكون الفعل مسلطا عليه (قوله وتقبل دعائى) بثبوت الياء وصلا ووقفا وحذفها كذلك قراءتان سبعيتان (قوله ربنا اغفر لى) ان قلت كيف يطلب المغفرة مع انه نبى معصوم من جميع الذنوب اجيب بان المغفرة لا تستدعى سبق ذنب بل تكون من الطاعات كما اذا ارتقى مقاما اعلى مما كان فيه فيستغفر الله مما كان فيه على حد ماقيل فى قوله صلى الله عليه وسلم انى ليغان على قلبى فاستغفر الله سبعين مرة (قوله هذا قبل ان يتبين له عداوتهما لله) جواب عما يقال كيف ساغ لابراهيم طلب المغفرة لابويه وهما كافران (قوله وقرئ) اى شذوذا فى هذه والتى بعدها وقرئ شذوذا ايضا وولدى بضم الواو وسكون اللام فالقراآت الشواذ ثلاث والدى مفردا وولدى بالتثنية وولدى جمع ولد (قوله يثبت) اى يوجد ويظهر وهذا دعاء للمؤمنين بالمغفرة والله لا يرد دعاء خليله ابراهيم ففيه بشارة عظيمة لجميع المؤمنين بالمغفرة (قوله ولا تحسبن) بكسر السين وفتحها قراءتان سبعيتان فى هذه وفى قوله الآتى فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله وفى هذه الآية تسلية لكل مظلوم ووعيد عظيم لكل ظالم فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فانها وان كان نزولها فى حق كفار قريش الا ان المراد عمومها لكل ظالم لان كل آية وردت فى الكفار فانها تجر بذيلها على عصاة المؤمنين (قوله غافلا) الغفلة فى الاصل معنى يعترى الانسان من قلة التحفظ وقيل معنى يمنع الانسان من الوقوف على حقائق الامور وهذا المعنى فى حق الله مستحيل فظنه كفر بل المراد لازم الغفلة وهو عدم المجازاة لانه يلزم من الغفلة عن الشئ تركه فالمعنى لا تحسبن الله يا مخاطب تاركا مجازاة الظالمين بل مجازيهم ولا بدوامها لهم مدة حلمه منه

لعلهم يشكرون) وقد فعل بنقل الطائف اليه (ربنا انك تعلم ما نخفى) نسر (وما نعلن وما يخفى على الله من) زائدة (شئ فى الارض ولا فى السماء) يحتمل ان يكون من كلامه تعالى او كلام ابراهيم (الحمد لله الذى وهب لى) اعطانى (على) مع (الكبر اسمعيل) ولد وله تسع وتسعون سنة (واسحق) ولد وله مائة واثنتا عشرة سنة (ان ربى لسميع الدعاء رب اجعلنى مقيم الصلاة و) اجعل (من ذريتى) من يقيمها واتى بمن لاعلام الله تعالى له ان منهم كفارا (ربنا وتقبل دعائى) المذكور (ربنا اغفر لى ولوالدى) هذا قبل ان يتبين له عداوتهما لله عز وجل وقيل اسلمت امه وقرئ والدى مفردا وولدى (وللمؤمنين يوم يقوم) يثبت (الحساب) قال تعالى (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) الكافرون

من اهل مكة (انما يؤخرهم) بلا عذاب (ليوم تشخص فيه الابصار) لهول ماترى يقال شخص بصر فلان اى فتحه فلم يغمضه (مهطعين) مسرعين حال (مقنعى) رافعى (رؤسهم) الى السماء (لا يرتد اليهم طرفهم) بصرهم (وافئدتهم) قلوبهم (هواء) خالية من العقل لفزعهم (وأنذر) خوّف يا محمد (الناس) الكفار (يوم يأتيهم العذاب) هو يوم القيامة (فيقول الذين ظلموا) كفروا (ربنا أخرنا) بان تردنا الى الدنيا (الى أجل قريب نجب دعوتك) بالتوحيد (ونتبع الرسل) فيقال لهم توبيخا (اولم تكونوا أقسمتم) حلفتم (من قبل) فى الدنيا (مالكم من) زائده (زوال) عنها الى الاخرة (وسكنتم) فيها (فى مساكن الذين ظلموا انفسهم) بالكفر من الامم السابقة (وتبين لكم كيف فعلنا بهم) من العقوبة فلم تنزجروا (وضربنا) بينا (لكم الامثال) فى القرآن فلم تعتبروا (وقد مكروا) بالنبي صلى الله عليه وسلم (مكرهم) حيث أرادوا قتله اوتقييده أو إخراجه (وعند الله مكرهم) أى علمه اوجزاؤه (وان) ما (كان مكرهم) وان عظم (لتزول منه الجبال) المعنى لا يعبا به ولا يضر الا أنفسهم والمراد بالجبال هنا قيل حقيقتها وقيل شرائع الاسلام المشبهة بها فى القرار والثبات وفى قراءة بفتح لام لتزول ورفع الفعل فان مخففه والمراد تعظيم مكرهم وقيل المراد بالمكر كفرهم ويناسبه على الثانية تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا وعلى الاولى ماقرئ وما كان قراءة (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) بالنصر (ان الله عزيز) غالب لا يعجزه شيء (ذوانتقام) ممن عصاه

وسيخرجهم منه فى الآخرة لما وردالظلمة واعوانهم كلاب النار (قوله من اهل مكة) خصهم بالذكر وان كان المراد العموم لان الآية نزلت فيهم (قوله انما يؤخرهم) فى معنى التعليل لقوله ولا تحسبن الله غافلا الخ والتقدير لا تظن ان الله تارك مجازاتهم لا تحزن بتاخير العذاب لان تاخيره للتشديد والتغليظ (قوله ليوم) أى لاجل حصول يوم او اللام بمعنى الى التى للغاية (قوله تشخص فيه الابصار) اى فلا تقر فى اماكنها (قوله مسرعين) أى الى الداعى وهو اسرافيل وقيل جبريل حيث ينادى على صخرة بيت المقدس وهى أقرب موضع من الارض الى السماء يقول أيتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل القضاء فعند ذلك ينفخ اسرافيل فى الصور (قوله حال) أى من المضاف المحذوف والتقدير تشخص فيه ابصارهم حال كون أصحاب الابصار مهطعين الخ (قوله لا يرتد اليهم طرفهم) أى لا ينطبق لهم جفن لعظم الهول وهو تاكيد لشخوص البصر (قوله وافئدتهم هواء) اما مستانف او حال (قوله خالية من العقل لفزعهم) أى خالية من الفهم لشدة الحيرة والدهشة والمعنى ان القلوب حينئذ تكون فارغة من الادراك والفهم والابصار شاخصة والرؤس مرفوعة الى السماء من هول ذلك اليوم وشدته (قوله يوم يأتيهم العذاب) مفعول ثان لانذر على حذف مضاف اى انذرهم هوله وشدته (قوله فيقول الذين ظلموا) فيه اظهار فى مقام الاضمار لزيادة التشنيع عليهم (قوله الى أجل قريب) أى أخر العذاب عنا وردنا الى الدنيا مدة من الزمان نستدرك فيها مافات (قوله نجب دعوتك) مجزوم فى جواب الامر (قوله فيقال لهم) القائل لهم الملائكة اوالله (قوله حلفتم) اى كما حكى الله عنهم ذلك فى سورة النحل بقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت (قوله وسكنتم) معطوف على أقسمتم (قوله فى مساكن الذين ظلموا انفسهم) المراد بمساكنهم دار الدنيا لاخصوص منازل الذين ظلموا فان كفار قريش لم يسكنوا ديار الكفار الذين هلكوا قبلهم (قوله السابقة) اى كقوم نوح وعاد وثمود ولوط وغيرهم (قوله وتبين لكم) أى حالهم وخبرهم (قوله من العقوبة) بيان لقوله كيف فعلنا بهم (قوله وقد مكروا) أى أهل مكة (قوله حيث أرادوا قتله الخ) اى حين اجتمعوا بدار الندوة يتشاورون فى شانه وقد تقدم ذلك فى الانفال فى قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الخ (قوله ما كان) فسر ان بما لان اللام فى لتزول لام الجحود وهى لا تقع الا بعد كون منفى بما اولم (قوله لا يعبا به) أى لا يلتفت اليه (قوله والمراد بالجبال هنا) أى ففيها قولان قيل المراد حقيقتها وقيل شرائع الاسلام فهى مستعملة فى مجازها (قوله فى القرار والثبات) هذا هو وجه الشبه بينهما (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله فان مخففة) أى واللام فى لتزول فارقة (قوله والمراد تعظيم مكرهم) اى على هذه القراءة الثانية فتحصل ان المعنى على القراءة الاولى ما كان مكرهم مزيلا للجبال لضعفه وعدم العبرة به وعلى الثانية والحال ان مكرهم لتزول منه الجبال لعظمه وشدته والمكر على القراءتين قيل تشاورهم فى شان النبي وقيل كفرهم ولكن القول الثانى يوافق القراءة الثانية بدليل آية تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا (قوله وعلى الاولى) أى القراءة الاولى وهى النافية (قوله ماقرئ) أى الذى قرئ وهى قراءة شاذة (قوله فلا تحسبن الله) هذا مفرع على قوله ولا تحسبن الله غافلا وهو تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتهديد للظالمين (قوله مخلف وعده رسله) القراءة السبعية باضافة مخلف الى وعده ورسله بالنصب وقرئ شذوذا باضافته الى رسله ونصب وعده فيكون قد فصل بين المتضايفين بالمفعول وهذا نظير

اذ كر (يوم تبدل الارض غير الارض والسموات) هو يوم القيامة فيحشر الناس على ارض بيضاء نقية كما فى حديث الصحيحين وروى مسلم حديث سئل صلى الله عليه وسلم اين الناس يومئذ قال على الصراط (وبرزوا) خرجوا من القبور (لله الواحد القهار وترى) يامحمد تبصر (المجرمين) الكافرين (يومئذ مقرنين) مشدودين مع شياطينهم (فى الاصفاد) القيود والاغلال (سرابيلهم) قمصهم (من قطران) لانه ابلغ لاشتعال النار (وتغشى) تعلو (وجوههم النار ليجزى) متعلق ببرزوا (الله كل نفس ما كسبت) من خير وشر (ان الله سريع الحساب) يحاسب جميع الخلق فى قدر نصف نهار من ايام الدنيا لحديث بذلك (هذا) القرآن (بلاغ للناس) اى انزل لتبليغهم (ولينذروا به وليعلموا) بما فيه من الحجج (انما هو) أى الله (اله واحد وليذ كر) بادغام التاء فى الاصل فى الذال يتعظ (اولوا الالباب) اصحاب العقول

﴿سورة الحجر مكية

قراءة ابن عامر فى الانعام قتل اولادهم شركائهم (قوله اذ كر) قدره اشارة الى ان قوله يوم ظرف معمول لمحذوف ويصح أن يكون معمولا لقوله فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله و يصح ان يكون بدلا من يوم الاول فى قوله يأتيهم العذاب (قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات) اختلف المفسرون فى هذا التبديل فقيل المراد تبدل صفاتهما فتستوى الجبال وتقلع الاشجار وتنشق الانهار وتذهب الكواكب من السموات وتكسف شمسها ويخسف قمرها وقيل تبدل ذاتهما فتبدل الارض بارض نقية بيضاء كالفضة لم يسفك عليها دم وتبدل السموات بسماء من ذهب وعلى هذا القول فالخلائق يكونون قبل على الصراط ومازاد منهم يكون على متن جهنم وقيل يكونون فى ظلمة قبل الحشر وقيل على أكف ملائكة سماء الدنيا وجمع بين القولين بان تبديل الصفات يكون أولا قبل نفخة الصعق وتبديل الذات يكون بعد النفخة الثانية (قوله فيحشر الناس على ارض بيضاء نقية) أى و يؤيد ذلك ماروى عن ابن عباس والضحاك ان الخلائق اذا جمعوا فى صعيد واحد الاولين والآخرين أمر الجليل جل جلاله بملائكة سماء الدنيا ان يتولوهم فيأخذ كل واحد منهم انسانا وشخصا من المبعوثين انساوجنا ووحشا وطيرا وحولوهم الى الارض التى تبدل وهى ارض بيضاء من فضة نورانية وصارت الملائكة من وراء الخلق حلقة واحدة فاذاهم أكثر من اهل الارض بعشر مرات ثم ان الله يامر بملائكة السماء الثانية فيحدقون بهم حلقة واحدة واذاهم مثلهم عشرين مرة ثم تنزل ملائكة السماء الثالثة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة فاذاهم مثلهم ثلاثين ضعفا ثم تنزل ملائكة السماء الرابعة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة فيكونون أكثر منهم بار بعين ضعفا ثم تنزل ملائكة السماء الخامسة فيحدقون من ورائهم حلقة واحدة فيكونون مثلهم خمسين مرة ثم تنزل ملائكة السماء السادسة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة وهم مثلهم ستين مرة ثم تنزل ملائكة السماء السابعة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة وهم مثلهم سبعين مرة والخلق تتداخل وتندمج حتى يعلو القدم ألف قدم لشدة الزحام ويخوض الناس فى العرق على انواع مختلفة الى الاذقان والى الصدور والى الحقوين والى الركبتين ومنهم من يصيبه الرشح اليسير كالقاعد فى الحمام ومنهم من يصيبه البلة كالعاطش اذا شرب الماء وكيف لا يكون القلق والعرق والارق وقد قربت الشمس من رؤسهم حتى لومد أحد يده لنالها وتضاعف حرها سبعين مرة وقال بعض السلف لوطلعت الشمس على الارض كهيئتها يوم القيامة لاحترقت الارض وذاب الصخر ونشفت الانهار (قوله وبرزوا) عطف على تبدل فهو بمعنى المضارع اى يوم تبدل الارض وتبرز الخلائق (قوله وترى) معطوف على تبدل ايضا (قوله مشدودين مع شياطينهم) اى فتجمع ايديهم وارجلهم فى اعناقهم ويشد كل واحد مع شيطانه الذى كان معه فى الدنيا (قوله فى الاصفاد) جمع صفد بفتحتين وهو القيد (قوله والاغلال) جمع غل بالضم وهو طوق من حديد (قوله سرابيلهم من قطران) اى جلودهم تطلى بالقطران حتى يكون الطلاء كالقميص (قوله وتغشى وجوههم) أى وقلوبهم (قوله متعلق ببرزوا) اى وما بينهما اعتراض (قوله فى قدر نصف نهار) اى وكل واحد يرى انه يحاسب وحده (قوله هذا بلاغ للناس) فى هذه الآية من المحسنات البديعية رد العجز على الصدر فقد افتتحت هذه السورة بقوله كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور (قوله لتبليغهم) اى توصيلهم الى ما فيه صلاحهم ورشدهم

﴿سورة الحجر مكية﴾

اى باجماع وسميت بالحجر لذكره فيها وهو واد بين المدينة والشام وستاتى قصة اصحابه (قوله الله اعلم بمراده) تقدم ان هذا هو التحقيق عند ذوى التحقيق (قوله هذه الآيات) اى آيات السورة

تسع وتسعون آية﴾ *(بسم الله الرحمن الرحيم الر) الله اعلم بمراده بذلك (تلك) هذه الآيات (آيات الكتاب) القرآن

والاضافة بمعنى من (وقرآن مبين) مظهر للحق من الباطل عطف بزيادة صفة (ربما) بالتشديد والتخفيف (يود) يتمنى (الذين كفروا) يوم القيامة اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين (لو كانوا مسلمين) ورب للتكثير فانه يكثر منهم تمنى ذلك وقيل للتقليل فان الاهوال تدهشهم فلا يفيقون حتى يتمنوا ذلك الا فى احيان قليلة (ذرهم) اترك الكفار يا محمد (يأكلوا ويتمتعوا) بدنياهم (ويلههم) يشغلهم (الامل) بطول العمر وغيره عن الايمان (فسوف يعلمون) عاقبة امرهم وهذا قبل الامر بالقتال (وما أهلكنا من) زائدة (قرية) اريد اهلها (الا ولها كتاب) اجل (معلوم) محدود لاهلاكها (ما تسبق من) زائدة (امة اجلها وما يستاخرون) يتاخرون عنه (وقالوا) اى كفار مكة للنبي صلى الله عليه وسلم (يا ايها الذى نزل عليه الذكر) القرآن فى زعمه (انك لمجنون لوما) هلا (تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين) فى قولك انك نبي وان هذا القرآن من عند الله قال تعالى (ما تنزل) فيه حذف احدى التاءين (الملائكة الا بالحق) بالعذاب (وما كانوا اذا) اى حين نزول الملائكة بالعذاب (منظرين) مؤخرين ان

(قوله والاضافة بمعنى من) اى لان الآيات بعض الكتاب (قوله عطف) اى مرادف وانما سوغه وحسنه تغاير اللفظ وزيادة الصفة فى المعطوف فحينئذ يؤخذ من الآية انه كما يسمى كتابا يسمى قرآنا (قوله بزيادة صفة) اى وهى قوله مبين (قوله بالتشديد والتخفيف) اى فهما قراءتان سبعيتان ولغتان فى رب (قوله الذين كفروا) اى من اهل مكة وغيرهم (قوله اذا عاينوا حالهم) اى من العذاب (قوله وحال المسلمين) اى من النعيم المقيم (قوله لو كانوا مسلمين) يصح فى لو ان تكون امتناعية وجوابها محذوف تقديره لسروا بذلك او مصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر معمول ليود والتقدير ربما يود الذين كفروا كونهم مسلمين (قوله ورب للتكثير) اى وما كافة لها عن الجر ان قلت ان رب اذا دخلت عليها ما الكافة اختصت بالفعل الماضي وهنا قد دخلت على المضارع اجيب بان المضارع بالنسبة لعلم الله واقع ولا شك فلا تفاوت بين ماض ومستقبل بالنسبة لعلمه تعالى وانما ذلك بالنظر لعقولنا (قوله وقيل للتقليل) اى باعتبار الاوقات التى يفيقون فيها من الدهشة فالكفار من شدة الهول يدهشون فلا يفيقون الا فى بعض الاوقات فاذا افاقوا كثر منهم التمنى (قوله ذرهم) لم يستعمل لهذا الامر ماض استغناء عنه بترك بل يستعمل منه المضارع وقد جاء منه الماضى قليلا قال عليه الصلاة والسلام ذروا الحبشة ما وذرتكم (قوله يأكلوا) مجزوم بحذف النون فى جواب الامر وكذا قوله ويتمتعوا (قوله ويلههم) مجزوم ايضا بحذف الياء وفيه ثلاث قرآات سبعية كسر الهاء الثانية والميم وضمهما وكسر الهاء وضم الميم واما الهاء الاولى فمكسورة لا غير لانها من بنية الكلمة (قوله الامل) فاعل يلههم (قوله عاقبة امرهم) قدره اشارة الى ان مفعول يعلمون محذوف (قوله وهذا قبل الامر بالقتال) اى قوله ذرهم الخ فهذه الآية منسوخة بآية القتال (قوله زائدة) اى فى المفعول (قوله اريد اهلها) اى ففيه مجاز اما بالحذف او مرسل من اطلاق المحل وارادة الحال فيه (قوله الا ولها كتاب معلوم) الجملة حالية والمعنى وما اهلكنا قرية فى حال من الاحوال الا فى حال ان يكون لها كتاب اى اجل مؤقت لهلاكها وجعلنا الواو حالية اسهل من جعلها زائدة بين الصفة والموصوف (قوله من امة) فاعل تسبق ومن زائدة فى الفاعل للتاكيد (قوله اجلها) اى وهو الكتاب المتقدم (قوله يتاخرون عنه) اى الاجل (قوله وقالوا يا ايها الذى نزل عليه الذكر) نادوه صلى الله عليه وسلم بذلك على سبيل التهكم والاستهزاء لا اقرارا بانه نزل عليه الذكر ولذا قال المفسر فى زعمه فدفع به ما قد يقال ان فى الآية مضاربة اولها لآخرها (قوله انك لمجنون) اى انك لتقول قول المجانين حيث تدعى ان الله نزل عليك الذكر وقولهم هذا كقول فرعون ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون والحاصل انهم قالوا مقالتين الاولى يا ايها الذى نزل عليه الذكر والثانية لوما تأتينا بالملائكة وقد رد الله ذلك على سبيل اللف والنشر المشوش فقوله ما ننزل الملائكة رد للثانية وقوله انا نحن نزلنا الذكر رد للاولى (قوله لوما تأتينا) تستعمل لوما حرف تحضيض وحرف امتناع لوجود فالتحضيضية لا يليها الا الفعل ظاهرا او مضمرا والامتناعية لا يليها الا الاسماء لفظا او تقديرا اذا علمت ذلك فهى هنا للتحضيض ولذا فسرها بهلا (قوله بالملائكة) اى لتخبرنا بصدقك (قوله فيه حذف احدى التاءين) اى والاصل تتنزل وفى قراءة سبعية ايضا ننزل بضم النون الاولى وفتح الثانية وكسر الزاى المشددة ونصب الملائكة على المفعولية وقرئ شذوذا ما تنزل بفتح التاء وسكون النون وكسر الزاى والملائكة فاعل (قوله الا بالحق) اى الا تنزيلا ملتبسا بالحق لا بما قلتم واقترحتم والمعنى جرت عادة الله فى خلقه انه لا يظهر الملائكة الا لمن يريد اهلاكهم وهو لا يريد ذلك مع امته صلى الله عليه وسلم لعلمه بقاءها وانه يخرج منها من يعبد الله ويوحده الى يوم القيامة فهم لا يجابون لما اقترحوا (قوله وما كانوا اذا منظرين) اصل اذن اذ بمعنى حين فضمت لها

ان فصار اذأن فاستثقلوا الهمزة فحذفوها فصار اذن ويجئ لفظة ان دليل على اضمار فعل بعدها والتقدير وما كانوا اذ كان ماطلبوه الخ (قوله انا نحن نزلنا الذكر) اى وليس انزاله بزعمك كما اعتقدوا (قوله او فصل) اى ضمير فصل واعترض بان ضمير الفصل لا يكون الا ضمير غيبة ولا يقع الا بين اسمين وهنا ليس كذلك وحينئذ فالمناسب للمفسر ان يقتصر على الاول (قوله وانا له لحافظون) اى حيث جعله معجزا للبشر مغايرا لكلامهم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه باق على ممر الدهور سيما وقد جعل الله له خدمة من البشر يحفظونه فترى الكبير العظيم اذا غلط وهو يقرأ يرده أصغر صغير فى المجالس مع عدم العيب فى ذلك بخلاف الكتب السماوية فقد دخل فيها التبديل والتغيير والزيادة والنقص ومن معنى هذه الآية قوله تعالى وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث الآية (قوله ولقد أرسلنا) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله رسلا) قدره اشارة الى ان مفعول أرسلنا محذوف وعدتهم ثلثمائة وثلاثة عشر او أربعة عشر وقيل لا يعلم عدتهم الا الله تعالى (قوله فى شيع) جمع شيعة والمراد بها هنا الفرقة المتفقة فى مذهب كان حقا أو باطلا واضافة شيع الاولين على حذف مضاف اى فى شيع الامم الاولين (قوله وما يأتيهم) قدر المفسر كان اشارة الى ان المضارع بمعنى الماضى وأتى به مضارعا استحضارا للحال الماضية للتعجب منها (قوله يستهزؤن) اى يسخرون (قوله وهذا تسلية له) اى فاصبر ولا تحزن فلست باول من سخر به قومه بل وقع لمن قبلك مثلك (قوله كذلك نسلكه) السلك بالفتح ادخال الخيط فى اللؤلؤة وبالكسر نفس الخيط (قوله اى مثل ادخالنا التكذيب) اى الذى دل عليه بقوله يستهزؤن (قوله وقد خلت سنة الاولين) اى طريقتهم والجملة مستأنفة (قوله وهؤلاء مثلهم) اى فانتظر ماينزل بالمكذبين من العذاب (قوله ولو فتحنا عليهم) اى على كفار مكة (قوله فظلوا) الضمير أما عائد على المشركين والمعنى فتحنا بابا من السماء لهؤلاء المشركين ولو صعدوا الى السماء ورأوا عجائبها لقالوا الخ او على الملائكة والمعنى لو كشفنا عن أبصار الكفار فرأوا بابا من السماء مفتوحا والملائكة تصعد منه لما آمنوا (قوله انما سكرت) بالتخفيف والتشديد قراءتان سبعيتان (قوله سدت) اى فيقال سكرت النهر من باب قتل سددته والسكر بالكسر ما يسد به والمعنى بسدابصارنا عن محسوساتنا المعتادة بتلك التخيلات (قوله بل نحن قوم مسحورون) اضراب انتقالى عما افاده أولا من خصوص سحر العين بالحصر والمعنى انهم يقولون انما سدت ابصارنا نخيل لها امر لا حقيقة له ولم يتجاوز ذلك لقلوبنا ثم اضربوا عن ذلك وجعلوا السحر واصلا لقلوبهم (قوله ولقد جعلنا فى السماء بروجا) هذا من ادلة توحيده سبحانه وتعالى والبروج جمع برج والمراد منازل وطرق تسير فيها الكواكب السبعة (قوله اثنى عشر برجا) اى وقد جمعها بعضهم فى قوله

حمل الثور جوزة السرطان * ورعى الليث سنبل الميزان
ورمى عقرب بقوس لجدى * نزح الدلو بركة الحيتان

(قوله وهى منازل الكواكب) اى محل سيرها (قوله المريخ) بكسر الميم نجم فى السماء الخامسة وقد جمع الكواكب بعضهم فى قوله

زحل شرى مريخه من شمسه * فتزاهرت لعطارد الاقمار

فزحل فى السماء السابعة والمشترى فى السادسة والمريخ فى الخامسة والشمس فى الرابعة والزهرة فى الثالثة وعطارد فى الثانية والقمر فى الاولى وهى سماء الدنيا (قوله والشمس ولها الاسد) اى بيتها المنسوب لها فلا ينافى أنها تسير فى البروج كلها المنقسمة لثمان وعشرين منزلة لكل برج منزلتان وثلث وتقطعها الشمس فى سنة والقمر فى شهر وقد جعل الله بهذه الكواكب النفع فى العالم السفلى كالاكل والشرب يوجد النفع

(انا نحن) تأكيد لاسم ان او فصل (نزلنا الذكر) القرآن (وانا له لحافظون) من التبديل والتحريف والزيادة والنقص (ولقد أرسلنا من قبلك) رسلا (فى شيع) فرق (الاولين وما كان (يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن) كاستهزاء قومك بك وهذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (كذلك نسلكه) اى مثل ادخالنا التكذيب فى قلوب أولئك ندخله (فى قلوب المجرمين) اى كفار مكة (لا يؤمنون به) بالنبي صلى الله عليه وسلم (وقد خلت سنة الاولين) اى سنة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم أنبياءهم وهؤلاء مثلهم (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه) فى الباب (يعرجون) يصعدون (لقالوا انما سكرت) سدت (أبصارنا بل نحن قوم مسحورون) يخيل الينا ذلك (ولقد جعلنا فى السماء بروجا) اثنى عشر الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت وهى منازل الكواكب السبعة السيارة المريخ وله الحمل والعقرب والزهرة ولها الثور والميزان وعطارد وله الجوزاء والسنبلة والقمر وله السرطان والشمس ولها الاسد والمشترى وله القوس والحوت وزحل وله الجدى والدلو

(وزيناها) بالكواكب (للناظرين وحفظناها) بالشهب (من كل شيطان رجيم) مرجوم (الا) لكن (من استرق السمع) خطفه (فاتبعه شهاب مبين) كوكب يضيء يحرقه او يثقبه او يخبله (والارض مددناها) بسطناها (وألقينا فيها رواسي) جبالا ثوابت لئلا تتحرك باهلها (وأنبتنا فيها من كل شيء موزون) معلوم مقدر (وجعلنا لكم فيها معايش) بالياء من الثمار والحبوب (و) جعلنا لكم (من لستم له برازقين) من العبيد والدواب والانعام فانما يرزقهم الله (وان) ما (من) زائدة (شيء الا عندنا خزائنه) مفاتيح خزائنه (وما ننزله الا بقدر معلوم) على حسب المصالح (وارسلنا الرياح لواقح) تلقح السحاب فيمتلئ ماء (فانزلنا من السماء) السحاب (ماء) مطرا (فاسقيناكموه وما انتم له بخازنين) اى ليست خزائنه بايديكم

عندها لا بها فهي اسباب عادية (قوله وزيناها بالكواكب) اى جعلنا الكواكب زينة للسماء وهل الكواكب في السماء الدنيا او ثوابت في العرش قولان للعلماء (قوله للناظرين) اى المتاملين بابصارهم و بصائرهم (قوله وحفظناها) اى السماء (قوله من كل شيطان رجيم) أي وذلك لان الشياطين كانوا لا يحجبون عن السموات فيدخلونها و يأتون باخبارها الى الكهنة فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات ولما ولد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها ولما بعث رميت عليهم الشهب فكانت تخطئ وتصيب فلما عرج به صلى الله عليه وسلم صارت لا تخطئهم ابدا (قوله الا من استرق السمع) استثناء منقطع لان ماقبل الاستثناء دخولهم السماء وما بعده استراقهم من خارجها والمعنى ان الشياطين يركب بعضهم بعضا يريدون الاستراق فتكون الشهب بالمرصاد لهم كما صرحت به سورة الجن في قوله وانا كنا نقعد منها الخ (قوله كوكب مضيء) وقيل الشهاب شعلة نار تنفصل من الكوكب وهو الصحيح (قوله أو يخبله) اى يفسد اعضاءه فيصير غولا في الوادي يضل الناس (قوله والارض مددناها) الارض منصوب بفعل محذوف يفسره مددناها (قوله بسطناها) اى على الماء (قوله لئلا تتحرك باهلها) اى لان الله لما خلقها و بسطها على الماء تحركت واضطربت فثبتها بالجبال الرواسي فسكنت (قوله معلوم) اى لله فيعلم قدر ما يحتاج اليه الخلق في معاشهم (قوله معايش) جمع معيشة وهي ما يعيش بها الانسان من المأكل والمشرب والملبس وغير ذلك (قوله بالياء) اى باتفاق السبعة لانها في المفرد اصلية فلا تقلب في الجمع همزة بل تبقى على حالها بخلاف المد الزائد في المفرد فانه يقلب همزة في الجمع قال ابن مالك

والمد زيد ثالثا في الواحد * همزا يرى في مثل كالقلائد

وقرىء شذوذا بالهمزة على التشبيه بشمائل (قوله ومن لستم له برازقين) مشى المفسر على انه معطوف على معايش حيث قدر قوله جعلنا لكم (قوله من العبيد) اى والخدم وغيرهم فانتم تنتفعون بتلك الاشياء ولستم برازقين لها وانما رازقها على خالقها (قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه) كالدليل لقوله وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين فهو اعلام بسعة فضله سبحانه وتعالى وقوله شيء نكرة في سياق النفي فتعم كل شيء كان في الدنيا او الآخرة جليلا او حقيرا (قوله الا عندنا خزائنه) اى الا يوجده الله اذا تعلقت قدرته وارادته به ففي الكلام مجاز حيث شبه سرعة ايجاده الاشياء بحصولها بالفعل وجعلها في خزائن والجامع بينهما سرعة الحصول في كل فالمعنى بيده الاشياء كلها خيرها وشرها جليلها وحقيرها فاذا اراد الله شيا حصل فلا يطلب الانسان من غيره بل يطلب المفاتيح ممن بيده الخزائن والمفاتيح كناية عن التسهيل فمن اراد الله له شيا اعطاه مفتاحه بمعنى سهل اسبابه (قوله الا بقدر معلوم) اى فيسعد هذا ويشقى هذا و يفقر هذا و يغني هذا على حسب ما قدره الله اذا علمت ذلك فالمناسب للمفسر ان يقول على حسب تقدير الله فان الله تعالى ليس مراده مقيدا بمصالح عباده بل افعاله على حسب ما اراده وعلمه والا فنجد الكافر يطول عمره وهو في فقر ومرض ثم يختم له بالكفر و يكون في النار فاي مصلحة في ذلك (قوله وارسلنا الرياح) جمع ريح وهو جسم لطيف منبث في الجو سريع المرور (قوله لواقح) اما جمع ملقح من القح وحينئذ فجمعه ملاقح حذفت الميم تخفيفا او جمع لاقح من لقح يقال لقحت الريح اذا حملت الماء الى السحاب واعلم ان الله سبحانه وتعالى يرسل الرياح الاربعة لخدمة المطر فريح الصبا تثير السحاب من شجرة في الجنة وريح الشمال تجمعه وريح الجنوب تدره وريح الدبور تفرقه (قوله تلقح السحاب) اى تهيج الماء فيه (قوله السحاب) اى فالمراد بالسماء كل ما علا وارتفع ويصح ان يراد بالسماء حقيقتها لان اصل ماء المطر من السماء (قوله فاسقيناكموه) الكاف مفعول اول والهاء مفعول ثان والمعنى جعلناه سقيا لكم ولارضكم ومواشيكم (قوله اى ليست خزائنه بايديكم)

أى بل خزائنه عند الله فهو من مشمولات قوله وان من شىء الا عندنا خزائنه (قوله وانا لنحن نحيي) اى جميع الخلق وان حرف توكيد ونصب ونا اسمها وجملة نحيي خبرها وقوله لنحن ضمير منفصل توكيد لنا لا ضمير فصل لما تقدم أنه مردود بان ضمير الفصل لا يقع الا بين اسمين وهنا ليس كذلك (قوله ونحن الوارثون) الوارث فى الاصل هو الذى يأخذ المال بعد موت مورثه ثم أطلق الارث واريد لازمه وهو البقاء بعد فناء غيره فانه يلزم من اخذ الوارث مال المورث بقاؤه بعد موت صاحبه فهو سبحانه وتعالى وارث جميع الخلق بمعنى انه يبقى بعد فنائهم (قوله ولقد علمنا المستقدمين منكم) اى علما تفصيليا لا يخفى عليه شىء فى الارض ولا فى السماء (قوله المتاخرين) أشار بذلك الى ان السين والتاء فى المستقدمين والمستاخرين زائدتان والمعنى ان علمه محيط بجميع خلقه متقدمهم ومتاخرهم طائعهم وعاصيهم لا يخفى عليه شىء من احوال خلقه (قوله وان ربك هو يحشرهم) أى يجمعهم للحساب ثم بعد ذلك ينقسمون فريقين فريق فى الجنة وفريق فى السعير (قوله من صلصال) الصلصال بمعنى المصلصل كالزلزال بمعنى المزلزل ووزنه فعلال بتكرار اللام فقلبت الاولى منهما من جنس فاء الكلمة والصلصال طور رابع من اطوار آدم الطينية لانه اولا كان ترابا ثم عجن بانواع المياه فصار طينا ثم ترك حتى انتن واسود فصار حمأ مسنونا ثم يبس بعد تصويره فصار صلصالا ثم نفخ فيه الروح بعد مائة وعشرين سنة اربعين وهو طين واربعين وهو حمأ مسنون واربعين وهو صلصال مصور وهكذا اطوار اولاد آدم تمكث النطفة فى الرحم أربعين يوما ثم تصير علقة مثل ذلك ثم تصير مضغة مثل ذلك ثم تنفخ فيه الروح بعد مائة وعشرين يوما (قوله متغير) أى من طول مكثه حتى يتخمر (قوله أبا الجن وهو ابليس) هذا احد قولين وقيل هو ابو الشياطين فرقة من الجن لم يؤمن منهم احد والجان هو ابو الجن وعلى هذا تكون الاصول ثلاثة آدم وهو ابو البشر وابليس وهو ابو الشياطين والجان وهو ابو الجن وعلى ما مشى عليه المفسر يكونان أصلين فقط آدم وابليس (قوله هى نار لا دخان لها) اى ومنها تكون الصواعق (قوله تنفذ فى المسام) اى تدخل فيها للطف المسام وشدة حرارة النار فاذا دخلت فى الانسان قتلته (قوله واذ قال ربك) اذ ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر (قوله من صلصال) من لابتداء الغاية (قوله فاذا سويته) اى صورته انسانا كاملا معتدل الاعضاء والطبائع (قوله ونفخت فيه من روحى) اى افضت عليه روحا من الارواح التى خلقتها فصار بها حيا وليس المراد النفخ حقيقة لاستحالته على الله (قوله واضافة الروح اليه) اى كما يقال بيت الله وناقة الله (قوله فقعوا) الفاء واقعة فى جواب اذا وقعوا فعل امر من وقع يقع بمعنى سقط وخر (قوله بالانحناء) أى لا بوضع الجبهة وهذا احد قولين وقيل المراد بالسجود حقيقته وآدم كالقبلة والسجود لله او يقال ان السجود لذات آدم وقولهم السجود لغير الله كفر محله فى غير ما امر الله به واما فى مثل هذا فالكفر فى المخالفة (قوله فيه تاكيدان) أى للمبالغة وزيادة الاعتناء فبالتاكيد الاول اندفع توهم المجاز وبالثانى استفيد انهم سجدوا جملة واحدة (قوله كان بين الملائكة) اشار بذلك الى صحة الاستثناء ثم هو يحتمل ان يكون منقطعا لانه لم يكن منهم حقيقة او متصلا باعتبار انه كان متصفا بصفاتهم وقيل انه منهم والتحقيق خلافه (قوله ابى ان يكون مع الساجدين) استئناف مبين لكيفية عدم السجود (قوله قال تعالى) ان قلت ان مكالمة الله تعالى بدون واسطة شرف وتعظيم وابليس ليس من اهل ذلك أجيب بان محل كونها شرفا ان كانت على سبيل الاكرام واما كلام الله لابليس فهو على سبيل الاهانة والطرد فلم يكن تشريفا (قوله ما منعك الخ) حمله على هذا التفسير قوله فى الآية الاخرى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى ولذا قال لا زائدة ويصح ان تكون غير

(وانا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون) الباقون نرث جميع الخلق (ولقد علمنا المستقدمين منكم) أى من تقدم من الخلق من لدن آدم (ولقد علمنا المستأخرين) المتاخرين الى يوم القيامة (وان ربك هو يحشرهم انه حكيم) فى صنعه (عليم) بخلقه (ولقد خلقنا الانسان) آدم (من صلصال) طين يابس يسمع له صلصلة أى صوت اذا نقر (من حمأ) طين أسود (مسنون) متغير (والجان) أبا الجن وهو ابليس (خلقناه من قبل) أى قبل خلق آدم (من نار السموم) هى نار لا دخان لها تنفذ فى المسام (و) اذكر (اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته) أتممته (ونفخت) اجريت (فيه من روحى) فصار حيا واضافة الروح اليه تشريفا لآدم (فقعوا له ساجدين) سجود تحية بالانحناء (فسجد الملائكة كلهم اجمعون) فيه تاكيدان (الا ابليس) هو ابو الجن كان بين الملائكة (ابى) امتنع من (ان يكون مع الساجدين قال) تعالى (يا ابليس مالك) ما منعك (ان لا) زائدة (تكون مع الساجدين قال لم أكن لاسجد)

لا ينبغى لى أن أسجد (لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون قال فاخرج منها) أى من الجنة وقيل من السموات (فانك رجيم) مطرود (وان عليك اللعنة الى يوم الدين) الجزاء (قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون) أى الناس (قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) وقت النفخة الاولى (قال رب بما أغويتنى) أى باغوائك لى والباء للقسم وجوابه (لأزينن لهم فى الارض) المعاصي (ولأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين) أى المؤمنين (قال) تعالى (هذا صراط على مستقيم) وهو (ان عبادى) أى المؤمنين (ليس لك عليهم سلطان) قوة (الا) لكن (من اتبعك من الغاوين) الكافرين (وان جهنم لموعدهم أجمعين) أى من تبعك معك (لها سبعة ابواب) اطباق (لكل باب) منها (منهم جزء) نصيب (مقسوم ان المتقين فى جنات) بساتين (وعيون) تجرى فيها ويقال لهم (ادخلوها بسلام) اى سالمين من كل مخوف اومع سلام

زائدة والمعنى أى شئ ثبت لك فى عدم كونك مع الساجدين (قوله لا ينبغى لى) أى لا يصح ولا يليق (قوله لبشر خلقته الخ) أى وخلقتنى من نار فانا خير منه لان النار جسم لطيف نورانى والصلصال جسم كثيف ظلمانى والنورانى خير من الظلمانى هذا وجه تكبره عن السجود وادعائه الخيرية وهى مردودة بان آدم مركب من العناصر الاربع بخلاف ابليس وأيضا فالفضل بيد الله يعطيه لمن يشاء (قوله وقيل من السموات) وهذا الخلاف مرتب على الخلاف فى أن السجود لآدم هل كان فى الجنة أو خارجها فمن قال بالاول جعل الضمير فى منها عائدا على الجنة ومن قال بالثانى جعله عائدا على السموات (قوله فانك رجيم) أى مرجوم والرجيم كما فى القاموس اللعن والشتم والطرد والهجران (قوله الى يوم الدين) أى وبعد ذلك يزداد عذابا على اللعنة التى هو فيها (قوله الى يوم يبعثون) قصد اللعين بذلك انه لا يموت أبدا لانه اذا أمهل الى يوم البعث الذى هو يوم النفخة الثانية فقد أمهل الى الابد لانقطاع الموت حينئذ وقصد أيضا الفسحة فى الاجل لاجل الاغواء فاجابه الله الى الثانية دون الاولى (قوله وقت النفخة الاولى) أى فيموت فى جملة الخلائق ثم يبعث مع الناس فمدة موته أربعون سنة ولم يكن هذا الامهال اكراما له بل اهانة وشقاوة ليزداد عذابا (قوله والباء للقسم) وقيل للسببية (قوله لأزينن لهم) الضمير عائد على أولاد آدم وان لم يتقدم لهم ذكر للعلم بهم (قوله المخلصين) أى الذين أخلصوا فى أعمالهم فلا تسلط لى عليهم (قوله قال هذا صراط على مستقيم) أى هذا دين مستقيم لا اعوجاج فيه فعلى حفظه تفضلا واحسانا (قوله ان عبادى ليس لك عليهم سلطان) حاصل ذلك ان ابليس لما قال لأزينن لهم فى الارض ولأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين أوهم بذلك ان له سلطانا على غير المخلص فبين تعالى أنه ليس له سلطان على أحد من العباد لا من المخلصين ولا من غيرهم بل من اتبعه فهو من طرد الله له لا من سلطنة ابليس ويؤيده قوله فى الآية الاخرى ان كيد الشيطان كان ضعيفا وتقييد المفسر بالمؤمنين نظرا للصورة (قوله لكن) أشار بذلك الى أن الاستثناء منقطع (قوله لها سبعة أبواب) أى واعلاها جهنم وهى لعصاة المؤمنين ثم لظى لليهود ثم الحطمة للنصارى ثم السعير للصابئين ثم سقر للمجوس ثم الجحيم لعباد الوثن ثم الهاوية للمنافقين (قوله لكل باب) أى طبقة من أطباقها (قوله جزء مقسوم) أى حزب معد لها (قوله ان المتقين) أى الذين اتقوا الشرك وهم المؤمنون ولو عصاة لان المتقى هو الآتى بالتقوى ولو مرة واحدة غير أن العاصى اذا مات مصرا على المعاصي تحت المشيئة ان شاء الله عذبه مدة ثم يعفو عنه بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وان شاء لم يعذبه وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة وقال أبو هاشم الجبائى وجمهور المعتزلة ان المتقين هم الذين اتقوا جميع المعاصى فلا يثبت دخول الجنة الا لمن ترك جميع المعاصى وهذا مذهب باطل لمخالفته النصوص القرآنية والاحاديث النبوية والذى يجب الايمان به ان الجنة تملك بالموت على كلمة التوحيد ولو صحبها أمثال الجبال من المعاصى غير أن أهل الجنة مراتب (قوله وعيون) يحتمل أن المراد بها الانهار التى قال فيها مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن الآية ويحتمل أن تكون زيادة عليها وهل كل مؤمن له عدة بساتين وعدة أنهار أو كل له بستان ونهر لمقابلة الجمع بالجمع (قوله ويقال لهم) أى اذا أرادوا الانتقال من محل الى آخر والا فهم مستقرون فيها فامرهم حينئذ بالدخول تحصيل حاصل والقائل يحتمل أن يكون الملائكة أو الله تعالى (قوله بسلام) الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من الواو فى أدخلوها أى ادخلوها حال كونكم مصحوبين بسلامة من الله من جميع المخاوف والمكاره وهذا على المعنى الاول الذى ذكره المفسر ويقال على المعنى الثانى ادخلوها مصحوبين بسلام من بعضكم لبعض ومن الملائكة أى يسلم بعضكم على بعض وتسلم الملائكة عليكم

(قوله اى سلموا) تفسير المعنى الثانى (قوله آمنين) قدر المفسر ادخلوا اشارة الى انه حال ثانية وهى مرادفة للاولى ولا حاجة لهذا التقدير (قوله من كل فزع) أى ومنه زوال ماهم فيه من النعيم المقيم وقوله بسلام آمنين زيادة فى سرور أهل الجنة لان النعيم اذا لوحظ فيه عدم الانقطاع كان فى غاية السرور ولا شك أن الجنة كذلك بخلاف الدنيا فان نعيمها ملاحظ فيه الانقطاع عند حصوله فلذلك كانت دار هم وغم (قوله من غل) الغل هو أمراض القلب كالحسد والكبر والعجب والشحناء والبغضاء روى ان المؤمنين يوقفون على باب الجنة اوقفة فيقتص بعضهم من بعض ثم يؤمر بهم الى الجنة وقد نقى الله قلوبهم من الغل والغش والحقد والحسد فهم يحبون بعضهم بحبهم لربهم وشان المحب ان لا يكون لمحبوبه غل فى قلبه بل بينهم الصفاء والوفاء (قوله حال من هم) اى من ضمير صدورهم المضاف اليه والشرط موجود لان المضاف جزء المضاف اليه أو المعنى ونزعنا مافى صدورهم من غل حال كونهم متآخين فى المودة والمحبة (قوله على سرر) جمع سرير وهو كما قال ابن عباس من ذهب مكلل بالزبرجد والدر والياقوت والسرير مثل ما بين صنعاء الى الجابية (قوله حال ايضا) اى من الضمير فى اخوانا (قوله لدوران الاسرة بهم) أى انهم اذا اجتمعوا وتلاقوا ثم أرادوا الانصراف يدور سرير كل واحد منهم بحيث يبقى مقابلا بوجهه لمن كان عنده وقفاه الى الجهة التى يسير لها السرير وهذا ابلغ فى الانس والاكرام (قوله لا يمسهم فيها نصب) اى اعياء بخلاف الدنيا ففيها الاعياء والتعب والكدرات والمشقات (قوله وماهم منها بمخرجين) اى بل هم خالدون فيها لا يزولون ولا يحولون فالجنة خلود بلا زوال وبقاء بلا فناء وكمال بلا نقصان (قوله نبئ عبادى الخ) اى اخبر يا محمد عبادى المؤمنين العاصين بانى انا الغفور الرحيم فلا يقنطون من رحمتى ولا يخافون عذابى وهذا من الله تعطف لعباده واستجلاب لهم للتوبة وقد أكد هذه الجملة بالفاظ ثلاثة أولها انى وثانيها أنا وثالثها تعريف الجملة بال ولما ذكر العذاب لم يقل وانى انا المعذب وهذا يدل على ان الرحمة تغلب الغضب فلا يستبعد العاصى رحمة الله بل يقبل على سيده بالتوبة والانابة فانه هو الغفور الرحيم فمتى كان فى العبد أوصاف متعددة تقتضى الغضب ووصف واحد يقتضى الرحمة فان وصف الرحمة يغلب (قوله وان عذابى هو العذاب الاليم) اى بهذه الآية لمناسبة ذكر النار أولا فقد ذكر النار والجنة ثم ذكر ما يناسب كلا على سبيل اللف والنشر المشوش واستفيد من هذه الآية ان العبد يكون بين الرجاء والخوف ففى الحديث عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه انه قال بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو يعلم العبد قدر عفو الله ماتورع عن حرام ولو يعلم قدر عذابه لجمع نفسه الى قتله وعنه صلى الله عليه وسلم انه مر بنفر من اصحابه وهم يضحكون فقال اتضحكون وبين ايديكم النار فنزل نبئ عبادى الخ (قوله ونبئهم عن ضيف ابراهيم) معطوف على قوله نبئ عبادى الخ والمعنى وأخبر عبادى عن قصة ضيوف ابراهيم الخ واعلم انه فى هذه السورة أثبت نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أولا ثم اتبع ذلك بذكر أدلة التوحيد ثم خلق آدم وما يتعلق به ثم بين اهل السعادة وأهل الشقاوة ثم اتبع ذلك بذكر قصص بعض الانبياء ليكون عبرة للمعتبرين وأوقع فى نفس المتعظين وقد ذكر هنا اربع قصص قصة ابراهيم ثم قصة لوط ثم قصة شعيب ثم صالح على سبيل الاختصار وقد تقدمت فى سورة هود بابسط مما هنا (قوله عن ضيف ابراهيم) الضيف فى الاصل الميل سمى النازل للقرى بذلك لميله اليك ونزوله عندك وهو مصدر يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث وقد يجمع ويثنى (قوله منهم جبريل) اى على كل من الاقوال الثلاثة (قوله اذ دخلوا) اذ ظرف معمول لمحذوف تقديره اذكر (قوله أى هذا اللفظ) أى لفظ سلاما وهو مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره سلمنا عليك

أى سلموا وادخلوا (آمنين) من كل فزع (ونزعنا مافى صدورهم من غل) حقد (اخوانا) حال من هم (على سرر متقابلين) حال ايضا أى لا ينظر بعضهم الى قفا بعض لدوران الاسرة بهم (لا يمسهم فيها نصب) تعب (وماهم منها بمخرجين) ابدا (نبئ) خبر يا محمد (عبادى انى انا الغفور) للمؤمنين (الرحيم) بهم (وان عذابى) للعصاة (هو العذاب الاليم) المؤلم (ونبئهم عن ضيف ابراهيم) وهم ملائكة اثنا عشر أو عشرة او ثلاثة منهم جبريل (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما) اى هذا اللفظ (قال) ابراهيم لما عرض عليهم الاكل فلم يأكلوا

(انا منكم وجلون) خائفون (قالوا لا توجل) تخف (انا) رسل ربك (نبشرك بغلام عليم) ذى علم كثير هو اسحق كما ذكر فى هود (قال ابشرتمونى) بالولد (على أن مسنى الكبر) حال اى مع مسه اياى (فبم) فباى شيء (تبشرون) استفهام تعجب (قالوا بشرناك بالحق) بالصدق (فلا تكن من القانطين) الآيسين (قال ومن) اى لا (يقنط) بكسر النون وفتحها (من رحمة ربه الا الضالون) الكافرون (قال فما خطبكم) شانكم (أيها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين) كافرين أى قوم لوط لاهلاكهم (الا آل لوط انا لمنجوهم أجمعين) لايمانهم (الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين) الباقين فى العذاب لكفرها (فلما جاء آل لوط) اى لوطا (المرسلون قال) لهم (انكم قوم منكرون) لا اعرفكم (قالوا بل جئناك بما كانوا) اى قومك (فيه يمترون) يشكون وهو العذاب (وأتيناك بالحق وانا لصادقون) فى قولنا (فاسر باهلك بقطع من الليل واتبع ادبارهم) امش خلفهم (ولا يلتفت منكم احد) لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم (وامضوا حيث تؤمرون) وهو الشام (وقضينا) أوحينا (اليه ذلك الامر) وهو (ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) حال اى يتم استئصالهم فى الصباح (وجاء اهل المدينة) مدينة سذوم وهم قوم لوط لما اخبروا ان فى بيت لوط مردا حسانا وهم الملائكة (يستبشرون) حال طمعا فى فعل فى

الفاحشة بهم (قال) لوط (ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون) بقصدكم اياهم بفعل الفاحشة بهم (قالوا أو لم ننهك عن العالمين) عن اضافتهم (قال هؤلاء بناتى ان كنتم فاعلين) ما تريدون من قضاء الشهوة فتزوجوهن قال تعالى

أو سلم الله عليك سلاما ولم يذكر هنا رد السلام ولا بقية القصة اختصارا (قوله انا منكم وجلون) تقدم ان سبب خوفه منهم انه رأى فيهم جلال الله وهيبته (قوله قالوا لا توجل) قرأ السبعة بفتح التاء والجيم وفعله وجل كعلم وقرئ شذوذا بالبناء للمفعول ولا تاجل بقلب الواو ألفا ولا تؤاجل بضم التاء وزيادة الف بمد الواو فالقرا آت الشاذة ثلاث (قوله أبشرتمونى) هكذا بهمزة الاستفهام فى قراءة الجمهور وقرئ شذوذا بحذفها فيحتمل الاخبار والاستفهام وحذفت أداته للعلم بها (قوله على ان مسنى الكبر) اى فكان عمره اذ ذاك مائة واثنتى عشرة سنة (قوله فبم تبشرون) الجار والمجرور متعلق بتبشرون وقدم لان الاستفهام له صدر الكلام وقرأ العامة بفتح النون مخففة على انها نون الرفع وقرأ نافع بكسرها مخففة وابن كثير بكسرها مشددة (قوله استفهام تعجب) اى من ان ولد له ولد مع مس الكبر اياه وتعجبه بالنظر للعادة لا بالنظر لقدرة الله تعالى ولذا دفع ذلك بقوله ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون (قوله قالوا بشرناك بالحق) اي اليقين الذى لا لبس فيه (قوله اى لا يقنط) اشار بذلك الى ان الاستفهام انكارى بمعنى النفى (قوله بكسر النون وفتحها) اى فهما قراءتان سبعيتان وقرئ شذوذا بضم النون (قوله قال فما خطبكم) اى الذى ارسلتم لاجله سوى البشارة فان البشارة يكفى فيها واحد فلا تحتاج لعدد (قوله الا آل لوط) يحتمل ان يكون مستثنى من الارسال والمعنى انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط فلم نرسل لهلاكهم بل ارسلنا لنجاتهم وحينئذ يكون الاستثناء متصلا او مستثنى من قوم مجرمين فهو منقطع لانهم لم يدخلوا فى القوم المجرمين ويشير للثانى قول المفسر لايمانهم (قوله الا امرأته) الاقرب انه مستثنى من ضمير منجوهم (قوله قدرنا) اسناد التقدير للملائكة مجاز اذ المقدر حقيقة هو الله تعالى وهذا كما يقول خواص الملك امرنا بكذا والآمر هو الملك (قوله الباقين فى العذاب) اى فيقال غبر الشيء بقى ويقال ايضا مضى فهو من الاضداد (قوله فلما جاء آل لوط) اى بعد ان خرجوا من عند ابراهيم وسافروا لقرية لوط وكان بينهما أربعة فراسخ (قوله اى لوطا) اشار بذلك الى ان لفظة آل زائدة بدليل الآية الاخرى ولما جاءت رسلنا لوطا (قوله منكرون) أى تنكركم نفسى وتجزع منكم وانما جزع منهم لخوفه من قومه عليهم بدليل آية هود ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب (قوله وأتيناك بالحق) الباء للملابسة اى ملتبسين بالحق (قوله فاسر باهلك) اى وهم بنتاه فلم يخرج من قريته الا هو وبنتاه (قوله بقطع من الليل) اى فى جزء منه (قوله امش خلفهم) اى لتطمئن عليهم (قوله لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم) اى فينزعج من ذلك (قوله وهو الشام) اى فطوى الله لهم الارض فى الوقت حتى نجوا ووصلوا الى ابراهيم (قوله اوحينا) أشار بذلك الى ان قضينا ضمن معنى أوحينا فعدى بما تعدى به (قوله وجاء اهل المدينة) الواو لا تقتضى ترتيبا ولا تعقيبا فان هذا المجيء قبل اعلام الملائكة له بانهم رسل الله فالقصة هنا على خلاف الترتيب الواقعى بخلافها فى هود (قوله مدينة سذوم) بالسين المهملة والذال المعجمة واخطأ من قال بالمهملة (قوله يستبشرون) اى يبشر بعضهم بعضا باضياف لوط وتقدم ان المخبر لهم بالضيوف امرأة لوط (قوله فلا تفضحون) اى لا تسيؤنى فيهم (قوله واتقوا الله) اى خافوا عقابه (قوله عن العالمين) اى عن تضييف احد من الغرباء وكانوا يمنعونه من مخالطة الناس واضافتهم خوفا من ان يؤلفهم ويستعين بهم عليهم (قوله فتزوجوهن) اى ان اسلمتم ويحتمل انه كان

(لعمرك) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اى وحياتك (انهم لفى سكرتهم يعمهون) يترددون (فاخذتهم الصيحة) صيحة جبريل (مشرقين) وقت شروق الشمس (فجعلنا عاليها) اى قراهم (سافلها) بان رفعها جبريل الى السماء وأسقطها مقلوبة الى الارض (وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل) طين طبخ بالنار (ان فى ذلك) المذكور (لآيات) دلالات على وحدانية الله (للمتوسمين) للناظرين (وانها) اى قرى قوم لوط (لبسبيل مقيم) طريق قريش الى الشام لم تندرس أفلا يعتبرون بهم (ان فى ذلك لآية) لعبرة (للمؤمنين وان) مخففة اى انه (كان أصحاب الايكة) هى غيضة شجر بقرب مدين وهم قوم شعيب (لظالمين) بتكذيبهم شعيبا (فانتقمنا منهم) بان أهلكناهم بشدة الحر (وانهما) اى قرى قوم لوط والايكة (لبامام) طريق (مبين) واضح أفلا تعتبرون بهم يا أهل مكة (ولقد كذب أصحاب الحجر) واد بين المدينة والشام وهم ثمود (المرسلين) بتكذيبهم صالحا لانه تكذيب لباقى الرسل لاشتراكهم فى المجئ بالتوحيد (وآتيناهم آياتنا) فى الناقة (فكانوا عنها معرضين) لا يتفكرون فيها (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين فاخذتهم الصيحة مصبحين) وقت الصباح (فما أغنى) دفع (عنهم) العذاب (ما كانوا يكسبون) من بناء الحصون وجمع الاموال (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لآتية) لا محالة فيجازى كل أحد بعمله (فاصفح) يا محمد عن قومك (الصفح الجميل) أعرض عنهم اعراضا لا جزع فيه وهذا منسوخ بآية السيف (ان ربك هو الخلاق) لكل شيء

فى شريعته يحل تزويج الكافر بالمسلمة وتقدم فى هود انه يحتمل ان المراد نساء أمته (قوله لعمرك) بفتح العين لغة فى العمر بضمتين وهو مدة حياة الانسان فى الدنيا ولكن لم يرد القسم فى كلام العرب الا بالفتح (قوله انهم) اى قوم لوط وقيل المراد قريش وعلى كل حال فهذه الجملة معترضة بين قصة قوم لوط (قوله اى وقت شروق الشمس) اى طلوعها وهذا بيان لانتهاء العذاب وابتداؤه كان وقت الصباح (قوله فجعلنا عاليها) اى وجه الارض وما عليه (قوله اى قراهم) اى وكانت أربعة فيها أربعمائة ألف مقاتل وقيل خمسة وفيها أربعة آلاف ألف (قوله وأمطرنا عليهم) تقدم فى هود أنه يحتمل ان المطر كان على من كان غائبا عن القرى ويحتمل أنه عليهم بعد قلبها بهم (قوله ان فى ذلك المذكور) اى من قصة ابراهيم ولوط (قوله للمتوسمين) اى المتفكرين الذين يتأملون الشئ فيعرفون حقيقته (قوله لم تندرس) اى آثارهم (قوله لعبرة للمؤمنين) خصوا بالذكر لانهم المنتفعون بذلك (قوله وان كان أصحاب الايكة) شروع فى ذكر قصة شعيب مع قومه أصحاب الايكة وذكرت هنا مختصرة وسيأتى بسطها فى سورة الشعراء (قوله مخففة) اى واسمها ضمير الشان وكان ناقصة وأصحاب الايكة اسمها والظالمين خبرها واللام للتوكيد والجملة خبر ان (قوله هى غيضة شجر) الغيضة فى الاصل اسم للشجر الملتف والمراد بها هنا المكان الذى فيه الشجر الكثير ونسبوا لها لملازمتهم لها واقامتهم عندها وكان عامة شجرهم المقل اى الدوم (قوله بتكذيبهم شعيبا) اى وبخسهم الكيل والميزان وقطعهم الطريق (قوله بشدة الحر) اى فسلطها الله عليهم سبعة أيام حتى قربوا من الهلاك فبعث الله لهم سحابة كالظلة فالتجؤا اليها واجتمعوا تحتها للتظلل بها فبعث الله عليهم منها نارا فاحرقتهم جميعا فاهلاكهم اولا بشدة الحر وثم بالظلة وأما اهل مدين فاهلكوا بالصيحة كما تقدم فى سورة هود من أنه أرسل لاهل مدين ولاصحاب الايكة (قوله طريق مبين) اى وسمى الطريق اماما لانه يؤم ويتبع لان الانسان اذا أراد الانتقال من موضع لآخر فانه يأتم بالطريق حتى يصل الى الموضع الذى يريده (قوله ولقد كذب أصحاب الحجر) شروع فى قصة صالح (قوله واد بين المدينة والشام) اى وآثاره باقية يمر عليها الذاهب من الشام للحجاز (قوله لانه تكذيب لباقى الرسل) جواب عما يقال لم جمع المرسلين مع انهم لم يكذبوا الا رسولا واحدا (قوله وآتيناهم) أضاف الايتاء لهم وان كان لصالح لانه مرسل لهم (فى الناقة) أشار بذلك الى ان الناقة وان كانت آية واحدة الا أنها اشتملت على آيات كخروجها من الصخرة وعظم جثتها وغزارة لبنها وولادتها فصيلا قدرها (قوله لا يتفكرون) اى لا يتأملون ولا ينظرون فيها (قوله وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا) اى ينقرون الجبال بالمعاول حتى تصير بيوتا من غير بنيان (قوله آمنين) اى من وصول اللصوص لهم ومن تخريب الاعداء لبيوتهم لشدة اتقانها (قوله فاخذتهم الصيحة) اى من السماء والزلزلة من الارض لما عقروا الناقة وتقدم فى هود ان صالحا قال لهم قبل نزول العذاب بهم تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام (قوله وقت الصباح) اى بعد مضى الثلاثة الايام (قوله ما كانوا يكسبون) ما اسم موصول أو مصدرية او نكرة موصوفة فاعل أغنى والتقدير الذى كانوا يكسبونه أو كسبهم او شئ يكسبونه (قوله من بناء الحصون الخ) بيان لما (قوله الا بالحق) اى الا خلقا ملتبسا بالحكمة والمصلحة والمنافع للعباد ودلائل على وحدانية الله (قوله وان الساعة) اى القيامة (قوله فيجازى كل واحد بعمله) اى فينتقم من المسىء وينعم على المحسن (قوله وهذا منسوخ) اى قوله فاصفح الصفح الجميل وهو احد قولين والثانى

ان الاية محكمة ولا ينافى امره بالقتال فان المقصود امره بان يصفح عن الخلق الصفح الجميل و يعاملهم بالخلق الحسن فيعفوعن المسيء و يسامح المذنب وان كان مامورا بقتال المشركين فقتاله للامر به لا لهوى نفسه ولذا قال البوصيرى

ولوان انتقامه لهوى النفس لدامت قطيعة وجفاء

(قوله ولقد آتيناك سبعا من المثانى) سبب نزولها ان سبع قوافل اتت من بصرى واذرعات فى يوم واحد ليهود قريظة والنضير فيها انواع من البز والطيب والجواهر فقال المسلمون لوكانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها وانفقناها فى سبيل الله فنزلت والمعنى قداعطيتكم سبع آيات هى خير لكم من سبع قوافل ان قلت ان مقتضى ذلك ان تكون الآية مدنية مع انه تقدم ان السورة مكية باجماع اجيب بانه لامانع ان هذه الآية نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة (قوله وهى الفاتحة) اى لانها سبع آيات فمن عد البسملة آية منها تكون الآية الاخيرة صراط الذين الخ ومن لم يعدها آية تكون السابعة قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين وهذا القول هو الراجح وعليه فيكون عطف قوله والقرآن العظيم من عطف الكل على الجزء أومن عطف العام على الخاص وقيل المراد بالسبع المثانى الحواميم وقيل السبع الطوال اولها البقرة وآخرها مجموع الانفال مع براءة وقيل جميع القرآن وعليه يكون العطف مرادفا (قوله لانها تثنى فى كل ركعة) اى تعاد فى كل ركعة وهذا احد الوجوه فى سبب تسميتها بالمثانى وقيل سميت بذلك لانها مقسومة بين العبد وبين الله نصفين فنصفها الاول ثناء على الله ونصفها الثانى دعاء وقيل لان كلماتها مثناة مثل قوله الرحمن الرحيم اياك نعبد واياك نستعين الى آخرها وقيل لانها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة معها سبعون الف ملك (قوله لا تمدن عينيك اى لا ترغب فيما متعنا به اصنافا من الكفار فانه مستحقر وفى الحديث عن ابى بكر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اوتى القرآن فرأى ان احدا اوتى من الدنيا افضل مما اوتى فقد صغر عظيما وعظم صغيرا (قوله ولا تحزن عليهم) اى لاجلهم (قوله ألن جانبك) اى تواضع لهم وارحمهم كالطائر الذى يخفض جناحه على افراخه رحمة بها وشفقة عليها وقد فعل صلى الله عليه وسلم ما امر به قال البوصيرى فى هذا المعنى

احل امته فى حرز ملته * كالليث حل مع الاشبال فى اجم

(قوله كما انزلنا) الكاف حرف تشبيه وجر وما اسم موصول فى محل جر والجار والمجرور متعلق بمحذوف والتقدير وقل انى انا النذير لكم بالعذاب كالعذاب الذى انزلناه على المقتسمين والماضى بمعنى المستقبل اذ الذى نزل باهل مكة لم يكن واقعا حين نزول الآية بل وقع بعد الهجرة وكذا ماوقع للمقتسمين طرق مكة لم يكن واقعا حينئذ بل وقع يوم بدر ان قلت ان العذاب المنذر به ينبغى تشبيهه بشيء قد وقع ليحصل به الاتعاظ اجيب بانه سهل ذلك تحتم نزوله فكانه واقع ولا بد وقد تحقق ذلك يوم بدر (قوله اليهود والنصارى) اى حيث اقتسموا كتبهم فآمنوا ببعضها الذى وافق هواهم وكفروا بالبعض الذى خالفه (قوله الذين جعلوا) بيان للمقتسمين (قوله القرآن) المراد به على هذا التفسير معناه اللغوى فحينئذ صح تفسير المفسر له بكتبهم المنزلة عليهم (قوله عضين) جمع عضة واصلها قيل عضو وقيل عضه فعلى الاول يكون من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء اى اجزاء متفرقة وعلى الثانى يكون من عضه اذا كذب والمعنى جعلوا القرآن اجزاء متفرقة اوجعلوه اكاذيب (قوله وقيل المراد بهم الذين اقتسموا طرق مكة) اى وهم ستة عشر رجلا بعثهم الوليد بن المغيرة ايام الموسم فاقتسموا اعقاب مكة وانقابها وفجاجها يقولون لمن سلكها لا تغتروا بهذا الخارج فينا يدعى النبوة فانه مجنون وربما قالوا ساحر وربما قالوا شاعر وربما قالوا كاهن وسموا بالمقتسمين لانهم اقتسموا هذه الطرق

(العليم) بكل شيء (ولقد آتيناك سبعا من المثانى) قال صلى الله عليه وسلم هى الفاتحة رواه الشيخان لانها تثنى فى كل ركعة (والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى مامتعنا به ازواجا) اصنافا (منهم ولا تحزن عليهم) ان لم يؤمنوا (واخفض جناحك) ألن جانبك (للمؤمنين وقل انى انا النذير) من عذاب الله ان ينزل عليكم (المبين) البين الانذار (كما انزلنا) العذاب (على المقتسمين) اليهود والنصارى (الذين جعلوا القرآن) اى كتبهم المنزلة عليهم (عضين) اجزاء حيث آمنوا ببعض وكفروا ببعض وقيل المراد بهم الذين اقتسموا طرق مكة يصدون الناس عن الاسلام

وقال بعضهم فى القرآن سحر وبعضهم كهانة وبعضهم شعر (فور بك لنسألنهم أجمعين) سؤال توبيخ (عما كانوا يعملون فاصدع) يامحمد (بما تؤمر) أى اجهر به وأمضه (واعرض عن المشركين) هذا قبل الامر بالجهاد (انا كفيناك المستهزئين) بك باهلاكنا كلا منهم بآفة وهم الوليد بن المغيرة والعاصي ابن وائل وعدى بن قيس والاسود بن المطلب والاسود بن عبد يغوث (الذين يجعلون مع الله الها آخر) صفة وقيل مبتدأ ولتضمنه معنى الشرط دخلت الفاء فى خبره وهو (فسوف يعلمون) عاقبة امرهم (ولقد) للتحقيق (نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون) من الاستهزاء والتكذيب (فسبح) متلبسا (بحمد ربك) أى قل سبحان الله وبحمده (وكن من الساجدين) المصلين (واعبد ربك

فاماتهم الله شر ميتة وكانوا نصبوا الوليد بن المغيرة حكما على باب المسجد فاذا سالوه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال صدق اولئك وماذكره المفسر قولان من سبعة ذكرها القرطبي (قوله وقال بعضهم) معطوف على اقتسموا فالضمير فى بعضهم عائد على الذين اقتسموا وهو اشارة الى ان المراد بالقرآن على هذا القول الكتاب المنزل على سيدنا محمد فجعلوه أجزاء حيث اختلفت أقوالهم فيه فقال بعضهم سحر وبعضهم كهانة او المراد جعلوا كاذيب فلم يؤمنوا به (قوله سؤال توبيخ) جواب عما يقال انه أثبت سؤالهم هنا ونفاه فى سورة الرحمن حيث قال فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان فحاصل الجواب ان المنفى هناك سؤال الاكرام والاحترام والمثبت هنا سؤال التوبيخ والتقريع (قوله فاصدع بما تؤمر) سبب نزولها ان رسول الله أول أمره كان يدعو الى الله مختفيا ويامر كل من آمن به بالاختفاء فلما نزلت هذه الآية أظهر أمره وبالغ فى اظهاره (قوله هذا قبل الامر بالجهاد) اى فتكون الآية منسوخة وقيل ليست منسوخة بل هى محكمة والمعنى لا تلتفت لهم ولا تبال بهم (قوله انا كفيناك المستهزئين) اى وهم جماعة من قومه كانوا يسخرون به ويبالغون فى ايذائه وانما عجلت لهؤلاء العقوبة لشدة ايذائهم لرسول الله وبغضهم له والا فالمستهزؤن كثير كابى لهب وزوجته وولده وابى جهل (قوله وهم الوليد بن المغيرة) أى وقد مر برجل نبال وهو يجر ازاره فتعلقت قطعة من النبل بازار الوليد فمنعه الكبر أن يطاطئ رأسه وينزعها فجعلت تضرب فى ساقه فخدشته فمرض منها فمات وقوله والعاص بن وائل خرج على راحلته يتنزه فدخل شعبا فدخلت شوكة فى اخمص رجله فانتفخت حتى صارت مثل عنق البعير فمات مكانه وقوله وعدى بن قيس الصواب الحرث بن قيس بن الطلاطلة كما ذكره فى الهمزية وشراحها والخازن وغيرهم من كتب التفسير وهلاكه بان صار القيح يجرى من أنفه وعينه وفمه حتى مات وقوله والاسود ابن المطلب رماه جبريل بورقة خضراء فذهب بصره ووجعت عينه فجعل يضرب برأسه الجدار حتى هلك وقوله والاسود بن عبد يغوث اصابه مرض الاستسقاء فمات به وقيل ان النبي شكا هؤلاء الخمسة لجبريل عليه السلام فكفاه الله شرهم وقد اجاد صاحب الهمزية حيث قال فى حقهم

وكفاه المستهزئين وكم سا * ء نبيا من قومه استهزاء
ورماهم بدعوة من فناء الـ * ـبيت فيها للظالمين فناء
خمسة كلهم اصيبوا بداء * والردى من جنوده الادواء
فدهى الاسود بن مطلب أى * عمى ميت به الاحياء
ودهى الاسود بن عبد يغوث * أن سقاه كاس الردى استسقاء
واصاب الوليد خدشة سهم * قصرت عنها الحية الرقطاء
وقضت شوكة على مهجة العا * ص فلله النقعة الشوكاء
وعلى الحرث القيوح وقد سا * ل بها رأسه وساء الوعاء
خمسة طهرت بقطعهم الار * ض فكف الاذى بهم شلاء

(قوله الذين يجعلون مع الله الها آخر) أى يشركون فى عبادته غيره (قوله فسوف يعلمون) هذا تهديد ووعيد لهم (قوله بما يقولون) أى بسبب قولهم وتكلمهم فى شانك فان شان ذلك يضيق منه الصدر بحسب الطبيعة البشرية (قوله فسبح بحمد ربك) اى فافزع الى ربك والتجئ اليه يكفك مايهمك من امور الدنيا والآخرة ففى الحديث اعمل لوجه واحد يكفك كل الاوجه (قوله اى قل سبحان الله وبحمده) أى تنزيها له عن كل نقص واتصافا له بكل كمال (قوله المصلين) اشار بذلك الى أن الكلام فيه مجاز من اطلاق الجزء على الكل وخص السجود بالذكر لانه اشرف اركانها (قوله واعبد ربك) عطف عام على

خاص والمعنى دم على عبادته (قوله حتى يأتيك اليقين) اى اعبد ربك فى جميع زمن حياتك ولا تخل لحظة من عمرك من غير عبادة فان العمر ساعة فاجعله طاعة وهذا الخطاب وان كان للنبي الا ان المراد منه العموم (قوله الموت) أى وسمي يقينا لانه متيقن الوقوع والنزول

﴿ سورة النحل مكية ﴾

سميت بذلك لذكر قصة النحل فيها على سبيل العبرة العظيمة وتسمى ايضا سورة النعم لكثرة تعداد النعم فيها والمقصود من ذكر هذه السورة الدلالة على اتصافه تعالى بكل كمال وتنزيهه عن كل نقص وأدل ما فيها على هذا المعنى امر النحلة وشانها فى دقة فهمها واتخاذها البيت واختلاف الوان ما يخرج منها وجعله شفاء مع اكلها من كل الثمرات النافعة والضارة الحلوة والمرة وغير ذلك (قوله الا وان عاقبتم) فانها نزلت بالمدينة فى قتل الحمزة وظاهر المفسر انه لم يكن منها مدنى الا تلك الآيات وهو المشهور وقيل مكية الا خمس آيات هؤلاء الثلاثة وقوله والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا وقوله ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا وقيل غير ذلك (قوله لما استبطأ المشركون العذاب الخ) قال ابن عباس لما نزل قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر قال الكفار بعضهم لبعض ان هذا الرجل يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما كنتم عليه حتى تنظروا ما هو كائن فلما رأوا أنه لا ينزل شيء قالوا ما نرى شيئا فنزل اقترب للناس حسابهم فاشفقوا فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيأ مما تخوفنا به فنزل أتى امر الله فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم وظنوا أنها قد جاءت حقيقة فنزل فلا تستعجلوه فاطمأنوا (قوله اى الساعة) مشي المفسر على ان المراد بامر الله القيامة وهو احد قولين وقيل المراد بامر الله عقوبة المكذبين فى الدنيا بالسيف (قوله وأتى بصيغة الماضى) أى على سبيل المجاز ففى الكلام استعارة تبعية حيث شبه الاتيان فى المستقبل بالاتيان فى الماضى بجامع تحقق الحصول فى كل واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من الاتيان فى الماضي اتى بمعنى ياتى (قوله فانه واقع لا محالة) أى ولا مفر لكم منه (قوله عما يشركون) تنازعه كل من سبحانه وتعالى وقوله غيره قدره اشارة الى ان مفعول يشركون محذوف (قوله اى جبريل) اى وجمع تعظيما له (قوله بالوحى) اى وسمي روحا لان به حياة القلوب الناشيء عنه السعادة الابدية ومن حاد عنها فهو هالك كما ان الروح بها حياة الاجسام وهى بدونها هالكة (قوله بارادته) اشار بذلك الى أن المراد بالامر الارادة ومن بمعنى الباء (قوله ان مفسرة) اى وضابطها تقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه وهو قوله ينزل الملائكة بالروح (قوله خوفوا الكافرين) أى بعد اعلامهم بالتوحيد (قوله بالعذاب) قدره اشارة الى ان معمول الانذار محذوف وقوله انه لا اله الا انا معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله وأعلموهم (قوله فاتقون) اى امتثلوا أوامرى واجتنبوا نواهى ففيه تنبيه على الاحكام الفرعية بعد التنبيه على التوحيد (قوله أى محقا) اشار بذلك الى ان الجار والمجرور فى محل نصب على الحال (قوله تعالى عما يشركون) اى تنزه عن اشراكهم به غيره (قوله خالق الانسان) أى غير آدم (قوله من نطفة) من لابتداء الغاية وقوله الى ان صيره قويا شديدا قدره جوابا عما يقال ان كونه خصيما مبينا لا يكون عقب خلقه من نطفة بل بعد قوته وشدته (قوله فى نفى البعث) فى للسببية والمعنى انه يخاصم ويجادل بسبب كونه منكرا للبعث (قوله قائلا من يحيي العظام الخ) اشار بذلك الى ما روى ان أبى ابن خلف جاء بالعظم الرميم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اتظن ان الله يحيي هذا بعد ما رم قال صلى الله عليه وسلم نعم ففى هذه الآية رد على هذا الكافر ومن حذا حذوه (قوله والانعام خلقها) هذا من جملة أدلة توحيده وتعداد نعمه وذلك أن الله تعالى لما ذكر خلق السموات والارض اتبعه بذكر خلق

حتى يأتيك اليقين) الموت

﴿ سورة النحل مكية الا وان عاقبتم الى آخرها مائة وثمان وعشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) لما استبطأ المشركون العذاب نزل (أتى امر الله) أى الساعة وأتى بصيغة الماضى لتحقق وقوعه أى قرب (فلا تستعجلوه) تطلبوه قبل حينه فانه واقع لا محالة (سبحانه) تنزيها له (وتعالى عما يشركون) به غيره (ينزل الملائكة) أى جبريل (بالروح) بالوحى (من امره) بارادته (على من يشاء من عباده) وهم الانبياء (أن) مفسرة (أنذروا) خوفوا الكافرين بالعذاب واعلموهم (أنه لا اله الا انا فاتقون) خافون (خلق السموات والارض بالحق) اى محقا (تعالى عما يشركون) به من الاصنام (خلق الانسان من نطفة) منى الى ان صيره قويا شديدا (فاذا هو خصيم) شديد الخصومة (مبين) بينها فى نفى البعث قائلا من يحيي العظام وهى رميم (والانعام) الابل والبقر والغنم ونصبه بفعل مقدر يفسره (خلقها

الانسان ثم بذكر مايحتاج اليه فى ضروراته من أكل ولبس فذكر الانعام التى يكون منها ذلك (قوله فى جملة الناس) اشار بذلك الى ان الخطاب فى لكم لقريش ولو حمل على العموم كما هو الواقع لاستغنى عن ذلك (قوله فيها دفء) هو بوزن حمل يطلق على كل ما يستدفأ به من ملبوس وما كول (قوله واصوافها) أى وأوبارها (قوله ومنافع) عطف عام على خاص (قوله والدر) أى اللبن (قوله والركوب) اى بالنسبة للمجموع (قوله للفاصلة) اى لا للحصر فان الانسان قديا كل من غيرها وليس منهيا عنه قال تعالى قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق (قوله ولكم فيها) اى الانعام (قوله حين تريحون) قدم الاراحة على التسريح مع انه خلاف الواقع لان الجمال فى الرواح اعظم منه فى وقت التسريح لان النعم تقبل من المرعى مملوءة البطون حافلة الضروع فيفرح اهلها بها بخلاف تسريحها الى المرعى فانها تخرج جائعة البطون ضامرة الضروع وأكثر ماتكون هذه الاراحة أيام الربيع لحسن النعم اذذاك (قوله وتحمل) اى النعم والمراد بها خصوص الابل (قوله اثقالكم) جمع ثقل وهو مايحتاج اليه من آلات السفر والاحمال الثقيلة (قوله الى بلد لم تكونوا بالغيه الخ) المراد أى بلد بعيد مكة أو غيرها وقال ابن عباس اريد بها اليمن ومصر والشام وقال عكرمة مكة والظاهر انه عام لكل بلد بعيد كما علمت (قوله الا بشق الانفس) اى تعبها (قوله والخيل) معطوف على الانعام ولذا قدر المفسر خلق (قوله والبغال) جمع بغل وهو المتولد بين الخيل والحمير (قوله مفعول له) اى لاجله وجر الاول باللام لان الفاعل مختلف ففاعل الخلق هو الله وفاعل الركوب المخلوق (قوله بهما) اى الركوب والزينة (قوله لاينافى خلقها لغير ذلك) اى فلا يفيد الحصر فى الركوب والزينة بل خلقها للاكل ايضا وبذلك أخذ الشافعى واما عند الائمة الثلاثة فاكل الخيل حرام كباقى الدواب واستدلوا بان منفعة الاكل أعظم من منفعة الركوب فلو كان أكل لحوم الخيل جائزا لكان اولى بالذكر فلما لم يذكره الله علمنا تحريمه ولان الله خص الانعام بالاكل حيث قال ومنها تاكلون وخص هذه بالركوب فقال لتركبوها فعلمنا انها مخلوقة للركوب لا للاكل وفى الحقيقة الآية ليست صريحة فى نهى ولا جواز وانما مستند الائمة السنة فمن حرم لحم الخيل حمل الحديث الصحيح على النسخ او الاضطرار ومن جوزها قال الاصل عدم الاضطرار او النسخ (قوله بحديث الصحيحين) أى وهو ماروى عن اسماء بنت أبى بكر الصديق قالت نحرنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا ونحن بالمدينة فاكلناه (قوله من الاشياء العجيبة) اى كالطيور والسباع والوحوش وغيرها من الحيوانات (قوله وعلى الله) اى تفضلا واحسانا (قوله اى الطريق المستقيم) اى طريق الهدى والحق وتبيينها بارسال الرسل وانزال الكتب (قوله ومنها جائر) اى سبيل جائر وهو سبيل الضلال والكفر والجور العدول عن الاستقامة (قوله ولو شاء لهداكم اجمعين) اى وصلكم الى الطريق المستقيم باجمعكم ولكنه لم يشأ ذلك فلم يحصل لما سبق فى علمه ان الجنة لها اهل وان النار لها اهل (قوله هو الذى انزل من السماء ماء) لما ذكر سبحانه وتعالى منته على بنى آدم بخلق الحيوانات الخاصة بهم اعقبه بذكر نعمة عامة لكل الحيوانات آدميين وغيرهم وهى انزال الماء من السماء الناشىء عنه النباتات التى ينتفع بها جميع الحيوانات (قوله لكم) الجار والمجرور صفة لماء وقوله منه شراب ومبتدأ وخبر ان قلت انه ليس خاصا ببنى آدم بل هو عام لكل حيوان اجيب بان بنى آدم هم المقصودون بالذات وغيرهم بالتبع والضمير فى منه عائد على الماء اى تشربون من ماء السماء ان قلت ان غالب الشرب يكون من السحاب والانهار والعيون وهى بالارض اجيب بان اصل الماء الكائن فى الارض من السماء لقوله تعالى وأنزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه فى الارض (قوله ومنه شجر) المراد بالشجر هنا مطلق النبات سواء كان له ساق ام لا (قوله ينبت بسببه) اشار بذلك الى ان من الثانية للسببية واما الاولى فهى ابتدائية (قوله ينبت لكم به الزرع)

لكم) فى جملة الناس (فيها دفء) ما تستدفؤن به من الاكسية والاردية من اشعارها واصوافها (ومنافع) من النسل والدر والركوب (ومنها تاكلون) قدم الظرف للفاصلة (ولكم فيها جمال) زينة (حين تريحون) تردونها الى مراحها بالعشى (وحين تسرحون) تخرجونها الى المرعى بالغداة (وتحمل أثقالكم) احمالكم (الى بلد لم تكونوا بالغيه) واصلين اليه على غير الابل (الا بشق الانفس) بجهدها (ان ربكم لرؤف رحيم) بكم حيث خلقها لكم (و) خلق (الخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة) مفعول له والتعليل بهما لتعريف النعم لا ينافى خلقها لغير ذلك كالاكل فى الخيل الثابت بحديث الصحيحين (ويخلق مالا تعلمون) من الاشياء العجيبة الغريبة (وعلى الله قصد السبيل) اى بيان الطريق المستقيم (ومنها) اى السبيل (جائر) حائد عن الاستقامة (ولو شاء) هدايتكم (لهداكم) الى قصد السبيل (اجمعين) فتهتدون اليه باختيار منكم (هو الذى انزل من السماء ماء لكم منه شراب) تشربونه (ومنه شجر) ينبت بسببه (فيه تسيمون) ترعون دوابكم (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب

ومن كل الثمرات ان فى ذلك) المذكور (لآية) دالة على وحدانيته تعالى (لقوم يتفكرون) فى صنعه فيؤمنون (وسخر لكم الليل والنهار والشمس) بالنصب عطفا على ماقبله والرفع مبتدأ (والقمر والنجوم) بالوجهين (مسخرات) بالنصب حال والرفع خبر (بامره) بارادته (ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) يتدبرون (و) سخر لكم (ماذرأ) خلق (لكم فى الارض) من الحيوان والنبات وغير ذلك (مختلفا ألوانه) كأحمر وأصفر وأخضر وغيرها (ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون) يتعظون (وهو الذى سخر البحر) ذلله لركوبه والغوص فيه (لتاكلوا منه لحما طريا) هو السمك (وتستخرجوا منه حلية تلبسونها) هى اللؤلؤ والمرجان (وترى) تبصر (الفلك) السفن (مواخر فيه) تمخر الماء أى تشقه بجريها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة (ولتبتغوا) عطف على لتاكلوا تطلبوا (من فضله) تعالى بالتجارة (ولعلكم تشكرون) الله على ذلك (وألقى فى الارض رواسى) جبالا ثوابت (ا) ن) لا (تميد) تتحرك (بكم و) جعل فيها (أنهارا) كالنيل (وسبلا) طرقا (لعلكم تهتدون) الى مقاصدكم (وعلامات) تستدلون بها على الطرق كالجبال بالنهار (وبالنجم) بمعنى النجوم (هم يهتدون) الى الطرق والقبلة بالليل (افمن يخلق) وهو الله (كمن لايخلق) وهو الاصنام حيث تشركونها معه فى العبادة لا (أفلا تذكرون) هذا فتؤمنون (وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها) تضبطوها فضلا أن تطيقوا شكرها (ان الله لغفور رحيم) حيث ينعم عليكم مع تقصيركم وعصيانكم (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون والذين تدعون) بالتاء والياء تعبدون (من دون الله) وهم الاصنام

المراد به الحب الذى يقتات وقدمه لان به قوام البدن وثنى بالزيتون لانه ادام ودهن وثلث بذكر النخيل لانه غذاء وتفكه وأخر الاعناب لانها تشبه النخيل فى ذلك (قوله ومن كل الثمرات) عطف عام على خاص (قوله المذكور) أى من انزال الماء وانبات النبات (قوله لآية) ذكر لفظ الآية فى هذه السورة سبع مرات خمس بالافراد وثنتان بالجمع والحكمة فى ذلك أن ماجاء بلفظ الافراد فباعتبار المدلول الذى هو وحدانية الحق وماجاء بلفظ الجمع فباعتبار الدليل فان فى كل شئ آية تدل على أنه الواحد (قوله وسخر لكم الليل والنهار) لما ذكر النعم الكائنة فى العالم السفلى أعقبه بذكر النعم الكائنة فى العالم العلوى وكل ذلك لنفع العالم وتمام نظامه (قوله بالنصب) اى ففى الشمس والقمر والنجوم ومسخرات قراءتان سبعيتان الرفع والنصب (قوله مسخرات بامره) أى مذللات بارادته فهو سبحانه وتعالى المؤثر فى العالم العلوى والسفلى فلا تتحرك ذرة فى الدنيا ولا تسكن الا بتأثير الله فيها وانما هذه الاشياء أسباب عادية يوجد النفع عندها لا بها ففى هذه الآية رد على القائلين ان العالم العلوى هو المؤثر فى العالم السفلى بطبع أو علة (قوله بالنصب حال) أى مؤكدة لعاملها وهو سخر (قوله لقوم يعقلون) عبر هنا بالعقل اشارة الى أن العالم العلوى مغيب عن الابصار فيحتاج المتامل فيه لمزيد العقل بخلاف العالم السفلى فهو مشاهد فيكفى فيه أدنى تامل وتعقل والاسلم أن يقال ان التغاير فى هذا وماقبله ومابعده تفنن فى التعبير دفعا للثقل واشارة الى أن من اتصف بواحد منها فقد اتصف بجميعها (قوله وماذرأ) معطوف على الليل ولذا قدر المفسر الفعل (قوله من الحيوان والنبات) فهى مذللة لبنى آدم ينتفعون بها ولا يعجزون عنها (قوله وغير ذلك) أى كالاحجار والمعادن والانهار (قوله مختلفا ألوانه) أى وطعومه (قوله وهو الذى سخر البحر) أى عذبا وملحا (قوله لركوبه) أى بالسفن والعوم (قوله والغوص) أى النزول فيه (قوله لحما طريا) وصف بالطراوة لانه يسرع اليه الفساد وحكمة ذلك انتفاع الناس به وعدم عزته عن الفقراء والا فلو كان يمكث من غير فساد لادخره الاغنياء وحرموا منه الفقراء (قوله وتستخرجون منه) أى البحر وهو الملح فقط (قوله والمرجان) هو عروق حمر تطلع من البحر كاصابع الكف (قوله عطف على لتاكلوا) أى وما بينهما اعتراض (قوله بالتجارة) أى فيسافرون لها فى البحر ويقدمون فى أقل زمن (قوله ان تميد) قدر المفسر لا ليصح الكلام لان جعل الجبال فى الارض لاجل عدم الميد لا لاجل حصوله والمراد بالميد الميل والتحرك والاضطراب (قوله طرقا) أى فى الجبال (قوله وعلامات) أى أمارات (قوله وبالنجم) المراد به الثريا وبنات نعش والفرقدان والجدى فيهتدى بها الى الطريق والقبلة (قوله أفمن يخلق كمن لا يخلق) أى أتسوون بين الخالق لتلك الاشياء العظيمة والنعم الفخيمة وبين من لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فضلا عن غيره والكلام على القلب والتقدير أفمن لا يخلق كمن يخلق لانهم يشبهون من لا يخلق بمن يخلق فى العبادة وانما اتى بالعبارة مقلوبة زيادة فى التشنيع عليهم (قوله لا) اشار بذلك الى ان الاستفهام انكارى (قوله وان تعدوا نعمة الله) هذا تذكير اجمالى بعد تفصيل بعض النعم (قوله حيث ينعم عليكم مع تقصيركم) اى ولم يقطع نعمه عنكم بسبب ذلك بل وسعها عليكم (قوله والله يعلم ما تسرون وما تعلنون) أى ما تخفون من العقائد والاعمال وما تظهرونه من ذلك (قوله بالياء والتاء) فهما قراءتان سبعيتان فى قوله تدعون فقط وأما تسرون وتعلنون فبالتاء الفوقية

سبعية

سبعية والياء التحتية شاذة (قوله لايخلقون شيا وهم يخلقون) ليس تكرارا مع قوله أفمن يخلق كمن لا يخلق لانه أولا أفاد أنهم لايخلقون شيا وهنا افاد أنهم مع كونهم لم يخلقوا شيا هم مخلوقون ففيه زيادة فائدة (قوله خبر ثان) أي والاول قوله يخلقون وقوله ومايشعرون خبر ثالث (قوله أي الخلق) ويصح ان يعود الضمير على الاصنام والمعنى ان الاصنام لا تشعر متى يبعثها الله قال ابن عباس ان الله تعالى يبعث الاصنام لها أرواح ومعها شياطينها فتتبرأ من عابديها فيامر الله بالكل الى النار (قوله الهكم اله واحد) هذا نتيجة ماقبله أي فحيث ثبت انه الخالق لتلك الاشياء المتقدم ذكرها فقد تقرر أنه المعبود المتصف بالوحدة في الذات والصفات والافعال فلاشريك له فيها (قوله فالذين لا يؤمنون بالآخرة) أي لا يصدقون بها وبما يحصل فيها من بعث وحساب وجزاء وهذا نتيجة قوله أتى أمر الله فلا تستعجلوه وحينئذ فيكون المعنى أتى أمر الله فآمنوا وصدقوا أخبارنا ولا تنكروها فالذين لا يؤمنون الخ (قوله متكبرون) أشار بذلك الى ان السين مزيدة للتوكيد (قوله لاجرم) تقدم ان فيها ثلاثة اوجه احسنها ان لا نافية ومنفيها محذوف وجرم فعل ماض بمعنى حق وثبت وان ومادخلت عليه في محل رفع فاعل وحينئذ يصير المعنى لاعبرة بانكار الكفار واستكبارهم بل حق وثبت علم الله بما يسرونه ومايعلنونه وعلى هذا فقول المفسر حقا مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره حق حقا (قوله بمعنى انه يعاقبهم) روى عن الحسين بن على أنه مر بمساكين قد قدموا كسرا لهم وهم يا كلون فقالوا الفداء يا أبا عبد الله فنزل وجلس معهم وقال انه لا يحب المستكبرين ثم اكل فلما فرغوا قال قد اجبتكم فاجيبوني فقاموا معه الى منزله فاطعمهم وسقاهم واعطاهم فانصرفوا وفي الحديث ان المتكبرين يحشرون أمثال الذر يوم القيامة تطؤهم الناس باقدامهم لتكبرهم (قوله ونزل في النضر بن الحرث) أي في شانه وسببه وكان عنده كتب التواريخ ويزعم ان حديثه احسن مما أنزل على محمد (قوله واذا قيل لهم) القائل يحتمل ان يكون المسلمين اوالوافد عليهم او بعضهم لبعض على سبيل التهكم فان الكفار لا يقرون بانه منزل من عند الله (قوله اساطير الاولين) جمع أسطورة كاحاديث واكاذيب وأعاجيب جمع احدوثة واكذوبة واعجوبة (قوله اضلالا للناس) علة للقول (قوله في عاقبة الامر) أشار بذلك الى ان اللام في ليحملوا لام العاقبة والصيرورة والمعنى انهم لما وصفوا القرآن بكونه اساطير الاولين كان عاقبتهم بذلك حملهم ذنوبهم (قوله كاملة) أي وبلاياهم التي اصابتهم في الدنيا لا تكفر عنهم شيا يوم القيامة بل يعاقبون على جميع اوزارهم بخلاف بلايا المؤمنين فانها تكفير لذنوبهم اورفع درجات لهم فالبلايا للمجرمين عقوبات وللابرار مكفرات وللعارفين درجات فقد يكون السابق في علمه تعالى ان العارف لاينال تلك الدرجة الا بمحنة فيوصلها الله له لينال تلك الدرجة (قوله ومن اوزار الذين يضلونهم) أي ويحصل للرؤساء الذين اضلوا غيرهم بعض اوزار الاتباع وهو السبب هذا ما قرره المفسر تبعا للبيضاوي وهو خلاف التحقيق بل التحقيق ان من بمعنى مثل والمعنى ان على الرؤساء مثل اوزار الاتباع ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من يتبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيا ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من يتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيا (قوله بغير علم) اماحال من المفعول أي يضلون الاتباع حال كون الاتباع غير عالمين بان الرؤساء في ضلال بل يعتقدون أنهم على خير حيث قلدوهم أومن الفاعل والمعنى يضلون غيرهم حال كونهم غير عالمين بما يستحقونه من العذاب في مقابلة ضلالهم واضلالهم (قوله فاشتركوا في الاثم) اى العقوبة فعقوبة المتبوعين بضلالهم واضلالهم وعقوبة التابعين بالمطاوعة والتقليد ولا يعذرون بالجهل (قوله ألا ساء مايزرون) ساء فعل ماض لانشاء الذم كبئس وما اسم موصول ويزرون صلته اونكرة موصوفة ويزرون صفة لها والعائد على كل محذوف والتقدير يزرونه والمخصوص بالذم محذوف كما اشار له المفسر

(لا يخلقون شيا وهم يخلقون) يصورون من الحجارة وغيرها (أموات) لا روح فيهم خبر ثان (غير احياء) تاكيد (وما يشعرون) اى الاصنام (ايان) وقت (يبعثون) اى الخلق فكيف يعبدون اذ لا يكون الها الا الخالق الحي العالم بالغيب (الهكم) المستحق العبادة منكم (اله واحد) لا نظير له في ذاته ولا في صفاته وهو الله تعالى (فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) جاحدة للوحدانية (وهم مستكبرون) متكبرون عن الايمان بها (لاجرم) حقا (ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) فيجازيهم بذلك (انه لا يحب المستكبرين) بمعنى انه يعاقبهم * ونزل في النضر ابن الحرث (واذا قيل لهم ما) استفهامية (ذا) موصولة (انزل ربكم) على محمد (قالوا) هو (اساطير) اكاذيب (الاولين) اضلالا للناس (ليحملوا) في عاقبة الامر (اوزارهم) ذنوبهم (كاملة) لم يكفر منها شيء (يوم القيامة ومن) بعض (اوزار الذين يضلونهم بغير علم) لانهم دعوهم الى الضلال فاتبعوهم فاشتركوا في الاثم (الا ساء) بئس (مايزرون) يحملونه حملهم هذا

وهو نمروذ بنى صرحا طويلا ليصعد منه الى السماء ليقاتل اهلها (فاتى الله) قصد (بنيانهم من القواعد) الاساس فارسل عليه الريح والزلزلة فهدمتها (فخر عليهم السقف من فوقهم) أى وهم تحته (واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) من جهة لا تخطر ببالهم وقيل هذا تمثيل لافساد ما ابرموه من المكر بالرسل (ثم يوم القيامة يخزيهم) يذلهم (ويقول) لهم الله على لسان الملائكة توبيخا (أين شركائى) بزعمكم (الذين كنتم تشاقون) تخالفون المؤمنين (فيهم) فى شانهم (قال) اى يقول (الذين اوتوا العلم) من الانبياء والمؤمنين (ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين) يقولونه شماتة بهم (الذين تتوفاهم) بالتاء والياء (الملائكة ظالمى انفسهم) بالكفر (فالقوا السلم) انقادوا واستسلموا عند الموت قائلين (ما كنا نعمل من سوء) شرك فتقول الملائكة (بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون) فيجازيكم به ويقال لهم (فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى) ماوى (المتكبرين وقيل للذين اتقوا) الشرك (ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين احسنوا) بالايمان (فى هذه الدنيا حسنة) حياة طيبة

بقوله حملهم هذا (قوله قد مكر الذين من قبلهم) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله وهو نمروذ) بضم النون وبالذال المعجمة وهو ابن كنعان وكان يدعى الالوهية وكان أعظم اهل الارض تجبرا (قوله بنى صرحا طويلا) أى ببابل وكان طوله لجهة السماء خمسة آلاف ذراع وقيل كان طوله فرسخين (قوله الاساس) بكسر الهمزة جمع أس بضمها كرماح جمع رمح أو فتحها جمع أسس بضمتين كعنق وأعناق (قوله فارسل عليه الريح والزلزلة فهدمتها) أى فقصفته وألقت رأسه فى البحر وخر عليهم الباقى فاهلكهم وهم تحته (قوله فخر عليهم السقف من فوقهم) أى سقط ونزل عليهم (قوله أى وهم تحته) تفسير لقوله من فوقهم ودفع بقوله من فوقهم ما يتوهم انهم لم يكونوا تحته (قوله وقيل هذا تمثيل لافساد ما أبرموه) أى فان الآية محمولة على العموم وليس هناك بناء حقيقة بل هى مثل ضربه الله للذين مكروا بانبياء الله فاهلكهم الله بمكرهم فمثلهم بقوم بنوا بنيانا شديدا فانهدم ذلك البنيان وسقط عليهم فاهلكهم (قوله على لسان الملائكة) مرور منه على القول بان الله لا يكلم الكفار وقيل ان الله يكلمهم وقوله تعالى ولا يكلمهم الله يوم القيامة أى كلام رحمة وتعظيم (قوله أين شركائى) اى ما لهم لا يحضرون معكم ليدفعوا عنكم ما نزل بكم من العذاب (قوله تشاقون) بفتح النون وكسرها قراءتان سبعيتان وقرئ شذوذا بكسر النون مع التشديد والاصل تشاقوننى فادغم (قوله تخالفون المؤمنين) أى تنازعونهم فى شانهم (قوله قال الذين أوتوا العلم) اى وهم فى الموقف (قوله شماتة بهم) اى فرحا بما حصل لهم جزاء لاستهزائهم بالمؤمنين فى الدنيا فاذا كان يوم القيامة وظهر اهل الحق وأكرموا بانواع الكرامات وعذب اهل الباطل بانواع العذاب فعند ذلك يفرح المؤمنون بذلك ويقول رؤساء المؤمنين ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين (قوله بالياء والتاء) اى فيهما قراءتان سبعيتان لكنه مع الياء يقرأ بالامالة والملائكة فاعل والمراد بهم عزرائيل وأعوانه وانما أنث الفعل على قراءة التاء لان لفظ الجمع مؤنث (قوله ما كنا نعمل من سوء) انما أنكروا ذلك رجاء ان يقبلوا (قوله ويقال لهم) أى عند خروج ارواحهم وحينئذ فيكون المراد بالدخول شهود ارواحهم دار العذاب او يوم القيامة والدخول على حقيقته (قوله أبواب جهنم) أى طبقاتها والمعنى ليدخل كل صنف الطبقة التى اعدت له (قوله فلبئس مثوى المتكبرين) أى مقامهم ومنزلهم والمخصوص بالذم محذوف تقديره هو (قوله وقيل للذين اتقوا) مقابل قوله واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا اساطير الاولين والقائل وفود العرب القادمين على مكة للبحث عن حال القرآن وحال محمد فكانوا اذا صادفوا المسلمين سالوهم وقالوا لهم ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا واذا صادفوا الكفار سالوهم وقالوا ماذا أنزل ربكم قالوا اساطير الاولين فكل اناء بالذى فيه ينضح (قوله ماذا انزل ربكم) ماذا بتمامها اسم استفهام مفعول مقدم لانزل وحينئذ فتكون الجملة فعلية وهو انسب ليطابق الجواب السؤال فان الجواب جملة فعلية ايضا لان خيرا مفعول بفعل محذوف تقديره انزل خيرا بخلاف ما تقدم فان ما اسم استفهام وذا اسم موصول وانزل صلته فالجملة اسمية لمطابقة الجواب فانه مرفوع باتفاق السبع وما هنا منصوب باتفاق السبع والحكمة فى رفع الاول ونصب الثانى الفرق بين جواب المقر حيث طابق بين السؤال والجواب فجملهما من جنس واحد وجواب الجاحد حيث عدل عن السؤال فقال هو أساطير الاولين وليس من الانزال فى شئ (قوله للذين احسنوا) هذا بيان لقوله خيرا كانهم قالوا أنزل ربنا من احسن فى الدنيا بالطاعة فله حسنة فى الدنيا وحسنة فى الآخرة (قوله حياة طيبة) اى وهى تختلف باختلاف الاقبال على الله وعدمه فكلما ازداد العبد فى الاقبال على ربه طابت حياته فيزداد ترقيا فى القرب والمحبة والعلوم والمعارف والمشاهدة وغير ذلك من الكرامات التى تحصل له فى الدنيا وما خفى كان أعظم قال تعالى لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى

الآخرة (قوله ولدار الآخرة) اللام موطئة لقسم محذوف أو للابتداء مؤكدة (قوله خير من الدنيا وما فيها) اى ولو حصل له فى الدنيا غاية الرفعة والعز واسم التفضيل على بابه ان اعطى العبد النعيم فى الجنة وليس على بابه ان لم يكن من اهل الجنة اذ لا خير فى لذة بعدها النار بل كل من عظم تنعمه فى الدنيا ولم يكن مرضيا عليه فتنعمه زيادة فى عذابه قال تعالى يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم وقال تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم (قوله قال تعالى) انما قال ذلك اشارة الى ان جواب المؤمنين تم بقوله ولدار الآخرة خير قوله ولنعم دار المتقين ثناء ومدح من الله لدار الآخرة التى هى خير (قوله هى) قدره اشارة الى ان المخصوص بالمدح محذوف (قوله جنات عدن) اى اقامة لا يطرأ عليها زوال ولا فناء بل هى دائمة باهلها على سبيل التابيد (قوله تجرى من تحتها الانهار) اى من تحت قصورها وغرفها قال تعالى من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الانهار والمراد بالانهار المذكورة فى قوله تعالى فيها انهار من ماء غير آسن الخ (قوله ما يشاؤن) اى يطلبون مما تشتهى الانفس وتلذ الاعين (قوله كذلك) الكاف بمعنى مثل نعت لمصدر محذوف معمول ليجزى والتقدير يجزى الله المتقين جزاء مثل ذلك الجزاء (قوله المتقين) اى الذين اجتنبوا الشرك وأل فى المتقين للاستغراق (قوله نعت) اى للمتقين (قوله تتوفاهم الملائكة) اى تقبض ارواحهم (قوله طيبين) حال من ضمير تتوفاهم وحينئذ تبشرهم الملائكة عند قبض ارواحهم بالرضوان والجنة والكرامة فيحصل لهم عند ذلك السرور والفرح فيسهل عليهم قبض ارواحهم ويطيب لهم الموت على هذه الحالة فلو خير المؤمن بين الرجوع الى الدنيا ويعطى جميع ما يشتهى فيها وبين الموت لاختار الموت ولا يرجع الى الدنيا لشهوده حقارة الدنيا بالنسبة لما رآه مهيا له (قوله عند الموت) اى لما ورد اذا اشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك فقال له السلام عليك يا ولى الله الله يقرأ عليك السلام ويبشرك بالجنة (قوله فى الآخرة) هذا احد قولين وقيل ان القول المذكور يكون عند خروج الروح يكون الامر بالدخول للروح دون الجسم ويشهد له قوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك الآية بناء على ان هذه المقالة تقال للمؤمن عند خروج روحه (قوله بما كنتم تعملون) الباء سببية وما اسم موصول والعائد محذوف والتقدير بسبب الذى كنتم تعملونه (قوله هل ينظرون) الاستفهام انكارى بمعنى النفى ولذا فسره بما النافية والمعنى لا ينتظر الكفار الا احد امرين اما نزول الموت بهم او حلول العذاب واوما نعة خلو تجوز الجمع (قوله بالتاء والياء) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله او القيامة) او لحكاية الخلاف (قوله وما ظلمهم الله) مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله كذبوا رسلهم فاهلكوا (قوله فاصابهم) معطوف على فعل الذين من قبلهم وما بينهما اعتراض (قوله اى جزاؤها) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف والاصل فاصابهم جزاء سيئات ما عملوا (قوله ما كانوا به يستهزؤن) اى جزاء الذى كانوا به يستهزؤن (قوله وقال الذين اشركوا الخ) هذا كلام صحيح فى حد ذاته لكنهم توصلوا به الى امر باطل وحاصل ذلك انهم قالوا لو شاء الله عدم عبادتنا لغيره لحصل لكن وقعت منا العبادة لغيره فهى بمشيئته فهو راض بها واعتقدوا ان الارادة لازمة للرضا فى حقه تعالى وهو اعتقاد باطل وحاصل الرد عليهم ان يقال ان الارادة لا تستلزم الرضا بل قد يريد شيئا ولا يرضى به لتنزهه عن الاغراض فى الاحكام والافعال فلا تقاس افعال الله على افعال العباد وذلك لان ما يغضب الله لا يصل له منه ضرر وما يرضيه لا يصل له منه نفع بل معنى ذلك انه يعاقب على ما يغضبه ويثيب على ما يرضيه بخلاف العباد فرضاهم لازم لارادتهم لان ما يرضيهم يحصل لهم به النفع فهو واقع منهم بارادتهم وما يغضبهم يحصل لهم به الضرر فهو غير واقع بارادتهم والكفار قد سووا بين الخالق والمخلوق فقالوا ما قالوا والمقصود من هذه الشبهة ابطال ارسال الرسل وجعله عبثا تعالى

(ولدار الآخرة) اى الجنة (خير) من الدنيا وما فيها قال تعالى فيها (ولنعم دار المتقين) هى (جنات عدن) اقامة مبتدأ خبره (يدخلونها تجرى من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك) الجزاء (يجزى الله المتقين الذين) نعت (تتوفاهم الملائكة طيبين) طاهرين من الكفر (يقولون) لهم عند الموت (سلام عليكم) ويقال لهم فى الآخرة (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون هل) ما (ينظرون) ينتظر الكفار (الا ان تاتيهم) بالتاء والياء (الملائكة) لقبض ارواحهم (او ياتى امر ربك) العذاب او القيامة المشتملة عليه (كذلك) كما فعل هؤلاء (فعل الذين من قبلهم) من الامم كذبوا رسلهم فاهلكوا (وما ظلمهم الله) باهلاكهم بغير ذنب (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) بالكفر (فاصابهم سيئات ما عملوا) اى جزاؤها (وحاق) نزل (بهم ما كانوا به يستهزؤن) اى العذاب (وقال الذين اشركوا) من اهل مكة (لو شاء الله ما عبدنا

من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء) من البحائر والسوائب فاشراكنا وتحريمنا بمشيئته فهو راض به قال تعالى (كذلك فعل الذين من قبلهم) اى كذبوا رسلهم فيما جاؤا به (فهل) فما (على الرسل الا البلاغ المبين) الا بلاغ البين وليس عليهم هداية (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا) كما بعثناك فى هؤلاء (ان) اى بان (اعبدوا الله) وحدوه (واجتنبوا الطاغوت) الاوثان ان تعبدوها (فمنهم من هدي الله) فآمن (ومنهم من حقت) وجبت (عليه الضلالة) فى علم الله فلم يؤمن (فسيروا) يا كفار مكة (فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) رسلهم من الهلاك (ان تحرص) يا محمد (على هداهم) وقد اضلهم الله لا تقدر على ذلك (فان الله لا يهدى) بالبناء للفاعل والمفعول (من يضل) من يريد اضلاله (وما لهم من ناصرين) مانعين من عذاب الله (واقسموا بالله جهد ايمانهم) اى غاية اجتهادهم فيها (لا يبعث الله من يموت) قال تعالى (بلى) يبعثهم (وعدا عليه حقا) مصدران مؤكدان منصوبان بفعلهما المقدر اى وعد ذلك وحقه حقا (ولكن اكثر الناس) اى أهل مكة (لا يعلمون) ذلك (ليبين) متعلق بيبعثهم المقدر (لهم الذى يختلفون) مع المؤمنين (فيه) من امر الدين بتعذيبهم واثابة المؤمنين (وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين) فى انكار البعث (انما قولنا لشيء اذا اردناه) اى اردنا ايجاده وقولنا مبتدأ خبره (ان نقول له كن فيكون) اى فهو يكون وفى قراءة بالنصب عطفا على نقول والآية لتقرير القدرة على البعث (والذين هاجروا فى الله) لاقامة دينه (من بعد ما ظلموا) بالاذى من اهل مكة وهم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه (لنبوئنهم) ننزلنهم (فى الدنيا) دارا (حسنة) هى المدينة (ولاجر الآخرة) اى الجنة (اكبر) اعظم (لو كانوا يعلمون) اى الكفار والمتخلفون عن الهجرة ما للمهاجرين من الكرامة لوافقوهم (الذين صبروا) على أذى المشركين والهجرة لاظهار الدين (وعلى ربهم يتوكلون)

الله عن ذلك (قوله من دونه من شيء) من الاولى ابتدائية والثانية زائدة (قوله فهو راض به) هذا هو محط شبهتهم التى رتبوا ما ذكر عليها (قوله الا بلاغ البين) أشار بذلك الى ان البلاغ مصدر بمعنى الابلاغ (قوله ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا) اى فلا خصوصية لك (قوله اى بان اعبدوا) اشار بذلك الى ان أن مصدرية ويصح جعلها تفسيرية والضابط موجود لتضمن البعث معنى القول (قوله واجتنبوا الطاغوت) اى تباعدوا عن عبادة الطاغوت والمراد بالطاغوت قيل كل ما يعبد من دون الله وقيل الشيطان (قوله فلم يؤمن) افرد باعتبار لفظ من وفى نسخة فلم يؤمنوا بالجمع مراعاة للمعنى (قوله فسيروا) امر لاهل مكة بالسير والنظر فى أحوال من تقدمهم (قوله كيف كان عاقبة المكذبين) اى ما آلهم وآخر أمرهم على اى كيفية (قوله رسلهم) قدره اشارة الى ان قوله المكذبين مفعوله محذوف (قوله وقد أضلهم الله) الجملة حالية (قوله لا تقدر على ذلك) هذا هو جواب الشرط وقوله فان الله الخ تعليل للجواب (قوله لا يهدى من يضل) الجملة خبر ان والرابط ضمير مقدر فى يضل تقديره من يضله والظاهر ان هذا الرابط هو فاعل يضل العائد على الله واما الضمير المفعول الذى هو الهاء فانه عائد على من ولا ربط فيه (قوله بالبناء للفاعل والمفعول) اى فهما قراءتان سبعيتان والمعنى ان من أراد الله اضلاله فلا تمكن هدايته فلا تتعب نفسك فى هداه ان قلت ان التكليف لمن أراد الله عدم هداه بالهدى تكليف بالمستحيل أجيب بانه لا يسئل عما يفعل (قوله وما لهم من ناصرين) اى من يريد اضلاله لا مانع له من عذاب الله اذا نزل به (قوله واقسموا بالله) اى حلفوا به وقوله جهد ايمانهم اى لانهم كانوا يحلفون بآبائهم وآلهتهم فاذا كان الامر عظيما حلفوا بالله (قوله اى غاية اجتهادهم) اى فالمراد بالجهد بالفتح الطاقة فقولهم الجهد بالفتح المشقة وبالضم الطاقة بحسب الغالب (قوله قال تعالى) اى ردا لمقالتهم (قوله مصدران مؤكدان) اى للجملة المقدرة بعد بلى (قوله اى وعد ذلك الخ) الاوضح ان يقول اى وعد ذلك وعدا وحقه حقا (قوله لا يعلمون ذلك) اى انهم يبعثون لجهلهم (قوله المقدر) اى بعد بلى (قوله من امر الدين) اى وهو البعث (قوله بتعذيبهم الخ) متعلق ليبين والمعنى ليميز لهم الامر الذى يختلفون فيه باثابة المطيع وتعذيب العاصى (قوله وليعلم) معطوف على ليبين (قوله لشيء) تسميته شيا باعتبار ما يؤل اليه والا فالمعدوم لا يسمى شيا (قوله والآية لتقرير القدرة على البعث) اى فهى رد على من قال ان الله لا يبعث من يموت والامر كناية عن سرعة الايجاد عند تعلق الارادة بالايجاد وليس ثم كاف ولا نون والا لزم اما خطاب المعدوم حال عدمه وهو لا يعقل او تحصيل الحاصل ان كان الخطاب له بعد وجوده وكلا الامرين محال (قوله والذين هاجروا) اى انتقلوا من مكة للمدينة (قوله لاقامة دينه) اشار بذلك الى ان فى بمعنى اللام والكلام على حذف مضافين (قوله أكبر) اى من دار الدنيا (قوله او المتخلفون) تفسير ثان للضمير فى يعلمون (قوله لوافقوهم) جواب الشرط (قوله الذين صبروا) خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هم (قوله وعلى ربهم يتوكلون) اى يثقون به ويفوضون أمورهم اليه والتعبير بالمضارع لاستحضار

لاستحضار الحال الماضية اشارة الى ان توكلهم كان اعظم توكل وذلك انهم خرجوا عن اموالهم وانفسهم في مرضاة ربهم ورضوا بالذل بدل العز و بالفقر بدل الغنى فجازاهم الله بابدال الذل عزا والفقر غنى فصاروا سادات الناس في الدنيا والآخرة قال البوصيري رضي الله عنه

مالموسي ولا لعيسي حواريو * ن في فضلهم ولا نقباء

(قوله فيرزقهم الله من حيث لا يحتسبون) نتيجة التوكل وليست معنى التوكل (قوله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا) سبب نزولها ان كفار مكة قالوا ما كان الله ان يرسل رسولا من الرجال بل اللائق ان يرسل ملكا (قوله فاسئلوا أهل الذكر) جواب شرط مقدر دل عليه قوله ان كنتم لا تعلمون تقديره ان شككتم في ذلك فاسئلوا (قوله ان كنتم لا تعلمون) اى على سبيل الفرض والتقدير والا فهم عالمون بذلك وانما كفرهم عناد (قوله اقرب من تصديق المؤمنين بمحمد) اى لان كفار مكة كانوا يعتقدون ان اهل الكتاب عندهم علم بالكتب القديمة وقد ارسل الله لهم رسلا كموسى وعيسى وداود وسليمان وغيرهم وكانوا بشرا فاذا سألوهم فلا بد ان يجيبوا بان الرسل الذين ارسلوا اليهم كانوا بشرا فحينئذ يزول عن قلوبهم الريب والشك (قوله متعلق بمحذوف) اى جوابا لسؤال مقدر كانه قال لم ارسلوا فقيل ارسلوا بالبينات والزبر وهذا احسن ماقيل هنا (قوله القرآن) انما سمى القرآن ذكرا لانه مشتمل على المواعظ التي بها يتذكر العاقل و يتنبه الغافل (قوله لتبين للناس ما نزل اليهم) أى ما اجمل من الاحكام فبيان المجمل من القرآن تكفل به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحاديثه كالشرح والتفسير للقرآن (قوله أفامن الذين) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف تقديره أعموا ولم يتفكروا أفامن الذين الخ (قوله السيآت) صفة لمقدر محذوف قدره المفسر بقوله المكرات بفتح الكاف جمع مكرة بسكونها المرة من المكر (قوله ان يخسف) أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر معمول لامن والتقدير أفامنوا خسف الله بهم الارض (قوله وقد أهلكوا ببدر) اى اهلك صناديدهم وهم الذين اجتمعوا في دار الندوة (قوله يقدروا ذلك) اى الهلاك أى يعتقدوه و يظنوه وهو بدل من يكونوا والمبدل من المجزوم مجزوم أوحذفت النون تخفيفا (قوله في تقلبهم) اى حال كونهم منقلبين في اسفارهم (قوله أو ياخذهم على تخوف) اى يهلكهم في حال خوفهم او المراد بالتخوف التنقص كما قال المفسر من تخوفته اذا تنقصته روى ان عمر رضي الله عنه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا ابو بكر يصف ناقته

تخوف الرحل منها تامكا قردا * كما تخوف عود النبعة السفن

فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم والرحل بالحاء المهملة رحل الناقة والتامك بالفوقية السنام والقرد بفتح القاف وكسر الراء هو المرتفع أو المتراكم والنبع شجر تتخذ منه القسي والسفن بفتحتين وهو المبرد أو القدوم والمعنى ان الرحل اثر في سنام تلك الناقة فاكله وانتقصه كما ينقص المبرد او القدوم العود من الشجر (قوله اولم يروا) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أعموا ولم يروا والاستفهام للتوبيخ (قوله له ظل) خرج الملك والجن (قوله تفيؤ) أى تنتقل من جانب الى آخر واختلف في الفيء فقيل هو مطلق الظل قبل الزوال اوبعده وهو الموافق لمعنى الآية هنا وقيل الظل ما كان قبل الزوال والفيء ما كان بعده وقيل غير ذلك (قوله عن اليمين والشمائل) اى يمين المستقبل للقبلة وشماله وذلك أن الشمس اذا طلعت من المشرق وانت متوجه الى القبلة كان ظلك عن يمينك فاذا ارتفعت واستوت في وسط السماء كان ظلك خلفك فاذا مالت الى الغروب كان ظلك عن يسارك

فيرزقهم من حيث لا يحتسبون (وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم) لا ملائكة (فاسئلوا اهل الذكر) العلماء بالتوراة والانجيل (ان كنتم لا تعلمون) ذلك فانهم يعلمونه وانتم الى تصديقهم اقرب من تصديق المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم (بالبينات) متعلق بمحذوف أى ارسلناهم بالحجج الواضحة (والزبر) الكتب (وانزلنا اليك الذكر) القرآن (لتبين للناس مانزل اليهم) فيه من الحلال والحرام (ولعلهم يتفكرون) في ذلك فيعتبرون (أفامن الذين مكروا) المكرات (السيآت) بالنبي صلى الله عليه وسلم في دار الندوة من تقييده أوقتله او اخراجه كما ذكر في الانفال (ان يخسف الله بهم الارض) كقارون (أو ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون) أى من جهة لا تخطر ببالهم وقد اهلكوا ببدر ولم يكونوا يقدروا ذلك (او ياخذهم في تقلبهم) في اسفارهم للتجارة (فما هم بمعجزين) بفائتين العذاب (او ياخذهم على تخوف) تنقص شيا فشيا حتى يهلك الجميع حال من الفاعل أو المفعول (فان ربكم لرؤف رحيم) حيث لم يعاجلهم بالعقوبة (أولم يروا الى ما خلق الله من شيء) له ظل كشجر وجبل (تتفيأ) تتميل (ظلاله عن اليمين والشمائل) جمع شمال

وافرد اليمين وجمع الشمال تفننا (قوله اى عن جانبيهما) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف (قوله حال) اى من قوله ظلاله (قوله بما يرادمنهم) اى من طول وقصر وتحول من جانب لآخر (قوله وهم داخرون) الجملة حالية من الضمير فى سجدا (قوله نزلوا) اى فى جمعهم بالواو والنون كالعقلاء وذلك لاتصافها بالطاعة والانقياد لله وذلك من وصف العقلاء فجمعت بالواو والنون (قوله ولله يسجد مافى السموات ومافى الارض) اى طوعا وكرها فسجود الملائكة وغير العاقل طوعا فقط وسجود الآدميين والجن طوعا من مؤمنهم وكرها من كافرهم (قوله اى يخضع له) اشار بذلك الى ان المراد بالسجود معناه اللغوى (قوله والملائكة) عطف على مافى قوله مافى السموات (قوله تفضيلا) اى تشريفا وتعظيما (قوله يتكبرون عن عبادته) اى لايتركون عبادة ربهم ولايتكبرون عنها (قوله حال من هم) صوابه من ربهم بدليل قوله عاليا الخ والمعنى يخافون الله حال كونه سبحانه وتعالى مستعليا عليهم وقاهرا لهم فالمراد بالفوقية الاستعلاء والقهر لا الجهة لانها مستحيلة عليه تعالى (قوله ويفعلون مايؤمرون) اى فلايعصون ربهم ابدا بل هم ممتثلون لامره مجتنبون لنهيه (قوله وقال الله) اى لعباده (قوله لاتتخذوا الهين اثنين) لاناهية وتتخذوا مجزوم بحذف النون والواو فاعل والهين مفعول اول واثنين تاكيد له والمفعول الثانى محذوف تقديره معبودا ويعلم من النهى عن اتخاذ اثنين النهى عن اتخاذ الاكثر بالاولى (قوله انما هو اله واحد) أتى به لاثبات الالوهية والوحدانية والمعنى ان المعبود لايكون الا واحدا والا لم يوجد شيء من العالم قال تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقال تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض (قوله فاياى فارهبون) اياى مفعول لفعل محذوف يفسره قوله ارهبون اى ارهبوا اياى فارهبون والمعنى لاتخافوا غيرى فان النفع والضر بيدى والالوهية وصفى فلاتخشوا غيرى ولاترجوا غيرى (قوله وفيه التفات عن الغيبة) اى الى التكلم لانه ابلغ فى التخويف (قوله وله مافى السموات والارض) فيه التفات من التكلم للغيبة وهذا دليل على انه المنفرد بالالوهية والوحدانية اذ غيره لايخلو اما ان يكون فى السموات او الارض وكل بما فيها مملوك لله فلا يصح ولايليق اتخاذ غيره الها (قوله ملكا وخلقا وعبيدا) أى فجميع مافى السموات والارض مملوكون مخلوقون له يتصرف فيهم كيف يشاء (قوله وله الدين) اى التدين والانقياد لالغيره فالطاعة لاتكون الا لله وحده وطاعة الرسول والوالدين وأولى الامر من طاعة الله لامره بها (قوله والعامل فيه معنى الظرف) اى الاستقرار المفهوم من الجار والمجرور والمعنى استقر الدين له حال كونه دائما وهذا ظاهر على ان الدين فاعل بالجار والمجرور واما ان جعل الدين مبتدأ مؤخرا والجار والمجرور خبرا مقدما فلا يصح ماقاله المفسر لان العامل فى الحال هو العامل فى صاحبها والمبتدأ ليس معمولا للخبر وحينئذ فالاولى ان يجعل حالا من الضمير الكائن فى الظرف والتقدير والدين ثابت له حال كونه واصبا (قوله افغير الله تتقون) الهمزة داخلة على محذوف تقديره اتركتم عبادة الله ومخافته فغير الله تتقون (قوله والاستفهام للانكار) اى والمعنى لايليق منكم ان تتقوا غيره ولاتطيعوا غيره الا اذا كان الآمر بذلك هو الله كطاعة الوالد والرسول ففى الحقيقة التقوى لله (قوله ومابكم من نعمة) أى دنيوية او اخروية (قوله وماشرطية) اى وفعل الشرط محذوف والتقدير ايما نزل بكم وقوله فمن الله جواب الشرط وقوله من نعمة بيان لما ويرد عليه انه لايحذف فعل الشرط الا بعد ان فى موضعين الاول فى باب الاشتغال نحو وان احد من المشركين استجارك فاجره الثانى ان تكون لا النافية تالية لان مع وجود مايدل على الشرط كقول الشاعر

فطلقها فلست لها بكفء * والا يعل مفرقك الحسام

فان لم توجد لا او كانت الاداة غير ان لم يحذف الا لضرورة فالاحسن الاعراب الثانى

اى عن جانبيهما أول النهار وآخره (سجدا لله) حال اى خاضعين بما يرادمنهم (وهم) أى الظلال (داخرون) صاغرون نزلوا منزلة العقلاء (ولله يسجد مافى السموات وما فى الارض من دابة) أى نسمة تدب عليها أى يخضع له بما يرادمنهم وغلب فى الاتيان بما مالا يعقل لكثرته (والملائكة) خصهم بالذكر تفضيلا (وهم لا يستكبرون) يتكبرون عن عبادته (يخافون) أى الملائكة حال من ضمير يستكبرون (ربهم من فوقهم) حال من هم اى عاليا عليهم بالقهر (ويفعلون مايؤمرون) به (وقال الله لاتتخذوا الهين اثنين) تاكيد (انما هو اله واحد) أتى به لاثبات الالهية والوحدانية (فاياى فارهبون) خافون دون غيرى وفيه التفات عن الغيبة (وله مافى السموات والارض) ملكا وخلقا وعبيدا (وله الدين) الطاعة (واصبا) دائما حال من الدين والعامل فيه معنى الظرف (افغير الله تتقون) وهو الاله الحق ولا اله غيره والاستفهام للانكار او التوبيخ (ومابكم من نعمة فمن الله) لاياتى بها غيره وماشرطية

أوموصولة (ثم اذامسكم) اصابكم (الضر) الفقر والمرض (فاليه تجأرون) ترفعون اصواتكم بالاستغاثة والدعاء ولا تدعون غيره (ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم) من النعمة (فتمتعوا) باجتماعكم على عبادة الاصنام امر تهديد (فسوف تعلمون) عاقبة ذلك (و يجعلون) اى المشركون (لما لا يعلمون) انها لا تضر ولا تنفع وهى الاصنام (نصيبا مما رزقناهم) من الحرث والانعام بقولهم هذا لله وهذا لشركائنا (تالله لتسئلن) سؤال توبيخ وفيه التفات عن الغيبة (عما كنتم تفترون) على الله من انه امركم بذلك (و يجعلون لله البنات) بقولهم الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيها له عما زعموا (ولهم ما يشتهون) اى البنون والجملة فى محل رفع او نصب بيجعل المعنى يجعلون له البنات التى يكرهونها وهو منزه عن الولد و يجعلون لهم الابناء الذين يختارونها فيختصون بالاسنى كقوله فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون (واذا بشر احدهم بالانثى) تولد له (ظل) صار (وجهه مسودا) متغيرا تغير مغتم (وهو كظيم) ممتلئ غما فكيف تنسب البنات اليه تعالى (يتوارى) يختفى (من القوم) اى قومه (من سوء ما بشر به) خوفا من التعيير مترددا فيما يفعل به (أيمسكه) يتركه بلا قتل (على هون)هوان وذل (ام يدسه فى التراب) بان يئده (ألا ساء) بئس (ما يحكمون) حكمهم هذا حيث نسبوا لخالقهم البنات اللاتى هى عندهم بهذا المحل (للذين لا يؤمنون بالآخرة)اى الكفار (مثل السوء) اى الصفة السواى بمعنى القبيحة وهى وأدهم البنات مع احتياجهم اليهن للنكاح (ولله المثل الاعلى) الصفة العليا وهو انه لا اله الا هو (وهو العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى خلقه (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم) بالمعاصى (ما ترك عليها) اى الارض (من دابة) نسمة تدب عليها (ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون) عنه (ساعة

(قوله أوموصولة) أى بمعنى الذى والجار والمجرور متعلق بمحذوف صلة ما ومن نعمة بيان لما وهو مبتدأ وخبره قوله فمن الله والفاء زائدة فى الخبر لتضمن المبتدا معنى الشرط والمعنى أن الله هو مولى النعم لا غيره وتسمية غيره منعما باعتبار أن النعم أجريت على يده وهو مظهر لها (قوله تجأرون) من الجؤار بوزن غراب وهو رفع الصوت بالدعاء فى كشف ما نزل من الضر (قوله ثم اذا كشف الضر عنكم) أى أزاله بايصال النفع لكم (قوله ليكفروا) اللام لام كى وهى متعلقة بيشركون أو لام العاقبة والصيرورة أو لام الامر للتهديد (قوله أمر تهديد) أى تخويف (قوله عاقبة ذلك) أى وهى الخلود فى النار (قوله انها لا تضر ولا تنفع) أشار بذلك الى أن مفعول يعلمون محذوف (قوله وهى الاصنام) تفسير لما والمعنى ويجعل المشركون للاصنام التى لا يعلمون منها نفعا ولا ضرا نصيبا الخ (قوله من الحرث) بيان لما والمراد بالحرث الزرع (قوله بقولهم) متعلق بيجعلون (قوله وفيه التفات عن الغيبة) أى لزيادة التوبيخ عليهم (قوله بقولهم الملائكة بنات الله) أى وليس المراد بالبنات بناتهم التى يلدونها لانهم يعترفون بانها منسوبة لهم فلا يضيفونها لله وانما البنات التى يضيفونها لله هى الملائكة والقائل ذلك كنانة وخزاعة (قوله والجملة فى محل رفع) المناسب أن يقول مستانفة لان لهم خبر مقدم وما مبتدأ مؤخر لا محل لها من الاعراب (قوله أو نصب بيجعل) أى بالعطف على معمولى يجعل فان قوله لهم معطوف على لله وما معطوفة على البنات مسلط عليهما يجعل وفيه العطف على معمولى عامل واحد وهو جائز باتفاق (قوله بالاسنى) أى الارفع والاشرف (قوله واذا بشر احدهم) الجملة فى محل نصب حال من الواو فى يجعلون والمراد بالبشارة الاخبار (قوله صار) اشار بذلك الى ان ظل ليست على بابها من انها تدل على الاقامة على تلك الصفة نهارا بل المراد منها الانتقال من حالة لاخرى (قوله من سوء ما بشر به) اى من اجل سوء الانثى التى بشر بها وسوؤها من حيث انه يخاف عليها الزنا ويتحمل عارها وكونها لا تكتسب وغير ذلك (قوله مترددا) قدره اشارة الى أن قوله أيمسكه الخ معمول لحال محذوفة ولا يصلح ان يكون حالا لانه جملة طلبية (قوله على هون) حال من المفعول والمعنى أيمسكه مهينا له (قوله ام يدسه) اى يخفيه (قوله بان يئده) الوأد دفن البنت حية (قوله بهذا المحل) اى الرتبة وهى الحقارة والذل (قوله اى الصفة السواى) اشار بذلك الى ان قوله مثل السوء من اضافة الموصوف لصفته والسواى بضم السين والقصر بوزن طوبى (قوله ولله المثل الاعلى) اى فصفات الله اعلى الصفات وصفات الكفار اخسها حيث ينسبون لله ما يكرهون لانفسهم مع كونه منزها عن صفات الحوادث (قوله وهو العزيز فى ملكه) اى الغالب فلا يعجزه شئ (قوله الحكيم فى خلقه) اى يضع الشئ فى محله (قوله ولو يؤاخذ الله الناس الخ) اى لو يعجل الله للناس العقوبة بسبب عصيانهم لم يبق احدا (قوله ما ترك عليها) الضمير عائد على الارض المفهومة من السياق لان الدابة ما دب على وجه الارض (قوله من دابة) من زائدة فى المفعول ووجه هلاك الجميع ان الله تعالى يمسك السماء عن المطر والارض عن النبات فاذا حصل ذلك هلك كل مرزوق لان كل دابة محتاجة للقوام فاذا امسك قوامها هلكت عن آخرها وهو اقرب ما يقال فى ذلك (قوله ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى) اى لكن سبقت حكمة

ولا يستقدمون) عليه (ويجعلون (٢٦٦) لله ما يكرهون) لانفسهم من البنات والشريك فى الرياسة واهانة الرسل (وتصف) تقول

(السنتهم) مع ذلك (الكذب) وهو (ان لهم الحسنى) عند الله اى الجنة لقوله ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى قال تعالى (لا جرم) حقا (ان لهم النار وانهم مفرطون) متروكون فيها اومقدمون اليها وفى قراءة بكسر الراء اى متجاوزون الحد (تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك) رسلا (فزين لهم الشيطان اعمالهم) السيئة فرأوها حسنة فكذبوا الرسل (فهو وليهم) متولى امورهم (اليوم) اى فى الدنيا (ولهم عذاب اليم) مؤلم فى الآخرة وقيل المراد باليوم يوم القيامة على حكاية الحال الآتية اى لا ولى لهم غيره وهو عاجز عن نصر نفسه فكيف ينصرهم (وما انزلنا عليك) يا محمد (الكتاب) القرآن (الا لتبين لهم) للناس (الذى اختلفوا فيه) من امر الدين (وهدى) عطف على لتبين (ورحمة لقوم يؤمنون) به (والله أنزل من السماء ماء فاحيا به الارض) بالنبات (بعد موتها) يبسها (ان فى ذلك) المذكور (لآية) دالة على البعث (لقوم يسمعون) سماع تدبر (وان لكم فى الانعام لعبرة) اعتبارا (نسقيكم) بيان للعبرة (مما فى بطونه) اى الانعام (من) للابتداء متعلقة بنسقيكم (بين فرث) ثفل الكرش (ودم لبنا خالصا) لا يشوبه شيء من الفرث والدم من طعم أو ريح أو لون

الله بان الدنيا تصير عمارا الى ان تنقضى المدة التى قدرها الله تعالى فاذا كان كذلك فلا يعاجلهم بالعقوبة بل يوفيهم ارزاقهم وآجالهم لغلبة الرحمة على الغضب فلو عاجلهم بالعقوبة لكان الغضب غالبا على الرحمة وهو خلاف ما سبق علمه به (قوله ولا يستقدمون) اى لا يتقدمون على الاجل المعين الذى حضر ان قلت انه لا يحسن ترتبه على الشرط لان الاجل اذا جاء لا يتوهم التقدم عليه اذ هو مستحيل ولا ينفى الا ما يتوهم ثبوته اجيب بان قوله ولا يستقدمون معطوف على جملة الشرط وجوابه كانه قال فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون عنه ساعة واذا لم يجئ لا يستقدمون عليه (قوله ويجعلون لله ما يكرهون) هذا من جملة صفات السوء (قوله والشريك فى الرياسة) اى وهو الاصنام جعلوها شركاء لله فى الالوهية التى هى أعلى اوصاف الرياسة (قوله واهانة الرسل) اى كما اهانوا رسول الله فهم يكرهون البنات والشريك فى الرياسة واهانة رسلهم ويجعلون ما يكرهونه لله فينسبون لله البنات ويشركون مع الله فى الالوهية غيره ويهينون رسول الله (قوله الكذب) مفعول به وقوله ان لهم الحسنى بدل كل من كل والمعنى وتقول السنتهم زيادة على ما سبق منهم ان لهم الحسنى (قوله لقوله) دليل لقوله عند الله (قوله قال تعالى) اى ردا عليهم وتبكيتا لهم (قوله لا جرم) تقدم ان لا نافية لمعنى ما قبلها وجرم بمعنى حق وثبت وان وما دخلت عليه فى محل رفع فاعل والمعنى لا عبرة بقولهم الكذب بل حق وثبت كون النار لهم وتركهم فيها وتقدم ان قول المفسر حقا مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره حق حقا (قوله اومقدمون اليها) اى معجلون اليها قبل غيرهم (قوله وفى قراءة) وهى سبعية ايضا (قوله تالله لقد ارسلنا) شروع فى تسليته صلى الله عليه وسلم (قوله فزين لهم الشيطان اعمالهم) اى جعلها حسنة ليضلهم بها (قوله اى فى الدنيا) هذا احد قولين ذكرهما المفسر وعلى هذا القول فلا يحتاج لتأويل لان مدة الدنيا كالوقت الحاضر بالنسبة للآخرة وقيل المراد باليوم يوم القيامة الخ اى وعليه فاليوم مستعمل فى غير معناه الاصلى لانه حقيقة فى الزمان الحاضر المقارن للتكلم ولذا اوله المفسر بقوله على حكاية الحال الآتية اى فعبر عن الزمان الذى لم يحصل بما هو موضوع للحاضر المقارن لتحقق حصوله فكانه حاضر الآن (قوله اى لا ولى لهم) اى لا ناصر ولا مغيث لهم غيره (قوله وهو عاجز الخ) الجملة حالية (قوله فكيف ينصرهم) اشار بذلك الى ان المراد بالولى على هذا القول الثانى الناصر واما على الاول فمعناه القرين المتولى اغواءهم (قوله وما انزلنا الخ) هذا من جملة تسليته صلى الله عليه وسلم (قوله من امر الدين) اى كالتوحيد واحكام العبادات والمعاملات وغير ذلك (قوله وهدى) اى من الضلال (قوله ورحمة) اى احسانا (قوله لقوم يؤمنون) خصهم لانهم المنتفعون به دون غيرهم قال تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا (قوله والله انزل من السماء ماء) شروع فى ذكر ادلة توحيده سبحانه وتعالى (قوله دالة على البعث) اى لان القادر على احياء الارض بالماء بعد يبسها قادر على اعادة الاجسام بعد تفرقها وانعدامها (قوله سماع تدبر) اى فالمراد بالسماع سماع القلوب لا سماع الآذان (قوله وان لكم فى الانعام) فى للسببية والمعنى وان لكم بسبب الانعام لعبرة الخ (قوله لعبرة) اى اتعاظا وتذكارا يعتبر بها المعتبر ويستدل على ان الله هو الرحمن الرحيم الفعال لما يريد (قوله بيان للعبرة) اى لمتعلقها وهو المعتبر به (قوله مما فى بطونه) من للتبعيض وقوله من بين فرث من ابتدائية كما قال المفسر والمعنى نسقيكم بعض الذى فى بطونه لبنا خالصا ناشئا من بين فرث ودم وذكر الضمير فى بطونه هنا مراعاة للفظ الانعام وانثه فى سورة المؤمنون مراعاة للمعنى الذى هو جماعة الانعام لان الانعام اسم جمع (قوله ثفل الكرش) بضم المثلثة وسكون الفاء والكرش بوزن الكبد (قوله لبنا) مفعول ثان لنسقيكم والاول هو

الكاف

الكاف (قوله وهو بينهما) وذلك لان البهيمة اذا أكلت العلف طبخه الكرش فيجعل الله اسفله فرثا وأوسطه لبنا خالصا لا يشوبه شيء واعلاه دما وبينهما حاجز بقدرة الله تعالى ثم يسلط الكبد عليه فتجرى الدم فى العروق واللبن فى الضروع ويبقى الفرث فى الكرش فينزل من مخرجه روثا (قوله سهل المرور) اى ولذا جعل غذاء لصغار الحيوانات التى ترضعها أمهاتها ولعظم مزيته يقال عقب اكله اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه بخلاف غيره من الاطعمة فيقال وعوضنا خيرا منه (قوله ومن ثمرات النخيل) خبر مقدم والمبتدأ محذوف قدره المفسر بقوله ثمر وقوله تتخذون نعت لذلك المحذوف والضمير فى منه عائد على ذلك المحذوف (قوله خمرا) أى وقيل انه اسم للخل بلغة الحبشة وقيل اسم للعصير مادام حلوا وتسميته سكرا باعتبار ما يؤل اليه وعلى هذين التفسيرين فالامتنان به باق لم ينسخ (قوله سميت بالمصدر) أى فالسكر مصدر سكر من باب فرح (قوله وهذا قبل تحريمها) أى لان هذه السورة مكية وتحريم الخمر كان بالمدينة نزلت به سورة المائدة وهى مدنية (قوله والدبس) هو عسل الرطب ويطلق على عسل العنب (قوله المذكور) أى من اخراج اللبن على هذه الكيفية واتخاذ السكر والرزق من الثمرات (قوله وأوحى ربك الى النحل) لما ذكر سبحانه وتعالى ما يدل على باهر قدرته وعظيم حكمته من اخراج اللبن من بين فرث ودم واخراج السكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والاعناب ذكر اخراج العسل الذى جعله شفاء للناس من النحل وهى دابة ضعيفة لما فيه من العجائب البديعة والامور الغريبة وكل هذا يدل على وحدانية الصانع وقدرته وعظمته (قوله الى النحل) هو اسم جنس جمعى يفرق بينه وبين واحده بالتاء كنمل ونملة وشجر وشجرة ويذكر ويؤنث فمن التانيث قوله هنا ان اتخذى ويجوز فى غير القرآن تذكيره فيقال ان اتخذ (قوله وحى الهام) اى هداية ورشد لا وحى نبوة اذ هى مستحيلة على غير المختصين من بنى آدم فمن اثبتها لغير النوع الانسانى فقد كفر (قوله مفسرة) اى لتقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه وهو قوله اوحى (قوله اومصدرية) اى فهى وما دخلت عليه فى تاويل مصدر مجرور بالباء والتقدير اوحى ربك الى النحل باتخاذها (قوله من الجبال بيوتا) اى اماكن ومن بمعنى فى اى اتخذى فى الجبال اماكن تاوين اليها الخ ومن عجيب قدرته تعالى ان الهمها اتخاذ بيوت على شكل مسدس من اضلاع متساوية لا يزيد بعضها على بعض وليس فيه فرج خالية ولا خلل والهمها الله تعالى ان تجعل عليها اميرا كبيرا نافذا حكمه فيها وهى تطيعه وهذا الامير اكبرها جثة واعظمها خلقة يسمى يعسوب والهمها سبحانه وتعالى ان تجعل على كل باب خلية بوابا لا يمكن غير اهلها من الدخول اليها والهمها ان تخرج من بيوتها فتدور وترعى ثم ترجع الى بيوتها ولا تضل عنها (قوله ومما يعرشون) اى وفيما يبنون لك اى فالنحل تارة تبنى بيوتها التى هى من الشمع والماء تارة فى الجبال وتارة فى الاشجار وذلك فى النحل الوحشى وتارة تبنيه فى الخلايا وهذا فى النحل الاهلى (قوله والا لم تاوا اليها) اى والا بان لم يلهمها الله اتخاذ البيوت فى الاماكن الثلاثة لم تاوا اليها فيضيع عسلها ولا ينتفع به (قوله من كل الثمرات) اى حلوها ومرها طيبها ورديئها (قوله وان توعرت) اى صعبت (قوله ولا تضلى) معطوف على قوله فلا تعسر عليك (قوله اى منقادة لما يراد منك) اى ممتثلة ولذا يقسم يعسوبها اعمالها بينها فالبعض يعمل الشمع والبعض يعمل العسل والبعض ياتى بالماء ويصبه فى البيت والبعض يبنى البيوت (قوله شراب مختلف الوانه) اى ما بين ابيض واصفر واحمر وغير ذلك من الوان العسل واختلف فى سبب اختلاف ألوانه فقيل بسبب اختلاف المرعى وقيل بسبب اختلاف سن النحل فالابيض لصغيرها والاصفر لكهلها والاحمر لمسنها ورد هذا بانه لا دليل عليها (قوله قيل لبعضها) اى الاوجاع كالبلغم والبرودة

وهو بينهما (سائغا للشاربين) سهل المرور فى حلقهم لا يغص به (ومن ثمرات النخيل والاعناب) ثمر (تتخذون منه سكرا) خمرا يسكر سميت بالمصدر وهذا قبل تحريمها (ورزقا حسنا) كالتمر والزبيب والخل والدبس (ان فى ذلك) المذكور (لآية) على قدرته تعالى (لقوم يعقلون) يتدبرون (واوحى ربك الى النحل) وحى الهام (أن) مفسرة اومصدرية (اتخذى من الجبال بيوتا) تاوين اليها (ومن الشجر) بيوتا (ومما يعرشون) اى الناس يبنون لك من الاماكن والا لم تاوى اليها (ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى) ادخلى (سبل ربك) طرقه فى طلب المرعى (ذللا) جمع ذلول حال من السبل اى مسخرة لك فلا تعسر عليك وان توعرت ولا تضلى عن العود منها وان بعدت وقيل من الضمير فى اسلكى اى منقادة لما يراد منك (يخرج من بطونها شراب) هو العسل (مختلف الوانه فيه شفاء للناس) من الاوجاع قيل لبعضها كما دل عليه تنكير شفاء

و باقى الامراض الباردة (قوله اولكلها) أى الاوجاع جميعها فالامراض التى شانها البرودة هو نافع لها بنفسه والامراض التى شانها الحرارة ينفع فيها مضموما لغيره ولذلك تجد غالب المعاجين لا تخلو عنه (قوله اقول وبدونها بنيته) أى بنية الشفاء الجازمة ان الله يخلق الشفاء عند استعماله لاخباره تعالى بذلك فتحصل ان فى قوله تعالى فيه شفاء للناس اقوال ثلاثة قيل شفاء لبعض الاوجاع التى شانها البرودة وقيل شفاء لجميعها لكن فى الامراض الباردة يستعمل خالصا وا لحارة يستعمل مشوبا بغيره وقيل شفاء لجميعها بالنية فى كل حال ولكل احد ولذا روى عن ابن عمر انه كان لا يشكو قرحة ولا شيا الا جعل عليها عسلا حتى الدمل اذا اخرج طلا عليه عسلا وحكى النقاش عن ابى وجرة انه كان يكتحل بالعسل و يتنشق بالعسل و يتداوى بالعسل (قوله وقد أمر به صلى الله عليه وسلم الخ) قد اختصر المفسر الحديث ونصه عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان اخى استطلق بطنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقه عسلا فسقاه ثم جاء فقال انى سقيته عسلا فلم يزده الا استطلاقا فقال له ثلاث مرات ثم جاءه الرابعة فقال اسقه عسلا فقال سقيته فلم يزده الا استطلاقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فبرأ ولا عبرة باعتراض الملحدين الذين فى قلوبهم مرض على هذا الحديث حيث قالوا ان الاطباء مجمعون على ان العسل مسهل فكيف يوصف لمن به الاسهال لان الاسهال يكون من أنواع كثيرة منها الاسهال الحادث من التخم والاخلاط وقد أجمع الاطباء على ان علاجه بالمعين على الاسهال اذ حبس الطبيعة مضر فهذا الحديث محمول على ذلك ولذا نفعه آخرا حين نظفت المعدة وخلصت من الغش (قوله ان فى ذلك لآية) أى دلالة على وحدانية الصانع الحكيم القادر (قوله والله خلقكم) اى انشاكم واوجدكم (قوله ثم يتوفاكم) اى يميتكم (قوله ومنكم من يرد الخ) معطوف على محذوف والتقدير فمنكم من يبقى على قوة جسمه وعقله الى ان يموت ومنكم الخ (قوله الى ارذل العمر) اى اضعفه قال بعض العلماء عمر الانسان له أربع مراتب اولها سن النشو والنماء وهو من اول العمر الى بلوغ ثلاث وثلاثين سنة وهو غاية سن الشباب وبلوغ الاشد ثم المرتبة الثانية سن الوقوف وهو من ثلاث وثلاثين سنة الى اربعين سنة وهو غاية القوة وكمال العقل ثم المرتبة الثالثة سن الكهولة وهى من الاربعين الى ستين سنة وفى هذه المرتبة يشرع الانسان فى النقص غير انه يكون خفيا ثم المرتبة الرابعة سن الشيخوخة والانحطاط من الستين الى آخر العمر وفيه يتبين النقص ويكون الهرم والخرف وقد استعاذ منه صلى الله عليه وسلم حيث قال اللهم انى اعوذ بك من البخل والكسل وارذل العمر وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات (قوله لكيلا يعلم بعد علم شيا) اللام لام التعليل وكى مصدرية ولا نافية وشيا تنازعه الفعل والمصدر فاعمل الثانى واضمر فى الاول وحذف والمعنى لاجل انتفاء علمه بالاشياء التى كان يعلمها قبل هذه الحالة فيرجع الى مبدئه فى عدم المعرفة والعلم كالطفل الذى لا يدرى شيا (قوله من قرأ القرآن) اى عاملا به وكذلك العلماء العاملون لا يصيرون بهذه الحالة بل كلما ازدادوا فى العمر ازدادوا فى العلم والمعرفة والعقل كما هو مشاهد ولذا قالوا أعلى كلام العارفين ما صدر منهم فى آخر عمرهم بل قالوا الرد لارذل العمر يكون للكفار والمنهمكين فى الشهوات من عوام المؤمنين (قوله والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق) المقصود من ذلك الرد على الكفار حيث جعلوا لله شريكا فى ألوهيته كانه قال الله جعل منكم أغنياء وفقراء فالاغنياء لا ترضى ان تشرك الفقراء فى اوصافهم فكيف يجعلون لله شريكا فى صفاته مع انه الغنى المطلق عما سواه وهذا من ثمرات قوله ويجعلون لله ما يكرهون (قوله اى الموالى) المراد بهم السادة (قوله المعنى ليس لهم شركاء) اشار بذلك الى ان قوله فهم فيه سواء حذف منه اداة الاستفهام والتقدير افهم فيه سواء ومعناه النفى أى

ليسوا

ولكلها بضميمته الى غيره اقول وبدونها بنيته وقد امر به صلى الله عليه وسلم من استطلق عليه بطنه رواه الشيخان (ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) فى صنعه تعالى (والله خلقكم) ولم تكونوا شيا (ثم يتوفاكم) عند انقضاء آجالكم (ومنكم من يرد الى ارذل العمر) اى اخسه من الهرم والخرف (لكيلا يعلم بعد علم شيا) قال عكرمة من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة (ان الله عليم) بتدبير خلقه (قدير) على ما يريده (والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق) فمنكم غنى وفقير ومالك ومملوك (فما الذين فضلوا) اى الموالى (برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم) اى بجاعلى ما رزقناهم من الاموال وغيرها شركة بينهم وبين مماليكهم (فهم) اى المماليك والموالى (فيه سواء) شركاء المعنى ليس لهم شركاء من مماليكهم فى اموالهم فكيف يجعلون بعض مماليك الله شركاء له

(أفبنعمة الله يجحدون) يكفرون حيث يجعلون له شركاء (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) (٣٦٩) (فخلق حواء من ضلع آدم وسائر

النساء من نطف الرجال والنساء (وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة) أولاد الاولاد (ورزقكم من الطيبات) من أنواع الثمار والحبوب والحيوان (أفبالباطل) الصنم (يؤمنون وبنعمت الله هم يكفرون) باشراكهم (ويعبدون من دون الله) اى غيره (مالا يملك لهم رزقا من السموات) بالمطر (والارض) بالنبات (شيئا) بدل من رزقا (ولا يستطيعون) يقدرون على شيء وهو الاصنام (فلا تضربوا لله الامثال) لا تجعلوا لله أشباها تشركونهم به (ان الله يعلم) ان لا مثل له (وأنتم لا تعلمون) ذلك (ضرب الله مثلا) ويبدل منه (عبدا مملوكا) صفة تميزه من الحر فانه عبد الله (لا يقدر على شيء) لعدم ملكه (ومن) نكرة موصوفة اى حرا (رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا) اى يتصرف فيه كيف يشاء والاول مثل الاصنام والثانى مثله تعالى (هل يستوون) اى العبيد العجزة والحر المتصرف لا (الحمد لله) وحده (بل أكثرهم) اى اهل مكة (لا يعلمون) ما يصيرون اليه من العذاب فيشركون (وضرب الله

مثلا) ويبدل منه (رجلين أحدهما أبكم) ولد أخرس (لا يقدر على شيء) لانه لا يفهم ولا يفهم (وهو كل) ثقيل (على مولاه) ولى أمره

ليسوا مستوين فيه اى لا ترضى الاغنياء بتسوية الفقراء معهم فى غناهم ولا الموالى بتسوية العبيد معهم فى سيادتهم فكيف يجعلون وصف الالوهية لغيره تعالى (قوله افبنعمة الله) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف وهى داخلة على الفعل والمعنى أيشركون به فيجحدون نعمته (قوله يكفرون) أشار بذلك الى انه ضمن قوله يجحدون معنى يكفرون فعداه بالباء والا فالجحد يتعدى بنفسه (قوله من أنفسكم) اى نوعكم وجنسكم (قوله فخلق حواء من ضلع آدم) اى الايسر القصير (قوله بنين) لم يذكر البنات لكراهتهم لهن فلم يمتن عليهم الا بما يحبونه (قوله أولاد الاولاد) اى وسموا حفدة لانهم يخدمون أجدادهم ويسارعون فى طاعتهم لان الحافد معناه الخادم (قوله أفبالباطل يؤمنون) يقال فيه ما قيل فيما قبله فيكون التقدير أبعد تحقق ما ذكر من نعم الله يؤمنون بالباطل وهو استفهام توبيخ وتقريع (قوله ويعبدون) عطف على يكفرون (قوله مالا يملك الخ) أى أصناما لا تستطيع جلب نفع ولا دفع ضر (قوله بالمطر) أى بانزاله (قوله بدل من رزقا) اى على ان الرزق اسم عين بمعنى المرزوق وفيه ان البدل اما للتوكيد او للبيان وشيئا لا يصلح لذلك وحينئذ فالمناسب جعله صفة لمصدر محذوف مفعول مطلق لقوله يملك والتقدير مالا يملك لهم ملكا شيئا اى قليلا أو كثيرا جليلا أو حقيرا (قوله تشركونهم به) اى فان ضرب المثل تشبيه حال بحال والله منزه عن الاحوال والكيفيات واما ضرب المثل بمعنى تشبيه حال بعض المخلوقات بحال بعض لاجل الاستدلال على اتصافه بالكمالات فلا ينهى عنه بل ذكره الله فى كتابه وعلمنا كيفية ضربه قال تعالى أنزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها الى آخره وقال هنا ضرب الله مثلا عبدا مملوكا الخ (قوله ان لا مثل له) وقيل المراد ان الله يعلم كيفية ضرب الامثال وأنتم لا تعلمون كيفيتها (قوله ضرب الله مثلا) هذا مرتب على قوله فلا تضربوا لله الامثال لان المنهى عنه الامثال التى تفيد تشبيه الله بغيره واما المثل الذى يفيد التوحيد فقد ضربه الله بقوله ضرب الله مثلا الخ (قوله صفة تميزه من الحر) جواب عما يقال ان كل شخص مملوك لله حرا كان او عبدا فاجاب بان المراد به الرقيق اذ الحر لا يسمى مملوكا عرفا وان كان يسمى عبد الله (قوله لا يقدر على شيء) اى من التصرفات واختلف العلماء فى العبد هل يملك ما تحت يده من الاموال او لا يملكها فقال مالك انه يملك غير ان ملكه غير تام وقال الشافعى لا يملك أصلا وانما الذى تحت يده ملك سيده والآية مفروضة فى عبد لا يقدر على شيء وكون العبد يملك أو لا شيء آخر (قوله ومن) معطوف على عبدا (قوله حسنا) اى حلالا (قوله والاول مثل الاصنام والثانى مثله تعالى) اى فالمقصود من ذلك التوصل الى ابطال الشريك والرد على الكفار كان الله يقول أنتم لا تسوون العبد المملوك العاجز بالحر الغنى الذى يتصرف فى ماله كيف يشاء فكيف تشركون الاصنام التى هى أضعف من العبد المملوك مع الله القادر المتصرف فى خلقه (قوله هل يستوون) اى فى الاجلال والتعظيم ولم يقل يستويان نظرا الى تعدد افراد كل قسم وانما لم يجمع المفسر الحر كما جمع العبيد اشارة الى انه مثل متوصل به الى توحيد الله والله تعالى واحد فافرده تادبا (قوله لا) هو جواب الاستفهام (قوله الحمد لله) هذا حمد من الله لنفسه فى مقام الرد على المشركين اى هو المستحق لجميع المحامد المنعم المتفضل الخالق الرازق واما هذه الاصنام فلا تستحق ذلك لانها جمادات عاجزة لا تنفع ولا تضر (قوله قوله فيشركون) اى يعبدون غير الله مع ظهور البراهين والحجج الدالة على وحدانية الله تعالى (قوله أحدهما أبكم) اى والآخر ناطق قادر خفيف على مولاه أينما يوجهه يأت بخير وقد حذف هذا المقابل لدلالة قوله ومن يأمر بالعدل الخ عليه (قوله ولد أخرس) المناسب تفسيره بالذى لا يسمع ولا يبصر ليظهر قوله لانه لا يفهم ولا يفهم

(اينما يوجهه) يصرفه (لا يأت) منه (بخير) بنجح وهذا مثل الكافر (هل يستوى هو) اى الابكم المذكور (ومن يامر بالعدل) اى ومن هو ناطق نافع للناس حيث يامر به ويحث عليه (وهو على صراط) طريق (مستقيم) وهو الثانى المؤمن لا وقيل هذا مثل لله والابكم للاصنام والذى قبله فى الكافر والمؤمن (ولله غيب السموات والارض) اى علم ما غاب فيهما (وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب) منه لانه بلفظ كن فيكون (ان الله على

كل شيء قدير والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا) الجملة حال (وجعل لكم السمع) بمعنى الاسماع (والابصار والافئدة) القلوب (لعلكم تشكرون) ه على ذلك فتؤمنون (ألم يروا الى الطير مسخرات) مذللات للطيران (فى جو السماء) اى الهواء بين السماء والارض (ما يمسكهن) عند قبض اجنحتهن وبسطها ان يقعن (الا الله) بقدرته (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) هى خلقها بحيث يمكنها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وامساكها (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) موضعا تسكنون فيه (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) كالخيام والقباب (تستخفونها) للحمل (يوم ظعنكم) سفركم (ويوم اقامتكم ومن اصوافها) اى الغنم (وأوبارها) أى الابل (واشعارها) اى المعز (أثاثا) متاعا لبيوتكم كبسط وأكسية (ومتاعا) تتمتعون به (الى حين) يبلى فيه (والله جعل لكم مما خلق) من البيوت والشجر والغمام (ظلالا) جمع ظل تقيكم حر الشمس (وجعل لكم من الجبال اكنانا) جمع كن وهو ما يستكن فيه كالغار والسرب (وجعل لكم سرابيل) قمصا (تقيكم الحر) اى والبرد (وسرابيل تقيكم باسكم) حربكم اى الطعن والضرب فيها كالدروع والجواشن (كذلك) كما خلق هذه الاشياء (يتم نعمته) فى الدنيا (عليكم) بخلق ما تحتاجون اليه (لعلكم) يا أهل مكة (تسلمون) توحدونه (فان تولوا) اعرضوا عن الاسلام (فانما عليك) يا محمد (البلاغ المبين) الا بلاغ البين وهذا قبل الامر بالقتال (يعرفون نعمت الله) اى يقرون بانها من عنده (ثم ينكرونها) بعد

(قوله اينما يوجهه الخ) اين اسم شرط جازم ويوجهه فعل الشرط وقوله لا يأت جواب الشرط مجزوم بحذف الياء (قوله بنجح) بضم النون بوزن قفل اى لا يأت بشيء نافع (قوله ومن يامر بالعدل) معطوف على الضمير فى يستوى والشرط موجود وهو الفصل بالضمير المنفصل (قوله وقيل هذا) اى من يامر بالعدل (قوله والذى قبله) اى وهو قوله عبدا مملوكا ومن رزقناه وقيل كل فى الكافر والمؤمن وقيل كل فى المعبود بحق والمعبود بباطل فتكون الاقوال اربعة (قوله فى الكافر والمؤمن) قيل محمول على العموم وقيل المراد بالكافر أبو جهل والمؤمن النبى صلى الله عليه وسلم وقيل غير ذلك (قوله ولله غيب السموات) هذا دليل على كمال علمه وقدرته (قوله اى علم ما غاب) اى خفى وبطن (قوله وما امر الساعة) اى قيام الخلق من القبور (قوله الا كلمح البصر) اى انطباق جفن العين أو فتحه (قوله لانه بلفظ كن فيكون) فيه تسامح اذ ليس ثم كاف ولا نون بل المراد سرعة الايجاد فاذا أراد شيئا أوجده سريعا (قوله لا تعلمون) اى لا تعرفون (قوله حال) اى من الكاف فى اخرجكم (قوله وجعل لكم السمع) أفرده باعتبار كونه مصدرا فى الاصل (قوله أولم يروا) اى ينظروا بابصارهم (قوله مسخرات) هو حال من الطير (قوله فى جو السماء) الجو الفضاء الكائن بين السماء والارض قال كعب الاحبار ان الطير يرتفع فى الجو مسافة اثنى عشر ميلا ولا يرتفع فوق ذلك (قوله عند قبض اجنحتهن) هذا يفيد انها فى حال الطيران تقبض اجنحتها مع انه خلاف المشاهد فالمناسب ان يقول ما يمسكهن فى حال طيرانهن الا الله فان ثقل اجسادها يقتضى سقوطها ولا علاقة فوقها ولا شيء تحتها يمسكها (قوله من جلود الانعام بيوتا) اى وذلك فى بعض الناس كالسودان فانهم يتخذون خيامهم من الجلود (قوله كالخيام) جمع خيمة والقباب جمع قبة وهى دون الخيمة (قوله تستخفونها) اى يخف عليكم حملها فى رحيلكم واقامتكم فلا يثقل عليكم حملها فى الحالين (قوله ومن اصوافها) معطوف على من جلود الانعام وقوله اثاثا معطوف على بيوتا ولم يذكر القطن والكتان لانهما لم يكونا ببلاد العرب (قوله كبسط) بضم الباء والسين وقد تسكن (قوله والله جعل لكم مما خلق ظلالا) اى ما تستظلون به وذكر فى مقام الامتنان لان بلاد العرب شديدة الحر فحاجتهم للظلال وما يدفع عنهم شدة الحر وقوته اكثر (قوله والغمام) اى السحاب (قوله جمع كن) اى غطاء والاكنة الاغطية ومنه وجعلنا على قلوبهم اكنة (قوله اى والبرد) اشار بذلك الى ان فيه حذف الواو مع ما عطفت ويسمى عند اهل المعانى اكتفاء (قوله كالدروع) اى دروع الحديد وقوله والجواشن جمع جوشن وهو الدرع فالعطف للتفسير (قوله فان تولوا) اى داموا على التولى والاعراض (قوله وهذا قبل الامر بالقتال) مراده ان هذه الآية منسوخة وفيه انه لا يظهر الا لو قدر جواب الشرط فلا يقاتلهم مثلا واما لو قدر فلا عتب عليك ولا مؤاخذة لانك لا قدرة لك على خلق الايمان فى قلوبهم فلا يظهر النسخ لانه لا ينافى الامر بقتالهم (قوله يعرفون نعمت الله) اى وهى ما تقدم من اول السورة الى هنا من النعم العظيمة يقرون بانها من عند الله ولا يصرفونها فى مصارفها (قوله ثم ينكرونها) أتى بثم اشارة الى ان انكارهم مستبعد

باشراكهم (وأكثرهم الكافرون و) اذكر (يوم نبعث من كل أمة شهيدا) هو نبيها يشهد لها وعليها وهو يوم القيامة (ثم لا يؤذن للذين كفروا) فى الاعتـــذار (ولاهم يستعتبون) لا يطلب منهم العتبى اى الرجوع الى ما يرضي الله (واذا رأى الذين ظلموا) كفروا (العذاب) النار (فلا يخفف عنهم) العذاب (ولاهم ينظرون) يمهلون عنه اذا رأوه (واذا رأى الذين أشركوا شركاءهم) من الشياطين وغيرها (قالوا ربنا هـؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو) نعبدهم (من دونك فالقوا اليهـم القول) اى قالوا لهم (انكم لكاذبون) فى قولكم انكم عبدتمونا كما فى آية أخرى ما كانوا ايانا يعبدون سـيكفرون بعبادتهم (وألقوا الى الله يومئـذ السلم) اى استسلموا لحكمه (وضل) غاب (عنهم ما كانوا يفـترون) من أن آلهتهم تشفع لهم (الذين كفروا وصدوا) الناس (عن سـبيل الله) دينه (زدناهم عـذابا فوق العذاب) الذى استحقوه بكفرهم قال ابن مسعود عقارب انيابها كالنخل الطوال (بما كانوا يفسـدون) بصدهم الناس عن الايمـان (و) اذكر (يوم نبعث فى كل امـة شهيدا عليهم من انفسـهم) هو نبيهم (وجئنا بك) يامحمد (شهيدا على هؤلاء) اى قومك (ونزلنا عليك الكتاب) القرآن

بعد المعرفة لان من عرف النعمة فحقه ان لا ينكرها بعد ذلك (قوله وأكثرهم الكافرون) اى يموتون كفارا واقلهـم يهتدى للاسـلام فان أكثر صناديدهم مات كافرا والاقل منهم أسلم (قوله ويوم نبعث) يوم منصوب بفعـل محذوف قدره المفسر بقوله اذكر والمعنى اذكر يامحمد لقومك يوم نجعل لكل أمة شهيدا أو المراد بالبعث الاحياء اى يوم نحيي من كل أمة شهيدا والاول أقرب (قوله يشهد عليها) اى بالتكذيب والكفر وقوله ولها أى بالتصديق والايمان (قوله وهو يوم القيامة) اى لانه ورد انه يؤتى بالامم الماضية وأنبيائهم فيقال للانبياء هل بلغتم أممكم فيقولون نعم بلغنا فيقال للامم هل بلغكم رسلكم فيقولون يار بنا ماجاءنا من نذير فيؤتى بالامة المحمدية فتشهد للانبياء بالتبليغ وعلى الامم بالتكذيب فتقول الامم من اين أتى لكم ذلك وانتم آخر الامم فيقولون أخـبرنا نبينا بذلك عن ربنا وهو صادق عن صادق فياتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيزكى أمته واما الكفار من أمته فحين يقول يارب قد بلغتهم تنقطع حجتهم فهو مخصوص بانه مقبول الشهادة من غير مزك له (قوله ثم لا يؤذن للذين كفروا) اختلف فى متعلق الاذن المنفى فقال المفسر فى الاعتذار ويدل له قوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون وقيل لا يؤذن لهم فى كثرة الكلام وقيل فى الرجوع الى الدنيا والتكليف وقيل فى التكلم وقت شهادة الشهود بل يسكتون وقتها ولا يقدر أحد منهم على التكلم اذذاك (قوله ولاهم يستعتبون) اى لا تزال عتباهم وهى مايعتبون ويلامون عليها يقال استعتبت فلانا بمعنى ازلت عتباه فالسين والتاء للسلب نظير الهمزة فى اعذر اليه على ألسنة المرسلين (قوله الى ما يرضى الله) اى من الرجوع الى الدنيا والعبادة فيها (قوله فلا يخفف عنهم) اى فهم لا يخفف عنهم وانما احتيج لتقدير المبتدا لصحة دخول الفاء لان الفعل المضارع الصالح لمباشرة الاداة لا يقرن بالفاء فاحتيج لجعلها جملة اسمية لوجود الفاء (قوله العذاب) تفسير للضمير المستتر فى الفعل (قوله واذا رأى) أى ابصر (قوله شركاءهم) مفعول به والاضافة لادنى ملابسة لكون الاشراك نشا منهم وكذا يقال فى قوله هؤلاء شركاؤنا (قوله قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا) انما قصـدوا بذلك توزيع العذاب بينهم (قوله فالقوا اليهم القول) المعنى فيخلق الله الحياة والعقل والنطق فى تلك الاصنام ويقولون انكم قد كذبتم فى عبادتكم لنا فانكم ما عبدتمونا بل عبدتم هواكم وانما كذبوهم وقد كانوا يعبـدونهم لان الاوثان لم يكونوا راضـين بذلك فكانهم لم يعبدوهم (قوله اى استسـلموا) اى انقادوا بعد ان كانوا فى الدنيا متكبرين ولكن هذا الانقياد لا ينفعهم (قوله من ان آلهتهم تشفع لهم) أى حيث قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى (قوله الذين كفروا) مبتدأ خبره قوله زدناهم (قوله وصدوا عن سبيل الله) أى منعوا الناس عن الدخول فى الايمان وهذه الآية تعم من يحمل الناس على الكفر ولو كان يقول لا اله الا الله (قوله قال ابن عباس) اى فى تفسير العذاب الزائد وقال سعيد بن جبير حيات كالبخت وعقارب أمثال البغال تلسع احداهن اللسعة فيجد صاحبها ألمها أربعين خريفا وقال ابن عباس ومقاتل يعنى بزيادة العذاب خمسة انهار من اصفر مذاب كالنار يسيل من تحت الفرش يعذبون بها ثلاثة على مقدار الليل واثنان على مقدار النهار وقيل انهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير فيبادرون من شدة الزمهرير الى النار مستغيثين بها (قوله انيابها كالنخل الطوال) اى وجسمها بالنسبة لانيابها كجسم أحدنا بالنسبة الى نابه فتكون عظيمة الجثة جدا اجارنا الله والمسلمين منها (قوله بما كانوا يفسدون) الباء سببية وما مصدرية اى بسبب كونهم مفسـدين (قوله ويوم نبعث) كرر لزيادة التهديد (قوله أى قومك) هذا احد تفسيرين وقيـل المراد بهؤلاء الانبياء لاسـتجماع شرعه لشرائعهم واما كونه شهيدا على امته فقد علم مما تقـدم فحملها عليـه فيه تكرار الا ان يقال المراد بشهادته على امته تزكيته وتعديله لهم حتى شـهدوا على تبليغ الانبياء وهـذا لم يعلم مما مر مع انه الوارد فى الحـديث (قوله ونزلنا عليك)

اى فى الدنيا فهو كلام مستانف (قوله تبيانا) حال أو مفعول لاجله وهو مصدر ولم يجئ من المصادر على وزن تفعال بالكسر الا تبيان وتلقاء وفى الاسماء كثير نحو التمساح والتمثال (قوله تبيانا) اى بيانا شافيا بليغا لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى (قوله لكل شئ) محتاج اليه من امر الشريعة ان قلت انا نجد كثيرا من احكام الشريعة لم يعلم من القرآن تفصيلا كعدد ركعات الصلاة و نصاب الزكوات وغير ذلك فكيف يقول الله تبيانا لكل شئ اجيب بان البيان اما فى ذات الكتاب او باحالته على السنة قال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا او باحالته على الاجماع قال تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى و يتبع غير سبيل المؤمنين الآية او على القياس قال تعالى فاعتبروا يا أولى الابصار والاعتبار النظر والاستدلال اللذان يحصل بهما القياس فهذه اربعة طرق لا يخرج شئ من احكام الشريعة عنها وكلها مذكورة فى القرآن فكان تبيانا لكل شئ بهذا الاعتبار (قوله للمسلمين) تنازعه كل من هدى ورحمة و بشرى (قوله الموحدين) اى واما الكفار فهو لهم خسران وعذاب وانذار (قوله ان الله يامر بالعدل) هذه الآية من ثمرات قوله و نزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ حتى قال العلماء ان لم يكن فى القرآن غير هذه الآية لكفت فى البيان والهدى والرحمة لانها آمرة بكل خير ناهية عن كل شر (قوله التوحيد) اى شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وهذا التفسير وارد عن ابن عباس وفى رواية عنه ايضا العدل خلع الانداد والاحسان أن تعبد الله كانك تراه وان تحب للمرء ما تحب لنفسك فان كان مؤمنا تحب ان يزداد ايمانا وان كان كافرا تحب ان يكون اخاك فى الاسلام وفى رواية العدل التوحيد والاحسان الاخلاص وكل هذا أفاده المفسر بقوله التوحيد والانصاف اى فى كل الامور فالانصاف فى التوحيد اعتقاد ان الله متصف بكل كمال منزه عن كل نقص والانصاف فى الاعتقاد نسبة الافعال كلها لله ونسبة الكسب للعبيد خلافا للجبرية والمعتزلة فالفرقة الاولى نفت الكسب أصلا وقالوا العبد كالخيط المعلق فى الهواء لا فعل له أصلا وتعذيب الله ظلم وهؤلاء كفار والفرقة الثانية قالوا العبد يخلق افعال نفسه الاختيارية وهؤلاء فساق وكلا المذهبين جور والانصاف نسبة الافعال كلها لله خيرها وشرها ظاهرها وباطنها ولكن من الافعال ما هو جبرى وهذه لا كسب للعبد فيها ولذا لا يثاب عليها ولا يعاقب ومنها ما هو اختيارى وهذه للعبد فيها نوع كسب ولذا يثاب عليه ان كان خيرا و يعاقب عليه ان كان شرا وهذا مذهب اهل السنة خرج من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين والانصاف فى العبادات عدم التفريط والافراط فيها بل يكون بين ذلك قواما والانصاف فى النفقات ان لا يسرف ولا يقتر قال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط والانصاف بين عباد الله يقسم لزوجاته و ينصر المظلوم على الظالم و يعامل الخلق باللطف والرفق وغير ذلك (قوله والاحسان) اى مع الله ومع عباده فالاحسان مع الله اداء فرائضه على الوجه الاكمل والاحسان مع عباده أن تعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك وتصل من قطعك (قوله كما فى الحديث) اى فقد سال جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاحسان فقال له عليه الصلاة والسلام ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والمعنى ان تعبد الله ملاحظا لجلاله كانك تراه ببصرك وهذا مقام المشاهدة فان لم تصل لهذه المرتبة فلاحظ أنه يراك وانك فى حضرته وهذا مقام المراقبة فمثل المشاهد كالبصير الجالس فى حضرة الملك فادبه من جهتين كونه رائيا الملك وكون الملك رائيا له ومثل المراقب كمثل الاعمى الجالس فى حضرة الملك فادبه من جهة ملاحظته كون الملك رائيا له (قوله وايتاء ذى القربى) أى التصدق على القريب وهو آكد من التصدق على غيره لان فيه صدقة وصلة قال عليه الصلاة

والسلام

(تبيانا) بيانا (لكل شئ) يحتاج اليه الناس من أمر الشريعة (وهدى) من الضلالة (ورحمة و بشرى) بالجنة (للمسلمين) الموحدين (ان الله يامر بالعدل) التوحيد أو الانصاف (والاحسان) أداء الفرائض أو أن تعبد الله كانك تراه كما فى الحديث (وايتاء) اعطاء (ذى القربى) القرابة خصه بالذكر اهتماما به (و ينهى عن الفحشاء) الزنا (والمنكر) شرعا

من الكفر والمعاصي (والبغى) الظلم للناس خصه بالذكر اهتماما كما بدأ بالفحشاء كذلك (يعظكم) بالامر والنهى (لعلكم تذكرون) تتعظون وفيه ادغام التاء فى الاصل فى الذال وفى المستدرك عن ابن مسعود وهذه أجمع آية فى القرآن للخير والشر (وأوفوا بعهد الله) من البيع والايمان وغيرها (اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها) مواثيقها (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) بالوفاء حيث حلفتم به والجملة حال (ان الله يعلم ماتفعلون) تهديد لهم (ولا تكونوا كالتى نقضت) افسدت (غزلها) ماغزلته (من بعد قوة) احكام له وبرم (انكاثا) حال جمع نكث وهو ماينكث اى يحل احكامه وهى امرأة حمقاء من مكة كانت تغزل طول يومها ثم تنقضه (تتخذون) حال من ضمير تكونوا أى لا تكونوا مثلها فى اتخاذكم (ايمانكم دخلا) هو ما يدخل فى الشئ وليس منه اى فسادا وخديعة (بينكم) بان تنقضوها (ان) اى لان (تكون امة) جماعة (هى اربى) أكثر (من أمة) وكانوا يحالفون الحلفاء فاذا وجدوا اكثر منهم واعز نقضوا حلف اولئك وحالفوهم (انما يبلوكم) يختبركم (الله به) اى بما امر به من الوفاء بالعهد لينظر المطيع منكم والعاصي

والسلام ان اعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم (قوله من الكفر والمعاصى) اى فيدخل فيه الزنا وغيره فهو تعميم بعد تخصيص (قوله اهتماما به) اى لانه اعظم المعاصي بعد الكفر ولذا قال بعض العلماء أعجل العقوبة على المعاصى العقوبة على البغى وفى الحديث لوان جبلا بغى على جبل لدك الباغى وفيه ايضا الظلمة واعوانهم كلاب النار (قوله كما بدأ بالفحشاء كذلك) اى اهتماما به لان فيه ضياع الانساب والاعراض ويترتب عليه المقت والعقوبة من الله قال تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا (قوله يعظكم) حال من فاعل يامر وينهى اى يامركم وينهاكم حال كونه واعظا لكم (قوله فى الاصل) اى فاصله تتذكرون قلبت التاء ذالا وادغمت فى الذال (قوله هذه اجمع آية الخ) روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية على الوليد بن المغيرة فقال اعدها يا محمد فلما قرأها قال ان له حلاوة وان عليه طلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وما هو بقول البشر ولكونها اجمع آية استعملها الخطباء فى آخر الخطبة (قوله وأوفوا بعهد الله) هذا من جملة المامور به على سبيل التفصيل وبدأ بالامر بالوفاء بالعهد لانه آكد الحقوق وهذه الآية نزلت فى الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله من البيع) بكسر الباء جمع بيعة وهى المعاهدة على أمر شرعى (قوله والايمان) جمع يمين اى وأوفوا بما حلفتم عليه ولا تحنثوا فى ايمانكم اى اذا كان فيها صلاح والا فالحنث خير لقوله عليه الصلاة والسلام من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذى هو خير وليكفر عن يمينه فهو عام مخصوص (قوله وغيرها) اى كالمواعيد فالمراد من العهد كل ما يلزم الانسان الوفاء به سواء أوجبه الله على الشخص او التزمه الشخص من نفسه كعهود المشايخ التى ياخذونها على المريدين بانهم يلازمون طاعة الله ولا يخالفونه فى أمر ما فالواجب على المريدين الوفاء بها حيث كانت المشايخ موزونين بميزان الشرع متصفين بالاخلاق الحميدة والافعال السديدة (قوله بعد توكيدها) اى تغليظها والتوكيد مصدر وكد بالواو ويقال أكد بالهمزة فمصدره التاكيد وهما لغتان (قوله كفيلا) اى شهيدا (قوله والجملة حال) اى من فاعل تنقضوا (قوله ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها) اى لا تنقضوا العهود التى عاهدتم عليها الخالق او المخلوق فى غير معصية فتكونوا كالتى نقضت غزلها (قوله حال) اى او منصوب على المصدرية لان معنى نقضت نكثت فهو مطابق لعامله فى المعنى (قوله جمع نكث) بكسر النون (قوله وهى امرأة حمقاء) اى واسمها ريطة بنت سعد بن تيم قرشية قد اتخذت مغزلا قدر ذراع وسنارة مثل الاصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل هى وجوار لها من الغداة الى الظهر ثم تامرهن فينقضن ما غزلته وقوله حمقاء اى قليلة العقل (قوله كانت تغزل) اى الصوف والوبر والشعر (قوله تتخذون) اى تصيرون وايمانكم مفعول اول ودخلا مفعول ثان (قوله دخلا) اصل الدخل العيب فان شانه ان يدخل فى الشئ وليس من جنسه والمراد به هنا الفساد والخديعة كما قال المفسر (قوله اى لان تكون) اشار بذلك الى ان النصب على وجه التعليل اى لاجل ان تكون وامة فاعل تكون على انها تامة او اسمها على انها ناقصة وجملة هى اربى خبرها (قوله وكانوا) اى قريش وهو مشاهد فى اهل زماننا حيث يلتجئون لارباب المناصب مادام وافى مناصبهم فاذا عزلوا او نقصت مرتبتهم تركوهم ولم يلتفتوا لهم وكانهم لم يعرفوهم وليس هذا من الايمان بل الايمان الوفاء بالعهد وعدم نقضه ان لم يكن فى بقائه عصيان الله (قوله فاذا وجدوا أكثر منهم) اى مالا او جاها (قوله حلف أولئك) الحلف بكسر فسكون العهد يكون بين القوم (قوله لينظر المطيع) اى ليظهر لكم المطيع من غيره فان المطيع يدوم على العهد والود وان ذهبت من حليفه حظوظ المظاهر وغيره يدور

مع الظاهر (قوله او يكون) معطوف على قوله بما امر به وعليه فالضمير عائد على المصدر المنسبك من ان تكون والمعنى لا تتخذوا عهودكم حيلة وخداعا من أجل كون تلك الامة التى عاهدتموها ذات مال أو جاه فان انتقل المال او الجاه لغيرهم نقضتم عهود الاوائل فصاحب هذه الاوصاف خائن لله ولعباده (قوله فيه تختلفون) أى تترددون (قوله ولوشاء الله لجعلكم امة واحدة) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله سؤال تبكيت) أى لا تفهم وقد اشار بذلك الى وجه الجمع بين هذه الآية و بين قوله تعالى فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان فالمثبت سؤال التبكيت والمنفى سؤال التفهم (قوله ولا تتخذوا أيمانكم) اى عهودكم (قوله دخلا بينكم) اى فسادا وخديعة (قوله كرره تاكيدا) أى كرر النهى عن اتخاذ الايمان خديعة وحيلة تاكيدا للاشارة الى أن هذا امر فظيع جدا فان نقض العهد فيه فساد الدين والدنيا والعرض والوفاء به فيه خير الدنيا والآخرة (قوله فتزل قدم) منصوب باضمار ان فى جواب النهى وأفرد القدم و نكره اشارة الى ان زلة القدم ولو مرة واحدة او اى قدم مضرة لان من زل به القدم فقد طرد عن باب الله (قوله عن محجة الاسلام) أى طريقه ومثل ذلك من زل به القدم فى عهد شيخه فنقضه فانه مطرود عن طريقته ومتى طرد عن طريقته فقد سلب ما وهبه الله له من النور الالهى فلا يرجى له الفتح فى طريقة اخرى لان غاية الطرق واحدة وهو قد طرد عن الغاية (قوله العذاب) أى فى الدنيا بدليل قوله ولكم عذاب عظيم فى الآخرة (قوله عن سبيل الله) اى دينه الموصل لمرضاته (قوله اى بصدكم عن الوفاء) هو من صد اللازم اى امتناعكم واعراضكم عن الوفاء (قوله او بصدكم غيركم عنه) هو من صد المتعدى اى منعكم غيركم (قوله لانه) اى ذلك الغير (قوله يستن) اى يقتدى بكم فى نقض العهود (قوله ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا) اى لا تتركوا عهد الله فى نظير عرض قليل تاخذونه (قوله بان تنقضوه) اى العهد وقوله لاجله أى الثمن القليل وظاهره ولو من حلال واذا كان نقض العهد لاجل القليل من الحلال مذموما فالحرام اولى بالذم والمراد بالثمن القليل اعراض الدنيا وان كثرت (قوله انما عند الله هو خير لكم) علة لما قبله وان حرف توكيد ونصب وما اسم موصول اسمها وعند الله صلته وجملة هو خير لكم خبرها وقوله من الثواب بيان لما (قوله ان كنتم تعلمون) شرط حذف جوابه وقدره المفسر بقوله فلا تنقضوا (قوله ما عندكم ينفد) مبتدأ وخبر والنفاد بالفتح الفناء والذهاب يقال نفد بالكسر ينفد بالفتح فنى وفرغ واما نفذ بالفتح والمعجمة ينفذ بالضم فمعناه مضى يقال نفذ حكم الامير بمعنى مضى (قوله باق) يصح الوقف عليه بثبوت الياء وحذفها مع سكون القاف قراءتان سبعيتان (قوله دائم) اى لا يفرغ ولا يفنى (قوله بالياء والنون) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله على الوفاء بالعهود) اى والمراد مشاق التكاليف (قوله أجرهم) مفعول ثان ليجزى وقوله باحسن الباء بمعنى على (قوله احسن بمعنى حسن) أشار بذلك الى ان افعل التفضيل ليس على بابه ودفع بذلك ما يتوهم من قصر المجازاة على الاحسن الذى هو الواجبات مع انهم يجازون على الواجبات والمندوبات * وهناك تقرير آخر فى الآية وهو ان الاحسن صفة لموصوف محذوف اى بثواب احسن من عملهم اى اكثر منه تفضلا واحسانا قال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها والباء لمجرد التعدية (قوله من عمل صالحا) من اسم شرط مبتدأ وعمل فعل الشرط وقوله فلنحيينه جوابه (قوله قيل هى حياة الجنة) هذا القول لمجاهد وقتادة ورواه عوف عن الحسن وقال لا يطيب لاحد الحياة الا فى الجنة لانها حياة بلا موت وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم وملك بلا هلاك وسعادة بلا شقاوة (قوله وقيل فى الدنيا بالقناعة) هذا القول للحسن وقوله او الرزق الحلال هو لسعيد بن جبير وعطاء وزيد على ما ذكره المفسر ما قيل هى حلاوة الطاعة وقيل رزق يوم بيوم وقيل الحياة الطيبة تحصل فى القبر لان المؤمن يستريح بالموت من نكد الدنيا وتعبها وقيل ما هو أعم فالحياة الطيبة فى الدنيا

أو يكون أمة اربى لينظر أتفون ام لا (وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) فى الدنيا من امر العهد وغيره بان يعذب الناكث و يثيب الوافى (ولوشاء الله لجعلكم امة واحدة) اهل دين واحد (ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء ولتسئلن) يوم القيامة سؤال تبكيت (عما كنتم تعملون) لتجازوا عليه (ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم) كرره تاكيدا (فتزل قدم) اى اقدامكم عن محجة الاسلام (بعد ثبوتها) استقامتها عليها (وتذوقوا السوء) اى العذاب (بما صددتم عن سبيل الله) أى بصدكم عن الوفاء بالعهد أو بصدكم غيركم عنه لانه يستن بكم (ولكم عذاب عظيم) فى الآخرة (ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا) من الدنيا بان تنقضوه لاجله (انما عند الله) من الثواب (هو خير لكم) مما فى الدنيا (ان كنتم تعلمون) ذلك فلا تنقضوا (ما عندكم) من الدنيا (ينفد) يفنى (وما عند الله باق) دائم (ولنجزين) بالياء والنون (الذين صبروا) على الوفاء بالعهود (اجرهم باحسن ما كانوا يعملون) احسن بمعنى حسن (من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة) قيل هى حياة الجنة وقيل فى الدنيا بالقناعة او الرزق الحلال

بالتوفيق

بالتوفيق للطاعة والرزق الحلال وفى القبر بالراحة من النكد والتعب وفى الجنة بالنعيم المقيم (قوله ولنجزينهم أجرهم باحسن ما كانوا يعملون) أى فى الجنة واستفيد من هذا ان الحياة الطيبة ليست هى الجزاء لانه قد قيل بانها تكون فى الدنيا أو القبر وليس النعيم فى ذلك بجزاء بل الجزاء ما كان فى الآخرة بالجنة ومافيها (قوله فاذا قرأت القرآن) حكمة التفريع على ما تقدم أن قراءة القرآن من أفضل الاعمال فطلب بالاستعاذة عند قراءته ليحفظ من الضياع المترتب على الوساوس الشيطانية والمعنى اذا علمت مما تقدم أن عظم الجزاء على محاسن الاعمال فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم عند قراءة القرآن الذى هو احسن الاعمال وأزكاها (قوله أى أردت قراءته) اشار بذلك الى ان الامر بالاستعاذة قبل القراءة واليه ذهب أكثر الفقهاء والمحدثين ووجهه أن الاستعاذة تذهب الوسوسة فتقديمها أولى وذهب الاقل الى ابقاء الآية على ظاهرها وان الامر بالاستعاذة بعد تمام القراءة ووجهه بان القارئ يستحق الثواب العظيم على قراءته وربما حصلت له الوسوسة فى قلبه هل حصل له ذلك أم لا فامر بالاستعاذة لتذهب تلك الوسوسة ويبقى الثواب حاصلا لان التردد فى صدق الوعد بالثواب من أسباب منعه (قوله فاستعذ) السين والتاء للطلب أى اطلب من الله التعوذ والتحصن من شره والامر للاستحباب وظاهر الآية أن الاستعاذة مطلوبة عند قراءة القرآن مطلقا فى الصلاة وغيرها وبه أخذ الشافعى ووافقه مالك فى النفل وكره الاستعاذة فى صلاة الفرض لدليل أخذه من السنة (قوله أى قل اعوذ بالله الخ) هذا بيان للافضل والا فامتثال الامر يحصل باى صيغة كانت وعن ابن مسعود رضى الله عنه قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ وأراد بالقلم الذى نسخ به من اللوح المحفوظ ونزل به جبريل دفعة الى سماء الدنيا وليس المراد به القلم الذى كتب فى اللوح المحفوظ فانه مقدم الرتبة على اللوح (قوله من الشيطان الرجيم) هو من شطن اذا بعد أو من شاط اذا احترق والرجيم بمعنى المرجوم اى المطرود عن رحمة الله (قوله انه ليس له سلطان) تعليل لمحذوف والتقدير فاذا استعذت بالله كفيت شره ودخلت فى امان الله لانه الخ (قوله تسلط) اى استيلاء وقهر (قوله على الذين يتولونه) مقابل قوله وعلى ربهم يتوكلون وقوله والذين هم به مشركون مقابل قوله على الذين آمنوا (قوله أى الله) أشار بذلك الى ان الضمير راجع لربهم والباء للتعدية ويصح أن يعود على الشيطان وتكون الباء سببية وهى أولى لعدم تشتيت الضمائر (قوله واذا بدلنا آية الخ) سبب نزولها أن المشركين من أهل مكة قالوا ان محمدا يسخر باصحابه يأمرهم اليوم بامر وينهاهم عنه غدا ماهذا الا مفترى يتقوله من تلقاء نفسه (قوله والله أعلم بما ينزل) هذه الجملة معترضة بين الشرط وجوابه أتى بها تسلية له صلى الله عليه وسلم والمعنى والله اعلم بالناسخ والمنسوخ فيكفيك علمه فلا يحزنك ماقالوه (قوله تقوله من عندك) أى تختلقه من عند نفسك وليس بقرآن (قوله حقيقة القرآن) أى وهو انه اللفظ المنزل من عند الله على محمد صلى الله عليه وسلم للاعجاز باقصر سورة منه المتعبد بتلاوته (قوله وفائدة النسخ) أى وهى المصالح التى تعود على العباد (قوله روح القدس) بضم الدال وسكونها قراءتان سبعيتان أى الروح المقدس بمعنى المطهر المنزه عن الرذائل فهو من اضافة الموصوف للصفة (قوله بالحق) الباء للملابسة اى نزله تنزيلا ملتبسا بالحق (قوله بايمانهم به) أى بسبب ايمانهم بالقرآن (قوله المسلمين) أى وأما لغيرهم فهو خسران لا يزيدون به الا ضلالا فهو تعريض بحصول ضد ذلك لغير المسلمين (قوله ولقد نعلم) أى علما مستمرا لا تجدد فيه (قوله انما يعلمه) انما اداة حصر أى لا يعلم محمدا القرآن الا بشر لا جبريل كما يقول (قوله وهو قين) اى حداد وكان روميا وفى نسخة قن اى عبد واسمه جبر وهو غلام عامر بن الحضرمى وقيل يعنون جبرا ويسارا كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن

(ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون فاذا قرأت القرآن) أى أردت قراءته (فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) أى قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (انه ليس له سلطان) تسلط (على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه) بطاعته (والذين هم به) أى الله (مشركون واذا بدلنا آية مكان آية) بنسخها وانزال غيرها لمصلحة العباد (والله أعلم بما ينزل قالوا) اى الكفار للنبي صلى الله عليه وسلم (انما انت مفتر) كذاب تقوله من عندك (بل اكثرهم لا يعلمون) حقيقة القرآن وفائدة النسخ (قل) لهم (نزله روح القدس) جبريل (من ربك بالحق) متعلق بنزل (ليثبت الذين آمنوا) بايمانهم به (وهدى وبشرى للمسلمين ولقد) للتحقيق (نعلم أنهم يقولون انما يعلمه) القرآن (بشر) وهو قين نصرانى كان النبي صلى الله عليه وسلم يدخل عليه

قال تعالى (لسان) لغة (الذى يلحدون) يميلون (اليه)انه يعلمه (اعجمى وهـذا)القرآن (لسان عربى مبين) ذوفصاحة فكيف يعلمه اعجمى(ان الذين لا يؤمنـون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب اليم)مـؤلم (انمـا يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله)القرآن بقولهم هذا من قول البشر (واولئك هم الكاذبون) والتاكيد بالتكرار وان وغيرهما رد لقولهم انما انت مفتر(من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره)علی التلفظ بالكفر فتلفظ به (وقلبه مطمئن بالايمان) ومن مبتـدأ اوشرطية والخبر او الجواب لهم وعيد شديد دل على هذا (ولكن من شرح بالكفر صدرا)له اى فتحه ووسعه بمعنى طابت به نفسه (فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ذلك) الوعيد لهم (بانهم استحبوا الحياة الدنيا) اختاروها (على الآخرة وان الله لا يهدى القوم الكافرين اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم واولئك هم الغافلون)عما يراد بهم(لا جرم) حقا (انهم فى الآخرة هم الخاسرون)لمصيرهم الى النار المؤبدة عليهم (ثم ان ربك

التوراة والانجيل باللغة التى نزلا بها وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يمر عليهما و يسمع ما يقرآنه ليتسلى بما وقع للانبياء قبله وقيل غير ذلك وعلى كل فقد ورد أنه اسلم ذلك البشر الذى نسبوا الرسول الله التعلم منه (قوله قال تعالى) اى ردا عليهم (قوله يميلون اليه) اى ينسبون اليه انه يتعلم منه (قوله اعجمى) الاعجمى الذى لم يتكلم بالعربية (قوله وهذا لسان عربى) اى ولا يكون العربى متلقيا من العجمى (قوله فكيف يعلمه أعجمى) اى لا يصح ولا يليق ذلك لاستحالته عادة (قوله ان الذين لا يؤمنون بآيات الله) اى فى علمه وقوله لا يهديهم الله اى فى الخارج (قوله و أولئك هم الكاذبون) اى فى قولهم انما يعلمه بشر (قوله والتاكيد)مبتدأ وقوله رد خبر (قوله من كفر بالله من بعد ايمانه) نزلت هذه الآية فى عمار بن ياسر وذلك انه من جملة السبعة السابقين للاسلام وهم عمار وابوه ياسر وأمه سمية وصهيب وبلال وخباب وابو بكر الصديق رضي الله عنهم وذلك ان الكفار اخذوهم وعذبوهم ليرجعوا عن الايمان فاما سمية ام عمار فربطوها بين بعيرين وضربها ابو جهل بحربة فى فرجها فماتت وقتل زوجها ياسر وهما اول قتيلين فى الاسلام واما عمار فانه اعطاهم بعض ما ارادوا بلسانه وقلبه كاره لذلك فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملىء ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار وهو يبكى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماوراءك فقال شر يارسول الله نلت منك وذكرت فقال كيف وجدت قلبك قال مطمئن بالايمان فجعل النبي يمسح عينيه وقال له ان عادوا لك فقل لهم ما قلت واما بلال فكانوا يعذبونه وهو يقول احد احد حتى اشتراه ابو بكر واعتقه واما خباب فقدوا وقدوا له نارا فلم يطفئها الا ودك ظهره واما ابو بكر فحفظه الله بقومه وعشيرته وفيما فعله عمار دليل على جواز التلفظ بالكفر عند خوف القتل ولكن القتل اجمل كما وقع من ابويه ولما روى ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول فى محمد قال رسول الله قال ما تقول فى قال انت ايضا فخلاه وقال للآخر ما تقول فى محمد قال رسول الله قال ما تقول فى قال انا اصم فاعاد عليه ثلاثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثانى فقد صدع بالحق فهنيئا له (قوله على التلفظ بالكفر) اى او فعله (قوله والخبر او الجواب الخ) الاولى تقدير هذا قبل الاستثناء (قوله لهم وعيد) الاولى ان يقدره بالفاء لان الجواب اذا وقع جملة اسمية يقرن بالفاء والمبتدأ الذى يشبه الشرط يقرن خبره بالفاء ايضا لشبهه بالشرط (قوله دل على هذا) اى على الجواب او الخبر (قوله ولكن من شرح) أتى بالاستدراك لانه ربما يتوهم من قوله الا من أكره انه حين الاكراه يجوز التكلم بالكفر ولو انشرح صدره له فى بعض الاحيان فدفع ذلك التوهم بالاستدراك ولا يبعد الوهم قوله مطمئن بالايمان ومن اما شرطية او موصولة ولا يلزم تقدير مبتدأ قبل من وما قيل ان الاستدراك لا يقع فى الشروط ممنوع (قوله بمعنى طابت به نفسه) اى قبله ومال اليه (قوله فعليهم) جمع مراعاة لمعنى من (قوله ذلك بانهم) اى حاصل وثابت بسبب انهم الخ فاسم الاشارة مبتدأ والجار والمجرور فى محل رفع خبره (قوله لا يهدى القوم الكافرين) اى لا يوصلهم الى الايمان ولا يعصمهم من الزيغ (قوله اولئك الذين طبع الله على قلوبهم الخ) اى جعل عليها غلافا معنويا بحيث لا تذعن للحق ولا تسمعه ولا تبصره (قوله الخاسرون) اى لانهم ضيعوا اعمارهم فى غير منفعة تعود عليهم والموجب لخسرانهم أن الله تعالى وصفهم بست صفات تقدمت الغضب والعذاب العظيم واختيار الدنيا على الآخرة وحرمانهم من الهدى والطبع على قلوبهم وسمعهم وابصارهم وجعلهم من الغافلين (قوله ثم ان ربك) نزلت هذه الآية فى عياش بن ربيعة وكان اخا ابى جهل من الرضاعة وقيل من امه وفى ابى جندل بن سهل ابن عمرو والوليد بن الوليد بن المغيرة وسلمة بن هشام وعبد الله بن اسد الثقفى فتنهم المشركون

وعذبوهم

وعذبوهم فاعطوهم بعض ماأرادوا ليسلموا من شرهم ثم هاجروا وجاهدوا (قوله للذين هاجروا) متعلق بمحذوف هو خبر ان أى لغفور رحيم للذين هاجروا وهذا معنى قوله الآتى وخبر ان الاولى الخ (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية ايضا وعليها فيحتمل ان الفعل لازم فيكون معنى قوله فتنوا افتتنوا بمعنى قامت بهم الفتنة وقد اشار له المفسر بقوله أى كفروا أو متعد كما قال أو فتنوا الناس عن الايمان (قوله يوم تاتى) يوم ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكروا الامر للنبي صلى الله عليه وسلم أى اذكر يا محمد لقومك اهوال الآخرة ومايقع فيها لعلهم يعتبرون (قوله تحاج) أى تخاصم وتسعى فى خلاصها (قوله عن نفسها) ان قلت ان ظاهر الآية مشكل لانه يقتضى ان النفس لها نفس وليس كذلك أجيب بان المراد بالنفس الاولى الانسان المركب من جسم وروح وحقيقة والمراد بالنفس الثانية الذات المركبة من جسم وروح غير ملاحظ فيها الحقيقة فاختلفا بالاعتبار فكانه قال يوم ياتى كل انسان يجادل عن ذاته ولا يهمه غيره والمراد بالمجادلة الاعتذار بما لا يقبل منهم كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين روى عن ابن عباس انه قال ماتزال الخصومة بين الناس يوم القيامة حتى يخاصم الروح الجسد فيقول الروح يارب لم يكن لى يد أبطش بها ولا رجل أمشي بها ولا عين ابصر بها فضعف عليه العذاب فيقول الجسد يارب أنت خلقتنى كالخشبة ليس لى يد ابطش بها ولا رجل امشي بها ولا عين أبصر بها فجاء هذا الروح كشعاع النور فيه نطق لسانى و به أبصرت عيناى وبه مشت رجلاى فيضرب الله لهم مثلا أعمى ومقعدا دخلا حائطا اى بستانا فيه ثمار فالاعمى لا يبصر الثمر والمقعد لا يتناوله فحمل الاعمى المقعد فاصابا الثمر فعلى من يكون العذاب قالا عليهما قال عليكما جميعا العذاب اذا علمت ذلك تعلم ان هذا الوعيد خاص بالكافر واما المؤمن فهو فى أمن وامان لا يحزنه الفزع الاكبر وان كان يحصل له الخوف من جلال الله وهيبته لان الله سبحانه وتعالى فى ذلك اليوم يتجلى بالجلال على عباده فيخاف المسلمون والمشركون فالمشركون يخافون من العذاب اللاحق لهم والمسلمون يخافون من هيبته تعالى وان كانوا مطمئنين بالايمان (قوله لا يهمها غيرها) أى لشغلها بهمها (قوله وهم لا يظلمون شيا) اى لا يعذبون من غير ذنب أو المراد لا ينقصون من اجورهم شيا والاول أولى لان نفى النقص من الاجر علم من قوله وتوفى كل نفس ماعملت (قوله وضرب الله مثلا) المثل تشبيه قول بقول آخر بينهما مشابهة ليتبين احدهما ويظهر (قوله هى مكة) هذا هو المشهور بين المفسرين وهو الصحيح وعليه فالآية مدنية لان الله تعالى وصف القرية بصفات ست كانت هذه الصفات فى أهل مكة حين كان النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وعلى القول بانها مكية يكون اخبارا بالغيب تنزيلا لما سيقع منزلة الواقع لتحقق الحصول (قوله رغدا) بفتح الراء والغين المعجمة يقال رغد العيش بالضم رغادة اتسع (قوله من كل مكان) أى من كل جهة من البر والبحر (قوله بانعم الله) جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع أو جمع نعماء كابؤس و باساء (قوله بتكذيب النبي) الباء سببية (قوله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف) اى وذلك ان الله ابتلاهم بالجوع سبع سنين فقطع عنهم المطر وقطعت العرب عنهم الميرة حتى جهدوا فاكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب والميتة وشربوا الدماء واشتد بهم الامر حتى كان احدهم ينظر الى السماء فيرى شبه الدخان ثم ان رؤساء مكة كلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك فقالوا له ماهذا ادأبك عاديت الرجال فما بال النساء والصبيان فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس فى حمل الطعام اليهم وفى رواية انهم ارسلوا اليه أبا سفيان ابن حرب فى جماعة فقدموا عليه المدينة وقال له ابو سفيان يامحمد انك جئت تامر بصلة الرحم والعفو وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم فدعا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واذن للناس بحمل الطعام اليهم وهم بعد مشركون واعلم ان العلماء ذكروا فى هذه الآية

للذين هاجروا) الى المدينة (من بعد مافتنوا) عذبوا وتلفظوا بالكفر وفى قراءة بالبناء للفاعل أى كفروا أو فتنوا الناس عن الايمان (ثم جاهدوا وصبروا) على الطاعة (ان ربك من بعدها) أى الفتنة (لغفور) لهم (رحيم) بهم وخبر ان الاولى دل عليه خبر الثانية اذكر (يوم تاتى كل نفس تجادل) تحاج (عن نفسها) لا يهمها غيرها وهو يوم القيامة (وتوفى كل نفس) جزاء (ماعملت وهم لا يظلمون) شيا (وضرب الله مثلا) ويبدل منه (قرية) هى مكة والمراد اهلها (كانت آمنة) من الغارات لا تهاج (مطمئنة) لا يحتاج الى الانتقال عنها لضيق او خوف (ياتيها رزقها رغدا) واسعا (من كل مكان فكفرت بانعم الله) بتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم (فاذاقها الله لباس الجوع) فقحطوا سبع سنين (والخوف)

ثلاث استعارات الاولى تصريحية أصلية في الجوع والخوف من حيث اضافة اللباس اليهما وتقريرها ان يقال شبه ما غشيهم من اصفرار اللون ونحولة البدن وسوء الحال باللباس بجامع الظهور في كل واستعير اسم المشبه به للمشبه الثانية مكنية وتقريرها ان يقال شبه ذلك اللباس من حيث الكراهية بالطعم المر البشع وطوى ذكر المشبه به ورمزله بشيء من لوازمه وهو الاذاقة فاثباتها تخييل الثالثة تبعية وتقريرها ان يقال شبه الابتلاء بالاذاقة واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من الاذاقة أذاقهم بمعنى ابتلاهم (قوله بسر ايا النبي) الباء سببية والمراد بسر اياه جماعته التي كان يبعثها للاغارة عليهم فكان أهل مكة يخافونهم (قوله بما كانوا يصنعون) اى بسبب صنعهم أو بسبب الذي كانوا يصنعونه (قوله ولقد جاءهم) أى اهل مكة (قوله رسول منهم) اى من جنسهم (قوله وهم ظالمون) الجملة حالية والمراد بالظالمين الكافرون (قوله فكلوا) مفرع على التمثيل اى فاذا علمتم ما حصل للكفار من الحرمان وما حل بهم بسبب كفر النعم فدوموا أيها المؤمنون على حالتكم المرضية وكلوا الخ (قوله حلالا طيبا) حالان من ما أى كلوا مما رزقكم الله به حال كونه حلالا طيبا (قوله تعبدون) اى تطيعون (قوله انما حرم عليكم الميتة الخ) شروع في ذكر المحرمات ليعلم ان ما عدا ذلك حلال طيب (قوله فمن اضطر غير باغ) اى خارج على الامام كالبغاة وقوله ولا عاد أى قاطع للطريق فلا يباح لهم تعاطي الميتة اذا اضطروا وا لم يتوبوا واما المضطر غير ما ذكر فيحل له الاكل منها والشبع والتزود عند مالك وعند الشافعي لا يحل له الا ما يسد رمقه (قوله ولا تقولوا) لا ناهية والفعل مجزوم بحذف النون والواو فاعل وقوله هذا حلال الخ مقول القول وقوله لما تصف اللام للتعليل وما مصدرية والكذب مفعول لتصف وقوله لتفتروا بدل من التعليل الاول والمعنى لا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لاجل وصف ألسنتكم الكذب افتراء على الله بنسبة ذلك اليه (قوله بنسبة ذلك) اى التحليل والتحريم (قوله لا يفلحون) اى لا يفوزون ولا يظفرون بمطلوبهم لا في الدنيا ولا في الآخرة والوقف هنا وقوله متاع قليل كلام مستانف (قوله متاع قليل) مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله لهم وقدره مقدما ليكون مسوغا للابتداء بالنكرة (قوله وعلى الذين هادوا) شروع في ذكر ما يخص اليهود من التحريم اثر بيان ما يحل لاهل الاسلام وما يحرم عليهم وتحريم الشيء اما لضرر فيه واما لبغي المحرم عليهم فاشار للاول بقوله انما حرم عليكم الميتة الخ وأشار للثاني بقوله وعلى الذين هادوا الخ (قوله ثم ان ربك) لما بالغ في تهديد المشركين وبين ما حل وما حرم ذكر ان فعل تلك القبائح لا يمنع من التوبة والرجوع والانابة بل باب التوبة مفتوح لكل كافر ما لم يغرغر فهو ترغيب للكافر في الاسلام وللعاصي في التوبة والاقلاع عن الذنوب (قوله للذين) متعلق بمحذوف دل عليه خبر ان الآتية تقديره ثم ان ربك لغفور رحيم للذين عملوا السوء الخ (قوله بجهالة) اى بسبب جهل العواقب وجلال الله اذ لا يقع الذنب الا من جاهل بالعواقب او جاهل بجلال الله ولو علم قدر العقاب المدخر للعاصي ما قدم على معصية قط (قوله من بعد ذلك) اى الشرك (قوله او التوبة) اولتنويع الخلاف في مرجع الضمير (قوله ان ابراهيم كان أمة) للمفسرين في معنى هذه اللفظة أقوال قيل الامة معلم الخير اى انه كان معلما للخير يأتم به اهل الدنيا وقيل انه كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار فلهذا المعنى كان أمة وحده وقيل الامة الذي يقتدي و يؤتم به لانه كان اماما يقتدى به وفي الاصل الامة الجماعة واطلاق الامة بمعنى الجماعة عليه لجمعه أوصاف الكمالات التي تفرقت في الخلق ومنه قول الشاعر

وليس على الله بمستنكر * ان يجمع العالم في واحد

وقد ذكر الله في هذه الآيات من صفات ابراهيم عشرة أوصاف حميدة (قوله مائلا الى الدين القيم) اى تاركا لما عداه من الاديان الباطلة (قوله ولم يك من المشركين) هذا الوصف قد علم التزاما من قوله حنيفا

الجوع والخوف (وهم ظالمون فكلوا) أيها المؤمنون (مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم) اى لوصف ألسنتكم (الكذب هذا حلال وهذا حرام) لما لم يحله الله ولم يحرمه (لتفتروا على الله الكذب) بنسبة ذلك اليه (ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) لهم (متاع قليل) في الدنيا (ولهم) في الآخرة (عذاب أليم) مؤلم (وعلى الذين هادوا) اى اليهود (حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) في آية وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الى آخرها (وما ظلمناهم) بتحريم ذلك (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بارتكاب المعاصي الموجبة لذلك (ثم ان ربك للذين عملوا السوء) الشرك (بجهالة ثم تابوا) رجعوا (من بعد ذلك وأصلحوا) عملهم (ان ربك من بعدها) اى الجهالة والتوبة (لغفور) لهم (رحيم) بهم (ان ابراهيم كان أمة) اماما قدوة جامعا لخصال الخير (قانتا) مطيعا (لله حنيفا) مائلا الى الدين القيم (ولم يك من المشركين) وانما

وانما ذكره ردا على المشركين حيث زعموا انهم على ملة ابراهيم (قوله شاكرا لانعمه) أى صارفا جميع ما انعم الله به عليه الى ما خلق لاجله فهو معصوم عن الغفلة وعن كل شاغل يشغله عن الله ظاهرا او باطنا (قوله اجتباه) أى اختاره من دون خلقه وهذا الوصف وما بعده ناشئ من الله خاصة لم يكن له فيه كسب اشارة الى ان ما نشأ عنه من الاخلاق الحميدة والافعال الجميلة باختيار الله له لا بنفسه (قوله الى صراط مستقيم) أى دين قويم لا اعوجاج فيه (قوله فيه التفات عن الغيبة) اى الى التكلم اشارة الى زيادة الاعتناء بشانه (قوله هى الثناء الحسن) اى الذكر بخير (قوله فى كل أهل الاديان) اى عند كل اهل الملل فجميعهم يترضون عنه ولا يكفرون به و يزعمون انهم على ملته (قوله لمن الصالحين) اى من أكملهم وأعلاهم درجة وهذا تتميم لقوله وآتيناه فى الدنيا حسنة فان حسنة الدنيا لا تتم الا بحسنة الآخرة (قوله ثم أوحينا اليك) هذا هو الوصف العاشر ولما كان أعلى الاوصاف لابراهيم وأجلها واكملها اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملته فصله عما قبله حيث عطفه بثم (قوله ان اتبع) يصح ان تكون أن تفسيرية أو مصدرية فتكون مع ما دخلت عليه فى محل نصب مفعول لقوله أوحينا (قوله ملة ابراهيم) اى شريعته ومعنى اتباع النبي فيها اتباعه فى الاصول وهى عقائد التوحيد فرسول الله أمر باتباع ابراهيم بل وباتباع من تقدمه من الانبياء فى التوحيد لانهم مشتركون فيه قال تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الآية (قوله حنيفا) حال من ابراهيم وهو وان كان مضافا اليه الا ان شرطه موجود وهو ان المضاف كالجزء من المضاف اليه لانه يصح الاستغناء بالثانى عن الاول (قوله ردا على زعم اليهود والنصارى) المناسب ان يقول ردا على المشركين لان اليهود والنصارى لم يكونوا مدعين الاشراك (قوله انما جعل السبت الخ) هذا رد على اليهود حيث كانوا يدعون ان تعظيم السبت من شريعة ابراهيم وهم متبعون له فرد الله عليهم بانه ليس السبت من ملة ابراهيم التى زعمتم انكم متبعون لها بل كان من شريعته تعظيم يوم الجمعة ولذا اختاره الله للامة المحمدية لانه يوم تمام النعمة و يوم المزيد فى الجنة (قوله على الذين اختلفوا فيه) اى خالفوا ربهم حيث أمرهم على لسان نبيهم ان يعظموا يوم الجمعة بالتفرغ للعبادة فيه فابوا واختاروا السبت فشدد عليهم بتحريم الاصطياد فيه عليهم وليس المراد بالاختلاف ان بعضهم رضى به والبعض لم يرض بل المراد امتناع الجميع (قوله واختاروا السبت) أى وقالوا لانه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والارض وما فيهما فنحن نوافق ربنا فى ترك الاعمال يوم السبت واختارت النصارى يوم الاحد وقالوا لانه مبدأ الخلق فنجعله عيدا لنا (قوله من امره) أى السبت (قوله بان يثيب الطائع) اى وهو من لم يصطد به وعظمه (قوله و يعذب العاصى) اى وهو من صنع الحيلة واصطاد فيه فعذبوا فى الدنيا بمسخهم قردة وخنازير وفى الآخرة بالعذاب الدائم (قوله ادع) فعل امر وفاعله مستتر وجوبا تقديره انت ومفعوله محذوف قدره المفسر بقوله الناس وفى هذا اشارة الى ان بعثته عامة وعبر بالناس وان كان داعيا للجن ايضا باعتبار ما ظهر لنا فقط (قوله دينه) سمى الدين سبيلا لانه الموصل لدار السعادة الابدية والسيادة السرمدية (قوله بالقرآن) اى وسمى حكمة لانه العلم النافع (قوله والموعظة الحسنة) عطف خاص على عام لان القرآن مشتمل على مواعظ وغيرها والمراد بالموعظة الحسنة الترغيب والترهيب والحكمة فى ذكر الموعظة الحسنة التشويق للعبادة والنشاط لها وسهولة البعد عن المخالفات لما فى الحديث كان صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة أحيانا مخافة السآمة علينا اى يخلل كلامه بالترغيب والترهيب فى بعض الاحيان لئلا يحصل لنا الملل من توالى الامر والنهى وتتابعهما من غير تخللهما بشئ يروح النفوس و يشوقها و يحثها على فعل الطاعات واجتناب المنهيات (قوله أو القول الرفيق) تفسير ثان للموعظة الحسنة والمراد بالقول الرفيق الالفاظ التى فيها اللين والرفق كقوله

شاكرا لانعمه اجتباه) اصطفاه (وهداه الى صراط مستقيم وآتيناه) فيه التفات عن الغيبة (فى الدنيا حسنة) هى الثناء الحسن فى كل اهل الاديان (وانه فى الآخرة لمن الصالحين) الذين لهم الدرجات العلا (ثم اوحينا اليك) يا محمد (ان اتبع ملة) دين (ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) كرر ردا على زعم اليهود والنصارى انهم على دينه (انما جعل السبت) فرض تعظيمه (على الذين اختلفوا فيه) على نبيهم وهم اليهود امروا ان يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فقالوا لا نريده واختاروا السبت فشدد عليهم فيه (وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) من امره بان يثيب الطائع ويعذب العاصي بانتهاك حرمته (ادع) الناس يا محمد (الى سبيل ربك) دينه (بالحكمة) بالقرآن (والموعظة الحسنة) مواعظه او القول الرفيق (وجادلهم

تعالى قل لا أسئلكم عليه أجرا الا المودة فى القربى وقوله تعالى حكاية عن مؤمن آل فرعون ويا قوم مالى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار الآيات (قوله بالتى هى أحسن) أى ليترتب على ذلك حصول الفائدة لهم والانقياد للطريق القويم (قوله بآياته) أى كقصة ابراهيم مع قومه حيث قال لهم حين جن عليه الليل ورأى كوكبا هذا ربى الخ (قوله والدعاء الى حججه) أى براهينه ودلائله قال تعالى قل انظروا ماذا فى السموات والارض الآية (قوله أى عالم) أشار بذلك الى أن اسم التفضيل ليس على بابه ودفع بذلك مايقال ان اسم التفضيل يقتضي المشاركة مع أن صفات الله قديمة لا مشارك له فيها (قوله بمن ضل عن سبيله) أى حاد وزاغ عنه (قوله وهو أعلم بالمهتدين) حكمة التعبير فى جانب أهل الهدى بصيغة الاسم وفى جانب أهل الضلال بالفعل الاشارة الى أن أهل الهدى استمروا على الفطرة الاصلية وأهل الضلال غيروا تلك الفطرة وبدلوها باحداث الضلال ان قلت قوله تعالى ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا الخ يقتضى أن الاصل فى الانسان الضلال والهدى طارئ عليه أجيب بانه محمول على العالم الجسمانى أى أن الاصل فى الانسان باعتبار عالم الاجساد الخسران والضلال والهدى طارئ ببعثة الرسل ومافى هذه الآية محمول على عالم الارواح وهو الاصل الاصيل لان الله لما خاطب الارواح فى عالم الذر وقال لهم ألست بربكم قالوا جميعا بلى فالمهتدى فى عالم الاجساد استصحب ذلك الاصل ومن ضل فى عالم الاجساد فقد نسي ذلك العهد واتبع شهوات نفسه ثم اعلم أن مقتضي حل المفسر يقتضي ان المدعو بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن واحد وقال بعضهم الناس خلقوا ثلاثة أقسام الاول العلماء الراسخون فهم المشار اليهم بقوله أدع الى سبيل ربك بالحكمة أى العلم النافع لينتفعوا وينفعوا الناس الثانى الذين لم يبلغوا حد الكمال وكانوا دون الاوائل وهم المشار اليهم بقوله والموعظة الحسنة الثالث الكفار أصحاب الجدال والخصام وهم المشار اليهم بقوله وجادلهم بالتى هى أحسن أى لينقادوا للحق ويرجعوا اليه (قوله وهذا قبل الامر بالقتال) أشار بذلك الى أن الآية منسوخة وقيل ليست بمنسوخة لان الامر بالمجادلة الحسنة ليس فيها نهى عن القتال بل المراد أدعهم وجادلهم برفق فى اول الامر فان امتثلوا فواضح والا فشيء آخر (قوله ونزل) اى بالمدينة (قوله لما قتل حمزة) اى فى السنة الثانية فى احد وحمزة عم رسول الله واخوه من الرضاع وقريبه من الام ايضا وكان اسن من النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين (قوله ومثل به) اى مثل به المشركون فقطعوا انفه واذنيه وذكره وانثييه وبقروا بطنه (قوله وقد رآه) الجملة حالية (قوله والله لامثلن الخ) فى كلام المفسر اختصار للحديث ولفظه اما والله لئن ظفرنى الله بهم لامثلن الخ (قوله وان عاقبتم) اى اردتم المعاقبة (قوله ولئن صبرتم) اى عفوتم وتركتم القصاص (قوله لهو) بضم الهاء وسكونها قراءتان سبعيتان (قوله فكف) اى عن التمثيل بهم (قوله واصبر) الخطاب للنبي والمراد به العموم تعليما للامة حسن الادب (قوله وماصبرك الا بالله) اى باقداره لك عليه لا بنفسك فان الصبر كالحب والبغض قائم بالقلب والقلب بيد الله يقلبه كيف يشاء فمن خلق الله فيه الصبر صبر ومن لا فلا فليس للعبد مدخل فيه (قوله ولا تحزن عليهم) اى لا تتأسف على اعراضهم عن الهدى (قوله ولا تك فى ضيق) بفتح الضاد وكسرها قراءتان سبعيتان أى لا يكن فيك ضيق فالكلام على القلب وانما اتى به مقلوبا اشارة الى ان الضيق اذا اشتد كان كالشيء المحيط واتى هنا بحذف نون تك وفى النمل باثباتها تفننا لان حذفها للتخفيف وهو حذف غير لازم قال ابن مالك

ومن مضارع لكان منجزم * تحذف نون وهو حذف ما التزم

لان اصل يك يكون دخل الجازم فسكن النون فالتقى ساكنان حذفت الواو لالتقائهما وحذفت النون تخفيفا

بالتى) اى بالمجادلة التى (هى احسن) كالدعاء الى الله بآياته والدعاء الى حججه (ان ربك هو اعلم) اى عالم (بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين) فيجازيهم وهذا قبل الامر بالقتال * ونزل لما قتل حمزة ومثل به فقال صلى الله عليه وسلم وقد رآه والله لامثلن بسبعين منهم مكانك (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم) عن الانتقام (لهو) أى الصبر (خير للصابرين) فكف صلى الله عليه وسلم وكفر عن يمينه رواه البزار (واصبر وما صبرك الا بالله) بتوفيقه (ولا تحزن عليهم) اى الكفار ان لم يؤمنوا لحرصك على ايمانهم (ولا تك فى ضيق مما يمكرون)

اى لاتهتم بمكرهم فانا ناصرك عليهم (ان الله مع الذين اتقوا) الكفر والمعاصي (والذين هم محسنون) بالطاعة والصبر بالعون والنصر

﴿سورة الاسراء مكية الا وان كادوا ليفتنونك الآيات الثمان مائة وعشر آيات اوواحدى عشرة آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم سبحان) اى تنزيه (الذى اسرى بعبده) محمد صلى الله عليه وسلم (ليلا) نصب على الظرف والاسراء سير الليل وفائدة ذكره الاشارة بتنكيره الى تقليل مدته

(قوله اى لاتهتم بمكرهم) اشار بذلك الى ان مامصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر (قوله بالعون والنصر) اشار بذلك الى ان المعية مع المتقين والمحسنين معية معنوية خاصة وهذا لاينافى قوله تعالى ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم اينما كانوا لان المعية خاصة وعامة فالعامة بالتصريف والتدبير لكل مخلوق والخاصة بالاعانة والنصر والرضا للمتقين والمحسنين احياء وأمواتا فرضا الله على المتقين والمحسنين دائم مستمر لا ينقطع فاذا كان كذلك فينبغى زيارة الصالحين وخدمتهم لكونهم فى حضرة الرضا أحياء وأمواتا لا ينقطع عنهم مدد ربهم وقوله فى الحديث اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث علم ينتفع به الخ المراد ثواب اعمالهم المتجدد فلا يتجدد لهم ثواب عمل واما ما ثبت لهم فى نظير العمل السابق فهو دائم مستمر وانما يتجدد لهم ثواب علم خلفوه او ولد صالح الى آخر ما فى الحديث ومن هنا زيارة الصالح الحى افضل من زيارة الصالح الميت لان الحى اعماله كلها مستمرة الصعود مادام حيا ويتجدد له ثوابها ولذلك تضن روح المؤمن الصالح بالحياة فلا تحب الموت لان فيه عزلها عن خدمة ربها التى هى اشرف الاشياء وأفضلها

﴿سورة الاسراء مكية﴾

وتسمى سورة بنى اسرائيل وتسمى سورة سبحان لانه جرت عادة الله فى كتابه انه يسمى السورة باسم بعضها وسورة مبتدأ ومكية خبر اول وقوله مائة الخ خبر ثان (قوله الا وان كادوا الخ) وقيل كلها مكية (قوله الآيات الثمان) اى وآخرها قوله تعالى سلطانا نصيرا لكن بحث البيضاوى فيه بان قوله تعالى وقل رب أدخلنى مدخل صدق الخ نزلت بمكة حين أمر صلى الله عليه وسلم بالهجرة وقد يجاب عن بحثه بانها لما نزلت بعد الامر بالهجرة التحقت بالمدنى خصوصا وقد قال العلماء المدنى ما نزل بعد الهجرة وان بارض مكة (قوله سبحان) هو فى الاصل مصدر سماعى لسبح المشدد او اسم مصدر له ثم صار علما على التنزيه اى وعلى كل فهو مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره اسبح فالمقصود منه اما التنزيه فقط اى تنزيه من هذا وصفه عن كل نقص لان هذه معجزة لم تسبق لغيره صلى الله عليه وسلم أو المقصود التعجب فقط على حد سبحان الله المؤمن لا ينجس اى عجبا لباهر قدرة فاعل هذا الفعل وكماله أو التنزيه مع التعجب كانه قال عجبا لتنزيه الله تعالى عن كل نقص حيث صدر منه هذا الفعل العجيب الخارق للعادة (قوله الذى) اسم موصول مضاف لسبحان والموصول وان كان مبهما الا انه تميز بالصلة فان هذه الصلة ليست لغيره تعالى سيما مع تصدير الجملة بالتسبيح الذى هو مختص بالله (قوله أسرى) هو وسرى فعل لازم بمعنى سار فى الليل فالهمزة ليست للتعدية الى المفعول (قوله بعبده) لم يقل بنبيه ولا برسوله اشارة الى ان وصف العبودية اخص الاوصاف وأشرفها لانه اذا صحت نسبة العبد له به بحيث لا يشرك فى عبادته له احدا فقد فاز وسعد ولذا ذكره الله فى المقامات الشريفة كما هنا وفى مقام الوحى قال تعالى فاوحى الى عبده ما أوحى وفى مقام الدعوة قال تعالى وأنه لما قام عبد الله يدعوه الخ ولذا قال القاضي عياض

ومما زادنى شرفا وتيها * وكدت باخمصى اطأ الثريا
دخولى تحت قولك ياعبادى * وان صيرت احمد لى نبيا

وهناك وجه آخر وهو خوف ضلال أمته به كما ضلت أمة عيسى به حيث قالوا ابن الله وقوله بعبده اى بروحه وجسمه على الصحيح خلافا لمن قال ان الاسراء بالروح فقط ونقل عن عائشة وهو مردود بانها كانت حديثة السن اذ ذاك ولم تكن فى عصمته صلى الله عليه وسلم (قوله محمد) انما لم يصرح به لعلمه من السياق ومن سبب النزول (قوله وفائدة ذكره) اى مع علمه من ذكر الاسراء (قوله الى تقليل مدته) اى فقيل قدر اربع ساعات وقيل ثلاث وقيل قدر لحظة قال السبكى فى تائيته * وعدت وكل الامر فى قدر لحظة *

(قوله من المسجد الحرام) من لا بتداء الغاية (قوله اى مكة) انما فسره بذلك ليصدق بكل من القولين وهما هل كان مضطجعا فى المسجد او فى بيت أم هانىٔ وفى الحقيقة لا تخالف لانه على القول بانه كان فى بيت ام هانىٔ فقد احتملته الملائكة وجاؤا به الى المسجد وشقوا صدره هنالك ثم اتواله بالبراق بعد ذلك فلم يحصل الاسراء الا من المسجد فالاولى للمفسر ان يبقى الآية على ظاهرها وكان المسجد اذذاك بقدر المطاف ثم وسعه الملوك واول من وسع فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكانوا يشترون دور مكة ويدخلونها فيه (قوله الى المسجد الاقصى) هو اول مسجد بنى فى الارض بعد الكعبة بناه آدم بعد ان بنى الكعبة بار بعين سنة والحكمة فى الاسراء به الى بيت المقدس ليظهر شرفه على جميع الانبياء والمرسلين لانه صلى بهم اماما فى مكانهم وشان الذى يتقدم على الانسان فى بيته يكون هو السلطان لان السلطان له التقدم على غيره مطلقا وليسهل على امته المحشر حيث وضع قدمه فيه فان الخلق يحشرون هنالك (قوله بيت المقدس) من اضافة الموصوف لصفته أي البيت المقدس اى المطهر عن عبادة غيره تعالى ولذا لم يعبد فيه صنم قط (قوله الذى باركنا حوله) أي بركة دنيوية بالثمار والانهار كما قال المفسر وأما فى داخله فليست مختصة به بل البركة فى كلا المسجدين بل هى أتم فى المسجد الحرام (قوله لنريه) اللام للحكمة اى حكمة اسرائنا به رؤيته من آياتنا وعامة القراء على قراءته بالنون وقرأ الحسن ليريه بالياء فعلى الاول يكون فى الكلام التفاتان الاول من الغيبة للتكلم فى قوله باركنا ولنريه الثانى من التكلم للغيبة فى قوله انه هو السميع البصير وعلى الثانى يكون فيه اربع التفاتات الاول من الغيبة فى قوله بعبده الى التكلم فى قوله باركنا الثانى من التكلم الى الغيبة فى ليريه الثالث من الغيبة الى التكلم فى قوله من آياتنا الرابع من التكلم الى الغيبة فى قوله انه هو السميع البصير ومن فى قوله من آياتنا للتبعيض اى لنريه بعض آياتنا وانما أتى بها تعظيما للآيات الله اى ان محمدا وان رأى ما رأى من الآيات العظيمة والعجائب الفخيمة فهو بعض بالنسبة لآيات الله وعجائب قدرته وجلائل حكمته ان قلت انما هنا يقتضى التبعيض وقوله تعالى فى حق ابراهيم وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض انه لا تبعيض فظاهر هذا ان ما رآه ابراهيم أكثر مما رآه محمد وهو خلاف الاجماع أجيب بان ملكوت السموات والارض بعض الآيات العظيمة التى رآها محمد فابراهيم رأى بعض البعض (قوله انه هو السميع البصير) المشهور أن الضمير عائد على الله تعالى اى هو السميع للاقوال البصير بالاحوال والافعال وقيل الضمير عائد على النبي صلى الله عليه وسلم وحكمة الاتيان بهذين الوصفين الثناء على رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث شاهد ما شاهد وسمع ما سمع ولم يزغ بصره ولم يدهش سمعه فهو نظير قوله تعالى مازاغ البصر وما طغى اشارة الى علو مقامه ورفعة شانه ولذا قال العارف البرعى وان قابلت لفظة لن ترانى * بما كذب الفؤاد فهمت معنى

فان الله كلم ذاك وحيا * وكلم ذا مشافهة وادنى

الى ان قال فموسى خر مغشيا عليه * واحمد لم يكن ليزيغ ذهنا

(قوله على اجتماعه بالانبياء) اى الرسل وغيرهم يصلوا خلفه (قوله وعروجه الى السماء) اى صعوده اليها محفوفا بالملائكة الكرام (قوله ورؤية عجائب الملكوت) اى كالملائكة والجنة والنار واعلم ان العوالم أربع عالم الملك وهو ما نشاهده وعالم الملكوت وهو ما خفى عنا وعالم الجبروت وهو العلوم والاسرار وعالم العزة وهو ما لا يمكن التعبير عنه كذات الله ويسمى سر سر السر قال السيد البكرى ويسر سر سرك الذى لا ننفى بالافصاح عن حقيقته الرقائق (قوله ومناجاته له تعالى) اى شفاها مع رفع الحجاب (قوله فانه صلى الله عليه وسلم الخ) القصد من ذلك تفصيل ما أجمل فى الآية الكريمة وقد اختلفت الروايات فى الاسراء والمعراج جدا

(من المسجد الحرام) اى مكة (الى المسجد الاقصى) بيت المقدس لبعده منه (الذى باركنا حوله) بالثمار والانهار (لنريه من آياتنا) عجائب قدرتنا (انه هو السميع البصير) أى العالم باقوال النبي صلى الله عليه وسلم وافعاله فانعم عليه بالاسراء المشتمل على اجتماعه بالانبياء وعروجه الى السماء ورؤية عجائب الملكوت ومناجاته له تعالى فانه صلى الله عليه وسلم قال

أتيت بالبراق وهو دابة ابيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه فركبته فسار بى حتى أتيت بيت المقدس فربطت الدابة بالحلقة التى تربط فيها الانبياء ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءنى جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن قال جبريل اصبت الفطرة قال ثم عرج بى الى السماء الدنيا فاستفتح جبريل قيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال قد ارسل اليه ففتح لنا فاذا أنا بآدم فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بى الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت فقال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بابنى الخالة يحيى وعيسى فرحبا بى ودعوا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل فقيل ومن معك قال محمد فقيل وقد ارسل اليه قال قد ارسل اليه ففتح لنا فاذا انا بيوسف واذا هو قد اعطى شطر الحسن فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل فقيل ومن معك قال محمد فقيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بادريس

وقد اقتصر المفسر على هذه الرواية لكونها رواية البخارى ومسلم (قوله اتيت بالبراق) أى بعد ان جاءه جبريل وميكائيل ومعهما ملك آخر فاحتملوه حتى جاؤا به زمزم فاضجعوه وشقوا من ثغرة نحره الى أسفل بطنه وأخرجوا قلبه وغسلوه ثلاث مرات ثم ملؤه حلما وعلما ويقينا واسلاما ثم اطبقوه وختموا بين كتفيه بخاتم النبوة ثم أتى بالبراق بضم الباء ماخوذ من البرق لسرعة سيره او من البريق لشدة صفاء لونه ولمعانه وهو من جملة اربعين الف براق ترتع فى ربض الجنة معدة له صلى الله عليه وسلم (قوله دابة) اى ليست ذكرا ولا انثى وفى الاستعمال يجوز التذكير باعتبار كونه مركوبا ويؤنث باعتبار كونه دابة (قوله فوق الحمار ودون البغل) اى فهو متوسط بينهما (قوله عند منتهى طرفه) هو بسكون الراء البصر (قوله فركبته) أى وكان جبريل عن يمينه آخذا بركابه وميكائيل عن يساره آخذا بزمام البراق (قوله حتى اتيت بيت المقدس) فى هذه الرواية اختصار وزيد فى غيرها أنه نزل بالمدينة ومدين وطورسيناء وبيت لحم فصلى فى كل موضع ركعتين بامر من جبريل عن الله لتحصل زيادة بركته لتلك الاماكن وليقتدى به غيره فى العبادة بالاماكن المشرفة ورأى بين كل موضع والآخر عجائب وغرائب مذكورة فى قصة النجم الغيطى (قوله فربطت الدابة) يقال ربط يربط من باب ضرب شده (قوله بالحلقة) بسكون اللام ويجوز فتحها والربط تعليما للاحتياط فى الامور واشارة الى ان الاخذ فى الاسباب لا ينافى التوكل (قوله التى تربط فيها الانبياء) أى الذين كانوا ياتون بيت المقدس لزيارته وفى رواية ان جبريل اخذ البراق من الباب وادخله المسجد وخرق الصخرة باصبعه وربط البراق فيها (قوله فصليت فيه ركعتين) أى اماما بالانبياء أجسادا وأرواحا والملائكة وارواح المؤمنين وهذه الصلاة لم يعلم كونها فرضا او نفلا غاية ما يقال انه أمر بها وهو مطيع وفى الحديث اختصار لانه طوى ذكر صلاة الركعتين تحية المسجد حين اجتمع جميع الانبياء والملائكة وارواح المؤمنين ويحتمل أن يقال ان الركعتين المذكورتين فى الحديث هما تحية المسجد وطوى ذكر الركعتين اللتين ام فيهما الناس (قوله فجاءنى جبريل) اى حين أخذنى من العطش اشد ما أخذنى (قوله اصبت الفطرة) اى الخلقة الاصلية وهى فطرة الاسلام وفى بعض الروايات ان جبريل قال له ولو اخترت الخمر لغوت أمتك ولم يتبعك منهم الا قليل وفى رواية ان الآنية كانت ثلاثا والثالث فيه ماء وان جبريل قال له ولو أخذت الماء لغرقت امتك (قوله قال) اى الراوى وهو انس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله ثم عرج بى) أى بعد ان اتى بالمعراج ووضع على صخرة بيت المقدس وهو سلم له عشر مراق احداها من ذهب والاخرى من فضة واحد جانبيه من ياقوتة حمراء والآخر من ياقوتة بيضاء وهو مكلل بالدر سبع منها للسموات السبع والثامنة للسدرة والتاسعة للكرسى والعاشرة الى العرش فلما هما بالصعود نزلت المرقاة التى عند السماء الدنيا فركباها وصعدت بهما الى محلها ثم نزلت الثانية لهما وهكذا (قوله الى السماء الدنيا) أى وهى من موج مكفوف والثانية من مرمرة بيضاء والثالثة من حديد والرابعة من نحاس والخامسة من فضة والسادسة من ذهب والسابعة من ياقوتة حمراء والكرسى من ياقوتة بيضاء والعرش من ياقوتة حمراء وابواب السموات كلها من ذهب واقفالها من نور ومفاتيحها اسم الله الاعظم (قوله فاستفتح جبريل) اى طلب الفتح من الملك الموكل بالباب وحكمة غلقها اذ ذاك لزيادة الاكرام بالسؤال والترحيب له صلى الله عليه وسلم (قوله قيل من انت الخ) فيه اختصار وفى الرواية المشهورة قيل مرحبا به واهلا حياه الله من اخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجىء جاء (قوله قيل وقد ارسل اليه) المعنى اجاء وقد ارسل اليه ان قلت ان رسالته ليست خافية عليهم حتى يسالوا عنها اجيب بان المراد ارسل اليه للعروج الى السموات والمكالمة (قوله فاذا أنا بآدم) فى بعض

فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقيل من انت فقال جبريل فقيل ومن معك قال محمد فقيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بهرون فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل فقيل ومن معك قال محمد فقيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل من انت فقال جبريل فقيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابراهيم فاذا هو مستند الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى فاذا اوراقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال فلما غشيها من امر الله ما غشيها تغيرت فما احد من خلق الله تعالى يستطيع يصفها من حسنها قال فاوحى الله الى ما اوحى وفرض علي في كل يوم وليلة خمسين صلاة فنزلت حتى انتهيت الى موسى فقال ما فرض ربك على امتك قلت خمسين

الروايات وعن يمينه أسودة وباب يخرج منه ريح طيبة وعن يساره اسودة وباب يخرج منه ريح خبيثة فاذا نظر قبل يمينه ضحك واستبشر واذا نظر قبل شماله حزن وبكى فسال جبريل عن ذلك فقال هذه الاسودة نسم بنيه والباب الذي عن يمينه باب الجنة والذي عن يساره باب النار فاذا رأى من يدخل قبل يمينه ضحك واذا رأى من يدخل قبل يساره بكى (قوله فرحب بي) أي قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح (قوله ثم عرج بنا) أي أنا مع جبريل (قوله بابني الخالة) فيه مسامحة اذ عيسى ابن بنت خالة يحيى ويحيى ابن خالة أم عيسى لان عيسى ابن مريم وهي بنت حنة وحنة أخت أشاع واشاع أم يحيى وقد اتصف عيسى بصفات الملائكة لا ياكل ولا يشرب ولا ينام (قوله شطر الحسن) أي نصفه والنصف الآخر قسم بين جميع الخلق وحسنه صلى الله عليه وسلم غير ذلك الحسن الذي أعطى يوسف شطره اذ هو غير منقسم ولم يعط منه شيء لغيره قال البوصيري

منزه عن شريك في محاسنه * فجوهر الحسن فيه غير منقسم

(قوله بادريس) وهو أول من خاط الثياب وقبل ذلك كانوا يلبسون الجلود (قوله بهرون) في بعض الروايات ونصف لحيته سوداء ونصف لحيته بيضاء وذلك من مسك أخيه موسى لها حين جاء ووجد قومه قد عبدوا العجل (قوله فاذا أنا بموسى) في بعض الروايات وحوله نفر من قومه فلما جاوزته بكى فقيل له ما يبكيك قال أبكي لان غلاما بعث من بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخل الجنة من أمتي فلو أنه في نفسه لم أبال وفي رواية أنه سال الله تعالى أن يجعله من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فاجابه الله (قوله بابراهيم) أي خليل الرحمن فقال لي مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ودعا لي بخير وقال اقرأ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وان غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر (قوله واذا هو) القصد من ذلك بيان أن الملائكة لا يعلم عدتهم الا الله قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو (قوله ثم ذهب بي) أي عرج بي لان هذا هو المعراج الثامن (قوله الى سدرة المنتهى) اي الى اعلاها فان السدرة أصلها في السماء السادسة واغصانها وفروعها فوق السماء السابعة (قوله كآذان الفيلة) اي في الشكل والافكل ورقة تظل هذه الامة (قوله كالقلال) جمع قلة وكانت معلومة عند المخاطبين وفي بعض الروايات كقلال هجر وهي [illegible] القلة منها كالزير الكبير (قوله فلما غشيها) أي قام بها من الحسن والبهاء (قوله قال فاوحى) فيه اختصار اي ثم رفع الى مستوى سمع فيه صريف الاقلام وهو المعراج التاسع ثم دلي الرفرف فزج به في النور فعند ذلك تاخر جبريل فقال له اهنا يفارق الخليل خليله فقال له هذا مكاني فلو فارقته لاحترقت من النور اي ذهب نوري وتلاشيت لشدة الانوار وظهورها قال رسول الله فخاطبني ربي ورايته بعيني بصري واوحى الخ (قوله ما اوحى) ابهم ذلك اشارة الى عظم ما اوحى به اليه وعدم احاطة جميع الخلق به قال البوصيري

فان من جودك الدنيا وضرتها * ومن علومك علم اللوح والقلم

(قوله وفرض علي الخ) عطف خاص على عام وانما صرح به لتعلقه بالامة واما عطاياه التي تخصه فلم يعبر عنها اذ لا تحيط بها العبارة ولا تحصيها الاشارة وقوله علي اي وعلى امتي لان الاصل عدم الخصوصية الا لدليل يدل على التخصيص فذكر الفرض عليه يستلزم الفرض على امته (قوله فنزلت) اي ومررت على ابراهيم فلم يقل شيا (قوله الى موسى) اي في السماء السادسة والحكمة في ان موسى اختص بالمراجعة دون غيره من الانبياء ان امته كلفت من الصلوات بما لم يكلف به غيرها فثقلت عليهم فرفق موسى بامة محمد صلى الله عليه وسلم لكونه طلب ان يكون منها وايضا فقد طلب موسى الرؤية فلم ينلها ومحمد نالها من غير طلب فاحب

صلاة كل يوم وليلة قال ارجع الى ربك فاساله التخفيف فان امتك لا تطيق ذلك واني قد بلوت بني اسرائيل

وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت اى ربي خفف عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسي قال مافعلت فقلت قد حط عني خمسا قال ان امتك لا تطيق ذلك فارجع الى ربك فاساله التخفيف لامتك قال فلم ازل ارجع بين ربي و بين موسي و يحط عني خمسا خمسا حتى قال يامحمد هي خمس صلوات في كل يوم وليلة بكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب فان عملها كتبت له سيئة واحدة فنزلت حتى انتهيت الى موسي فاخبرته فقال ارجع الى ربك فاساله التخفيف لامتك فان امتك لا تطيق ذلك فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييت رواه الشيخان واللفظ لمسلم وروى الحاكم في المستدرك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت ربي عز وجل قال تعالى (وآتينا موسي الكتاب) التوراة (وجعلناه

مراجعته وترديده ليزداد من نور الرؤية فيقتبس موسي من تلك الانوار ليكون رائيا من راى قال ابن الفارض

أبق لي مقلة لعلي يوما * قبل موتي أرى بها من رآك

وفي هذا المعنى قال ابن وفا

والسر في قول موسي اذ يردده * ليجتلي النور فيه حيث يشهده

يبدو سناه على وجه الرسول فيا * لله حسن جمال كان يشهده

(قوله وخبرتهم) اى جربتهم حيث كلفهم الله بركعتين في الغداة وركعتين في وقت الزوال وركعتين في العشي فلم يطيقوا ذلك وعجزوا عنه (قوله قال فرجعت الى ربي) اى الى المكان الذي ناجيت فيه ربي وليس المراد ان الله في ذلك المكان ورجع له فان اعتقاد ذلك كفر بل المراد ان الله جعل هذا المكان محلا لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يناجيه فيه ليجمع له بين الرفعتين الحسية والمعنوية (قوله و يحط عني) اى الله تعالى الى جملة المرات تسع وكل مرة يرى فيها ربه كما رآه في المرة الاولى فقد رأى ربه في تلك الليلة عشر مرات (قوله حتى قال الخ) هذا حديث قدسي من هنا الى قوله كتبت سيئة واحدة (قوله بكل صلاة عشر) اى في المضاعفة والثواب فقد تفضل سبحانه وتعالى بتكثير الثواب على تلك الخدمة القليلة (قوله ومن هم بحسنة) المراد بالهم ترجيح الفعل دون عزم وتصميم لانه الذي يكتب في الخير ولا يكتب في الشر واما العزم والتصميم فيكتب في الخير والشر واما الهاجس والخاطر وحديث النفس فلا يؤاخذ الانسان بها لا في خير ولا شر وقد نظم بعضهم الخمسة بقوله

مراتب القصد خمس هاجس ذكروا * فخاطر فحديث النفس فاستمعا

يليه هم فعزم كلها رفعت * سوى الاخير ففيه الاخذ قد وقعا

(قوله فنزلت) في بعض الروايات ان الله قال له قد امضيت فريضتي وخففت عن عبادي (قوله استحييت) بياءين بعد الحاء المهملة (قوله رواه الشيخان) اى البخاري ومسلم والمعنى رويا معنى حديث الاسراء واتفقا عليه (قوله واللفظ لمسلم) اى واما البخاري ففيه تغيير لبعض الالفاظ (قوله رايت ربي) اى بعيني راسي واتى بهذا الحديث تتميما للقصة ثم بعد تمام الامر هبط من السموات السبع الى بيت المقدس فركب البراق واتى مكة قبيل الصبح فلما اصبح قطع وعرف ان الناس تكذبه فقعد حزينا فمر به ابوجهل فجلس اليه فقال له كالمستهزئ هل كان من شئ قال نعم اسرى بي الليلة قال الى اين قال الى بيت المقدس قال ثم اصبحت بين اظهرنا قال نعم فقال ابوجهل اذا دعوت قومك اتحدثهم بما حدثتني به قال نعم فقال يا معشر بني كعب بن لؤى هلموا فجاؤا حتى جلسوا اليهما فحدثهم صلى الله عليه وسلم بذلك فبقى الناس بين مصفق وواضع يديه على راسه متعجبا وضجوا لذلك وعظموه فجاء ابو بكر فحدثه صلى الله عليه وسلم بذلك فقال صدقت صدقت فقالوا اتصدقه انه ذهب الليلة الى بيت المقدس وجاء قبل ان يصبح فقال نعم اني لاصدقه فيما هو ابعد من ذلك اصدقه بخبر السماء في غدوة اوروحة فلذلك سمي الصديق فقال القوم صف لنا بيت المقدس فشرع في وصفه حتى ان جبريل نقله من مكانه ووضعه بين يديه صلى الله عليه وسلم وجعل ينظر اليه ويصف لهم فقال القوم اما النعت فوالله لقد اصاب ثم قالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم عنها تفصيلا فقالوا ان هذا لسحر مبين فانزل الله تعالى وماجعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس (قوله وآتينا موسى) معطوف على جملة سبحان الذي اسرى بعبده ومناسبتها لما قبلها ان كلا متعلقة بعطايا نبي فالاولى متعلقة بعطايا سيدنا محمد وهذه متعلقة بعطايا موسى عليهما السلام بجامع ان موسى اعطى التوراة بمسيره الى الطور وهو بمنزلة معراجه صلى الله عليه وسلم لانه منح ثمة التكليم وشرف باسم الكليم (قوله وجعلناه) اى موسي أو الكتاب

هدى لبنى اسرائيل) (ان لا يتخذوا من دونى وكيلا) يفوضون اليه امرهم وفى قراءة تتخذوا بالفوقانية التفاتا فان زائدة والقول مضمر يا (ذرية من حملنا مع نوح) فى السفينة (انه كان عبدا شكورا) كثير الشكر لنا حامدا فى جميع احواله (وقضينا) اوحينا (الى بنى اسرائيل فى الكتاب) التوراة (لتفسدن فى الارض) ارض الشام بالمعاصى (مرتين ولتعلن علوًّا كبيرا) تبغون بغيا عظيما (فاذا جاء وعد أولاهما) اولى مرتى الفساد (بعثنا عليكم عبادا لنا اولى باس شديدا) اصحاب قوة فى الحرب والبطش (فجاسوا) ترددوا لطلبكم (خلال الديار) وسط دياركم ليقتلوكم و يسبوكم (وكان وعدا مفعولا) وقد افسدوا الاولى بقتل زكريا فبعث عليهم جالوت وجنوده فقتلوهم وسبوا اولادهم وخربوا بيت المقدس (ثم رددنا لكم الكرة) الدولة والغلبة (عليهم) بعد مائة سنة بقتل جالوت (وامددناكم باموال و بنين وجعلناكم اكثر نفيرا) عشيرة وقلنا (ان احسنتم) بالطاعة (احسنتم لانفسكم) لان ثوابه لها (وان اساتم) بالفساد (فلها) اساءتكم

(قوله هدى) اى هاديا من الضلالة والشرك (قوله ان لا يتخذوا) أن مصدرية ولا نافية والفعل منصوب بحذف النون ولام التعليل مقدرة كما زادها المفسر وهذا على قراءة التحتية واما على قراءة التاء الفوقية فالفعل مجزوم بلا الناهية وان زائدة والقول مقدر والتقدير وقلت لهم لا تتخذوا الخ وقوله من دونى فى محل المفعول الثانى ووكيلا مفعول اول وهو مفرد فى اللفظ جمع فى المعنى اى لا تتخذوا وكلاء غيرى تلتجؤن اليهم وتفوضون اموركم اليهم (قوله فان زائدة) المناسب انها هنا مفسرة لان هذا ليس من مواضع زيادتها وحينئذ فيقدر جملة فيها معنى القول دون حروفه ولما كان وجه زيادتها ظاهرا بحسب الصورة حملها المفسر عليه (قوله ذرية الخ) اعربه المفسر منادى وحرف النداء محذوف وحينئذ فالمعنى ياذرية من حملنا مع نوح وحدوا الله واعبدوه واشكروه فى جميع حالاتكم كما كان نوح انه كان عبدا شكورا فقوله انه كان الخ تعليل لمحذوف وهذا هو الاقرب والاسهل و بعضهم اعرب ذرية مفعول ثانيا لتتخذوا ووكيلا مفعولا أول او ذرية بدل من وكيلا أو منصوب على الاختصاص فتحصل ان فى اعراب ذرية أربعة اقوال اسهلها ما مشي عليه المفسر (قوله اوحينا) فسر القضاء بالوحى لتعديه بالى فان قضي يتعدى بنفسه او بعلى وما هنا فهو مضمن معنى الايحاء والمراد بالكتاب التوراة و يصح ان يبقى القضاء على بابه من ان معناه التقدير والحكم وتكون الى بمعنى على اى حكمنا وقدرنا على بنى اسرائيل وحينئذ فالمراد بالكتاب اللوح المحفوظ (قوله مرتين) تثنية مرة وهى الواحدة من المرار المرود (قوله تبغون) اى تظلمون وتطغون (قوله وعد أولاهما) المراد بالوعد الوعيد اى جاء وقت العقاب الموعود به (قوله بعثنا عليكم عبادا لنا) أى جالوت وجنوده كما يأتى للمفسر وقيل بختنصر (قوله فجاسوا) هو بالجيم باتفاق الجمهور وقرئ شذوذا بالحاء المهملة والمعنى على كل نقبوا وفتشوا (قوله خلال الديار) اما مفرد بمعنى وسط كما قال المفسر او جمع خلل كجبل وجبال (قوله وكان) اى البعث المذكور وتفتيش الاعداء عليهم (قوله بقتل زكريا الخ) مشى المفسر على ان المرة الاولى هى قتل زكريا والثانية هى قتل ولده يحيي ومشي غيره على ان المرة الاولى مخالفة احكام التوراة وقتل شعياء وقيل ارمياء الثانية قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى (قوله فبعث عليهم جالوت وجنوده) الصحيح ان الذى بعث عليهم فى المرة الاولى بختنصر قيل وقد كانت مدة ملكه سبعمائة سنة واما جالوت وجنوده فلم يقع منهم تخريب لبيت المقدس بل جاؤا ليغزوهم فخرج اليهم داود وطالوت بجيوشهم فقتل الله جالوت على يد داود كما تقدم مفصلا فى سورة البقرة (قوله الدولة) فى المصباح تداول القوم الشئ وهو حصوله فى يد هذا تارة وفى يد هذا اخرى والاسم الدولة بفتح الدال وضمها وجمع المفتوح دول بالكسر كقصعة وقصع وجمع المضموم دول كغرفة وغرف اه (قوله والغلبة) تفسير (قوله وامددناكم باموال و بنين) اى بعد النهب والقتل الاول (قوله اكثر نفيرا) اى اكثر الناس اجتماعا وذهابا للعدو ونفيرا منصوب على التمييز (قوله ان احسنتم) الخطاب لبنى اسرائيل (قوله احسنتم لانفسكم) اى فلا يصل الى شئ من طاعتكم اذ مستحيل على الله تعالى ان يصل له من عباده نفع او ضر وحينئذ فلا ينبغى للانسان ان يفتخر بطاعته بل يعمل الطاعة وهو راج قبولها من ربه لانها علامة على دوام السعادة لصاحبها وانه من اهل النعيم ففى الحديث ياعبادى انكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى وانما هى اعمالكم احصيها لكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه وقال العارف

ماذا يضرك وهو عاص * او يفيدك وهو طائع

فمن ظن ان الله ينتفع بالعبادة فقد كفر لنسبته الافتقار له تعالى الله عنه (قوله فلها) خبر مبتدا محذوف قدره

المفسر

المفسر واللام بمعنى على وانما عبر بها للمشاكلة (قوله فاذا جاء) جواب الشرط محذوف قدره المفسر بقوله بعثناهم دل عليه جواب اذا الاولى (قوله الآخرة) صفة لموصوف محذوف قدره المفسر بقوله المرة (قوله ليسوؤا وجوهكم) متعلق بهذا الجواب المحذوف وفيها ثلاث قراآت سبعية الاولى بضمير الجماعة مع الياء فالواو فاعل الثانية بنون العظمة وفتح الهمزة آخرا والفاعل هو الله الثالثة بالياء المفتوحة والهمزة المفتوحة والفاعل اما الله واما الوعد واما البعث واما النفير تامل (قوله بقتل يحيى) أى وقيل بقتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى (قوله فبعث عليهم بختنصر) هو بضم الباء وسكون الخاء المعجمة والتاء المثناة معناه ابن ونصر بفتح النون وتشديد الصاد والراء المهملة اسم صنم وهو علم أعجمي مركب وسمى بذلك لانه وجد وهو صغير مطروحا عند صنم ولم يعرف له اب فنسب اليه قيل انه ملك الاقاليم كلها وقيل المسلط عليهم فى المرة الثانية خردوش ملك من ملوك بابل وسياتى فى السيرة (قوله ألوفا) اى نحو الاربعين (قوله وسبى ذريتهم) أى نحو السبعين ألفا (قوله وقلنا فى الكتاب) أى التوراة (قوله وضرب الجزية عليهم) أى على باقيهم كاهل خيبر (قوله وسجنا) تفسير فيكون بمعنى حصيرا محلا حاصرا لهم وقيل حصيرا فرشا كالحصير فيكون بمعنى قوله تعالى لهم من جهنم مهاد (تتمة) يذكر فيها تلخيص القصة التى ذكرها المفسرون فى هذه الآيات قال محمد بن اسحق كانت بنو اسرائيل فيهم الاحداث والذنوب وكان الله متجاوزا عنهم ومحسنا اليهم وكان أول ما نزل بهم ان ملكا منهم كان يدعى صديقة وكان الله اذا ملك عليهم الملك بعث معه نبيا يسدده و يرشده و يتبع الاحكام التى تنزل عليه فبعث الله معه شعيا بن أمضيا عليه السلام وذلك قبل مبعث زكريا و يحيى ففى آخر مدة صديقة عظمت الاحداث فيهم والمعاصى فبعث الله عليهم سنجاريب ملك بابل ومعه ستمائة ألف راية فنزل حول بيت المقدس والملك مريض من قرحة كانت فى ساقه فجاء شعيا اليه وقال له يا ملك بنى اسرائيل ان سنجاريب نزل بك هو وجنوده فقال يا نبى الله هل اتاك من الله وحى فيما حدث فتخبرنا به فقال لم ياتنى وحى فى ذلك فبينما هم على ذلك اوحى الله الى شعياء ان ائت الى ملك بنى اسرائيل فمره ان يوصى وصيته و يستخلف على ملكه من يشاء من اهل بيته فانه ميت فاخبره شعيا بذلك فاقبل الملك على القبلة وصار يصلى و يتضرع الى الله بقلب مخلص فاستجاب الله دعاء الملك وأوحى الى شعياء ان اخبر صديقة ان ربه استجاب له ورحمه واخر أجله خمس عشرة سنة وانجاه من عدوه سنجاريب فلما قال له ذلك انقطع عنه الحزن وخر ساجدا شاكرا لله متضرعا فلما رفع رأسه اوحى الله الى شعيا ان قل للملك يأتى بماء التين فيجعله على قرحته فيشفى فاخبره ففعل فشفاه الله فقال الملك لشعيا سل ربك ان يجعل لنا علما بما هو صانع بعدونا هذا قال الله لشعيا سيصبحون موتى كلهم الا سنجاريب وخمسة نفر من كتابه فلما اصبح وجدوا الامر كما ذكر فخرج الملك والتمس سنجاريب فلم يجده فى الموتى فبعث فى طلبه فادركه ومعه خمسة نفر احدهم بختنصر فجعلوهم فى اطواق الحديد وقال الملك لسنجاريب كيف رأيت فعل ربنا بكم ونحن وانتم غافلون فقال سنجاريب قد اتانى خبر ربكم ونصره اياكم قبل ان أخرج من بلادى فلم اطع مرشدا واوقعتنى فى الشقوة قلة العقل فقال الملك لسنجاريب ان ربنا لم يبقك ومن معك لكرامة بك عليه وانما ابقاك ومن معك لتزدادوا شقوة فى الدنيا وعذابا فى الآخرة ولتخبروا من وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا بكم ثم ان الملك أطال عليهم العذاب فقال سنجاريب له القتل خير مما يفعل فاوحى الله الى شعيا ان يرسل سنجاريب ومن معه لينذروا من وراءهم ففعل فخرج سنجاريب ومن معه حتى قدموا بابل فاخبروهم الخبر فقال له قومه نهيناك فلم تطعنا وهى أمة لا يستطيعها احد مع ربهم وكان أمر سنجاريب تخويفا لبنى اسرائيل ثم كفاهم الله تعالى شرهم تذكرة وعبرة ثم ان سنجاريب لبث سبع سنين ومات فاستخلف على ملكه بختنصر فعمل بعمله

(فاذا جاء وعد) المرة (الآخرة) بعثناهم (ليسوؤا وجوهكم) يحزنوكم بالقتل والسبي حزنا يظهر فى وجوهكم (وليدخلوا المسجد) بيت المقدس فيخربوه (كما دخلوه) وخربوه (أول مرة وليتبروا) يهلكوا (ما علوا) غلبوا عليه (تتبيرا) هلاكا وقد افسدوا ثانيا بقتل يحيى فبعث عليهم بختنصر فقتل منهم ألوفا وسبى ذريتهم وخرب بيت المقدس وقلنا فى الكتاب (عسى ربكم ان يرحمكم) بعد المرة الثانية ان تبتم (وان عدتم) الى الفساد (عدنا) الى العقوبة وقد عادوا بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم فسلط عليهم بقتل قريظة ونفى النضير وضرب الجزية عليهم (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) محبسا وسجنا

واستمر متباعدا عن بني اسرائيل حتى مات ملكهم فتنافسوا في الملك وقتل بعضهم بعضا وشعيا ينهاهم
فلم يقبلوا فاوحى الله لشعيا قم في قومك أوحى على لسانك فلما قام أنطق الله لسانه بالوحي فقال ياسماء
استمعي و يا أرض أنصتي فان الله يريد ان يقضي شان بني اسرائيل الذين رباهم بنعمته واصطنعهم
لنفسه وخصهم بكرامته وفضلهم على عباده وهم كالغنم الضائعة التي لا راعي لها وضرب الله لهم مثلا ثم
قال انه مثل ضربته لهم يتقربون الى بذبح البقر والغنم وليس ينالني اللحم ولا آكله و يدعون ان
يتقربوا الى بالتقوى والكف عن ذبح الانفس التى حرمتها وأيديهم مخضوبة منها وثيابهم متزملة
بدمائها يشيدون لى بالبيوت مساجد و يطهرون أجوافها و ينجسون قلوبهم وأجسادهم و يدنسونها
و يزوقون لى المساجد و يزينونها و يخربون عقولهم وأخلاقهم و يفسدونها فاى حاجة لى الى تشييد
البيوت واست أسكنها وأي حاجة لى الى تزويق المساجد ولست أدخلها انما أمرت برفعها لاذكر
واسبح يقولون صمنا فلم يرفع صيامنا وصلينا فلم تنور صلاتنا وتصدقنا فلم تزك صدقاتنا ودعونا بمثل
حنين الحمام و بكينا بمثل عواء الذئاب في كل ذلك لا يستجاب لنا قال الله فسلهم ما الذي يمنعني ان
أستجيب لهم ألست أسمع السامعين وأبصر الناظرين وأقرب المجيبين وأرحم الراحمين فكيف أرفع
صيامهم وهم يلبسونه بقول الزور و يتقوون عليه بطعمة الحرام ام كيف أنور صلاتهم وقلوبهم صاغية
الى من يحاربني و يحادني و ينتهك محارمي ام كيف تزكو عندى صدقاتهم وهم يتصدقون باموال غيرهم
انما آجر عليها أهلها المغصوبين أم كيف أستجيب دعاءهم وانما هو قول بالسنتهم والفعل من ذلك بعيد الى
ان قال وانى قد قضيت يوم خلقت السموات والارض ان أجعل النبوة في الاجراء وأن أجعل الملك
في الرعاء والعز في الاذلاء والقوة في الضعفاء والغنى في الفقراء والعلم في الجهلة والحلم في الاميين فسلهم
متى هذا ومن القائم بها ومن أعوان هذا الامر وانصاره ان كانوا يعلمون فانى باعث لذلك نبيا أميا ليس
أعجميا من عميان ضالين ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال
للخنا أسدده لكل جميل وأهب له كل خلق كريم أجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره
والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته
والهدى امامه والاسلام ملته وأحمد اسمه أهدى به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به
بعد الخمالة وأشهر به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغني به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرقة وأؤالف
به بين قلوب مختلفة وأهواء مشتتة وأمم متفرقة وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يامرون
بالمعروف و ينهون عن المنكر توحيدا لى وايمانا بى واخلاصا لى يصلون لى قياما وقعودا وركعا
وسجودا يقاتلون في سبيلى صفوفا وزحوفا و يخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء رضوانى ألهمهم
التكبير والتوحيد والتسبيح والتحميد والمدحة لى والتمجيد لى في مسيرهم ومجالسهم ومضاجعهم
ومتقلبهم ومثواهم قربانهم دماؤهم وأناجيلهم في صدورهم رهبان بالليل ليوث بالنهار ذلك فضلى
أوتيه من أشاء والله ذو الفضل العظيم فلما فرغ شعيا من مقالته عدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته شجرة
فانفلقت له فدخل فيها فوضعوا المنشار في وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه في وسطها واستخلف
الله عليهم ملكا يقال له ناشئة ابن اموص و بعث لهم أرميا بن حلقيا نبيا ثم عظمت الاحداث وارتكاب
المعاصي فاوحى الله الى أرميا ان ائت قومك من بني اسرائيل فاقصص عليهم ما آمرك به الى ان قال وانى
حلفت بعزتى لاقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولاسلطن عليهم جبارا قاسيا ألبسه الهيبة وأنزع من
صدره الرحمة فسلط الله عليهم بختنصر فخرج في ستمائة ألف راية ودخل بيت المقدس بجنوده
وقتل بني اسرائيل حتى أفناهم وخرب بيت المقدس وكان من أجل البيوت ابتناه الله

لسليمان

لسليمان بن داود عليهما السلام سخر له الجن فأتوه بالذهب والفضة والمعادن وأتوه بالجوهر والياقوت والزمرد وبنوه بهذه الاصناف فاحتمل تلك المعادن والاموال على سبعين ألفا ومائة الف عجلة فاودعها ببابل واقاموا يستخدمون بني اسرائيل بالخزي والنكال مائة عام الى ان قال فذلك قوله تعالى فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد يعني بختنصر واصحابه ثم ان بختنصر قام في سلطانه ماشاء الله ثم رأى رؤيا عجيبة اذ رأى شيأ اصابه فانساه الذي رأى فدعا دانيال وحنانيا وعزازيا وميشايل وكانوا من ذراري الانبياء وسألهم عنها فقالوا أخبرنا بها نخبرك بتاويلها قال ما أذكرها ولئن لم تخبروني بها وبتاويلها لانزعن أكتافكم فخرجوا من عنده فدعوا الله فاعلمهم بالذي سألهم فجاؤا فقالوا رأيت تمثالا قدماه وساقاه من فخار وركبتاه وفخذاه من نحاس وبطنه من فضة وصدره من ذهب ورأسه وعنقه من حديد قال صدقتم قالوا فبينما انت تنظر اليه قد أعجبك ارسل الله عليه صخرة فدقته فهي التي أنستكها قال صدقتم فما تاويلها قالوا انك أريت ملك الملوك بعضهم كان ألين ملكا وبعضهم كان أحسن ملكا وبعضهم كان أشد ملكا فالفخار أضعفه ثم فوقه النحاس أشد منه ثم فوق النحاس الفضة أحسن من ذلك والذهب احسن من الفضة ثم الحديد ملكك فهو أشد مما كان قبله والصخرة التي رأيت ارسل الله من السماء فدقته نبي يبعثه الله فيدق ذلك أجمع ويصير الامر اليه فلما تجبر بختنصر على اهل الارض ظن انه بحوله وقوته فقال لاصحابه قد ملكت الارض فاخبروني كيف لي ان اطلع الى السماء العليا فاقتل من فيها واتخذها ملكا فبعث الله عز وجل اليه بعوضة فدخلت في منخره حتى عضت على أم دماغه فما كان يقر ولا يسكن حتى مات فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة عاضة على أم دماغه وارتحل من بقي من بني اسرائيل الى الشام وكثروا حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه وكانت التوراة قد حرقت وكان عزير من السبايا الذين كانوا ببابل فلما رجع الى الشام جعل يبكي ليله ونهاره وخرج عن الناس فبينما هو كذلك اذ جاءه ملك على صورة رجل فقال له يا عزير ما يبكيك قال أبكي على كتاب الله وعهده الذي لا يصلح ديننا وآخرتنا غيره قال أفتحب ان يرد اليك ارجع فصم وتطهر وطهر ثيابك ثم موعدك هذا المكان غدا ففعل فاتى ذلك الرجل باناء فيه ماء فسقاه من ذلك الماء فمثلت التوراة في صدره فرجع الى بني اسرائيل فاملاها لهم وعادت كما كانت ورجعت بنو اسرائيل لكثرة الاحداث والمعاصي يكذبون الانبياء ويقتلونهم وكان آخر من بعث اليهم زكريا ويحيي وعيسى فقتلوا زكريا ويحيي وقصدوا الى قتل عيسى فرفعه الله والسبب في قتل يحيي ان ملك بني اسرائيل كان يكرمه ويدني مجلسه وان الملك هوى بنت امرأته وقيل بنت اخيه فسأل يحيي تزويجها فنهاه عن نكاحها فبلغ ذلك امها فحقدت على يحيي وعمدت حين جلس الملك على شرابه فالبستها ثيابا رقاقا حمرا وطيبتها وألبستها الحلي وارسلتها الى الملك وأمرتها ان تسقيه فان هو راودها عن نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما تسأله فسألته ان يأتيها برأس يحيي في طشت ففعل وفي الحديث لاخير في الدنيا فان يحيي بن زكريا قتلته امرأة فسلط الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له خردوش فسار اليهم باهل بابل فدخل عليهم الشام فلما ظهر عليهم امر رأسا من رؤساء جنوده يقال له بيرزاذان فدخل بيت المقدس فقام في البقعة التي كانوا يقربون فيها قربانهم فوجد فيها دما يغلي فسألهم عنه فقال يا بني اسرائيل ماشأن هذا الدم يغلي أخبروني خبره فقالوا هذا دم قربان لنا قربناه فلم يقبل منا فلذلك يغلي فقال ما صدقتموني وقتل منهم سبعمائة وسبعين روحا فلم يهدأ الدم فامر بسبعمائة غلام من غلمانهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ فقال لهم يا بني اسرائيل ويلكم اصدقوني قبل ان لا أترك منكم نافخ نار من ذكر ولا انثى الا قتلته فاخبروه انه دم يحيي بن زكريا قال الآن صدقتموني لمثل

هذا ينتقم منكم ربكم وآمن بالتوراة وقال لمن حوله أغلقوا أبواب المدينة وأخرجوا من كان هنا من جيش
خردوش ثم قال يا يحيي بن زكريا قد علم ربي وربك ما أصاب قومك من أجلك وما قتل منهم فاهدا باذن ربك
قبل أن لا أبقي من قومك أحدا فهدأ الدم باذن الله ورفع القتل عن بني اسرائيل وقال لهم ان خردوش
أمرني أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكري واني لا استطيع أن أعصيه فامرهم فحفروا خندقا
وأتوا بالخيل والبغال والحمير والابل والبقر والغنم فامر بذبحها حتى سال الدم في العسكر وامر بالقتلى الذين
قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ماقتل من المواشي فلم يظن خردوش الا أن ما في الخندق من دماء بني اسرائيل
فاكتفى بذلك وأمر برفع القتل وهذه هي الواقعة الاخيرة التي أنزل الله فيها فاذا جاء وعد الآخرة
ليسوؤا وجوهكم الخ ثم انتقل الملك بالشام ونواحيها الى الروم واليونانيين الا أن بقايا بني اسرائيل
كثير وكانت لهم الرياسة ببيت المقدس ونواحيها على وجه الملك وكانوا في نعمة الى أن بدلوا وأحدثوا
فسلط الله عليهم ططوس بن اسبيانوش الرومي فخرب بلادهم وطردهم عنها ونزع الله منهم الملك والرياسة
وضرب عليهم الذلة فليسوا في أمة الا وعليهم الصغار والجزية وبقي بيت المقدس خرابا الى خلافة عمر
بن الخطاب فعمره المسلمون بامره اه (قوله ان هذا القرآن) أي الذي أنزل على محمد (قوله يهدي) اي
يرشد ويوصل (قوله للتي هي اقوم) اي فمن تمسك به نجا ومن حاد عنه هلك ففي الحديث اني تارك فيكم
ثقلين ما ان تمسكتم بهما ان تضلوا ابدا كتاب الله وعترتي (قوله اجرا كبيرا) اي لا يعلم قدره غيره تعالى
وهذا الاجر ثابت لمن عمل الصالحات وان لم يكن حافظا لالفاظ القرآن بل المدار على امتثال الاوامر
واجتناب النواهي (قوله ويخبر) اشار بذلك الى ان قوله وان الذين لا يؤمنون الخ معطوف على يبشر فهو
غير داخل في حيز البشارة (قوله اعددنا) اي هيأنا واحضرنا (قوله ويدع الانسان) حذفت الواو لا لتقاء
الساكنين وحذفت من الخط تبعا لحذفها من اللفظ (قوله اذا ضجر) اي اصابه شدة الغم والغيظ (قوله
اي كدعائه) اشار بذلك الى ان الكلام على التشبيه والمعنى ان الانسان اذا اصابه الغم يدعو على نفسه
واهله بالشر كما يدعو لهم بالخير اذا كان منبسطا راضيا وتقدم في قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر
استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم الآية ان الله يستجيب الدعاء بالخير ولا يستجيب الدعاء بالشر (قوله
عجولا) اي لا يتامل في عاقبة ما يريد فعله بل يقدم على فعل كل ما خطر بباله فاذا كان كذلك فينبغي
للانسان التاني في الامور وتفويضها الى الله تعالى ليحصل له الراحة في الدنيا والسعادة في العقبى ولا
يتعجل في الامور بحيث يسارع الى الانتقام ممن ظلمه والدعاء على من اساء عليه بل الواجب اما
التفويض او الدعاء للظالم بالهداية والتوفيق للخير (قوله وجعلنا الليل والنهار آيتين) اي علامتين على
عظيم قدرتنا وباهر حكمتنا حيث جعلناهما على منوال واحد ينقص هذا ويزيد هذا (قوله فمحونا آية
الليل) اي خلقناه على هذه الحالة وليس المراد انه كان مضيئا ثم محي ضوؤه وفي الحقيقة في الكلام
حكمتان الاولى حكمة خلق الليل والنهار من حيث ذاتهما وهي الدلالة على باهر قدرة صانعهما الثانية
حكمة كون الليل خلق مظلما والنهار خلق مضيئا وهي لتسكنوا في الليل ولتبتغوا من فضله في النهار (قوله
لتسكنوا فيه) قدره اخذا من مقابله وهو قوله في جانب النهار لتبتغوا الخ (قوله والاضافة للبيان) اي آية
هي الليل وكذا يقال في آية النهار (قوله اي مبصرا فيها) هو بفتح الصاد واشار بذلك الى ان الكلام فيه
الحذف والايصال حذف الجار فاتصل الضمير فيكون فيه مجاز عقلي من اسناد الحدث الى زمانه (قوله
لتبتغوا) اي تطلبوا (قوله ولتعلموا بهما) اي فهو متعلق بكل من محونا وجعلنا لان علم عدد السنين والحساب
بمرور الليل والنهار جميعا (قوله والحساب) هو معطوف على عدد ولا يقال هو تكرار لانه يقال ان العدد
موضوع الحساب (قوله وكل شيء فصلناه) الاحسن انه من باب الاشتغال فكل منصوب بفعل محذوف

(ان هذا القرآن يهدي للتي) اي للطريقة التي (هي اقوم) اعدل واصوب (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا و) يخبر (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا) اعددنا (لهم عذابا اليما) مؤلما هو النار (ويدع الانسان بالشر) على نفسه واهله اذا ضجر (دعاءه) اي كدعائه له (بالخير وكان الانسان) الجنس (عجولا) بالدعاء على نفسه وعدم النظر في عاقبته (وجعلنا الليل والنهار آيتين) دالتين على قدرتنا (فمحونا آية الليل) طمسنا نورها بالظلام لتسكنوا فيه والاضافة للبيان (وجعلنا آية النهار مبصرة) اي مبصرا فيها بالضوء (لتبتغوا) فيه (فضلا من ربكم) بالكسب (ولتعلموا) بهما (عدد السنين والحساب)

يفسره قوله فصلناه وكذا يقال فى قوله وكل انسان الزمناه (قوله للاوقات) اى كآجال الديون واوقات الصلاة والحج والصوم والزكاة وغيرذلك من امور الدين والدنيا (قوله تفصيلا) مصدر مؤكد لعامله اشارة الى ان الله لم يترك شيئا من امور الدين والدنيا الا بينه نظيرقوله تعالى مافرطنا فى الكتاب من شئ (قوله وكل انسان الزمناه طائره) فسر المفسر الطائر بالعمل وفسره غيره بالكتاب واليه يشير بقول مجاهد وسمى العمل طائرا امالان العرب اذا ارادوا فعل امر نظروا الى الطير اذا طار فان طار متيامنا قدموا على ذلك الامر وعرفوا انه خير وان طار متياسرا تاخروا وعرفوا انه شر فلما كثر ذلك منهم سموا نفس الخير والشر بالطائر تسمية للشئ باسم لازمه (قوله خص بالذكر لان اللزم فيه اشد) اى ولان العنق اما محل الزينة كالقلادة ونحوها أوالشين كالاغلال ونحوها فان كان عمله خيرا كان كالقلادة فى عنقه وهو مما يزينه وان كان شرا كان كالغل فى عنقه وهو مما يشينه (قوله مكتوب فيها شقى اوسعيد) خص مجاهد السعادة والشقاوة وان كان الرزق والاجل مكتوبين فيها ايضا لان السعادة أوالشقاوة هما اللذان يبقيان معه فى الآخرة واما الرزق والاجل فينقضيان بموته (قوله ونخرج له يوم القيامة كتابا) قال الحسن بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان احدهما عن يمينك والآخر عن شمالك فاما الذى عن يمينك فيحفظ حسناتك واما الذى عن يسارك فيحفظ عليك سيآتك حتى اذا مت طويت صحيفتك وجعلت معك فى قبرك حتى نخرج لك يوم القيامة (قوله اقرأ كتابك) روى ان الانسان يقرأ كتابه وان لم يكن قارئا فى الدنيا (قوله كفى بنفسك) الباء زائدة فى فاعل كفى وحسيبا تمييز وعليك متعلق به وحسيبا اما بمعنى حاسب اوكاف او محاسب كما قال المفسر والمعنى انه يكتفى بمحاسبة الشخص لنفسه فلا يحتاج لاحد يحاسبه بل اذا انكر تشهد عليه اعضاؤه بما عملت ثم ما مشى عليه المفسر من ان المراد بالطائر العمل يكتب ويوضع فى عنقه وهو فى بطن امه فيلزمه مادام فى الدنيا فاذا كان يوم القيامة يخرج له كتابا من خزانة تحت العرش وهو الصحيفة التى كانت الملائكة تكتبها عليه فى الدنيا فياخذها اما بيمينه ان كان مسلما أو بشماله ان كان كافرا فيقابله على ما فى عنقه هو احد تفسيرين فى الآية والآخر أن الكتاب واحد تكتبه الملائكة عليه مادام فى الدنيا فاذا مات طوى ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة اخرج من تلك الخزانة والزمه فى عنقه فيكون معنى الزمناه طائره فى عنقه اى فى يوم القيامة عند تطاير الصحف ويكون عطف قوله ونخرج له يوم القيامة على ماقبله من عطف السبب على المسبب (قوله فانما يهتدى لنفسه) اى فانما تعود منفعة اهتدائه الى نفسه لا تتعداه الى غيره (قوله فانما يضل عليها) اى فانما وبال ضلاله على نفسه لا على من عداه ممن لم يباشر وهذا تحقيق معنى قوله تعالى وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه (قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى) اى لا تحمل نفس مذنبة بل ولا غير مذنبة ذنوب نفس اخرى ان قلت ورد فى الحديث من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة فمقتضاه انه يحمل وزره فيكون منافيا لهذه الآية اجيب بان المراد بالوزر الذى يحمله فى الحديث وزر التسبب ولا شك ان التسبب من فعل الشخص ومع ذلك فلا ينقص من وزر الفاعل شئ فالمتسبب الفاعل يعاقب على فعله وتسببه والفاعل بدون تسبب يعاقب على فعله فقط (قوله وما كنا معذبين) اى ولا مثيبين على الاعمال لان شرط صحة العبادات ووجوبها بلوغ الدعوة فمن لم تبلغه الدعوة لا تجب عليه عبادة ولا تصح منه لو فعلها فلا يثاب عليها وعموم هذه الآية يدل على أن اهل الفترة جميعا ناجون بفضل الله ولو غيروا وبدلوا وماورد من تخصيص بعض افراد كحاتم الطائى وامرئ القيس بدخولهم النار فهى احاديث آحاد لا تعارض القطعى (قوله مترفيها) الترفة بالضم النعمة والطعام الطيب والشئ الظريف (قوله منعميها) اى المنهمكين فى شهواتها الغافلين عن الآخرة

للاوقات (وكل شئ) يحتاج اليه (فصلناه تفصيلا) بيناه تبيينا (وكل انسان الزمناه طائره) عمله يحمله (فى عنقه) خص بالذكر لان اللزوم فيه اشد وقال مجاهد ما من مولود يولد الا وفى عنقه ورقة مكتوب فيها شقى أوسعيد (ونخرج له يوم القيامة كتابا) مكتوبا فيه عمله (يلقاه منشورا) صفتان لكتابا ويقال له (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) محاسبا (من اهتدى فانما يهتدى لنفسه) لان ثواب اهتدائه له (ومن ضل فانما يضل عليها) لان اثمه عليها (ولا تزر) نفس (وازرة) آثمة اى لا تحمل (وزر) نفس (اخرى وما كنا معذبين) احدا (حتى نبعث رسولا) يبين له ما يجب عليه (واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها) منعميها بمعنى رؤسائها

(قوله بالطاعة) متعلق بامرنا (قوله باهلاك أهلها) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف اى دمرنا اهلها (قوله وكم اهلكنا) كم خبرية منصوبة باهلكنا ومن القرون تمييز لكم (قوله من بعد نوح) خص بالذكر لانه اول من كذبه قومه (قوله وكفى بربك) الباء زائدة فى الفاعل وخبيرا بصيرا تمييزان و بذنوب متعلق بخبيرا بصيرا وقوله عالما ببواطنها وظواهرها لف ونشر مرتب فالعلم بالبواطن هو معنى الخبير و بالظواهر هو معنى البصير (قوله و به يتعلق بذنوب) هكذا فى النسخ التى بايدينا ولعل فيه تحريفا والاصل و بذنوب متعلق بخبيرا بصيرا (قوله من كان يريد العاجلة) اى من كان حظه الدنيا فهو صادق بالكافر والمنافق و يدخل فى ذلك المراؤن باعمالهم اذلولا المدحة والثناء عليهم ما فعلوا الطاعات (قوله عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد) أى اعطينا لمن نريد فى الدنيا الذى نشاؤه من سعة رزق وعافية وغير ذلك والمعنى لا نزيده على ما قدر له ازلا بل ما يعطى الا ما سبق فى علمه تعالى انه يعطاه فحيئته فى الدنيا لم تزده شيا منها فينبغى الاخلاص فى العبادة والتوجه لله تعالى والاقبال عليه ليحظى بسعادة الدارين (قوله بدل من له) اى ان قوله لمن نريد بدل من قوله له بدل بعض من كل باعادة اللام وقوله عجلنا جواب الشرط وهو من وكان فعله و يريد خبر كان واسمها ضمير مستتر (قوله ثم جعلنا) أتى بثم اشارة الى ان دخول النار متاخر (قوله ملوما) اى ان الخلق فى القيامة يلومونه على ما حصل منه فى الدنيا (قوله مدحورا) من دحر يدحر من باب خضع فهو مدحور بمعنى ان الله طرده وابعده عن جنته (قوله ومن اراد الآخرة) اى من كان حظه ونيته ومنتهى آماله الدار الآخرة بان لم يجعل الدنيا قراراله ولا وطنا بل جعلها سفينة موصلة لمقصوده (قوله سعيها) اما مفعول به او مفعول مطلق والمعنى كما قال المفسر عمل عملها الذى يليق بها كاعمال البر والطاعات واجتناب المنهيات (قوله حال) أى من ضمير سعى (قوله فاولئك) جواب الشرط وفيه مراعاة معنى من وفيما قبله مراعاة لفظها وهو اشارة الى ان من جمع ثلاث خصال فهو من أهل الجنة الايمان والعمل الصالح والاخلاص ولذا قال بعضهم من لم تكن معه ثلاث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الآية وهذا هو كمال الايمان (قوله مثابا عليه) اى فشكر الله لعباده قبولهم واثابتهم على اعمالهم (قوله كلا) مفعول لنمد (قوله من الفريقين) اى مريد الدنيا ومريد الآخرة (قوله بدل) أى من كلا بدل كل من كل كانه قال نمد هؤلاء وهؤلاء الاول للفريق الاول والثانى للفريق الثانى فهو لف ونشر مرتب (قوله فى الدنيا) أى كسعة الرزق والجاه والعافية وغير ذلك (قوله ممنوعا عن احد) اى مؤمن او كافر واما فى الآخرة فعطاؤه ممنوع عن الكافر وهو مختص بالمؤمن (قوله كيف) منصوب على الحال من فضلنا كانه قال انظر تفضيلنا بعضهم على بعض كائنا على اى حالة (قوله من الدنيا) اى من درجاتها لان فضل الآخرة عظيم لا ينقطع بل هو دائم لا يفنى (قوله فينبغى الاعتناء بها) اى بالآخرة وقوله دونها اى الدنيا (قوله لا تجعل مع الله الها آخر) الخطاب اما للنبي والمراد غيره أو لكل مكلف وهو الاولى والمعنى لا تشرك أيها المكلف غير الله مع الله لا فى ظاهرك ولا باطنك بل خلص قلبك من التعلق بغيره والمحبة لسواه ولا تجعل الغير فى خيالك فانه نقص عن مراتب الاخيار ولذا قال ابن الفارض

ولو خطرت لى فى سواك ارادة ❊ على خاطرى يوما حكمت بردتى

(قوله فتقعد مذموما مخذولا) يصح ان تكون قعد بمعنى عجز فمذموما مخذولا حالان و يصح ان تكون بمعنى صار فمذموما مخذولا خبران لها (قوله لا ناصر لك) تفسير لمخذولا وتقدم تفسير مذموما بملوما والمعنى ملوما من الخلق مخذولا من الخالق لم يجعل له ناصرا (قوله وقضى ربك) ذكر الله سبحانه وتعالى فى

بالطاعة على لسان رسلنا (ففسقوا فيها) خرجوا عن امرنا (فحق عليها القول) بالعذاب (فدمرناها تدميرا) أهلكناها باهلاك اهلها وتخريبها (وكم) اى كثيرا (اهلكنا من القرون) الامم (من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا) عالما ببواطنها وظواهرها و به يتعلق بذنوب (من كان يريد) بعمله (العاجلة) اى الدنيا (عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد) التعجيل له بدل من له باعادة الجار (ثم جعلنا له) فى الآخرة (جهنم يصلاها) يدخلها (مذموما) ملوما (مدحورا) مطرودا عن الرحمة (ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها) عمل عملها اللائق بها (وهو مؤمن) حال (فاولئك كان سعيهم مشكورا) عند الله اى مقبولا مثابا عليه (كلا) من الفريقين (نمد) نعطى (هؤلاء وهؤلاء) بدل (من) متعلق بنمد (عطاء ربك) فى الدنيا (وما كان عطاء ربك) فيها (محظورا) ممنوعا عن أحد (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض) فى الرزق والجاه (وللآخرة اكبر) أعظم (درجات واكبر تفضيلا) من الدنيا فينبغى الاعتناء بها دونها (لا تجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما مخذولا) لا ناصر لك (وقضى)

هذه

هذه الآيات جملة من التكاليف نحو خمسة وعشرين حكما بعضها اصلي وبعضها فرعي وابتدأ منها
بالتوحيد بقوله لا تجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما مخذولا وختم به بقوله ولا تجعل مع الله الها آخر
فتلقى في جهنم ملوما مدحورا اشارة الى انه رأس الامور واساسها وما عداه من الاحكام مبني عليه ولما
كان حق الوالدين آكد الحقوق بعد حق الله ورسوله ذكر بعد التوحيد وشدد فيه دون بقية التكاليف
لان امر العقوق فظيع وفيه الوعيد الشديد ففي الحديث قل لعاق والديه يفعل ما يشاء فان مصيره الى
النار (قوله أمر) اى أمرا جازما وقيل ان قضى بمعنى اوصى وقيل بمعنى حكم وقيل بمعنى الزم وقيل بمعنى
أوجب وكل صحيح (قوله ألا تعبدوا الا اياه) بان لا تشركوا معه في العبادة غيره فتمتثلوا أوامره وتجتنبوا
نواهيه ودخل في ذلك الاقرار لرسول الله بالرسالة ومحبته وتعظيمه لان ذلك من جملة المامور به قال تعالى
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله (قوله اى بان) اشار بذلك الى أن ان مصدرية ويكون الفعل
منصوبا بحذف النون ويصح ان أن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان ولا ناهية والفعل مجزوم بحذف
النون والواو فاعل على كل حال (قوله وبالوالدين) متعلق بمحذوف قدره المفسر بقوله وان تحسنوا والجملة
معطوفة على جملة ان لا تعبدوا (قوله بان تبروهما) أى تطيعوا امرهما في غير معصية الله (قوله اما يبلغن) ان
شرطية مدغمة في ما الزائدة والفعل مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة في محل جزم واحدهما
فاعل وكلاهما معطوف عليه وجواب الشرط هو قوله فلا تقل لهما أف وما عطف عليه من بقية الخمسة التي
كلف بها الانسان في حق والديه (قوله وفي قراءة) اى وهي سبعية ايضا وعليها فالفعل مجزوم بحذف
نون الرفع والالف فاعل والنون المشددة المكسورة للتوكيد والتقييد بحالة الكبر خرج مخرج الغالب
لان الولد غالبا انما يتهاون بوالديه عند حصول الكبر لهما ومعنى قوله عندك أن يكون في منزلك وكفالتك
ومعدودا من عيالك وهذا بحسب الغالب والا فالولد مطلوب ببر والديه مطلقا كما تقدم أولا (قوله
بفتح الفاء) أى من غير تنوين وقوله وكسرها اى منونا وغير منون فالتعميم راجع لقراءة الكسر
خلافا لما يوهمه المفسر فالقراآت السبعية ثلاث وقرئ شذوذا بالرفع مع التنوين وتركه وبالفتح مع
التنوين وسكون الفاء فتكون الشواذ اربعا فجملة القراآت سبع هنا وفي الانبياء وفي الاحقاف ولغاتها
اربعون لغة ذكرها ابن عطية في تفسيره (قوله مصدر بمعنى تبا) بفتح التاء وضمها اى خسرانا وقوله وقبحا
اى لا تقل لهما قبحا لكما ولا فعالكما والاوضح ان يقول اسم فعل مضارع اى لا تقل لهما انا أتضجر
من شئ يصدر منكما (قوله تزجرهما) اى عما لا يعجبك منهما باغلاظ بان لا تامرهما ولا تنهاهما ولو كان
ذلك الامر غير مناسب بل اذا أحب ان يامرهما او ينهاهما فليكن على سبيل المشاورة باللطف والرفق
(قوله وقل لهما قولا كريما) اى حسنا كأن يقول لهما يا ابتاه يا اماه ولا يسميهما باسمهما (قوله واخفض
لهما جناح الذل) في الكلام استعارة تبعية في الفعل حيث شبهت إلانة الجانب بخفض الجناح والجامع
الرأفة في كل واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من الخفض اخفض بمعنى ألن وفي الجناح اصلية حيث
شبه الجانب بالجناح واستعير اسم المشبه به للمشبه واضافة جناح للذل من اضافة الموصوف للصفة اى
جانبك الذليل وقد اشار لذلك كله المفسر (قوله اى لرقتك عليهما) اشار بذلك الى ان من التعليل والمعنى من
اجل الرحمة لا خوفا من العار مثلا (قوله وقل رب ارحمهما) اى ادع لهما بالرحمة ولو في كل يوم وليلة خمس
مرات ولو كافرين اذا كانا حيين لان من الرحمة ان يهديهما للاسلام (قوله كما ربياني صغيرا) الكاف
للتعليل اى من اجل انهما رحماني حين ربياني صغيرا روى ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ابوي بلغا مني في الكبر اني ألي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيت حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان
ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما (قوله ربكم اعلم بما في نفوسكم)

امر (ربك ان) اى بان
(لا تعبدوا الا اياه و) ان
تحسنوا (بالوالدين احسانا
بان تبروهما (اما يبلغن عندك
الكبر احدهما) فاعل (او
كلاهما) وفي قراءة يبلغان
فاحدهما بدل من الفه (فلا
تقل لهما أف) بفتح الفاء
وكسرها منونا وغير منون
مصدر بمعنى تبا وقبحا (ولا
تنهرهما) تزجرهما (وقل لهما
قولا كريما) جميلا لينا
(واخفض لهما جناح الذل)
ألن لهما جانبك الذليل
(من الرحمة) أى لرقتك
عليهما (وقل رب ارحمهما
كما) رحماني حين (ربياني
صغيرا ربكم اعلم بما في
نفوسكم) من اضمار البر
والعقوق (ان تكونوا صالحين)

هـذا وعد ووعيد والمعنى لا عبرة بادعاء البر باللسان فان الله عالم بالسرائر (قوله طائعين لله) اى فى حق
الوالدين (قوله فانه كان للاوابين) مرتب على محـذوف والتقدير وفعلتم معهما خلاف الادب (قوله
الرجاعين الى طاعته) وقيل هم الذين يذكرون ذنوبهم فى الخلاء ثم يستغفرون منها وقيل غير ذلك وفى
الحقيقة الاواب هو التواب (قوله من بادرة) البادرة الذلة تقع خطا (قوله وهم لا يضمرون عقوقا) الجملة
حالية (قوله وآت ذا القربى) لما قدم حق الله وحق الوالدين ذكر حق الاقارب وغيرهما وحق المساكين
وابناء السبيل الاجانب والخطاب فى هذه الآيات اما للنبي والمراد هو وأمته لان الاصل عدم الخصوصية
او المكلف والامر للوجوب عند ابى حنيفة فعنده يجب على الموسر مواساة اقارب به المحارم كالاخ
والاخت وللندب عند غيره ومحل الخـلاف فى المواساة بالمال بان ينفق عليهم واما صلتهم بمعنى عدم
مقاطعتهم ومعاداتهم فواجبـة اجماعا كنفقة الاصول والفروع والآية شاملة لذلك كله (قوله من البر)
أى الاحسان بالمال وقوله والصـلة أى مطلقا فهو عطف عام على خاص (قوله والمسكين) المراد به ما
يشمل الفقير والمعنى وآت المسكين حقه من البر والاحسان على حسب الطاقة فان ذلك من أوصاف
المتقين قال تعالى ان المتقين فى جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم الى ان قال وفى أموالهم حق
للسائل والمحروم (قوله وابن السبيل) أى الغريب وسمى بذلك لانه ملازم للطريق فكانه ابن لها (قوله
فى غير طاعة الله) أى كالمعاصى والشهوات المستغنى عنها بان يزيد فى الانفاق على المباح وهذا مذموم اذا
كان المال حلالا أما ان كان حراما فلا يجوز له الانفاق منه اصلا بل يجب عليه ان يرده لاربابه (قوله ان
المبذرين الخ) هذا غاية فى الذم (قوله كانوا اخوان الشياطين) اى ولم يزالوا كذلك والمعنى ان المبذرين
يشبهون الشياطين فى ان كلا منهما ضل فى نفسه وأضل غيره فالشياطين صرفوا هممهم وقوتهم وما انعم
الله عليهم به فى معاصى الله ولم يصـلحوا والمبذرون صرفوا أموالهم فيما يغضب الله تعالى وافسـدوا ولم
يصلحوا (قوله اى على طريقتهم) اى المقتدين بهم وملازمين لافعالهم لان الملازم للشئ يسمى اخاله
(قوله شديد الكفر لنعمه) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف والتقدير وكان الشيطان لنعم
ربه كفورا (قوله فكذلك أخوه المبذر) أى فقد كفر نعم ربه حيث صرفها فى غير طاعة الله (قوله واما
تعرضن) معطوف على محذوف تقديره وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ان كان بيدك شئ
واما تعرضن الخ والمعنى لا تقطع رجاء الفقير منك بل اما ان تعطيـه ان كان معك شئ او ترده بلطف كما
كان من خلقه صلى الله عليه وسلم فكان اذا سئل اعطى اووعد بالعطاء (قوله وما بعده) اى المسكين وابن
السبيل (قوله ابتغاء رحمة) مفعول لاجله وهو علة مقدمة على المعلول والمعنى واما تعرضن عنهم لاجل
عسرك فقل لهم قولا ميسورا اعتمادا على الله وطلبا الرحمة من ربك ترجوها وفى ذلك اشارة الى ان الانسان
لا ينبغى له قطع رجائه من الله بل يعتمد على الله دائما فى عسره ويسره فان الغنى هو وثوق القلب بالله فلا
يعتمد على سبب من الاسباب بل يتوكل على الله ولا يقطع رجاءه منه ولا رجاء غيره فيه ثقة بربه (قوله
بان تعدهم) أى اوتدعو لهم بان تقول اغناكم الله سـهل لكم أسباب الخير وغير ذلك (قوله ولا تجعل يدك
مغلولة الى عنقـك) اى مضمومة ومجموعة معه فى الغل وهو بضم الغين المعجمة طوق من حديد يجعل
فى العنق (قوله اى لا تمسكها عن الانفاق) اى فهو نهى عن البخل على سبيل الكناية لان شان من جعل
يده مغـلولة الى عنقـه عدم القـدرة على التصرف وشان البخيـل عدم التصرف فى المال بالانفاق
وغيره (قوله كل المسـك) المناسب الامساك لان الفعل رباعى وكانه شاكل قوله البسط (قوله
كل البسـط) اى بان تنفق زيادة على ما يجب وما يندب (قوله فتقعد) اى تصير فقوله ملوما خبر
لتقعد ومحسورا معطوف عليه (قوله راجع للاول) أى البخيل (قوله منقطعا لا شئ عندك)

طائعـين لله (فانه كان
للاوابين) الرجاعين الى
طاعته (غفورا) لما صـدر
منهم فى حق الوالدين من
بادرة وهم لا يضمرون عقوقا
(وآت) اعط (ذا القربى)
القرابة (حقـه) من البر
والصلة (والمسكين وابن
السبيل ولا تبذر تبذيرا)
بالانفاق فى غـير طاعة الله
(ان المبذرين كانوا اخوان
الشياطين) أى على طريقتهم
(وكان الشـيطان لربه
كفورا) شديد الكفر لنعمه
فكذلك أخوه المبـذر
(واما تعرضن عنهم) اى
المذكورين من ذى القربى
وما بعده فلم تعطهم (ابتغاء
رحمة من ربك ترجوها)
اى لطلب رزق تنتـظره
يأتيك فتعطيهم منه (فقل
لهم قولا ميسورا) لينا سهلا
بان تعدهم بالاعطاء عنـد
مجئ الرزق (ولا تجعل يدك
مغلولة الى عنقك) اى لا
تمسكها عن الانفاق كل
المسك (ولا تبسطها) فى
الانفاق (كل البسط فتقعد
ملوما) راجع للاول (محسورا)
منقطعا لا شئ عنـدك

أى فهو من حسره السفر اذا اثر فيه و يصح ان يكون من الحسرة بمعنى الندامة أى نادما على ماحصل منك (قوله راجع للثانى) أى وهو من بسط يده كل البسط ولا تشكل هذه الآية على ماورد من فعل السلف الذين خرجوا عن اموالهم فى محبة الله ورسوله وصاروا فقراء لان النهى محمول على من كان يعقبه الندم والتحسر واما من فعل ذلك من السلف واقره عليه رسول الله كابى بكر وغيره من الذين كانوا يؤثرون على انفسهم ومدحهم الله على ذلك فلم يوجد منهم التحسر على فوات الدنيا لفنائهم عنها وبقائهم بالله وخطاب تلك الآيات انما هو على حسب أخلاق العامة (قوله ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء الخ) أى فانظر لما رزقك الله به وأنفق على حسبه وارض بما قسم الله لك فوسع عند سعة الرزق وضيق عند ضيقه وكن حيث اقامك الله (قوله ببواطنهم وظواهرهم) لف ونشر مرتب (قوله ولا تقتلوا أولادكم) سبب ذلك ان بعض الجاهلية كانوا يقتلون البنات خوف الفقر وبعضهم خوف العار فحصل النهى عن ذلك لما فيه من سوء الظن بالله وتخريب العالم وكل منهما مذموم وهو خطاب للموسرين بدليل قوله خشية املاق ولذلك قدم الاولاد وما تقدم فى الانعام خطاب للمعسرين ولذلك قدم ذكر الآباء وأخر ذكر الاولاد (قوله بالوأد) اى الدفن بالحياة وخص بالذكر وان كان القتل باى شيء حراما لانه الذى كانوا يفعلونه فى الجاهلية (قوله كان خطأ) اما بكسر الخاء وسكون الطاء بوزن حمل مصدر خطئ كعلم و بفتحتين اسم مصدر لاخطار باعيا او بكسر الخاء وفتح الطاء ممدودا مصدر لخاطأ كقاتل ثلاث قراآت وكلها سبعية (قوله ولا تقربوا الزنا) هو بالقصر فى القراءة الشائعة وقرئ شذوذا بالمد وخرجت على وجهين احدهما انه لغة فى المقصور والثانى انه مصدر زانى كقاتل لانه يكون من اثنين (قوله ابلغ من لا تاتوه) اى لانه يفيد النهى عن مقدماته كاللمس والمباشرة والقبلة صريحا والنهى عن الفعل بالاولى (قوله وساء سبيلا) اى لانه طريق من طرق النار وخص الزنا بالنهى وان كان اللواط أشنع واقبح لانه كان ساريا فى العرب بخلاف اللواط فقد كان فى قوم لوط وتنوسي ثم ظهر فى هذه الامة بعد قرن الصحابة والتابعين (قوله التى حرم الله) اى حرم قتلها بان عصمها منه وهو المسلم او الكافر الذى تحت ذمتنا (قوله الا بالحق) مستثنى من النهى والمعنى لا تقتلوا النفس المعصومة الا بالقتل بالحق وهو احد ثلاث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا كما فى الحديث (قوله ومن قتل مظلوما) اى وهو المؤمن المعصوم (قوله تسليطا على القاتل) اى فحيث ثبت القتل عمدا عدوانا وجب على الحاكم الشرعى ان يمكن ولى المقتول من القاتل فيفعل فيه الحاكم مايختاره الولى من القتل أو العفو او الدية ولا يجوز للولى التسلط على القاتل من غير اذن الحاكم لان فيه فسادا وتخريبا (قوله غير قاتله) أى غير قاتل المقتول (قوله أو بغير ما قتل به) يستثنى منه من قتل بمحرم كلواط وسحر فانه لا يجوز القتل بذلك بل يقتل بالسيف (قوله انه كان) اى الولى منصورا اى من الله ومن الحاكم (قوله ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن) اى لا تقربوه بحال من الاحوال الا بالخصلة التى هى احسن من جميع الخصال وهى تنميته له والانفاق عليه منه بالمعروف (قوله حتى يبلغ اشده) غاية لقوله الا بالتى هى احسن كانه قال فاقربوه بالتى هى احسن الى ان يبلغ أشده اى رشده فاذا بلغ اشده فادفعوا اليه المال ولا تصرف لكم فيه بوجه واشدا امامفرد بمعنى القوة اوجمع لا واحد له من لفظه اوجمع شدة اوشد بكسر الشين فيهما اوشد بفتحها وعلى كل فالمراد به القوة بان يبلغ عاقلا رشيدا وان كان الاشد فى الاصل بلوغ ثلاث وثلاثين سنة (قوله اذا عاهدتم الله او الناس) اى اوما عاهدكم الله عليه من التكاليف (قوله كان مسؤلا عنه) اى هل وفى به صاحبه ام لا وقدر المفسر عنه اشارة الى ان المسؤل صاحب العهد لا نفس العهد اذلا يتاتى سؤاله (قوله واوفوا الكيل) خطاب للبائعين قال بعضهم يؤخذ من الآية أن اجرة الكيال على البائع لانها من تمام التسليم مالم تشترط او يجر عرف بانها

راجع للثانى (ان ربك يبسط الرزق) يوسعه (لمن يشاء و يقدر) يضيقه لمن يشاء (انه كان بعباده خبيرا بصيرا) عالما ببواطنهم وظواهرهم فيرزقهم على حسب مصالحهم (ولا تقتلوا أولادكم) بالوأد (خشية) مخافة (املاق) فقر (نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ) اثما (كبيرا) عظيما (ولا تقربوا الزنا) ابلغ من لا تاتوه (انه كان فاحشة) قبيحا (وساء) بئس (سبيلا) طريقا هو (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه) لوارثه (سلطانا) تسليطا على القاتل (فلا يسرف) يتجاوز الحد (فى القتل) بان يقتل غير قاتله أو بغير ما قتل به (انه كان منصورا ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن حتى يبلغ اشده واوفوا بالعهد) اذا عاهدتم الله او الناس (ان العهد كان مسؤلا) عنه (واوفوا الكيل) اتموه (اذا كلتم

وزنوا بالقسطاس المستقيم) الميزان السوى (ذلك خير واحسن تاويلا) ما آل (ولا تقف) تتبع (ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد) القلب (كل اولئك كان عنه مسؤلا) صاحبه ماذا فعل به (ولا تمش فى الارض مرحا) اى ذا مرح بالكبر والخيلاء (انك لن تخرق الارض) تثقبها حتى تبلغ آخرها بكبرك (ولن تبلغ الجبال طولا) المعنى انك لا تبلغ هذا المبلغ فكيف تختال (كل ذلك) المذكور (كان سيئه عند ربك مكروها ذلك مما اوحى اليك) يا محمد (ربك من الحكمة) الموعظة (ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا) مطرودا عن رحمة الله (افاصفاكم) أخلصكم يا اهل مكة (ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا) بنات لنفسه بزعمكم (انكم لتقولون) بذلك (قولا عظيما ولقد صرفنا) بينا (فى هذا القرآن) من الامثال والوعد والوعيد (ليذكروا) يتعظوا (وما يزيدهم) ذلك (الا نفورا) عن الحق (قل) لهم (لو كان معه) اى الله (آلهة كما تقولون اذا لابتغوا) طلبوا (الى ذى العرش) اى الله (سبيلا)

على المشترى (قوله بالقسطاس) بضم القاف وكسرها قراءتان سبعيتان وهى استعملته العرب فى لغتهم وأجرته مجرى كلامهم فى الاعراب ونحوه فصار عربيا (قوله ذلك) اى المذكور من قوله لا تجعل مع الله الها آخر الى هنا والمعنى امتثال المامورات واجتناب المنهيات خير فى الدنيا وأحسن تاويلا أى عاقبة فى الآخرة ويحتمل عود اسم الاشارة على خصوص ايفاء الكيل والميزان فخيره فى الدنيا لما فيه من إقبال المشترى على البائع وفى الآخرة بحسن العاقبة (قوله ولا تقف ما ليس لك به علم) اى لا تقل رأيت ولم تر وسمعت ولم تسمع وعلمت ولم تعلم (قوله كل اولئك) اى الحواس الثلاثة (قوله كان عنه مسؤلا) اى فى الآخرة فلا يجوز للانسان ان يتكلم فى غيره بمجرد الظن ومن ذلك الفتوى بغير علم وشهادة الزور وظن السوء بالناس وغير ذلك (قوله مرحا) مصدر مرح كفرح وزنا ومعنى (قوله انك لن تخرق الارض) اى بكبرك ونخرك فلست اعلى من الارض حتى تدرك حدودها وتبلغ منتهاها (قوله تثقبها) بالثاء المثلثة والنون (قوله طولا) تمييز محول عن الفاعل اى ولن يبلغ طولك الجبال وهذا تهكم على العبد المتكبر كان الله يقول له شان المتكبر ان يرى كل شيء احقر منه وانت ترى كل شيء اعظم منك لانك بمشيك على الارض لن تخرقها حتى تدركها ولن يبلغ طولك الجبال حتى تكون اعلى منها فلا يليق منك التكبر (قوله كل ذلك) اى المذكور من الخمس والعشرين المذكورة فى قوله تعالى لا تجعل مع الله الها آخر الى قوله ولا تمش فى الارض مرحا (قوله كان سيئة) بالتاء والهاء قراءتان سبعيتان فعلى الاولى يكون المراد من قوله كل ذلك المنهيات وهى اثنتا عشرة خصلة والتانيث فى سيئة باعتبار معنى كل وتذكير مكروها باعتبار لفظها وعلى الثانية يكون المراد جميع ما تقدم من المامورات والمنهيات وقوله كان سيئه أى السيء منه وهو المنهيات الاثنتا عشرة ويكون فى الآية اكتفاء اى وكان حسنه محمودا (قوله ذلك مما اوحى) اى ما تقدم من المامورات والمنهيات بعض ما اوحى اليك (قوله ولا تجعل مع الله الها آخر) ختم به الاحكام كما ابتدأها به اشارة الى ان التوحيد مبدأ الامور ومنتهاها وهو رأس الاشياء وأساسها والاعمال بدونه باطلة لا تفيد شيا (قوله أفاصفاكم ربكم) لما أمر بالتوحيد ونهى عن الاشراك أتبعه بذكر التقبيح والتشنيع على من ينسب لله الولد خصوصا أخس الاولاد فى زعمهم وهى البنات فالاستفهام للتوبيخ والتقريع (قوله أخلصكم) بيان لمعنى الصفاء اللغوى يقال صفاه بمعنى خلصه والمعنى اخصكم ربكم بالبنين الذين تدعون انهم اشرف الاولاد وجعل لنفسه البنات الذين تدعون خستها عن الذكور ان هذا الرأى شنيع من وجوه اولها نسبة الولد من حيث هو لله ثانيها نسبة الخسيس له ثالثها الحكم على الملائكة الكرام بالانوثة مع انهم عباد مكرمون لا يوصفون بذكورة ولا بانوثة وكل ذلك موجب للخلود فى النار (قوله بنات لنفسه) فى بعض النسخ باسقاط الف بعد التاء وهى الصحيحة لان من المعلوم ان بنات جمع مؤنث سالم ينصب بالكسرة وفى بعض النسخ بثبوتها ولعلها من سهو الناسخ او مخرجة على لغة قليلة تنصبه بالفتحة (قوله قولا عظيما) اى كبيرا لان نسبة الولد اليه تستلزم حدوثه وهو محال فى حقه تعالى (قوله ولقد صرفنا) اى اظهرنا ووضحنا (قوله من الامثال الخ) بيان للمفعول ومن زائدة والمعنى بينا فى هذا القرآن الامثال والوعد والوعيد (قوله الا نفورا) اى اعراضا واستكبارا عن الهدى قال البوصيرى

عجبا للكفار زادوا ضلالا * بالذى فيه للعقول اهتداء

(قوله قل لهم) اى فى الاستدلال على ابطال التعدد واثبات الوحدانية له تعالى (قوله لو كان معه آلهة) هذا اشارة الى قياس استثنائى يستثنى فيه نقيض التالى لينتج نقيض المقدم وقد حذف منه الاستثنائية والنتيجة والاصل لكنهم لم يطلبوا طريقا لقتاله فلم يكن معه آلهة والمعنى لو فرض ان له شريكا فى الملك

ليقا تلوه (سبحانه) تنزيها له (وتعالى عما يقولون) من الشركاء (علوا كبيرا تسبح له) تنزهه (السموات السبع والأرض ومن فيهن وان) ما (من شيء) من المخلوقات (الا يسبح) ملتبسا (بحمده) اى يقول سبحان الله وبحمده (ولكن لا تفقهون) تفهمون (تسبيحهم) لانه ليس بلغتكم (انه كان حليما غفورا) حيث لم يعاجلكم بالعقوبة (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا) اى ساترا لك عنهم فلا يرونك نزل فيمن اراد الفتك به صلى الله عليه وسلم (وجعلنا على قلوبهم اكنة) اغطية (ان يفقهوه) من أن يفهموا القرآن أى فلا يفهمونه (وفى آذانهم وقرا) ثقلا فلا يسمعونه (واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا) عنه (نحن اعلم بما يستمعون به) بسببه من الهزء (اذ يستمعون اليك) قراءتك (واذ هم نجوى) يتناجون بينهم اى يتحدثون (اذ) بدل من اذ قبله (يقول الظالمون) فى تناجيهم (ان) ما (تتبعون الا رجلا مسحورا) مخدوعا مغلوبا على عقله قال تعالى (انظر كيف ضربوا لك الامثال) بالمسحور والكاهن والشاعر (فضلوا) بذلك عن الهدى (فلا يستطيعون سبيلا) طريقا اليه (وقالوا)

لنازعه وقاتله واستعلى عليه لكنه لم يوجد من هو بهذه المثابة فبطل التعدد وثبتت الوحدانية والكبرياء له سبحانه وتعالى (قوله ليقا تلوه) أى على عادة ملوك الدنيا عند تعددهم (قوله وتعالى) عطف على ما تضمنه قوله سبحانه كأنه قال تنزه وتعالى (قوله تسبح له السموات السبع الخ) القصد من ذلك التوبيخ والتقريع على من اثبت لله شريكا والمعنى كيف يشركون مع الله غيره وكل شيء ينزهه عن كل نقص (قوله والارض) أفردها مع انها سبع كالسموات لكون جنسها واحدا وهو التراب (قوله من المخلوقات) أى الانس والجن والملك وسائر الحيوانات والجمادات (قوله اى يقول سبحان الله وبحمده) اى أعتقد تنزيه الله واصفه بحمده اى بكل كمال (قوله ولكن تفقهون تسبيحهم) هذا يقتضى ان تسبيح الجمادات والحيوانات الغير العاقلة بلسان المقال وهو الذى اختاره جمهور السلف وذهب الاقل الى انه بلسان الحال بمعنى انها تدل تلك المخلوقات على ان لها صانعا متصفا بالكمالات منزها عن النقائص فكان ذلك تسبيحا لها قال العارف

وفى كل شيء له آية * تدل على انه الواحد

(قوله حيث لم يعاجلكم بالعقوبة) اى مع غفلتكم وعدم تدبركم فى آياته ونظركم فى مصنوعاته (قوله واذا قرأت القرآن) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم حين اراد الكفار قتله على حين غفلة وأل فى القرآن اما للجنس الصادق بأى آية وهو الحق لما فى الحديث خذ من القرآن ماشئت لما شئت وكون القرآن حجابا ساترا ليس من خصوصياته صلى الله عليه وسلم بل له ولامته المؤمنين به المخلصين كما هو مشاهد ومجرب بين العارفين وادلة السنة فى ذلك أشهر من ان تذكر او للعهد والمراد ثلاث آيات مشهورات من النحل والكهف والجاثية وهى قوله تعالى فى سورة النحل اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وفى سورة الكهف وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفى الجاثية افرأيت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم الآية وزاد العلماء أول سورة يس الى قوله فهم لا يبصرون لما ورد انه قرأها حين اجتمعوا على بابه لارادة قتله وأذن الله له فى الهجرة فاخذ حفنة من تراب فى يده وخرج وهو يتلو يس الى قوله فاغشيناهم فهم لا يبصرون وجعل ينثر التراب على رؤسهم ثم انصرف فلم يره احد منهم بل اخذ الله ابصارهم (قوله وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة) اى وهم المنكرون للبعث (قوله أى ساترا) أشار بذلك الى ان اسم المفعول بمعنى اسم الفاعل (قوله فيمن أراد الفتك به) اى كابى جهل وام جميل زوجة ابى لهب ويهود خيبر ويهود المدينة والمنافقين والفتك بتثليث الفاء هو القتل على غفلة (قوله اغطية) اى حجبا معنوية تمنعهم من ادراكه (قوله فلا يسمعونه) أى اما أصلا كما وقع لبعض الكفار حيث كان النبي يقرأ القرآن وهم لا يسمعونه او المنفى سماع التدبر والاتعاظ وهو موجود فى جميع الكفار والمنافقين (قوله وحده) حال من قوله ربك بمعنى منفردا فى الالوهية (قوله ولوا على ادبارهم نفورا) اى اعرضوا ولم يؤمنوا (قوله نحن اعلم بما يستمعون به) المقصود من هذه الآيات تسلية النبي صلى الله عليه وسلم عما وقع من المشركين وتهديد لهم حيث كانوا يجلسون عند النبي مظهرين الاستماع وفى الواقع قاصدين الاستهزاء (قوله من الهزء) بيان لما (قوله اذ يستمعون) ظرف لاعلم وكذا قوله واذ هم نجوى والمعنى نحن اعلم بالذى يستمعون بسببه وقت استماعهم اليك ووقت تناجيهم (قوله نجوى) اما مصدر او جمع نجى (قوله بدل من اذ قبله) اى وهو قوله واذ هم نجوى (قوله يقول الظالمون) اى لبعضهم او لمن كان قريبا منهم فى المجلس من المؤمنين (قوله كيف ضربوا لك الامثال) اى حيث شبهوك بالاوصاف الناقصة كالمسحور والشاعر والكاهن (قوله فضلوا بذلك عن الهدى) اى لان الهدى تابع للتسليم وحسن العقيدة وهؤلاء بريئون من ذلك (قوله طريقا اليه) اى الى الهدى لعدم تيسير

منكرين للبعث (أئذا كنا عظاما ورفاتا (٢٩٨) أئنا لمبعوثون خلقا جديدا قل) لهم (كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم) يعظم

عن قبول الحياة فضلا عن العظام والرفات فلا بد من ايجاد الروح فيكم (فسيقولون من يعيدنا) الى الحياة (قل الذى فطركم) خلقكم (اول مرة) ولم تكونوا شيا لان القادر على البدء قادر على الاعادة بل هى أهون (فسينغضون) يحركون (اليك رؤسهم) تعجبا (ويقولون) استهزاء (متى هو) أى البعث (قل عسى أن يكون قريبا يوم يدعوكم) يناديكم من القبور علي لسان اسرافيل (فتستجيبون) فتجيبون دعوته من القبور (بحمده) بامره وقيل وله الحمد (وتظنون ان) ما (لبثتم) فى الدنيا (الا قليلا) لهول ما ترون (وقل لعبادى) المؤمنين (يقولوا) للكفار الكلمة (التى هى أحسن ان الشيطان ينزغ) يفسد (بينهم ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا) بين العداوة والكلمة التى هى أحسن هى (ربكم أعلم بكم ان يشا يرحمكم) بالتوبة والايمان (أوان يشا) تعذيبكم (يعذبكم) بالموت على الكفر (وما أرسلناك عليهم وكيلا) فتجبرهم على الايمان وهذا قبل الامر بالقتال (وربك أعلم بمن فى السموات والارض) فيخصهم بما شاء على قدر أحوالهم (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) بتخصيص كل منهم بفضيلة كموسى بالكلام وابراهيم بالخلة ومحمد بالاسراء (وآتينا داود زبورا

أسبابه لهم (قوله منكرين للبعث) أشار بذلك الى أن الاستفهام للانكار والاستبعاد (قوله ورفاتا) هو ما بولغ فى تفتيته ودقه حتى يصير كالتراب وقيل هو التراب يؤيده أنه تكرر فى القرآن ترابا وعظاما (قوله قل كونوا حجارة) أى جوابا عن انكارهم البعث والمعنى قل لهم لو صرتم حجارة أو حديدا أو خلقا آخر غيرهما كالسموات والارض والجبال فلا بد من ايجاد الحياة فيكم فان قدرة الله لا تعجز عن احيائكم واعادتكم للجسمية والروحية فكيف اذا كنتم عظاما ورفاتا وليس المراد الامر بل المراد أنكم لو كنتم كذلك لما أعجزتم الله عن الاعادة (قوله مما يكبر فى صدوركم) أى اعتقادكم والمعنى لو كنتم أشياء يعظم فى اعتقادكم قبولها الحياة لكونها بعيدة منها لاحياكم الله اذ اله اقدر لا يعجزه شئ (قوله قل الذى فطركم) أى يعيدكم الذى فطركم (قوله بل هى أهون) أى لان البدء لم يكن على مثال سابق بخلاف الاعادة وذلك بالنظر لعقولنا وأفعالنا والا فالبدء والاعادة بالنسبة اليه تعالى على حد سواء فخلق الجبل العظيم عنده مساو لخلق الذرة قال تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة (قوله فسينغضون اليك رؤسهم) يقال نغض الشئ تحرك وأنغض رأسه حركه كالمتعجب من الشئ (قوله أن يكون قريبا) هو فى محل نصب خبر عسى على أنها ناقصة واسمها ضمير يعود على البعث أو فى محل رفع فاعل بها على أنها تامة (قوله يوم يدعوكم) ظرف لقوله قريبا (قوله على لسان اسرافيل) هو أحد قولين والآخر ان المنادى جبريل والنافخ اسرافيل وصورة النداء أنه يقول أيتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركن أن تجتمعن لفصل القضاء (قوله فتجيبون) أى تبعثون (قوله بحمده) حال من الواو فى تستجيبون أى تجيبونه حال كونكم حامدين له على ذلك لما قيل انهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك (قوله بامره) تفسير آخر لمعنى الحمد هنا وعليه فالباء سببية (قوله وقيل وله الحمد) أى لما ورد أنهم يقولون نعم لله الحمد وهو اخبار عن جميع الخلق مؤمنهم وكافرهم فالمؤمنون يحمدون الله شكرا على ما أولاهم من النعم والكفار يحمدونه ربداء أن ينفعهم ذلك الشكر وهو لا ينفعهم وقيل هو فى خصوص المؤمنين (قوله فى الدنيا) أى أو فى القبور لانهما من جملة عمر الدنيا (قوله يقولوا) مجزوم فى جواب الامر (قوله التى هى أحسن) أى ولا يغلظوا عليهم فان ذلك داع الى الشر كان يقولوا لهم انكم من أهل النار ومن الاشقياء وغير ذلك (قوله ان الشيطان الخ) تعليل لمفهوم قوله يقولوا التى هى أحسن كانه قال ولا يقولوا غيرها مما ينفر النفوس لان الشيطان الخ (قوله بينهم) أى بين المؤمنين والمشركين (قوله يفسد بينهم) أى لان الاغلاظ عليهم ربما يثير العناد ويؤدى لزيادة الفساد (قوله هى ربكم أعلم الخ) أى وما بينهما اعتراض والمعنى ربكم أعلم بعاقبة أمركم (قوله بالتوبة والايمان) أى بسببهما (قوله وما ارسلناك عليهم وكيلا) أى وما جعلناك أمرهم موكولا لك بل ليس عليك الا البلاغ فدارهم ومر أصحابك بتحمل أذاهم (قوله وهذا قبل الامر بالقتال) أى فهو منسوخ بآية يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومقتضى العلة أنه حيث أدى الاغلاظ الى زيادة الفساد وجب تركه فى أى زمن (قوله بمن فى السموات والارض) أى باحوالهم فيخص بالنبوة من شاء من خلقه وبولايته وسعادته من شاء منهم وفى هذه الآيات رد على المشركين حيث استبعدوا النبوة على رسول الله بقولهم كيف يكون يتيم أبى طالب نبيا وكيف يكون العراة الجوع اصحابه وهذه العبارة لا يجوز اطلاقها على النبي الا فى مقام الحكاية عن الكفار ولذا أفتى بعض المالكية بقتل قائلها فى مقام التنقيص والباء متعلقة بأعلم ولا يلزم عليه قصر علمه على من فى السموات والارض لانه مفهوم لقب وهو لا يعتبر وقد رد العلماء على من اعتبره كابى بكر الدقاق (قوله ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) أى بتفضيل من الله ومزايا خصهم بها وميز بعضهم عن بعض (قوله وآتينا داود زبورا) خص بالذكر لان اليهود

زعمت

زعمت انه لا نبي بعد موسى ولا كتاب بعد التوراة وقصدهم بذلك انكار نبوة محمد وانكار كتابه فرد الله عليهم بقوله وآتينا داود زبورا لانهم يعترفون بنبوة داود ونزول الزبور عليه مع انه جاء بعد موسى والزبور كتاب أنزل على داود مشتمل على مائة وخمسين سورة أطولها قدر ربع من القرآن وأقصرها قدر سورة اذا جاء نصر الله وكلها دعاء وتحميد ليس فيها حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود ولا احكام وفى هذه الآية اشارة الى ان تفضيل الانبياء بالفضائل النفسانية والتخلى عن العلائق الجسمانية والتحلى بالاخلاق الرحمانية لا بكثرة الاموال والاتباع حتى داود عليه السلام فان شرفه بما اوحى الله اليه من الكتاب لا بما اوتيه من الملك فالعز والتفضيل فى المزايا الاخروية لا الدنيوية فانها تكون فى المؤمن والكافر فلا يمتن الله بها على احبابه واصفيائه (قوله قل لهم) اى قل يا محمد ردا على من اعتقد مع الله شريكا (قوله انهم آلهة) اشار بذلك الى ان مفعولى زعم محذوفان (قوله من دونه) اى غيره وفى الآية تقديم وتاخير والتقدير قل ادعوا الذين من دونه زعمتم انهم آلهة فالمعنى انهم يعبدونها كما يعبدون الله فاندفع ما يقال ان المشركين انما يعتقدون الشركة مع الله لا أن لا آلهة غيره وهو ليس باله (قوله كالملائكة الخ) اى وكمريم فالكلام فى خصوص العقلاء بدليل قوله اولئك الذين يدعون (قوله فلا يملكون كشف الضر عنكم) اى لا يستطيعون ازالته لعجزهم وحينئذ فهؤلاء ليسوا بآلهة لان الاله هو القادر الذى لا يعجزه شىء والجملة جواب الامر (قوله أولئك الذين يدعون) هذا من تتمة ما قبله واسم الاشارة مبتدأ وجملة يبتغون وما عطف عليه خبر والذين بدل من اسم الاشارة او عطف بيان عليه ويدعون صلته وقدر المفسر مفعوليه والمعنى ان العقلاء الذين زعمتموهم آلهة وعبدتموهم يطلبون من الله القرب بسبب طاعتهم وخضوعهم وذلهم لربهم ويرجون رحمته ويخافون عقابه بل كل من كان اقرب منهم فى الدرجة فهو أشد خضوعا وخوفا ولا يرضون بكونهم معبودين من دون الله (قوله بدل من واو يبتغون) اى واقرب خبر مبتدا محذوف والجملة صلة اى كما اشار له المفسر بقوله يبتغيها الذى هو اقرب (قوله فكيف تدعونهم آلهة) اى مع كونهم راجين خائفين محتاجين لربهم والاله لا يكون كذلك (قوله كان محذورا) اى يخافا منه والمعنى هو حقيق بان يخاف منه كل احد (قوله وان من قرية) اى طائعة او عاصية وقوله الا نحن مهلكوها اى الطائعة وقوله او معذبوها اى العاصية والمعنى ان كل احد يفنى قبل يوم القيامة قال تعالى كل من عليها فان ولكن الفناء يختلف فمنهم من يموت ميتة حسنة ومنهم من يموت ميتة سوء (قوله بالموت) أى فالهلاك قد يستعمل فى الموت قال تعالى ان امرؤ هلك (قوله كان ذلك) اى ما ذكر من الاهلاك والتعذيب (قوله مسطورا) اى فلا يغير ولا يبدل (قوله وما منعنا ان نرسل الخ) سبب نزول هذه الآية انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم اقلب لنا الصفا ذهبا وسير لنا هذه الجبال عن مكة لنزرع مكانها وأحى لنا آباءنا الموتى فان فعلت ذلك آمنا بك فشرع النبي يسال الله تعالى فى ذلك فنزلت هذه الآية والمعنى ما كان السبب فى تركنا اجابتهم عجزا منا بل السبب فى ترك الاجابة غلبة رحمتنا بهم فانه قد جرت عادتنا من اول الزمان الى وقتك هذا أن كل امة طلبت من نبيها آية نأتيهم بها فاذا كفروا استأصلناهم بالهلاك وقد سبق فى علمنا ان امتك تبقى على وجه الارض الى يوم القيامة ولو آتيناهم ما طلبوه ولم يؤمنوا لاستأصلناهم بالهلاك فلم يتم ما سبق فى علمنا فمنعهم مما طلبوه رحمة بامتك جميعا (قوله التى اقترحوها) أى كقلب الصفا ذهبا وغير ذلك مما ياتى فى قوله وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الآيات (قوله مبصرة) بكسر الصاد باتفاق السبعة واسناد الابصار لها مجاز لانها سبب فى التبصر والاعتبار والاهتداء وخصت معجزة صالح بالذكر هنا لان المكذبين لها ديارهم المهلكة قريبة منهم يبصرونها فى اسفارهم ذهابا وايابا (قوله المعجزات) دفع بذلك ما يقال ان فى الآية تعارضا حيث نفى ارسال الآيات اولا

قل) لهم (ادعوا الذين زعمتم) انهم آلهة (من دونه) كالملائكة وعيسى وعزير (فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) له الى غيركم (أولئك الذين يدعون) هم آلهة (يبتغون) يطلبون (الى ربهم الوسيلة) القربة بالطاعة (ايهم) بدل من واو يبتغون اى يبتغيها الذى هو (اقرب) اليه فكيف بغيره (ويرجون رحمته ويخافون عذابه) كغيرهم فكيف تدعونهم آلهة (ان عذاب ربك كان محذورا وان) ما (من قرية) اريد أهلها (الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة) بالموت (او معذبوها عذابا شديدا) بالقتل وغيره (كان ذلك فى الكتاب) اللوح المحفوظ (مسطورا) مكتوبا (وما منعنا ان نرسل بالآيات) التى اقترحها اهل مكة (الا ان كذب بها الاولون) لما ارسلناها فاهلكناهم ولو ارسلناها الى هؤلاء لكذبوا بها واستحقوا الاهلاك وقد حكمنا بامهالهم لاتمام امر محمد (وآتينا ثمود الناقة) آية (مبصرة) بينة واضحة (فظلموا) كفروا (بها) فاهلكوا (وما نرسل بالآيات) المعجزات (الا تخويفا) للعباد فيؤمنوا

واثبته ثانيا وحاصل الجواب ان يقال ان المنفي أولا الآيات المقترحة والمثبت ثانيا المعجزات الغير المقترحة (قوله واذ قلنا لك) اذ ظرف متعلق بمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر (قوله فهو يعصمك منهم) أي من قتلهم لا من أذاهم فانه حاصل (قوله وما جعلنا الرؤيا) المراد الرؤية بالبصر واستعمالها بالالف قليل والكثير استعمال البصرية بالتاء والحلمية بالالف وانما عبر عنها بالالف لوقوعها بالليل ولسرعة تقضيها كانها منام (قوله والشجرة) معطوفة على الرؤيا (قوله الملعونة) اسناد اللعن لها اما حقيقة باعتبار انها مؤذية ومذمومة ومطرودة عن رحمة الله لانها تخرج في اصل الجحيم أو مجاز والمراد ملعون آكلوها (قوله في القرآن) الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة الشجرة اى المذكورة في القرآن (قوله وهي الزقوم) هي أخبث الشجر المر تنبت بتهامة وتكون في اصل الجحيم طعام أهل النار (قوله اذ قالوا النار تحرق الشجر الخ) اى فقصدوا بذلك انكار قدرة الله تعالى واثبات العجز له والاستهزاء بقول الرسول وهو غفلة منهم عن قدرة الله معتمدين على الامر العادي مع انه شوهد تخلفه في مثل النعامة فانها تبتلع الجمر والحديد المحمي بالنار ولا يحرقها وطير السمندل يتخذ من وبره مناديل فاذا اتسخت ألقيت في النار فيزول وسخها وتبقى بحالها (قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) كرر قصة آدم مع ابليس في القرآن مرارا لابتناء السعادة والشقاوة عليها واشارة الى ان السعيد هو من تبع آدم والشقي هو من تبع ابليس ليحصل ما ترتب على ذلك من النعيم المقيم لاهل السعادة والعذاب الاليم لاهل الشقاوة (قوله اسجدوا لآدم) اى بعد ان قال لهم اني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها قال لهم اني اعلم ما لا تعلمون ثم علمه اسماء الاشياء كلها ثم عرض الله على الملائكة المسميات وأمر آدم ان يقول للملائكة أنبئوني باسماء هؤلاء قالوا لا علم لنا الا ما علمتنا قال الله يا آدم أنبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم صار شيخا لهم فوجب تعظيمه واحترامه فامروا بالسجود له وفاء ببعض حقوقه عليهم (قوله سجود تحية بالانحناء) دفع بذلك ما يقال ان السجود لغير الله كفر والملائكة بريئون منه ويدفع أيضا بان السجود لآدم حقيقة بوضع الجبهة وآدم كالقبلة كالمصلين للكعبة وأيضا محل كون السجود لغير الله كفرا ما لم يكن الآمر به هو الله والا فيجب امتثاله وقد تقدم ذلك (قوله فسجدوا) أي الملائكة جميعا (قوله الا ابليس) اى امتنع من السجود قولا وفعلا (قوله قال أأسجد الخ) الاستفهام انكاري فهو بمعنى النفي (قوله قال ارأيتك هذا الذي كرمت علي) الهمزة للاستفهام ورأى فعل ماض والتاء فاعل والكاف مؤكدة لتاء الخطاب واسم الاشارة مفعول أول والذي بدل منه أو صفة له وكرمت صلة الموصول والعائد محذوف تقديره كرمته والمفعول الثاني محذوف تقديره لم كرمته علي ولم يجبه الله عن هذا السؤال تحقيرا له حيث اعترض على مولاه وتكبر وحسد عباد الله والاراءة هنا بمعنى الاخبار ففيه مجاز مرسل من باب اطلاق السبب على المسبب لان شان من كان رائيا لشيء ان يخبر به واطلق الاستفهام واريد منه الطلب ففيه مجاز على مجاز وتقدم نظائر هذه الآية في الانعام وسيأتي في القصص (قوله خلقتني من نار) اى وهي افضل العناصر الاربع (قوله لام قسم) اى مقدر تقديره والله وقوله لاحتنكن جواب القسم والجملة مستانفة مرتبة على محذوف والتقدير فطرده الله فطلب اللعين الامهال للنفخة الثانية فاجابه الله بخلاف ما طلب فقال لئن أخرتني الخ والاحتناك في الاصل ماخوذ من حنك الدابة اذا جعل الرسن في حنكها واحتنك الجراد الارض أكل ما عليها والياء في أخرتني ثابتة لبعض القراء وصلا ووقفا ومحذوفة لبعضهم كذلك وثابتة لبعضهم وصلا وحذفها وقفا فالقراآت ثلاث وكلها سبعية هنا وأما التي تاتي في المنافقون فالياء ثابتة للكل لثبوتها في الرسم (قوله ممن عصمته) اي عصمة واجبة كالانبياء او جائزة كالصلحاء (قوله قال تعالى له اذهب) هذا تهديد له وليس الامر في المواضع الخمسة على حقيقته بل هو استدراج وتهديد لانه معصية

(و) اذكر (اذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس) علما وقدرة فهم في قبضته فبلغهم ولا تخف احدا فهو يعصمك منهم (وما جعلنا الرؤيا التي اريناك) عيانا ليلة الاسراء (الا فتنة للناس) اهل مكة اذ كذبوا بها وارتد بعضهم لما اخبرهم بها (والشجرة الملعونة في القرآن) وهي الزقوم التي تنبت في اصل الجحيم جعلناها فتنة لهم اذ قالوا النار تحرق الشجر فكيف تنبته (ونخوفهم) بها (فما يزيدهم) تخويفنا (الا طغيانا كبيرا و) اذكر (اذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) سجود تحية بالانحناء (فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا) نصب بنزع الخافض اى من طين (قال أرأيتك) أي أخبرني (هذا الذي كرمت) فضلت (علي) بالامر بالسجود له وانا خير منه خلقتني من نار (لئن) لام قسم (أخرتن الى يوم القيامة لاحتنكن) لاستأصلن (ذريته) بالاغواء (الا قليلا) منهم ممن عصمته (قال) تعالى له (اذهب) منظرا

الى وقت النفخة الاولى (فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم) انت وهم (جزاء موفورا) (٣٠٩) وافرا كاملا (واستفزز) استخفف (من استطعت

والله لايامر بها على حسد اذا لم تستح فاصنع ماشئت (قوله الى وقت النفخة الاولى) هذا جواب له على خلاف ماطلب فانه طلب الانظار الى النفخة الثانية ليفر من الموت فانه يعلم ان لاموت بعد النفخة الثانية (قوله جزاؤكم) غلب المخاطب لانه سبب فى الاغواء (قوله جزاء) منصوب بالمصدر قبله (قوله وافر) اشار بذلك الى ان اسم المفعول بمعنى اسم الفاعل (قوله بالغناء) بكسر الغين والمد وهو تطريب الصوت بما يهيج الشهوات المحرمة (قوله وكل داع الى معصية) كالكلام مع الاجنبية ونحوه (قوله بخيلك) الباء للملابسة والمعنى صح عليهم حال كونك ملتبسا بجنودك الركاب والمشاة فالمراد بالخيل ركابها وذلك كقطاع الطريق الذين يركبون الخيل وياخذون الاموال ويقتلون النفوس (قوله وشاركهم فى الاموال) اى بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها فيما لاينبغى (قوله من الزنا) اى ومثله مالو طلق الرجل امرأته ثلاثا واتى منها بالاولاد فان الشيطان شريكه فيهم (قوله وعدهم) اى احملهم على اعتقاد عدم البعث والجزاء (قوله ان عبادى) الاضافة للتشريف (قوله ليس لك عليهم سلطان) اى بل هم محفوظون منك (قوله وكفى بربك وكيلا) اى ان الشيطان وان كان قادرا على الوسوسة باقدار الله له فالله ارحم بعباده فهو يدفع عنهم كيده وشره فالمعصوم من عصمه الله وليس للعبد قدرة على دفع الوساوس عنه * (فائدة) * ذكر اليافعى عن الشاذلى ان مما يعين على دفع وسوسة الشيطان انك عند وسوسته لك تضع يدك اليمنى على جانب صدرك الايسر بحذاء القلب وتقول سبحان الملك القدوس الخلاق الفعال سبع مرات ثم تقرأ قوله تعالى ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز اه (قوله ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر) لما اخبر الله سبحانه وتعالى بان الشيطان مسلط على بنى آدم الا من عصمه منهم وحفظه بين اوصاف الحافظ للخلق من تسلط الشيطان كانه قال ربكم الحافظ لكم هو الذى يزجى والازجاء الاجراء يقال زجاه وازجاه بمعنى اجراه والفلك السفينة يستعمل مفردا وجمعا ووزن المفرد قفل والجمع بدن ويذكر باعتبار المركب ويؤنث باعتبار السفينة (قوله السفن) يشير الى ان الفلك مستعمل فى الجمع (قوله فى البحر) اى عذبا وملحا (قوله لتبتغوا من فضله) اى الوصول الى المقاصد دنيوية وأخروية فبالسفن يتوصل الى التجارات والمكاسب وللحج وزيارة الصالحين (قوله انه كان بكم رحيما) تعليل ثان لقوله يزجى (قوله الشدة) اى من اجل هبوب الريح (قوله خوف الغرق) أى من اجل خوفه (قوله ضل من تدعون) اى ذهب عن قلوبكم وخواطركم كل معبود سواه فلا تدعون غير الله لكشفه (قوله الا اياه) يحتمل ان يكون الاستثناء متصلا بحمل قوله من تدعون على جميع المعبودات بحق أو بباطل ويحتمل أن يكون منقطعا بحمله على المعبود بباطل وتكون على هذا الا بمعنى لكن (قوله من الغرق) الجار والمجرور متعلق بنجاكم وقوله الى البر متعلق بمحذوف قدره المفسر بقوله وأوصلكم (قوله اعرضتم عن التوحيد) أى تركتموه فالكافر يرجع لعبادة الاصنام والعاصى يرجع لغفلاته وشهواته بعد أن كان الجميع آيبين متوجهين الى الله خائفين منه (قوله وكان الانسان كفورا) كالتعليل لقوله اعرضتم (قوله أفامنتم) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أنجوتم من الغرق فامنتم الخ والاستفهام للتوبيخ (قوله أن نخسف بكم جانب البر) اى نخفيكم فى باطن الارض والمعنى انتم وان أمنتم من الغرق فى البحر لاتامنون من الخسف فى البر والافعال الخمسة تقرأ بالنون والياء سبعيتان (قوله كقارون) أى فقد وقع به الخسف قال الله تعالى فخسفنا به وبداره الارض (قوله أى نرميكم بالحصباء) اى بسبب ريح تأتيكم (قوله كقوم لوط) أى فقد نزلت عليهم حجارة من السماء أهلكتهم (قوله حافظا منه) اى مما ذكر من الخسف وارسال الحصباء (قوله تارة) مصدر وتجمع

منهم بصوتك) بدعائك بالغناء والمزامير وكل داع الى معصية (وأجلب) صح (عليهم بخيلك ورجلك) وهم الركاب والمشاة فى المعاصى (وشاركهم فى الاموال) المحرمة كالربا والغصب (والاولاد) من الزنا (وعدهم) بان لا بعث ولا جزاء (وما يعدهم الشيطان) بذلك (الا غرورا) باطلا (ان عبادى) المؤمنين (ليس لك عليهم سلطان) تسلط وقوة (وكفى بربك وكيلا) حافظا لهم منك (ربكم الذى يزجى) يجرى (لكم الفلك) السفن (فى البحر لتبتغوا) تطلبوا (من فضله) تعالى بالتجارة (انه كان بكم رحيما) فى تسخيرها لكم (واذا مسكم الضر) الشدة (فى البحر) خوف الغرق (ضل) غاب عنكم (من تدعون) تعبدون من الآلهة فلا تدعونه (الا اياه) تعالى فانكم تدعونه وحده لانكم فى شدة لا يكشفها الا هو (فلما نجاكم) من الغرق واوصلكم (الى البر اعرضتم) عن التوحيد (وكان الانسان كفورا) جحودا للنعم (أفامنتم أن نخسف بكم جانب البر) أى الارض كقارون (أو نرسل عليكم حاصبا)

اى نرميكم بالحصباء كقوم لوط (ثم لا تجدوا لكم وكيلا) حافظا منه (أم أمنتم ان نعيدكم فيه) اى البحر (تارة) مرة (أخرى فنرسل

على تبيرة وتارات (قوله الا قصفته) اى كسرته (قوله فنغرقكم) مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله
فتكسر فلككم (قوله بكفركم) اى بسببه واشار بذلك الى ان ما مصدرية ويصح ان تكون اسم موصول
اى بسبب الذى كفرتم به (قوله تبيعا) اى ناصرا لكم علينا فيحفظكم ويمنع عنكم ما فعلناه بكم (قوله
أو تابعا يطالبنا الخ) تفسير ثان لتبيعا والمعنى عليه لا تجدوا لكم مطالبا يأخذ بثاركم منا (قوله ولقد كرمنا بنى
آدم) اى شرفناهم على جميع المخلوقات بامور جليلة عظيمة منها انهم يأكلون بايديهم لا بافواههم ومنها
كونهم معتدلين القامة على شكل حسن وصورة جميلة ومنها ان الله خلق لهم ما فى الارض جميعا ومنها
اخدام الملائكة الكرام لهم حتى جعل منهم حفظة وكتبة لهم وغير ذلك (قوله بالعلم) اى والعقل (قوله
ومنه طهارتهم بعد الموت) اى فذوات بنى آدم طاهرة بعد الموت ونجاسة الكفار منهم معنوية لخبث
باطنهم وعليه يحمل قوله تعالى انما المشركون نجس (قوله على الدواب) اى الابل والخيل والبغال والحمير
(قوله من الطيبات) اى المستلذات كاللحم والسمن واللبن والحبوب والفواكه فى جميع الازمان (قوله
وفضلناهم على كثير الخ) اى ميزناهم بفضائل ليست فى كثير من غيرهم (قوله فمن بمعنى ما) اى فهى
مستعملة فى غير العقلاء ويكون المراد بالكثير جميع ما سواهم من غير الملائكة (قوله أو على بابها) اى فهى
مستعملة فى العقلاء وغلبوا على غيرهم (قوله والمراد تفضيل الجنس) اى فجنس الانسان افضل من جنس
الملائكة وهذا جواب عما يقال لا نسلم ان جميع البشر افضل من جميع الملائكة فاجاب بان التفضيل
بالجنس فلا ينافى ان رؤساء الملائكة افضل من عامة البشر (قوله اذهم) اى الملائكة (قوله افضل
من البشر) ظاهره مطلقا وهو خلاف التحقيق والتحقيق الذى عليه الاشاعرة ان خواص البشر
كالانبياء والرسل افضل من خواص الملائكة وهم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل
وعوام البشر وهم الصلحاء افضل من عوام الملائكة وهم ما عدا الرؤساء الاربعة (قوله يوم ندعوا)
يوم معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر والمعنى اذكر يا محمد هذا اليوم وهوله لامتك ليكون داعيا الى
الاتعاظ والخوف فيحملهم على الاستعداد (قوله كل اناس) وزنه فعال ويجوز حذف همزته فيقال ناس
فيصير وزنه عال (قوله نبيهم) اى لما روى عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فينادى يوم القيامة
يا امة ابراهيم يا امة موسى يا امة عيسى يا امة محمد صلى الله عليه وسلم فيقوم اهل الحق الذين اتبعوا الانبياء
فيأخذون كتبهم بايمانهم ثم ينادى الاتباع يا اتباع نمروذ يا اتباع فرعون يا اتباع فلان وفلان من رؤساء
الضلال واكابر الكفار فيأخذون كتبهم بشمائلهم من وراء ظهورهم (قوله او بكتاب اعمالهم) اى لقوله
تعالى وكل شئ احصيناه فى امام مبين وما ذكره المفسر قولان فى تفسير الامام وبقى أقوال اخر قيل المراد
به الكتاب الذى انزل عليهم فينادى فى القيامة يا اهل التوراة يا اهل الانجيل يا اهل القرآن ماذا
عملتم فى كتابكم هل امتثلتم اوامره هل اجتنبتم نواهيه وقيل المراد به المذهب الذى كانوا يتعبدون الله
عليه فيقال يا حنفى يا شافعى يا معتزلى يا قدرى ونحو ذلك وقيل المراد به عمل البر الذى اشتهر به فى الدنيا
فينادى اهل الصدقات واهل الجهاد واهل الصيام وغير ذلك وقيل المراد به الامهات لان الامام جمع ام
كخاف جمع خف فينادى الخلق بامهاتهم فيقال يا ابن فلانة سترا على ولد الزنا ورعاية حق عيسى واظهار
شرف الحسن والحسين ورد هذا القول الزمخشرى وقال انه من بدع المفسرين (قوله فيقال
يا صاحب الخير) هو على حذف مضاف اى يا صاحب كتاب الخير (قوله وهو يوم القيامة) وله
اسماء كثيرة منها الساعة والحاقة والقارعة والواقعة ويوم الدين ويوم الجزاء ويوم الحشر وغير ذلك
(قوله فمن اوتى كتابه) من اما شرطية او موصولة ودخلت الفاء فى خبرها لشبهها بالشرط

عليكم قاصفا من الريح) أى
ريحا شديدة لا تمر بشئ
الا قصفته فتكسر فلككم
(فنغرقكم بما كفرتم)
بكفركم (ثم لا تجدوا لكم
علينا به تبيعا) ناصرا او
تابعا يطالبنا بما فعلنا بكم
(ولقد كرمنا) فضلنا (بنى
آدم) بالعلم والنطق واعتدال
الخلق وغير ذلك ومنه
طهارتهم بعد الموت
(وحملناهم فى البر) على
الدواب (والبحر) على
السفن (ورزقناهم من
الطيبات وفضلناهم على
كثير ممن خلقنا) كالبهائم
والوحوش (تفضيلا) فمن
بمعنى ما أو على بابها وتشمل
الملائكة والمراد تفضيل
الجنس ولا يلزم تفضيل
افراده اذهم افضل من
البشر غير الانبياء اذكر
(يوم ندعوا كل اناس
بامامهم) نبيهم فيقال يا امة
فلان او بكتاب اعمالهم
فيقال يا صاحب الخير
يا صاحب الشر وهو يوم
القيامة (فمن أوتى) منهم
(كتابه بيمينه) وهم السعداء
أولو البصائر فى الدنيا

(قوله فاولئك يقرؤن كتابهم) اى وان لم يكونوا قارئين فى الدنيا وحين يقرؤن كتابهم يظهرون لاهل الموقف قال تعالى حكاية عنهم فامامن أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه الخ (قوله قدر قشرة النواة) الصواب ان يقول قدر الخيط الذى فى قلب النواة واما القشرة التى ذكرها فهى القطمير واما النقير فهو الذى فى النقرة التى فى ظهرها والثلاثة مذكورة فى القرآن (قوله ومن كان فى هذه أعمى) اى وهو الذى يعطى كتابه بشماله فيسود وجهه حينئذ و يحصل له الندم قال تعالى واما من أوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه الخ (قوله أعمى عن الحق) اى فالمراد أعمى القلب لا يبصر رشده (قوله وقراءة الكتاب) اى قراءة سارة والا فهو يقرؤه قراءة يحصل له بها الندم والحسرة والحزن (قوله وأضل سبيلا) اى لانهم حينئذ لا ينفعهم الايمان (قوله عنه) اى عن طريق النجاة (قوله ونزل فى ثقيف) أى وهم قبيلة يسكنون الطائف وحاصله انهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم لا ندخل فى أمرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبى فى صلاتنا فالمراد بقولهم لا نعشر لا نعطى العشر من الزكاة و بقولهم لا نحشر لا نؤمر بالجهاد و بقولهم لا نجبى بضم النون وفتح الجيم وتشديد الباء الموحدة مكسورة لا نركع ولا نسجد فى صلاتنا والمراد لا نصلى وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة حتى نأخذ مايهدى لها فاذا أخذناه كسرناها واسلمنا وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله أمرنى فسكت النبى وطمع القوم فى سكوته ان يعطيهم ذلك فانزل الله وان كادوا الخ (قوله مخففة) اى واسمها ضمير الشان (قوله يستنزلونك) اى يطلبون نزولك عن الحكم الذى أوحيناه اليك من الاوامر والنواهى (قوله لتفترى) اى تختلق وتكذب (قوله غيره) اى غير ما أوحينا اليك (قوله واذا) هى حرف جواب وجزاء تقدر بلو الشرطية كما قال المفسر (قوله لاتخذوك) جواب قسم محذوف تقديره والله لاتخذوك وهو مستقبل فى المعنى لاقتضاء المجازاة الاستقبال (قوله وهو صريح) اى قوله لقد كدت تركن اليهم (قوله لم يركن) اى بالطريق الاولى وقوله ولا قارب اى بمنطوق التركيب والمعنى امتنع قربك من الركون لوجود تثبيتنا اياك واذا امتنع القرب من الركون فامتناع الركون أولى (قوله لو ركنت) المناسب ان يقول لو قاربت الركون لان جواب لولا هو المقاربة ولان حسنات الابرار سيئات المقربين فان المقاربة من فعل القبيح لا عذاب عليها عموما والكاملون يشدد عليهم على قدر مقامهم قال العارف

واذا امنحت القرب فاعرف قدره * ان السخى لمن يحب شحيح

(قوله اى مثلى مايعذب غيرك) اى من جميع الخلق والمعنى لو قاربت الركون لانزلنا عليك عذابا فى الدنيا والآخرة مثل عذاب الخلق مرتين (قوله مانعامنه) اى من العذاب المضاعف (قوله لما قال له اليهود الخ) وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كره اليهود مقامه فيها حسدا فأتوه فقالوا ياأبا القاسم لقد علمت ماهذه بارض الانبياء فان أرض الانبياء الشام وهى الارض المقدسة وكان بها ابراهيم والانبياء فان كنت نبيا مثلهم فائت الشام وانما يمنعك من الخروج اليها مخافة الروم وان الله سيمنعك من الروم ان كنت رسوله فسار النبى بجيشه على ثلاثة اميال من المدينة وفى رواية الى ذى الحليفة حتى يجتمع اليه أصحابه و يأتى الاذن من الله فيخرج فنزلت هذه الآية فرجع وسلطه الله عليهم فقتل منهم بنى قريظة واجلى بنى النضير بعد زمن قليل وهذا مبنى على ان الآية مدنية واما على ان الآية مكية فالمراد بالارض أرض العرب والمعنى هم المشركون ان يخرجوه منها فمنعهم الله عنه ولم ينالوا منه ماأملوه (قوله ليستفزونك) اى يزعجونك بمكرهم وعداوتهم (قوله واذا لا يلبثون) العامة على ثبوت النون ورفع الفعل لعطفه على قوله ليستفزونك

(فاولئك يقرؤن كتابهم ولا يظلمون) ينقصون من أعمالهم (فتيلا) قدر قشرة النواة (ومن كان فى هذه) اى الدنيا (أعمى) عن الحق (فهو فى الآخرة أعمى) عن طريق النجاة وقراءة الكتاب (وأضل سبيلا) أبعد طريقا عنه ونزل فى ثقيف وقد سالوه صلى الله عليه وسلم ان يحرم واديهم وألحوا عليه (وان) مخففة (كادوا) قاربوا (ليفتنونك) يستنزلونك (عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينا غيره واذا) لو فعلت ذلك (لاتخذوك خليلا ولولا أن ثبتناك) على الحق بالعصمة (لقد كدت) قاربت (تركن) تميل (اليهم شيا) ركونا (قليلا) لشدة احتيالهم وإلحاحهم وهو صريح فى انه صلى الله عليه وسلم لم يركن ولا قارب (اذا) لو ركنت (لاذقناك ضعف) عذاب (الحياة وضعف) عذاب (الممات) اى مثلى مايعذب غيرك فى الدنيا والآخرة (ثم لا تجد لك علينا نصيرا) مانعا منه ونزل لما قال له اليهود ان كنت نبيا فالحق بالشام فانها أرض الانبياء (وان) مخففة (كادوا ليستفزونك من الارض) أرض المدينة (ليخرجوك منها واذا) لو أخرجوك (لا يلبثون)

وقرئ شذوذا بحذف النون وخرجت على انه منصوب باذن (قوله خلفك) وفي قراءة خلافك وهما
سبعيتان والمعنى واحد (قوله الا قليلا) صفة لمصدر او زمان محذوف اى الا لبثا أو زمانا قليلا (قوله
سنة من قد أرسلنا) سنة منصوب بنزع الخافض كما أشار له المفسر بقوله أى كسنتنا والمعنى نفعل باليهود
من اهلاكهم لو أخرجوك كسنتنا فيمن قد مضى من الرسل حيث نهلك من أخرجهم وهذا على ان الآية
مدنية وعلى انها مكية فالمعنى نفعل باهل مكة الذين عزموا على اخراجك كما فعلنا بمن مضى قبلهم وقد قطع
الله دابرهم بسيفه صلى الله عليه وسلم في بدر وغيرها (قوله أقم الصلاة) أى دم على اداء الصلاة التى فرضها
الله عليك وهي الصلوات الخمس بشروطها وأركانها وآدابها (قوله لدلوك الشمس) مادة الدلوك تدل على
التحول والانتقال ومنه الدلاك لعدم استقرار يده وفي الزوال انتقال الشمس من وسط السماء الى ما يليه
ويستعمل في الغروب أيضا (قوله أى من وقت زوالها) اشار بذلك الى ان اللام بمعنى من الابتدائية
والكلام على حذف مضاف والدلوك بمعنى الزوال ويصح ان تكون اللام على بابها للتعليل ويصح أن
تكون بمعنى بعد والاسهل ماقاله المفسر (قوله الى غسق الليل) الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من
فاعل أقم والتقدير أقم الصلاة مبتدئا من دلوك الشمس منتهيا الى غسق الليل (قوله وقرآن الفجر)
بالنصب عطف على الصلاة (قوله صلاة الصبح) اى وسميت قرآنا لانه أحد أركانها فسميت باسم
بعضها (قوله تشهده ملائكة الليل الخ) اى تحضره الملائكة الحفظة لما في الحديث ان لله ملائكة
يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار فيجتمعون عند صلاة الصبح وعند صلاة العصر
فيصعد الذين باتوا فيكم فيسألهم الله وهو اعلم بهم فيقول ماذا تركتم عبادى فيقولون تركناهم وهم يصلون
وأتيناهم وهم يصلون وأخذ مالك من الآية ان الصلاة الوسطى هي الصبح (قوله ومن الليل) الجار
والمجرور متعلق بتهجد ومن بمعنى بعض والتهجد في الاصل من الهجود وهو النوم بالليل ثم استعمل
في الصلاة بالليل بعد الانتباه من النوم فهو من تسمية الاضداد يستعمل في النوم وضده والمعنى انتبه
من نومك وصل في جوف الليل والناس نيام (قوله بالقرآن) أى فالضمير عائد على القرآن لا بالمعنى
المتقدم ففيه استخدام (قوله فريضة زائدة لك) هذا مبنى على ان قيام الليل كان واجبا عليه دون أمته
وحينئذ فيكون معنى النافلة الزيادة اللغوية (قوله أو فضيلة) تفسير ثان وهو مبنى على انه في حقه مندوب
فالنافلة على بابها ان قلت على هذا التفسير لاخصوصية للنبي صلى الله عليه وسلم بذلك بل هو مندوب
لامته كذلك أجيب بانها له علو درجات وشكر لله على نعمائه لما في الحديث كان يقوم الليل حتى
تورمت قدماه فقالت له عائشة أتفعل ذلك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا
أكون عبدا شكورا ولغيره تكفير لذنوبه وحظراته وتهجده صلى الله عليه وسلم لم يزد في رمضان ولا
في غيره على ثلاث عشرة ركعة اثنتان خفيفتان ومابقي طوال (قوله عسى أن يبعثك الخ) عسى في كلام
الله للتحقيق لانه وعد كريم وهو لا يتخلف (قوله مقاما) منصوب بيبعثك لانه مضمن معنى يقيمك
واليه يشير المفسر بقوله يقيمك في الآخرة مقاما (قوله وهو مقام الشفاعة في فصل القضاء) اى حين
يجمع الله الناس في صعيد واحد وتدنو الشمس حتى يكون بينها وبين رؤس الخلائق قدر المرود وتحيط
النار بهم والملائكة تحدق بهم سبع صفوف حتى يكون على القدم الف قدم أو مائة الف قدم على قدم فيشتد
الكرب على الخلائق فيذهبون الى آدم فيسئلونه الشفاعة فيقول انى أكلت من الشجرة ولكن ائتوا
نوحا فيأتونه فيسئلونه الشفاعة فيقول انى دعوت على قومى ولكن ائتوا ابراهيم فيأتونه فيقول انى
كذبت ثلاث كذبات ولكن ائتوا موسى فيأتونه فيقول انى قتلت نفسا ولكن ائتوا عيسى فيأتونه فيقول

خلفك) فيها (الا قليلا)
ثم يهلكون (سنة من قد
ارسلنا قبلك من رسلنا)
اى كسنتنا فيهم من اهلاك
من اخرجهم (ولا تجد
لسنتنا تحويلا) تبديلا
(اقم الصلاة لدلوك الشمس)
اى من وقت زوالها (الى
غسق الليل) اقبال ظلمته
اى الظهر والعصر والمغرب
والعشاء (وقرآن الفجر)
صلاة الصبح (ان قرآن
الفجر كان مشهودا)
تشهده ملائكة الليل
وملائكة النهار (ومن
الليل فتهجد) فصل (به)
بالقرآن (نافلة لك) فريضة
زائدة لك دون امتك او
فضيلة على الصلوات
المفروضة (عسى ان يبعثك)
يقيمك (ربك) في الآخرة
(مقاما محمودا) يحمدك فيه
الاولون والآخرون وهو
مقام الشفاعة في فصل
القضاء

ان قومى عبدونى من دون الله ولكن ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فيا تونه فيقول انا لها انا لها فيستاذن الله فيؤذن له ثم يخر ساجدا ويثنى على الله بثناء عظيم فيقال له ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع وسل تعط فيرفع رأسه فحينئذ ينفض الموقف ويدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار ثم يشفع ثانيا فيخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من ايمان وفى الحديث انا سيد ولد آدم ولا فخر وبيدى لواء الحمد ولا فخر آدم فمن دونه تحت لوائى (قوله لما امر بالهجرة) فيه ان الآية مدنية الا ان يقال ان ماهنا مرور على القول بان السورة كلها مكية وهو مامشى عليه البيضاوى اول السورة كما تقدم (قوله ادخلنى المدينة) اى وتسمى طيبة وقبة الاسلام وقد استنارت به صلى الله عليه وسلم (قوله مدخل صدق) المدخل بضم الميم والمخرج كذلك لان فعلهما رباعى مصدران بمعنى الادخال والاخراج (قوله مرضيا) أى تطمئن به نفسى بحيث لا يزعجنى شئ (قوله لا ألتفت بقلبى اليها) اى الى مكة لبلوغ الآمال بغيرها وما تقدم من شرح تلك الآية هو مامشى عليه المفسر وقيل ادخلنى فى امرك الذى ارسلتنى به من النبوة مدخل صدق واخرجنى من الدنيا وقد قمت بما وجب على من حق النبوة مخرج صدق وقيل ادخلنى فى طاعتك مدخل صدق واخرجنى من المناهى مخرج صدق وقيل ادخلنى حيثما ادخلتنى بالصدق واخرجنى بالصدق ولا تجعلنى ممن يدخل بوجه ويخرج بوجه فان ذا الوجهين لا يكون امينا عند الله ولو رود تلك المعانى استعملتها الصوفية على حسب مقاصدهم لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله قوة تنصرنى بها على اعدائك) اى وقد اجاب الله دعاءه فوعده بملك فارس والروم وقال له والله يعصمك من الناس وقال ليظهره على الدين كله (قوله وقل عند دخولك مكة) أى يوم الفتح (قوله وزهق الباطل) يقال زهق اضمحل وزهقت روحه خرجت (قوله يطعنها) اى يطعن كلا منها فى عينه (قوله حتى سقطت) اى مع انها كانت مثبتة بالحديد والرصاص وبقى منها صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من نحاس اصفر فقال النبى يا على ارم به فصعد فرمى به فكسره (قوله من للبيان) أى لبيان الجنس وقدم على المبين اهتماما بشانه فالقرآن قليله وكثيره شفاء من الامراض الحسية الظاهرية بدليل ماورد فى حديث الفاتحة وما يدريك انها رقية وشفاء من الامراض المعنوية الباطنية كالاعتقادات الباطلة والاخلاق المذمومة كالكبر والعجب والرياء وحب الدنيا والحرص والبخل وغير ذلك لاشتماله على التوحيد وأدلته وعلى مكارم الاخلاق وادلتها وما مشى عليه المفسر من ان من للبيان هو التحقيق لما ورد خذ من القرآن ماشئت لما شئت وورد من لم يستشف بالقرآن لا شفاه الله وقيل انها للتبعيض والمعنى ان منه ما يشفى من الامراض كالفاتحة وآيات الشفاء (قوله من الضلالة) اى سوء الاعتقاد وخصت بالذكر مع انه شفاء من الامراض الحسية أيضا لان الضلالة رأس الامراض (قوله ورحمة) اى بركة دنيوية واخروية فهو عطف عام (قوله للمؤمنين) أى فهم المنتفعون به دون غيرهم ولكن يشترط حسن النية والاعتقاد والجزم بالاجابة (قوله ولا يزيد الظالمين الاخسارا) اى نقصا وطغيانا لانهم لا يصدقون به فحرموا من الانتفاع به (قوله واذا انعمنا على الانسان) اى بان اعطيناه الصحة والغنى (قوله الكافر) اى فهذه الاوصاف فى حقه وكل ماورد فى حق الكفار من الذم فانه يجر بذيله على عصاة الامة المتصفين بتلك الاوصاف (قوله اعرض عن الشكر) اى عن صرف النعم فى مصارفها وتكبر وتعاظم (قوله ثنى عطفه) اى لوى جانبه (قوله متبخترا) اى متكبرا (قوله كان يؤسا) اى غير راج رحمة الله ولا ينافى ماهنا قوله تعالى فى الآية الاخرى واذا مسه الشر فذو دعاء عريض لان الكفار يختلفون فبعضهم فى حال الشر يكثر الدعاء وبعضهم يقنط من رحمة الله او يقال انهم وان اكثروا الدعاء ظاهرا هم قانطون فى الباطن من رحمة الله (قوله على شاكلته) اى كل واحد منا ومنكم يعمل على حالته وطبيعته وروحه التى جبل

ونزل لما امر بالهجرة (وقل رب أدخلنى) المدينة (مدخل صدق) ادخالا مرضيا لا أرى فيه ما اكره (واخرجنى) من مكة (مخرج صدق) اخراجا لا ألتفت بقلبى اليها (واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا) قوة تنصرنى بها على اعدائك (وقل) عند دخولك مكة (جاء الحق) الاسلام (وزهق الباطل) بطل الكفر (ان الباطل كان زهوقا) مضمحلا زائلا وقد دخلها صلى الله عليه وسلم وحول البيت ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود فى يده ويقول ذلك حتى سقطت رواه الشيخان (وننزل من) للبيان (القرآن ما هو شفاء) من الضلالة (ورحمة للمؤمنين) به (ولا يزيد الظالمين) الكافرين (الاخسارا) لكفرهم به (واذا انعمنا على الانسان) الكافر (اعرض) عن الشكر (ونأى بجانبه) ثنى عطفه متبخترا (واذا مسه الشر) الفقر والشدة (كان يؤسا) قنوطا من رحمة الله (قل كل) منا ومنكم (يعمل على شاكلته) طريقته (فربكم اعلم بمن هو

عليها فالروح السعيدة صاحبها يعمل عمل السعداء وتظهر منه الاخلاق المرضية والافعال الجميلة وصاحب الروح الشقية يعمل عمل الاشقياء وتظهر منه الاخلاق القبيحة والافعال الخبيثة وفي هذه الآية دليل على ان الظاهر عنوان الباطن (قوله أهدى) يجوز أن يكون من اهتدى على حذف الزوائد وان يكون من هدى المتعدي وان يكون من هدى القاصر بمعنى اهتدى وسبيلا تمييز على كل حال وفي الآية اكتفاء أي وبمن هو أضل سبيلا (قوله ويسئلونك عن الروح) سبب نزولها كما قال ابن عباس ان قريشا اجتمعوا وقالوا ان محمدا نشأ فينا بالامانة والصدق وما اتهمناه بكذب وقد ادعى ما ادعى فابعثوا نفرا الى اليهود بالمدينة واسئلوهم عنه فانهم أهل كتاب فبعثوا جماعة اليهم فقالت سلوه عن ثلاثة اشياء فان اجاب عن كلها أو لم يجب عن شيء منها فليس بنبي وان اجاب عن اثنين ولم يجب عن واحد فهو نبي فاسئلوه عن فتية فقدوا في الزمن الاول ما كان امرهم فانه كان لهم حديث عجيب وعن رجل بلغ شرق الارض وغربها ما خبره وعن الروح فسالوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال اخبركم بما سألتم غدا ولم يقل ان شاء الله فلبث الوحي اثني عشر وقيل خمسة عشر وقيل اربعين يوما وأهل مكة يقولون وعدنا محمد غدا وقد أصبحنا لا يخبرنا بشيء حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكث الوحي وشق عليه ما يقوله اهل مكة ثم نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ونزل في الفتية أم حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا اذ أوى الفتية الى الكهف الآيات ونزل فيمن بلغ المشرق والمغرب ويسئلونك عن ذي القرنين الآيات ونزل في الروح قوله تعالى ويسئلونك عن الروح الآية فاصل السؤال من اليهود والناقل له قريش (قوله عن الروح) أي عن حقيقة الروح الذي به حياة البدن وهذا هو الاصح وقيل الروح التي سالوه عنها هو جبريل وقيل ملك له سبعون ألف وجه لكل وجه سبعون ألف لسان يسبح الله تعالى بجميع ذلك فيخلق الله تعالى بكل تسبيحة ملكا وقيل انهم جند من جنود الله على صورة بني آدم لهم ايد وارجل ورؤس ليسوا بملائكة ولا ناس يأكلون الطعام وقيل ملك عظيم عن يمين العرش لو شاء ان يبتلع السموات السبع في لقمة واحدة لابتلعها ليس شيء أعظم منه الا العرش يشفع يوم القيامة في اهل التوحيد محتجب عن الملائكة لو كشف لهم عنه لاحترقوا من نوره وقيل عيسى وقيل القرآن (قوله من امر ربي) اي مما استاثر الله بعلمه وهذا هو الصحيح وقيل الروح هي الدم وقيل النفس ونقل عن بعض أصحاب مالك انها صورة كجسد صاحبها وفي الآية اقتصار على وصف الروح كما اقتصر موسى في جواب قول فرعون وما رب العالمين على ذكر صفاته فان ادراكه بالكنه على ما هو عليه لا يعلمه الا الله (قوله وما أوتيتم من العلم الا قليلا) رد لقول اليهود اوتينا التوراة وفيها العلم الكثير بدليل القراءة الشاذة وما اوتوا وقيل الخطاب عام لجميع الخلق اي ان الخلق عموما وان اعطوا من العلم ما اعطوا فهو قليل بالنسبة لعلمه تعالى (قوله ولئن شئنا) هذا امتنان من الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم بالقرآن وتحذير له عن التفريط فيه والمقصود غيره والمعنى حافظوا على العمل بالقرآن واحذروا من التفريط فيه فانا قادرون على اذهابه من صدوركم ومصاحفكم ولكن ابقاؤه رحمة بكم (قوله لام قسم) اي وجوابه قوله لنذهبن وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه (قوله لكن أبقيناه) اشار بذلك الى ان الاستثناء منقطع وقدره بلكن على طريقة البصريين وعند الكوفيين يقدر ببل وقوله ابقيناه الى قرب قيام الساعة فعند ذلك يرفع من المصاحف والصدور لما في الحديث لا تقوم الساعة حتى يرفع القرآن من حيث نزل له دوي حول العرش فيقول الله مالك فيقول أتلى فلا يعمل بي ولا يرفع القرآن حتى تموت حملته العاملون به ولا يبقى الا لكع ابن لكع فعند ذلك يرفع من المصاحف والصدور ويفيضون في الشعر فتخرج الدابة وتقوم القيامة بأثر ذلك

أهدى سبيلا) طريقا فيثيبه (ويسئلونك) أي اليهود (عن الروح) الذي يحيا به البدن (قل) لهم (الروح من امر ربي) اي علمه لا تعلمونه (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) بالنسبة الى علمه تعالى (ولئن) لام قسم (شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك) أي القرآن بان نمحوه من الصدور والمصاحف (ثم لا تجد لك به علينا وكيلا الا) لكن ابقيناه (رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيرا) عظيما

(قوله

حيث انزله عليك واعطاك المقام المحمود وغير ذلك من الفضائل (قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن) في الفصاحة والبلاغة (لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) معينا نزل ردا لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا (ولقد صرفنا) بينا (للناس في هذا القرآن من كل مثل) صفة لمحذوف أي مثلا من جنس كل مثل ليتعظوا (فأبى أكثر الناس) أي أهل مكة (إلا كفورا) جحودا للحق (وقالوا) عطف على ابى (لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا) عينا ينبع منها الماء (او تكون لك جنة) بستان (من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها) وسطها (تفجيرا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) قطعا (او تأتي بالله والملائكة قبيلا) مقابلة وعيانا فنراهم (او يكون لك بيت من زخرف) ذهب (او ترقى) تصعد (في السماء) بسلم (ولن نؤمن لرقيك) لو رقيت فيها (حتى تنزل علينا) منها (كتابا) فيه تصديقك (نقرؤه قل) لهم (سبحان ربي) تعجب (هل) ما (كنت الا بشرا رسولا) كسائر الرسل ولم يكونوا يأتوا بآية الا باذن الله (وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا) اى قولهم منكرين (أبعث الله بشرا رسولا) ولم يبعث ملكا (قل) لهم (لو كان في الارض) بدل البشر (ملائكة

(قوله حيث انزله) علة لقوله ان فضله كان عليك كبيرا (قوله وغير ذلك) اي ككونك خاتم المرسلين وسيد ولد آدم ونحو ذلك (قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن) اللام موطئة لقسم محذوف وجوابه قوله لا يأتون بمثله ولم يقل والملائكة مع انه معجزهم ايضا لانهم مسلمون منقادون فلا يحتاج للرد عليهم (قوله لا يأتون بمثله) اى لانه خارج عن طوق البشر لان الكلام على حسب علم المتكلم وهو قد احاط بكل شيء علما وقوله بمثله اى كلا او بعضا قال بعضهم ان اقل الاعجاز يقع بآية قال البوصيري

اعجز الجن آية منه والانس فهلا تأتي به البلغاء

وقال بعضهم ان اقل الاعجاز يكون باقصر سورة لانه لم يكن في القرآن آية مفردة بل الآية تستلزم مناسبة لما قبلها وما بعدها فتكون ثلاث آيات (قوله ولو كان بعضهم الخ) عطف على محذوف تقديره لا يأتون بمثله ولو لم يكن بعضهم لبعض ظهيرا ولو كان الخ (قوله نزل ردا الخ) مرتبط بما قبله (قوله ولقد صرفنا للناس) اى كررنا واظهرنا ومن زائدة في المفعول أي صرفنا للناس كل مثل والمثل المعنى الغريب (قوله فأبى اكثر الناس) اى امتنعوا (قوله جحودا للحق) الجحود الانكار مع العلم والمعاندة فهو اخص من مطلق انكار (قوله وقالوا لن نؤمن لك الخ) لما اقام الحجة عليهم ولم يستطيعوا ردها اخذوا يطلبون اشياء على وجه العناد فقالوا لن نؤمن لك الخ روى عكرمة عن ابن عباس ان نفرا من قريش اجتمعوا بعد غروب الشمس عند الكعبة وطلبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءهم فقالوا يا محمد ان كنت جئت بهذا الحديث يعنون القرآن تطلب به مالا جمعنا لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا وان كنت تريد الشرف سودناك علينا وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذي بك رئيا من الجن تراه قد غلب عليك لا تستطيع رده بذلنا لك اموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه وكانوا يسمون التابع من الجن رئيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي شيء مما تقولون ولكن الله بعثني اليكم رسولا وانزل علي كتابا وامرني ان اكون بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فان تقبلوا مني فهو حظكم من الدنيا والآخرة وان تردوه علي أصبر لامر الله عز وجل حتى يحكم الله بيني وبينكم فقالوا يا محمد ان كنت صادقا فيما تقول فسل لنا ربك الذي بعثك فليسير عنا هذا الجبل الذي قد ضيق علينا ويبسط لنا بلادا ويفجر لنا فيها الانهار الى آخر ما قص الله عنهم (قوله حتى تفجر) بضم التاء وفتح الفاء وتشديد الجيم مكسورة وبفتح التاء وضم الجيم مخففة قراءتان سبعيتان هنا فقط واما قوله فتفجر فبالقراءة الاولى لا غير (قوله ينبوعا) أي عينا لا يغور ماؤها ولا يذهب (قوله جنة) اى بستان (قوله كما زعمت) أى قلت ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء (قوله كسفا) بسكون السين وفتحها قراءتان سبعيتان (قوله قبيلا) حال من الله والملائكة أي حال كونهم مرئيين لنا (قوله او ترقى) هو بفتح القاف مضارع رقي بكسرها والمصدر رقيا ومعناه الصعود الحسي واما في المعاني فبفتح القاف في الماضي والمضارع يقال رقي في الخير واما الرقيا للمريض فماضيه رقى كرمى (قوله لرقيك) بكسر القاف (قوله نقرؤه) حال مقدرة من الضمير في علينا او نعت لكتاب (قوله تعجب) اى من اقتراحاتهم وتنزيه له سبحانه وتعالى عن ان يشاركه احد في الوهيته (قوله هل كنت الا بشرا رسولا) اى وليس في طاقتي الاتيان بما تطلبونه (قوله وما منع الناس ان يؤمنوا) أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول ثان لمنع والتقدير وما منع الناس الايمان وقوله الا أن قالوا في تأويل مصدر فاعل منع وقوله اذ جاءهم الهدى ظرف لقوله منع والمعنى لا يمنع الناس من الايمان وقت مجيء الهدى لهم الا قولهم أبعث الله بشرا رسولا وخص بالذكر مع أن الموانع لهم كثيرة لانه اعظمها (قوله قل لهم) اى ردا لشبهتهم (قوله لو كان في الارض ملائكة الخ) اى جرت عادة الله في خلقه انه لا يرسل لخلقه رسولا

يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) اذلا يرسل الى قوم رسول الا من جنسهم ليمكنهم مخاطبته والفهم عنه (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) على صدقي (انه كان بعباده خبيرا بصيرا) عالما ببواطنهم وظواهرهم (ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء) يهدونهم (من دونه ونحشرهم يوم القيامة) ماشين (على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت) سكن لهبها (زدناهم سعيرا) تلهبا واشتعالا (ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا وقالوا) منكرين للبعث (أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا أولم يروا) يعلموا (أن الله الذي خلق السموات والارض) مع عظمهما (قادر على ان يخلق مثلهم) اى الاناسي فى الصغر (وجعل لهم اجلا) للموت والبعث (لا ريب فيه فابى الظالمون الا كفورا) جحودا له (قل) لهم (لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي) من الرزق والمطر (اذا لامسكتم) لبخلتم (خشية الانفاق) خوف نفادها بالانفاق فتفتقروا (وكان الانسان قتورا) بخيلا (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) واضحات وهي اليد والعصا

الا من جنسهم لانهم يألفونه و يستطيعون خطابه بخلاف ما اذا أرسل لهم رسولا من غير جنسهم فانهم لا يستطيعون رؤيته ولا خطابه لعدم الالفة بينهم فلو كان فى الارض ملائكة يمشون مثلكم وتألفونهم لا نزل عليكم ملكا رسولا (قوله مطمئنين) أى مستوطنين بها لا يعرجون الى السماء (قوله شهيدا) أى على أني رسول الله اليكم وقد بلغتكم ما أرسلت به اليكم وانكم كذبتم وعاندتم (قوله انه كان بعباده خبيرا بصيرا) فيه تسلية له صلى الله عليه وسلم ووعيد للكفار (قوله من يهد الله) أى من يخلق فيه الهدى وقوله فهو المهتد أى يكون كذلك فى الدنيا بمعنى أنه يكون حاله فى الدنيا مطابقا لما قدره الله له أزلا وبذلك اندفع ما يقال ان فيه اتحاد الشرط والجزاء والمهتد بحذف الياء من الرسم هنا وفى الكهف فانها فى الموضعين من ياآت الزوائد وأما فى النطق فتحذف وصلا ووقفا عند بعض القراء وتثبت وقفا لا وصلا عند بعضهم (قوله فلن تجد لهم أولياء) أى أنصارا (قوله على وجوههم) الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من الهاء فى نحشرهم قدره المفسر بقوله ماشين روى عن أنس أن رجلا قال يارسول الله قال الله الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أيحشر الكافر على وجهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس الذى أمشاه على الرجلين فى الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة وروى أيضا يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنفا مشاة وصنفا ركبانا وصنفا على وجوههم قيل يارسول الله وكيف يمشون على وجوههم قال ان الذى أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم اما انهم يلقون بوجوههم كل حدب وشوك والحدب ما ارتفع من الارض (قوله عميا وبكما وصما) أى لا يبصرون ولا ينطقون ولا يسمعون ان قلت كيف وصفهم الله بذلك هنا وأثبت لهم ضد تلك الاوصاف فى قوله ورأى المجرمون النار دعوا هنالك ثبورا سمعوا لها تغيظا وزفيرا أجيب بان المعنى عميا لا يرون ما يسرهم بكما لا يتكلمون بحجة وصما لا يسمعون ما يسرهم أو المعنى يحشرون معدومي الحواس ثم تعاد لهم (قوله مأواهم جهنم) أى مسكنهم ومقرهم (قوله كلما خبت) أصله خبوت كقعدت تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت الفا فالتقى ساكنان حذفت الالف لالتقائهما (قوله سكن لهبها) أى بان أكلت جلودهم ولحومهم (قوله زدناهم سعيرا) أى بدلناهم جلودا غيرها فتعود ملتهبة متسعرة (قوله ذلك) أى ما ذكر من أن مأواهم جهنم الخ جزاؤهم بسبب أنهم (قوله وقالوا) معطوف على كفروا (قوله خلقا جديدا) اما مصدر من معنى الفعل أو حال أى مخلوقين (قوله أولم يروا) ردلانكارهم البعث (قوله قادر على أن يخلق مثلهم) أى فلا يستبعد عليه اعادتهم باعيانهم (قوله أى الاناسي) جمع انسي وهو البشر (قوله وجعل لهم أجلا) معطوف على جملة أولم يروا فليس داخلا فى حيز الانكار (قوله لاريب فيه) أى لا شك فى ذلك الاجل (قوله قل لهم) أى شرحا لحالهم التى يدعون خلافها حيث قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا الخ اى لاجل ان نبسط ونتسع فى الرزق ونوسع على المقلين فبين الله لهم أنهم لو ملكوا خزائن الله لداموا على بخلهم وشحهم (قوله لو أنتم تملكون) يجوز أن المسئلة من باب الاشتغال وأنتم مرفوع بفعل مقدر يفسره الظاهر لان لو لا يليها الا الفعل ظاهرا أو مضمرا والاصل لو تملكون فحذف الفعل لدلالة ما بعده عليه فانفصل الضمير وهو الواو (قوله اذا لامسكتم) أى منعتم حق الله فيها (قوله خشية الانفاق) علة للامساك (قوله بخيلا) أى ممسكا عن بذل ما ينبغى فيما ينبغى فالاصل فى الانسان الشح والخارج عنه خالف أصله كما قال تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون (قوله ولقد آتينا) موطئة لقسم محذوف (قوله بينات) اما منصوب بالكسرة صفة لتسع أو مجرور بها صفة لآيات (قوله واضحات) أى ظاهرات دالة على صدقه (قوله وهى اليد) اى التى كان يضمها اليه ويخرجها فتخرج بيضاء لها شعاع (قوله والعصا) أى التى كان يلقيها فتصير حية عظيمة

(قوله والطوفان) اى الماء حتى ملأ بيوتهم ومساكنهم فكانوا لا يستطيعون ان يوقدوا نارا أصلا (قوله والجراد) اى فأكل زروعهم وحبوبهم (قوله والقمل) تقدم انه قيل هو السوس وقيل هو القمل المعروف (قوله والضفادع) اى فملأ بيوتهم وطعامهم وشرابهم (قوله والدم) اى فانقلبت مياههم دما حتى كادوا يموتون عطشا (قوله والطمس) أى مسخ الاموال حجارة (قوله والسنين ونقص الثمرات) هذا ان شيء واحد لان نقص الثمرات لازم للسنين وماذكره المفسر فى عد الآيات التسع هو المشهور لان هذه التسع هى التى ظهرت على يد موسى تهديدا لفرعون وقومه رجاء ايمانهم وقيل ان التسع هى اليد والعصا والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الجبل وفيه بعد لان انفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الجبل لم تكن مقصودة لفرعون بل البحر كان لهلاكه والباقى بعده وقيل ان يهوديا سأل النبى صلى الله عليه وسلم عنها فقال ان لا تشركوا بالله شيا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا ببرىء الى ذى سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا فى السبت فقبل اليهودى يده ورجله وعلى هذا فالمراد بالآيات الاحكام التى كلفوا بها وهى عامة ثابتة فى جميع الشرائع وقوله وعليكم الخ حكم زائد مخصوص باليهود (قوله فاسئل يا محمد بنى اسرائيل) اى ليكون قولهم الموافق لك حجة على المشركين وعلى هذا فالجملة معترضة بين قصة موسى وفرعون (قوله عنه) اى عن ماجرى بين موسى وفرعون (قوله سؤال تقرير) اى سؤالا يترتب عليه التقرير من بنى اسرائيل وقوله للمشركين اللام للتعليل اى لاجل المشركين والمعنى اسئل يا محمد بنى اسرائيل عن ماجرى بين موسى وفرعون ليكون ذلك داعيا لايمان المشركين وانقيادهم (قوله أو فقلنا له) معطوف على قوله يا محمد والمعنى ان الخطاب لموسى وحينئذ فيكون القول مقدرا والمفعول محذوف والتقدير اسئل فرعون بنى اسرائيل أى اطلبهم منه لتذهب بهم الى الشام يدل عليه قوله فى الآية الاخرى فارسل معى بنى اسرائيل (قوله وفى قراءة) المناسب ان يقول وقرئ لانها شاذة وانما القراءة السبعية بالامر وفيها وجهان الهمز وتركه بنقل حركة الهمزة الى الساكن (قوله بلفظ الماضى) اى بلا همز بوزن قال (قوله اذ جاءهم) ظرف لآتينا على الاحتمال الاول وعلى الثانى فقد تنازعه كل من آتينا وقلنا (قوله فقال له فرعون) معطوف على مقدر والتقدير اذ جاءهم فبلغهم الرسالة ووقع بينهم ماوقع من المحاورات فقال الخ (قوله مغلوبا على عقلك) أشار بذلك الى ان مسحورا باق على معناه الاصلى أى أنك سحرت فغلب على عقلك ويصح ان يكون بمعنى فاعل كمشؤم أى أظنك ساحرا لاتيانك بالغرائب والعجائب (قوله لقد علمت) هو بفتح التاء خطاب لفرعون اى فقال له موسى يا فرعون والله لقد علمت ان هذه الآيات ما أنزلها الارب السموات والارض عبرا وانما كفرك عناد خوفا على ضياع ملكك ورياستك (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية أيضا وقوله بضم التاء أى والضمير لموسى ويكون المعنى لقد أيقنت وتحققت ان هذه الآيات التى جئت بها منزلة من عند الله تعالى (قوله وانى لاظنك) أى أتحققك وعبر بالظن مشاكلة فان ظن فرعون كذب وظن موسى حق وصدق لظهور أماراته (قوله أو مصروفا عن الخير) اى ممنوعا منه (قوله يخرج موسى وقومه) اى بقتلهم جميعا (قوله فاغرقناه ومن معه) اى ففعلنا بهم ما أرادوه بموسى وقومه (قوله من بعده) اى بعد اغراقه (قوله اسكنوا الارض) اى أرض مصر والشام (قوله اى الساعة) اى القيامة ووعدها وقتها وهو النفخة الثانية (قوله جئنا بكم) اى أحييناكم وأخرجناكم من القبور (قوله جميعا) أشار بذلك الى ان لفيفا اسم جمع لا واحد له من لفظه وقيل مصدر لف لفيفا والمعنى جئنا بكم منضما بعضكم لبعض (قوله وبالحق أنزلناه) معطوف على قوله ولقد صرفنا وهذا على أسلوب العرب حيث ينتقلون مما كانوا

والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والسنين ونقص الثمرات (فاسأل) يا محمد (بنى اسرائيل) عنه سؤال تقرير للمشركين على صدقك أو فقلنا له اسأل وفى قراءة بلفظ الماضى (اذ جاءهم فقال له فرعون انى لاظنك يا موسى مسحورا) مخدوعا مغلوبا على عقلك (قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء) الآيات (الا رب السموات والارض بصائر) عبرا ولكنك تعاند وفى قراءة بضم التاء (وانى لأظنك يا فرعون مثبورا) هالكا أو مصروفا عن الخير (فأراد) فرعون (ان يستفزهم) يخرج موسى وقومه (من الارض) أرض مصر (فاغرقناه ومن معه جميعا وقلنا من بعده لبنى اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة) اى الساعة (جئنا بكم لفيفا) جميعا أنتم وهم (وبالحق أنزلناه) اى القرآن (وبالحق)

المشتمل عليه (نزل) كما انزل لم يعتره تبديل (وما ارسلناك) يا محمد (الا مبشرا) من آمن بالجنة (ونذيرا) من كفر بالنار (وقرآنا) منصوب بفعل يفسره (فرقناه) نزلناه مفرقا فى عشرين سنة او وثلاث (لتقرأه على الناس على مكث) مهل وتؤدة ليفهموه (ونزلناه تنزيلا) شيأ بعد شئ على حسب المصالح (قل) لكفار مكة (آمنوا به اولا تؤمنوا) تهديد لهم (ان الذين اوتوا العلم من قبله) قبل نزوله وهم مؤمنو اهل الكتاب (اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا و يقولون سبحان ربنا) تنزيها له عن خلف الوعد (ان) مخففة (كان وعد ربنا) بنزوله وبعث النبي صلى الله عليه وسلم (لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون) عطف بزيادة صفة (و يزيدهم) القرآن (خشوعا) تواضعا لله وكان صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فقالوا ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر معه فنزل (قل) لهم (ادعوا الله او ادعوا الرحمن) اى سموه بايهما او نادوه

بصدده لشئ آخر ثم يرجعون له واختلف المفسرون فى الحق الاول والثانى فمشى المفسر على ان المراد بهما الحكم والمواعظ والامثال الذى اشتمل عليها القرآن وانما التكرير للتاكيد اشارة الى انه لم يتغير ولم يتبدل الى يوم القيامة كما غيرت التوراة والانجيل وقيل المعنى وما انزلنا القرآن الا بالحكمة المقتضية لانزاله لا عبثا وما نزل الا بالحكم والمواعظ لاشتماله على الهداية الى سبيل الرشاد فالحق الاول كناية عن سبب نزوله والحق الثانى هو ما اشتمل عليه من المعانى (قوله المشتمل عليه) اى المحتوى عليه القرآن (قوله الا مبشرا ونذيرا) حالان من الكاف فى أرسلناك (قوله منصوب بفعل) اى فهو من باب الاشتغال وعليه فجملة فرقناه لا محل لها من الاعراب والتنوين للتعظيم اى قرآنا عظيما (قوله فرقناه) هو بالتخفيف فى القراءة المشهورة وقرئ شذوذا بالتشديد (قوله نزلناه مفرقا) هذا احد اقوال فى تفسير قوله فرقناه وقيل بينا حلاله وحرامه وقيل فرقنا به بين الحق والباطل (قوله او وثلاث) اوللحكاية الخلاف اى انه اختلف فى مدة نزول القرآن هل هى عشرون سنة او وثلاث وعشرون وهو المبنى على الخلاف فى تعاقب النبوة والرسالة وتقارنهما (قوله لتقرأه) متعلق بفرقناه وقوله على الناس متعلق بتقرأه وكذا قوله على مكث ولا يلزم عليه تعلق حرفى جر متحدى اللفظ والمعنى بعامل واحد لان الاول فى محل المفعول به والثانى فى محل الحال اى متمهلا فاختلف المعنى (قوله مهل وتؤدة) اى سكينة وتأن (قوله ليفهموه) اى ليسهل حفظه وفهمه (قوله على حسب المصالح) اى الوقائع التى تقتضى نزوله فالحاصل انه نزل مفرقا لحكمتين الاولى ليسهل حفظه وفهمه والثانية اقتضاء الوقائع لذلك قال تعالى ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا (قوله تهديد لهم) اى فالمعنى ان ايمانكم لا يزيد القرآن كمالا وامتناعكم لا يورثه نقصا (قوله ان الذين أوتوا العلم) تعليل لقوله آمنوا به أولا تؤمنوا والمعنى ان لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم وفيه تسلية له صلى الله عليه وسلم اى لا تحزن على اعراضهم وعدم ايمانهم وتسل بايمان هؤلاء العلماء (قوله وهم مؤمنو أهل الكتاب) اى كعبد الله بن سلام وسلمان والنجاشي واقرانهم (قوله للاذقان) اللام بمعنى على او على بابها متعلقة بيخرون ويكون بمعنى يدلون وخصت الاذقان بالذكر لانها اول جزء من الوجه تقرب من الارض عند السجود وسجدا حال اى ساجدين لله على انجاز وعده الذى وعدهم به فى الكتب القديمة أنه يرسل محمدا صلى الله عليه وسلم وينزل عليه القرآن (قوله ويقولون) اى فى حال سجودهم (قوله عن خلف الوعد) اى الذى رأيناه فى كتبنا بانزال القرآن وارسال محمد صلى الله عليه وسلم (قوله مخففة) اى واسمها ضمير الشان وقوله لمفعولا اى موفى ومنجزا (قوله بزيادة صفة) اى وهى البكاء ومراده بهذا دفع التكرار وهو معنى قوله تعالى فى سورة المائدة واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع الخ (قوله ويزيدهم القرآن) اى فالضمير يعود على القرآن ويصح عوده على البكاء (قوله وكان صلى الله عليه وسلم) أشار بذلك الى سبب نزولها وحاصله انه سجد صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فجعل يقول فى سجوده يا الله يا رحمن فقال ابو جهل ان محمدا ينهانا عن آلهتنا وهو يدعو الهين (قوله الها آخر) اى وهو الرحمن ظنا منهم ان المراد به مسيلمة الكذاب لان قومه كانوا يسمونه رحمن اليمامة قال بعضهم فى حقه

سميت بالمجد يا ابن الاكرمين أبا * وأنت غيث الورى لا زلت رحمانا

وهجاه بعض المسلمين بقوله

سميت بالخبث يا ابن الاخبثين ابا * وانت شر الورى لا زلت شيطانا

(قوله أى سموه بايهما) اى اذكروا اسمه فى غير نداء (قوله او نادوه) تفسيران لقوله ادعوا فعلى الاول يكون ناصبا لمفعولين اولهما محذوف تقديره معبودكم وعلى الثانى يكون ناصبا لمفعول واحد

(قوله بان تقولوا يا الله يا رحمن) اشار بذلك الى ان اسماء الله توقيفية فلا يجوز لنا ان نسميه باسم غير وارد فى الشرع قال صاحب الجوهرة * واختير ان اسماه توقيفيه * (قوله ايا شرطية) اى منصوبة بتدعوا فهى عاملة ومعمولة والمضاف اليه محذوف قدره المفسر بقوله اى هذين (قوله فله الاسماء الحسنى) هذه الجملة جواب الشرط وهو ما اشتهر على ألسنة المعربين وقدر المفسر جوابه بقوله فهو حسن فتكون الجملة دليل الجواب والاسماء جمع اسم وهو اللفظ الدال على ذات المسمى واسماؤه تعالى كثيرة قيل ثلثمائة وقيل الف وواحد وقيل مائة الف واربعة وعشرون الفا عدد الانبياء عليهم الصلاة والسلام لان كل نبى تمده حقيقة اسم خاص به مع امداد بقية الاسماء له لتحققه بجميعها وقيل ليس لها احد ولا نهاية لها على حسب شؤونه فى خلقه وهى لا نهاية لها والحسنى اما مصدر وصف به او مؤنث احسن كافضل وفضلى وافرد لانه وصف جمع قلة لما لا يعقل فيجوز فيه الافراد والجمع وان كان الاحسن الجمع قال الاجهورى

وجمع كثرة لما لا يعقل * الافصح الافراد فيه يا فل
وغيره فالافصح المطابقه * نحو هبات وافرات لائقه

وحسن اسمائه تعالى لدلالتها على معان شريفة هى احسن المعانى لان مناها ذات الله اوصفاته (قوله كما فى الحديث) اى ونصه ان لله عز وجل تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة هو الله الذى لا اله الا هو الى آخر الرواية التى ذكرها المفسر واختارها وان كان الحديث واردا باوجه خمسة لكونها اصح الروايات الواردة ومنها ان لله تسعة وتسعين اسما مائة غير واحد انه وتر يحب الوتر وما من عبد يدعو بها الا وجبت له الجنة ومنها ان لله تسعة وتسعين اسما من احصاها كلها دخل الجنة اسال الله تعالى الرحمن الرحيم الاله الرب الى آخره ومنها ان لله عز وجل تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا انه وتر يحب الوتر من حفظها دخل الجنة الله الواحد الصمد الخ ومنها ان لله تعالى مائة اسم غير اسم من دعا بها استجاب الله له وكلها فى الجامع الصغير فى حرف الهمزة مع النون عن على وعن ابى هريرة والحفظ والاحصاء عند اهل الظاهر معرفة الفاظها ومعانيها وعند اهل الله هو الاتصاف بها والظهور بحقائقها والعثور على مدراج نتائجها (قوله هو) ليس من الاسماء الحسنى بل هو عند اهل الظاهر ضمير شان يفسره ما بعده وعند اهل الله اسم ظاهر يتعبدون بذكره وعلى كل فهو زائد على التسعة والتسعين (قوله الله) هو اعظم الاسماء المذكورة لكونه جامعا لجميع الاسماء والصفات وهو علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد وأل لازمة له لا للتعريف ولا غيره وهو ليس بمشتق على الصحيح (قوله الذى لا اله الا هو) نعت للاسم الجليل اى الذى لا معبود غيره (قوله الرحمن) اى المنعم بجلائل النعم كما وكيفا دنيوية واخروية ظاهرة وباطنة (قوله الرحيم) اى المنعم بدقائق النعم كما وكيفا دنيوية واخروية ظاهرية وباطنية والدقائق ما تفرعت عن الجلائل كالزيادة فى الايمان والعلم والمعرفة والتوفيق والعافية والسمع والبصر (قوله الملك) اى المتصرف فى خلقه بالايجاد والاعدام وغير ذلك وتسمية غيره تعالى به مجاز (قوله القدوس) اى المنزه عن صفات الحوادث واتى به عقب الملك لدفع توهم انه يطرأ عليه نقص كالملوك (قوله السلام) اى المؤمن من المخاوف والمهالك أو الذى يسلم على عباده (قوله المؤمن) اى المصدق لرسله بالمعجزات ولاوليائه بالكرامات ولعباده المؤمنين على ايمانهم واخلاصهم لانه لا يطلع على الاخلاص نبى مرسل ولا ملك مقرب وانما يعلم من الله (قوله المهيمن) اى المطلع على خطرات القلوب (قوله العزيز) من عز بمعنى غلب وقهر فهو من صفات الجلال او من عز بمعنى قل فلم يوجد له مثيل ولا نظير فهو من صفات السلوب (قوله الجبار) اى

بان تقولوا يا الله يا رحمن (أيا) شرطية و(ما) زائدة اى اى هذين (تدعوا) فهو حسن دل على هذا (فله) اى لمسماهما (الاسماء الحسنى) وهذان منها فانها كما فى الحديث * هو الله الذى لا اله الا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار

المنتقم القهار فيكون من صفات الجلال أو المصلح للكسر يقال جبر الطبيب الكسر أصلحه فيكون
من صفات الجمال (قوله المتكبر) من الكبرياء وهو التعالي في العظمة وهي مختصة به تعالى لما في الحديث
القدسي العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته (قوله الخالق) أي الموجد
للمخلوقات من العدم (قوله البارئ) اي المبرئ من الاسقام او المظهر لما في الغيب من برئ بمعنى
أظهر ما كان خفيا فيرجع لمعنى الخالق (قوله المصور) اي المبدع للاشكال على حسب ارادته فاعطى
كل شيء من المخلوقات صورة خاصة وهيئة منفردة يتميز بها على اختلافها وكثرتها (قوله الغفار) اما ماخوذ
من الغفر بمعنى الستر لانه يستر على عباده قبائحهم فيحجبها في الدنيا عن الآدميين وفي الآخرة عن
الملائكة ولو كانت موجودة في الصحف اومن الغفر بمعنى المحو من الصحف وهو مرادف للغفور والغافر
وقيل ان الغافر هو الذي يغفر بعض الذنوب والغفور الذي يغفر أكثرها والغفار الذي يغفر جميعها
والصحيح الاول لانه لا مبالغة في اسماء الله بل صيغتها صيغة نسبة كتمار نسبة للتمر (قوله القهار)
اي ذو البطش الشديد فهو من صفات الجلال (قوله الوهاب) اي ذو الهبات العظيمة لغير غرض
ولا علة فالطاعات لا تزيد في ملكه شيا وانما ترتب الثواب عليها من فضله وكرمه وهذا الاسم من صفات
الجمال (قوله الرزاق) اي معطي الارزاق لعباده دنيا واخرى قال تعالى ومامن دابة في الارض الا على
الله رزقها وهو بمعنى الرازق والرزق قسمان ظاهر وهو الاقوات من طعام وشراب ونحو ذلك وباطن
وهو العلوم والاسرار والمعارف فالاول رزق الابدان والثاني رزق الارواح وكل من عند ربنا (قوله
الفتاح) اي ذو الفتح لما كان مغلوقا حسيا أو معنويا فهو المسهل لكل عسير من خيري الدنيا والآخرة
فضلا منه واحسانا وهذا وما قبله من صفات الجمال (قوله العليم) اي ذو العلم وهو صفة أزلية قائمة بذاته
تعالى تتعلق بالواجبات والجائزات والمستحيلات تعلق احاطة وانكشاف لا يوصف بنظر ولا ضرورة
ولا كسب (قوله القابض) اي ذو القبض ضد البسط فهو جل وعز قابض للارزاق والارواح وغير ذلك
فيكون من صفات الجلال (قوله الباسط) اي ذو البسط ضد القبض فهو سبحانه وتعالى باسط الارزاق
في الدنيا والآخرة والقلوب وغير ذلك قال تعالى والله يقبض ويبسط وهذان الاسمان يظهر اثرهما
في العبيد وللعارفين مقامات في القبض والبسط فالمبتدئ يسمون تجليه قبضا وبسطا والمتوسط يسمونه
انسا وهيبة والكامل يسمونه جلالا وجمالا (قوله الخافض) أي لمن اراد خفضه فهو خافض لكلمة
الكفر وللظالمين ولكل متكبر وغير ذلك (قوله الرافع) أي ذو الرفع لاهل الاسلام والعلماء والصديقين
والاولياء والسموات والجنة وغير ذلك من الحسي والمعنوي والاول من صفات الجلال والثاني من
صفات الجمال (قوله المعز) اي خالق العز لمن يشاء من خلقه (قوله المذل) أي خالق الذل لمن اراد من
عباده والاول من صفات الجمال والثاني من صفات الجلال (قوله السميع) اي ذو السمع وهو صفة
أزلية تتعلق بجميع الموجودات تعلق احاطة وانكشاف (قوله البصير) اي ذو البصر وهو صفة أزلية
تتعلق بجميع الموجودات تعلق احاطة وانكشاف فهي مساوية في التعلق لصفة السمع ولا يعلم
حقيقة اختلافهما الا الله تعالى وهما مخالفان لتعلق العلم لان العلم يتعلق بالمعدومات والموجودات
وهما انما يتعلقان بالموجودات فقط وكل منهما منزه عن صفات الحوادث قال بعض العارفين
من أراد خفاء نفسه عن أعين الناس بحيث لا يرونه فليقرأ عند مروره عليهم لا تدركه الابصار وهو
يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير تسع مرات (قوله الحكم) اي ذو الحكم التام (قوله العدل) أي
ذو العدل أو العادل فلا يظلم مثقال ذرة فاحكام الله لا جور فيها بل دائرة بين الفضل والعدل لان الجور
التصرف في ملك الغير بغير اذنه ولا ملك لاحد معه وأردف الحكم بالعدل دفعا لتوهم ان حكمه
تارة يكون بالعدل وتارة يكون بالجور (قوله اللطيف) اي العالم بخفيات الامور أو معطي الاحسان
في صورة الامتحان كاعطاء يوسف الصديق الملك في صورة الابتلاء لرقيه وآدم

المتكبر الخالق البارئ
المصور الغفار القهار
الوهاب الرزاق الفتاح
العليم القابض الباسط
الخافض الرافع المعز
المذل السميع البصير
الحكم العدل اللطيف

الفوز الاكبر فى صورة ابتلائه باكله من الشجرة واخراجه من الجنة ونبينا صلى الله عليه وسلم الفتح والنصر المبين فى صورة ابتلائه باخراجه من مكة وهى سنة الله فى عباده الصالحين (فائدة) من قرأ قوله تعالى الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز فى كل يوم تسع مرات لطف الله به فى اموره ويسر له رزقا حسنا وكذلك من اكثر من ذكر اللطيف (قوله الخبير) أى المطلع على خفيات الاشياء فيرجع لمعنى اللطيف على التفسير الاول او القادر على الاخبار بما عجزت عنه المخلوقات قال بعضهم من اراد ان يرى شيا فى منامه فليقرأ قوله تعالى الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير تسع مرات عند نومه (قوله الحليم) هو الذى لا يعجل بالعقوبة على من عصاه وكفر به بل يمهله فان تاب محا عنه خطاياه ومن اقبح ماتقول العامة حلم ربنا يفتت الكبود اذ معناه الاعتراض على سعة حلمه ولا يدرون انه لولا حلمه علينا لخسف بنا فسعة حلمه من اجل النعم علينا قال العارف الحمد لله على حلمه بعد علمه وعلى عفوه بعد قدرته (قوله العظيم) اى الذى يصغر كل شئ عند ذكره ولا يحيط به ادراك ولا يعلم كنه حقيقته سواه ففى الحديث سبحان من لا يعلم قدره غيره ولا يبلغ الواصفون صفته فهو من الصفات الجامعة (قوله الغفور) تقدم معناه عند تفسير اسمه الغفار (قوله الشكور) اى الذى يشكر عباده اى يثنى عليهم فى الدنيا والآخرة فيعطى الثواب الجزيل على العمل القليل ويرفع ذكرهم فى الملا الاعلى (قوله العلى) أى المرتفع المنزه عن كل نقص المتصف بكل كمال المستغنى عن كل ماسواه المفتقر اليه كل ماعداه (قوله الكبير) هو والعظيم بمعنى واحد (قوله الحفيظ) اى الحافظ للعالم العلوى والسفلى دنيا واخرى قال تعالى ان ربى على كل شئ حفيظ (قوله المقيت) أصله المقوت نقلت حركة الواو الى الساكن قبلها فقلبت الواو ياء لمناسبة ماقبلها اى خالق القوت للاجساد والارواح دنيا واخرى وقوت الاجساد الطعام والشراب ونفعها بذلك وتلذذها به وقوت الارواح الايمان والاسرار والمعارف وانتفاعها بها والكافر لاقوت لروحه (قوله الحسيب) اى الكافى من توكل عليه أو الشريف الذى كل من دخل حماه تشرف او المحاسب لعباده على النقير والفتيل والقطمير فى قدر نصف يوم من ايام الدنيا او اقل (قوله الجليل) اى العظيم فى الذات والصفات والافعال فيرجع لمعنى العظيم والكبير (قوله الكريم) اى المعطى من غير سؤال أو الذى عم عطاؤه الطائع والعاصى (قوله الرقيب) اى المراقب الحاضر المشاهد لكل مخلوق المتصرف فيه وهو اعم من المهيمن لانه المطلع على خطرات القلوب والرقيب المطلع على الظاهر والباطن (قوله المجيب) اى لدعوة الداعى قال تعالى ادعونى استجب لكم وفى الحديث مامن عبد يقول يارب الا قال الله لبيك ياعبدى (قوله الواسع) السعة فى حقه تعالى ترجع لنفى الاولية والآخرية والاحاطة فهو من صفات السلوب او يراد منها ان رحمته وسعت كل شئ فيكون من صفات الجمال (قوله الحكيم) اى ذو الحكمة وهى العلم التام والصنع المتقن (قوله الودود) اى المحب لعباده الصالحين المحبين الراضى عليهم قال تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان أو الودود بمعنى المحبوب لانه محب ومحبوب فمحبته لعباده انعامه عليهم او ارادة انعامه فترجع لمعنى الرضا ومحبة عباده لهم ميلهم اليه وشغلهم به عمن سواه (قوله المجيد) اى الشريف ومثله الماجد (قوله الباعث) اى الذى يبعث الاموات اى يحييهم للحساب ويبعث الرسل لعباده لاقامة الحجة عليهم والارزاق الدنيوية والاخروية (قوله الشهيد) اى المطلع على الظاهر والباطن فيرجع لمعنى الرقيب واما قوله تعالى عالم الغيب والشهادة فتسميته غيبا بالنسبة لنا والا فالكل شهادة عنده (قوله الحق) اى الثابت الذى لا يقبل الزوال ازلا ولا ابدا فيرجع لمعنى واجب الوجود (قوله الوكيل) اى المتولى امور خلقه دنيا واخرى (قوله القوى) اى ذو القدرة التامة التى يوجد بها كل شئ ويعدمه على طبق مراده (قوله المتين) اى صاحب القوة العظيمة التى لا تعارض ولا يعتريها نقص ولا خلل (قوله الولى) اى الموالى والمتابع للاحسان لعبيده أو المتولى للخير والشر بمعنى صدور الكل منه فيرجع لمعنى الوكيل ويشهد للاول قوله

الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلى الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوى المتين الولى

تعالى الله ولى الذين آمنوا الآية وللثانى قوله تعالى ام اتخذوا من دونه اولياء فالله هو الولى واما الولى من الخلق فمعناه الموالى لطاعة ربه والمداوم عليها اومن تولى الله امره فلم يكله لغيره (قوله الحميد) اى المحمود اى مستحق الحمد كله والحامد لعبيده الصالحين ولنفسه بنفسه (قوله المحصي) اى الضابط لعدد مخلوقاته جليلها وحقيرها قال تعالى واحصي كل شيء عددا (قوله المبدئ) بالهمزة اى المنشئ من العدم الى الوجود واما بغير همزة فمعناه المظهر وليس مرادا هنا لكون الرواية بالهمز (قوله المعيد) اى الذى يعيد الخلق بعد اعدامهم قال تعالى وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه واختلف اهل السنة فى تلك الاعادة قيل عن عدم محض وقيل عن تفريق أجزاء قال صاحب الجوهرة

وقل يعاد الجسم بالتحقيق * عن عدم وقيل عن تفريق

(قوله المحيي) اى المقوم للابدان بالارواح للخلائق من العدم اى الناقل لهم من حالة العدم لحالة الحياة (قوله المميت) أى الخالق للموت وهو عدم الحياة عما من شانه الحياة قال تعالى خلق الموت والحياة (قوله الحى) اى ذو الحياة وهى فى حقه تعالى صفة أزلية قائمة بذاته يستلزمها اتصافه بالمعانى والمعنوية (قوله القيوم) اى القائم بذاته تعالى المستغنى عن غيره أو المقوم لغيره بقدرته فهو المتصرف فى العالم دنيا وأخرى (قوله الواجد) أى الغنى من الوجدان وهو عدم نفاد الشيء بمعنى انه لو أغنى الخلق جميعا واعطاهم سؤلهم لم ينقص من ملكه الا كما ينقص المخيط اذا أدخل البحر (قوله الماجد) هو بمعنى المجيد المتقدم وهو الشريف أو واسع الكرم (قوله الواحد) اى الذى لا ثانى له فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى افعاله فهو مستلزم لنفى الكموم الخمسة المتصل والمنفصل فى الذات والمتصل والمنفصل فى الصفات والمنفصل فى الافعال والمتصل فيها لا ينفى بل هو تعلق القدرة والارادة فى سائر الكائنات ايجادا واعداما فلا غاية له ولا نهاية قال تعالى كل يوم هو فى شان أى كل لحظة ولمحة فى شؤن يبديها ولا يبتديها والوحدة فى غيره نقص وفى حقه كمال كما ورد انه واحد لا من قلة بل وحدة تعزز وانفراد وتكبر لانعدام الشبيه والنظير والمثيل وفى بعض النسخ زيادة لفظ الاحد وهو بمعنى الواحد والصواب اسقاطه لانه ليس ثابتا فى حديث الترمذى الذى نسب الحديث اليه (قوله الصمد) اى الذى يقصد فى الحوائج فهو كالدليل للوحدانية (قوله القادر) أى ذو القدرة التامة وهى صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تتعلق بالممكنات ايجادا واعداما على وفق الارادة (قوله المقتدر) مبالغة فى القدرة التى لا شبيه لها ولا مثيل ولا نظير فيرجع لمعنى القوى المتين (قوله المقدم) بكسر الدال أى لمن أراد من عباده (قوله المؤخر) أى لمن اراد تاخيره قال تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء الآية (قوله الاول) أى الذى لا افتتاح لوجوده (قوله الآخر) أى الذى لا انتهاء لوجوده (قوله الظاهر) أى الذى ليس فوقه شيء ولا يغلبه شيء او الظاهر بآثاره وصنعه ومن الحكم هذه آثارنا تدل علينا قال تعالى كل يوم هو فى شان (قوله الباطن) اى الذى ليس أقرب منه شيء أو الذى تحجب عنا بجلاله وهيبته فلا تراه الابصار فى الدنيا ولا تدرك حقيقته لاحد دنيا ولا أخرى وقد جمعت هذه الاسماء الاربعة فى قوله صلى الله عليه وسلم اللهم انت الاول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وانت الظاهر فليس فوقك شيء وانت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين واغننا من الفقر (قوله الوالى) اى المتولى على عباده بالتصرف والقهر والايجاد والاعدام فيرجع لمعنى الملك (قوله المتعالى) أى المنزه عن صفات الحوادث فيرجع لمعنى القدوس وأتى به عقب الوالى لدفع توهم طرو نقص عليه كالولاة (قوله البر) أى المحسن لعباده الطائعين والعاصين (قوله التواب) أى كثير التوبة لعباده المذنبين اى يقبل توبتهم ان تابوا أو الذى يخلق التوبة فى العبد فتظهر فيه قال تعالى ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم وقال تعالى وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيآت

الحميد المحصي المبدئ المعيد المحيي المميت الحى القيوم الواجد الماجد الواحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الاول الآخر الظاهر الباطن الوالى المتعالى البر التواب

(قوله

(قوله المنتقم) أى المرسل للنقم والعذاب على الكفار والجبابرة الذين ماتوا مصرين على ذلك فهو من صفات الجلال كقهار (قوله العفو) أى الذى لا يؤاخذ المذنب بالذنوب بل يمحوها ويبدلها بحسنات (قوله الرؤف) من الرأفة وهى شدة الرحمة ومعناها فى حقه تعالى الانعام أو ارادته (قوله مالك الملك) أى المتصرف فيه على ما يريد ويختار قال تعالى يحكم لا معقب لحكمه (قوله ذو الجلال) أى صاحب الهيبة والعظمة وقوله والاكرام أى الانعام والاحسان (قوله المقسط) أى الذى يحكم بالانصاف بين خلقه وضده القاسط بمعنى الجائر (قوله الجامع) أى لكل كمال أو للخلق يوم القيامة قال تعالى وهو على جمعهم اذا يشاء قدير أو ما هو أعم وهو أولى (قوله الغنى) أى ذو الغنى المطلق وهو المستغنى عن كل ما سواه المفتقر اليه كل ما عداه (قوله المغنى) أى المعطى الغنى لمن يشاء دنيا وأخرى قال تعالى وأنه هو أغنى وأقنى (قوله المانع) أى الرافع عن عبيده المضار الدنيوية والاخروية قال تعالى ان الله يدافع عن الذين آمنوا ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض (قوله الضار) أى خالق الضر ضد النفع وهو ايصال الشر لمن شاء من عباده (قوله النافع) أى خالق النفع ضد الضر وهو ايصال الخير لمن شاء من عباده دنيا وأخرى (قوله النور) أى الظاهر فى نفسه المظهر لغيره أو خالق النور (قوله الهادى) أى خالق الهدى والرشاد الموصل له من أحب من عباده (قوله البديع) أى المبدع والمحكم كل شئ صنعه أو المخترع الاشياء على غير سابقة مثال قال تعالى بديع السموات والارض أى محكمهما ومتقنهما ومخترعهما على غير مثال سابق (قوله الباقى) أى الدائم الذى لا يزول ولا يحول (قوله الوارث) أى الباقى بعد فناء خلقه أو الذى يرجع اليه كل شئ قال تعالى انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون كل شئ هالك الا وجهه ألا الى الله تصير الامور (قوله الرشيد) أى صاحب الرشد وهو الذى يضع الشئ فى محله أو خالق الرشد فى عباده فيرجع لمعنى الهادى (قوله الصبور) أى الذى لا يعجل بالعقوبة على من عصاه فيرجع لمعنى الحليم والله أعلم بحقيقة معانى أسمائه وأسرارها (قوله رواه الترمذى) أى عن أبى هريرة واعلم أن للعارفين فى استعمال هذه الاسماء طرقا فمنهم من يستعملها نثرا ومنهم من يستعملها نظما كالشيخ الدمياطى وسيدى مصطفى البكرى وغيرهما وأجل ما تلقيناه منظومة أستاذنا بركة الوقت والزمان وامام العصر والاوان القطب الشهير والشهاب المنير أبو البركات ومهبط الرحمات الذى عم فضله الكبير والصغير شيخنا الشيخ أحمد بن محمد الدردير فانها عديمة النظير لاحتوائها على الدعوات الجامعة والاسرار اللامعة بمظاهر تلك الاسماء وهى آخر العلوم الالهية التى ظهرت على لسانه وقد ألقيت عليه فى ليلة واحدة فقام من فراشه وكتبها وكان يقرؤها فى كل يوم وليلة ثلاث مرات فمن أراد الفوز الاكبر والظفر بالمقصود من خير الدنيا والآخرة فعليه بحفظها والمواظبة عليها صباحا ومساء ومن أراد الاطلاع على بعض معانيها وفوائدها فعليه بشرحنا عليها فان فيه النفع التام ان شاء الله تعالى (قوله ولا تجهر بصلاتك) سبب نزولها كما قال ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مختفيا بمكة وكان اذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فاذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به فقال الله لنبيه ولا تجهر بصلاتك أى بقراءتك ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم وابتغ بين ذلك سبيلا وهذا الامر قد زال من يوم اسلام عمر والحمزة فهو منسوخ فالمصلى الجهر فى الصلاة الجهرية ولو يزيد على سماع المأمومين وقيل نزلت فى الدعاء وروى ذلك عن عائشة وجماعة ومثل الدعاء سائر الاذكار فلا يجهر بها ولا يخافت بها بل يكون بين ذلك قواما وعلى هذا القول فالآية غير منسوخة بل العمل بها مستمر (قوله ولا تخافت بها) المخافتة عدم رفع الصوت يقال خفت الصوت اذا سكن (قوله لينتفع أصحابك) علة للنهى عن المخافتة (قوله وقل الحمد لله) أى الثناء بالجميل واجب لله (قوله الذى لم يتخذ ولدا) أى لم يكن له ولد لاستحالته عليه (قوله الالوهية) أى لم يكن له

المنتقم العفو الرؤف مالك الملك ذو الجلال والاكرام المقسط الجامع الغنى المغنى المانع الضار النافع النور الهادى البديع الباقى الوارث الرشيد الصبور رواه الترمذى قال تعالى (ولا تجهر بصلاتك) بقراءتك فيها فيسمعك المشركون فيسبوك ويسبوا القرآن ومن أنزله (ولا تخافت) تسر (بها) لينتفع أصحابك (وابتغ) اقصد (بين ذلك) الجهر والمخافتة (سبيلا) طريقا وسطا (وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك) فى الالوهية (ولم يكن له ولى) ينصره (من) أجل (الذل) أى لم يذل فيحتاج الى ناصر (وكبره تكبيرا) عظمه عظمة تامة عن اتخاذ الولد والشريك والذل وكل ما لا يليق به وترتيب الحمد على ذلك للدلالة على أنه المستحق لجميع المحامد لكمال ذاته وتفرده فى صفاته روى الامام أحمد فى مسنده عن معاذ الجهنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول آية العز الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا

مشارك فى ألوهيته اذ لو كان معه مشارك فيها لما وجد شئ من العالم قال تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقال تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض (قوله ولم يكن له ولى من الذل) اى لم يكن له ناصر يمنع عنه الذل لاستحالته عليه عقلا واستفيد من الآية ان له أولياء لا من أجل الذل بمعنى انه ينصرهم ويتولى أمورهم مع استغنائه عنهم كاستغنائه عن الكفار وانما اختيارهم وتسميتهم أولياء واحبابا فمن فضله واحسانه وكما أنه يستحيل عليه الولى بمعنى الناصر له من الذل يستحيل عليه العدو بمعنى الموصل الاذى اليه واما بمعنى انه مغضوب عليه وليس راضيا بافعاله فهو واقع (قوله اى لم يذل) اى لم يجر عليه وصف الذل لا بالفعل ولا بالقوة (قوله عظمه عظمة) اى نزهه عن كل نقص (قوله وترتيب الحمد الخ) دفع بذلك ما يقال ان المقام للتنزيه لا للحمد لان الحمد يكون فى مقابلة نعمة وهنا ليس كذلك أجيب بان الله كما يستحق الحمد لاوصافه يستحقه لذاته (قوله آية العز) اى التى من قرأها مؤمنا بها حصل له العز والرفعة وورد فى عدة استعمالها انها ثمانمائة واحد وخمسون كل يوم ويقول قبلها توكلت على الحى الذى لا يموت الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا الى آخرها (قوله جلال الدين المحلى) كان على غاية من العلم والعمل والزهد والورع والحلم حتى كان من اخلاقه انه يقضى حوائج بيته بنفسه مع كونه كان عنده الخدم والعبيد (قوله وقد افرغت فيه) الضمير عائد على ما فى قوله آخر ما كملت به وكذا بقية الضمائر (قوله جهدى) بفتح الجيم وضمها اى طاقتى (قوله وبذلت فكرى) الفكر قوة فى النفس يحصل بها التامل (قوله فى نفائس) اى دقائق ونكات مرضية (قوله اراها) بفتح الهمزة وضمها (قوله تجدى) اى تنفع (قوله قدر ميعاد الكليم) اى وهو اربعون يوما لانه سيأتى انه ابتدأ فيه أول يوم من رمضان وختمه لعشرة من شوال وفى ذلك اشارة الى ان فى هذه المدة حصل لموسى الفتح واعطاء التوراة وهى كلام الله فقد خلعت علىّ خلعة من خلعه حيث فتح علىّ فى تلك المدة بخدمة كلام الله والاخبار بذلك من باب التحدث بالنعمة فان هذا الزمن عادة لا يسع هذا التأليف الا بعناية من الله سيما مع صغر سن الشيخ حينئذ فانه كان عمره اقل من ثنتين وعشرين سنة بشهور (قوله وهو) اى ما كملت به (قوله مستفاد من الكتاب المكمل) هذا تواضع من الشيخ واشارة الى انه حذا حذوه واقتفى اثره فالشيخ المحلى قدس الله روحه قد سن سنة حسنة للشيخ السيوطى فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة (قوله وعليه) اى الشيخ او الكتاب المكمل وهو متعلق بمحذوف خبر مقدم والاعتماد مبتدأ مؤخر وقوله فى الآى الخ متعلق بالاعتماد والمعول معطوف على الاعتماد عطف مرادف (قوله بعين الانصاف) اما على حذف مضاف اى بعين صاحب الانصاف او فى الكلام استعارة بالكناية حيث شبه الانصاف بانسان ذى عين وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشئ من لوازمه وهو العين فاثباته تخييل واحترز بعين الانصاف من عين الاعتساف فانها لا ترى محاسن أصلا كما قال العارف

وعين الرضا عن كل عيب كليلة * كما ان عين السخط تبدى المساويا

(قوله ووقف فيه على خطا) اى اطلع عليه (قوله فاطلعنى) اى دلنى عليه وعرفنى به (قوله وقد قلت) اى شاكرا لله سالكا سبيل الاعتذار (قوله اذ هدانى) اى لاجل هدايته لى (قوله لما ابديت) متعلق بهدانى (قوله فمن لى بالخطا) اى من يتكفل لى باظهار الخطا (قوله فارد عنه) اى أجيب عنه أو أصلحه (قوله ومن لى بالقبول) اى من يبشرنى بالقبول من الله لهذا التأليف ولو حرفا لان القبول من رحمة الله ومن رحمه لا يعذبه (قوله هذا) اى افهم وتامل ما ذكرته لك (قوله فى خلدى) بفتحتين معناه البال والقلب (قوله لذلك) اى لتأليف تلك التكملة (قوله المسالك) اى مسالك التفسير الذى هو اصعب العلوم لاحتياجه الى الجمع بين المعقول والمنقول (قوله وعسى الله) هذا ترج من الشيخ رضي الله عنه وقد حقق الله رجاءه (قوله جما)

ولم يكن له شريك فى الملك الى آخر السورة والله تعالى أعلم * قال مؤلفه هذا آخر ما كملت به تفسير القرآن الكريم الذى ألفه الشيخ الامام العالم العلامة المحقق جلال الدين المحلى الشافعى رضي الله عنه وقد أفرغت فيه جهدى * وبذلت فكرى فيه فى نفائس أراها ان شاء الله تعالى تجدى * وألفته فى مدة قدر ميعاد الكليم * وجعلته وسيلة للفوز بجنات النعيم * وهو فى الحقيقة مستفاد من الكتاب المكمل * وعليه فى الآى المتشابهة الاعتماد والمعول * فرحم الله امرأ نظر بعين الانصاف اليه * ووقف فيه على خطا فاطلعنى عليه * وقد قلت

حمدت الله ربى اذ هدانى لما أبديت مع عجزى وضعفى فمن لى بالخطا فارد عنه ومن لى بالقبول ولو بحرف

هذا ولم يكن قط فى خلدى أن أتعرض لذلك * لعلمى بالعجز عن الخوض فى هذه المسالك * وعسى الله ان ينفع به نفعا جما * ويفتح به قلوبا

بفتح

فلقا واعينا عميا وآذانا صما * وكأنى بمن اعتاد المطولات وقد اضرب عن هذه التكملة واصلها حسما * وعدل الى صريح العناد ولم يوجه الى دقائقهما فهما * ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى * رزقنا الله به هداية الى سبيل الحق وتوفيقا * واطلاعا على دقائق كلماته وتحقيقا * وجعلنا به مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا (وفرغ من تاليفه يوم الاحد عاشر شوال سنة سبعين وثمانمائة (وكان) الابتداء فيه يوم الاربعاء مستهل رمضان من السنة المذكورة وفرغ من تبييضه يوم الاربعاء سادس صفر سنة احدى وسبعين وثمانمائة والله اعلم * قال الشيخ شمس الدين محمد بن ابى بكر الخطيب الطوخى اخبرنى صديقى الشيخ العلامة كمال الدين المحلى اخو شيخنا الشيخ الامام جلال الدين المحلى رحمهما الله تعالى انه راى اخاه الشيخ جلال الدين المذكور فى النوم وبين يديه صديقنا الشيخ العلامة المحقق جلال الدين السيوطى مصنف هذه

التكملة وقد اخذ الشيخ هذه التكملة فى يده وتصفحها ويقول لمصنفها المذكور ايهما احسن وضعى او وضعك فقال وضعى فقال انظر وعرض عليه مواضع فيها وكأنه يشير الى اعتراض فيها بلطف ومصنف هذه التكملة كلما اورد عليه شيا يجيبه والشيخ يتبسم ويضحك قال شيخنا الامام العلامة جلال الدين عبد الرحمن بن ابى بكر السيوطى مصنف هذه التكملة الذى اعتقده واجزم به ان الوضع الذى وضعه الشيخ جلال الدين المحلى رحمه الله تعالى فى قطعته احسن من وضعى أنا بطبقات كثيرة كيف وغالب ما وضعته هنا مقتبس من وضعه ومستفاد منه لامرية عندى فى ذلك واما الذى رؤى فى المنام المكتوب اعلاه فلعل الشيخ اشار به الى المواضع القليلة التى خالفت وضعه فيها لنكتة وهى يسيرة جدا ما أظنها تبلغ عشرة مواضع منها ان الشيخ قال فى سورة ص: الروح جسم لطيف يحيا به الانسان بنفوذه فيه وكنت تبعته اولا فذكرت هذا الحد فى سورة الحجر ثم ضربت عليه لقوله تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربى الآية فهى صريحة او كالصريحة فى ان الروح من علم الله تعالى لا نعلمه فالامساك عن تعريفها اولى ولذا قال الشيخ تاج الدين بن السبكى فى جمع الجوامع والروح لم يتكلم عليها محمد صلى الله عليه وسلم فنمسك عنها ومنها ان الشيخ قال فى سورة الحج الصابئون فرقة من اليهود فذكرت ذلك فى سورة البقرة وزدت او النصارى بيانا لقول ثان فانه المعروف خصوصا عند اصحابنا الفقهاء وفى المنهاج وان خالفت السامرة اليهود والصابئة النصارى فى اصل دينهم حرمن وفى شروحه ان الشافعى رضى الله عنه نص على ان الصابئين فرقة من النصارى ولا استحضر الآن موضعا ثالثا فكان الشيخ رحمه الله تعالى يشير الى مثل هذا والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

بفتح الجيم أى كثيرا (قوله غلفا) اى مغطاة ممنوعة من فهم علم التفسير لصعوبته (قوله عميا) اى لا تبصر فاذا نظرت فيه وتاملته فارجوا ان يزول عنها العمى لتبصره وتدركه (قوله وآذانا صما) أى فبسماعه يزول عنها الصمم وتصير مستمعة لدقائق التفسير (قوله وكأنى بمن اعتاد المطولات) اى ملتبس بمن اعتاد فالباء للملابسة ويصح ان تكون بمعنى من والمعنى وكأنى قريب ممن اعتاد الخ (قوله وقد اضرب) اى اعرض (قوله وأصلها) اى وهى قطعة الجلال المحلى (قوله حسما) الحسم المنع والقطع وهو مفعول مطلق مؤكد لعامله المعنوى الذى هو اعرض كانه قال وقد اعرض اعراضا (قوله وعدل) اى مال (قوله الى صريح العناد) من اضافة الصفة للموصوف اى العناد الصريح (قوله ومن كان فى هذه) اى التكملة مع اصلها وفى بمعنى عن وقوله اعمى اى معرضا عنها وغير واقف على دقائقها وقوله فهو فى الآخرة المراد بها المطولات وقوله اعمى اى غير فاهم لها وهو اقتباس من الآية الشريفة والاقتباس تضمين الكلام شيا من القرآن او الحديث لا على انه منه (قوله رزقنا الله به الخ) هذا الضمير وما بعده لما كمل به (قوله هداية) اى وصولا للمقصود (قوله على دقائق كلماته) اى القرآن (قوله مع الذين أنعم الله عليهم) المراد بالمعية انه يستمتع فيها برؤيتهم وزيارتهم والحضور معهم وان كان كل فى منزلته (قوله وفرغ من تاليفه) اى جمعه وتسويده بدليل قوله وفرغ من تبييضه (قوله سنة سبعين وثمانمائة) اى وذلك بعد وفاة الجلال المحلى بست سنين (قوله وفرغ من تبييضه) اى تحريره ونقله من المسودة (قوله سادس صفر) أى فكانت مدة تحريره اربعة اشهر الا اربعة ايام (قوله السيوطى) بضم السين نسبة لسيوط قرية بصعيد مصر واعلم انه قد وجد بعد ختم هذه التكملة مما هو منقول عن خط السيوطى ما نصه قال الشيخ شمس الدين محمد بن ابى بكر الخطيب الطوخى اخبرنى صديقى الشيخ العلامة كمال الدين المحلى الخ فليس من اصل تاليف السيوطى والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب قال مؤلفه وكان الفراغ من تسويد هذا الجزء يوم الخميس المبارك ثالث عشر شعبان سنة خمس وعشرين ومائتين والف من هجرة من له العز والشرف عليه افضل الصلاة والسلام بمشهد الامام الحسين رضى الله تعالى عنه وعنا ومدنا من مدده آمين

﴿ تم الجزء الثانى ويليه الجزء الثالث اوله سورة الكهف ﴾

(فهرست)

﴿الجزء الاول من حاشية العلامة الصاوى على تفسير الجلالين﴾

صحيفة

﴿تمت﴾

(فهرست)

﴿الجزء الثانى من حاشية العلامة الصاوى على تفسير الجلالين﴾

صحيفة

﴿تمت﴾